الجزء الثاني عشر

أخبار الأعشى وبني عبد المدان

وأخبارهم مع غيره :

كان الأعشى قدرياً ولبيد مجبراً: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن سماك بن حرب عن يونس بن متى راويةالأعشى قال: كان لبيد مجبراً حيث يقول:

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وكان الأعشى قدرياً حيث يقول:

استأثر الله بالوفاء وبال عدل وولى الملامة الرجلا

فقلت له: من أين أخذ هذا؟ فقال: أخذه من أساقفة نجران. وكان يعود في كل سنةٍ إلى بني عبد المدان، فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم ويندامهم، ويسمع من أساقفة نجران قولهم؛ فكل شيءٍ في شعره من هذا فمنهم أخذه .

خبر أساقفة نجران مع النبي

صلى الله عليه وسلم:

خبر أساقفة نجران مع النبي:

فأما خبر مباهلتهم النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني به علي بن العباس بن الوليد البجلي المعروف بالمقانعي الكوفي قال أنبأنا بكار بن أحمد بن اليسع الهمداني قال حدثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب. قال بكار وحدثنا إسماعيل بن أبانٍ العامري عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام، وحديثه أتم الأحاديث. وحدثني به جماعة آخرون بأسانيد مختلفةٍ وألفاظٍ تزيد وتنقص: فمن حدثني به علي بن أحمد بن حامد التميمي قال حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدثنا حسن بن حسين عن حيان بن علي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي رافعٍ عن أبيه عن جده عن أبي رافع. وأخبرني علي بن موسى الحميري في كتابه قال حدثنا جندل بن والقٍ قال حدثنا محمد ابن عمر عن عباد الكليبي عن كاملٍ أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال حدثنا أبي قال حدثنا حصين بن مخارقٍ عن عبد

الصمد بن علي عن أبيه عن ابن عباسٍ. قال الحصين وحدثني أبو الجارود وأبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر، قال وحدثني حمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام. قال حصين وحدثني سعيد بن طريفٍ عن عكرمة عن ابن عباس. وممن حدثني أيضاً بهذا الحديث علي بن العباس عن بكار عن إسماعيل بن أبان عن أبي أويس المدني عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن. وممن حدثني به أيضاً محمد بن الحسين الأشناني قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي قال حدثني يحيى بن سالم عن جابرٍ عن أبي جعفر عليه السلام . وممن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفي عن محمد بن عمرو الخشاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبي، واللفظ للحديث الأول. قالوا:

قدم وفد نصارى نجران وفيهم الأسقف، والعاقب وأبو حبشٍ ، والسيد، وقيس، وعبد المسيح، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام، وقال شهر بن حوشب في حديثه: وهم أربعون حبراً حتى وقفوا على اليهود في بيت المدارس ، فصاحوا بهم: يا بن صوريا يا كعب بن الأشراف، انزلوا يا إخوة القرود والخنازير. فنزلوا إليهم، فقالوا لهم: هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً قد غلبكم أحضروا الممتحنة لنمتحنه غداً. فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح، قاموا فكبروا بين يديه، ثم تقدمهم الأسقف فقال: يا أبا القاسم، موسى من أبوه؟ قال: عمران. قال: فيوسف من أبوه؟ قال: يعقوب. قال: فأنت من أبوك؟ قال: إني عبد الله بن عبد المطلب. قال: فعيسى من أبوه؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله؛ فانقض عليه جبريل عليه السلام فقال : " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب "فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فنزا الأسقف ثم دير به مغشياً عليه، ثم رفع رأسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : أتزعم أن الله جل وعلا أوحي إليك أن عيسى خلق من تراب! ما نجد هذا فيما أوحي إليك، ولا نجده فيما أوحي إلينا؛ ولا تجده اليهود فيما أوحي إليهم. فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع آبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ". فقال : أنصفتنا يا أبا القاسم، فمتى نباهلك؟ فقال: بالغداة إن شاء الله تعالى. وانصرف النصارى، وانصرفت اليهود وهي تقول: والله ما نبالي أيهما أهلك الله الحنيفية أو النصرانية. فلما صارت النصارى إلى بيوتها قالوا؛ والله إنكم لتعلمون أنه نبي، ولئن باهلناه إنا لنخشى أن نهلك، ولكن استقيلوه لعله يقيلنا. وغدا النبي صلى الله عليه وسلم من الصبح وغدا معه بعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. فلما صلى الصبح، انصرف فاستقبل الناس بوجهه، ثم برك باركاً، وجاء بعلي فأقامه بين يديه، وجاء بفاطمة فأقامها بين كتفيه، وجاء بحسنٍ فأقامه عن يمينه، وجاء بحسينٍ فأقام عن يساره. فأقبلوا يسترون بالخشب والمسجد فرقاً أن يبدأهم بالمباهلة إذا رآهم، حتى بركوا بين يديه، ثم صاحوا: يا أبا القاسم، أقلنا أقالك الله عثرتك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم قال: و لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط إلا أعطاه فقال: قد أقلتكم فولوا . فلما ولوا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أما والذي بعثني بالحق لو باهلتهم ما بقي على وجه الأرض نصراني ولا نصرانية إلا أهلكهم الله تعالى ". وفي حديث

شهر بن حوشب أن العاقب وثب فقال: أذكركم الله أن نلاعن هذا الرجل! فوالله لئن كان كاذباً ما لكم في ملاعنته خير، ولئن كان صادقاً لا يحول الحول ومنكم نافخ ضرمة فصالحوه ورجعوا .

خبر قبة نجران: وأما خبر القبة التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن عمرو الأنصاري عن هشام بن محمد عن أبيه قال: كان عبد المسيح بن دارس بن عربي بن معيقرٍ من أهل نجران، وكانت له قبة من ثلاثمائة جلد أديمٍ، وكان على نهر بنجران يقال النحيردان . قال: و لم يأت القبة خائف إلا أمن، ولا جائع إلا شبع؛ وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينارٍ، وكانت القبة تستغرق ذلك كله . وكان أول من نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيد بن عبد المدان بن الديان. وذلك أن عبد المسيح بن دارسٍ زوج يزيد بن عبد المدان ابنته رهيمة، فولدت له عبد الله بن يزيد، فهم بالكوفة. ومات عبد المسيح، فانتقل ماله إلى يزيد؛ فكان أول حارثي حل في نجران. وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة:

فكعبة نجران حتم علي ... ك حتى تناحي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح ... وقيساً هم خير أربابها

خطب يزيد بن عبد المدان وعامر بن المصطلق بنت أمية بن الأسكر فزوجها ليزيد: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال حدثني بعض بني الحارث بن كعب، وأخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ، وقدم أمية بن الأسكر الكناني ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيد وعامر. فقالت أم كلابٍ امرأة أمية بن الأسكر: من هذان الرجلان. فقال: هذا يزيد بن عبد المدان بن الديان، وهذا عامر بن الطفيل. فقالت: أعرف بني الديان ولا أعرف عامراً. فقال: هل سمعت بملاعب الأسنة ؟ فقالت: نعم. قال: فهذا ابن أخيه. وأقبل يزيد فقال: يا أمية، أنا ابن الديان صاحب الكثيب ، ورئيس مذحج، ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنظف دماً، ويدلك راحتيه فتخرجان ذهباً. فقال أمية: بخٍ بخٍ. فقال عامر: جدي الأخرم، وعمي ملاعب الأسنة، وأبي فارس قرزل. فقال أمية: بخ بخ ! مرعًى ولا كالسعدان . فأرسلها مثلاً. فقال يزيد: يا عامر. هل تعلم شاعراً من قومي رحل بمدحةٍ إلى رجلٍ من قومك؟ قال: اللهم لا. قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي؟ قال: اللهم نعم. قال: فهل لكم نجم يمانٍ أو برد يمانٍ أو سيف يمانٍ أو ركن يمانٍ؟ قال لا. قال: هل ملكناكم و لم تملكونا؟ قال نعم. فنهض يزيد وأنشأ يقول:

أمي يابن الأسكر بن مدلج ... لا تجعلن هوازناً كمذحج

إنك إن تلهج بأمرٍ تلجج ... ما النبع في مغرسه كالعوسج

ولا الصريح المحض كالممزج

قال: فقال مرة بن دودان النفيلي وكان عدواً لعامر:

يا ليت شعري عنك يا يزيد ... ماذا الذي من عامرٍ تريد

لكل قومٍ فخركم عتيد ... أمطلقون نحن أم عبيد

لا بل عبيد زادنا الهبيد

قال: فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته. فقال يزيد في ذلك:

يا للرجال لطارق الأحزان ... ولعامر بن طفيلٍ الوسنان

كانت إتاوة قومه لمحرقٍ ... زمناً وصارت بعد للنعمان

عد الفوارس هوازن كلها ... فخراً علي وجئت بالديان

فإذا لي الشرف المبين بوالدٍ ... صخم الدسيعة زانني ونماني

يا عام إنك فارس ذو ميعةٍ ... غض الشباب أخو ندى وقيان

واعلم بأنك بابن فارس قرزلٍ ... دون الذي تسعى له وتداني

ليست فوارس عامرٍ بمقرةٍ ... لك بالفضيلة في بني عيلان

فإذا لقيت بني الحماس ومالكٍ ... وبني الضباب وحي آل قنان

فاسأل عن الرجل المنوه باسمه ... والدافع العداء عن نجران

يعطى المقادة في فوارس قومه ... كرماً لعمرك والكريم يماني

فقال عامر بن الطفيل:

عجباً لواصف طارق الأحزان ... ولما يجيء به بنو الديان

فخروا علي بحبوةٍ لمحرقٍ ... وإتاوةٍ سيقت إلى النعمان

ما أنت وابن محرقٍ وقبيله ... وإتاوة اللخمي في عيلان

فاقصد بفخرك قصد قومك قصرةً ... ودع القبائل من بني قحطان

إن كان سالفة الإتاوة فيكم ... أو لا ففخرك فخر كل يماني

وافخر برهط بني الحماس ومالكٍ ... وبني الضباب وزعبلٍ وقنان

فأنا المعظم وابن فارس قرزلٍ ... وأبو براءٍ زانني ونماني

وأبو جزيءٍ ذو الفعال ومالك منعا الدمار صباح كل طعان

وإذا تعاظمت الأمور هوازن كنت المنوه باسمه والباني

طلب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بني الديان فأبى: فلما رجع القوم إلى بني عامر، وثبوا على مرة بن دودان وقالوا له: أنت من بني عامر، وأنت شاعر، و لم تهج بني الديان! فقال مرة:

تكلفني هوازن فخر قومٍ يقولون :الأنام لنا عبيد

أبونا مذحج وبنو أبيه إذا ما عدت الآباء هود

وهل لي إن فخرت بغير حق مقال والأنام لهم شهود

فأني تضرب الأعلام صفحاً عن العلياء أم من ذا يكيد

فقولوا يا بني عيلان كنا لهم قناً ، فما عنها محيد

محاورة ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان والقيسيين:

وقال ابن الكلبي في هذه الرواية: قدم يزيد بن عبد المدان وعمر بن معد يكرب ومكشوح المرادي على ابن جفنة زواراً، وعنده وجوه قيس: ملاعب الأسنة عامر بن مالك، ويزيد بن عمرو بن الصعق، ودريد بن الصمة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان: ماذا كان يقول الديان إذا أصبح فإنه كان دياناً . فقال: كان يقول: آمنت بالذي رفع هذه يعني السماء ، ووضع هذه يعني الأرض ، وشق هذه يعني أصابعه ، ثم يخر ساجداً ويقول: سجد وجهي للذي خلقه وهو عاشم ، وما جشمني من شيءٍ فإني جاشم. فإذا رفع رأسه قال:

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما

فقال ابن جفنة: إن هذا لذو دينٍ. ثم مال على القيسيين وقال: ألا تحدثوني عن هذه الرياح: الجنوب والشمال والدبور والصبا والنكباء، لم سميت بهذه الأسماء؛ فإنه أعياني علمها؟ فقال القوم: هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا فيها. فضحك يزيد بن عبد المدان ثم قال: يا خير الفتيان، ما كنت أحسب أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر. إن العرب تضرب أبياتها في القبلة مطلع الشمس، لتدفئهم في الشتاء وتزول عنهم في الصيف. فما هب من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب، وما هب عن شماله فهي الشمال، وما هب من أمامه فهي الصبا، وما هب من خلفه فهي الدبور، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النكباء. فقال ابن جفنة: إن هذه للعلم يابن عبد المدان .

سأل ابن جفنة القيسيين عن النعمان بن المنذر فعابوه فرد عليهم يزيد: وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المنذر. فعابوه وصغروه. فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له: ما تقول يابن عبد المدان؟ فقال يزيد : يا خير الفتيان. ليس صغيراً من منعك العراق، وشركك في الشام، وقيل له: أبيت اللعن. وقيل لك: يا خير الفتيان، وألفى أباه ملكاً كما ألفيت أباك ملكاً، فلا يسرك من يغرك؛ فإن هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل

ما قالوا فيه. وايم الله ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة! فغضب عامر بن مالك وقال له: يابن الديان! أما والله لتحتلبن بها دماً! فقال له: ولم؟ أزيد في هوازن من لا أعرفه؟ فقال: لا! بل هم الذين تعرف. فضحك يزيد ثم قال: ما لهم جرأة بني الحارث، ولا فتك مراد، ولا بأس زبيد، ولا كيد جعفي ، ولا مغار طيء. وما هم ونحن الفتيان بسواء، وما قتلنا أسيراً قط ولا اشتهينا حرةً قط، ولا بكينا قتيلاً حتى نبئ به. وإن هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم، حتى يقتل السمي بالسمي. والكني بالكني، والجار بالجار. وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعراً غدا به على ابن جفنة:

تمالا على النعمان قوم إليهم ... مواردة في ملكه ومصادره

على غير ذنبٍ كان منه إليهم ... سوى أنه جادت عليهم مواطره

فباعدهم من كل شرٍ يخافه ... وقربهم من كل خيرٍ يبادره

فظنوا وأعراض الظنون كثيرة ... بأن الذي قالوا من الأمر ضائره

فلم ينقصوا بالذي قيل شعرةً ... ولا فللت أنيابه وأظافره

وللحارث الجفني أعلم بالذي ... ينوء به النعمان إن خف طائره

فيا حار كم فيهم لنعمان نعمةً ... من الفضل والمن الذي أنا ذاكره

ذنوباً عفا عنها ومالاً أفاده ... وعظماً كسيراً قومته جوابره

ولو سأل عنك العائبين ابن منذرٍ ... لقالوا له القول الذي لا يحاوره

قال: فلما سمع ابن جفنة هذا القول عظم يزيد في عينه، وأجلسه معه على سريره، وسقاه بيده، وأعطاه عطية لم يعطها أحداً ممن وفد عليه قط .

استشفع جذامي إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له: فلما قرب يزيد ركائبه ليرتحل سمع صوتاً إلى جانبه، وإذا هو رجل يقول:

أما من شفيعٍ من الزائرين ... يحب الثنا زنده ثاقب

يريد ابن جفنة إكرامه ... وقد يمسح الضرة الحالب

فينقذني من أظافيره ... وإلا فإني غداً ذاهب

فقد قلت يوماً على كربةٍ ... وفي الشرب في يثرب غالب

ألا ليت غسان في ملكها ... كلخمٍ، وقد يخطئ الشارب

وما في ابن جفنة من سبةٍ ... وقد خف حلمي بها العازب

كأني غريب من الأبعدين وفي الحلق مني شجاً ناشب

فقال يزيد: علي بالرجل، فأتي به. فقال: ما خطبك؟ أنت تقول هذا الشعر؟ قال: لا! بل قاله رجل من جذام جفاه ابن جفنة، وكانت له عند النعمان منزلة، فشرب فقال على شرابه شيئاً أنكره عليه ابن جفنة فحبسه، وهو مخرجه غداً فقاتله. فقال له يزيد: أنا أغنيك . فقال له: ومن أنت حتى أعرفك ؟ فقال: أنا يزيد بن عبد المدان. فقال: أنت لها وأبيك؟ قال: أجل! قد كفيتك أمر صاحبك ، فلا يسمعنك أحد تنشد هذا الشعر. وغدا يزيد على ابن جفنة ليودعه؛ فقال له: حياك الله يابن الديان! حاجتك. قال: تلحق قضاعة الشام بغسان ، وتؤثر من أتاك من وفود مذحج، وتهب لي الجذامي الذي لا شفيع إلا كرمك. قال: قد فعلت. أما إني حبسته لأهبه لسيد أهل ناحيتك، فكنت ذلك السيد، ووهبه له. فاحتمله يزيد معه، و لم يزل مجاوراً له بنجران في بني الحارث بن كعب. وقال ابن جفنة لأصحابه: ما كانت يميني لتفي إلا بقتله أو هبته لرجلٍ من بني الديان؛ فإن يميني كانت على هذين الأمرين. فعظم بذلك يزيد في عين أهل الشام ونبه ذكره وشرف .

استغاث هوازني يزيد في فك أسر أخيه فأغاثه: وقال ابن الكلبي في هذه الرواية عن أبيه: جاور رجلان من هوازن، يقال لهما عمرو وعامر، في بني مرة بن عوف بن ذبيان، وكانا قد أصابا دماً في قومهما. ثم إن قيس بن عاصم المنقري أغار على بني مرة بن عوف بن ذبيان، فأصاب عامراً أسيراً في عدة أسارى كانوا عند بني مرة، ففدى كل قومٍ أسيرهم من قيس بن عاصمٍ وتركوا الهوازني، فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة: سنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحصين بن الحمام فلم يغيثوه، فركب إلى موسم عكاظ، فأتى منازل مذحج ليلاً فنادى:

دعوت سناناً وابن عوفٍ وحارثاً وعاليت دعوى بالحصين وهاشم

أعيرهم في كل يومٍ وليلةٍ بترك أسيرٍ عند القيس بن عاصم

حليفهم الأدنى وجار بيوتهم ومن كان عما سرهم غير نائم

فصموا وأحداث الزمان كثيرة وكم في بني العلات من متصامم

فيا ليت شعري من لإطلاق غله ومن ذا الذي يحظى به في المواسم

قال: فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات:

ألا أيهذا الذي لم يجب عليك بحيٍ يجلي الكرب

عليك بذا الحي من مذحجٍ فإنهم للرضا و الغضب

فناد يزيد بن عبد المدان وقيساً وعمرو بن معد يكرب

يفكوا أخاك بأموالهم وأقلل بمثلهم في العرب

أولاك الرؤوس فلا تعدهم ومن يجعل الرأس مثل الذنب !

قال: فاتبع الصوت فلم ير أحداً، فغدا على المكشوح، واسمه قيس بن عبد يغوث المرادي، فقال له: إني وأخي رجلان من بني جشم بن معاوية أصبنا دماً في قومنا، وإن قيس بن عاصم أغار على بني مرة وأخي فيهم مجاور فأخذه أسيراً، فاستغثت بسنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يغيثوني. فأتيت الموسم لأصيب به من يفك أخي، فانتهيت إلى منازل مذحج، فناديت بكذا وكذا، فسمعت من الوادي صوتاً أجابني بكذا وكذا، وقد بدأت بك لتفك أخي. فقال له المكشوح: والله إن قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قط ولا هو لي بجارٍ، ولكن اشتر أخاك منه وعلي الثمن، ولا يمنعك غلاؤه . ثم أتى عمرو بن معد يكرب فقال له مثل ذلك؛ فقال: هل بدأت بأحدٍ قبلي؟ قال: نعم! بقيس المكشوح قال: عليك بمن بدأت به. فتركه، وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له: يا أبا النضر، إن من قصتي كذا وكذا. فقال له: مرحباً بك وأهلاً، ابعث إلى قيس ابن عاصم؛ فإن هو وهب لي أخاك شكرته، وإلا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك؛ فإن نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بني تميم بنجران فاشتريت بهم أخاك. قال: هذا الرضا. فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصمٍ بهذه الأبيات:

يا قيس أرسل أسيراً من بني جشمٍ إني بكل الذي تأتي به جازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بغصته فاختر لنفسك إحمادي وإعزازي

فافكك أخا منقرٍ عنه وقل حسناً فيما سئلت وعقبه بإنجاز

قال: وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم؛ فأنشده إياها، ثم قال له : يا أبا علي، إن يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن المعروف قروض، ومع اليوم غد. فأطلق لي هذا الجشمي؛ فإن أخاه قد استغاث بأشراف بني مرة وبعمرو بن معد يكرب وبمكشوح مرادٍ فلم يصب عندهم حاجته فاستجار بي. ولو أرسلت إلي في جميع أسارى مضر بنجران لقضيت حقك. فقال قيس بن عاصم لمن حضره من بني تميم: هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيد مذحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يد، وهذه فرصة لكم، فما ترون؟ قالوا: نرى أن نغليه عليه ونحكم فيه شططاً ؛ فإنه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله. فقال قيس: بئس ما رأيتم! أما تخافون سجال الحروب ودول الأيام ومجازاة القروض! فلما أبوا عليه قال: بيعونيه، فأغلوه عليه، فتركه في أيديهم، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى، وأعلمه أن الأسير لو كان في يده أو في بني مقر لأخذه وبعث به، ولكنه في يد رجل من بني سعد. فأرسل يزيد إلى السعدي أن سر إلي بأسيرك ولك فيه حكمك. فأتى به السعدي يزيد بن عبد المدان؛ فقال له: احتكم. فقال: مائة ناقة ورعاؤها فقال له يزيد إنك لقصير الهمة قريب الغنى جاهل بأخطار بني الحارث. أما والله لقد غبنتك يا أخا بني سعد،

ولقد كنت أخاف أن يأتي ثمنه على جل أموالنا، ولكنكم يا بني تميم قوم قصار الهمم. وأعطاه ما احتكم. فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران .

أغار عبد المدان على هوازن في جماعة من بني الحارث فهزموا بني عامر: وقال ابن الكلبي: أغار عبد المدان على هوازن يوم السلف في جماعةٍ من بني الحارث بن كعب، وكانت حمته على بني عامر خاصة. فلما التقى القوم حمل على وبر بن معاوية النميري فصرعه، وثنى بطفيل بن مالك فأجره الرمح، وطار به فرسه قرزل فنجا، واستحر القتل في بني عامر، وتبعت خيل بني الحارث من انهزم من بني عامر، وفي هذه الخيل عمير ومعقل وكانا من فرسان بني الحارث بن كعب، فلم يزالوا بقية يومهم لا يبقون على شيء أصابوه، فقال في ذلك عبد المدان:

عفا من سليمى بطن غولٍ فيذبل ... فغمرة فيف الريح فالمتنخل

ديار التي صاد الفؤاد دلالها ... وأغرت بها يوم النوى حين ترحل

فإن تك صدت عن هواي وراعها ... نوازل أحداثٍ وشيب مجلل

فيا رب خيلٍ قد هديت بشطبةٍ ... يعارضها عبل الجزارة هيكل

سبوح إذا جال الحزام كأنه ... إذا انجاب عنه النقع في الخيل أجدل

يواغل جرداً كالقنا حارثيةً ... عليها قنان والحماس وزعبل

معاقلهم في كل يومٍ كريهةٍ ... صدور العوالي والصفيح المصقل

وزغف من الماذي بيض كأنها ... نهاء مرتها بالعشيات شمأل

فما ذر قرن الشمس حتى تلاحقت ... فوارس يهديها عمير ومعقل

فجالت على الحي الكلابي جولةً ... فباكرهم ورد من الموت معجل

فغادرن وبراً تحجل الطير حوله ... ونجى طفيلاً العجاجة قرزل

فلم ينج إلا فارس من رجالهم ... يخفف ركضاً خشية الموت أعزل

وليزيد بن عبد المدان أخبار مع دريد بن الصمة قد ذكرت مع أخبار دريد في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء، فاستغني عن إعادتها في هذا الموضع .

أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأسنة وأخيه فلما مات رثته أختهما: أخبرني علي بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السكري قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وابن الكلبي، قالوا: أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعبٍ على بني عامرٍ، فأسر عامر بن مالك ملاعب الأسنة أبا براء وأخاه عبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما. فلما مات يزيد بن عبد المدان واسم عبد المدان عمرو، وكنيته أبو يزيد، وهو ابن

الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت ملاعب الأسنة ترثي يزيد بن عبد المدان:

بكيت يزيد بن عبد المدا ... ن حلت به الأرض أثقالها

شريك الملوك ومن فضله ... يفضل في المجد أفضالها

فككت أسارى بني جعفرٍ ... وكندة إذ نلت أقوالها

ورهط المجالد قد جللت ... فواضل نعماك أجبالها

وقالت أيضاً ترثيه:

سأبكي يزيد بن عبد المدان ... على أنه الأحلم الأكرم

رماح من العزم مركوزة ... ملوك إذا برزت تحكم

قال: فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكت يزيد؛ فقالت زينب:

ألا أيها الزاري علي بأنني ... نزارية أبكي كريماً يمانيا

ومالي لا أبكي يزيد وردني ... أجر جديداً مدرعي وردائيا

صوت:

أطل حمل الشناءة لي وبغضي ... وعش ما شئت فانظر من تضير

إذا أبصرتني أعرضت عني ... كأن الشمس من قبلي تدور

الشعر لعبد الله بن الحشرج الجعدي. والغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي.

أخبار عبد الله بن الحشرج

نسب عبد الله بن الحشرج وأخلاقه: هو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وكان عبد الله بن الحشرج سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، ولي أكثر أعمال خراسان، ومن أعمال فارس، وكرمان. وكان جواداً ممدحاً. وفيه يقول زياد الأعجم :

إن السماحة والشجاعة والندى ... في قبةٍ ضربت على ابن الحشرج

وله يقول أيضاً :

إذا كنت مرتاداً السماحة والندى ... فسائل تخبر عن ديار الأشاهب

نسبه إلى الأشهب جده. وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جعدة:

أبعد فوارس يوم الشري ف آسى وبعد بني الأشهب

بعض أخبار أبيه وعمه زياد: وكان أبو الحشرج بن الأشهب سيداً شاعراً وأميراً كبيراً. وكان غلب على قهستان في زمن عبد الله بن خازم، فبعث إليه عبد الله بن خازمٍ المسيب بن أوفى القشيري، فقتل الحشرج وأخذ قهستان. وكان عمه زياد بن الأشهب أيضاً شريفاً سيداً، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصلح بينه وبين معاوية على أن يوليه الشام فلم يجبه. وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتد على معاوية:

وقام زياد عند باب ابن هاشمٍ يريد صلاحاً بينكم ويقرب

مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراسٍ قال: حدثنا العمري عن عطاء بن مصعبٍ عن عاصم بن الحدثان قال: جاء إلى عبد الله بن الحشرج وهو بقهستان رجل من قشيرٍ يقال له قدامة بن الأحرز ، فدخل عليه وأنشأ يقول:

أخ وابن عمٍ جاءكم متحرماً بكم فارأبوا خلاته يابن حشرج

فأنت ابن وردٍ سدت غير مدافعٍ معداً على رغم المنوط المعلهج

فبرزت عفواً إذ جريت ابن حشرجٍ وجاء سكيتاً كل أعقد أفحج

سبقت ابن وردٍ كل حافٍ وناعلٍ بجدٍ إذا حار الأضاميم ممعج

بورد بن عمر فتهم إن مثله قليل ومن يشر المحامد يفلج

هو الواهب الأموال والمشتري اللها وضراب رأس المستميت المدجج

قال: فأعطاه أربعة آلاف درهم، وقال: اعذرني يابن عمي؛ فإني في حالةٍ الله بها عليم من كثرة الطلاب، وأنت أحق من عذرني. قال: والله لو لم تعطني شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومن انقطع إليك لعذرتك، فكيف وقد أجزلت العطاء، وأرغمت الأعداء !.

بلغه أن ابن عم له نال منه فقال فيه شعراً: وكان لابن الحشرج ابن عم يقول للقشيري: ويحك! ليس عنده خير، وهو يكذبك ويملذك . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال:

أطل حمل الشناءة لي وبغضي وعش ما شئت فانظر من تضير

فما بيديك خير أرتجيه وغير صدودك الخطب الكبير

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من قلبي تدور

وكيف تعيب من تمسي فقيراً إليه حين تحزبك الأمور

ومن إن بعت منزلةً بأخرى حللت بأمره وبه تسير

أتزعم أنني ملذ كذوب وأن المكرمات لدي بور
وكيف أكون كذاباً ملوذاً وعندي يطلب الفرج الضرير
أواسي في النوائب من أتاني ويجبر بي أخو الضر الفقير

كان يعطي كثيراً فلامته زوجه وأيدها صديق له فقال شعراً: أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم عن العمري عن عطاء بن مصعبٍ عن عاصم بن الحدثان قال: أعطى عبد الله بن الحشرج بخراسان حتى أعطى منشفةً كانت عليه وأعطى فراشه ولحافه. فقالت له امرأته: لشد ما تلاعب بك الشيطان، وصرت من إخوانه مبذراً؛ كما قال الله عز وجل: " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين " فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زوي النهدي وكان أخاً له وصديقاً: يا رفاعة، ألا تسمع إلى ما قالت هذه الورهاء وما تتكلم به ؟! فقال: صدقت والله وبرت! إنك لمبذر، وإن المبذرين لإخوان الشياطين. فقال ابن الحشرج في ذلك:

متى يأتنا الغيث تجد لنا مكارم ما تعيا بأموالنا التلد
مكارم ما جدنا به إذ تمنعت رجال وضنت في الرخاء وفي الجهد
أردنا بما جدنا به من تلادنا خلاف الذي يأتي خيار بني نهد
تلوم على اتلافي المال طلتي ويسعدها نهد بن زيدٍ على الزهد
أنهد بن زيدٍ لست منكم فتشفقوا علي ولا منكم غواتي ولا رشدي

أراد غوايتي فحذف الياء للضرورة

أبيت صغيراً ناشئاً ما أردتم وكهلاً حتى تبصروني في اللحد
سأبذل مالي إن مالي ذخيرة لعقبي وما أجني به ثمر الخلد
ولست بمبكاء على الزاد باسلٍ يهر على الأزواد كالأسد الورد
ولكنني سمح بما حزت باذل لما كلفت كفاي في الزمن الجحد
بذلك أوصاني الرقاد وقبله أبوه بأن أعطي وأوفي بالعهد

الرقاد: ابن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب وهو من عمومته، وكان شجاعاً سيداً جواداً .

قال عطاء بن مصعبٍ: وقال عبد الله بن الحشرج أيضاً في ذلك هذه القصيدة وقد ذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان شيئاً من هذه القصيدة في كتابيهما المصنفين ونسباها إليه:

سأجعل مالي دون عرضي وقايةً من الذم؛ إن المال يفنى وينفد
ويبقي لي الجود اصطناع عشيرتي وغيرهم والجود عز مؤبد

ومتخذٍ ذنباً علي سماحتي ... بمالي، ونار البخل بالذم توقد
يبيد الفتى والحمد ليس ببائدٍ ... ولكنه للمرء فضل مؤكد
ولا شيء يبقى للفتى غير جوده ... بما ملكت كفاه والقوم شهد
ولائمةٍ في الجود نهنهت غربها ... وقلت لها بني المكارم أحمد
فلما ألحت في الملامة واعترت ... بذلك غيظي واعتراها التبلد
عرضت عليها خصلتين سماحتي ... وتطليقها والكف عني أرشد
فلجت وقالت أنت غاوٍ مبذر ... قرينك شيطان مريد مفند
فقلت لها بيني فما فيك رغبة ... ولي عنك في النسوان ظل ومقعد
وعيش أنيق والنساء معادن ... فمنهن غل شرها يتمرد
لها كل يوم فوق رأسي عارض ... من الشر براق يد الدهر يرعد
وأخرى يلد العيش منها، ضجيعها ... كريم يغاديه من الطير أسعد
فيا رجلاً حراً خذ القصد واترك ال ... بلايا فإن الموت للناس موعد
فعش ناعماً واترك مقالة عاذلٍ ... يلومك في بذل الندى ويفند
وجد باللها إن السماحة والندى ... هي الغاية القصوى وفيها التمجد
وحسب الفتى مجداً سمحة كفه ... وذو المجد محمود الفعال محسد

طلق امرأته لعذله إياه فلامه حنظلة بن الأشهب فقال شعراً:

قال فقالت له امرأته: والله ما وفقك الله لحظك! أنهبت مالك وبذرته وأعطيته هيان بن بيان ومن لا تدري من أي هافيةٍ هو! قال: فغضب فطلقها، وكان لها محباً وبها معجباً. فعنفه فيها ابن عم لها يقال له حنظلة بن الأشهب بن رميلة ، وقال له: نصحتك فكافأتها بالطلاق! فوالله ما وفقت لرشدك، ولا نلت حظك، ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوي الألباب. فهلا مضيت لطيتك ، وجريت على ميدانك، و لم تلتفت إلى امرأةٍ من أهل الجهالة والطيش لم تخلق للمشورة ولا مثل رأيها يفتدى به! فقال ابن الحشرج لحنظلة:

أحنظل دع عنك الذي نال ماله ... ليحمده الأقوام في كل محفل
فكم من فقيرٍ بائس قد جبرته ... ومن عائلٍ أغنيت بعد التعيل
ومن مترفٍ عن منهج الحق جائرٍ ... علوت بعضبٍ ذي غرارين مقصل
وزارٍ علي الجود والجود شيمتي ... فقلت له دعني وكن غير مفضل

فمثلك قد عاصيت دهراً ولم أكن ... لأسمع أقوال اللئيم المبخل
أبى لي جدي البخل مذ كنت يافعاً ... صغيراً ومن يبخل يلم ويضلل
ويستغن عنه الناس، فاركب محجة ال ... كرام ودع ما أنت عنه بمعزل
فإني امرؤ لا أصحب الدهر باخلاً ... لئيماً وخير الناس كل معذل
ومستحمقٍ غاوٍ أتته نذيرتي ... فلج ولم يعرف معرة مقولي
نفحت ببيتٍ يملأ الفم شاردٍ ... له خبر كأنه حبر مغول
فكف ولو لم أرمه شاع قوله ... وصار كدرياق الذعاف المثمل
وليلٍ دجوجيٍ سريت ظلامه ... بناجيةٍ كالبرج وجناء عيهل
إلى ملك من آل مروان ماجدٍ ... كريم المحيا سيدٍ متفضل
يجود إذا أضنت قريش برفدها ... ويسبقها في كل يوم تفضل
أبوه أبو العاصي إذا الحرب شمرت ... مراها بمسنون الغرارين منجل
وقور إذا هاجت به الحرب مرجم ... صبور عليها غير نكسٍ مهلل
أقام لأهل الأرض دين محمدٍ ... وقد أدبروا وارتاب كل مضلل
فما زال حتى قوم الدين سيفه ... وعز بحزمٍ كل قرمٍ محجل
وغادر أهل الشك شتى، فمنهم ... قتيل وناجٍ فوق أجرد هيكل
نجا من رماح القوم قدماً وقد بدا ... تباشيره في العارض المتهلل

قال عاصم: يعني بهذا المدح محمد بن مروان لما قتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق . وكان محمد بن مروان يقوم بأمره، ويوليه الأعمال، ويشفع له إلى أخيه .

حواره مع ابن عمٍ له لامه في تبذيره: أخبرني محمد بن خلفٍ قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال: قال عبد الله بن الحشرج لابن عمٍ له لامه في إنهاب ماله وتبذيره إياه، وقال له فيما يقول: امرأتك كانت أعلم بك، نصحتك فكافأتها بالطلاق، فقال له: يابن عم، إن المرأة لم تخلق للمشورة، وإنما خلقت وثاراً للباءة . ووالله إن الرشد واليمن لفي خلاف المرأة. يابن عم إياك واستماع كلام النساء والأخذ به؛ فإنك إن أخذت به ندمت. فقال له ابن عمه: والله ليوشكن أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفت فلا تقدر عليه ولا يخلفه عليك هن وهن . فقال ابن الحشرج:

وعاذلة هبت بليلٍ تلومني ... وتعذلني فيما أفيد وأتلف

تلومتها حتى إذا هي أكثرت ... أتيت الذي كانت لدي توكف
وقلت عليك الفج أكثرت في الندى ... ومثلي تحاماه الألد المغطرف
أبى لي ما قد سمتني غير واحدٍ ... أب وجدود مجدها ليس يوصف
كهول وشبان مضوا لسبيلهم ... إذا ذكروا فالعين مني تذرف
هم الغيث إن ضنت سماء بقطرها ... وعندهم يرجو الحيا متلهف
وحربٍ يخاف الناس شدة عرها ... تظل بأنواع المنية تصرف

حموها وقاموا بالسيوف لحميها ... إذا فنيت أضحت لهم وهي تعصف
فلما أبت إلا طماحاً تتمروا ... بأسيافهم والقوم فيهم تعجرف
فذلت وأعطت بالقياد وأذعنت ... إذا ما اشتهى قومي وذو الذل ينصف
وكانت طموح الرأس يصرف نابها ... من الشر تاراتٍ وطوراً تقفقف
فلما امترينا بالسيوف خلوفها ... تأبت علينا والأسنة ترعف
فدرت طباقاً وأرعوت بعد جهلها ... وكنا رماماً للذي يتصلف

قال لابن زوي شعراً لأنه لامه في تبذيره: قال: وقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زويٍ النهدي فيما كان يلومه فيه من التبذير والجود:

ألام على جودي وما خلت أنني ... ببذلي وجودي جرت عن منهج القصد
فيا لائمي في الجود أقصر فإنني ... سأبذل مالي في الرخاء وفي الجهد
وجدت الفتى يفنى وتبقى فعاله ... ولا شيء خير في الحديث من الحمد
وإني بالله احتيالي وحرفتي ... أصير جاري بين أحشاي والكبد
أرى حقه في الناس ما عشت واجباً ... علي وآتي ما أتيت على عمد
وصاحب صدقٍ كان لي ففقدته ... وصيرني دهري إلى مائقٍ وغد
يلوم فعالي كل يوم وليلةٍ ... ويعدو على الجيران كالأسد الورد
يخالفني في كل حق وباطلٍ ... ويأنف أن يمشي على منهج الرشد
فلما تمادى قلت غير مسامحٍ ... له: النهج فاركب يا عسيف بني نهد

مدحه زيد الأعجم فوصله: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا ابن عائشة قال: وفد زياد الأعجم على عبد الله بن الحشرج الجعدي وهو بسابور أمير عليها، فأمر بإنزاله وألطفه وبعث إليه ما يحتاج إليه. ثم غدا عليه زياد فأنشده:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبةٍ ضربت على ابن الحشرج

ملك أغر متوج ذو نائلٍ ... للمعتفين يمينه لم تشنج

يا خير من صعد المنابر بالتقى ... بعد النبي المصطفى المتحرج

لما أتيتك راجياً لنوالكم ... ألفيت باب نوالكم لم يرتج

قال: فأمر له بعشر آلاف درهم .

وقد قيل: إن الأبيات التي ذكرها وفيها الغناء ونسبتها إلى عبد الله بن الحشرج لغيره. والقول الأصح هو الأول. أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال حدثنا العمري عن هشام بن الكلبي: أنه سمع أبا باسلٍ الطائي ينشد هذا الشعر، فقلت: لمن هو؟ فقال: لعمي عنترة بن الأخرس . قال: وكان جدي أخرس، فولد له سبعة أو ثمانية كلهم شاعر أو خطيب . ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي، أو حكاه عن رجل أدعى فيه ما لا يعلم .

صوت:

أصاح هل من سبيل إلى نجد ... وريح الخزامى غضةً من ثرى جعد

وهل لياليا بذي الرمث مرجع ... فنشفي جوى الأحزان من لاعج الوجد

عروضه من الطويل. الشعر للطرماح بن حكيم. والغناء ليحيى المكي، ثقيل أول بالبنصر من كتابه .

أخبار الطرماح ونسبه

نسب الطرماح وبعض أخباره: هو الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيءٍ. ويكنى أبا نفر. وأبا ضبينة . والطرماح: الطويل القامة. وقيل: إنه كان يلقب الطراح. أخبرني بذلك أحمد ابن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال: كان الطرماح بن حكيم يلقب الطراح لقوله: صوت :

ألا أيها الليل الطويل ألا ارتح ... بصبحٍ وما الإصباح منك بأروح

بلى إن للعينين في الصبح رحمةً ... بطرحهما طرفيهما كل مطرح

في هذين البيتين لأحمد بن المكي ثقيل أول بالوسطى من كتابه .

والطرماح من فحول الشعراء وفصحائهم. ومنشؤه بالشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من

جيوش أهل الشام، واعتقد مذهب الشراة الأزارقة .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: قدم الطرماح بن حكيم الكوفة، فنزل في تيم اللات بن ثعلبة، وكان فيهم شيخ من الشراة له سمت وهيئة، وكان الطرماح يجالسه ويسمه منه، فرسخ كلامه في قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه، فقبله واعتقده أشد اعتقادٍ وأصحه، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال قال رؤبة: كان الطرماح والكميت يصيران إلي فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به، فأراه بعد في أشعارهما .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت محمد بن حبيب يقول: سألت ابن الأعرابي عن ثماني عشرة مسألةً كلها من غريب شعر الطرماح، فلم يعرف منها واحدةً، يقول في جميعها: لا أدري، لا أدري .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب قال حدثنا ابن قتيبة، قالا: كان الكميت بن زيد صديقاً للطرماح، لا يكادان يفترقان في حالٍ من أحوالهما. فقيل للكميت: لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد : هو شآمي قحطاني شاري، وأنت كوفي نزاري شيعي، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية؟ فقال: اتفقنا على بغض العامة. قال: وأنشد الكميت قول الطرماح:

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

فقال: إي والله! وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة. وقال عمر بن شبة: والسماحة مكان الشجاعة .

وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت وقصتهما في ذلك: نسخت من كتب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة رحمه الله تعالى بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: وفد الطرماح بن حكيم والكميت بن زيد على مخلد بن يزيد المهلبي، فجلس لهما ودعاهما . فتقدم الطرماح لينشد؛ فقال له: أنشدنا قائماً. فقال: كلا والله! ما قدر الشعر أن أقوم له فيحط مني بقيامي وأحط منه بضراعتي، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب. قيل له: فتنح. ودعي بالكميت فأنشد قائماً، فأمر له بخمسين ألف درهم. فلما خرج الكميت شاطرها الطرماح، وقال له: أنت أبا ضبينة أبعد همةً وأنا ألطف حيلةً. وكان الطرماح يكنى أبا نفرٍ وأبا ضبينة .

كان هو والكميت في مسجد الكوفة فقصدهما ذو الرمة فاستنشدهما وأنشدهما: ونسخت من كتابه رضي الله عنه: أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن علاق قال أخبرني شيخ لنا أن خالد بن كلثوم أخبره قال: بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطرماح والكميت وهما جالسان بقرب باب الفيل، إذ رأيت أعرابياً قد جاء يسحب أهداماً له، حتى إذا توسط المسجد خر ساجداً، ثم رمى ببصره فرأى الكميت والطرماح فقصدهما. فقلت: من هذا الحائن الذي وقع بين هذين الأسدين! وعجبت من سجدته في غير موضع سجود وغير وقت صلاة

فقصدته، ثم سلمت عليهم ثم جلست أمامهم. فالتفت إلي الكميت فقال: أسمعني شيئاً يا أبا المستهل؛ فأنشده قوله:

أبت هذه النفس إلا ادكارا

حتى أتى على آخرها. فقال له: أحسنت والله يا أبا المستهل في ترقيص هذه القوافي ونظم عقدها ! ثم التفت إلى الطرماح فقال: أسمعني شيئاً يا أبا ضبينة؛ فأنشده كلمته التي يقول فيها:

أساءك تقويض الخليط المباين نعم والنوى قطاعة للقرائن

فقال: لله در هذا الكلام! ما أحسن إجابته لرويتك! إن كدت لأطيل لك حسداً. ثم قال الأعرابي: والله لقد قلت بعدكما ثلاثة أشعار، أما أحدها فكدت أطير به إلى السماء فرحاً. وأما الثاني فكدت أدعي به الخلافة. وأما الثالث فرأيت رقصاناً استفزني به الجذل حتى أتيت عليه. قالوا: فهات؛ فأنشدهم قوله :

أأن توهمت من خرقاء منزلةً ماء الصبابة من عينيك مسجوم

حتى إذا بلغ قوله:

تنجو إذ جعلت تدمى أخشتها وابتل بالزبد الجعد الخراطيم

قال: أعلمتم أني في هذا البيت منذ سنةٍ، فما ظفرت به إلا آنفاً، وأحسبكم قد رأيتم السجدة له. ثم أسمعهم قوله:

ما بال عينك منها الماء ينسكب

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها:

إذا الليل عن نشزٍ تجلى رمينه بأمثال أبصار النساء الفوارك

قال: فضرب الكميت بيده على صدر الطرماح، ثم قال: هذه والله الديباج لا نسجي ونسجك الكرابيس . فقال الطرماح: لن أقول ذلك وإن أقررت بجودته. فقطب ذو الرمة وقال: يا طرماح! أأنت تحسن أن تقول:

وكائن تخطت ناقتي من مفازةٍ إليك ومن أحواض ماءٍ مسدم

بأعقاره القردان هزلى كأنها نوادر صيصاء الهبيد المحطم

فأصغى الطرماح إلى الكميت وقال له: فانظر ما أخذ من ثواب هذا الشعر! قال: وهذه قصيدة مدح بها ذو الرمة عبد الملك، فلم يمدحه فيها ولا ذكره إلا بهذين البيتين، وسائرها في ناقته. فلما قدم على عبد الملك بها أنشده إياها. فقال له: ما مدحت بهذه القصيدة إلا ناقتك، فخذ منها الثواب. وكان ذو الرمة غير محظوظ من المديح فلم يفهم ذو الرمة قول الطرماح للكميت. فقال له الكميت: إنه ذو الرمة وله فضله، فأعتبه فقال له الطرماح:

معذرة إليك! إن عنان الشعر لفي كفك، فارجع معتباً، وأقول فيك كما قال أبو المستهل .

مر يخطر بمسجد البصرة فسأل عنه رجل فأنشد هو شعراً: أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن إبراهيم بن عباد قال حدثني أبو تمامٍ الطائي قال: مر الطرماح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته. فقال رجل: من هذا الخطار؟ فسمعه فقال: أنا الذي يقول: صوت:

لقد زادني حباً لنفس أنني ... بغيض إلى كل امرئٍ غير طائل

وأني شقي باللئام ولا ترى ... شقياً بهم إلا كريم الشمائل

إذا ما رآني قطع اللحظ بينه ... وبيني فعل العارف المتجاهل

ملأت عليه الأرض حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل

في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر .

قصته مع خالد القسري حين وفد عليه بمدح: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال أخبرنا إسماعيل بن مجمع قال حدثنا هشام بن محمد قال أخبرنا ابن أبي العمرطة الكندي قال: مدح الطرماح خالد بن عبد الله القسري، فأقبل على العريان بن الهيثم فقال: إني قد مدحت الأمير فأحب أن تدخلني عليه. قال: فدخل إليه فقال له: إن الطرماح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً. فقال: ما لي في الشعر من حاجةٍ. فقال العريان للطرماح: تراء له. فخرج معه ، فلما جاوز دار زيادٍ وصعد المسناة إذا شيء قد ارتفع له، فقال: يا عريان انظر، ما هذا؟ فنظر ثم رجع فقال: أصلح الله الأمير! هذا شيء بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجستان؛ فإذا حمر وبغال ورجال وصبيان ونساء. فقال: يا عريان، أين طرماحك هذا؟ قال: ها هنا. قال: أعطه كل ما قدم به. فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم ينشده. قال هشام: والطرماح: الطويل .

سمع بيتاً لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موه: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثني الحجاجي قال: بلغني أن الطرماح جلس في حلقةٍ فيها رجل من بني عبس، فأنشد العبسي قول كثيرٍ في عبد الملك:

فكنت المعلى إذ أجيلت قداحهم ... وجال المنيح وسطها يتقلقل

فقال الطرماح: أما إنه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً، ولكنه موه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنه السابع من الخلفاء الذين كان كثير لا يقول بإمامتهم؛ لأنه أخرج علياً عليه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المعلى السابع من القداح؛ فذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال:

وكان الخلائف بعد الرسو ... ل لله كلهم تابعا

شيدان من بعد صديقهم ... وكان ابن حربٍ لهم رابعا

وكان ابنه بعده خامساً مطيعاً لمن قبله سامعا

ومروان سادس من قد مضى وكان ابنه بعده سابعا

قال: فعجبنا من تنبه الطرماح لمعنى قول كثير، وقد ذهب على عبد الملك فظنه مدحاً .

فضله أبو عبيدة والأصمعي ببيتين له: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال: كان أبو عبيدة والأصمعي يفضلان الطرماح في هذين البيتين، ويزعمان أنه فيهما أشعر الخلق:

مجتاب حلة برجدٍ لسراته قددا وأخلف ما سواه البرجد

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرفٍ يسل ويغمد

أثنى أبو نواس على بيت له: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ قال قال أبو نواس: أشعر بيتٍ قيل بيت الطرماح:

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

مناقضة بينه وبين حميد اليشكري:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: فضل الطرماح بني شمخ في شعره على بني يشكر؛ فقال حميد اليشكري:

أتجعلنا إلى شمخ بن جرمٍ ونبهانٍ فأف لذا زمانا

ويوم الطالقان حماك قومي ولم تخضب بها طي سنانا

فقال الطرماح يجيبه:

لقد علم المعذل يوم يدعو برمثة يوم رمثة إذ دعانا

فوراس طييءٍ منعوه لما بكى جزعاً ولولاهم لحانا

فقال رجل من بني يشكر:

لأقضين قضاء غير ذي جنف بالحق بين حميدٍ والطرماح

جرى الطرماح حتى دقق مسحله وغودر العبد مقروناً بوضاح

يعني رجلاً من بني تميم كان يهاجي اليشكري .

شعر له في الشراة: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا الرياشي قال قال الأصمعي قال خلف: كان الطرماح يرى رأي الشراة، ثم أنشد له:

لله در الشراة إنهم إذا الكرى مال بالطلى أرقوا

يرجعون الحنين آونةً وإن علا ساعةً بهم شهقوا
خوفاً تبيت القلوب واجفةً تكاد عنها الصدور تنفلق
كيف أرجي الحياة بعدهم وقد مضى مؤنسي فانطلقوا
قوم شحاح على اعتقادهم بالفوز مما يخاف قد وثقوا

أنشد خالداً القسري شعراً في الشكوى فأجازه: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال: دخل الطرماح على خالد بن عبد الله القسري فأنشده قوله:

وشيبني ما لا أزال مناهضاً بغير غنىً أسمو به وأبوع
وان رجال المال أضحوا ومالهم لهم عند أبواب الملوك شفيع
أمخترمي ريب المنون ولم أنل من المال ما أعصى به وأطيع

فأمر له بعشرين ألف درهم وقال: امض الآن فاعص بها وأطع .

قال المفضل: كأنه يوحى إليه، في الهجاء. ثم أنشد من هجائه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا حذيفة بن محمد الكوفي قال قال المفضل: إذا ركب الطرماح الهجاء فكأنما يوحى إليه، ثم أنشد له قوله:

لو حان ورد تميم ثم قيل لها حوض الرسول عليه الأزد لم ترد
أو أنزل الله وحياً أن يعذبها إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد
لا عز نصر امرئٍ أضحى له فرس على تميمٍ يريد النصر من أحد
لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد

افتقده بعض أصحابه فلم يرعهم إلا نعشه: أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال حدثني ابن دأبٍ عن ابن شبرمة، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال حدثني محمد بن عمران قال حدثني إبراهيم بن سوار الضبي قال حدثني محمد بن زياد القرشي عن ابن شبرمة قال: كان الطرماح لنا جليساً ففقدناه أياماً كثيرة، فقمنا بأجمعنا لننظر ما فعل وما دهاه. فلما كنا قريباً من منزله إذا نحن بنعش عليه مطرف أخضر، فقلنا: لمن هذا النعش؟ فقيل: هذا نعش الطرماح. فقلنا: والله ما استجاب الله له حيث يقول:

وإني لمقتاد جوادي وقاذف به وبنفسي العام إحدى المقاذف
لأكسب مالاً أو أؤول غنىً من الله يكفيني عدات الخلائف
فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن على شرجعٍ يعلى بخضر المطارف

ولكن قبري بطن نسر مقيله بجو من السماء في نسورٍ عواكف
وأمسي شهيداً ثاوياً في عصابةٍ يصابون في فج من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألف بينهم تقى الله تزالون عند التزاحف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

صوت:

هل بالديار التي بالقاع من أحدٍ باقٍ فيسمع صوت المدلج الساري
تلك المنازل من صفراء ليس بها حي يجيب ولا أصوات سمار

الشعر لبيهسٍ الجرمي. والغناء لابن محرزٍ ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو وقال ذكر ذلك يحيى المكي، وأظنه من المنحول. وفيه لطياب بن إبراهيم الموصلي خفيف ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء:

ارفع ضعيفك ولا يحر بك ضعفه

أخبار بيهس ونسبه

نسبه: هو بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كثير بن غالب بن عدي بن سميس بن طرود بن قدامة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران ابن إلحاف بن قضاعة، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية. وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرمٍ وكلبٍ وعذرة، ويحضر إذا حضروا فيكون بأجناد الشام .

اتهم بقتل غلام بن قيس فاستجار بمحمد بن مروان: قال أبو عمرو الشيباني: لما هدأت الفتنة بعد وقعة مرج راهطٍ وسكن الناس، مر غلام من قيسٍ بطوائف من جرم وعذرة وكلبٍ، وكانوا متجاورين على ماءٍ هناك لهم. فيقال: إن بعض أحداثهم نخس به ناقته فألقته، فاندقت عنقه فمات. واستعدى قومه عبد الملك بن مروان، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم، فهرب بيهس بن صهيب الجرمي وكان قد اتهم بأنه هو الذي نخس به فتزل بمحمد بن مروان واستجار به، فأجاره إلا من حدٍ توجبه عليه شهادة، فرضي بذلك .

صوت:

ألا يا حمامات اللوى عدن عودةً فإني إلى أصواتكن حرين
فعدن فلما عدن يمتنني وكدت باسراري لهن أبين
دعون بأصوات الهديل كأنما شربن حمياً أو بهن جنون
فلم تر عيني مثلهن حمائما بكين ولم تدمع لهن عيون

الشعر لأعرابي، هكذا أنشدناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل. والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنر خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي. وقد قيل: إن الشعر لابن الدمينة .

أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر

نسبه وبعض أخباره: هو محمد بن الحارث بن بسخنر، ويكنى أبا جعفر. وهم فيما يزعمون، موالي المنصور. وأحسبه ولاء خدمةٍ ولا ولاء عتق. وأصلهم من الري. وكان محمد يزعم من ولد بهرام جوبين . وولد محمد بالحيرة . وكان يغني مرتجلاً، إلا أن أصل ما غنى عليه المعزفة، وكانت تحمل معه إلى دار الخليفة. فمر غلامه بها يوماً، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق: مع هذا الغلام مصيدة الفأر، وقال بعضهم: لا، بل هي معزفة محمد بن الحارث. فحلف يومئذٍ بالطلاق والعتاق ألا يغني بمعزفة أبداً أنفةً من أن تشتبه آلة يغني بها بمصيدة الفأر. وكان محمد أحسن خلق الله تعالى أداءً وأسرعه أخذاً للغناء، وكان لأبيه الحارث بن بسخنر جوارٍ محسنات. وكان إسحاق يرضاهن ويأمرهن أن يطرحن على جواريه. وقال يوماً للمأمون وقد غنى مخارق بين يديه صوتاً فآلتاث غناؤه فيه وجاء به مضطرباً، فقال إسحاق للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن مخارقاً قد أعجبه صوته وساء أداؤه في غنائه، فمره بملازمة جواري الحارث بن بسخنر حتى يعود إلى ما تريد .

هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتاً: أخبرني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يقول للواثق: قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ما قدر أحد قط أن يأخذ مني صوتاً مستوياً إلا محمد بن الحارث بن بسخنر، فإنه أخذ مني عدة أصوات كما أغنيها. ثم لم نلبث أن دخل علينا محمد بن الحارث. فقال له الواثق: حدثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصلي فيك بكذا وكذا. فقال: قد قال إسحاق ذاك لي مراتٍ. فقال له الواثق: فأي شيءٍ أخذت من صنعته أحسن عندك؟ فقال: هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما أخذته منه: صوت:

إذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه ... وثلم تثليم الإناء جوانبه

فليس له في العيش خير وإن بكى ... على العيش أو رجى الذي هو كاذبه

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه فيه رمل بالوسطى فأمره الواثق بأن يغنيه، فغناه إياه وأحسن ما شاء وأجاد. واستحسنه الواثق وأمر بأن يردده، فردده مراراً كثيرةً، حتى أخذه الواثق وأخذه جواريه والمغنون. قال جحظة قال الهشامي فحدثت بهذا الحديث عمرو بن بانة فقال: ما خلق الله تعالى أحداً يغني هذا الصوت كما يغنيه هبة الله بن إبراهيم بن المهدي. فقلت له: قد سمعت ابن إبراهيم يغنيه، فاسمعه من محمد ثم احكم. فلقيني بعد ذلك فقال: الأمر كما قلت، قد سمعته من محمد فسمعت منه الإحسان كله .

ردد صوتاً آخر من جارية أخرى: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: كنت يوماً في

منزلي، فجاءني محمد بن الحارث بن بسخنر مسلماً وعائداً من علةٍ كنت وجدتها؛ فسألته أن يقيم عندي ففعل، ودعوت بما حضر فأكلنا وشربنا، وغنى محمد بن الحارث هذا الصوت: صوت:

أمن ذكر خودٍ عينك اليوم تدمع ... وقلبك مشغول بخودك مولع

وقائلةٍ لي يوم وليت معرصاً ... أهذا فراق الحب أم كيف تصنع

فقلت كذاك الدهر يا خود فاعلمي ... يفرق بين الناس طراً ويجمع

أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى. قال الهشامي: وفيه لفليح ثاني ثقيلٍ، ولإسحاق خفيف رملٍ قال علي بن يحيى: فقلت له وقد ردد هذا الصوت مراراً وغناه أشجى غناءٍ: إن لك في هذا الصوت معنى، وقد كررته من غير أن يقترحه عليك أحد. فقال: نعم! هذا صوتي على جاريةٍ من القيان كنت أحبها وأخذته منها. فقلت له: فلم لا تواصلها؟ فقال:

لو لم أنكها دام لي حبها ... لكنني نكت فلا نكت

فأجبته فقلت:

أكثرت من نيكها والنيك مقطعة ... فارفق بنيكك إن الرفق محمود

أخذ جواري الواثق منه غناء أخذه من إسحاق: وأخبرني جعفر بن قدامة بن علي بن يحيى أن إسحاق غنى بحضرة الواثق لحنه :

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادنٍ ... أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

والشعر لذي الرمة، ولحن إسحاق فيه ثقيل أول فأمره الواثق أن يعيده على الجواري، وأحلفه بحياته أن ينصح فيه. فقال: لا يستطيع الجواري أن يأخذنه مني، ولكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذه مني وتأخذه الجواري منه: فأحضر وألقاه عليه، فأخذه منه، وأخذته الجواري منه .

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوسواسة الموصلي قال حدثني حماد بن إسحاق قال: قال لي محمد بن الحارث بن بسخنر: أخذت جارية الواثق مني صوتاً أخذته من أبيك، وهو : صوت :

أصبح الشيب في المفارق شاعاً ... واكتسى الرأس من مشيبٍ قناعا

وتوالى الشباب إلا قليلاً ... ثم يأبى القليل إلا وداعا

الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول قال: فسمعه الواثق منها، فاستحسنه وقال لعلويه ومخارق: أتعرفانه؟ فقال مخارق: أظنه لمحمد بن الحارث. فقال علويه: هيهات! ليس هذا مما يدخل في صنعة محمدٍ، هو يشبه صنعة ذلك الشيطان إسحاق. فقال له الواثق: ما أبعدت. ثم بعث إلي فأخبرني بالقصة ؛ فقلت: صدق علويه يا أمير المؤمنين،

هذا لإسحاق ومنه أخذته .

غنت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام:

جاءني محمد بن الحارث بن بسخنر يوماً فقال لي: قم حتى أطفل بك على صديقٍ لي حرٍ، وله جارية أحسن خلق الله تعالى وجهاً وغناءً. فقلت له: أنت طفيلي وتطفل بي! هذه والله أخس حال. فقال لي: دع المجون وقم بنا؛ فهو مكان لا يستحي حر أن يتطفل عليه. فقمت معه، فقصد بي دار رجلٍ من فتيان أهل سر من رأى، كان لي صديقاً يكنى أبا صالح، وقد غيرت كنيته على سبيل اللقب فكنى أبا الصالحات، وكان ظريفاً حسن المروءة، يضرب بالعود على مذهب الفرس ضرباً حسناً ، وله رزق سني في الموالي، وكان من أولادهم، و لم يكن منزله يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ لكثرة قصد إخوانه منزله. فلما طرق بابه قلت له: فرجت عني، هذا صديقي وأنا طفيلي بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيلي. فدخلنا، وقدم إلينا طعام عتيد طيب نظيف فأكلنا، وأحضرنا النبيذ، وخرجت جاريته إلينا من غير ستارةٍ فغنت غناءً حسناً شكلاً ظريفاً، ثم غنت من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذته عنه وفيه أيضاً لحن لإبراهيم، والشعر لابن أبي عيينة: صوت:

ضيعت عهد فتىً لعهدك حافظٍ ... في حفظه عجب وفي تضييعك

إن تقتليه وتذهبي بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

فطرب محمد بن الحارث ونقطها بدنانير مسيفةٍ كانت معه في خريطته، ووجه غلامه فجاءه ببرنيةٍ غاليةٍ كبيرةٍ فغلفها منها ووهب لها الباقي. وكان لمحمد بن الحارث أخ طيب ظريف يكنى أبا هارون فطرب ونعر ونخر، وقال لأخيه: أريد أن أقول شيئاً في السر. قال: قله علانيةً، قال: لا يصلح، قال: والله ما بيني وبينك شيء أبالي أن تقوله جهراً، فقله. فقال: أشتهي علم الله أن تسأل أبا الصالحات أن ينيكني، فعسى صوتي أن ينفتح ويطيب غنائي. فضحك أبو الصالحات وخجلت الجارية وغطت وجهها وقالت: سخنت عينك! فإن حديثك يشبه وجهك .

صوت:

وأي أخٍ تبلو فتحمد أمره ... إذا لج خصم أو نبا بك منزل

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني ... يمينك فانظر أي كف تبدل

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبل

الشعر لمعن بن أوس المزني. والغناء لعريب خفيف رمل بالوسطى .

أخبار معن بن أوس ونسبه

نسبه، وهو شاعر فحل مخضرم: هو معن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسعد بن أسحم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن عداء بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن مضر بن نزارٍ. ونسبوا إلى مزينة وهي امرأة: مزينة بنت كلب بن وبرة، وأبوهم عمرو بن أد بنة طابخة .

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي وهاشم بن محمد الخزاعي وعمي قالوا: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: مزينة بنت كلب بن وبرة، تزوجها عمرو بن أد بن طابخة، فولدت له عثمان وأوساً، فغلبت أمهما على نسبهما. فعلى هذا القول عداء هو ابن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة .

ومعن شاعر مجيد فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورحمهم، منهم عبد الله بن جحش، وعمر بن أبي سلمة المخزومي. ووفد إلى عمرو بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مستعيناً به على بعض أمره، وخاطبه بقصيدته التي أولها:

تأوبه طيف بذات الجراثم فنام رفيقاه وليس بنائم

وعمر بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم .

أشعر الإسلاميين من مزينة: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثوبان عن علقمة بن محجنٍ الخزاعي عن أبيه قال: كان معاوية يفضل مزينة في الشعر، ويقول: كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير، وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعب، ومعن بن أوس .

كان مئناثاً وقال شعراً في فضل الإناث: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثنا العتبي قال: كان معن بن أوس مئناثاً ، وكان يحسن صحبة بناته وتربيتهن؛ فولد لبعض عشيرته بنت فكرهها وأظهر جزعاً من ذلك؛ فقال معن:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والأيام تعثر بالفتى نوادب لا يمللنه ونوائح

مر به عبيد الله بن العباس، وقد كف بصره، فبعث إليه بهبة فمدحه: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري يعني الحسن بن عليل قال حدثني أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوفٍ عن أبيه قال: مر عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بمعن بن أوس المزني وقد كف بصره فقال له: يا معن، كيف حالك؟ فقال له: ضعف بصري وكثر عيالي وغلبني الدين. قال: وكم دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فبعث بها إليه. ثم مر به من الغد فقال له: كيف أصبحت يا معن؟ فقال:

أخذت بعين المال حتى نهكته وبالدين حتى ما أكاد أدان

وحتى سألت القرض عند ذوي الغنى ورد فلان حاجتي وفلان

فقال له عبيد الله: الله المستعان، إنا بعثنا إليك بالأمس لقمةً فمالكتها حتى انتزعت من يدك، فأي شيء للأهل والقرابة والجيران! وبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى. فقال معن يمدحه:

إنك فرع من قريش وإنما ... تمج الندى منها البحور الفوارع

ثووا قادةً للناس بطحاء مكةٍ ... لهم وسقايات الحجيج الدوافع

فلما دعوا للموت لم تبك منهم ... على حادث الدهر العيون الدوامع

شيء من خلقه ورحلته إلى الشام: أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني الفضل بن العباس القرشي عن سعيد بن عمرو الزبيري قال: كان لمعن بن أوس امرأةً يقال لها ثور ومان لها محباً، وكانت حضرية نشأت بالشام، وكانت في معن أعرابية ولوثة ، فكانت تضحك من عجرفيته . فسافر إلى الشام في بعض أعوامه ، فضلت الرفقة عن الطريق وعدلوا عن الماء، فطووا مترلهم وساروا يومهم وليلتهم، فسقط فرس معن في وجار ضبٍ دخلت يده فيه، فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله أهل الرفقة حملاً فأنهضوه، وجعل معن يقوده ويقول:

لو شهدتني وجوادي ثور ... والرأس فيه ميل ومور

لضحكت حتى يميل الكور

قدم على ابن الزبير بمكة فلم يحسن ضيافته، وأكرمه ابن عباس وابن جعفر فمدحهما وذم ابن الزبير: أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: قدم معن بن أوسٍ مكة على ابن الزبير فأنزله دير الضيفان، وكان يترلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان، فأقام يومه لم يطعم شيئاً؛ حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيسٍ هرمٍ هزيلٍ فقال: كلوا من هذا، وهم نيف وسبعون رجلاً؛ فغضب معن وخرج من عنده، فأتى عبيد الله بن العباس، فقراه وحمله وكساه، ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه، فأعطاه حتى أرضاه، وأقام عنده ثلاثاً ثم رحل . فقال يهجو ابن الزبير ويمدح ابن جعفر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين :

ظللنا بمستن الرياح غديةً ... إلى أن تعلى اليوم في شر محضر

لدى ابن الزبير حابسين بمنزلٍ ... من الخير والمعروف والرفد مقفر

رمانا أبو بكرٍ وقد طال يومنا ... بتيسٍ من الشاء الحجازي أعفر

وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة ... وسبعون إنساناً فيالؤم مخبر

فقلت له لا تقرنا فأمامنا ... جفان ابن عباس العلا وابن جعفر

وكن آمناً وانعق بتيسك إنه ... له أعنز ينزو عليها وأبشر

أنشده الفرزدق بيتاً في هجاء مزينة فرد عليه بهجاء تميم: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسدي قال: قدم معن بن أوس المزني البصرة، فقعد ينشد في المربد، فوقف عليه الفرزدق فقال: يا معن من الذي يقول:

لعمرك ما مزينة رهط معنٍ بأخفاف يطأن ولا سنام

فقال معن: أتعرف يا فرزدق الذي يقول:

لعمرك ما تميم أهل فلجٍ بأرداف الملوك ولا كرام

فقال الفرزدق: حسبك إنما جربتك . قال: قد جربت وأنت أعلم. فانصرف وتركه .

تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال:

دخلت خضراء روحٍ ؛ فإذا أنا برجلٍ من ولده على فاحشة يوماً ، فقلت: قبحك الله! هذا موضع كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويعطي اللهى وأنت تفعل فيه ما أرى! فالتفت إلي من غير أن يزول عنها وقال:

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا الحسب الرفيع تواكلته بناة السوء أوشك أن يضيعا

قال: والشعر لمعن بن أوس المزني .

سافر إلى الشام وخلف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطاب وقال شعراً: أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا أحمد بن عبيدٍ أبو عصيدة عن الحرمازي قال: سافر معن بن أوس إلى الشام وخلف ابنته ليلى في جوار عمر بن أبي سلمة وأمه أم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وفي جوار عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. فقال له بعض عشيرته: على من خلفت ابنتك ليلى بالحجاز وهي صبية ليس لها من يكفلها؟ فقال معن رحمه الله تعالى:

لعمرك مال ليلى بدار مضيعةٍ وما شيخها أن غاب عنها بخائف

وإن لها جارين لن يغدرا بها ربيب النبي وابن خير الخلائف

قال عبد الملك بن مروان عنه إنه أشعر الناس: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي قال حدثني مسعود بن بشر عن عبد الملك بن هشام قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيت وولده: ليقل كل واحد منكم أحسن شعرٍ سمع به؛ فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا فقال عبد الملك: أشعرهم والله الذي يقول:

وذي رحمٍ قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلم

إذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها، تلك السفاهة والظلم

فاسعى لكي أبني ويهدم صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندي أن ينال له رغم
فما زلت في لينٍ له وتعطفٍ ... عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته ... وإن كان ذا ضغنٍ يضيق به الحلم

قالوا: ومن قائلها يا أمير المؤمنين؟ قال: معن بن أوسٍ المزني .

خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلى وطلاقها وقصة ذلك: أخبرني عيسى بن حسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي عن أبيه قال:

خرج معن بن أوس المزني إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاً له؛ فلما قدمها نزل بقومٍ من عشيرته، فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها ليلى، وكانت ذات جمالٍ ويسارٍ، فخطبها فأجابته فتزوجها، وأقام عندها حولاً في أنعم عيشٍ، فقال لها بعد حولٍ: يابنة عم، إني قد تركت ضيعةً لي ضائعةً، فلو أذنت لي فاطلعت طلع أهلي ورممت من مالي! فقالت: كم تقيم؟ قال: سنةً، فأذنت له. فأتى أهله فأقام فيهم وأزمن عنها أي طال مقامه فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة فسألت عنه، فقيل لها: إنه بعمقٍ وهو ماء لمزينة فخرجت، حتى إذا كانت قريبة من عمقٍ نزلت منزلاً كريماً . وأقبل معن في طلب ذودٍ له قد أضلها وعليه مدرعة من صوفٍ وبت من صوفٍ أخضر قال: والبت: الطيلسان وعمامة غليظة. فلما رفع له القوم مال إليهم ليستسقي، ومع ليلى ابن أخٍ لها ومولى من مواليها جالس أمام خباءٍ له. فقال له معن: هل من ماءٍ؟ قال: نعم، وإن شئت سويقاً، وإن شئت لبناً؛ فأناخ. وصاح مولى ليلى: يا منهلة وكانت منهلة الوصيفة التي تقوم على معنٍ عندهم بالبصرة فلما أتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح في يده وأقبلت مسرعةً إلى مولاتها فقالت: يا مولاتي، هذا والله معن إلا أنه في جبة صصوفٍ وبت صوفٍ. فقالت: هو والله عيشهم، الحقي مولاي فقولي له: هذا معن، فاحبسه. فخرجت الوصيفة مسرعة فأخبرت. فوضع معن القدح وقال له: دعني حتى ألقاها في غير هذا الزي. فقال: لست بارحاً حتى تدخل عليها. فلما رأته قالت: أهذا العيش الذي نزعت إليه يا معن ؟! قال: إي والله يا بنة عم! أما إنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الخزامى والرخامى والسخبر والكمأة، لأصبت عيشاً طيباً. فغسلت رأسه وجسده، وألبسته ثياباً لينة، وطيبته، وأقام معها ليلته أجمع يهرجها ، ثم غدا إلى عمقٍ حتى أعد لها طعاماً ونحر ناقةٍ وغنماً . وقدمت على الحي، فلم تبق فيهم امرأة إلا أتتها وسلمت عليها، فلم تدع منهن امرأة حتى وصلتها. وكانت لمعنٍ امرأة بعمقٍ يقال لها أم حقة. فقالت لمعن: هذه والله خير لك مني، فطلقني، وكانت قد حملت فدخله من ذلك وقام. ثم إن ليلى رحلت إلى مكة حاجّةً ومعن معها. فلما فرغا من حجهما انصرفا، فلما حاذيا منعرج الطريق إلى عمقٍ قال معن: يا ليلى، كأن فؤادي ينعرج إلى ما ها هنا. فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابلٍ ثم نرحل إلى البصرة! فقالت: ما أنا ببارحةً مكاني حتى ترحل معي إلى البصرة أو

تطلقني. فقال: أما إذ ذكرت الطلاق فأنت طالق. فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عمقٍ، فلما فارقته وتبعتها نفسه، فقال في ذلك:

توهمت ربعاً بالمعبر واضحاً ... أبت قرتاه اليوم إلا تراوحا

أربت عليه رادة حضرمية ... ومرتجز كأن فيه المصابحا

إذا هي حلت كربلاء فلعلعاً ... فجوز العذيب دونها فالنوابحا

وبانت نواها من نواك وطاوعت ... مع الشانئين الشامتات الكواشحا

فقولا لليلى هل تعوض نادماً ... له رجعة قال الطلاق ممازحا

فإن هي قالت لا فقولا لها بلى ... ألا تتقين الجاريات الذوابحا

وهي قصيدة طويلة. فلما انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أم حقة: ما فعلت ليلى؟ قال: طلقتها. قالت والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك، فطلقني أنا أيضاً. فقال لها معن:

أعاذل أقصري ودعي بياتي ... فإنك ذات لوماتٍ حمات

فإن الصبح منتظر قريب ... وإنك بالملامة لن تفاتي

نأت ليلى فليلى لا تواتي ... وضنت بالمودة والبتات

وحلت دارها سفوان بعدي ... فذا قارٍ فنخرق الفرات

تراعى الريف دائبةً عليها ... ظلال ألف مختلط النبات

فدعها أو تناولها بعنسٍ ... من العيدي في قلص شخات

وهي قصيدة طويلة. قال: وقال لأم حقة في مطالبتها إياه بالطلاق:

كأن لم يكن يا أم حقة قبل ذا ... بميطان مصطاف لنا ومرابع

وإذ نحن في غصن الشباب وقد عسا ... بنا الآن أن يعوض جازع

فقد أنكرته أم حقة حادثاً ... وأنكرها ما شئت والود خادع

ولو آذنتنا أم حقة إذ بنا ... شباب وإذ لما ترعنا الروائع

لقلنا لها بيني بليلٍ حميدةً ... كذاك بلا ذم تؤدي الودائع

صوت:

أعابد حييتم على النأي عابدا ... سقاك الإله المنشآت الرواعدا

أعابد ما شمس النهار إذا بدت بأحسن مما بين عينيك عابدا

ويروى:

أعابد ما شمس النهار بدت لنا

ويروى:

أعابد ما الشمس التي برزت لنا بأحسن مما بين ثوبيك عابدا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب. والغناء لعطرد ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وفيه ليونس لحن من كتابه غير مجنس .

أخبار الحسين بن عبد الله

شعره في عابدة قبل زواجه بها: قد تقدم نسبه، وهو أشهر من أن يعاد. ويكنى أبا عبد الله. وكان من فتيان بني هاشم وظرفائهم وشعرائهم. وقد روى الحديث وحمل عنه، وله شعر صالح. وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهي أخت عمرو ابن شعيب لذى يروى عنه الحديث. وفيها يقول قبل أن يتزوجها: صوت:

أعاذل إن الحب لا شك قاتلي لئن لم تقارضني هوى النفس عابده

أعابد خافي الله في قتل مسلمٍ وجودي عليه مرة قط واحده

فإن لم تريدي في أجراً ولا هوى لكم غير قتلي يا عبيد فراشده

فكم ليلةٍ قد بت أرعى نجومها وعبدة لا تدري بذلك راقده

الغناء لحكم الوادي، رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق .

فمما حمل عنه من الحديث ما حدثني به أحمد بن سعيد قال حدثني محمد بن عبيد الله ابن المنادي قال حدثني يونس بن محمد قال حدثنا أبو أويس عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على حسان بن ثابت وهو في ظل فارعٍ وحوله أصحابه وجاريته سيرين تغنيه بمزهرها:

هل علي ويحكما إن لهوت من حرج

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: " لا حرج إن شاء الله " .

وكانت أم عابدة هذه عمة حسين بن عبد الله بن عبيد الله، أمها عمرة بنت عبيد الله بن العباس، تزوجها شعيب فولدت له محمداً وشعيباً ابني شعيب وعابدة، وكان يقال لها عابدة الحسن، وعابدة الحسناء .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى قال: خطب عابدة

بنت شعيبٍ بكار بن عبد الملك وحسين بن عبد الله، فامتنعت على بكار وتزوجت الحسين. فقال له بكار: كيف تزوجتك العابدة واختارتك مع فقرك؟ فقال له الحسين: أتعيرنا بالفقر وقد نحلنا الله تعالى الكوثر !.

تنكر ما بينه وبين عبد الله بن معاوية فتعاتبا بشعر: أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال: كان حسين بن عبد الله أمه أم ولدٍ، وكان يقول شيئاً من الشعر، وتزوج عابدة بنت شعيبٍ وولدت منه، وبسببها ردت على ولد عمرو بن العاص أموالهم في دولة بني العباس. وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له، ثم تنكر ما بينهما؛ فقال فيه ابن معاوية:

إن ابن عمك وابن أمك معلم شاكي السلاح
يقص العدو وليس ير ضى حين يبطش بالجراح
لا تحسبن أدى ابن عمك شرب ألبان اللقاح
بل كالشجاة ورا اللها ة إذا تسوغ بالقراح
فاختر لنفسك من يجي بك تحت أطراف الرماح
من لا يزال يسوءه بالغيب أن يلحاك لاح

فقال حسين له:

أبرق لمن يخشى وأو عد غير قومك بالسلاح
لسنا نقر لقائلٍ إلا المقرط بالصلاح

قال: ولحسين يقول ابن معاوية:

قل لذي الود والصفاء حسينٍ أقدر الود بيننا قدره
ليس للدابغ المحلم بد من عتاب الأديم ذي البشره
لست إن راغ ذو إخاءٍ ووِدٍ عن طريق بتابع أثره
بل أقيم القناة والود حتى يتبع الحق بعد أو يذره

كان صديقاً لابن أبي السمح ومدحه بشعر: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام قال:

كان مالك بن أبي السمح الطائي المغني صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ونديماً له، وكان يتغنى في أشعاره. وله يقول الحسين رحمه الله تعالى:

لا عيش إلا بمالك بن أبي السم ح فلا تلحني ولا تلم
أبيض كالسيف أو كما يلمع ال بارق في حندسٍ من الظلم

يصيب من لذة الكريم ولا يهتك حق الإسلام والحرم

يا رب ليلٍ لنا كحاشية ال برد ويومٍ كذاك لم يدم

قد كنت فيه ومالك بن أبي السم ح الكريم الأخلاق والشيم

من ليس يعصيك إن رشدت ولا يجهل آي الترخيص في اللمم

قال: فقال له مالك: ولا إن غويت والله بأبي أنت وأمي أعصيك . قال وغنى مالك بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد، فقال له: أخطأ حسين في صفتك، إنما كان ينبغي أن يقول:

أحول كالقرد أو كما يخرج ال سارق في حالكٍ من الظلم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إذا صلى العصر دخل منزله وسمع الغناء عشيته. فأتاه قوم ذات عشية في حاجةٍ لهم فقضاها، ثم جلسوا يحدثونه. فلما أطالوا قال لهم: أتأذنون؟ فقالوا نعم. فقام في أصحاب له وهو يقول:

قوموا بنا ندرك من العيش لدةً ولا إنم فيها للتقي ولا عارا

صوت:

إن حرباً وإن صخراً أبا سف يان حازا مجداً وعزاً تليدا

فهما وارثا العلا عن جدودٍ ورثوها آباؤهم والجدودا

الشعر لفضالة بن شريكٍ الأسدي من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية. وبعد هذين البيتين يقول:

وحوى إرثها معاوية القر م وأعطى صفو التراث يزيدا

والغناء لإبراهيم بن خالد المعيطي ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. والله أعلم .

أخبار فضالة بن شريك ونسبه

نسبه وشعر لابنه عبد الله في ذم ابن الزبير: هو فضالة بن شريك بن سلمان بن خويلد بن سلمة بن عامرٍ موقد النار بن الحريش بن نمير ابن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزارٍ. وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام. وكان له ابنان شاعران، أحدهما عبد الله بن فضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له: إن ناقتي قد نقبت ودبرت فقال له: ارقعها بجلدٍ واخصفها بهلبٍ وسر بها البردين. فقال له: إني قد جئتك مستحملاً لا مستثيراً ، فلعن الله ناقةً حملتني إليك. فقال له ابن الزبير: إن وراكبها. فانصرف من عنده وهو يقول:

أقول لغلمتي شدو ركابي أجاوز بطن مكة في سواد

فمالي حين أقطع ذات عرقٍ إلى ابن الكاهلية من معاد
سيبعد بيننا نص المطايا وتعليق الأداوى والمزاد
وكل معبدٍ قد أعلمته مناسمهن طلاع النجاد
أرى الحاجات عند أبي خبيبٍ نكدن ولا أمية بالبلاد
من الأعياص أو من آل حربٍ أغر كغرة الفرس الجواد

ابنه فاتك ومدح الأقيشر له: حدثنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني. فأما فاتك بن فضالة فكان سيداً جواداً. وله يقول الأقيشر يمدحه:

وفد الوفود فكنت أفضل وافدٍ يا فاتك بن فضالة بن شريك

مر بعاصم بن عمر بن الخطاب فلم يقره فهجاه: أخبرني بما ذكر من أخباره ها هنا مجموعاً علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيدٍ السكري عن محمد بن حبيب، وما ذكرته متفرقاً فأنا ذاكر إسناده عمن أخذته. قال ابن حبيب: مر فضالة بن شريكٍ بعاصم بن عمر الخطاب رضي الله تعالى عنهما وهو متبدٍ بناحية المدينة، فنزل به فلم يقره شيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ ، وقد عرفوه مكانهم. فارتحلوا عنه. والتفت فضالة إلى مولى لعاصمٍ فقال له: قل له: أما والله لأطوقنك طوقاً لا يبلى. وقال يهجوه:

ألا أيها الباغي القرى لست واجداً قراك إذا ما بت في دار عاصم

إذا جئته تبغي القرى بات نائماً بطيناً وأمسى ضيفه غير نائم
فدع عاصماً أفٍ لأفعال عاصمٍ إذا حصل الأقوام أهل المكارم
فتىً من قريشٍ لا يجود بنائلٍ ويحسب أن البخل ضربة لازم
ولولا يد الفاروق قلدت عاصماً مطوقةً يحدى بها في المواسم
فليتك من جزم بن زبان أو بني فقم أو النوكى أبان بن دارم
أناس إذا ما الضيف حل بيوتهم غدا جائعاً عيمان ليس بغانم

قال : فلما بلغت أبياته عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أمير، فهرب فضالة بن شريكٍ فلحق بالشام، وعاذ بيزيد بن معاوية وعرفه ذنبه وما تخوف من عاصم؛ فأعاذه، وكتب إلى عاصم يخبره أن فضالة أتاه مستجيراً به، وأنه يحب أن يهبه له. ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره، ويضمن له ألا يعود لهجائه، فقبل ذلك عاصم وشفع يزيد بن معاوية. فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية:

إذا ما قريش فاخرت بقديمها فخرت بمجدٍ يا يزيد تليد

بمجد أمير المؤمنين ولم يزل أبوك أمين الله غير بليد
به عصم الله الأنام من الردى وأدرك تبلاً من معاشر صيد
ومجد أبي سفيان ذي الباع والندى وحربٍ وما حرب العلا بزهيد
فمن ذا الذي إن عدد الناس مجدهم يجيء بمجدٍ مثل مجد يزيد

وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصيدة بعينها .

هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السكري عن ابن حبيب قال: كان عبد الله بن الزبير قد ولى عبد الله بن الأسود بن نضلة بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، الكوفة، فطرده عنها المختار بن أبي عبيدة حين ظهر؛ فقال فضالة بن شريكٍ يهجو ابن مطيع:

دعا ابن مطيعٍ للبياع فجئته إلى بيعةٍ قلبي بها غير عارف
فقرب لي خشناء لما لمستها بكفي لم تشبه أكف الخلائف
معودةً حمل الهراوي لقومها فروراً إذا ما كان يوم التسايف
من الشثنات الكرم أنكرت لمسها وليست من البيض السياط اللطائف
ولم يسم إذ بايعته من خليفتي ولم يشترط إلا اشتراط المجازف
متى تلق أهل الشام في الخيل تلفني على مقربٍ لا يزدهى بالمجاذف
ممرٍ كبنيان العبادي مخطفٍ من الضاريات بالدماء الخواطف

هجا عمر بن مسعود لأنه تسول في جمع صداق زوجه: وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: تزوج عامر بن مسعود بن أمية بن خلفٍ الجمحي امرأةً من بني نصر بن معاوية، وسأل في صداقها بالكوفة، فكان يأخذ من كل رجلٍ سأله درهمين درهمين. فقال له فضالة بن شريكٍ يهجوه بقوله:

أنكحتم يا بني نصرٍ فتاتكم وجهاً يشين وجوه الربرب العين
أنكحتم لا فتى دنيا يعاش به ولا شجاعاً إذا انشقت عصا الدين
قد كنت أرجو أبا حفص وسنته حتى نكحت بأرزاق المساكين

هجا رجلاً من بني سليم خان الأمانة: وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: أودع فضالة بن شريكٍ رجلاً من بني سليم يقال له قيس ناقةً، فخرج في سفرٍ، فلما عاد طلبها منه، فذكر أنها سرقت. فقال فيه :

ولو أنني يوم بطن العقيق ذكرت وذو اللب ينسى كثيرا
مصاب سليمٍ لقاح النبي لم أودع الدهر فيهم بعيرا

وقد فات قيس بعيرانةٍ ... إذا الظل كان مداه قصيرا
من اللاعبات بفضل الزمام ... إذا أقلق السير فيه الضفورا
ومن يبك منكم بني موقدٍ ... ولم يرهم يبك شجواً كبيرا
هم العاسفون صلاب القنا ... إذا الحيل كانت من الطعن زورا
وأيسار لقمان إذ أمحلوا ... وعز لمن جاءهم مستجيرا
فإن أنا لم يقض لي ألقهم ... فرأت السلام عليهم كثيرا

عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنه لفضالة: وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أن القصيدة التي ذكرها عن المدائني في خبر عبد الله بن فضالة بن شريكٍ مع ابن الزبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه، وذكر الأبيات وزاد فيها:

شكوت إليه أن نقبت قلوصي ... فرد جواب مشدود الصفاد
يضن بناقةٍ ويروم ملكاً ... محال ذلكم غير السداد
وليت إمارةً فبخلت لما ... وليتهم بملكٍ مستقاد
فإن وليت أمية أبدلوكم ... بكل سميدعٍ واري الزناد
من الأعياص أو من آل حربٍ ... أغر كغرة الفرس الجواد
إذا لم ألقهم بمنىً فإني ... ببيتٍ لا يهش له فؤادي
سيدنيني لهم نص المطايا ... وتعليق الأداوي والمزاد
وظهر معبدٍ قد أعملته ... مناسمهن طلاع النجاد
وعين الحمض حمض خناصرات ... وما بالعرق من سبل الغوادي
فهن خواضع الأبدان قود ... كأن رؤوسهن قبور عاد
كأن مواقع الغربان منها ... منارات بنين على عماد

طلب عبد الملك فضالة فلما وجده قد مات أكرم أهله: قال فلما ولي عبد الملك بعث إلى فضالة يطلبه، فوجده قد مات، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وقرها براً وتمراً . قال : والكاهلية التي ذكرها زهرة بنت خنثرٍ امرأة من بني كاهل ابن أسدٍ، وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى .

صوت:

لقد طال عهدي بالإمام محمدٍ وما كنت أخشى أن يطول به عهدي
فأصبحت ذا بعدٍ وداري قريبة فواعجبا من قرب داري ومن بعدي
فيا ليت أن العيد لي عاد يومه فإني رأيت العيد وجهك لي يبدي
رأيتك في برد النبي محمدٍ كبدر الدجى بين العمامة والبرد

الشعر لأبي السمط مروان الأصفر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة .

والغناء لبنانٍ خفيف رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد. وذكر الصولي أن هذا الشعر ليحيى بن مروان. وهذا غلط قبيح .

أخبار مروان الأصغر

كان أهله شعراء وشعره دونهم: قد مر نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم متقدماً. وكان مروان هذا آخر من بقي منهم يعد في الشعراء، وبقي بعده منهم متوج. وكان ساقطاً بارد الشعر. فذكر لي عن أبي هفان أنه قال: شعر آل أبي حفصة بمنزلة الماء الحار. ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته، ثم يفتر ثم يبرد، وكذا كانت أشعارهم، إلا أن ذلك الماء لما انتهى إلى متوج جمد .

وهذ الشعر يقوله مروان في المنتصر، وكان قد أقصاه وجفاه، وأظهر خلافاً لأبيه في سائر مذاهبه حتى في التشيع، فطرد مروان لنصبه، وأخرجه عن جلسائه. فقال هذه الأبيات وسأل بنان بن عمرو فغنى فيها المنتصر ليستعطفه. وخبره في ذلك يذكر في هذا الموضع من الكتاب .

مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة: أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حماد بن أحمد بن سليمان الكلبي قال حدثني أبو السمط مروان الأصغر قال: لما دخلت إلى المتوكل مدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة، وأنشدته :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأي والبعد
نظرت إلى نجدٍ وبغداد دونها لعلي أرى نجداً وهيهات من نجد
ونجد بها قوم هواهم زيارتي ولا شيء أحلى من زيارتهم عندي

قال: فلما فرغت منها أمر لي بمائة وعشرين ألف درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظهر فرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ، و لم أبرح حتى قلت قصيدتي التي أشكره فيها وأقول:

تخير رب الناس للناس جعفراً وملكه أمر العباد تخيرا

فلما صرت إلى هذا البيت:

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد فقد كدت أن أطغى وأن أتجبرا

قال لي لا والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي .

وحدثني عمر بهذا الخبر قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني حماد بن أحمد بن يحي قال حدثني مروان بن أبي الجنوب، فذكر مثل هذا الخبر سواءً، وقال بعد قوله: لا والله لا أمسك حتى أغرقك، سلني حاجتك. فقلت: يا أمير المؤمنين، الضيعة التي أمرت أن أقطعها باليمامة ذكر ابن المدبر أنها وقف المعتصم على ولده فقال: قد قبلتك إياها مائة سنة بمائة درهم. فقلت: لا يحسن أن تضمن ضيعة بدرهمٍ في السنة. فقال ابن المدبر فبألف درهم كل سنة. فقلت نعم. فأمر ابن المدبر أن ينفد ذلك لي، وقال: ليست هذه حاجةً، هذه قبالة، فسلني حاجتك. فقلت: ضيعة يقال لها السيوح أمر الواثق بإقطاعي إياها، فمنعنيها ابن الزيات؛ فأمر بامضاء الإقطاع لي .

كان علي بن الجهم يطعن عليه حسداً له على موضعه من المتوكل، فهجاه هو في حضرة المتوكل وغلبه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحي المنجم قال: كان علي بن الجهم يطعن على مروان بن أبي الجنوب ويثلبه حسداً له على موضعه من المتوكل. فقال له المتوكل يوماً : يا علي، أيما أشعر أنت أو مروان؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين. فأقبل على مروان فقال له: قد سمعت فما عندك؟ قال: كل أحدٍ أشعر مني يا أمير المؤمنين، وما أصف نفسي ولا أزكيها. وإذا رضيني أمير المؤمنين فما أبالي من زيفني. فقال له: قد صدقتك، علي يزعم سراً وجهراً أنه أشعر منك. فالتفت إليه مروان فقال له: يا علي! أأنت أشعر مني؟ فقال: أوتشك في ذاك؟ قال: نعم! أشك وأشك وهذا أمير المؤمنين بيننا. فقال له علي: إن أمير المؤمنين يحابيك. فقال المتوكل: هذا عي منك يا علي؛ ثم قال لابن حمدون: احكم بينهما. فقال: طرحتني والله يا أمير المؤمنين بين أنياب ومخالب أسدين. قال: والله لتحكمن بينهما. فقال له: أما إذ حلفت يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندي أعرفهما في الشعر. فقال له المتوكل: قد سمعت يا علي. قال: قد عرف ميلك إليه فمال معه. فقال: دعنا منك، هذا كله عي، فإن كنت صادقاً فاهج مروان. قال: قد سكرت ولا فضل فيّ. فقال المتوكل لمروان: اهجه أنت، وبحياتي لا تبق غايةً. فقال مروان :

إن ابن جهمٍ في المغيب يعيبني ... ويقول لي حسناً إذا لاقاني

صغرت مهابته وعظم بطنه ... فكأنما في بطنه ولدان

ويح ابن جهمٍ ليس يرحم أمه ... لو كان يرحمها لما عاداني

فإذا التقينا ناك شعري شعره ... ونزا على شيطانه شيطاني

قال: فضحك المتوكل والجلساء منه، وانخزل ابن الجهم، فلم يكن عنده أكثر من أن قال: جمع حيلة الرجال وحيلة النساء. فقال له المتوكل: هذا أيضاً من عيك وبردك، إن كان عندك شيء فهاته؛ فلم يأت بشيء. فقال لمروان: بحياتي إن حضرك شيء فهاته، ولا تقصر في شتمك. فقال مروان:

لعمرك ما الجهم بن بدرٍ بشاعرٍ ... وهذا علي بعده يدعي الشعرا

ولكن أبي قد كان جاراً لأمه فلم ادعى الأشعار أوهمني أمرا

قال: فضحك المتوكل وقال: زده بحياتي. فقال فيه:

يابن بدرٍ يا عليه قلت إني قرشيه

قلت ما ليس بحقٍ فاسكتي يا نبطيه

اسكتي يا بنت جهمٍ اسكتي يا حلقيه

فاخذ عبادة هذه الأبيات فغناها على الطبل وجاوبه من كان يغني، والمتوكل يضحك ويضرب بيديه ورجليه، وعلي مطرق كأنه ميت، ثم قال: علي بالدواة فأتي بها، فكتب:

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذي حسبٍ ودين

يبيحك منه عرضاً لم يصنه ويرتع منك في عرضٍ مصون

قال علي بن الجهم شعراً في حبسه، فعارضه فلم يطلقوه: أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني محمد ابن السري قال: لما مدح علي بن الجهم وهو محبوس المتوكل بقوله:

توكلنا على رب السماء وسلمنا لأسباب القضاء

وذكر فيها جميع الندماء وسبعهم وهجاهم، انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها، وقد كان المتوكل رق له، فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتورته ألسنة الجلساء فثلبوه واغتابوه وضربوا عليه، فتركه في محبسه.

والقصيدة :

ألم تعلم بأنك يابن جهمٍ دعي في أناسٍ أدعياء

أعبد الله تهجو وابن عمرٍ وبختيشوع أصحاب الوفاء

هجوت الأكرمين وأنت كلب حقيق بالشتيمة والهجاء

أترمي بالزناء بني حلالٍ وأنت زنيم أولاد الزناء

أسامة من جدودك يا بن جهمٍ! كذبت وما بذلك من خفاء

قال في المعتصم شعراً بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن الحسن قال: لما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف ما كان، أنشد مروان بن أبي الجنوب المعتصم قصيدة أولها :

ألا يا دولة المعصوم دومي فإنك قلت للدنيا استقيمي

فلما بلغ إلى قوله:

هوى العباس حين أراد غدراً فوافى إذ هوى قعر الجحيم

كذاك هوى كمهواء عجيف فأصبح في سواء لظى الحميم

قال المعتصم: أبعده الله ! مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثنا أبو العيناء قال: دخل مروان الأصغر بن أبي الجنوب على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إياها، فجعل أشناس يحرك رأسه ويومئ بيديه ويظهر طرباً وسروراً، وأمر له بصلة. فلما خرج قال له كاتبه: رأيت الأمير قد طرب وحرك رأسه ويديه لما كان يسمعه، فقد فهمه ؟ قال نعم. قال: فأي شيء كان يقول. قال: ما زال يقول علي رقية الخبز حتى حصل ما أراد وانصرف .

هجا علي بن يحيى المنجم فرد عليه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: كان المتوكل يعابثني كثيراً، فقال في يومٍ من الأيام لمروان بن أبي جنوب: اهج علي بن يحيى؛ فقال مروان:

ألا إن يحيى لا يقاس إلى أبي وعرض ابن يحيى لا يقاس إلى عرضي

وهي أبيات ذكرها صيانةً لعلي بن يحيى. قال: فأجبته عنها فقلت:

صدقت لعمري ما يقاس إلى أبي أبوك، ومن قاس الشواهق بالخفض

وهل لك عرض طاهر فتقيسه إذا قيست الأعراض يوماً إلى عرضي

ألستم موالي للعين ورهطه أعادي بني العباس ذي الحسب المحض

توالون من عادى النبي ورهطه فترمون من والى أولي الفضل بالرفض

وليس عجيباً أن أرى لك مبغضاً لأنك أهل للعداوة والبغض

نقد أبو العنبس الصيمري شعراً له فتهاجرا: حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى قال: أنشد مروان بن أبي جنوب المتوكل ذات يومٍ:

إني نزلت بساحة المتوكل ونزلت في أقصى ديار الموصل

فقال له بعض من حضر: فكيف الاتصال بين هؤلاء والمراسلة؟ فقال أبو العنبس الصيمري: كان له حمام هدى يبعث بها إليه من الموصل حتى يكاتبه على أجنحتها. فضحك المتوكل حتى استلقى، وخجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلم أبا العنبس أبداً، فماتا متهاجرين. كذا أكبر حفظي أن جحظة حدثني به عن علي بن يحيى؛ فإني كتبته عن حفظي.

أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة، فقال علي بن الجهم أن بعضها منتحل: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال قرأت في كتاب قديم: قال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر في علةٍ اعتلها:

فإن تك حمى الربع شفك وردها فعقباك منها أن يطول لك العمر
وقيناك لو نعطى المنى فيك والهوى لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

قال: ثم حم المتوكل حمى الربع، فدخل عليه مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدةً له على هذا الروي، وأدخل البيتين فيها، فسر بها المتوكل. فقال له علي بن الجهم: يا أمير المؤمنين، هذا شعر مقول، والتفت إلي وقال: هذا يعلم. فالتفت إلي المتوكل وقال : أتعرفه؟ فقلت: ما سمعته قبل اليوم، فشتم علي بن الجهم وقال له: هذا من حسدك وشرك وكذبك. فلما خرجنا قال علي بن الجهم: ويحك! مالك قد جننت! أما تعرف هذا الشعر؟ قلت: بلى! وأنشدته إياه. فلما عدت إلى المتوكل من غدٍ قال له: يا أمير المؤمنين، قد اعترف لي بالشعر وأنشدنيه. فقال لي: أكذاك هو؟ فقلت: كذب يا أمير المؤمنين ! ما سمعت به قط فازداد عليه غيظاً وله شتماً. فلما خرجنا قال لي: ما في الأرض شر منك. فقلت له: أنت أحمق، تريد مني أن أجيء إلى شعرٍ قد قاله فيه شاعر يحبه ويعجبه شعره فأقول له: إني أعرفه فأوقع نفسي وعرضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده، ويسقط ذاك ويبغضني أنا !.

صوت:

ما لإبراهيم في العل م بهذا الشأن ثان
إنما عمر أبي إس حاق زين للزمان
فإذا غنى أبو إسحا ق أجابته المثاني
منه يجنى ثمر الله و وريحان الجنان
جنة الدنيا أبو إس حاق في كل مكان

عروضه من الرمل. الشعر لابن سيابة. والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ابنه .

أخبار ابراهيم بن سيابة ونسبه

جده حجام وهو ظريف ويرمى بالأبنة: إبراهيم بن سيابة بني هاشم، وكان يقال: إن جده حجام أعتقه بعض الهاشميين. وهو من مقاربي شعراء وقته، ليست له نباهة ولا شعر شريف، وإنما كان يميل بمودته ومدحه إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، فغنيا في شعره ورفعا منه، وكانا يذكرانه للخلفاء والوزراء ويذكرانهم به إذا غنيا في شعره، فينفعانه بذلك. وكان خليعاً ماجناً، طيب النادرة، وكان يرمى بالأبنة .

شعره في جارية سوداء لامه أهله في عشقه لها: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل

قال حدثني أبو زائدة عن جعفر بن زيادٍ قال: عشق ابن سيابة جاريةً سوداء، فلامه أهله على ذلك وعاتبوه؛ فقال:

يكون الخال في وجهٍ قبيحٍ فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يلام معشوق على من يراها كلها في العين خالا

قصته مع ابن سوار القاضي ودايته رحاص: أخبرني محمد بن مزيدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لقي إبراهيم بن سيابة وهو سكران ابناً لسوار بن عبد الله القاضي أمرد، فعانقه وقبله، وكانت معه داية يقال لها رحاص، فقيل لها: إنه لم يقبله تقبيل السلام، إنما قبله قبلةً شهوةٍ فلحقته الداية فشتمته وأسمعته كل ما يكره، وهجره الغلام بعد ذلك. فقال له:

قل للذي ليس لي من يدي هواه خلاص

أأن لثمتك سراً فأبصرتني رحاص

وقال في ذاك قوم على انتقاصي حراص

هجرتني وأنتني شتيمة وانتقاص

فهاك فاقتص مني إن الجروح قصاص

ويروى أن رحاص هذه مغنية كان الغلام يحبها، وأنه سكر ونام؛ فقبله ابن سيابة. فلما انتبه قال للجارية: ليت شعري ما كان خبرك من ابن سيابة؟ فقالت له: سل عن خبرك أنت معه؛ وحدثته بالقصة؛ فهجره الغلام؛ فقال هذا الشعر .

جوابه لمن عاتبه على مجونه، ولمن سأل عنه وهو سكران محمول في طبق: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثنا علي بن الصباح قال: عاتبنا ابن سيابة على مجونه، فقال: ويلكم! لأن ألقى الله تبارك وتعالى بذل المعاصي فيرحمني، أحب إلي من ألقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي فيمقتني .

قال: ورأيت ابن سيابة يوماً وهو سكران وقد حمل في طبق يعبرون به على الجسر، فسألهم إنسان ما هذا؟ فرفع رأسه من الطبق وقال: هذا بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة يا كشخان .

ولع به أبو الحارث جميز حتى أخجله فهجاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو الشبل البرجمي قال:

ولع يوماً أبو الحارث جميز بابن سيابة حتى أخجله. فقال عند ذلك ابن سيابة يهجوه:

بنى أبو الحارث الجميز في وسطٍ من ظهره وقريباً من ذراعين

ديراً لقسٍ إذا ما جاء يدخله ألقى على باب دير القس خرجين

يعدو على بطنه شداً على عجلٍ لا ذو يدين ولا يمشي برجلين

جوابه لمن اقترض منه فاعتذر: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إبراهيم تينة قال: كتب ابن سيابة إلى صديقٍ له يقترض منه شيئاً؛ فكتب إليه يعتذر له ويحلف أنه ليس عنده ما سأله. فكتب إليه: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً. وإن كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً .

ضرط في جماعة فكلم استه: أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان ابن سيابة الشاعر عندنا يوماً مع جماعةٍ نتحدث ونتناشد وهو ينشدنا شيئاً من شعره، فتحرك فضرط، فضرب بيده على استه غير مكترثٍ، ثم قال: إما أن تسكتي حتى أتكلم، وإما أن تتكلمي حتى أسكت.

غمز غلاماً أمرد فأجابه: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هفان قال: غمز ابن سيابة غلاماً أمرد ذات يوم فأجابه، ومضى به إلى منزله، فأكلا وجلسا يشربان. فقال له الغلام: أنت ابن سيابة الزنديق؟ قال نعم. قال: أحب أن تعلمني الزندقة. قال: أفعل وكرامةً. ثم بطحه على وجهه، فلما تمكن منه أدخل عليه؛ فصاح الغلام أوه! أيشٍ هذا ويحك؟ قال سألتني أن أعلمك الزندقة، وهذا أول بابٍ من شرائعها.

يرى فقدان الدقيق أكبر مصيبة: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني محرز بن جعفر الكاتب قال: قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر: إذا كانت في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم، وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم .

سخط عليه الفضل بن الربيع فاستعطفه بشعر فرضي عنه ووصله: أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيدٍ قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سخط الفضل بن الربيع على ابن سيابة، فسألته أن يرضى عنه فامتنع. فكتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها:

إن كان جرمي قد أحاط بحرمتي فأحط بجرمي عفوك المأمولا

فكم ارتجيتك في التي لا يرتجى في مثلها أحد فنلت السولا

وضللت عنك فلم أجد لي مذهباً ووجدت حلمك لي عليك دليلا

هبني أسأت وما أقر كي يزداد عفوك بعد طولك طولا

فالعفو أجمل والتفضل بامرئٍ لم يعدم الراجون منه جميلا

فلما قرأها الفضل دمعت عيناه ورضي عن ابن سيابة، وأوصله إليه وأمر إليه بعشرة آلاف درهم .

حواره المقذع مع بشار: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا الحسن بن الفضل قال سمعت ابن عائشة يقول: جاء إبراهيم بن سيابة إلى بشار فقال له: ما رأيت أعمى قط إلا وقد عوض من بصره إما الحفظ والذكاء وإما حسن الصوت، فأي شيء عوضت أنت ؟ قال: ألا أرى ثقيلاً مثلك، ثم قال

له: من أنت ويحك؟ قال: إبراهيم بن سيابة. فتضاحك ثم قال : لو نكح الأسد في استه لذل . وكان إبراهيم يرمى بذلك. ثم تمثل بشار:

لو نكح الليث في استه خضعا ... ومات جوعاً ولم ينل شبعا

كذلك السيف عند هزته ... لو بصق الناس فيه ما قطعا

نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن أبي نصر المروزي قال حدثني محمد بن عبد الله الطلحي قال حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ قال: قدم إبراهيم بن سيابة نيسابور فأنزلته علي؛ فجاءني ليلةً من الليالي وهو مهرب ، فجعل يصيح بي: يا أبا أيوب. فخشيت أن يكون قد غشيه شيء يؤذيه، فقلت: ما تشاء؟ فقال:

أعياني الشادن الربيب

فقلت بماذا؟ فقال:

أكتب أشكو لا يجيب

قال فقلت له: داره وداوه؛ فقال:

من أين أبغي شفاء ما بي ... وإنما دائي الطبيب

فقلت: لا دواء إذاً إلا أن يفرج الله تعالى. فقال:

يا رب فرج إذاً وعجل ... فإنك السامع المجيب

ثم انصرف .

في هذا الشعر رمل طنبوري لجحظة .

من قصيدة أخت الوليد بن طريف في رثائه: قصيدة:

أيا شجر الخابور مال مورقاً ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتًى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

الشعر لأخت الوليد بن طريف الشاري. والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيل أول بالوسطى، من رواية ابنه عبيد الله عنه. وأول هذه الأبيات كما أنشدنا محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد ابن يحيى ثعلب :

بتل بناثا رسم قبرٍ كأنه ... على علمٍ فوق الجبال منيف

تضمن جواداً حاتمياً ونائلاً ... وسورة مقدامٍ وقلب حصيف

ألا قاتل الله الجثا حيث أضمرت ... فتًى كان بالمعروف غير عفيف

فإن يك أراده يزيد بن مزيدٍ فيا رب خيلٍ فضها وصفوف
ألا يا لقومٍ للنوائب والردى ودهرٍ ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى وللشمس همت بعده بكسوف
أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتًى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قناً وسيوف
ولا الخيل إلا كل جرداء شطبةٍ وكل حصانٍ باليدين غروف
فلا تجزعا يا ابنا طريفٍ فإنني أرى الموت نزالاً بكل شريف
فقدناك فقدان الربيع وليتنا فديناك من دهمائنا بألوف

وهذه الأبيات تقولها أخت الوليد بن طريفٍ ترثيه، وكان يزيد بن مزيدٍ قتله.

ذكر الخبر في ذلك

مقتل الوليد بن طريف: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرواة قال: كان الوليد بن طريفٍ الشيباني رأس الخوارج وأشدهم بأساً وصولةً وأشجعهم؛ فكان من بالشماسية لا يأمن طروقه إياه ، واشتدت شوكته وطالت أيامه. فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيدٍ الشيباني، فجعل يخاتله ويماكره. وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد بن مزيدٍ، فأغروا به أمير المؤمنين، وقالوا: إنما يتجافى عنه للرحم، وإلا فشوكة الوليد يسيرة، وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره. فوجه إليه الرشيد كتاب مغضبٍ يقول فيه: لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به، ولكنك مداهن متعصب. وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين. فلقي الوليد عشية خميسٍ في شهر رمضان. فيقال: إن يزيد جهد عطشاً حتى رمه بخاتمه في فيه، فجعل يلوكه ويقول: اللهم إنها شدة شديدة فاسترها. وقال لأصحابه: فداكم أبي وأمي، إنما هي الخوارج ولهم حملة، فاثبتوا لهم تحت التراس ، فإذا انقضت حملتهم فاحملوا؛ فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا. فكان كما قال، حملوا وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه، ثم حمل عليهم فانكشفوا. ويقال إن أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جداً، وكان لا يفصل بينهما إلى المتأمل، وكان أكثر ما يباعده منه ضربةً في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره ومنحرفةً على جبهته؛ فكان أسد يتمنى مثلها. فهوت له ضربة فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع. فيقال: إنه لو خطت على مثال ضربة أبيه ما عدا ، جاءت كأنها هي. واتبع يزيد الوليد بن طريفٍ فلحقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسه. وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول:

أنا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصطلى بناري

جوركم أخرجني من داري

خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد بن مزيد: فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد، صبحتهم أخته ليلى بنت طريفٍ مستعدةً عليها الدرع والجوشن، فجعلت تحمل على الناس فعرفت. فقال يزيد: دعوها، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطاة فرسها، ثم قال اغربي غرب الله عليك ! فقد فضحت العشيرة؛ فاستحيت وانصرفت وهي تقول:

أيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتًى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قناً وسيوف

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدمٍ ... وكل دقيق الشفرتين خفيف

فلما انصرف يزيد بالظفر حجب برأي البرامكة، وأظهر الرشيد السخط عليه. فقال: وحق أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسي أو أدخل. فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل. فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسر وأقبل يصيح: مرحباً بالأعرابي! حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه ونقاء صدره .

من قصيد مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد: ومدحه الشعراء بذلك. فكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد؛ فقال فيه قصيدته التي أولها:

أجررت حبل خليعٍ في الصبا غزل ... وشمرت همم العذال في عذلي

هاج البكاء على العين الطموح هوًى ... مفرق بين توديع ومحتمل

كيف السلو لقلبٍ بات مختبلاً ... يهذي بصاحب قلبٍ غير مختبل

وفيها يقول:

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً ... إذا تغير وجه الفارس البطل

موفٍ على مهج في يوم ذي رهجٍ ... كأنه أجل يسعى إلى أمل

ينال بالرفق ما يعيا الرجال به ... كالموت مستعجلاً يأتي على مهل

لا يرحل الناس إلا نحو حجرته ... كالبيت يفضي إليه ملتقى السبل

يقري المنية أرواح العداة كما ... يقري الضيوف شحوم الكوم والبزل

يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ... ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

إذا انتضى سيفه كانت مسالكه ... مسالك الموت في الأبدان والقلل

لا تكذبن فإن المجد معدنه ... وراثة في بني شيبان لم تزل

إذا الشريكي لم يفخر على أحدٍ تكلم الفخر عنه غير منتحل

الزائديون قوم في رماحهم خوف المخيف وأمن الخائف الوجل

كبيرهم لا تقوم الراسيات له حلماً وطفلهم في هدي مكتهل

اسلم يزيد فما في الملك من أودٍ إذا سلمت ولا في الدين من خلل

لولا دفاعك بأس الروم إذ مكرت عن بيضة الدين لم تأمن من الثكل

والمارق ابن طريفٍ قد دلفت له بعارضٍ للمنايا مسبل هطل

لو أن غير شريكي أطاف به فاز الوليد بقدح الناضل الخصل

ما كان جمعهم لما دلفت لهم إلا كمثل جرادٍ ريع منجفل

كم آمنٍ لك نائي الدار ممتنعٍ أخرجته من حصون الملك والخول

تراه في الأمن في درعٍ مضاعفةٍ لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

يأبى لك الذم في يوميك إن ذكرا عضب حسام وعرض غير مبتذل

فافخر فما لك في شيبان من مثلٍ كذاك ما لبني شيبان من مثل

وقال محمد بن يزيد: يعني بقوله:

تراه في الأمن في درعٍ مضاعفةٍ

كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله:

خبر يزيد بن مزيدٍ. وذاك أن امرأة معن بن زائدة عاتبت معناً في يزيد وقالت: إنك لتقدمه وتؤخر بنيك، وتشيد بذكره وتحمل ذكرهم، ولو نبهتهم لانتبهوا، ولو رفعتهم لارتفعوا. فقال معن: إن يزيد قريب لم تبعد رحمه، وله علي حكم الولد إذ كنت عمه. وبعد فإنهم ألوط بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبة الولادة للأبوة في تقديمهم ، ولكني لا أجد عندهم ما أجده عنده. ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً، وفي عدوٍ لصار حبيباً. وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسح به اللوم عني ويتبين به عذري. يا غلام اذهب فادع جساساً وزائدة وعبد الله فلاناً وفلاناً، حتى أتى على أسماء ولده؛ فلم يلبث أن جاؤوا في الغلائل المطيبة والنعال السندية، وذلك بعد هدأةٍ من الليل، فسلموا وجلسوا. ثم قال: يا غلام ادع لي يزيد وقد أسبل ستراً بينه وبين المرأة، وإذا به قد دخل عجلاً وعليه السلاح كله، فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يحضر . فلما رآه معن قال: ما هذه الهيئة أبا الزبير؟ وكان يزيد يكنى أبا الزبير وأبا خالد فقال: جاءني رسول الأمير فسبق إلى نفسي أنه يريدني لوجهٍ، فقلت:

إن كان مضيت و لم أعرج، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزع هذه الآلة أيسر الخطب. فقال لهم: انصرفوا في حفظ الله. فقالت المرأة: قد تبين عذرك. فأنشد معن متمثلاً:

نفس عصامٍ سودت عصاما ... وعودته الكر والإقداما

وصيرته ملكاً هماما

من شعر أخته في رثائه: وأخبرني محمد بن الحسن الكندي قال حدثنا الرياشي قال: أنشدني الأصمعي لأخت الوليد بن طريف ترثيه:

ذكرت الوليد وأيامه ... إذ الأرض من شخصه بلقع

فأقبلت أطلبه في السماء ... كما يبتغي أنفه الأجدع

أضاعك قومك فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا

لو أن السيوف التي حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع

نبت عنك أو جعلت هيبةً ... وخوفاً لصولك لا تقطع

بعض أخلاق عبد الله بن طاهر: فأما خبر عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت، فإن عبد الله كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكانٍ من الخلفاء، يستغني به عن التقريظ له والدلالة عليه. وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة، وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يدفع، وفي السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه كبير أحدٍ .

فرق خراج مصر وقال أبياته أرضى بها المأمون: أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرد أن المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنةٍ خراجها وضياعها، فوهبه كله وفرقه في الناس، ورجع صفراً من ذلك، فغاظ المأمون فعله. فدخل إليه يوم مقدمه فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى، وهي:

نفسي فداؤك والأعناق خاضعةً ... للنائبات أبيا غير متهضم

إليك أقبلت من أرضٍ أقمت بها ... حولين بعدك في شوقٍ وفي ألم

أقفو مساعيك اللاتي خصصت بها ... حذو الشراك على مثلٍ من الأدم

فكان فضلي فيها أنني تبع ... لما سننت من الإنعام والنعم

ولو وكلت إلى نفسي غنيت بها ... لكن بدأت فلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال: والله ما نفست عليك مكرمةً نلتها ولا أحدوثةً حسن عنك ذكرها، ولكن هذا شيء إذا عودته نفسك افترقت و لم تقدر على لم شعثك وإصلاح حالك. وزال ما كان في نفسه .

أتاه معلى الطائي ومدحه فأجازه: أخبرني وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال حدثني عبد الله بن فرقدٍ قال

أخبرني محمد ابن الفضل محمد بن منصور قال: لما افتتح عبد الله بن طاهر مصر ونحن معه، سوغه المأمون خراجها. فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف دينارٍ أو نحوها. فأتاه معلىً الطائي وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالناس في الجوائز، وكان عليه واحداً، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح الله الأمير! أنا معلىً الطائي، وقد بلغ مني ما كان منك إلي من جفاءٍ وغلظٍ. فلا يغلظن علي قبلك، ولا يستخفنك الذي بلغك، أنا الذي أقول:

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرةٍ ... وأظلم الناس عند الجود للمال

لو أصبح النيل يجري ماؤه ذهباً ... لما أشرت إلى خزنٍ بمثقال

تغلى بما فيه رق الحمد تملكه ... وليس شيء أعاض الحمد بالغالي

تفك باليسر كف العسر من زمنٍ ... إذا استطال على قوم بإقلال

لم تخل كفك من جودٍ لمختبطٍ ... أو مرهفٍ قاتلٍ في رأس قتال

وما بثثت رعيل الخيل في بلدٍ ... إلا عصفن بأرزاقٍ وآجال

إن كنت على بالٍ مننت به ... فإن شكرك من قلبي على بال

ما زلت منقضباً لولا مجاهرة ... من ألسنٍ خضن في صدري بأقوال

قال فضحك عبد الله وسر بما كان منه، وقال: يا أبا السمراء أقرضني عشرة آلاف دينار، فما أمسيت أملكها؛ فأقرضه فدفعها إليه .

أحسن إلى موسى بن خاقان ثم جفاه، فمدح موسى المأمون وعرض به: أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال: كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان نديمه وجليسه، وكان له مؤثراً مقدماً؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك. ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر، فجفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه، فرجع حينئذ إلى بغداد وقال: صوت:

إن كان عبد الله خلانا ... لا مبدئاً عرفاً وإحسانا

فحسبنا الله رضينا به ... ثم بعبد الله مولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون، وغنت فيه جاريته ضعف لحناً من الثقيل الأول، وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإياها. فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر، فغاظه ذلك وقال: أجل! صنعنا المعروف إلى غير أهله فضاع .

وكانت ضعف إحدى المحسنات. ومن أوائل صنعتها وصدور أغانيها وما برزت فيه وقدمت فاختيرت، صنعتها في شعر جميلٍ:

أمنك سرى يا بثن طيف تأوبا هدوءاً فهاج القلب شوقاً وأنصبا
عجبت له أن زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظاً كان أعجبا

الشعر لجميل، والغناء لضعف ثقيل أول بالبنصر .

قصته مع محمد بن يزيد الأموي: أخبرني عمي قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال حدثنا العباس بن الفضل الخراساني، وكان من وجوه قواد طاهر وابنه عبد الله، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً، قال: لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم المخلوع، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني، وكان رجلاً من ولد مسلمة بن عبد الملك، فأفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط والتعصب. فكان مما قال فيه:

يا بن بيت النار موقدها ما لحاذيه سراويل
من حسين من أبوك ومن مصعب !غالتكم غول
نسب في الفخر مؤتشب وأبوات أراذيل
قاتل المخلوع مقتول ودم المقتول مطلول

وهي قصيدة طويلة. فلما ولي عبد الله مصر ورد إليه تدبير أمر الشام، علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب ولا ينجو من يده حيث حل، وأحرز حرمه، وترك أمواله ودوابه وكل ما كان يملكه في موضعه، وفتح باب حصنه وجلس عليه، ونحن نتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به. فلما شارفنا بلده وكنا على أن نصبحه ، دعاني عبد الله في الليل فقال لي: بت عندي الليلة، وليكن فرسك معداً عندك لا يرد، ففعلت. فلما كان في السحر أمر غلمانه وأصحابه الأ يرحلوا حتى تطلع الشمس، وركب في السحر وأنا وخمسة من خواص غلمانه معه ، فسار حتى صبح الحصني، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مفتوحاً مسترسلاً، فقصده وسلم عليه ونزل عنده وقال له: ما أجلسك ها هنا وحملك على أن فتحت بابك و لم تتحصن من هذا الجيش المقبل و لم تتنح عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك؟ فقال: إن ما قلت لم يذهب علي، ولكني تأملت أمري، وعلمت أني أخطأت خطيئةً حملني عليها نزق الشباب وغرة الحداثة، وأني هربت منه لم أفته، فباعدت البنات والحرم، واستسلمت بنفسي وكل ما أملك؛ فأنا أهل بيتٍ قد أسرع القتل فينا، ولي بمن مضى أسوة؛ فإني أثق بأن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه و لم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيهن أرب، ولا يوجب جرمي إليه أكثر مما بذلته. قال: فوالله ما اتقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته. ثم قال له: أتعرفني؟ قال: لا والله! قال: أنا عبد الله بن طاهر، وقد أمن الله تعالى روعتك، وحقن دمك، وصان حرمك، وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك. وما تعجلت إليك وحدي إلا لتأمن من قبل هجوم الجيش، ولئلا يخالط عفوي عنك روعة تلحقك. فبكى الحصني

وقام فقبل رأسه؛ وضمه إليه عبد الله وأدناه، ثم قال له: إما لا فلا بد من عتاب. يا أخي جعلني الله فداك! قلت شعراً في قومي أفخر بهم لم أطعن فيه على حسبك ولا ادعيت فضلاً عليك. وفخرت بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك، فهم القوم الذين تأرك عندهم؛ فكان يسعك السكوت، أو إن لم تسكت لا تغرق ولا تسرف.
فقال: أيها الأمير، قد عفوت، فاجعله العفو الذي لا يخلطه تثريب، ولا يكدر صفوه تأنيب. قال: قد فعلت، فقم بنا ندخل إلى مترلك حتى نوجب عليك حقاً بالضيافة. فقام مسروراً فأدخلنا، فأتى بطعام كان قد أعده، فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرفٍ له. وأقبل الجيش، فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم، ولا يترل أحد منهم إلا في المترل، وهو على ثلاثة فراسخ؛ فترلت فرحلتهم. وأقام عنده إلى العصر . ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين، وقال له: إن نشطت لنا فالحق بنا، وإلا فأقم بمكانك. فقال: فأنا أتجهز بالأمير. ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق، فودعه وأقام ببلده .
بعض الأشعار التي غنى فيها وذكر بعض أخبار استدعاها بيانها: فأما الأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال: الغناء للدار الكبيرة، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال: الغناء للدار الصغيرة فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه من شعر أخت عمرو بن عاصية وقيل: إنه لأخت مسعود بن شداد فإنه صوت نادر جيد. قال أبو العبيس بن حمدون وقد ذكره ففضله: جاء به عبد الله بن طاهر صحيح العمل مزدوج النغم بين لينٍ وشدةٍ على رسم الحذاق من القدماء، وهو: صوت:

هلا سقيتم بني سهمٍ أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلةٍ صادي
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مضرج بعد ما جادت بإزباد

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السلمي ترثيه . وكان بنو سهم، وهم بطن من هذيل، أسروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه، فلما عرفوه قتلوه. وكان قد عطش فاستسقاهم، فمنعوه وقتلوه على عطشه. وقيل: إن هذا الشعر للفارغة أخت مسعود بن شداد. ولحن عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالوسطى ابتداؤه استهلال .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قتلت بنو سهمٍ، وهم بطن من هذيل، عمرو بن عاصية السلمي، وكان رجلان منهم أخذاه أخذاً، فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك، ثم قتلاه. فقالت أخته ترثيه، وتذكر ما صنعوا به:

شبت هذيل وبهز بينها إرةً فلا تبوخ ولا يرتد صاليها

ويروى: شبت هذيل وسهم، وهو الصحيح، ولكن كذا قال عمر بن شبة .

إن ابن عاصية المقتول بينكما خلى علي فجاجاً كان يحميها

وقالت أيضاً ترثيه:

يا لهف نفسي لهفاً دائماً أبداً على ابن عاصية المقتول بالوادي

هلا سقيتم بنس سهمٍ أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلة صادي

قال: فغزا عرعرة بن عاصية هذيلاً يطلبهم بدم أخيه، فقتل منهم نفراً وسبى امرأةً فجردها، ثم ساقها معه عارية إلى بلاد بني سليم؛ فقالت عند ذلك :

ألامت سليم في السياق وأفحشت وأفرط في السوق العنيف إسارها

لعل فتاةً منهم أن يسوقها فوارس منها وهي بادٍ شوارها

فإن سبقت عليا سليم بذحلها هذيلاً فقد باءت فكيف اعتذارها

ألا ليت شعري هل أرى الخيل شزباً تثير عجاجاً مستطيراً غبارها

فترقا عيون بعد طول بكائها ويغسل ما قد كان بالأمس عارها

هذه رواية عمر بن شبة. فأما رواية أبو عبيدة فإنه خالفه في ذلك، وذكر في مقتله، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: خرج عمرو بن عاصيةٍ السلمي ثم البهزي في جماعةٍ من قومه، فأغاروا على هذيل بن مدركة، فصادفوا حياً من هذيلٍ يقال لهم بنو سهم بن معاوية. وكانت امرأة من هذيل تحت رجل من بني بهزٍ، فقالت لابن لها معه : أي بني انطلق إلى أخوالك فأنذرهم بأن ابن عاصية قد أمسى يريدهم، وذلك حين عزم ابن عاصية على غزوهم وأراد المسير إليهم. فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتى أخواله فأنذرهم، فقال: ابن عاصية السلمي يريدكم، فخذوا حذركم؛ فبدر القوم واستعدوا. وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحي، فنزل فربأ لأصحابه على جبلٍ مشرف على القوم ، فإذا هم حذرون. فقال لأصحابه: أرى القوم حذرين إن لهم لشأناً، ولقد أنذروا علينا. فكمن في الجبل يطلب غفلتهم، فأصابه وأصحابه عطش شديد، فقال ابن عاصية لأصحابه: هل فيكم من يرتوي لأصحابه؟ فقال أصحابه: نخاف القوم، وأبى أحد منهم أن يجيبه إلى ذلك. قال: فخرج على فرسٍ له ومعه قربته. وقد وضعت هذيل على الماء منهم رصداً، وعلموا أنهم لا بد لهم من أن يردوا الماء. فمر بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخ وفتيان من هذيل، فلما نظروا إليه هم الفتيان أن يثاوراه . فقال الشيخ مهلاً! فإنه لم يركما. فكفا. فانتهى ابن عاصية إلى البئر، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً والآخرون يرمقونه من حيث لا يراهم. فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأ القربة ويشرب. وأقبل الفتيان والشيخ معهم حتى أشرفوا عليه وهو في البئر، فرفع رأسه فأبصر القوم؛ فقالوا: قد أخزاك الله يا بن عاصية وأمكن منك! قال: ورمى الشيخ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه، وشغل الفتيان بنزع السهم من قدم الشيخ، ووثب ابن عاصية من البئر شداً نحو أصحابه، وأدركه الفتيان قبل وصوله فأسراه. فقال لهما حين أخذاه: أرويابي من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما. فلم يسقياه وتعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه. فقالت أخت عمرو بن عاصية ترثي أخاها:

يا لهف نفسي يوماً ضلةً جزعاً على ابن عاصية المقتول بالوادي
إذ جاء ينفض عن أصحابه طفلاً مشي السبنتي أمام الأيكة العادي
هلا سقيتم بني سهمٍ أسيركم نفسي فداؤك من مستوردٍ صادي

قال أبو عبيدة: وآب غزي بني سليم بعد مقتل ابن عاصم. قال: فبلغ أخاه عرعرة بن عاصية قتل هذيلٍ أخاه وكيف صنع به، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارس من بني سليم منهم عبيدة بن حكيم الشريدي وعمر بن الحارث الشريدي وأبو مالك البهزي وقيس بن عمرو أحد بني مطرود من بني سليم وفوارس من بني رعلٍ. قال: فسرى إليهم عرعرة، فالتقوا بموضع يقال له الجرف فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت بهم بنو سليم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمةً، وأسروا أسرى، وأصابوا امرأةً من هذيل فعروها من ثيابها واستاقوها مجردة فأفحشوا في ذلك. وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر من قتل:

ألا أبلغ هذيلاً حيث حلت مغلغلةً تخب مع الشفيق
مقامكم غداة الجرف لما تواقفت الفوارس بالمضيق

غداة رأيتم فرسان بهزٍ ورعلٍ ألبدت فوق الطريق
تراميتم قليلاً ثم ولت فوارسكم توقل كل نيق
بضربٍ تسقط الهامات منه وطعنٍ مثل إشعال الحريق

وقال لي: إن هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شداد يرثي أخاه، وزعم أن جرماً كانت قتلته وهو عطشان، فقال:

يا عين جودي لمسعود بن شدادٍ بكل ذي عبراتٍ شجوه بادي
هلا سقيتم بني جرمٍ أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلةٍ صادي

فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المرية أخت مسعود بن شداد ترثيه، فذكر من الأبيات البيت الأول، وبعده:

يا من رأى بارقاً قد بت أرمقه جوداً على الحرة السوداء بالوادي
أسقي به قبر من أعني وحب به قبراً إلي ولو لم يفده فادي
شهاد أنديةٍ رفاع أبنيةٍ شداد ألويةٍ فتاح أسداد
نحار راغيةٍ قتال طاغيةٍ حلال رابيةٍ فكاك أقياد

قوال محكمةٍ نقاض مبرمةٍ فراج مبهمةٍ حباس أوراد
حلال ممرعةٍ حمال مضلعةٍ قراع مفظعةٍ طلاع أنجاد
جماع كل خصال الخير قد علموا زين القرين وخطم الظالم العادي
أبا زرارة لا تبعد فكل فتًى يوماً رهين صفيحاتٍ وأعواد

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر. قال عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر: لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يشيع عنه شيء من هذا ولا ينسب إليه؛ لأنه كان يترفع عن الغناء، وما جس بيده وتراً قط ولا تعاطاه، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا يعرفه كبير أحدٍ. وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع أصواتاً كثيرة، فألقاها على جواريه، فأخذها عنه وغنين بها، وسمعها الناس منهن وممن أخذ عنهن. فلما أن صنع هذا الصوت:

هلا سقيتم بني جرمٍ أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلةٍ صادي

نسبه إلى مالك بن أبي السمح. وكان لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها داحة، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لما ندبه المأمون إلى مصر في أن يأخذها معه ، وكانت تغنيه، وأخذت هذا الصوت عن جواريه، وأخذه المغنون عنها ورووه لمالك مدة. ثم قدم عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون، وغني الصوت بحضرته ونسب إلى مالك، فضحك عبد الله ضحكاً كثيراً. فسئل عن القصة فصدق فيها واعترف بصنعة الصوت. فكشف المأمون عن ذلك. فلم يزل كل من سئل عنه يخبر عمن أخذه عنه، فتنتهي القصة إلى داحة ثم تقف ولا تعدوها.

فأحضرت داحة وسئلت فأخبرت بقصته؛ فعلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك.

ويقال: إن إسحاق لم يعجب من شيءٍ عجبه من عبد الله وحذقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال: ومن غنائه أيضاً: صوت:

راح صحبي وعاود القلب داء من حبيبٍ طلابه لي عناء
حسن الرأي والمواعيد لا يل فى لشيءٍ مما يقول وفاء
من تعزى عمن يحب فإني ليس لي ما حييت عنه عزاء

الغناء لابن طنبورة خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. ولحن عبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

ومنها:

فمن يفرح ببينهم فغيري إذ غدوا فرحا

شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه: صوت:

يا خليلي قد مللت ثوائي بالمصلى وقد شنئت البقيعا

بلغاني ديار هندٍ وسلمى وارجعا بي فقد هويت الرجوعا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وذكر الهشامي أنه لابن سريج. وذكر حبش أن فيه رملاً بالبنصر لإبراهيم. وفيه لحن لمعبدٍ ذكره حماد بن إسحاق عن أبيه و لم يجنسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إياه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سليمان بن عياش السعدي قال أخبرني السائب بن ذكوان راوية كثير قال : قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزبيري والمسيبي، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة موقوفاً عليه. وجمعت رواياتهم، وأكثر اللفظ للزبير بن بكار وخبره أتم: أن عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة، فزعموا أنه قدمها من أجل امرأةٍ من أهلها، فأقام بها شهراً؛ فذلك قوله:

يا خليلي قد مللت ثوائي بالمصلى وقد شننت البقيعا

خرج هو والأحوص إلى مكة فمرا بنصيب وكثير وتحاوروا: قال: ثم خرج إلى مكة، فخرج معه الأحوص واعتمرا .

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثيرٍ إنه قال: لما مرا بالروحاء استتلياني فخرجت أتلوهما، حتى لحقتهما بالعرج عند رواحهما. فخرجنا جميعاً حتى وردنا ودان ، فحبسهما النصيب وذبح لهما وأكرمهما، وخرجنا وخرج معنا النصيب. فلما جئنا كلية عدلنا جميعاً إلى منزل كثيرٍ، فقيل لنا: هبط قديداً ، فذكر لنا أنه في خيمةٍ من خيامها. فقال لي ابن أبي ربيعة: اذهب فادعه لي. فقال النصيب: هو أحمق وأشد كبراً من أن يأتيك. فقال لي عمر: اذهب كما أقول لك فادعه لي. فجئته، فهش لي وقال: اذكر غائباً تره، لقد جئت وأنا أذكرك. فأبلغه رسالة عمر؛ فحدد إلي نظرةً وقال: أما كان عندك من المعرفة ما يردعك عن إتياني بمثل هذه الرسالة! قلت: بلى والله! ولكني سترت عليك فأبى الله إلا أن يهتك سترك. فقال لي: إنك والله يا بن ذكوان ما أنت من شكلي؛ فقل لابن أبي ربيعة: إن كنت قرشياً فأنا قرشي. فقلت له: لا تترك هذا التلصق وأنت تقرف عنهم كما تقرف الصمغة! فقال: والله لأنا أثبت فيهم منك في سدوس. ثم قال: وقل له: إن كنت شاعراً فأنا أشعر منك. فقلت له: هذا إذا كان الحكم إليك. فقال: وإلى من هو ومن أولى بالحكم مني! وبعد هذا يا بن ذكوان فاحمد الله على لومك ؛ فقد منعك مني اليوم؟ فرجعت إلى عمر، فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما قال لك نصيب. فقال: وإن. فأخبرته فضحك وضحك صاحباه ظهراً لبطنٍ، ثم نهضوا معي إليه. فدخلنا عليه في خيمةٍ، فوجدناه جالساً على جلد كبشٍ، فوالله ما أوسع للقرشي. فلما تحدثوا ملياً فأفاضوا في ذكر الشعر ، أقبل على عمر فقال له: أنت تنعت المرأة فتنسب بها ثم تدعها وتنسب بنفسك. أخبرني يا هذا عن قولك:

قالت تصدى له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها وقد غمزته فأبى ثم اسبطرت تشتد في أثري
وقولها والدموع تسبقها لنفسدن الطواف في عمر

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجر. إنما توصف الحرة بالحياء والإباء والالتواء والبخل والامتناع، كما يقال هذا وأشار إلى الأحوص:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفرٍ وإني إلى معروفها لفقير

قال: فدخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء فيه. فلما استبان كثير ذلك فيه قال: أبطل آخرك أولك. أخبرني عن قولك:

فإن تصلي أصلك وإن تبيني بصرمك بعد وصلك لا أبالي
ولا ألفى كمن إن سيم صرماً تعرض كي يرد إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلاً لباليت ولو كسرت أنفك. ألا قلت كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

قال: فانكسر الأحوص، ودخلت النصيب أبهة. فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته، قال له: يا ابن السوداء، فأخبرني عن قولك:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت فواكبدي من ذا يهيم بها بعدي

أهمك من ينيكها بعدك! فقال نصيب: استوت القوق ، قال: وهي لعبة مثل المنقلة. ومن هذا الموضع ينفرد الزبير بروايته دون الباقين. قال سائب: فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر فقال له: قد أنصتنا لك فاسمع يا مذبوب إلي أخبرني عن تخيرك لنفسك لمن تحب حيث تقول:

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنًى بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدي وأجرب
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونضرب
وددت وبيت الله أنك بكرة خجان وأني مصعب ثم نهرب

نكون بعيري ذي غنًى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

وقال: تمنيت لها ولنفسك الرق والطرد والمسخ، فأي مكروهٍ لم تمن لها ولنفسك! لقد أصابها منك قول القائل: معاداة عاقلٍ خير من مودة أحمق. قال؛ فجعل يختلج جسده كله. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: إلي يا بن استها أخبرك بخبرك وتعرضك للشر وعجزك عنه وإهدافك لمن رماك. أخبرني عن قولك:

وقلن وقد يكذبن فيك تعيف وشؤم إذا ما لم تطع صاح ناعقه

وأعييتنا لا راضياً بكرامةٍ ولا تاركاً شكوى الذي أنت صادقه

فأدركت صفو الود منا فلمتنا وليس لنا ذنب فنحن موازقه

وألفيتنا سلماً فصدعت بيننا كما صدعت بين الأديم خوالقه

والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بؤت به على نفسك. قال: فخفق كما يخفق الطائر. ثم أقبل عليه النصيب فقال: أقبل علي يا زب الذباب! فقد تمنيت معرفة غائبٍ عندي علمه فيك حيث تقول:

وددت وما تغني الودادة أنني بما في ضمير الحاجبية عالم

فإن كان خيراً سرني وعلمته وإن كان شراً لم تلمني اللوائم

انظر في مرآتك واطلع في جيبك واعرف صورة وجهك، تعرف ما عندها لك . فاضطرب اضطراب العصفور، وقال القوم يضحكون. وجلست عنده؛ فلما هدأ شأوه قال لي: أرضيتك فيهم؟ فقلت له: أما في نفسك فنعم! فقد نحس يومك معهم، وقد بقيت أنا عليك. فما عذرك ولا عذر لك في قولك:

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلاً بحقلٍ لكم يا عز قد رابنا حقلا

نجاء الثريا كل آخر ليلةٍ يجودهما جوداً ويتبعه وبلا

ثم قلت في آخرها:

وما حسبت ضمرية حدرية سوى التيس ذي القرنين أن لها بعلا

أهكذا يقول الناس ويحك! ثم تظن أن ذلك قد خفي و لم يعلم به أحد، فتسب الرجال وتعيبهم! فقال: وما أنت وهذا؟ وما علمك بمعنى ما أردت؟ فقلت: هذا عجب من ذاك. أتذكر امرأة تنسب بها في شعرك وتستغزر لها الغيث في أول شعرك، وتحمل عليها التيس في آخره! قال: فأطرق وذل وسكن. فعدت إلى أصحابي فأعلمتهم ما كان من خبره بعدهم. فقالوا: ما أنت بأهون حجارته التي رمي بها اليوم منا. قال فقلت لهم: إنه لم يترني فأطلبه بذحلٍ، ولكني نصحته لئلا يخل هذا الإخلال الشديد، ويركب هذه العروض التي ركب في الطعن على الأحرار والعيب لهم .

شدد والي مكة في الغناء، فخرج فتية إلى وادي محسر وبعثوا لابن سريج فغناهم: أخبرني أحمد بن عبد العزيز

الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني ابن جامع عن السعيدي عن سهل بن بركة وكان يحمل عود ابن سريج قال:

كان على مكة نافع بن علقمة الكناني، فشدد في الغناء والمغنين والنبيذ، ونادى في المخنثين. فخرج فتية من قريش إلى بطنٍ محسرٍ وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم برواية من الشراب الطائفي. فلما شربوا وطربوا قالوا: لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا. فقلت: هو علي لكم. فقال لي بعضهم: دونك تلك البغلة فاركبها وامض إليه. فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه. فقال لي: ويحك! وكيف لي بذاك مع شدة السلطان في الغناء وندائه فيه؟ فقلت له: أفتردهم؟ قال: لا والله! فكيف لي بالعود؟ فقلت له: أنا أحبؤه لك فشأنك. فركب وسترت العود وأردفني فلما كنا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل، فقال لي: يابن بركة هذا الأمير! فقلت: لا بأس عليك، أرسل عنان البغلة وامض ولا تخف، ففعل. فلما حاذيناه عرفني و لم يعرف ابن سريج، فقال لي يابن بركة: من هذا أمامك؟ فقلت: ومن ينبغي أن يكون! هذا ابن سريج. فتبسم ابن علقمة ثم تمثل:

فإن تنج منها يا أبان مسلماً ... فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

ثم مضى ومضينا. فلما كنا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح، فقلت له: غن مرتجلاً؛ فرفع صوته فخيل إلي أن الشجرة تنطق معه، فغنى: صوت:

كيف الثواء ببطن مكة بعد ما ... هم الذين تحب بالإنجاد

أم كيف قلبك إذ ثويت مخمراً ... سقماً خلافهم وكربك بادي

هل أنت إن ظعن الأحبة غادي ... أم قبل ذلك مدلج بسواد

الشعر للعرجي. وذكر إسحاق في مجردة أن الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وحكى حماد ابنه أن اللحن لابن سريج قال سهل: فقلت: أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ولو أن كنانة كلها سمعتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة! المغرور من غره نافع. ثم قلت: زدني وإن كان القوم متعلقةً قلوبهم بك. فغنى وتناول عوداً من الشجرة فأوقع به على الشجرة؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن على العيدان إذا أخذها قضبان الدفلى. قال: والصوت الذي غنى: صوت:

لا تجمعي هجراً علي وغربةً ... فالهجر في تلف الغريب سريع

من ذا فديتك يستطيع لحبه ... دفعاً إذا اشتملت عليه ضلوع

فقلت: بنفسي أنت والله من لا يمل ولا يكد، والله ما جهل من فهمك! اركب فدتك نفسي بنا. فقال: أمهلني كما أمهلتك اقض بعض شأني. فقلت: وهل عما تريد مدفع! فقام فصلى ركعتين، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قال: يا حبيبتي إذا شهدت بذاك الشيء

فاشهدي بهذا. ثم مضينا والقوم متشوقون. فلما دنونا أحست الدواب بالبغلة فصهلت، وشححت البغلة، وإذا الغريض يغنيهم لحنه:

من خيل حيٍ ما تزال مغيرةً سمعت على شرفٍ صهيل حصان

فبكى ابن سريج حتى ظننت أن نفسه قد خرجت، فقلت: ما يبكيك يا أبا يحيى؟ جعلت فداك لا يسوءك الله ولا يريك سوءاً ! قال: أبكاني هذا المخنث بحسن غنائه وشجا صوته؛ والله ما ينبغي لأحدٍ أن يغني وهذا الصبي حي . ثم نزل فاستراح وركب. فلما سار هنيهة اندفع الغريض فغناهم لحنه:

يا خليلي قد مللت ثوائي بالمصلى وقد شننت البقيعا

قال: ولصوته دوي في تلك الجبال. فقال ابن سريج: ويلك يابن بركة! أسمعت أحسن من هذا الغناء والشعر قط؟ قال: ونظروا إلينا فأقبلوا نشاوى يحبون أعطافهم، وجعلوا يقبلون وجه ابن سريج. فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطق بحرف واحد ، وأخذوا في شرابهم وقالوا: يا حبيب النفس وشقيقها أعطها بعض مناها؛ فضرب بيده إلى جيبه فأخرج منه مضراباً، ثم أخذه بيده ووضع العود في حجره، فما رأيت يداً أحسن من يده، ولا خشبةً تخيلت إلي أنها جوهرة إلا هي، ثم ضرب فلقد سبح القوم جميعاً ثم غنى فكل قال: لبيك لبيك! فكان مما غنى فيه واللحن له هزج: صوت:

لبيك يا سيدتي لبيك ألفاً عددا
لبيك من ظالمةٍ أحببتها مجتهدا
قوموا إلى ملعبنا نحك الجواري الخردا
وضع يدٍ فوق يدٍ ترفعها يداً يدا

فكل قال: نفعل ذاك. فلقد رأيتنا نستبق أينا تقع يده على يده. ثم غنى: صوت:

ما هاج شوقك بالصرائم ربع أحال لأم عاصم
ربع تقادم عهده هاج المحب على التقادم
فيه النواعم والشبا ب الناعمون مع النواعم
من كل واضحة الجبي ن عيميةٍ ريا المعصم

ثم إنه غنى: صوت:

شجاني مغاني الحي وانشقت العصا وصاح غراب البين أنت مريض
ففاضت دموعي عند ذاك صبابةً وفيهن خود كالمهاة غضيض
ووليت الغناء محزون الفؤاد مروعاً كتيباً ودمعي في الرداء يفيض

الغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن جندب قال: فلقد رأيت جماعة طيرٍ وقعن بقربنا وما نحس قبل ذلك منها شيئاً؛ فقالت الجماعة: يا تمام السرور وكمال المجلس! لقد سعد من أخذ بحظه منك، وخاب من حرمك، يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا الله فداءك! غننا؛ فغنى واللحن له .

صوت:

يا هند إنك لو علم ت بعاذلين تتابعا

وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأن فيه طولاً فبدرت من بينهم فقبلت بين عينيه، فتهافت القوم عليه يقبلونه؛ فلقد رأيتني وأنا أرفعهم عنه شفقةً عليه .

ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغان: وفي هذه الأشعار التي تناشدها كثير وعمر ونصيب والأحوص أغان. منها: صوت:

أبصرتها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر

ما إن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلاً على قدر

بيضاً حساناً خرائداً قطفاً يمشين هوناً كمشية البقر

الشعر لعمر. والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشامي وحبشٍ. وذكر عمرو أن فيه لابن سريجٍ خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر. ولأبي سعيدٍ مولى فائد ثقيل أول، وقيل: إنه لسنان الكاتب. ومن هذه القصيدة أيضاً، وهذا أولها: صوت:

يا من لقلبٍ متيمٍ كمدٍ بهذي بخودٍ مريضة النظر

تمشي رويداً إذا مشت فضلاً وهي كمثل العسلوج مِ البسر

ما إن زال طرفي يحار إذ برزت حتى عرفت النقصان في بصري

غناه ابن محرز، ولحنه من خفيف ثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ومنها: صوت:

قالت لتربٍ لها تحدثها لنفسدن الطواف في عمر

قالت تصدي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها قد غمزته فأبى ثم استطيرت تشتد في أثري

غناء يونس خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن حبشٍ. وقيل: إن فيه لعبد الله بن العباس لحناً جيداً .

ومنها ما لم يمض ذكره في الكتاب: صوت:

ألا ليتنا يا عز من غير بغضةٍ بعيرين ترعى في الخلاء ونعزب

كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدي وأجرب

إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونضرب

الغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى عن حبشٍ .

فضلت عزة الأحوص في الشعر على كثير، فأنشدها فنقدته: أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة عن عوانة وعيسى بن يزيد: أن كثيراً دخل على عزة ذات يومٍ، فقالت له: ما ينبغي لنا أن نأذن لك في الجلوس. قال: و لم؟ قالت: لأني رأيت الأحوص ألين جانباً في شعره منك وأضرع خداً للنساء، وإنه لأشعر منك حين يقول:

يأيها اللائمي فيها لأصرمها أكثرت لو كان يغني منك إكثار

ارجع فلست مطاعاً إذ وشيت بها لا القلب سال ولا في حبها عار

وإني استرققت قوله:

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

وأعجبني قوله:

كم من دنيٍ لها قد صرت أتبعه ولو صحا القلب عنها كان لي تبعا

وزادني كلفاً بالحب أن منعت أحب شيءٍ إلى الإنسان ما منعا

وقوله أيضاً:

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فقال كثير: قد والله أجاد! فما الذي استجفيت من قولي؟ قالت: أخزاك الله! أما استحييت حين تقول:

يحاذرن مني غيرةً قد عرفنها لدي فما يضحكن إلا تبسما

فقال كثير:

وددت وبيت الله أنك بكرةً وأني مصعب ثم نهرب

كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدي وأجري

تكون لذي مالٍ كثيرٍ مغفلٍ فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

فقالت لي: ويحك! لقد أردت بي الشقاء الطويل، ومن المنى ما هو أعفى من هذا وأطيب .

أبيات من شعر أبي زبيد وبيان ألحانه: صوت:

قد كنت في منظرٍ ومستمعٍ عن نصر بهراء غير ذي فرس

لا ترة عندهم فتطلبها ولا هم نهزة لمختلس

بكف حران ثائرٍ بدم طلاب وترٍ في الموت منغمس

إما تقارش بك الرماح فلا أبكيك إلا للدلو والمرس

تذب عنه كف بها رمق طيراً عكوفاً كزور العرس

عما قليلٍ يصبحن مهجته فهن من والغٍ ومنتهس

الشعر لأبي زبيد الطائي. والغناء لابن محرز في الأول والثاني خفيف ثقيلٍ الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمر بن بانة أن في الأربعة الأول خفيفي ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمعبد وابن محرز، ووافقه الهشامي في لحن معبدٍ في الأول والثاني وذكر أنه بالوسطى. وفي كتاب ابن مسجحٍ عن حماد له، فيه لحن يقال إنه لابن محرز. ولابن سريج في الأول والخامس والسادس والسابع رمل بالوسطى عن عمرو. وذكر لنا حبش أن الرمل لمعبد وذكر إسحاق أنه لابن سريج أيضاً، وأوله:

تذب عنه كف بها رمق

وفيه لمالك في السادس والسابع خفيف صقيل آخر. وفيه لابن عائشة رمل. وفيه لحنينٍ ثاني ثقيل. هذه الحكايات الثلاث عن يونس، وطرائقها عن الهشامي. ولمخارقٍ في الرابع والأول خفيف رملٍ. ولمتيم في الأول والثاني خفيف رملٍ آخر. وذكر حبش أن لإبراهيم في الأول والثاني ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن مسجحٍ خفيف ثقيل بالوسطى .

أخبار أبي زبيد ونسبه

اسم أبي زبيد ونسبه: هو حرملة بن المنذر، وقيل المنذر بن حرملة، والصحيح حرملة بن المنذر بن معد يكرب ابن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنئ بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أددٍ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

كان نصرانياً ومخضرماً: وكان أبو زبيدٍ نصرانياً وعلى دينه مات. وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام فعد في المخضرمين .

جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة: وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين، وهم العجير السلولي وذووه وقد مضى أكثر أخباره مع أخبار الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

كان من زوار الملوك، وكان عثمان يقربه: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي إجازةً قال: حدثني محمد بن سلام الجمحي قال حدثني أبو الغراف قال: كان أبو زبيدٍ الطائي من زوار الملوك وخاصةً ملوك العجم، وكان عالماً بسيرهم. وكان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يقربه على ذلك ويدني مجلسه، وكان نصرانياً. فحضر ذات يومٍ عثمان وعنده المهاجرون والأنصار ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها .

استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد: قال: فالتفت عثمان إلى أبي زبيد وقال: يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك؛ فقد أنبئت أنك تجيد. فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيق ولع

ووصف فيها الأسد. فقال عثمان رضي الله تعالى عنه: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت. والله إني لأحسبك جباناً هداناً . قال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد ويتردد في قلبي، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم. فقال له عثمان رضي الله عنه: وأنى كان ذلك؟ قال: خرجت في صيابة أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ، ترتمي بنا المهارى بأكسائها ، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشأم؛ فاخروط بنا السير في حمارة القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه ، وذبلت الشفاه، وشالت المياه ، وأذكت الجوزاء المعزاء ، وذاب الصيهد ، وصر الجندب ، وضاف العصفور الضب وجاوره في حجره ، قال قائل: أيها الركب غوروا بنا في ضوج هذا الوادي، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدغل ، دائم الغلل ؛ شجراؤه مغنة، وأطياره مرنة . فحططنا رحالنا بأصول دوحاتٍ كنهبلاتٍ فأصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد. لإغنا لنصف يومنا ومماطلته ، إذ صر أقصى الخيل أذنيه ، وفحص الرض بيديه. فوالله ما لبث أن جال، ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافرٍ بشكاله ، وناهضٍ بعقاله؛ فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبع، ففزع كل رجلٍ منا إلى سيفه فاستله من جربانه ، ثم وقفنا له رزدقاً أي صفاً وأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته من نعته كأنه مجنوب ، أو في هجارٍ معصوب ؛ لصدره نحيط ، ولبلاعمه غطيط، ولطرفه وميض، ولأرساغه نقيض ؛ كأنما يخبط هشيماً، أو يطأ صريما ، وإذا هامة كالمجن ، وخد كالمسن ، وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة ربلة ، ولهزمة رهلة وكتد مغبط ، وزور مفرط ؛ وساعد مجدول، وعضد مفتول؛ وكف شثنة البراثن ، إلى مخالب كالمحاجن . فضرب بيده فأرهج ، وكشر فأفرج، عن أنيابٍ كالمعاول مصقولة، غير مفلولة، وفم أشدق كالغار الأخرق؛ ثم تمطى فأسرع بيديه، وحفز وركيه برجليه، حتى صار ظله مثليه؛ ثم أقعى فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر . فلا وذو بيته في السماء ما اتقيناه إلا بأول أخٍ لنا من فزارة، كان ضخم الجزارة ، فوقصه ثم نفضه نفضةً فقضقض متنيه ، فجعل يلغ في دمه. فتذمرت أصحابي ، فبعد لأي ما استقدموا. فهجهجنا به، فكر مقشعراً بزبرته ، كأن به شيهماً حولياً ، فاختلج رجلاً أعجر ذا حوايا ، فنفضه نفضةً تزايلت منها مفاصله، ثم نهم ففرفر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ ، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه، من عن شماله ويمينه، فأرعشت الأيدي، واصطكت الأرجل، وأطت الضلاع ، وارتجت الأسماع، وشخصت العيون، وتحققت الظنون، وانخزلت المتون. فقال له عثمان: اسكت قطع الله لسانك! فقد أرعبت قلوب المسلمين .

خوفه من الأسد: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال حدثني العمري قال حدثني

شعبة قال: قلت للطرماح بن حكيم: ما شأن أبي زبيدٍ وشأن الأسد؟ فقال: إنه لقيه بالنجف ، فلما رآه سلح من فرقه وقال مرة أخرى: فسلحه فكان بعد ذلك يصفه كما رأيت .

شعره في ضربة المكاء: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبي عمن يثق به أن رجلاً من طيئٍ من بني حية نزل به رجل من بني الحارث بن ذهل بن شيبان يقال له المكاء ، فذبح له شاةً وسقاه الخمر، فلما سكر الطائي قال: هلم أفاخرك: أبنو حية أكرم أم بنو شيبان؟ فقال له الشيباني: حديث حسن ، ومنادمة كريمة أحب إلينا من المفاخرة، فقال الطائي: والله ما مد رجل قط يداً أطول من يدي. فقال الشيباني: والله لئن أعدتها لأخضبنها من كوعها. فرفع الطائي يده، فضربها الشيباني بسيفه فقطعها . فقال أبو زبيدٍ في ذلك:

خبرتنا الركبان أن قد فخرتم ... وفرحتم بضربة المكاء

ولعمري لعارها كان أدنى ... لكم من تقىً وحق وفاء

ظل ضيفاً أخوكم لأخينا ... في صبوح ونعمةٍ وشواء

ثم لما رآه رانت به الخم ... ر وأن لا يريبه باتقاء

لم يهب حرمة النديم وحقت ... يا لقومٍ للسوءة السوءاء

ما قاله في كلبه أكدر حين لقيه الأسد فقتله:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمي عبيد الله بن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان لأبي زبيدٍ كلب يقال له أكدر، وكان له سلاح يلبسه أياه، فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه، فلقيه الأسد فقتله، ويقال: أخذه فأفلت منه، فقال عند ذلك أبو زبيد:

أحال أكدر مختالاً كعادته ... حتى إذا كان بين البئر والعطن

لاقى لد ثلل الأطواء داهيةً ... أسرت وأكدر تحت الليل في قرن

حطت به شيمة ورهاء تطرده ... حتى تناهى إلى الحولات في السنن

إلى مقابل خطو الساعدين له ... فوق السراة كذفرى الفالج القمن

رئبال غابٍ فلا قحم ولا ضرع ... كالبغل يحتطم العلجين في شطن

لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم: وهي قصيدة طويلة. فلامه العرب على كثرة وصفه للأسد، وقالوا له: قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له. قال: لو رأيتم منه ما رأيت أو لقيكم ما لقي أكدر لما لمتموني. ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك في شعره حتى مات .

وصف النعمان بن المنذر وذكر ما حدث في مجلس له: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيدٍ السكري قال حدثني هارون بن مسلم ابن سعدان أبو القاسم قال حدثنا هشام ابن الكلبي قال: كان الأجلح

الكندي يحدث عن عمارة ابن قابوس قال: لقيت أبا زبيد الطائي فقلت له: يا أبا زبيد هل أتيت النعمان بن المنذر؟ قال: إي والله لقد أتيت وجالسته. قال قلت: صفه لي. فقال: كان أحمر أزرق أبرش قصيراً. فقلت له: بالله أخبرني أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم؟ قال: لا والله ولا سودها؛ فقد رأيت ملوك حمير في ملكها، ورأيت ملوك غسان في ملكها، فما رأيت أحداً قط كان أشد عزاً منه. وكان ظهر الكوفة ينبت الشقائق، فحمى ذلك المكان، فنسب إليه فقيل شقائق النعمان .

فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير، وكأنه باز. فقام رجل من الناس فقال له: أبيت اللعن! أعطني فإني محتاج. فتأمله طويلاً ثم أمر به فأدني حتى قعد بين يديه، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأها في وجهه حتى سمعنا قرع العظم، وخضبت لحيته وصدره بالدم، ثم أمر به فنحي. ومكثنا ملياً .

ثم نهض آخر فقال له: أبيت اللعن! أعطني. فتأمله ساعةً ثم قال: أعطوه ألف درهم، فأخذها وانطلق.

ثم التفت عن يمينه ويساره وخلفه، فقال: ما قولكم في رجلٍ أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة، أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي؟ فقلنا له: أنت أبيت اللعن أعلى برأيك عيناً. فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذبح .

ثم قال: ألا تسألوني عما صنعت؟ فقلنا: ومن يسألك أبيت اللعن عن أمرك وما تصنع؟ فقال: أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد، فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من شراب أو لبن، فتناولته لأشرب منه، فثار إلي فهراق الإناء فملأ وجهي وصدري، فأعطيت الله عهداً لئن أمكنني منه لأخضبن لحيته وصدره من دم وجهه .

وأما الآخر فكانت له عندي يد كافأته بها، و لم أكن أثبته، فتأملته حتى عرفته .

وأما الذي ذبحته فإن لي عيناً لي بالشام كتب إلي: إن جبلة بن الأيهم قد بعث إليك برجل صفته كذا وكذا ليغتالك. فطلبته أياماً فلم أقدر عليه، حتى كان اليوم .

مات نديم له في غيبته فرثاه وصب الخمر على قبره: أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان لأبي زبيدٍ نديم يشرب معه بالكوفة، فغاب أبو زبيد غيبةً، ثم رجع فأخبر بوفاته، فعدل إلى قبره قبل دخوله منزله، فوقف عليه ثم قال:

يا هاجري إذ جئت زائره ... ما كان من عاداتك الهجر

يا صاحب القبر السلام على ... من حال دون لقائه القبر

ثم انصرف. وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرب عنده ويصب الشراب على قبره .

والأبيات التي فيها الغناء المذكور يقولها في غلامٍ له قتلته تغلب، وكان مجاوراً فيهم، فدل بهراء على عورتهم وقاتلهم معهم فقتل .

شعره في غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه: أخبرني بخبره أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام. وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كان أخوال أبي زبيد بني تغلب، وكان يقيم فيهم أكثر أيامه، وكان له غلام يرعى إبله، فغزت بهراء بني تغلب، فمروا بغلامه، فدفع إليهم إبل أبي زبيد وقال: انطلقوا أدلكم على عورة القوم وأقاتل معكم. ففعلوا، والتقوا، فهزمت بهراء وقتل الغلام، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهي:

هل كنت في منظرٍ ومستمع ... عن نصر بهراء غير ذي فرس

تسعى إلى فتية الأراقم واس ... ستعجلت قبل الجمان والقبس

في عارضٍ من جبال بهرائها ال ... أولى مرين الحروب عن درس

فبهرة من لقوا حسبتهم ... احلى وأشهى من بارد الدبس

لا ترة عندهم فتطلبها ... ولا هم نهزة لمختلس

جود كرام إذا هم ندبوا ... غير لئامٍ ضجرٍ ولا كسس

صمت عظام الحلوم إن قعدوا ... عن غير عي بهم ولا خرس

تقود أفراسهم نساؤهم ... يزجون أجمالهم مع الغلس

صادفت لما خرجت منطلقاً ... جهم المحيا كباسلٍ شرس

تخال في كفه مثقفةً ... تلمع فيها كشعلة القبس

بكف حران ثائرٍ بدمٍ ... طلاب وترٍ في الموت منغمس

إما تقارن بك الرماح فلا ... أبكيك إلا للدلو والمرس

حمدت أمري ولمت أمرك إذ ... أمسك جلز السنان بالنفس

وقد تصليت حر نارهم ... كما تصلى المقرور من قرس

تذب عنه كف بها رمق ... طيراً عكوفاً كزور العرس

عما قليلٍ علون جئته ... فهن من والغ ومنتهس

أخذ دية غلامه ثمن إبله من تغلب وقال شعراً: فلما فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله، فقال في ذلك:

ألا أبلغ بني عمرٍو رسولا ... فإني في مودتكم نفيس

هكذا ذكر ابن سلام في خبره، والقصيدة لا تدل على أنها قيلت فيمن أحسن إليه وودى غلامه ورد عليه ماله.
وفي رواية ابن حبيب:

ألا أبلغ بني نصر بن عمرٍو

وقوله أيضاً فيها:

فما أنا بالضعيف فتظلموني ... ولا جافي اللقاء ولا خسيس
أفي حقٍ مواساتي أخاكم ... بمالي ثم يظلمني السريس

السريس: الضعيف الذي لا ولد له وهذا ليس من ذلك الجنس. ولعل ابن سلام وهم .
من المعمرين: وأبو زبيد أحد المعمرين، ذكر ابن الكلبي أنه عمر مائة وخمسين سنة .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبراً .
كان يدخل مكة متنكراً لجماله: أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا محمد بن عبد الله العبدي أبو بكرة قال حدثني أبو مسعرٍ الجشمي عن ابن الكلبي قال: كان أبو زبيد الطائي ممن إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله .
منادمته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد علياً ومعاوية: وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال: لما صار الوليد بن عقبة إلى الرقة واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية، صار أبو زبيد إليه، فكان ينادمه، وكان يحمل في كل أحدٍ إلى البيعة مع النصارى. فبينا هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال:

إذا جعل المرء الذي كان حازماً ... يحل به حل الحوار ويحمل
فليس له في العيش خير يريده ... وتكفينه كيتاً أعف وأجمل

دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه: ومات فدفن هناك على البليخ . فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى أن يدفن إلى جنب أبي زبيد. وقد قيل: إن أبا زبيد مات بعد الوليد؛ فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد .
قال ابن الكلبي في خبره الذي ذكره إسحاق عنه: هرب أبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإبله فكان يقبله حلب الجمان والقيس ، وهما ناقتان كانتا له. فلما كان يوم حابس، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أبي زبيد مع بهراء، فقتل وانهزمت بهراء، فمر أبو زبيد به وهو يجود بنفسه، فقال فيه هذه القصيدة .

أخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن علي الأيوبي المدائني قالا حدثنا عقبة المطرفي قال: كنا في الحمام ومعي ابن السعدي وأنا أقرأ القرآن، فدخل سعد الرواسي فغنى:

قد كنت في منظر ومستمعٍ عن نصر بهراء غير ذي فرس

فقال ابن السعدي: اسكت اسكت! فقد جاء حديث يأكل الأحاديث .

أوصى له الوليد بن عقبة حين احتضر بالخمر ولحوم الخنازير: أخبرني عمي والحسن بن علي قالا حدثني العمري قال حدثني أحمد بن حاتم قال حدثني محمد بن عمرو الجماز قال حدثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطاب النحوي: أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتضر لأبي زبيد بما يصلحه في فصحه وأعياده، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك. فقال أهله وبنوه لأبي زبيد: قد علمت أنه لا يحل لنا هذا في ديننا، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقك، فقدره لنفسك ما شئت أن تعيش، وقوم ما أوصى به لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا، واحفظه واحفظنا فيه، ففعل أبو زبيد ذلك، وقبله منهم .

صوت:

هل تعرف الدار من عامين أو عام دار لهندٍ بجزع الحرج فالدام

تحنو لأطلائها عين ملمعة سفع الخدود بعيدات من الرامي

الحرج والدام: موضعان، ويروي مذ عامين. وهذا الأجود، وكلاهما روي. وعين: بقر. وأطلاؤها: أولادها، واحدها طلاً. ويروى: بعيدات من الذام، هو الذي يذم .

الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري حين توليته العراق: الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعري لما ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه العراق . والغناء لمالك، خفيف رملٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر أن فيه لابن مجامع أيضاً صنعةً .

قال محمد بن حبيب: أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه، فأخبره أن العدة قد تمت، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها، وأولها:

هل تعرف الدار من عامين أو عام دار الهند بجزع الحرج فالدام

وفيها يقول:

وجحفلٍ كسواد الليل منتجعٍ أرض العدو ببؤسٍ بعد إنعام

جمعت من عامرٍ فيه ومن أسدٍ ومن تميم ومن جاء ومن حام

حاء من مذحج، وحام من خثعم

وما رضيت لهم حتى رفدتهم من وائل رهط بسطامٍ بأصرام

وفيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء محكمةٍ من نسج سلام

يعني سليمان النبي

وكل أجرد كالسرحان أضمره مسح الأكف وسقى بعد إطعام

مستحقباتٍ رواياها جحافلها يسمو بها أشعري طرفه سام

الروايا: الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم، وتجنب الخيل إليها فتضع حجافلها على أعجاز الإبل

لا يزجر الطير إن مرت به سنحاً ولا يفيض على قدحٍ بأزلام

وقال المدائني: لما مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى وقد كان كتب من أراد وكملت العدة فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب يلومه، فكتب إليه: إني اشتريت منه عرضي، فكتب إليه: أحسنت. قال: وزاد فيه حماد الراوية أنه يعني نفسه أنشدها بلال بن أبي بردة و لم يكن عرفها فوصله .

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قدم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حماد! فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى، فقال له: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أذعها تذهب في الناس .

وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها، وتحالفوا ألا يولوا عليها إلا من يريدون .

وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص واختلافهم في تفضيل السهل على الجبل وما ترتب على ذلك: أخبرني بالسبب في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال:

كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه، فتذاكروا يوماً السهل والجبل، فقال حسان بن محدوج: سهلنا خير من جبلنا: أكثر براً وشعيراً، فيه أنهار مطردة، ونخل باسقات، وقلت فاكهة ينبتها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها. فقال له عبد الرحمن بن حبيش: صدقتم، وددت أنه للأمير وأن لكم أفضل منه. فقال الأشتر للأمير: تمن للأمير أفضل ولا تتقرب إليه بأموالنا، فقال: ما ضرك ذلك. والله لويشاء أن يكون له لكان. قال كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه. فقال سعيد: والله ما السواد إلا بستان لقريش، ما شئنا أخذنا منه، وما شئنا تركنا. فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا! ثم ضربوا عبد الرحمن بن حبيش حتى سقط .

قال المدائني فحدثني علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبي ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبي قال: بيننا القراء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمراً وزبداً إذ قال سعيد: السواد بستان قريش، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا. فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد: صدق الأمير. فوثب عليه القراء فضربوه، وقالوا له: يا عدو الله، يقول الباطل وتصدقه! فقال سعيد: اخرجوا من داري. فخرجوا، فلما أصبحوا

أتو المسجد فداروا على الحلق فقالوا: إن أميركم زعم أن السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركز رماحنا، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا. فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه: إن قبلي قوماً يدعون القراء وهم السفهاء، وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفوا بي. منهم عمرو بن زرارة، وكميل بن زياد، والأشتر وحرفوص بن هبيرة، وشريح بن أوفى، ويزيد بن المكفف، وزيد وصعصعة ابنا صوحان وجندب بن عبد الله. فكتب إليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغروا مغازيهم. وكتب إلى سعيد: قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإني أراهم لا يخالفون إن شاء الله، واتق الله جل وعز وأحسن السيرة. فأقرأهم الكتاب. فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال: إنكم قدمتم بلداً لا يعرف أهله إلا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشك قلوبهم. فقال له الأشتر: إن الله جل وعز قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبينوه للناس ولا يكتموه. فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه. فقال: قد خفت أن تكونوا مرصدين للفتنة، فاتقوا الله " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " فقال عمر بن زرارة: نحن الذين هدى الله. فأمر معاوية بحبسهم. فقال له زيد بن صوحان: إن الذين أشخصونا إليك لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا. فأحسنوا جوارنا، وإن كنا ظالمين فنستغفر الله، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية. فقال له معاوية: إني لأرى حبسك أمراً صالحاً، فإن أحببت أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت. قال حسبي أن تأذن لي وتكتب إلى سعيد. فكتب إليه، فأذن له، فلما أراد زيد الشخوص كلمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما. وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه؛ ثم أشخصهم معاوية إلى حمص، فكانوا بها، حتى أجمع أهل الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائني حدثني الوقاصي عن الزهري: أن أهل الكوفة لما تقدموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم: أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه. ففعل، فلم يحققوا عليه شيئاً إلا قوله: السواد بستان قريش، وأثنى عليه الآخرون عليه. فقال عثمان: أرى أصحابكم يسألون إقراره، و لم يثبتوا عليه إلا كلمةً واحدة، لم ينتهك بها لأحد حرمةً. ولا أرى عزله إلا أن تثبتوا عليه ما لا يحل لأحد تركه معه. فانصرفوا إلى مصركم. فرجع سعيد والفريقان معه، وتقدمهم علي بن الهيثم السدوسي حتى دخل رحبة المسجد فقال: يا أهل الكوفة إنا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا، ونحن نرى أنه سيصرفه عنا، فرده إلينا وهو يزعم أن السواد بستان له. وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم. فقالوا لا نرضى .

الأشتر يخطب محرضاً على عثمان:

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وذكر عثمان رضي الله عنه فحرض عليه ثم قال: من كان يرى أن لله جل وعز حقاً فليصبح بالجرعة، ثم قال لكميل بن زياد: انطلق فأخرج ثابت بن قيس بن الخطيم، فأخرجه. واستعمل أهل الكوفة. أبا موسى الأشعري .

عثمان يخضع لقوة الرأي فيعزل سعيداً ويولي أبا موسى: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عفان قال حدثنا أبو محصنٍ قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال حدثني جهيم قال: أنا شاهد للأمر، قالوا لعثمان: إنك استعملت أقاربك. قال: فليقم أهل كل مصر فليسلموا صاحبهم. فقام أهل الكوفة فقالوا: اعزل عنا سعيداً واستعمل علينا أبا موسى الأشعري. ففعل .

ثناء امرأة على سعد بن أبي وقاص: قال أبو زيدٍ: وكان سعيد قد أبغضه أهل الكوفة لأمور: منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطه سعيد إلى مائة مائة. فقالت امرأة من أهل الكوفة تذم سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقاص:

فليت أبا إسحاق كان أميرنا ... وليت سعيداً كان أول هالك

يخطط أشراف النساء ويتقي ... بأبائهن مرهفات النيازك

هدية سعيد بن العاص إلى علي بن أبي طالب: حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن جرير الطبري قالا حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن الحارث بن حبيش قال: بعثني سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه: إني لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين. قال: فأتيت علياً فأخبرته، فقال: لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد صلى الله عليه وسلم. أما والله لئن وليتها لأنفضنها نفض القصاب لتراب الوذمة .

قال أبو جعفر: هذ غلط إنما هو لوذام التربة .

قال أبو زيد وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال: بعث سعيد ابن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلةٍ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال: والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسول بمثل قوت الأرملة، والله لئن بقيت لأنفضها نفض القصاب لوذام التربة. هكذا في هذه الرواية .

رب وعدٍ منك لا أنساه لي ... أوجب الشكر وإن لم تفعلي

أقطع الدهر بظن حسنٍ ... وأجلي غمرةً ما تنجلي

كلما أملت يوماً صالحاً ... عرض المكروه لي في أملي

وأرى الأيام لا تدني الذي ... أرتجي منك وتدني أجلي

عروضه من الرمل؛ الشعر لمحمد بن أمية، والغناء لأبي حشيشة، رمل طنبوري وفيه لحن لحسين بن محرز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن أبي عبد الله الهشامي .

أخبار محمد بن أمية وأخيه

علي بن أمية وما يغنى فيه من شعرهما:

نسب محمد بن أمية: سألت أحمد بن جعفرٍ جحظة عن نسبه قلت له: إن الناس يقولون ابن أمية وابن أبي أمية، فقال: هو محمد بن أمية بن أبي أمية .

منادمته إبراهيم بن المهدي: قال: وكان محمد كاتباً وشاعراً ظريفاً، وكان ينادم إبراهيم بن المهدي، وربما عاشر علي ابن هشام، إلا أن انقطاعه كان إلى إبراهيم، وربما كتب بين يديه. وكان حسن الخط والبيان. وكان أمية بن أبي أمية يكتب للمهدي على بيت المال. وكان إليه ختم الكتب بحضرته، وكان يأنس به لأدبه وفضله، ومكانه من ولائه، فزامله أربع دفعاتٍ حجها في ابتدائه ورجوعه .

قال جحظة: وحدثني بذلك أبو حشيشة .

إعجاب أبي العتاهية به في حضرة إبراهيم بن المهدي: وحدثني جحظة قال حدثني أبو حشيشة عن محمد بن علي بن أمية قال حدثني عمي محمد بن أمية قال:

كنت جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي، فدخل إليه أبو العتاهية وقد تنسك ولبس الصوف وترك قول الشعر إلا في الزهد، فرفعه إبراهيم وسر به، وأقبل له أبو العتاهية: أيها الأمير بلغني خبر فتًى في ناحيتك ومن مواليك يعرف بابن أمية يقول الشعر، وأنشدت له شعراً أعجبني، فما فعل؟ فضحك إبراهيم ثم قال: لعله أقرب الحاضرين مجلساً منك. فالتفت إلي فقال لي: أنت هو فديتك؟ فتشورت وخجلت وقلت له: أنا محمد بن أمية جعلت فداءك! وأما الشعر فإنما أنا شاب أعبث بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشاب؛ فقال لي: فديتك، ذلك والله زمان الشعر وغبانه، وما قيل فيه فهو غرره وعيونه، وما قصر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومئ إليه أبلغ وأملح. ومازال ينشطني ويؤنسني حتى أرى أني قد أنست به، ثم قال لإبراهيم بن المهدي: إن رأى الأمير أكرمه الله أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر. فقال لي إبراهيم: بحياتي يا محمد أنشده. فأنشدته:

رب وعد منك لا أنساه لي أوجب الشكر وإن لم تفعلي

وذكر الأبيات الأربعة. قال: فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل يردد البيت الأخير منها وينتحب، وقام فخرج وهو يردده ويبكي حتى خرج إلى الباب .

هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها: أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال: كان عمي محمد بن أمية يهوى جاريةً مغنيةً يقال لها خداع كانت لبعض جواري خال المعتصم، فكان يدعوها، ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها أتباعاً لمسرته. وأراد المعتصم الخروج والتأهب للغزو، وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهب، فدعاه بعض أخوانه قبل خروجهم بيوم، فلما أضحى النهار جاء من المطر أمر عظيم لم يقدر معه أحد أن يطلع رأسه من داره، فكاد محمد أن يموت غماً، فكتب إلى صديقه الذي دعاه وقد كان ركب إليه ثم رجع لشدة المطر ، و لم يقدر على لقائه:

تمادى القطر وانقطع السبيل من الإلفين إذ جرت السيول

على أني ركبت إليك شوقاً ... ووجه الأرض أودية تجول

وكان الشوق يقدمني دليلاً ... وللمشتاق معتزماً دليل

فلم أجد للسبيل إلى حبيبٍ ... أودعه وقد أفد الرحيل

وأرسلت الرسول فغاب عني ... فيالله ما فعل الرسول!

وقال في ذلك أيضاً:

مجلس يشفى به الوطر ... عاق عنه الغيم والمطر

رب خذ لي منهما فهما ... رحمة عمت ولي ضرر

ما على مولاي معتبة ... عذره بادٍ ومستتر

شغلت عيني بعبرتها ... واستمالت قلبي الفكر

قال: ثم بيعت خداع هذه فاشتراها بعض ولد المهدي وكان يترل شارع الميدان، فحجبت عنه وانقطع ما بينهما إلا مكاتبةً ومراسلةً .

قال محمد بن علي فأنشدني يوماً عمي محمد لنفسه فيها:

خطرت الهوى بذكر خداعٍ ... هجن شوقي لا دارسات الطلول

حجبت أن ترى فلست أراها ... وأرى أهلها بكل سبيل

وإذا جاءها الرسول رآها ... ليت عيني مكان عين الرسول

قد أتاك الرسول ينعت ما بي ... فاسمعي منه ما يقول وقولي

وقال فيها أيضاً:

بناحية الميدان درب لو أنني ... أسميه لم أرشد وإن كان مفسدي

أخاف على سكانه قول حاسدٍ ... يشير إليهم بالجفون وباليد

وصائف أبكار وعون نواطق ... بألسنةٍ تشفي جوى الهائم الصدي

يقاربن أهل الود بالقول في الهوى ... وما النجم من معروفهن بأبعد

يزدن أخا الدنيا مجوناً وفتنة ... ويشغفن قلب الناسك المتعبد

وليلة وافى النوم طيف سرى به ... إلي الهوى منهن بعد تجرد

فقاسمته الأشجان نصفين بيننا ... وأوردته من لوعة الحب موردي

ونلت الذي أملت بعد تمنع ... وعاهدته عهد امرئ متوكد

فلما افترقنا خاس بالعهد بيننا وأعرض إعراض العروس من الغد

فواندما ألا أكون ارتهنته لأخبره في حفظ عهدٍ وموعد

إعجاب أبي العتاهية بشعره:

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال قال لي محمد بن أبي العتاهية: سمع أبي يوماً مخارقاً يغني:

أحبك حباً لو يفض يسيره على الخارق مات الخلق من شدة الحب

وأعلم أني بعد ذاك مقصر لأنك في أعلى المراتب من قلبي

فطرب ثم قال له: من يقول هذا يا أبا المهنا؟ قال: فتى من الكتاب يخدم الأمير إبراهيم بن المهدي. فقال: تعني محمد بن أمية؟ قال: نعم. قال أحسن والله، وما يزال يأتي بالشيء المليح يبدو له .

مزاحه مع مسلم بن الوليد: أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهرٍ قال حدثني أحمد بن أمية بن أبي أمية قال: لقي أخي محمد بن أمية مسلم بن الوليد وهو يمشي وطويلته مع بعض رواته، فسلم عليه ثم قال له: قد حضرني شيء؛ فقال: على أنه مزاح لا يغضب منه؛ قال: هاته ولو أنه شتم. فقال:

من رأى فيما خلا رجلاً تيهه يربي على جدته

يباهي راجلاً وله شاكري في قلنسيته

فسكت عنه مسلم و لم يجبه، وضحك منه محمد وافترقا .

مداعبة مسلم له حين نفق برذونه: قال: وكان لمحمد بن أمة برذون يركبه، فلقيه مسلم وهو راجل فقال: ما فعل برذونك؟ قال: نفق. قال: الحمد لله، فنجازيك إذاً على ما كان منك إلينا. ثم قال مسلم:

قل لابن مي لا تكن جازعاً لن يرجع البرذون بالليت

طامن أحشاؤك فقدانه وكنت فيه عالي الصوت

وكنت لا تزال عن ظهره ولو من الحش إلى البيت

ما مات من حتف ولكنه مات من الشوق إلى الموت

تعلقه بإحدى الجواري وما كان بينهما:

وأشيري إلي من هو بالحـ ظ ليخفى على الذين لديك

وأقلي المزاح في المجلس اليو م فإن المزاح بين يديك

فقالت له: ما أعرفه، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقفاً. فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما. قال: تغنى بشعر له عمرو الغزال فتطير إبراهيم بن المهدي وعلم من في المجلس بنكبة البرامكة: حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني بعض من كان يختلط بالبرامكة قال: كنت عند إبراهيم بن المهدي، وقد اصطبحنا وعنده عمرو بن بانة، وعبيد الله بن أبي غسان، ومحمد بن عمرو الرومي، وعمرو الغزال، ونحن في أطيب ما كنا عليه إذ غنى عمرو الغزال، وكان إبراهيم بن المهدي يستثقله، إلا أنه كان يتخفف بين يديه ويقصده، ويبلغه عنه تقديم له وعصبية، فكان يحتمل ذاك منه، فاندفع عمرو الغزال، فتغنى في شعر محمد بن أمية:

ماتم لي يوم سرورٍ بمن أهواه مذ كنت إلى الليل

أغبط ما كنت بما نلته منه أتتني الرسل بالويل

لا والذي يعلم كل الذي أقول ذي العزة والطول

ما رمت مذ كنت لكم سخطةً بالغيب في فعل ولا قول

قال: فتطير إبراهيم، ووضع القدح من يده، وقال: أعوذ بالله من شر ما قلت. فوالله ما سكت وأخذنا نتلافى إبراهيم إذ أتى حاجبه يعدو فقال: مالك ؟ فقال: خرج الساعة مسرور من دار أمير المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى، فلم يلبث أن خرج ورأسه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته . فقال إبراهيم: " إنا لله وإنا إليه راجعون " ارفع يا غلام ارفع. فرفع ما كان بين أيدينا، وتفرقنا فما رأيت عمراً بعدها في داره .

كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى بن بسخنر قال:

كنت عند إبراهيم بن المهدي بالرقة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أمية في يوم من حزيران، فلما هممنا بذلك هبت الجنوب، وتلطخت السماء بغيم ، وتكدر ذلك اليوم، فترك إبراهيم بن المهدي الشرب ولحقه صداع، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب، فافترقنا؛ فقال لي محمد بن أمية: ما أحب إلي ما كرهتموه من الجنوب! فإن أنشدتك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم؟ قلت: نعم. فأنشدني:

إن الجنوب إذا هبت وجدت لها طيباً يذكرني الفردوس إن نفحا

لما أتت بنسيم منك أعرفه شوقاً تنفست واستقبلتها فرحا

فانصرفت معه إلى مترله، وغنيت في هذين البيتين وشربنا عليهما بقية يومنا .

ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع: وجدت في بعض الكتب بغير إسنادٍ: أهدت جارية يقال لها خداع إلى محمد بن أمية، وكان يهواها تفاحةً مفلجةً منقوشةً مطيبةً حسنةً، فكتب إليها محمد:

خداع أهديت لنا خدعةً تفاحة طيبة النشر

ما زلت أرجوك وأخشى الهوى معتصماً بالله والصبر

حتى أتتني منك في ساعةٍ زحزحت الأحزان عن صدري

حشوتها مسكا ونقشتها ونقش كفيك من النحر

سقياً لها تفاحة أهديت لو لم تكن من خدع الدهر

التقى بجارية يهواها وشعره في ذلك: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن جعفر اليقطيني قال: حدثني أبي جعفر بن علي بن يقطين قال: كنت أسيراً أنا ومحمد بن أمية في شارع الميدان، فاستقبلتنا جارية كان محمد يهواها ثم بيعت وهي راكبة، فكلمها، فأجابته بجواب أخفته فلم يفهمه، فأقبل علي وقد تغير لونه فقال:

يا جعفر بن علي وابن يقطين أليس دون الذي لاقيت يكفيني

هذا الذي لم تزل نفسي تخوفني منها فأين الذي كانت تمنيني

خاطرت إذ أقبلت نحوي وقلت لها تفديك نفسي فداءً غير ممنون

فخاطبتني بما اخفته فانصرفت نفسي بظنين مخشي ومأمون

تمثل المنتصر ببيت له: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال: كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءته رقعة لا أعلم ممن هي، فقرأها وتبسم ثم إنه أقبل علي وأنشد:

لطافة كاتبٍ وخشوع ضبٍ وفطنة شاعرٍ عند الجواب

ثم أقبل علي فقال: من يقول هذا يا يزيد؟ فقلت: محمد بن أمية يا أمير المؤمنين. فضحك وقال: كأنه والله يصف ما في هذه الرقعة .

عاتبه أخوه وابن قنبر لما لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يحبها: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال: كنت أنا وابن قنبر عند محمد بن أمية بعقب بيع جاريةٍ كان يحبها وقد لحقه عليها وله كالجنون، فجعل ابن قنبرٍ وأخوه علي بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال:

لو كنت جربت الهوى يا بن قنبرٍ كوصفك إياه لألهاك عن عذلي

أنا وأخي الأدنى وأنت لها الفدا وإن لم تكونا في مودتها مثلي

أأن حجبت عني أجود لغيرها بودي وهل يغري المحب سوى البخل

أسر بأن قالوا تضن بودها عليك ومن ذا سر بالبخل من قبل

قال: فضحك ابن قنبر، وقال: إذا كان الأمر هكذا فكن أنت الفداء لها، وإن ساعدك أخوك فاتفقا على ذلك، وأما أنا فلست أنشط لأن أساعدك على هذا. وافترقنا .

قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحزور لمحمد بن أمية في جارية كان يهواها وقطع الصوم بينهما؛ فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خريمٍ المري:

قفا فابكيا إن كنتما تجدان ... كوجدي وإن لم تبكيا فدعاني

ففي الدمع مما تضمر النفس راحة ... إذا لم أطق إظهاره بلساني

أغص بأسراري إذا ما لقيتها ... فأبهت مشدوهاً أعض بناني

فيابن خريم يا أخي دون إخوتي ... ومن هو لي مثلي بكل مكان

تأمل أحظي من خداع وحبها ... سوى خدع تذكي الهوى وأماني

وأصبح شهر الصوم قد خال بيننا ... فيا ليت شوالا أتى بزمان

شعر له فيها استحسنه ابن المعتز: أنشدني جعفر بن قدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتز قال أنشدني أبو عبد الله الهشامي لمحمد بن أمية، وفيه غناء لمتيم، قال واستحسنه عبد الله: صوت:

عجباً عجبت لمذنبٍ متغضب ... لولا قبيح فعاله لم أعجب

أخداع، طال الفراش تقلبي ... وإليك طول تشوفي وتطربي

لهفي عليك وما يرد تلهفي ... قصرت يداي وعز وجه المطلب

الغناء لمتيم، فيه لحنان: رمل عن ابن المعتز، وخفيف رمل عن الهشامي. وهذا من شعر محمد فيها بعد أن بيعت.

قال: وغنتنا هزار هذا الصوت يومئذ .

أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها: حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني شيبة بن هشام قال: دعانا محمد ابن أمية يوماً ووجه إلى جاريةٍ كان يحبها فدعاها، وبعث إلى مولاها يحدرها مع رسوله، فأبطأ الرسول حتى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال: أخذوا مني الدراهم ثم ردوها علي، ورأيتهم مختلطين، ولهم قصة لم يعرفونيها، وقاولوا: ليست ها هنا فإن عادت بعثنا بها إليكم. فتنغص عليه يومه وتغير وجهه وتجمل لنا؛ ثم بكرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت، فوجم طويلاً ، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً. فما أنسى حرقة بكائه وهو ينشدني:

تخطى إلي الدهر من بين من أرى ... وسوء مقاديرٍ لهن شؤون

فشتت شملي دون كل أخي هوىً ... وأقصدني بل كلهم سيبين

ومهما تكن من ضحكة بعد فقدها فإني وإن أظهرتها لحزين

سلام على أيامنا قبل هذه إذ الدار دار والسرور فنون

قال ومضت على ذلك مدة. ثم أخبرني أنه اجتاز بها، وهي تنظر من وراء شباك، فسلم عليها فأومأت بالسلام إليه ودخلت، فقال:

تطالعني على وجلٍ خداع من الشبك التي عملت حديدا

مطالعتي ففي بالله حتى أزود مقلتي نظراً جديدا

فقالت :إن سها الواشون عنا رجونا أن تعود وان نعودا

وأنشدني أيضاً في ذلك: صوت:

يا صاحب الشبك الذي اس تخفى مكانك غير خاف

أفما رأيت تلددي بفناء قصرك واختلافي

أو ما رحمت تخشعي وتلفتي بعد انصرافي

صوت:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوةً أقرن إلى سير الركاب وأجنب

ويكون مركبك القعود وحدجه وابن النعامة يوم ذلك مركبي

عروضه من الكامل. قال ابن العرابي في تفسير قوله:

وابن النعامة يوم ذلك مركبي

ابن النعامة: ظل الإنسان أو الفرس أو غيره. قال جرير:

إذ ظل يحسب كل شيءٍ فارسا وير نعامة ظله فيحول

يعني بنعامة ظله جسده. وقال أبو عمرو الشيباني: النعامة ما يلي الأصابع في مقدم الرجل. يقول: مركبي يومئذٍ رجلي. وقال الجاحظ: ذكر علماؤنا البصريون: أن النعامة اسم فرسه. يقول: إني أشد على ركابي السرج فإذا صار للفرس وهو الذي يسمى النعامة ظل وأنا مقرون إليه صار ظله تحتي فكنت راكباً له. وجعل ظلها ها هنا ابنها .

الشعر للحارث بن لوذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة. وقال ابن سلام: لخزز لوذان. ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عنترة، وذلك خطأ. وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصلي. والغناء لعزة الميلاء. وأول لحنها:

لمن الديار عرفتها بالشربب ذهب الذين بها ولما تذهب

وبعده إن الرجال .

وطريقته من خفيف الثقيل الأول بالبنصر من روايتي حمادٍ وابن المكي. وفيه للهذيل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي. وفيه لعريب خفيف رمل. وفيه لعزة المرزوقية لحن. وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: هذا اللحن لريق، سلخت لحن ومخنث شهد الزفاف وقبله فجعلته لهذا، وهو لحن يشبه صنعة ابن سريج وصنعة حكم في محركاتهما، فمن هنا يغلط فيه ويظن أنه قديم الصنعة .

ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثت عن صالح بن حسان قال: كان ابن أبي عتيق معجباً بغناء عزة الميلاء كثير الزيارة لها، وكان يختار عليها قوله:

لمن الديار عرفتها بالشربب

فسألها يوماً زيارته فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه، فقال لها بعد أن استقر بها المجلس: يا عزة، أحب أن تغنيني صوتي الذي أنا له عاشق. فغنته هذا الصوت، فطرب كل الطرب وسر غاية السرور .

جارية ابن أبي عتيق ومعابثة فتى لها: وكانت له جارية، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعبث بها؛ فأعلمت ابن أبي عتيق بذلك؛ فقال لها: قولي له: وأنا أحبك؛ فإذا قال لك: وكيف لي بك؟ فقولي له: مولاي يخرج غداً إلى مال له، فإذا خرج أدخلتك المنزل. وجمع ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته ومعهم عزة الميلاء ، وأدخلت الجارية الرجل. وقال لعزة: غني فأعادت الصوت. وخرجت الجارية فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة، فقال لها: تعالي. فقالت: الآن آتيك. ثم عادت فدعاها ، فوثب فضرب بها الحجلة ، فوثب ابن أبي عتيق عليه هو وأصحابه، فقال لهم وهو غير مكترث: يا فساق ما يجلسكم ها هنا مع هذه المغنية!

فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له: استر علينا ستر الله تعالى عليك. فقالت له عزة: يابن الصديق ، ما أظرف هذا لولا فسقه! فاستحيا الرجل فخرج، وبلغه أن ابن أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان. فأقبل يعبث بها كلما خرجت، فشكت ذلك إلى مولاها، فقال لها: أو لم يرتدع من العبث بك!

قالت: لا. قال: فهيئي الرحى وهيئي من الطعام طحين ليلةٍ إلى الغداة. فقالت: أفعل يا مولاي. فهيأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها: عديه الليلة فإذا جاء فقولي له: إن وظيفتي الليلة طحن هذا البر كله ثم اخرجي من البيت واتركيه. ففعلت، فلما دخل طحنت الجارية قليلاً، ثم قالت له: إن كفت الرحى فإن مولاي جاءٍ إلي أو بعض من وكله بي، فاطحن حتى نأمن أن يجيئنا أحد، ثم أصير إلى قضاء حاجتك. ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته. وقد أمر ابن أبي عتيق عدة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهن ويتفقدن أمر الطحين ويحثثن الفتى عليه كما أمسك؛ ففعلن، وجعلن ينادينه كلما كف: يا فلانة إن مولاك مستيقظ؛ والساعة يعلم أنك كففت عن الطحن، فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفت عن

الطحن. فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهد في العمل والجارية تتعهد وتقول: قد استيقظ مولاي. والساعة ينام فأصير إلى ما تحب. فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح. فلما فرغ وعلمت الجارية أتته فقالت: قد أصبحت فانج بنفسك. فقال: أوقد فعلتها يا عدوة الله! فخرج تعباً نصباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وعاهد الله تعالى ألا يعود إلى كلامها، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً ينكر .

صوت:

أجد اليوم اليوم جيرتك احتمالاً وحث حداتهم بهم عجالا

وفي الأظعان آنسة لعوب ترى قتلى بغير دمٍ حلالا

عروضه من الوافر. الشعر للمتوكل الليثي، والغناء لابن محرز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن مسجح ثاني ثقيل آخر بالخنصر في مجرى البنصر عنه. وذكر حبش أن هذا اللحن لابن سريج، وفيه لإسحاق هزج .

نسب المتوكل الليثي وأخباره

نسبه: هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزارٍ. من شعراء الإسلام، وهو من أهل الكوفة. كان في عصر معاوية وابنه يزيد، ومدحهما. ويكنى أبا جهمة. وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة بن والقٍ، ويقال عند عكرمة بن ربعي الذي يقال له الفياض، فقدمه الأخطل .

وهذه القصيدة التي أولها الغناء قصيدة هجا بها عكرمة بن ربعي وخبره معه يذكر بعد .

أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير بن بكار عن عمه .

تناشد هو والأخطل الشعر:

وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: أخبرني هارون بن مسلم قال حدثني حفص بن عمر العمري عن لقيط بن بكير المحاربي قال: قدم الأخطل الكوفة فنزل على قبيصة بن والق، فقال المتوكل بن عبد الله الليثي لرجل من قومه: انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره. فأتياه فقالا: أنشدنا يا أبا مالك. فقال: إني لخائر يومي هذا. فقال له المتوكل: أنشدنا أيها الرجل، فوالله لا تنشدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري. قال: ومن أنت؟ قال: أنا المتوكل . قال: أنشدني ويحك من شعرك! فأنشده:

للغانيات بذي المجاز رسوم فببطن مكة عهدهن قديم

فبمنحر البدن المقلد من منًى حلل تلوح كأنهن نجوم

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

والهم إن لم تمضه لسبيله داء تضمنه الضلوع مقيم

غنى في هذه الأبيات سائب خاثرٍ من رواية حمادٍ عن أبيه و لم يجنسه .

قال وأنشده أيضاً:

الشعر لب المرء يعرضه والقول مثل مواقع النبل

منها المقصر عن رميته ونزافذ يذهبن بالخصل

قال وأنشده أيضاً:

إننا معشر خلقنا صدوراً من يسوي الصدور بالأذناب

قال له الأخطل: ويحك يا متوكل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس .

ما قاله في زوجته رهيمة حين طلبت الطلاق: قال الطوسي قال الأصمعي: كانت للمتوكل بن عبد الله الكناني امرأة يقال لها رهيمة ويقال أميمة وتكنى أم بكرٍ، فأقعدت، فسألته الطلاق، فقال: ليس هذا حين طلاق. فأبت عليه، فطلقها، ثم إنها برئت بعد الطلاق، فقال في ذلك:

طربت وشاقني يا ام بكرٍ دعاء حمامةٍ تدعو حماما

فبت وبات همي لي نجياً أعزى عنك قلباً مستهاما

إذا ذكرت لقلبك أم بكرٍ يبيت كأنما اغتبق المداما

خدلجة ترف غروب فيها وتكسو المتن ذا خصلٍ سخاما

أبى قلبي فما يهوى سواها وإن كانت مودتها غراما

ينام الليل كل خلي همٍ وتأبى العين مني أن تناما

أراعي التاليات من الثريا ودمع العين منحدر سجاما

على حين ارعويت وكان رأسي كأن على مفارقه ثغاما

سعى الواشون حتى أزعجوها ورث الحبل فانجذم انجذاما

فلست بزائلٍ ما دمت حياً مسراً من تذكرها هياما

ترجيها وقد شحطت نواها ومنتك المنى عاماً فعاما

خدلجة لها كفل وثير ينوء بها إذا قامت قياما

مخصرة ترى في الكشح منها على تثقيل أسفلها انهضاما

إذا ابتسمت تلألأ ضوء برق تهلل في الدجنة ثم داما
وإن قامت تأمل رائياها غمامة صيفٍ ولجت غماما
إذا تمشي تقول دبيب أيم تعرج ساعةً ثم استقاما
وإن جلست فدمية بيت عيدٍ تصان ولا ترى إلا لماما
فلو أشكو الذي أكشو إليها إلى حجرٍ لراجعني الكلاما
أحب دنوها وتحب نأيي وتعتام التنائي لي اعتياما
كأني من تذكر أم بكرٍ جريح أسنةٍ يشكو كلاما
تساقط أنفسا نفسي عليها إذا شحطت وتغتم اغتماما
غشيت لها منازل مقفراتٍ عفت إلا بالأياصر والثماما
ونؤيا قد تهدم جانباه ومبناها بذي سلم خياما
صليني واعلمي أني كريم وأن حلاوتي خلطت عراما
وأني ذو مجامحةٍ صليب خلقت لمن يماكسني لجاما
فلا وأبيك لا أنساك حتى تجاوب هامتي في القبر هاما

شعر آخر له في امرأته يمدح فيه حوشبا الشيباني: والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أول خبر المتوكل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حوشبا الشيباني، ويقول فيها:

إذا وعدتك معروفاً لوته وعجلت التجرم والمطالا
لها بشر نقي اللون صافٍ ومتن حط فاعتدل اعتدالا
إذا تمشى تأود جانباها وكاد الخصر ينخزل انخزالا
تنوء بها روادفها إذا ما وشاحاها على المتنين جالا
فإن تصبح أميمة قد تولت وعاد الوصل صرماً واعتلالا
فقد تدنو النوى بعد اغتراب بها وتفرق الحي الحلالا
تعبس لي أميمة بعد أنس فما أدري أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فرب أخ مصافٍ رزئت وما أحب به بدالا
أصرم منك هذا أم دلال فقد عنى الدلال إذاً وطالا

أم استبدلت بي ومللت وصلي فيوحي لي به ودعي المحالا
فلا وأبيك ما أهوى خليلا أقاتله على وصلي قتالا
وكم من كاشح يا أم بكرٍ من البغضاء يأتكل ائتكالا
لبست على قناعٍ من أذاه ولولا الله كنت له نكالا

ومما يغنى به من هذه القصيدة قوله: صوت:

أنا الصقر الذي حدثت عنه عتاق الطير تندخل اندخالا
رأيت الغانيات صدفن لما رأين الشيب قد شمل القذالا
فلم يلووا إذا رحلوا ولكن تولت عيرهم بهم عجالا

غنى فيه عمر الوادي خفيف رمل عن الهشامي. وذكر حبش أن فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أول القصيدة .

هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر: وقال الطوسي قال أبو عمرو الشيباني: هجا معن بن حمل بن جعونة بن وهب، أحد بني لقيط بن يعمر المتوكل بن عبد الله الليثي؛ وبلغ ذلك المتوكل، فترفع عن أن يجيبه، ومكث معن سنين يهجوه والمتوكل معرض عنه. ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الديل هجاءً قذعاً استحيا منه وندم، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية:

خليلي عوجا اليوم وانتظراني فإن الهوى والهم أم أبان
هي الشمس يدنو لي قريباً بعيدها أرى الشمس ما أسطيعها وتراني
نأت بعد قربٍ دارها وتبدلت بنا بدلا والدهر ذو حدثان
فهاج الهوى والشوق لي ذكر حرةٍ من المرجحنات الثقال حصان

غنى هذه الأبيات ابن محرز من كتاب يونس و لم يجنسه :

سيعلم قومي أنني كنت سورةً من المجد إن داعي المنون دعاني
ألا رب مسرورٍ بموتي لو أتى وآخر لو أنعى له لبكاني
خليلي ما لام امرأً مثل نفسه إذا هي لامت فاربعا ودعاني
ندمت على شتمي العشيرة بعدما تغنى بها غوري وحن يماني
قلبت لهم ظهر المجن وليتني رجعت بفضلٍ من يدي ولساني
على أنني لم أرم في الشعر مسلما ولم أهج من روى وهجاني

هم بطروا الحلم الذي من سجيتي فبدلت قومي شدةً بليان

ولو شئتم أولاد وهبٍ نزعتم ونحن جميع شملنا أخوان

نهيتم أخاكم عن هجائي وقد مضى له بعد حول كاملٍ سنتان

فلج ومناه رجال رأيتهم إذا قارنوني يكرهون قراني

وكنت امرأً يأبى لي الضيم أنني صروم إذا الأمر المهم عناني

وصول صروم لا أقول لمدبر هلم إذا ما اغتشني وعصاني

خليلي لو كنت امرأ بي سقطة تضعضعت أو زلت بي القدمان

أعيش على بغي العداة ورغمهم وآتي الذي أهوى على الشنآن

ولكنني ثبت المريرة حازم إذا صاح طلابي ملأت عناني

خليلي كم من كاشح قد رميته بقافيةٍ مشهورةٍ ورماني

فكان كذات الحيض لم تبق ماءها ولم تنق عنها غسلها لأوان

ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية:

أبا خالدٍ حنت إليك مطيتي على بعد منتاب وهول جنان

أبا خالد في الأرض نأي ومفسح لذي مرة يرمى به الرجوان

فكيف ينام الليل حر عطاؤه ثلاث لرأس الحول أو مائتان

تناهت قلوصي بعد إسآدي السرى إلى ملكٍ جزل العطاء هجان

ترى الناس أفواجاً ينوبون بابه لبكرٍ من الحاجات أو لعوان

معن أجابه مفتخراً: فأجابه معن بن حملٍ فقال:

ندمت كذاك العبد يندم بعدما غلبت وسار الشعر كل مكان

ولا قيت قرماً في أرومة ماجدٍ كريماً عزيزاً دائم الخطران

أنا الشاعر المعروف وجهي ونسبتي أعف وتحميني يدي ولساني

وأغلب من هاجيت عفواً وأنتمي إلى معشرٍ بيض الوجوه حسان

فهات إذاً يابن الأتان كصاحب ال ملوك أبي، أسيد كمهان!

فهات كزيدٍ أو كسيحان لا تجد لهم كفواً أو يبعث الثقلان

هو وعكرمة بن ربعي: أخبرني محمد بن الحسين بن دريد قال حدثنا العتبي عن العباس بن هشامٍ عن أبيه عن عوانة قال: أتى المتوكل الليثي عكرمة بن ربعي الذي يقال له الفياض، فامتدحه فحرمه، فقيل له: جاءك شاعر العرب فحرمته! فقال: ما عرفته. فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها وقال: حرمني على رؤوس الناس ويبعث إلي سراً .

نسيبه بحسناء وهو يعاني الرمد وهجاؤه عكرمة: فبينا المتوكل بالحيرة وقد رمد رمداً شديداً، فمر به قس فقال: ما لك؟ قال: رمدت. قال: أنا اعالجك. قال: فافعل. فذره ، فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلقٍ على ظهره، يفكر في هجاء عكرمة وذلك غير مطردٍ له ولا القول في معناه إذا أتاه غلام له فقال: بالباب امرأة تدعوك. فمسح عينيه وخرج إليها، فسفرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً حسناً، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: أمية. قال: فممن أنت؟ فلم تخبره. قال: فما حاجتك؟ قالت: بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك. فقال: أسفري. ففعلت فكر طرفه في وجهها مصعداً ومصوباً، ثم تلثمت وولت عنه، فاطرد له القول الذي كان استصعب عليه في هجاء عكرمة وافتتحه بالنسيب فقال:

أجد اليوم جيرتك احتمالا وحث حداتهم بهم الجمالا

وفي الأظعان آنسة لعوب ترى قتلي بغير دمٍ حلالا

أمية يوم دير القس ضنت علينا أن تنولنا نوالا

أبيني لي فرب أخٍ مصافٍ رزئت وما أحب به بدالا

وقال فيها يهجو عكرمة:

أقلني يابن ربعي ثنائي وهبها مدحة ذهبت ضلالا

وهبها مدحة لم تغن شيئاً وقولاً عاد أكثره وبالا

وجدنا العز من أولاد بكرٍ إلى الذهلين يرجع والفعالا

أعكرم كنت كالمبتاع داراً رأى بيع الندامة فآستقالا

بنو شيبان أكرم آل بكرٍ وأمتنهم إذا عقدوا حبالا

رجال اعطيت أحلام عادٍ إذا نطقوا وأيديها الطوالا

وتيم الله حي حي صدقٍ ولكن الرحى تعلو الثفالا

صوت:

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا بحقلٍ لكم يا عز قد رابني حقلا

فيا عز إن واشٍ وشى بي عندكم فلا تكرميه أن تقولي له مهلا
كما نحن لو واشٍ وشى بك عندنا لقلنا تزحزح لا قريباً ولا سهلا
ألم يأن يا قلب أن أترك الجهلا وأن يحدث الشيب الملم لي العقلا
على حين صار الرأس مني كأنما علت فوقه ندافة العطب الغزلا

عروضه من الطويل. الدمن. آثار الديار، واحدها دمنة. والحقل: الأرض التي يزرع فيها. والعطب هو القطن . الشعر لكثير كله إلا البيت الأول فإنه انتحله، وهو الأفوه الأودي. والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي في الثلاثة الأبيات الأول متوالية. وذكر حبش أنه لمعبد. وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ثقيل أول بالبنصر؛ ذكر ابن المكي أنه لمعبد، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي .

نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره

نسبه:

الأفوه لقب، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة. وكان يقال لأبيه عمر بن مالك فارس الشوهاء؛ وفي ذلك يقول الأفوه:

أبي فارس الشوهاء عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجد عاثر

كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه. والعرب تعده من حكمائها. وتعد داليته:

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا

أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً: من حكمة العرب وآدابها . فأما البيت الذي أخذه كثير من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنفاً فإنه من قصيدة يقول فيها:

نقاتل أقواماً فنسبي نساءهم ولم ير ذو عزٍ لنسوتنا حجلا
نقود ونأبى أن نقاد ولا نرى لقومٍ علينا في مكارمةٍ فضلا
وإنا بطاء المشي عند نسائنا كما قيدت بالصيف نجدية بزلا
نظل غيارى عند كل ستيرةٍ نقلب جيداً واضحاً وشوًى عبلا

وإنا لنعطي المال دون دمائنا ونأبى غما نستام دون دمٍ عقلا

سبب هذه الأبيات: قال أبو عمرو الشيباني: قال الأفوه الأودي هذه الأبيات يفخر بها على قومٍ من بني عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم ديات من قتل فضلاً على قتلى قومه، فقبلوا وصالحوه .

بنو أود وبنو عامر: وقال أبو عمرو : أغارت بنو أود وقد جمعها الأفوه على بني عامر، فمرض الأفوه مرضاً شديداً، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارع ، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً، فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أود وقد أصابوا منهم رجلين: لا والله حتى نأخذ بطائلتنا . فقام أخو المقتول، وهو رجل من بني كعب بن أود فقال: يا بني أود، والله لتأخذن بطائلتي أو لأنتحين على سيفي. فاقتتلت أود وبنو عامر. فظفرت أود وأصابت مغنماً كثيراً. فقال الأفوه في ذلك: صوت:

ألا يا لهف لو شهدت قناتي قبائل عامرٍ يوم الصبيب

غداة تجمعت كعب إلينا حلائب بين أفناء الحروب

فلما أن رأونا في وغاها كآساد الغريفة والحجيب

تداعوا ثم مالوا عن ذراها كفعل الخامعات من الوجيب

وطاروا كالنعام ببطن قوٍ مواءلة على حذر الرقيب

صوت:

كان لم تري قبلي أسيراً مكبلاً ولا رجلاً يرمى به الرجوان

كأني جواد ضمه القيد بعدما جرى سابقاً في حلبةٍ ورهان

الشعر لرجل من لصوص بني تميم يعرف بأبي النشناش، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر من روايتي علي بن يحيى والهشامي .

النشناش واعتراضه القوافل وهربه بعد الظفر به، وما كان بينه وبين اللهبي: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال: كان أبو النشناش من ملاص بني تميم، وكان يعترض القوافل في شذاذٍ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيد مدة، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب، فمر بغرابٍ على بانةٍ ينتف ريشه وينعب، فجزع من ذلك . ثم مر بحيٍ من لهبٍ فقال لهم: رجل كان في بلاءٍ وشر وحبسٍ وضيقٍ فنجا من ذلك، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ ينتف ريشه وينعب. فقال له اللهبي: إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده، ويطول ذلك به، ويقتل ويصلب. فقال له: بفيك الحجر . قال: لا بل بفيك. وأنشأ يقول:

وسائلةٍ أين ارتحالي وسائلٍ ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه !

مذاهبه أن الفجاج عريضة إذا ضن عنه بالنوال أقاربه

إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح سواما ولم يبسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للفتى من قعوده عديماً ومن مولىً تعاف مشاربه
ودويةٍ قفرٍ يحار بها القطا سرت بأبي النشناش فيها ركائبه
ليدرك ثأراً أو ليكسب مغنماً ألا إن هذا الدهر تترى عجائبه
فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعش معذراً أو مت فإنني أرى الموت لا يبقى على من يطالبه
أصادرة حجاج كعبٍ ومالكٍ على كل فتلاء الذراعين محنق
أقام القناة الود بيني وبينه وفارقني عن شيمة لم ترنق

عروضه من الطويل. الصادر: المنصرف، وهو ضد الوارد، وأصله من ورود الماء والصدر عنه، ثم يقال لكل مقبلٍ إلى موضع ومنصرفٍ عنه. وكعب: من خزاعة. ومالكٌ: مالك بن النضر بن كنانة: وكان كثير ينتمي وينمي خزاعة إليهم. ومحنقٌ: ضامرة. والشيمة: الخلق والطبيعة. وترنق: تكدر. والرنق: الكدر .

الشعر لكثير عزة يرثي خندقاً الأسدي، والغناء للهذلي ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وفي الثاني من البيتين ثم الأول لسياطٍ رمل بالبنصر عنه وعن الهشامي وعمرو. وفيهما لمعبد لحن ذكره يونس و لم سجنسه. وفي رواية حماد عن أبيه أن لحن الهذلي من الثقيل الأول، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد. وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه ثقيل أول أو ثاني ثقيل .

أخبار كثير وخندق الأسدي

الذي من أجله قال هذا الشعر:

كانا يقولان بالرجعة: حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن حبيب. وأخبرني وكيع قال حدثنا علي ابن محمد النوفلي عن أبيه. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن ابن داحة، قالوا: كان خندق بن مرة الأسدي هكذا قال النوفلي. وغيره يقول: خندق بن بدر صديقاً لكثير، وكانا يقولان بالرجعة ، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع. فقال خندق: لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد صلى الله عليه وسلم، وظلم الناس لهم وغصبهم إياهم على حقهم، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر. فضمن كثير عياله، فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال: أيها الناس إنكم على غير حق، تركتم أهل بيت نبيكم، والحق لهم وهم الأئمة و لم يقل إنه سب أحداً فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه. ودفن خندق بقنوني . فقال إذ ذاك كثير يرثيه:

أصادرة حجاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل عجلى ضامر البطن محنق
بمرثيةٍ فيها ثناء محبر ... لأزهر من أولاد مرة معرق
كأن أخاه في النوائب ملجأ ... إلى علمٍ من ركن قدس المنطق
ينال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيد كعيوق الثريا المعلق
تقول ابنة الضمري مالك شاحباً ... ولونك مصفر وإن لم تخلق
فقلت لها لا تعجبي، من يمت له ... أخ كأبي بدرٍ وجدك يشفق
وأمرٍ يهم الناس غب نتاجه ... كفيت وكربٍ بالدواهي مطرق
كشفت أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا ... وعضت ملاقي أمرهم بالمخنق
وخصمٍ أبا بدر ألد أبته ... على مثل طعم الحنظل المتفلق
جزى الله خيرا خندقا من كافئٍ ... وصاحب صدقٍ ذي حفاظٍ ومصدق
أقام قناة الود بيني وبينه ... وفارقني عن شيمةٍ لم ترنق
حلفت على أن قد أجنتك حفرة ... ببطن قنوني لو نعيش فنلتقي
لألفيتني بالود بعدك دائماً ... على عهدنا إذ نحن لم نتفرق
إذا ما غدا يهتز للمجد والندى ... أشم كغصن البانة المتورق
وإني لجازٍ بالذي كان بيننا ... بني أسدٍ رهط ابن مرة خندق

كثير وإنكار الطفيل انتسابه إلى كنانة: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة:

إن كثيراً لما انتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الديلي من المواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطفيل بن عامر بن واثلة وهو بالكوفة، فأنكر كثير وانتسابه إلى كنانة وتصييره خزاعة منهم، وما فعله الحزين. فحلف لئن رأى مثيراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح، فكلمه فيه خندق الأسدي وكان صديقاً له ولكثير فوهبه له، واجتمع بمكة فجلسا مع ابن الحنفية. فقال طفيل: لولا خندق لوفيت لك بيميني. فقال يرثيه، وعنه كان أخذ مقالته:

ونال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيد كعيوق الثريا المعلق

وذكر باقي الأبيات .

نسيبه بعزة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني حميد بن عبد الرحمن أحد بني عتوارة بن جدي قال: كان كثير قد سلطه الله ينسب بعزة بنت عبد الله، أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار، قال: وكان نسوانهم قد لقينها وهي سائرة في الجلاء ، في عام أصابت أهل تهامة فيه حطمة شديدة، وكانت عزة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قط، إلا أنه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها. فلقيه رجال من الحي لما بلغهم ذلك عنه، فقالوا له: إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك. قال: فإني لا أذكرها بما تكرهون. فخرجوا جالين إلى مصر في أعوام الجلاء. فتبعهم على راحلته فزجروه، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه، فجلس له فتية من جدي، قال: وكان بنو ضمرة كلهم يهون عليهم نسيبه لما يعرفون من براءتها، إلا ما كان من بني جدي فإنهم كانوا صمعاً غيراً . فقعد له عون، أحد بني جدي في تسعة نفر على محالج ، فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه، ثم أوثقوا بطن الحمار، فجعل يضطرب فيه ويستغيث، ومضوا عنه، فاجتاز به خندق الأسدي فسمع استغاثته وهو خندق بن بدر فعدل إلى الصوت حين سمعه، فوجد في الجيفة إنساناً، فسأله من هو وما خبره؟ فأخبره. فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده. فقال كثير في ذلك قال الزبير أنشدنيها عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة معمر بن المثنى

أصادرة حجاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل فتلاء الذراعين محنق

وذكر القصيدة كلها على ما مضت .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن أبي عبيدة قال: خندق الأسدي هو الذي أدخل كثيراً في مذهب الخشبية .

كثير يرثي خندقاً حين قتل بعرفة: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن حبيب قال: لما قتل خندق الأسدي بعرفة رثاه كثير فقال:

شجا أظعان غاضرة الغوادي ... بغير مشورةٍ عرضاً فؤادي

أغاضر لو شهدت غداة بنتم ... حنو العائدات على وسادي

أويت لعاشقٍ لم تشكميه ... نوافذه تلذع بالزناد

ويوم الخيل قد سفرت وكفت ... رداء العصب رتل براد

الرتل: الثغر المستوي النبت

وعن نجلاء تدمع في بياضٍ ... إذا دمعت وتنظر في سواد

وعن متكاوسٍ في العقص جثلٍ ... أثيث النبت ذي عذرٍ جعاد

وغاضرة الغداة وإن نأتنا ... وأصبح دونها قطر البلاد

أحب ظعينةٍ وبنات نفسي ... إليها لو بللن بها صوادي

ومن دون الذي أملت وداً ... ولو طالبتها خرط القتاد

وقال الناصحون تحل منها ... بذل قبل شيمتها الجماد

تحل أصب. يقال: ما حليت من فلان بشيءٍ ولا تحليت منه بشيء، ومنه حلوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك

فقد وعدتك لو أقبلت وداً ... فلج بك التدلل في تعاد

فأسررت الندامة يوم نادى ... برد جمال غاضرة المنادي

تمادى البعد دونهم فأمست ... دموع العين لج بها التمادي

لقد منع الرقاد فبت ليلي ... تجافيني الهموم عن الوساد

عداني أن أزورك غير بغضٍ ... مقامك بين مصفحة شداد

وإني قائل إن لم أزره ... سقت ديم السواري والغوادي

محل أخي بني أسدٍ قنونى ... فما والى إلى برك الغماد

مقيم بالمجازة من قنونى ... وأهلك بالأجيفر والثماد

فلا تبعد فكل فتًى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

وكل ذخيرةٍ لابد يوماً ... ولو بقيت تصير إلى نفاد

يعز علي أن نغدو جميعاً ... وتصبح ثاوياً رهناً بواد

فلو فوديت من حدث المنايا ... وقيتك بالطريف وبالتلاد

في هذه القصيدة عدة أصوات هذه نسبتها قد جمعت .

صوت:

أغاضر لو شهدت غداة بنتم ... حنو العائدات على وسادي

رثيت لعاشقٍ لم تشكميه ... نوافذه تلذع بالزناد

عداني أن أزورك غير بغضٍ ... مقامك بين مصفحةٍ شداد

فلا تبعد فكل فتًى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

لمعبد في البيتين الأولين لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو وابن المكي والهشامي. وفيهما لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد. وفيهما للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكي. ومن الناس من ينسب لحن مالكٍ إلى معبد أيضاً. وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما. ويقال: إن لابن سريج وابن محرز وابن جامعٍ فيهما ألحاناً .

غاضرة هذه التي ذكرها كثير مولاة لآل مروان بن الحكم، وقد روي في ذكره إياها غير خبرٍ مختلف .

أم البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثير: فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: حجت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لكثير ووضاح: انسبا بي. فأما وضاح فنسب بها، وأما كثير فنسب بجاريتها غاضرة حيث يقول:

شجا أظعان غاضرة الغوادي بغير مشورة عرضاً فؤادي

قال: وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك، فقتل وضاحاً و لم يجد على كثيرٍ سبيلاً .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن محرز بن جعفر عن أبيه عن بديح قال: قدمت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجة، والوليد إذ ذاك خليفة. فأرسلت إلى كثير ووضاح أن انسبا بي ، فنسب وضاح بها ونسب كثير بجاريتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه:

شجا أظعان غاضرة الغوادي

قال: وكان معها جوارٍ قد فتن الناس بالوضاءة .

لابن قيس الرقيات في أم البنين: قال بديح: فلقيت عبيد الله بن قيس الرقيات فقلت له: بمن نسبت من هذا القطين ؟ فقال لي:

ما تصنع بالشر إذا لم تك مجنونا

إذا قاسيت ثقل الشر حساك الأمرينا

وقد هجت بما قد قل ت أمراً كان مدفونا

قال بديح: ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي: يا بديح، احفظ عني ما أقول لك فإنك موضع أمانة؛ وأنشدني:

أصحوت عن أم البني ن وذكرها وعنائها

وهجرتها هجر امرئٍ لم يقل حمل إخائها

من خيفة الأعداء أن يوهوا أديم صفائها

قرشية كالشمس أش رق نورها ببهائها

زادت على البيض الحسا ن بحسنها ونقائها

لما استكبرت للشبا ب وقنعت بردائها

لم تلتفت للداتها ومضت على غلوائها

عنى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأول لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي عن يحيى المكي. وفي الرابع وما بعده لحنين لحنان: أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر، والآخر ثقيل بالبنصر عن ابنه وغيره. وغنى إبراهيم الموصلي في الأربعة الأول لحناً آخر من الثقيل الأول وهو اللحن الذي فيه استهلال. وذكر الهشامي أن الثقيل الثاني لابن محرز . قال: فقتل الوليد وضاحاً و لم يجد على كثير سبيلاً. قال: وحجت بعد ذلك وقد تقدم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجت و لم تكلم أحداً و لم يرها، فقال لي: يا بديح: صوت:

بان الخليط الذي به نثق واشتد دون المليحة القلق

من دون صفراء في مفاصلها لين وفي بعض بطشها خرق

إن ختمت جاز طين خاتمها كما تجوز العبدية العتق

غنى في هذه الأبيات مالك بن أبي السمح لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، عن عمرو ويونس. وفيها لابن مسجح ويقال لابن محرز، وهو مما يشبه غناءهما جميعاً وينسب إليهما خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر. والصحيح أنه لابن مسجح. وفيها ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكي. وذكر حبش أن لسياطٍ فيها لحناً ماخورياً بالوسطى. وفي هذه الأبيات زيادة يغنى فيها و لم يذكرها الزبير في خبره، وهي:

إني لأخلي لها الفراش إذا قصع في حضن زوجه الحمق

عن غير بغضٍ لها لدي ول كن تلك مني سجية خلق

قال الزبير: أراد بقوله في هذه الأبيات:

إن ختمت جاز طين خاتمها

أنها كانت عند سلطان جائز الأمر. والعبدية هي الدنانير، نسبها إلى عبد الملك. ثم وصل ابن قيس الرقيات هذه الأبيات يعني الهائية بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال: صوت:

اسمع أمير المؤمني ن لمدحتي وثنائها

أنت ابن عائشة التي فضلت أروم نسائها

متعطف الأعياص حو ل سريرها وفنائها

ولدت أغر مباركاً كالبدر وسط سمائها

غناه ابن عائشة من رواية يونس و لم يجنسه. وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيات في عبد الملك لا الوليد .

إصرار ابن قيس الرقيات على كلمة في شعره وما كان بينه وبين عبد الملك في ذلك: أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائني: أن عبد الملك لما وهب لابن جعفر جرم عبيد الله بن قيس وأمنه، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه، قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول:

اسمع أمير المؤمني ... ن لمدحتي وثنائها

أنت ابن معتلج البطا ... ح كديها وكدائها

ولبطن عائشة التي ... فضلت أروم نسائها

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك: قل ولنسل عائشة. قال لا بل ولبطن عائشة. حتى رد ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى إلا ولبطن عائشة. فقال له عبد الملك: اسحنفر الآن. قال: وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. هذه رواية الزبير بن بكار .

وقد حدثنا به في خبر كثير مع غاضرة هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي .

محاورة السائب بن حكيم لغاضرة و لم يكن قد عرفها: وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري عن السائب بن حكيم السدوسي راوية كثير قال: والله إني لأسير يوماً مع كثير، حتى إذا كنا ببطن جدار جبلٍ من المدينة على أميال إذ أنا بامرأة في رحالة متنقبة، معها عبيد لها يسعون معها، فمرت جنابي فسلمت ثم قالت: ممن الرجل ؟ قلت: من أهل الحجاز. قالت: فهل تروي لكثير شيئاً؟ قلت: نعم. قالت: أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إلي من أن أرى كثيراً وأسمع شعره، فهل تروي قصيدته:

أهاجك برق آخر الليل واصب

قلت: نعم. فأنشدتها إياها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله:

كأنك لم تسمع ولم تر قبلها ... تفرق ألاف لهن حنين

قلت: نعم وأنشدتها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً:

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني

قلت: نعم وأنشدتها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً:

أأطلال سعدى باللوى تتعهد

قلت: نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله:

فلم أر مثل العين ضنت بمائها ... علي ولا مثلي على الدمع يحسد

قالت: قاتله الله! فهل قال مثل قول كثير أحد على الأرض. والله لأن أكون رأيت كثيراً، أو سمعت منه شعره أحب إلي من مائة ألف درهم. قال: فقلت: هو ذاك الراكب أمامك ، وأنا السائب راويته. قالت: حياك الله تعالى. ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت: أنت كثير؟ قال مالك ويلك! فقالت: أنت الذي تقول:

إذا حسرت عنه العمامة راعها جميل المحيا أغفلته الدواهن

والله ما رأيت عربياً قط أقبح ولا أحقر ولا ألام منك. قال: أنت والله أقبح مني وألأم. قالت له: أولست القائل:

تراهن إلا أن يؤدين نظرةً بمؤخر عينٍ أو يقلبن معصما

كواظم ما ينطقن إلا محورة رجيعة قولٍ بعد أن يتفهما

يحاذرن مني غيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكن إلا تبسما

لعن الله من يفرق منك. قال: بل لعنك الله. قالت: أولست الذي تقول:

إذا ضمرية عطست فنكها فإن عطاسها طرف الوداق

قال: من أنت؟ قالت: لا يضرك أن لم تعرفني ولا من أنا. قال: والله إني لأراك لئيمة الأصل والعشيرة. قالت: حياك الله يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحب إلي وجهاً ولا لقاء منك. قال: ولا حياك الله، والله وما كان على الرض أحد أبغض إلي وجهاً منك. قالت: أتعرفني؟ قال: أعرف أنك لئيمة من اللئام. فتعرفت إليه فإذا هي غاضرة أم ولدٍ لبشر بن مروان. قال: وسايرها حتى سندنا في الجبل من قبل زرود . فقالت له: يا أبا صخر أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدمت عليه. قال: أفي سبك إياي أو سبي إياك تضمنين لي هذا؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال! فلما قامت تودعه سفرت، فإذا هي أحسن من رأيت من أهل الدنيا وجهاً. فأمرت له بعشرة آلاف درهم، فبعد شدٍ ما قبلها، وأمرت لي بخمسة آلاف درهم. فلما ولوا قال: يا سائب أين نعني أنفسنا إلى عكرمة، انطلق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموت. قال: وذلك قوله لما فارقتنا:

شجا أظعان غاضرة الغوادي بغير مشيئةٍ عرضا فؤادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا، وخالف المعاني .

كثير وامرأة لقيها بقديد: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياشٍ السعدي قال: كان كثير يلقى حاج المدينة من قريش بقديد في كل سنة، فغفل عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قديداً حتى ارتفع النهار، ثم ركب جملاً ثقالاً واستقبل الشمس في يوم صائف، فجاء قديداً وقد كل وتعب، فوجدهم قد راحوا. وتخلف فتى من قريش معه راحلته حتى يبرد . قال الفتى القرشي: فجلس كثير إلى جنبي و لم يسلم علي، فجاءت امرأة وسيمة جميلة، فجلست إلى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيراً فقالت: أأنت كثير؟ قال: نعم. قالت: ابن أبي جمعة؟ قال: نعم. قالت: الذي يقول:

لعزة أطلال أبت أن تكلما

قال: نعم. قالت: وأنت الذي تقول فيها:

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي وظهرن مني هيبة لا تجهما

فقال: نعم. قالت: أعلى هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فضجر وقال: من أنت؟ فلم تجبه بشيء، فسأل المولیات اللواتي في الخباء بقديد عنها، فلم يخبرنه شيئاً، فضجر واختلط. فلما سكن من شأوه قالت: أأنت الذي تقول:

متى تحسروا عني العمامة تبصروا جميل المحيا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جميل المحيا؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فاختلط وقال: والله ما عرفتك، ولو عرفتك لفعلت وفعلت. فسكتت، فلما سكن من شأوه قالت: أأنت الذي تقول:

يروق العيون الناظرات كأنه هرقلي وزنٍ أحمر التبر راجح

أهذا الوجه يروق العيون الناظرات؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين. فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها: قد عرفتك والله لأقطعنك وقومك بالهجاء. ثم قال فالتفت في أثره، ثم رجعت طرفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت، فقلت لمولاة من مولياتها بقديد: لك الله علي إن أخبرتني من هذه المرأة لأطوين لك ثوبي هذين إذا قضيت حجي ثم أعطيكهما. فقالت: والله لو أعطيتني زنتهما ذهباً ما أخبرتك من هي؛ هذا كثير وهو مولاي قد سألني عنها فلم أخبره. قال الفتى القرشي: فرحت والله وبي أشد مما بكثير . قال سليمان: وكان كثير دميماً قليلاً أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنى به: صوت: منها:

أشاقك برق آخر الليل واصب تضمنه الجبا فالمسارب

كما أومضت بالعين ثم تبسمت خريع بدا منها جبين وحاجب

وهبت لليلى ماءه ونباته كما كل ذي ود لمن ود واهب

عروضه من الطويل. الواصب: الدائم، يقال وصب يصب وصوباً أي دام. قال الله سبحانه: " وله الدين واصباً " أي دائماً. ومنها: صوت:

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني بضاحي قرار الروضتين رسوم

هي الدار وحشاً غير أن قد يحلها ويغني بها شخص علي كريم

فما برسوم الدار لو كنت عالماً ولا بالتلاع المقويات أهيم

سألت حكيماً أين شطت بها النوى فخبرني ما لا أحب حكيم

أجدوا فأما آل عزة غدوة فبانوا وأما واسط فمقيم

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقماً إني إذاً لسقيم

حكيم هذا هو أبو السائب بن حكيم راوية كثير. ذكر لنا اليزيدي عن ابن حبيب .

في هذه الأبيات لمعبد لحنان، أحدهما في الثلاثة الأول خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وابن المكي وحبشٍ، وفي الثلاثة الأخر التي أولها:

سألت حكيماً أين شطت بها النوى

له أيضاً ثقيل أول بالبنصر عن يونس وحبشٍ. وذكر حبش خاصةً أن فيها لكردم خفيف ثقيل آخر، وفي الثالث والثاني لابن جامع رملٍ عن الهشامي. وقال أحمد بن عبيد: فيه ثلاثة ألحان: ثقيل أول وخفيفه، وخفيف رمل .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا المؤملي أن ابن أبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثير:

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني بضاحي قرار الروضتين رسوم

يتحازن حتى تقول: إنه يبكي .

تمثل الحزين الكناني بشعر لكثير: أخبرني الحرمي قال حدثنل الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن الضحاك بن عثمان قال: قال عروة بن أذينة: كان الحزين الكناني الشاعر صديقاً لأبي، وكان عشيراً له على النبيذ ، فكان كثيراً ما يأتيه، وكانت بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها، فبيعت وأخرجت عن المدينة، فأتى الحزين أبي، وهو كئيب حزين كاسمه، فقال له أبي: يا أبا حكيمٍ مالك؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير:

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقماً إني إذاً لسقيم

سألت حكيماً أين شطت بها النوى فخبرني ما لا أحب حكيم

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا .

قصيدة كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر: وهذه القصيدة يقولها كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر، وذلك قوله فيها:

ولست براءٍ نحو مصر سحابةً وإن بعدت إلا قعدت أشيم

فقد بوجد النكس الدني عن الهوى عزوفا ويصبو المرء وهو كريم

وقال خليلي مالها إذ لقيتها غداة الشبا فيها عليك وجوم

فقلت له إن المودة بيننا على غير فحشٍ والصفاء قديم

وإني وإن أعرضت عنها تجلداً ... على العهد فيما بيننا لمقيم
وإن زماناً فرق الدهر بيننا ... وبينكم في صرفه لمشوم
أفي الحق هذا أن قلبك سالم ... صحيح وقلبي في هواك سقيم
وأن بجسمي منك داءً مخامراً ... وجسمك موفور عليك سليم
لعمرك ما أنصفتني في مودتي ... ولكنني يا عز عنك حليم
فإما تريني اليوم أبدي جلادةً ... فإني لعمري تحت ذاك كليم
ولست ابنة الضمري منك بناقم ... ذنوب العدا إني إذا لظلوم
وإني لذو وجدٍ إذا عاد وصلها ... وإني على ربي إذا لكريم

ومنها: صوت:

لعزة أطلال أبت أن تكلما ... تهيج مغانيها الفؤاد المتيما
وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي ... وأظهرن مني هيبة لا تجهما
يحاذرن مني غيرةً قد عرفنها ... قديماً فما يضحكن إلا تبسما

عروضه من الطويل. غنى فيه مالك بن أبي السمح لحنين عن يونس. أحدهما ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيره ينسبه إلى معبد. والآخر ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبشٍ وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي. وغيره يقول: إنه لحن مالك. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى .

الرشيد ومسرور الخادم وما دار بينه وبين جعفر بن يحيى حين أمره بقتله: وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني من أثق به عن مسرور الخادم:

أن الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى لم يطلع عليه أحداً بتة . ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له: اذهب فتشاغل اليوم بمن تأنس به واصطبح فإني مصطبح مع الحرم. فمضى جعفر، وفعل الرشيد ذلك. و لم يزل بر الرشيد وزألطافه وتحفه وتحياته تتابع إليه لئلا يستوحش. فلما كان الليل دعاني فقال لي : اذهب فجئني الساعة برأس جعفر ابن يحيى، وضم إلي جماعة من الغلمان، فمضيت حتى هجمت عليه مترله. وإذا أبو زكار الأعمى يغنيه بقوله :

فلا تبعد فكل فتىً سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت له: في هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجب. فوثب وقال: ما الخبر يا أبا هشام جعلني الله فداءك! قلت: قد أمرت بأخذ رأسك. فاكب على رجلي فقبلها وقال: الله الله، راجع أمير المؤمنين في. فقلت: ما لي إلى ذلك

سبيل. قال: فأعهد؟ قلت: ذاك لك. فذهب يدخل إلى النساء فمنعته، وقلت: اعهد في موضعك. فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دهشٍ ثم قال لي: يا أبا هشام بقيت واحدة. قلت: هاتها. قال: خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبه. قلت: ما لي إلى ذلك سبيل. قال: ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ. فقلت: هيهات ما شرب اليوم شيئاً. قال: فخذني واحبسني عندك في الدار، وعاوده في أمري. قلت: أفعل. فأخذته، فقال لي أبو زكار الأعمى: نشدتك الله إن قتلته إلا ألحقتني به. قلت له: يا هذا لقد اخترت غير مختار. قال: وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه، وأغناني عمن سواه، فما أحب الحياة بعده، فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكلت به، ودخلت إلى الرشيد، فلما رآني قال: أين رأسه ويلك؟ فأخبرته بالخبر. فقال: يابن الفاعلة، والله لئن لم يجيئني برأسه الساعة لآخذن رأسك! فمضيت إليه فأخذت رأسه ووضعته بين يديه. ثم أخبرته خبره، وذكرت له خبر أبي زكار الأعمى، فلما كان بعد مدة أمرني بإحضاره، فأحضرته، فوصله وبره وأمر بالجراية عليه .

صوت: شعر في خولة غنى فيه:

قفا في دار خولة فاسألاها ... تقادم عهدها وهجرتماها

بمحلالٍ يفوح المسك منه ... إذا هبت بأبطحه صباها

أترعى حيث شاءت من حمانا ... وتمنعنا فلا ترعى حماها

عروضه من الوافر. الشعر لرجل من فزارة. والغناء ذكر حماد عن أبيه أنه لمعبد، وذكر عنه في موضع آخر أنه لابن مسجح. وطريقته من الثقيل الأول في مجرى الوسطى .

نسب منظور بن زبان: وهذا الشعر يقول الفزاري في خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وكان منظور بن زبان سيد قومه غير مدافع، أمه قهطم بنت هاشم بن حرملة وقد ولدت أيضاً زهير بن جذيمة فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه. وهو أحد من طال حمل أمه به .

سبب تسميته منظوراً وشعر أبيه في ذلك: قال الزبير بن بكار فيما أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي روايته عنهما مما حدثا به عنه حدثتني مغيرة بنت أبي عدي. قال الزبير وقد حدثني هذا الحديث أيضاً إبراهيم بن زياد عن محمد بن طلحة، وحدثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن يحيى بن الحسن العلوي عن الزبير قالا جميعاً: حملت قهطم بنت هاشمٍ بمنظور بن زبان أربع سنين، فولدته وقد جمع فاه فسماه منظوراً لذلك يعني لطول ما انتظره وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة:

ما جئت حتى قيل ليس بوارد ... فسميت منظوراً وجئت على قدر

وإني لأرجو أن تكون كهاشمٍ ... وإني لأرجو أن تسود بني بدر

تزوج مليكة زوج أبيه ففرقع بينهما عمر فتبعتها نفسه وقال شعراً: ذكر الهيثم بن عدي عن ابن الكلبي وابن عياشٍ، وذكر بعضه الزبير بن بكار عن عمه عن مجالد: أن منظور بن زبان تزوج امرأة أبيه وهي مليكة بنت سنان بن أبي حارثة المري فولدت له هاشماً وعبد الجبار وخولة، و لم تزل معه إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان يشرب الخمر أيضاً، فرفع أمره إلى عمر، فأحضره وسأله عما قيل، فاعترف به وقال: ما علمت أنها حرام . فحبسه إلى وقت صلاة العصر، ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله عز وجل حرم ما فعله. فحلف فيما ذكر أربعين يميناً. فخلى سبيله، وفرق بينه وبين امرأة أبيه وقال: لولا أنك حلفت لضربت عنقك .

قال ابن الكلبي في خبره: إن عمر قال له: أتنكح امرأة أبيك وهي أمك؟ أو ما علمت أن هذا نكاح المقت ! وفرق بينهما فتزجها محمد بن طلحة .

قال ابن الكلبي في خبره: فلما طلقها أسف عليها وقال فيها:

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر ... إذا منعت مني مليكة والخمر

فإن تك قد أمست بعيداً مزارها ... فحي ابنة المري ما طلع الفجر

لعمري ما كانت مليكة سوءةً ... ولا ضم في بيتٍ على مثلها ستر

وقال أيضاً:

لعمر أبي، دين يفرق بيننا ... وبينك قسراً إنه لعظيم

وقال حجر بن معاوية بن عيينة بن حصن بن حذيفة لمنظور:

لبئس ما خلف الآباء بعدهم ... في الأمهات عجان الكلب منظور

قد كنت تغمزها والشيخ حاضرها ... فالآن أنت بطول الغمز معذور

تزوجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها: قال أبو الفرج الأصبهاني : أخطأ ابن الكلبي في هذا. وإنما طلحة بن عبيد الله الذي تزوجها؛ فأما محمد فإنه تزوج خولة بنت منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج، ثم قتل عنها يوم الجمل، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام .وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسن من مال علي عليه السلام، فقال الحسيني لأمير المدينة: هذا الظالم الضالع الظالع يعني إبراهيم فقال له إبراهيم: والله إني لأبغضك. فقال له الحسيني: صادق، والله يحب الصادقين، وما يمنعك من ذلك وقد قتل أبي أباك، وناك عمي أمك؟ لا يكني فأمر بهما فأقيما من بين يدي الأمير .

لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها: رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي قال: فلما فرق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوجت رآها منظور يوماً وهي تمشي في الطريق وكانت جميلة رائعة الحسن فقال: يا مليكة، لعن الله

ديناً فرق بيني وبينك! فلم تكلمه وجازت، وجاز بعدها زوجها؛ فقال له منظور: كيف رأيت أثر أيري في حر مليكة؟ قال: كما رأيت أثر أير أبيك فيه، فأفحمه. وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه، فهرب منه .

رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن: وقال الزبير في حديثه: فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنت منظورٍ فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم بني محمد بن طلحة، ثم قتل عنها يوم الجمل، فخلف عليها الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما .

قال الزبير: وقال محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه: تزوج الحسن عليه السلام خولة بنت منظور، زوجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحته .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن قال حدثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال: جعلت خولة أمرها إلى الحسن عليه السلام فتزوجها، فبلغ ذلك منظور بن زبان فقال: أمثلي يفتات عليه في ابنته! فقدم المدينة، فركز راية سوداء في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يبق قيسي بالمدينة إلا دخل تحتها، فقيل لمنظور بن زبان: أين يذهب بك! تزوجها الحسن بن علي عليه السلام وليس مثله أحد. فلم يقبل. وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل، فقال له: ها، شأنك بها. فأخذها وخرج بها. فلما كان بقباءٍ جعلت خولة تندمه وتقول: الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة. فقال: تلبثي ها هنا؛ فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا ها هنا. قال: فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس، فتزوجها الحسن، ورجع بها. قال الزبير: ففي ذلك يقول جفير العبسي:

إن الندى من بني ذبيان قد علموا ... والجود في آل منظور بن سيار

الماطرين بأيديهم ندىً ديما ... وكل غيثٍ من الوسمي مدرار

تزور جاراتهم وهناً فواضلهم ... وما فتاهم لها سراً بزوار

ترضى قريش بهم صهراً لأنفسهم ... وهم رضاً لبني أختٍ وأصهار

لما أسنت خولة بنته برزت للرجال وغناها معبد بشعر قيل فيها فطربت: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني ابن أبي أيوب عن ابن عائشة المغني عن معبد:

أن خولة بنت المنظور كانت عند الحسن بن علي عليهما السلام، فلما أسنت مات عنها أو طلقها، فكشفت قناعها وبرزت للرجال. قال معبد: فأتيتها ذات يوم أطالبها بحاجةٍ، فغنيتها لحني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فزارة، وكان خطبها فلم ينكحها أبوها:

قفا في دار خولة فاسألاها ... تقادم عهدها وهجرتماها

بمحلالٍ كأن المسك فيه ... إذا فاحت بأبطحه صباها

كأنك مزنة برقت بليلٍ ... لحرانٍ يضيء له سناها

فلم تمطر عليه وجاوزته وقد أشفى عليها أورجاها

وما يملا فؤادي فاعلميه سلو النفس عنك ولا غناها

وترعى حيث شاءت من حمانا وتمنعنا فلا نرعى حماها

قال : فطربت العجوز لذلك، وقالت: يا عبد ابن قطن، أنا والله يومئذ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة .

صوت:

لله در عصابةٍ صاحبتهم يوم الرصافة مثلهم لم يوجد

متقلدين صفائحاً هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد

وغدا الرجال الثائرون كأنما أبصارهم قطع الحديد الموقد

عروضه من الكامل. الشعر للجحاف السلمي ببني تغلب في يوم البشر. والغناء للأبجر ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

خبر الجحاف ونسبه

وقصته يوم البشر:

نسبه: هو الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محاربي بن فالج بن ذكوان ابن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور .

قصته يوم البشر وسبب ذلك: وكان السبب في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيبٍ عن ابن الأعرابي، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصرٍ المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة، وقد جمعت روايتهم. وأكثر اللفظ في الخبر لابن حبيب:

أن عمير بن الحباب لما قتلته بنو تغلب بالحشاك وهو إلى جانب الثرثار، وهو قريب من تكريت أتى تميم بن الحباب أخوه زفر بن الحارث فأخبره بمقتل عمير، وسأله الطلب له بثأره، فكره ذلك زفر، فسار تميم بن الحباب بمن تبعه من قيس، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العقيلي. فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم؛ فقال: أين تريدون؟ فأخبروه بما كان من زفر، فقال: أمهلوني ألق الشيخ. فأقاموا ومضى الهزيل فأتى زفر؛ فقال: ما صنعت! والله لئن ظفر بهذه العصابة إنه لعار عليك، ولئن ظفروا إنه لأشد؛ قال زفر: فاحبس علي القوم؛ وقام زفر في أصحابه، فحرضهم، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوساً، وسار حتى انتهى إلى الثرثار فدفنوا أصحابهم، ثم وجه زفر بن الحرث يزيد بن حمران في خيل، فأساء إلى بني فدوكس من تغلب، فقتل رجالهم واستباح أموالهم، فلم يبق في ذلك الجو غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس عاذت بابن

حمران فأعاذها. وبعث الهذيل إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً. وبعث مسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل. وبلغ ذلك بني تغلب واليمن، فارتحلوا يريدون عبور دجلة، فلحقهم زفر بالكحيل وهو نهر أسفل الموصل مع المغرب فاقتتلوا قتالاً شديداً، وترجل أصحاب زفر أجمعون، وبقي زفر على بغل له، فقتلوهم من ليلتهم، وبقروا ما وجدوا من النساء. وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف، وأن الدم كان في دجلة قريباً من رمية سهم. فلم يزالوا يقتلون من وجدوا حتى أصبحوا؛ فذكر أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بحة، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه، ففقدوا صوته وحبسوا أن يكون قتل، فتذامروا وقالوا: لئن قتل شيخنا لما صنعنا شيئاً، فاتبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس وتغلب قد رمت بأنفسها تعبر في الماء فخرج من الماء وأقام في موضعه. فهذه الوقعة الحرجية لأنهم أحرجوا فألقوا أنفسهم في الماء. ثم وجه يزيد بن حمران وتميم بن الحباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه، وأمرهم ألا يلقوا أحداً إلا قتلوه، فانصرفوا من ليلتهم، وكل قد أصاب حاجته من القتل والمال، ثم مضى يستقبل الشمال في جماعة من أصحابه، حتى أتى رأس الأثيل، و لم يخل بالكحيل أحداً والكحيل على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب فصعد قبل رأس الأثيل، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب، فقاتلهم بقية ليلتهم، فهربت تغلب وصبرت اليمن. وهذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهرير. ففي ذلك يقول زفر بن الحارث، وقد ذكر أنها لغيره:

ولما أن نعى الناعي عميراً ... حسبت سماءهم دهيت بليل

دهيت بليل، أي أظلمت نهاراً كأن ليلاً دهاها.

وكان النجم يطلع في قتامٍ ... وخاف الذل من يمن سهيل

وكنت قبيلها يا أم عمروٍ ... أرجل لمتي وأجر ذيلي

فلو نبش المقابر عن عمير ... فيخبر من بلاء أبي الهذيل

غداة يقارع الأبطال حتى ... جرى منهم دماً مرج الكحيل

قبيل ينهدون إلى قبيل ... تساقى الموت كيلاً بعد كيل

وفي ذلك يقول جرير يعير الأخطل:

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما ... كانت عواقبه عليك وبالا!

حملت عليك حماة قيسٍ خيلها ... شعثاً عوابس تحمل الأبطالا

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلاً تكر عليكم ورجالا

زفر الرئيس أبو الهذيل أبادكم ... فسبى النساء وأحرز الأموالا

أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب ففعل وفر إلى الروم: فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين، وقتل عبد الله بن الزبير هدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، وتكافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة، وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه، وتكلم عبد الملك في ذلك و لم يحكم الصلح فيه، فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من سليم وعامر!

أجحاف أن نهبط عليك فتلتقي ... عليك بحور طاميات الزواخر

تكن مثل أبداء الحباب الذي جرى ... به البحر تزهاه رياح الصراصر

فوثب الجحاف يجر مطرفه وما يعلم من الغضب، فقال عبد الملك للأخطل: ما أحسبك إلا وقد كسبت قومك شراً. فافتعل الجحاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلب، وصحبه من قومه نحو من ألف فارسٍ، فثار بهم حتى بلغ الرصافة قال: وبينها وبين شط الفرات ليلة، وهي في قبلة الفرات ثم كشف لهم أمره، وأنشدهم شعر الأخطل، وقال لهم: إنما هي النار أو العار، فمن صبر فليقدم ومن كره فليرجع، قالوا: ما بأنفسنا عن نفسك رغبة، فأخبرهم بما يريد، فقالوا: نحن معك فيما كنت فيه من خيرٍ وشر، فارتحلوا فطرقوا صهين بعد رؤبة من الليل وهي في قبلة الرصافة وبينهما ميل ثم صبحوا عاجنة الرحوب في قبلة صهين والبشر وهو وادٍ لبني تغلب فأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم، وبقروا من النساء من كانت حاملاً، ومن كانت غير حامل قتلوها. فقال عمر بن شبة في خبره: سمعت أبي يقول: صعد الجحاف الجبل فهو يوم البشر، ويقال له أيضاً يوم عاجنة الرحوب، يوم مخاشن، وهو جبل إلى جنب البشر، وهو مرج السلوطح لأنه بالرحوب وقتل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غياثٍ، ففي ذلك يقول جرير له:

شربت الخمر بعد أبي غياثٍ ... فلا نعمت لك السوءات بالا

قال عمر بن شبة في خبره خاصة: ووقع الأخطل في أيديهم، وعليه عباءة دنسة، فسألوه فذكر أنه عبد من عبيدهم، فأطلقوه، فقال ابن صفار في ذلك:

لم تنج إلا بالتعبد نفسه ... لما تيقن أنهم قوم عدا

وتشابهت برق العباء عليهم ... فنجا ولو عرفوا عباءته هوى

وجعل ينادي: من كانت حاملاً فإلي، فصعدن إليه، فجعل يبقر بطونهن. ثم إن الجحاف هرب بعد فعله، وفرق عنه أصحابه ولحق بالروم، فلحق الجحاف عبيدة بن همامٍ التغلبي دون الدرب، فكر عليه الجحاف فهزمه، وهزم أصحابه وقتلهم، ومكث زمناً في الروم، وقال في ذلك:

فإن تطردوني تطردوني وقد مضى ... من الورد يوم في دماء الأراقم

لدن ذر قرن الشمس حتى تلبست ظلاماً بركض المقربات الصلادم

رجع بعد عفو عبد الملك عنه وتمثل بشعر الأخطل: حتى سكن غضب عبد الملك، وكلمته القيسية في أن يؤمنه، فلان وتلكأ، فقيل له: إنا والله لا نأمنه على المسلمين إن طال مقامه بالروم؛ فأمنه، فأقبل فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحاف:

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني على القتل أم هل لامني لك لائمي

أبا مالكٍ إني أطعتك في التي حضضت عليها فعل حران حازم

فإن تدعني أخرى أجبك بمثلها وإني لطب بالوغى جد عالم

قال ابن حبيب: فزعموا أن الأخطل قال له: أراك والله شيخ سوءٍ. وقال فيه جرير:

فإنك والجحاف يوم تحضه أردت بذاك المكث والورد أعجل

بكى دوبل لا يرقئ الله دمعة ألا إنما يبكي من الذل دوبا

وما زالت القتلى تمور دماؤهم بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

فقال الأخطل: ما لجرير لعنه الله! والله ما سمتني أمي دوبلاً إلا وأنا صبي صغير ثم ذهب ذلك عني لما كبرت. وقال الأخطل:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمعول

فسائل بني مروان ما بال ذمةٍ وحبلٍ ضعيفٍ لا يزال يوصل

فإلا تغيرها قريش بملكها يكن عن قريشٍ مستراد ومزحل

حمله الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج:

فقال عبد الملك حين أنشده هذا: فإلى أين يابن النصرانية؟ قال: إلى النار قال: أولى لك لو قلت غيرها! قال: ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر، فأمر الوليد بن عبد الملك، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب، وضمن الجحاف قتلى البشر، وألزمه إياها عقوبةً له، فأدى الوليد الحمالات، ولم يكن عند الجحاف ما حمل، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حمل لأنه من هوازن، فسأل الإذن على الحجاج، فمنعه. فلقي أسماء بن خارجة؛ فعصب حاجته به فقال: إني لا أقدر لك على منفعةٍ، قد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك؛ فقال: لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكدت ، فلما بلغ ذلك الحجاج قال: ما له عندي شيء، فأبلغه ذلك؛ قال: وما عليك أن تكون أنت الذي توئسه فإنه قد أبى، فأذن له فلما رآه قال: أعهدتني خائناً لا أبا لك! قال: أنت سيد هوازن، وقد بدأنا بك، وأنت أمير العراقين ، وابن عظيم القريتين ، وعمالتك في كل سنة خمسمائة ألف درهم، وما بك بعدها حاجة إلى خيانةٍ ؛ فقال: أشهد أن الله تعالى وفقك، وأنك نظرت بنور الله،

فإذا صدقت فلك نصفها العام، فأعطاه وأدوا البقية .

تنسك وخرج إلى الحج في زي عجيب: قال ثم تأله الجحاف بعد ذلك، واستأذن في الحج، فأذن له، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه، قد لبسوا الصوف وأحرموا، وأبروا أنوفهم أي خزموها وجعلوا فيها البرى ، ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم، ويعجبون منهم، قال: وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أراك تفعل! فقال له ابن عمر: يا هذا، لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول، قال: فأنا الجحاف، فسكت. وسمعت محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول ذلك؛ فقال: يا عبد الله، قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك! قال عمر بن شبة في خبره: كان مولد الجحاف بالبصرة .

دخل على عبد الملك بعد أن أمنه فأنشده شعراً: قال عبد الله بن إسحاق النحوي: كان الجحاف معي في الكتاب، قال أبو زيد في خبره أيضاً: ولما أمنه عبد الملك دخل عليه في جبة صوف، فلبث قائماً، فقال له عبد الملك: أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتك، فأنشده قوله:

صبرت سليم للطعان وعامر وإذا جزعنا لم نجد من يصبر

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبت، ما أكثر من يصبر! ثم أنشده:

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا يوم اللقا وإذا علوا لم يضجروا

فقال عبد الملك: صدقت، حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة .

عود إلى قصة يوم البشر: حدثت عن الدمشقي عن الزبير بن بكار، وأخبرني وكيع عن عبد الله بن شبيب عن الزبير ابن بكارٍ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عمرو بن عبد العزيز بن مروان: أنه حضر الجحاف عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضر في مجلسه ينشد:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

قال: فتقبض وجهه في وجه الأخطل. ثم إن الأخطل لما قال له ذلك قال له:

نعم سوف نبكيهم بكل مهندٍ ونبكي عميراً بالرماح الخواطر

ثم قال: ظننت أنك يابن النصرانية لم تكن تجترئ علي ولو رأيتني لك مأسوراً. وأوعده، فما برح الأخطل حتى حم، فقال له عبد الملك: أنا جارك منه؛ قال: هذا أجرتني منه يقظان، فمن يجيرني منه نائماً؟ قال: فجعل عبد الملك يضحك. قال: فأما قول الأخطل:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فإنه يعني اليوم الذي قتلت فيه بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي .

وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن

حبيب عن أبي عبيدة عن الأعرابي عن المفضل:

أن قيساً وتغلب تحاشدوا لما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهطٍ، فكانوا يتغاورون . وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوباذ وما حوله، وجلبت إليها طوائف تغلب وجميع بطونها، إلا أن بكر بن جشم لم تجتمع أحلافهم من النمر بن قاسط. وحشدت بكر فلم يأت الجمع منهم على قدر عددهم. وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعة وأخلاط مضر، ففارقتهم قضاعة قبل حرب تغلب، وأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان، فأتاهم شعيب بن مليل في ألفي فارس.

واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد؛ فقال:

أيا أخوينا من تميم هديتما ... ومن أسدٍ هل تسمعان المناديا

ألم تعلما مذ جاء بكر بن وائل ... وتغلب ألفافاً تهز العواليا

إلى قومكم قد تعلمون مكانهم ... وهم قرب أدنى حاضرين وباديا

وكان من حضر ذلك من وجوه بكر بن وائلٍ المجشر بن الحارث بن عامر بن مرة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان من سادات شيبان بالجزيرة فأتاهم في جمع كثيرٍ من بني أبي ربيعة. وفي ذلك يقول تميم بن الحباب بعد يوم الحشاك:

فإن تحتجز بالماء بكر بن وائلٍ ... بنيعمنا فالدهر ذو متغير

فسوف نخيض الماء أو سوف نلتقي ... فنقتص من أبناء عم المجشر

وأتاهم زمام بن مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مرة في جمعٍ كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار، فقتل .

وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيد الله بن زياد بن ظبيان، ورهصة بن النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همام، فلذلك تحامل المصعب بن الزبير على أبان ابن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله.

وفي هذا السبب كانت فرقة عبيد الله لمصعبٍ، وجمعت تغلب فأكثرت فلما أتى عميراً كثرة من أتى من بني تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم:

أناديهم وقد خذلت كلاب ... وحولي من ربيعة كالجبال

أقاتلهم بحي بني سليمٍ ... ويعصر كالمصاعيب النهال

فدًى لفوارس الثرثار قومي ... وما جمعت من أهلي ومالي

فإما أمس قد حانت وفاتي ... فقد فارقت أعصر غير قال

أبعد فوارس الثرثار أرجو ... ثراء المال أو عدد الرجال !

ثم زحف العسكران، فأتت قيس وتغلب الثرثار، بين رأس الأثيل والكحيل، فشاهدوا القتال يوم الخميس. وكان شعيب بن مليلٍ وثعلبه بن نياطٍ التغلبيان قدماً في ألفي فارس في الحديد، فعبروا على قرية يقال لها لبى على شاطئ دجلة بين تكريت وبين الموصل، ثم توجهوا إلى الثرثار، فنظر شعيب إلى دواخن قيس، فقال لثعلبة بن نياط: سر بنا إليهم، فقال له: الرأي أن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحداً، فقال شعيب: والله لا تحدث تغلب أني نظرت إلى دواخنهم ثم انصرفت عنهم، فأرسل ناساً من أصحابه قدامه وعمير يقاتل بني تغلب. وذلك يوم الخميس، وعلى تغلب حنظلة بن هوبرٍ، أحد بني كنانة بن تميم، فجاء رجل من أصحاب عميرٍ إليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته، وأنه قد عدل إليه، فقال عمير لأصحابه: أكفوني قتال ابن هوبرٍ، ومضى هو في جماعة من أصحابه، فأخذ الذين قدمهم شعيب، فقتلهم كلهم غير رجل من بني كعب بن زهير يقال له: قتب بن عبيد، فقال عمير: يا قتب، أخبرني ما وراءك؟ قال: قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه. وفارق ثعلبة بن نياط شعيباً، فمضى إلى حنظلة بن هوبرٍ، فقاتل معه القيسية، فقتل، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالاً شديداً، فما صليت العصر حتى قتل شعيب وأصحابه أجمعون، وقطعت رجل شعيب يومئذ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول:

قد علمت قيس ونحن نعلم أن الفتى يفتك وهو أجذم

فلما قتل نزل أصحابه، فعقروا دوابهم، ثم قاتلوا حتى قتلوا، فلما رآه عمير قتيلاً قال: من سره أن ينظر إلى الأسد عقيراً فها هو ذا. وجعلت تغلب يومئذ ترتجز وتقاتل وهي تقول:

انعوا إياساً واندبوا مجاشعاً كلاهما كان كريماً فاجعا

ويه تغلب ضرباً ناقعا

وانصرف عمير إلى عسكره، وأبلغ بني تغلب مقتل شعيب، فحميت على القتال، وتذامرت على الصبر، فقال محصن بن حصين بن جنجور أحد الأبناء: مضيت أنا ومن أفلت من أصحاب شعيب بعد العصر، فأتينا راهباً في صومعته، فسألنا عن حالنا، فأخبرناه، فأمر تلميذاً له، فجاء بخرق فداوى جراحنا، وذلك غداةً يوم الجمعة. فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبر مقتل عمير وأصحابه، وهرب من أفلت منهم .

صوت:

إن جنبي على الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الظراب

من حديثٍ نمى إلي فما أط عم غمضاً ولا أسيغ شرابي

لشرحبيل إذ تعاوره الأر ماح في حال شدة وشباب

فارس يطعن الكماة جريء تحته قارح كلون الغراب

عروضه من الخفيف. الأسر: البعير الذي يكون به السرر، وهي قرحة تخرج في كركرته، لا يقدر أن يبرك إلا على موضع مستوٍ من الأرض، والظراب: النشوز والجبال الصغار، واحدها ظرب. والشعر لغلفاء، وهو معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي يرثي أخاه شرحبيل قتيل يوم الكلاب الأول، والغناء للغريض ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو .

وكان السبب في مقتله وقصة يوم الكلاب فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد قال أخبرنا محمد بن حبيبٍ عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دماذ عن أبي عبيدة قال: كان من حديث الكلاب الأول أن قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك، فوثبت ربيعة على المنذر الأكبر بن ماء السماء وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه؛ وإنما سمي ذا القرنين لأنه كانت له ذؤابتان، فخرج هارباً منهم حتى مات في إيادٍ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أذكى ولده فانطلقت ربيعة إلى كندة، فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، فملكوه على بكر بن وائلٍ، واحتشدوا له؛ فقاتلوا معه، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق، وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيشٍ، فلما رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمروٍ: إني في غير قومي، وأنت أحق من ضمني، وأنا متحول إليك، فحوله إليه وزوجه ابنته هنداً. ففرق الحارث بنيه في قبائل العرب، فصار شرحبيل بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أسيد ، وطوائف من بني عمرو بن تميمٍ والرباب، وصار معد يكرب بن الحارث وهو غلفاء في قيس، وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مناة. فلما هلك الحارث تشتت أمر بنيه، وتفرقت كلمتهم ومشت الرجال بينهم، وكانت المغاورة بين الحياء الذين معهم، وتفاقم الأمر حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع؛ فسار شرحبيل ومن معه من بني تميم والقبائل، فنزلوا الكلاب وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنمر ومن معه، وفي الصنائع وهم الذين يقال لهم بنو رقية، وهي أم لهم ينتسبون إليها. وكانوا يكونون مع الملوك يريدون الكلاب. وكان نصحاء شرحبيل وسلمة قد نهوهما عن الحرب والفساد والتحاسد، وحذروهما عثرات الحرب وسوء مغبتها، فلم يقبلا و لم يبرحا، وأبيا إلا التتابع واللجاجة في أمرهم، فقال امرؤ القيس بن حجر في ذلك:

أنى علي استتب لومكما ... ولم تلوما عمراً ولا عصما

كلا يمين الإله يجمعنا ... شيء وأخوالنا بني جشما

حتى تزور السباع ملحمةً ... كأنها من ثمود أو إرما

وكان أول من ورد كلاب من جمع سلمة سفيان بن مجاشع بن دارم، وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمه، فقتلت بكر بن وائلٍ بنين له، فيهم مرة بن سفيان، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان؛ فقال سفيان وهو يرتجز:

الشيخ شيخ ثكلان ... والجوف جوف حران

والورد ورد عجلان أنعى مرة بن سفيان

وفي ذلك يقول الفرزدق:

شيوخ منهم عدس بن زيد وسفيان الذي ورد الكلابا

وأول من ورد الماء من بني تغلب رجل من بني عبد بن جشم يقال له النعمان بن قريع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم، وعبد يغوث بن دوسٍ، وهو عم الأخطل دوس والفدوكس أخوان على فرس له يقال له الحرون، وبه كان يعرف ثم ورد سلمة، بيني تغلب وسعد جماعة الناس، وعلى بني تغلب يومئذ السفاح واسمه سملة بن خالد بن كعب ابن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب وهو يقول:

إن الكلاب ماؤنا فخلوه وساجراً والله لن تحلوه

فاقتتل القوم قتالاً شديداً، وثبت بعضهم لبعض؛ حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب، وصبر ابنا وائلٍ: بكر وتغلب ليس معهم غيرهم، حتى إذا غشيهم الليل نادى منادي سلمة: من أتى برأس شرحبيل فله مائة من الإبل، وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمر بن تميم، ففروا عنه، وعرف مكانه أبو حنش وهو عصم بن النعمان بن مالك بن غياث بن سعدٍ بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيبٍ فصمد نحوه، فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائف الناس يقاتلون حوله، فطعنه بالرمح، ثم نزل إليه فاحتز رأسه وألقاه إليه. ويقال إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب لما انهزموا خرج معهم شرحبيل، فلحقه ذو السنينة واسمه حبيب بن عتبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سن زائدة فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته، فأطن رجله، وكان ذو السنينة أحا أبي حنشٍ لأمه، أمهما سلمى بنت عدي بن ربيعة بنت أخي كليبٍ ومهلهلٍ، فقال ذو السنينة: قتلني الرجل! فقال أبو حنش: قتلني الله إن لم أقتله، فحمل عليه، فلما غشيه قال: يا أبا حنش، أملكاً بسوقه؟ قال: إنه كان ملكي، فطعنه أبو حنش، فأصاب رادفة السرج، فورعت عنه، ثم تناوله فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فاحتز رأسه، فبعث به إلى سلمة مع ابن عم له يقال له أبو أجأ بن كعب بن مالك بن غياث، فألقاه بين يديه؛ فقال له سلمة: لو كنت ألقيته إلقاء رفيقاً! فقال: ما صنع بي وهو حي أشد من هذا، وعرف أبو أجأ الندامة في وجهه والجزع على أخيه، فهرب وهرب أبو حنش فتحى عنه، فقال سعد يكرب أخو شرحبيل، وكان صاحب سلامةٍ معتزلاً عن جميع هذه الحروب:

ألا أبلغ أبا حنشٍ رسولاً فمالك لا تجيء إلى الثواب !

تعلم أن خير الناس طراً قتيل بين أحجار الكلاب

تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جعاسيس الرباب

قتيل ما قتيلك يابن سلمى تضربه صديقك أو تحابي

فقال أبو حنش مجيباً له:

أحاذر أن أجيئكم فتحبو حباء أبيك يوم صنيبعات

فكانت غدرةً شنعاء تهفو تقلدها أبواك إلى الممات

ويقال: إن الشعر الأول لسلمة بن الحارث .

وقال معد يكرب المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث:

إن جنبي عن الفراش لنابي كتجافي الأسر فوق الظراب

من حديثٍ نمى إلي فلا تر قأعيني ولا أسيغ شرابي

مرة كالذعاف أكتمها النا س على حر ملةٍ كالشهاب

من شرحبيل إذ تعاوره الأر ماح في حال لذة وشباب

يابن أمي ولو شهدتك إذ تد عو تميماً، وأنت غير مجاب

لتركت الحسام تجري ظباه من دماء الأعداء يوم الكلاب

ثم طاعنت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تبز ثيابي

يوم ثارت بنو تميم وولت خيلهم يتقين بالأذناب

ويحكم يا بني أسيد إني ويحكم ربكم ورب الرباب

أين معطيكم الجزيل وحابي كم على الفقر بالمئين الكباب

فارس يضرب الكتيبة بالسي ف على نحره كنضح الملاب

فارس يطعن الكماة جريء تحته قارح كلون الغراب

قال: ولما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زياد مناة بن تميم دون عياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم. ولي ذلك منهم عوف بن شجنة بن الحارث بن عطارد بن عوف بن سعد بن كعبٍ، وحشد له فيه رهطه ونهضوا معه، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حجرٍ، ومدحهم به في شعره فقال:

ألا إن قوماً كنتم أمس دونهم عن استنقذوا جاراتكم آل غدران

عوير ومن مثل العوير ورهطه وأسعد في يوم الهزاهز صفوان

وهي قصيدة معروفة طويلة: صوت:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

الشعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري، يقوله للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس؛ هكذا ذكر مصعب الزبيري. وذكر مؤرج فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمه أبي جعفر عن مؤرجٍ وهو الصحيح أن عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديقٍ له يقال له قصي بن ذكوان، وكان قد عتب عليه. وأول الشعر:

رأيات قصياً كان شيئاً ملفقاً فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتك في الحاجات إلا تنائيا

والغناء لبنان بن عمرون رمل بالوسطى. وفيه الثقيل الأول لعريب من رواية أبي العنبس وغيره .

خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

نسبه: هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وأم عبد الله بن جعفر وسائر بني جعفر أسماء بنت عميس بن معد بن تميم بن مالك ابن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن أفتل، وهو خماعة بن خثعم بن أنمار. وأمها هند بنت عوفٍ، امرأة من جرش. هذه الجرشية أكرم الناس أحماء، أحماؤها: رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وجعفر وحمزة و العباس وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم، وإنما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحمائها أنه كان لها أربع بناتٍ: ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم الفضل زوجة العباس وأم بنته، وسلمى زوجة حمزة بن عبد المطلب، بنات الحارث، وأسماء بنت عميسٍ أخته لأمهن، وكانت عند جعفر بن أبي طالب، ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها علي بن أبي طالب عليه السلام. وولدت من جميعهم. وهن اللواتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن: " إنهن مؤمنات " .

حدثني بذلك أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا هارون ابن محمد بن موسى الفروي قال: حدثنا داود بن عبد الله قال: حدثني عبد العزيز الدراوردي عن إبراهيم بن عقبة عن كريبٍ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأخوات المؤمنات: ميمونة، وأم الفضل، وسلمى، وأسماء بنت عميسٍ أختهن لأمهن " .

حدثني أحمد قال حدثني يحيى قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني عبد الرزاق قال أخبرني يحيى بن العلاء البجلي عن عمه شعيب بن خالدٍ عن حنظلة بن سمرة بن المسيب عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعلي، عليهما السلام ليلة بنى بها فأبصر خيالاً من وراء الستر؛ فقال: " من هذا؟ " فقالت: أسماء؛ قال: " بنت عميس "؟ قالت: نعم، أنا التي أحرس بنتك يا رسول الله؛ فإن الفتاة ليلة

بنائها لا بد لها من امرأة تكون قريباً منها، إن عرضت لها حاجة أفضت بذلك إليها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان " .

طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر: أدرك رسول الله وروى عنه: وقد أدرك عبد الله بن جعفر رحمه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه .

فمما روى عنه ما حدثنيه حامد بن محمد بن شعيب البلخي وأحمد بن محمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب .

رآه النبي يلعب فداعبه:

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني ابن يحيى وعثمان بن أبي سليمان قالا: مر النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن جعفرٍ وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال: " ما تصنع بهذا "؟ قال: أبيعه، قال: " ما تصنع بثمنه "؟ قال: أشتري به رطباً فآكله؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم بارك له في صفقة يمينه ". فكان يقال: ما اشترى شيئاً إلا ربح فيه .

تعرض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثياباً: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب: أن الحزين قمر في العقيق في غداةٍ باردةٍ ثيابه، فمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خزٍ، فاستعار الحزين من رجل ثوباً، ثم قام إليه فقال:

أقول له حين واجهته ... عليك السلام أبا جعفر

فقال: وعليك السلام؛ فقال:

فأنت المهذب من غالبٍ ... وفي البيت منها الذي تذكر

فقال: كذبت يا عدو الله؛ ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

فهذي ثيابي قد أخلقت ... وقد عضني زمن منكر

قال: هاك ثيابي، فأعطاه ثيابه .

قال الزبير قال عمي: أما البيت الثاني فحدثنيه عمي عن الفضل بن الربيع عن أبي، وما بقي فأنا سمعته من أبي .

تعرض له أعرابي هو على سفر عطاه راحلة بما عليها: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال: بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن عبد الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله، فقال: يا أعرابي، ما عندنا ما نصلك؛ ولكن عليك بابن جعفر. فأتى الأعرابي باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة، وراحلته بالباب عليها متاعها وسيف معلق، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابي يقول:

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوة صلاتهم للمسليمن طهور

أبا جعفر إن الحجيج ترحلوا وليس لرحلي فاعلمن بعير

أبا جعفر ضن الأمير بماله وأنت على ما في يديك أمير

وأنت امرؤ من هاشم في صميمها إليك يصير المجد حيث تصير

فقال: يا أعرابي، سار الثقل فدونك الراحلة بما عليها، وإياك أن تخدع عن السيف فإني أخذته بألف دينار. فأنشأ الأعرابي يقول:

حباني عبد الله، نفسي فداؤه بأعيس موارٍ سباطٍ مشافزه

وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليل داجٍ عساكره

وكل امرئ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمن والبشر طائره

فيا خير خلق الله نفساً ووالدا وأكرمه للجار حين يجاوره

سأثني بما أوليتني يابن جعفر وما شاكره عرفاً كمن هو كافره

ذكر له شاعر أنه كساه في المنام، فكساه جبة وشى: وحدثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدثني شيخ من بني تميم بخراسان قال: جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخز دراعة

شكوت إلى صاحبي أمرها فقال ستؤتى بها الساعه

سيكسوها الماجد الجعفري ومن كفه الدهر نفاعه

ومن قال للجود لا تعدني فقال لك السمع والطاعه

فقال عبد الله لغلامه: ادفع إليه دراعتي الخز ثم قال له: كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينارٍ! فقال له الشاعر: بأبي دعني اغفى إغفاءةً أخرى فلعلي أرى هذه الجبة في المنام، فضحك منه وقال: يا غلام ادفع إليه جبتي الوشى .

اعترض ابن دأبٍ على شعر الشماخ في مدحه بأنه دون شعره في عرابة: حدثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دأبٍ: وسمع قول الشماخ بن ضرارٍ الثعلبي في عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب رحمه الله:

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى

وجار ضيفٍ طرق الحي سرى صادف زادا وحديثاً يشتهى

إن الحديث طرف من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشماخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

عبد الله بن جعفر كان أحق بهذا من عرابة .

جوده على أهل المدينة: قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بن الحسن يقول كان أهل المدينة يدانون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر .

جوده على رجل جلب إلى المدينة سكراً كسد عليه: أخبرني أحمد قال حدثني يحيى قال: حدثني أبو عبيد قال حدثني يزيد بن هارون عن هشام عن ابن سيرين قال: جلب رجل إلى المدينة سكراً فكسد عليه فقيل له: لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن، فأتى ابن جعفر فأخبره، فأمره بإحضاره وبسط له، ثم أمر به فنثر، فقال للناس: انتبهوا، فلما رأى الناس ينتبهون قال: جعلت فداءك! آخذ معهم؟ قال: نعم، فجعل الرجل يهيل في غرائره، ثم قال لعبد الله: أعطني الثمن فقال: وكم ثمن سكرك؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها .

أخبرنا أحمد قال حدثني يحيى بن علي، وحدثني ابن عبد العزيز قال حدثنا أبو محمد الباهلي حسن بن سعيد عن الأصمعي نحوه وزاد فيه، قال: فقال الرجل: ما يدري هذا وما يعقل أخذ أم أعطى! لأطلبنه بالثمن ثانية، فغدا عليه فقال: ثمن سكري، فأطرق عبد الله ملياً ثم قال: يا غلام، أعطه أربعة آلاف درهم؛ فأعطاه إياها، فقال الرجل قد قلت لكم: إن هذا الرجل لا يعقل أخذ أم أعطى! لأطلبنه بالثمن، فغدا عليه فقال: أصلحك الله! ثمن سكري، فأطرق عبد الله ملياً، ثم رفع رأسه إلى رجل، قال: إدفع إليه أربعة آلاف درهم، فلما ولى ليقبضها قال له ابن جعفر: يا أعرابي، هذه تمام اثني عشر ألف درهم، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

باعه رجل جملاً وأخذ ثمنه مراراً فمدحه: وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن دماذ عن أبي عبيدة: أن أعرابياً باع راحلةً من عبد الله بن جعفر، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها فأمر له به، ثم عاود ثلاثاً، وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه: فقال فيه:

لا خير في المجتدى في الحين تسأله فاستمطروا من قريش خير مختدع

تخال فيه إذا حاورته بلهاً من جوده وهو وافي العقل والورع

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرقيات .

وفاته عام الجحاف: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني مصعب بن عثمان قال: لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد الله بن جعفر، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول: اللهم إنك عودتني عادةً جريت عليها، فإن كان ذلك انقضى فاقبضني إليك، فتوفي في الجمعة الأخرى. قال يحيى: توفي عبد الله وهو ابن سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عام الجحاف لسيلٍ كان بمكة جحف الحاج فذهب بالإبل عليها الحمولة، وكان الوالي على المدينة يومئذ أبان بن عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان، وهو الذي صلى عليه .

وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه: حدثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين بن محمد قال أخبرني محمد بن مكرمٍ قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال أخبرني الأصمعي عن الجعفري قال: لما مات عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلهم، وإنما كان عبد الله بن جعفر مأوى المساكين وملجأ الضعفاء، فما تنظر إلى ذي حجاً إلى رأيته مستعبراً قد أظهر الهلع والجزع، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال: رحمك الله يابن جعفر! إن كنت لرحمك لواصلاً، ولآهل الشر لمبغضاً، ولأهل الريبة لقالياً، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى:

رعيت الذي كان بيني وبينكم من الود غيبتك المقابر

فرحمك الله! يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حياً؛ والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد عم قريشاً كلها هلكك، فما أظن أن يرى بعدك مثلك .

ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه: فقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فقال: لا إله إلا الله الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه ترجعون، ما كان أحلى العيش بك يابن جعفر! وما أسمج ما أصبح بعدك! والله لو كانت عيني دامعةً على أحد لدمعت عليك، كان والله حديثك غير مشوبٍ بكذبٍ، وودك غير ممزوج بكدرٍ .

نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمه وأسكته:

فوثب ابن المغيرة بن نوفلٍ و لم يثبت الأصمعي اسمه فقال: يا عمرو، بمن تعرض بمزج الود وشوب الحديث؟ أفبابني فاطمة؟ فهما والله خير منك ومنه، فقال: على رسلك يا لكع ! أردت أن أدخلك معهم؟ هيهات لست هناك، والله لو مت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذممت، فتكلم بما شئت فلن تجد لك مجيباً؛ فما هو إلا أن سمعهما الناس يتكلمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا .

شعر ابن قيس الرقيات في علته التي مات فيها: قال يحيى وقال عبد الله بن قيس الرقيات في علة عبد الله بن جعفر التي مات فيها:

بات قلبي تشفه الأوجاع من هموم تجنها الأضلاع
من حديث سمعته منع النو م فقلبي مما سمعت يراع
إذ أتانا بما كرهنا أبو اللس لاس، كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راح سريعاً أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو ثقيل بك لا بالذي عنيت الصداع
ابن أسماء لا أبا لك تنعى أنه غير هالكٍ نفاع
هاشمياً بكفه من سجال ال مجد سجل يهون فيه القباع
نشر الناس كل ذلك منه شيمة المجد ليس فيه خداع

لم أجد بعدك الأخلاء إلا كثمادٍ به قذىً أو نقاع
بيته من بيوت عبد منافٍ مد أطنابه المكان اليفاع
منتهى الحمد والنبوة والمج د إذا قصر اللئام الوضاع
فستأتيك مدحة من كريم ناله من ندى سجالك باع

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيسٍ في عبد الله بن جعفر بيتان يغنى فيهما، وهما: صوت:

قد أتانا بما كرهنا أبو اللس لاس كانت بنفسه الأوجاع
قال يشكو الصداع وهو ثقيل بك لا بالذي ذكرت الصداع

غناه عمرو بن بانة خفيف ثقيل، الأول بالوسطى على مذهب إسحاق. ويقال إن عمرو بن بانة صاغ هذا اللحن في هذا الشعر وغنى به الواثق يعقب علة نالته وصداعٍ تشكاه؛ قال: فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم. وأم معاوية بن عبد الله بن جعفر أم ولد. وكان من رجالات قريش، ولم يكن في ولد عبد الله مثله .

بشروه وهو عند معاوية بولد فسماه باسمه: حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي عبد الرحمن القرشي: أن معاوية بن عبد الله بن جعفر ولد وأبوه عبد الله عند معاوية، فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال: سمه معاوية ولك مائة ألف درهم، ففعل، فأعطاه المال، وأعطاه عبد الله للذي بشره به. قال المدائني: وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده، ويقول إن يرد الله جل وعز بهم يتأدبوا، فلم ينجب فيهم غير معاوية .

خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد ابن إسحاق عن أبيه، قال هارون وحدثني محمد بن عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوام قال حدثني عمرو بن الحكم السعيدي وإبراهيم بن محمد ومحمد بن معن بن عنبسة قالوا: كان معاوية بن عبد الله بن جعفر قد عود ابن هرمة البر، فجاءه يوماً وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً بدينٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعةً فيها مديح له يسأله فيه أيضاً براً، فقال للجارية: قولي له: أيدينا ضيقة، وما عندنا شيء إلا شيء أخذناه بكلفةٍ، فرجعت جاريته بذلك، فأخذ الرقعة فكتب فيها:

فإني ومدحك غير المصي ب كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة مع الجارية، فدفعتها إلى معاوية، فقال لها: ويحك قد علم بها أحد! قالت: لا والله إنما دفعها من يده إلى يدي؛ قال: فخذي هذه الدنانير فادفعيها إليه، فخرجت بها إليه، فقال: كلا، أليس زعم أنه لا يدفع إلي شيئاً ؟ كان ابنه معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية فسمى ابنه باسمه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال:

سمي عبد الله بن جعفر ابنه معاوية بن أبي سفيان. قال: وكان معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة، فسمى ابنه بيزيد بن معاوية .

وصيته لابنه معاوية عند وفاته: قال الزبير: وحدثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد: أن عبد الله بن جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه فترع شنفاً كان في أذنه وأوصى إليه وفي ولده من هو أسن منه وقال له: إني لم أزل أؤملك لها فلما توفى احتال بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه، وقسم أموال أبيه بين ولده، فلم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ويقال: بنت عياش بن ربيعة. وقد روى عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان معه يوم حنينٍ، وهو أحد من ثبت معه يومئذ .

بعض صفات عبد الله بن معاوية: وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجودائهم وشعرائهم، و لم يكن محمود المذهب في دينه، وكان يرمى بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر: ويكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية، وله يقول ابن هرمة:

أحب مدحاً أبا معاوية الما ... جد لا تلقه حصوراً عيبا

بل كريماً يرتاح للمجد بسا ... ماً إذا هزه السؤال حيا

إن لي عنده وإن رغم الأع ... داء حظاً من نفسه وقفيا

قفيا: أثره، يقول: إن لي عنده لأثرة على غيري، وقال قوم آخرون: القفي: الكرامة

إن أمت تبق مدحتي وإخائي ... وثنائي من الحياة مليا

يأخذ السبق بالتقدم في الجر ... ي إذا ما الندى انتحاه عليا

ذو وفتاءٍ عند العدات وأوصا ... ه أبوه ألا يزال وفيا

فرعى عقدة الوصاة فأكرم ... بهما موصياً وهذا وصيا

يابن أسماء فاسق دلوى فقد أو ... ردتها منهلاً يثج رويا

يعني أمه أسماء، وهي أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. وأول هذه القصيدة:

عاتب النفس والفؤاد الغويا ... في طلاب الصبا فلست صبيا

قال يحيى بن علي فيما أجازه لنا: أخبرني أبو أيوب المديني وأخبرناه وكيع عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه قالا: مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأتاه، فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه. قال ابن هرمة: ورآني بعض خدمه فعرفني، فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال: عامتهم غرماء

له، فقلت: ذاك شر. واستؤذن لي عليه فقلت: لم أعلم والله بهؤلاء الغرماء ببابك، قال: لا عليك أنشدني. قلت: أعيذك بالله. واستحييت أن أنشد، فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها:

حللت محل القلب من آل هاشم فعشك مأوى بيضها المتفلق

ولم تك بالمعزى إليها نصابه لصاقاً ولا ذا المركب المتعلق

فمن مثل عبد الله أو مثل جعفر ومثل أبيك الأريحي المرهق

فقال: من ها هنا من الغرماء؟ فقيل: فلان وفلان، فدعا باثنين منهم فسارهما وخرجا، وقال لي : اتبعهما. قال: فأعطياني مالاً كثيراً. قال يحيى: ومن مختار فيه منها قوله:

فإلا توات اليوم سلمى فربما شربنا بحوض اللهو غير المرنق

فدعها فقد أعذرت في ذكر وصلها وأجريت فيها شأو غربٍ ومشرق

ولكن لعبد الله فانطق بمدحه تجيرك من عسر الزمان المطبق

أخ قلت للأذنين لما مدحته هلموا وساري الليل مِ الآن فاطرق

شديد التأني في الأمور مجرب متى يعر أمر القوم يفر ويخلق

ترى الخبر يجري في أسرة وجهه كما لألأت في السيف جرية رونق

كريم إذا ما شاء عد له أبا له نسب فوق السماك المحلق

وأما لها فضل على كل حرة متى ما تسابق بابنها القوم تسبق

ومما يغنى فيه من قصيدة ابن هرمة اليائية التي مدح بها ابن معاوية قوله: صوت:

عجبت جارتي لشيبٍ علاني عمرك الله هل رأيت بديا

إنما يعذر الوليد ولا يع ذر من عاش في الزمان عتيا

غنى فيهما فليح رملاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانة ومن رواية حبشٍ فيهما لابن محرزٍ خفيف ثقيل بالبنصر .

خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية: حدثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمه عيسى، قال ابن عمار وأخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمد بن أبي خيثمة عن مصعبٍ الزبيري، قال ابن عمار وأخبرني أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي اليقظان وشهاب بن عبد الله وغيرهما، قال ابن عمار وحدثني به سليمان بن أبي شيخ عمن ذكره. قال أبو الفرج الأصبهاني: ونسخت أنا أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن علي بن حمزة عن المدائني وغيره فجمعت معاني ما ذكروه في ذلك كراهة الإطالة: أن عبد الله بن معاوية قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستميحاً له، فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن عبد المؤمن بن شبث بن ربعي الرياحي، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية،

وقالوا له: اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، واجتمعت له جماعة، فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه. قال ابن عمارٍ في خبره: إنه إنما خرج في أيام يزيد بن الوليد، ظهر بالكوفة ودعا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأظهر سيمى الخير، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة، و لم يبايعه كلهم وقالوا: ما فينا بقية قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت، وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك، وجمع جموعاً من النواحي، وخرج معه عبد الله بن العباس التميمي. قال محمد بن علي بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة: إن ابن معاوية قبل قصده المشرق ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه، وعلى الكوفة يومئذ عامل ليزيد الناقص يقال له عبد الله بن عمر، فخرج إلى ظهر الكوفة مما يلي الحرة، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً. قال محمد بن علي بن حمزة عن المدائني عن عامر بن حفصٍ، وأخبرني به ابن عمار عن أحمد بن الحارث عن المدائني: أن ابن عمر هذا دس إلى رجل من أصحاب ابن معاوية من وعده عنه مواعيد على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته، فبلغ ذلك ابن معاوية، فذكره لأصحابه وقال: إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم، فلما التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غير ابن معاوية، فجعل يقاتل وحده ويقول:

تفرقت الظباء على خداشٍ فما يدري خداش ما يصيد

ثم ولى وجهه منهزماً فنجا، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي من أجابه، حتى صار في عدة، فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهمذان وقم والري وقومس وأصبهان وفارس، وأقام هو بأصبهان. قال: وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بني يشكر، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه، فأخذهم بالبيعة؛ فقالوا: علام نبايع؟ فقال: على ما أحببتم وكرهتم، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن علي بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرز بن جعفر: أن عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، قال: واستعمل أخاه الحسن على إصطخر، وأخاه يزيد على شيراز، وأخاه علياً على كرمان، وأخاه صالحاً على قم ونواحيها، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي. وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب: وقصده وجوه قريش من بني أمية وغيرهم، فممن قصده من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، فمن أراد منهم عملاً قلده، ومن أراد منهم صلة وصله .

وجه إليه مروان بن محمد جيشاً لمحاربته بقيادة ابن ضبارة:

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حت ولي مروان بن محمد الذي يقال له مروان الحمار، فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج إليه، فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دهشٍ هو وإخوته قاصدين لخراسان وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر ابن سيار فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التناء ذي مروءة ونعمة وجاهٍ ،

فسأله معونته، فقال له: من أنت من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أأنت إبراهيم الإمام الذي يدعى له بخراسان؟ قال: لا، قال فلا حاجة لي في نصرتك .

التجأ إلى أبي مسلم فحبسه: فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره، فرفع إليه أنه يقول: ليس في الأرض أحمق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه، والله ما رضيت الملائكة الحرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام، فقالت: " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " حتى قال لهم: " إني أعلم ما لا تعلمون " .

كتابه إلى أبي مسلم وهو في حبسه: ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها: إلى أبي مسلم، من الأسير في يديه، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه. أما بعد فإنك مستودع ودائع، ومولى صنائع؛ وإن الودائع مرعية، وإن الصنائع عارية؛ فاذكر القصاص، واطلب الخلاص؛ ونبه للفكر قلبك، واتق الله ربك، وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً، فإنك لاقٍ أما سلفت، وغير لاقٍ ما خلفت، وفقك الله لما ينجيك، وآتاك شكر ما يبليك .

قتله أبو مسلم ووجه برأسه إلى ابن ضبارة: قال: فلما قرأ كتابه رمى به. ثم قال: قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا، ثم أمضى تدبيره في قتله. وقال آخرون: بل دس إليه سماً فمات منه، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان، فأخبرني عمر بن عبد الله العتكي قال: حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أن عبد العزيز بن عمران حدثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة أنه حضر مروان يوم الزاب وهو يقاتل عبد الله بن علي، فسأل عنه فقيل له: هو الشاب المصفر الذي كان يسب عبد الله ابن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال: والله لقد هممت بقتله مراراً، كل ذلك يحال بيني وبينه، " وكان أمر الله قدراً مقدوراً " .

كانت الزنادقة من خاصته: حدثني أحمد بن عبد الله بن عمار قال حدثني النوفلي عن أبيه عن عمه قال: كان عمارة بن حمزة يرمى بالزندقة، فاستكتبه ابن معاوية، وكان له نديم يعرف بمطيع بن إياس، وكان زنديقاً مأبوناً، وكان له نديم آخر يعرف بالبقلي وإنما سمي بذلك لأنه كان يقول: الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه. فكان هؤلاء الثلاثة خاصته، وكان له صاحب شرطة يقال له قيس، وكان دهرياً لا يؤمن بالله معروفاً بذلك، فكان يعس بالليل قلا يلقاه أحد إلا قتله، فدخل يوماً على ابن معاوية فلما رآه قال:

إن قيساً وإن تقنع شيباً ... لخبيث الهوى على شمطة

ابن تسعين منظراً ومشيباً ... وابن عشرٍ يعد في سقطه

وأقبل على مطيع فقال: أجز أنت، فقال:

وله شرطة إذا جنه اللي ... ل فعوذوا بالله من شرطه

قسوته: قال ابن عمار: أخبرني أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي يقظان وشباب بن عبد الله وغيرهما، قال ابن عمار وحدثني به سليمان بن أبي شيخ عمن ذكره: أن ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط وهو يتحدث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط، وأنه فعل ذلك برجل، فجعل يستغيث فلا يلتفت إليه، فناداه: يا زنديق، أنت الذي تزعم أنه يوحى إليك! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني النوفلي عن أبيه عن عمه عيسى قال:

كان ابن معاوية أقسى خلق الله قلباً، فغضب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفل، ففعل ذلك به فتعلق بدرابزين كان على الغرفة، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها، فقطعت ومر الغلام يهوي حتى بلغ إلى الأرض فمات .

بعض شعره: وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم، وهو الذي يقول:

ألا تزع القلب عن جهله ... وعما تؤنب من أجله!

فأبدل بعد الصبا حلمه ... وأقصر ذو العذل عن عذله

فلا تركبن الصنيع الذي ... تلوم أخاك على مثله

ولا يعجبنك قول امرئٍ ... يخالف ما قال في فعله

ولا تتبع الطرف ما لا تنال ... ولكن سل الله من فضله

فكم من مقلٍ ينال الغنى ... ويحمد في رزقه كله

أنشدنا هذا الشعر له ابن عمار عن أحمد بن خيثمة عن يحيى بن معين. وذكر محمد بن علي العلوي عن أحمد بن أبي خيثمة أن يحيى بن معين أنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية:

إذا افتقرت نفسي قصرت افتقارها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقري

وإن تلقني في الدهر مندوحة الغنى ... يكن لأخلائي التوسع في اليسر

فلا العسر يزري بي إذا هو نالني ... ولا اليسر يوماً إن ظفرت به فخري

وهذا الشعر الذي عنى به أعني قوله:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

يقوله ابن معاوية للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه .

شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني إبراهيم بن يزيد الخشاب قال: كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله

بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان حسين هذا وعبد الله بن معاوية يرميان بالزندقة. فقال الناس: إنما تصافيا على ذلك، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله، فقال عبد الله بن معاوية:

وإن حسيناً كان شيئاً ملففا فمحصه التكشيف حتى بدا ليا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

وله في الحسين أشعار كلها معاتبات، فمنها ما أخبرني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة. قال: أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية، يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب:

قل لذي الود والصفاء حسينٍ أقدر الود بيننا قدره

ليس للدابغ المقرظ بد من عتاب الأديم ذي البشره

قال وقال له أيضاً:

إن ابن عمك وابن أمك معلم شاكي السلاح

يقص العدو وليس ير ضى حين يبطش بالجناح

لاتحسبن أذى ابن عمك شرب ألبان اللقاح

بل كالشجا تحت اللها ة إذا يسوغ بالقراح

فانظر لنفسك من يجي ك تحت أطراف الرماح

من لا يزال يسوءه بالغيب أن يلحاك لاحي

خبره مع جده عبد الحميد بن عبيد الله: أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى ابن الحسن قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى: أن عبد الله بن معاوية مر بجده عبد الحميد في مزرعته بصرام وقد عطش فاستسقاه، فخاض له سويق لوزٍ فسقاه إياه، فقال عبد الله بن معاوية:

شربت طبرزذاً بغريض مزنٍ كذوب الثلج خالطه الرضاب

قال يحيى قال الزبير: الرضاب ماء المسك، ورضاب كل شيء: ماؤه. فقال عبد الحميد ابن عبيد الله يجيب عبد الله بن معاوية على قوله:

ما إن ماؤنا بغريض مزن ولكن الملاح بكم عذاب

وما إن بالطبرزذ طاب لكن بمسك لا به طاب الشراب

وأنت إذا وطئت تراب أرضٍ يطيب إذا مشيت بها التراب

لأن نداك يطفى المحل عنها وتحييها أياديك الرطاب

تغنى إبراهيم الموصلي في شعره:

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم الموصلي قال: بينا نحن عن الرشيد أنا وابن مجامع وعمرو والغزال إذ قال صاحب الستارة لابن جامع: تغن في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله جعفر، قال: و لم يكن ابن مجامعٍ يغني في شيء منه، وفطنت لما أراد من شعره، وكنت قد تقدمت فيه، فأرتج على ابن جامع، فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت: صوت:

يهيم بجملٍ وما إن يرى له من سبيل إلى جمله

كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله

فمنهم من الحب أودى به ومنهم من أشفى على قتله

فإذا يد قد رفعت الستارة، فنظر إلي وقال: أحسنت والله! أعد، فأعدته فقال: أحسنت! حتى فعل ذلك ثلاث مراتٍ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه، فمر الغلام يسعى فإذا بدرة دنانير قد جاءت يحملها فراش، فوضعت تحت فخذي اليسرى وقيل لي: اجعلها تكأتك ، قال: فلما انصرفنا قال لي ابن جامع: هل كنت وضعت لهذا الشعر غناءً قبل هذا الوقت؟ فقلت: ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن يترل بي ما نزل بك. فلما كان المجلس الثاني وحضرنا قال صاحب الستارة: يابن جامع، تغن في شعر عبد الله بن معاوية، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس، قال إبراهيم: فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت: صوت:

يا قوم كيف سواغ عي شٍ ليس تؤمن فاجعاته

ليست تزال مطلةً تغدو عليك منغصاته

الموت هول داخل يوماً على كره أناته

لابد للحذر النفو ر من أن تقنصه رماته

قد أمنح الود الخلي ل بغير ما شيء رزاته

وله أقيم قناة ودي ما استقامت لي قناته

قال: فأومأ إلي صاحب الستارة أن أمسك، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إلي أنه يبكي، قال: فأمسكت ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع: ما صب أمير المؤمنين على ابن جعفر؟ قلت: صبه الله عليه لبدرة الدنانير التي أخذتها. قال ثم حضر بعد ذلك، فلما اطمأن بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفي: اللهم أنسه ذكر ابن جعفر، قال فقلت: اللهم لا تستجب، فقال صاحب الستارة: يابن جامع تغن في شعر عبد الله بن معاوية، قال: فقال ابن

جامع: لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خير لطار مع أبيه و لم يقبل على الشعر، قال إبراهيم: فسمعنا ضحكة من وراء الستارة. قال إبراهيم فاندفعت أغني في شعره: صوت:

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أيما شأننا تعجب ؟
فلست بأول من فاته على إربه بعض ما يطلب
وكائن تعرض من خاطب فزوج غير التي يخطب
وأنكحها بعده غيره وكانت له قبلة تحجب
وكنا جديثاً صفيين لا نخاف الوشاة وما سببوا
فإن شطت الدار عنا بها فبانت وفي الناس مستعتب
وأصبح صدع الذي بيننا كصدع الزجاجة ما يشعب
وكالدر ليست له رجعة إلى الضرع من بعدما يحلب

غنى في البيتين الأولين إبراهيم الموصلي خفيف ثقيل الأول بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رملٍ غير منسوب. قال: فقال لي صاحب الستارة: أعد فأعدته، فأحسب أمير المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسف البال، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس، وجاؤوني ببدرة فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً، وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه، فلما انصرفنا قال: اللهم أرحنا من ابن جعفر هذا، فما أشد بغضي له، لقد بغض إلي جده، فقلت: ويحك! تدري ما تقول! قال: فمن يدري ما يقول؟ إذاً لوددت أني لم أر إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة، وأني تصدقت بها يعني البدرة .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

شمتت به امرأته حين خطب امرأة وتزوجها غيره فقال في ذلك شعراً: أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال:

خطب عبد الله بن معاوية ربيحة بنت محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن جعفر، وخطبها بكار بن عبد الملك بن مروان، فتزوجت بكاراً، فشمتت بعبد الله امرأته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين، فقال في ذلك:

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أيما شأننا تعجب

فقال ابن خيثمة في خبره عن مصعب قال له: والله ما شمت ولكني نفست عليك، فقال لها: لا جرم! والله لا سؤتك أبداً ما حييت: صوت:

طاف الخيال من أم شيبة فاعترى والقوم من سنةٍ نشاوى بالكرى

طافت بخوصٍ كالقسي وفتيةٍ هجعوا قليلاً بعدما ملوا السرى

الشعر لأبي وجزة السعدي، والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالبنصر .

أخبار أبي وجزة ونسبه

نسبه: اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث. وذكر بعض النسابين أن اسمه يزيد بن أبي عبيد، وأنه كان له أخ يقال له عبيد، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم .

دخل مع أبيه في بني سعد: وأصله من سليم من بني ضبيس بن هلال بن قدم بن ظفر بن الحارث بن بهثة بن سليم؛ ولكنه لحق أباه وهو صبي سباء في الجاهلية، فبيع بسوق ذي المجاز، فابتاعه رجل من بني سعد، وأستعبده، فلما كبر استعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته، فقال له: إنه لا سباء على عربي، وهذا الرجل قد أمتن عليك فإن شئت فأقم عنده، وإن شئت فالحق بقومك، فأقام في بني سعد وانتسب إليهم هو وولده .

كان بنو سعد أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم: وبنو سعد أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان مسترضعاً فيهم عند امرأةٍ يقال لهم حليمة، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يفع، ثم أخذه جده عبد المطلب منهم فرده إلى مكة، وجاءته حليمة بعد الهجرة، فأكرمها وبرها وبسط لها رداءه فجلست عليه. وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن، وحقيق بكل مكرمةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدنى سبب أو وسيلةٍ .

آثر أبوه الانتساب إلى بني سعد دون قومه بني سليم: أخبرني بخبره الذي حكيت جملاً منه في نسبه وولائه أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي عن يونس. وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إلي عن محمد بن سلامٍ عن يونس وأخبرني به عمي عن الكراني عن الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيدٍ السكري عن يعقوب بن السكيت قالوا جميعاً سوى يعقوب .

كان عبيد أبو أبي وجزة السعدي عبداً بيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر بن عمير بن ملان بن ناصرة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن، فأقام عنده زماناً يرعى إبله، ثم إن عبيداً ضرب ضرع ناقةٍ لمولاه فأدماه، فلطم وجهه، فخرج عبيد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعدياً فلما قدم عليه قال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل من بني سليمٍ، ثم من بني ظفر أصابني سباء الجاهلية كما يصيب العرب بعضها من بعض، وأنا معروف النسب، وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني، فأساء إلي وضرب وجهي، وقد بلغني أنه لا سباء في الإسلام، ولا رق على عربي في الإسلام. فما فرغ من كلامه حتى أتاه مولاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على أثره، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا غلام ابتعته بذي المجاز، وقد كان يقوم في مالي، فأساء فضربته ضربة والله ما أعلمني ضربته غيرها قط، وإن الرجل ليضرب ابنه أشد منها فكيف بعبده، وأنا أشهدك أنه حر لوجه الله

تعالى، فقال عمر لعبيد: قد امتن عليك هذا الرجل، وقطع عنك مؤنه البينة، فإن أحببت فأقم معه، فله عليك منة، وإن أحببت فالحق بقومك، فأقام مع السعدي وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن، وتزوج زينب بنت عرفطة المزنية، فولدت له أبا وجزة وأخاه، وقال يعقوب: وأخاه عبيداً، وذكر أن أباهما كان يقال له أبو عبيدٍ، ووافق من ذكرت روايته في سائر الخبر، فلما بلغ ابناه طالباه بأن يلحق بأصله وينتمي إلى قومه من بني سليم، فقال: لا أفعل ولا ألحق بهم فيعيروني كل يوم ويدفعوني، وأترك قوماً يكرموني ويشرفوني، فوالله لئن ذهبت إلى بني ظفرٍ لا أرعى طمة ، ولا أراد جمة، إلا قالوا لي: يا عبد بني سعدٍ قال: وطمة: جبل لهم. فقال أبو وجزة في ذلك:

أنمى فأعقل في ضبيسٍ معقلاً ضخماً مناكبه تميم الهادي

والعقد في ملان غير مزلج بقوى متينات الحبال شداد

كان من التابعين وروى عن جماعة من أصحاب رسول الله: وكان أبو وجزة من التابعين، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، و لم يسند إليه حديثاً، ولكنه حدث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء، ونقل عنه جماعة من الرواة .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع وعمي قالا حدثنا عبد الله بن شبيبٍ قال حدثني إبراهيم بن حمزة قال حدثني موسى بن شيبة قال: سمعت أبا وجزة السعدي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس شعر حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعراً، ولكنه حكمة " .

فأما خبر الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمرو فإن الحسن بن علي أخبرنا به قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني عبد الله بن عمرو عن علي بن الصباح عن هشام بن محمدٍ عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال: شهدت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقي عام الرمادة؛ فقام وقام الناس خلفه، فجعل يستغفر الله رافعاً صوته لا يزيد على ذلك؛ فقلت في نفسي: ما له لا يأخذ فيما جاء له؛ و لم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلتنا، فسقي الناس، وقلدتنا السماء قلدا، كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرينة تأكلها صغار الإبل من وراء حقاق العرفط .

مات سنة ثلاثين ومائة: وأخبرني أبو الحسن الأسدي وهاشم بن محمد الخزاعي جميعاً عن الرياشي عن الأصمعي عن عبد الله بن عمر العمري عن أبي وجزة السعدي عن أبيه، وذكر الحديث مثله. وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، واللفظ متقارب وزاد الرياشي في خبره: فقلت لأبي وجزة: ما حقاق العرفط؟ قال: نبات سنتين وثلاث. وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال: ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة .

هو أحد من شبب بعجوزٍ حيث يقول:

يأيها الرجل الموكل بالصبا فيم ابن سبعين المعمر من دد؟

حتام أنت موكل بقديمةٍ أمست تجدد كاليماني الجيد

زان الجلال كمالها ورسا بها عقل وفاضلة وشيمة سيد

ضنت بنائلها عليك وأنتما غران في طلب الشباب الأغيد

فالآن ترجو أن تثيبك نائلاً هيهات !نائلها مكان الفرقد

روى صورة استسقاء عمر عن أبيه: وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي جميعاً قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن الحسن المخزومي عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال: استسقى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فلما وقف على المنبر أخذ في الاستغفار، فقلت: ما أراه يعمل في حاجته! ثم قال في آخر كلامه: اللهم إني قد عجزت وما عندك أوسع لهم. ثم أخذ بيد العباس رضي الله تعالى عنه، ثم قال: وهذا عم نبيك، ونحن نتوسل إليك به. فلما أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن يترل قلب رداءه، ثم نزل فتراءى الناس طرة في مغرب الشمس، فقالوا: ما هذا! ما رأينا قبل قزعة سحاب أربع سنين؟ قال: ثم سمعنا الرعد، ثم انتشر، ثم اضطرب، فكان المطر يقلدنا قلداً في كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرينة خارجة من حقاق العرفط تأكلها صغار الإبل .

مدح بني الزبير وأكرموه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي قال: خرج أبو وجزة السعدي وأبو زيد الأسلمي يريدان المدينة، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير، امتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومي، فقال له أبو وجزة: هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم؟ فقال: كلا والله، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير. فقدما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب، فقال إبراهيم لبعض أصحابه: أخرج إلى هذا الأعرابي الجلف فاضربه وأخرجه، فأخرج وضرب. وأتى أبو وجيزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له إلى مال لهم بالفرع أن يعطي منه ستين وسقاً من التمر، فقال أبو وجزة يمدحهم:

راحت قلوصي رواحاً وهي حامدة آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا

راحت بستين وسقاً في حقيبتها ما حملت حملها الأدنى ولا السددا

ذاك القرى لا كأقوامٍ عهدتهم يقرون ضيفهم الملوية الجددا

يعني السياط .

قال أبو الفرج الأصفهاني: قول أبي وجزة:

راحت بستين وسقاً في حقيبتها

أنها حملت ستين وسقاً ولا تحمل ناقة ذلك ولا تطيقه ولا نصفه، وإنما عنى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين سقاً فركب ناقته والكتاب معه بذلك قد حملته في حقيبتها، فكأنها حاملة بالكتاب ستين وسقاً، لا أنها أطاقت

حمل ذلك. وهذا ببيت معنى يسأل عنه .

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري في شعر أبي وجزة وأخباره: أحسن عمرو بن زيادة جواره فمدحه: كان أبو وجزة قد جاور مزينة، وانتجع بلادهم لصهره فيهم، فنزل على عمرو بن زياد بن سهيل بن مكدم بن عقيل بن عمرو بن مرة بن مازن بن عوف بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان، فأحسن عمرو جواره وأكرم مثواه، فقال أبو وجزة يمدحه:

لمن دمنة بالنعف عافٍ صعيدها ... تغير باقيها ومح جديدها

لسعدة من عام الهزيمة إذ بنا ... تصافٍ وإذ لما يرعنا صدودها

وإذ هي أما نفسها فأريبه ... للهوٍ، وأما عن صباً فتذودها

تصيد ألباب الرجال بدلها ... وشيمتها وحشية لا نصيدها

كباسقة الوسمي ساعة أسبلت ... تلألأ فيها البرق وابيض جيدها

الباسقة: التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه، قال الله تبارك وتعالى: " والنخل باسقاتٍ " .

كبكرٍ تراني فرقدين بقفرة ... من الرمل أو فيحان لم يعس عودها

لعمرو الندى عمر بن آل مكدم ... كثير عليات الأمور جليدها

فتًى بين مسروجٍ وآل مكدمٍ ... وعمرو فتى عثمان طراً وسيدها

حليم إذا ما الجهل أفرط ذا النهي ... على أمره، حامي الحصاة شديدها

وما زال ينحو فعل من كان قبله ... من آبائه يجني العلا ويفيدها

فكم من خليلٍ قد وصلت وطارقٍ ... وقربت من أدماء وارٍ قصيدها

وذي كربةٍ فرجت كربة همه ... وقد ظل مستداً عليه وصيدها

تزوج زينب بنت عرفطة وقال فيها رجزاً فأجابته برجز مثله ك أخبرني عمي قال حدثني العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله ابن أبي مسروج قال: تزوج أبو وجزة السعدي زينب بنت عرفطة بن سهل بن مكدم المزنية فولدت له عبيداً وكانت قد عنست ، وكان أبو وجزة يبغضها، وإنما أقام عليها لشرفها، فقال لها ذات يوم:

أعطى عبيداً وعبيد مقنع ... من عرمسٍ محزمها جلنفع

ذات عساسٍ ما تكاد تشبع ... تجتلد الصحن وما إن تبضع

تمر في الدار ولا تورع ... كأنها فيهم شجاع أقرع

فقالت زينب أم وجزة تجيبه:

أعطى عبيداً من شييخ ذي عجر لا حسن الوجه ولا سمحٍ يسر
يشرب عس المذق في اليوم الخصر كأنما يقذف في ذات السعر
تقاذف السيل من الشعب المضر

قال في ابنه عبيد رجزاً فأجابه برجز أيضاً: قال: وقال وجزة لابنه عبيد:

يا راكب العنس كمرداة العلم أصلحك الله وأدنى ورحم
إن أنت أبلغت وأديت الكلم عنى عبيد بن يزيد لو علم
قد علم الأقوام أن سينتقم منك ومن أم تلقتك وعم
رب يجازي السيئات من ظلم أنذرتك الشدة من ليثٍ أضم
عادٍ أبي شبلين فرفارٍ لحم فارجع إلى أمك تفرشك ونم
إلىعجوز رأسها مثل الإرم واطعم فإن الله رزاق الطعم

فقال عبيد لأبيه:

دعها أبا وجزة واقعد في الغنم فسوف يكفيك غلام كالزلم
مشمر يرقل في نعلٍ خذم وفي قفاه لقمة من اللقم
قد ولهت ألافها غير لمم حتى تناهت في قفا جعدٍ أحم

هجاه أبو مزاحم وعيره بنسبه فرد عليه: قال يعقوب: وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيره بنسبه:

دعتك سليم عبدها فأجبتها وسعد، وما ندري لآيهما العبد ؟

فأجابه أبو وجزة فقال :

أعيرتموني أن دعتني أخاهم سليم وأعطتني بأيمانها سعد
فكنت وسيطاً في سليم معاقداً لسعد، وسعد ما يحل لها عقد

مدح عبد الله بن الحسن وإخوته فأكرموه: أخبرني أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر الضبعي إجازةً قال حدثنا محمد بن مسعود الزرقي عن مسعود بن المفضل مولى آل حسن بن حسن قال: قدم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن الحسن وإخوته سويقة ، وقد أصابت قومه سنة مجدبة، فأنشده قوله يمدحه:

أثني علي ابني رسول الله أفضل ما أثني به أحد يوماً على أحد
السيدين الكريمي كل منصرفٍ من والدين ومن صهر ومن ولد
ذرية بعضها من بعضها عمرت في أصل مجد رفيع السمك والعمد

ماذا بنى لهم من صالحٍ حسن وحسن وعلي وابتنوا لغد
فكرم الله ذاك البيت تكرمةً تبقى وتخلد فيه آخر الأبد
هم السدى والندى، ما في قناتهم إذا تعوجت العيدان من أود
مهذبون هجان أمهاتهم إذا نسبن زلال البارق البرد
بين الفواطم ماذا ثم من كرم إلى العواتك مجد غير منتقد
ما ينتهي المجد إلا في بني حسن وما لهم دونه من دار ملتحد

قال: فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا له رواحله براً وتمراً، وكسوه ثوبين ثوبين .

فرض له عبد الملك بن يزيد السعدي عطاء في الجند وندبه لحرب أبي حمزة فقال في ذلك رجزاً: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شنة قال حدثني أبو غسان والمدائني جميعاً: أن عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدي كان قد ندب لقتال أبي حمزة الأزدي الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها، قال: وبعث إليه مروان بن محمد بمال، ففرقه فيمن خف معه من قومه، فكان فيمن فرض له منهم أبو وجزة وابناه، فخرج معترضاً للعسكر على فرس، وهو يرتجز ويقول:

قل لأبي جمزة هيد هيد جئناك بالعادية الصنديد
بالبطل القرم أبي الوليد فارس قيسٍ نجدها المعدود
في خيل قيسٍ والكماة الصيد كالسيف قد سل من الغمود
محضٍ هجانٍ ماجد الجدود في الفرع من قيس وفي العمود
فدىً لعبد الملك الحميد مالي من الطارف والتليد
يوم تنادى الخيل بالصعيد كأنه في جنن الحديد
سيد مدل عز كل سيد

قال: وسار ابن عطية في قومه، ولحقت به جيوش أهل الشام، فلقي أبا حمزة في اثني عشر ألفاً، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره، فنادوه. يابن عطية، إن الله جل وعز قد جعل الليل سكناً، فاسكنوا حتى نسكن، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .

كان منقطعاً لابن عطية مداحاً له: قال: وكان أبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطية، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويفضل عليه، وكان أبو وجزة مداحاً له، وفيه يقول:

حن الفؤاد إلى سعدى ولم تثب فيم الكثير من التحنان والطرب

قالت سعاد أرى من شيبه عجباً مهلاً سعاد فما في الشيب من عجب

غنى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من كتابه:

إما تريني كساني الدهر شيبته فإن ما مر منه عنك لم يغب

سقياً لسعدى على شيب ألم بنا وقبل ذلك حين الرأس لم يشب

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت صوب الثريا بماء الكرم من حلب

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

أهدى قلاصاً عناجيجاً أضربها نص الوجيف وتقحيم من العقب

يقصدن سيد قيسٍ وابن سيدها والفارس العد منها غير ذي الكذب

محمد وأبوه وابنه صنعوا له صنائع من مجد ومن حسب

إني مدحتهم لما رأيت لهم فضلاً على غيرهم من سائر العرب

إلا تثبني به لا يجزني أحد ومن يثب إذا ما أنت لم تثب

والأبيات التي ذكرت فيها الغناء المذكور معه أمر أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبد الملك بن عطية هذا.

ومما يختار منها قوله:

حتى إذا هجدوا ألم خيالها سراً، ألا بلمامه كان المنى

طرقت برياً روضةٍ من عالجٍ وسميةٍ عذبت وبيتها الندى

يا أم شيبة أي ساعة مطرقٍ نبهتنا، أين المدينة من بدا ؟

إني متى أقض اللبانة أجتهد عنق العتاق الناجيات على الوجى

حتى أزورك إن تيسر طائري وسلمت من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول:

فلأمدحن بني عطية كلهم مدحاً يوافي في المواسم والقرى

الأكرمين أوائلاً وأواخرا والأحلمين إذا تخولجت الحبا

والمانعين من الهضمية جارهم والجامعين الراقعين لما وهى

والعاطفين على الضريك بفضلهم والسابقين إلى المكارم من سعى

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي، ولا معنى للإطالة بذكرها .

مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه فيه: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: كان أبو وجزة السعدي منقطعاً إلى آل الزبير، وكان عبد الله بن عروة بن الزبير خاصةً يفضل عليه ويقوم بأمره، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فمدحه فوصله، فاطرحه ابن عروة، وأمسك يده عنه، فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصم بن أرطأة، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير، ولا يرجع له عبد الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه:

آل الزبير بنو حرة ... مروا بالسيوف صدوراً خنافا

سل الجرد عنهم وأيامها ... إذا امتعطوا المرهفات الخفافا

امتعطوا: سلوا، ومنه ذئب أمعط، منسل من شعره .

يموتون والقتل داء لهم ... ويصلون يوم السياف السيافا

إذا فرج القتل عن عيصهم ... أبى ذلك العيص إلا التفافا

مطاعيم تحمد أبياتهم ... إذا قنع الشاهقات الطخافا

وأجبن من صافرٍ كلبهم ... إذا قرعته حصاة أضافا

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضى عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

صوت من المائة المختارة:

ألا هل أسير المالكية مطلق ... فقد كاد لو لم يعفه الله يغلق

فلا هو مقتول، ففي القتل راحة ... ولا منعم يوماً عليه فمعتق

الشعر لعقيل بن علفة البيت الأول منه، والثاني لشبيب بن البرصاء، والغناء لأحمد بن المكي، خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه، وفيه لدقاق رمل بالوسطى من كتاب عمرو بن بانة، وأوله:

سلا أم عمرو فيم أضحى أسيرها ... يفادى الأسارى حوله وهو موثق

وبعده البيت الثاني وهو:

فلا هو مقتول ففي القتل راحة ... ولا منعم يوماً عليه فمعتق

والبيتان على هذه الرواية لشبيب بن البرصاء .

أخبار عقيل بن علفة

نسبه: عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر يربوع بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، ويكنى أبا العملس وأبا الجرباء .

وأم عقيل بن علفة العوراء، وهي عمرة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة. وأمها زينب بنت حصن بن حذيفة. هذا قول خالد بن كلثوم والمدائني. وقال ابن الأعرابي: كانت عمرة العوراء أم عقيل بن علفة والبرصاء أم شبيب ابن البرصاء أختين، وهما ابنتا الحارث بن عوف. واسم البرصاء قرصافة، أمها بنت نجبة ابن ربيعة بن رياح بن مالك بن شمخ .

كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب في مصاهرته:

وعقيل شاعر مجيد مقل، من شعراء الدولة الأموية. وكان أعرج جافياً شديد الهوج والعجرفية والبذخ بنسبه في بني مرة، لا يرى أن له كفئاً. وهو في بيتٍ شرف في قومه من كلا طرفيه. وكانت قريش ترغب في مصاهرته. تزوج إليه خلفاؤها وأشرافها، منهم يزيد ابن عبد الملك، تزوج ابنته الجرباء، وكانت قبله عند ابن عم لعقيل يقال له مطيع بن قطعة ابن الحارث بن معاوية. وولدت ليزيد بنياً درج . وتزوج بنته عمرة سلمة بن عبد الله بن المغيرة، فولدت له يعقوب بن سلمة، وكان من أشراف قريش وجودائها. وتزوج أم عمرو بنته ثلاثة نفر من بني الحكم بن أبي العاص: يحيى والحارث وخالد .

خطب إليه والي المدينة إحدى بناته فأنكر عليه فضربه فقال شعراً: أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: دخل عليه عقيل بن علفة على عثمان بن حيان وهو يومئذ على المدينة، فقال له عثمان: زوجني ابنتك، فقال: أبكرةً من إبلي تعني؟ فقال له عثمان: ويلك! أمجنون أنت! قال: أي شيء قلت لي؟ قال: قلت لك: زوجني ابنتك، فقال: أفعل إن كنت عنيت بكرةً من إبلي. فأمر به فوجئت عنقه. فخرج وهو يقول:

كنا بني غيظ الرجال فأصبحت ... بنو مالك غيظاً وصرنا كمالك

لحى الله دهراً ذعذع المال كله ... وسود أشباه الإماء العوارك

خطب إليه رجل من بني سلامان فكتفه وألقاه في قرية النمل: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان لعقيل ابن علفة جار من بني سلامان بن سعد، فخطب إليه ابنته، فغضب عقيل، وأخذ السلاماني فكتفه ، ودهن استه بشحم، وألقاه في قرية النمل، فأكلن خصييه حتى ورم جسده، ثم حله وقال: يخطب إلي عبد الملك فأرده، وتجترئ أنت علي !.

قال: ثم أجدبت مراعي بني مرة، فانتجع عقيل أرض جذام وقربهم عذرة. قال عقيل: فجاءني هني مثل البعرة، فخطب إلي ابنتي أم جعفر. فخرجت إلى أكمة قريبة من الحي، فجعلت أنبح كما ينبح الكلب، ثم تحملت وخرجت، فاتبعني جمع من حن بطن من عذرة فقالوا: اختر، إن شئت حبسناك، وإن شئت حدرناك وبعيرة من

رأس الجبل، فإن سبقتها خلينا عنك. فأرسلوا بعيرةً فسبقتها، فخلوا سبيلي، فقلت لهم: ما طمعتم بهذا من أحد! قالوا: أردنا أن نضع منك حيث رغبت عنا. فقلت فيهم:

لقد هزئت حن بنا وتلاعبت وما لعبت حن بذي حسب قبلي

رويداً بني حن تسيحوا وتأمنوا وتنتشر الأنعام في بلد سهل

والله لأموتن قبل أن أضع كرائمي إلا في الأكفاء .

خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعراً أجازه ابنه وابنته فرمى ابنه بسهم فعقره: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: وجدت في كتاب بخط الضحاك قال: خرج عقيل بن علفة وابناه: علفة وجثامة، وابنته الجرباء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً في بني مروان بالشام فآمت . ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق، فقال عقيل بن علفة:

قضت وطراً من دير سعدٍ وطالما على عرض ناطحنه بالجماجم

إذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشاً أعطينهم بالخزائم

ثم قال: أنفذ يا علفة، فقال علفة:

فأصبحن بالموماة يحملن فتيةً نشاوى عن الإدلاج ميل العمائم

إذا علم غادرنه بتنوفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسم

ثم قال أنفذي يا جرباء، فقالت: وأنا آمنة؟ قال: نعم. فقالت:

كأن الكرى سقاهم صرخديةً عقاراً تمشي في المطا والقوائم

فقال عقيل: شربتها ورب الكعبة! لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قرطك، أما وجدت من الكلام غير هذا! فقال جثامة: وهل أساءت! إنما أجازت. وليس غيري وغيرك. فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرحل، ثم شد على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامه وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء. ثم قال: لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة. ثم خرج متوجهاً إلى أهله وقال: لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك. فلما قدموا على أهل أبير وهم بنو القين ندم عقيل على فعله بجثامة، فقال لهم: هل لكم في جزور انكسرت؟ قالوا: نعم. قال: فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم، فاحتملوه وتقسموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه.

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الله اليزيدي بخطه و لم أجده ذكر سماعه إياه من أحد قال: قرئ على علي

بن محمد المدائني عن الطرماح بن خليل بن أبرد، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه: أن القوم احتملوا جثامة ليلحقوه بقومه؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنى جثامة:

أيعذر لاهينا ويلحين في الصبا وما هن والفتيان إلا شقائق

فقال له القوم: إنما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفاً، وقد عاودت ما يكرهه، فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته لا يلحقك منه شر وعر . فقال: إنما هي خطرة خطرت، والراكب إذا سار تغنى .

أصابه القولنج فنعتت له الحقنة فأبى فقال ابنه شعراً في ذلك: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: قدم عقيل بن علفة المدينة فنزل على ابن بته يعقوب بن سلمة المخزومي، فمرض وأصابه القولنج ، فنعتت له الحقنة فأبى. وقدم ابنه عليه فبلغه ذلك، فقال:

لقد سرني والله وقاك شرها نجاؤك منها حين جاء يقودها

كفى خزيةً ألا تزال مجبياً على شكوة توكى وفي استك عودها

شد على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه فقال في ذلك شعراً: أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا علي بن محمد عن زيد بن عياش التغلبي والربيع بن ثميل قالا: غدا عقيل بن علفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع، فإذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون، فشد على عملس فحاد عنه، وتغنى علفة فقال:

قفي يابنة المري أسألك ما الذي تريدين فيما كنت منيتنا قبل

نخبرك إن لم تنجزي الوعد أننا ذوا خلة لم يبق بينهما وصل

فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل

فقال عقيل: يابن اللخناء ، متى منتك نفسك هذا! وشد عليه بالسيف وكان عملس أخاه لأمه فحال بينه وبينه، فشد على عملس بالسيف وترك علفة لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم، فأصاب ركبته؛ فسقط عقلي وجعل يتمعك في دمه ويقول:

إن بني سربلوني بالدم من يلق أبطال الرجال يكلم

ومن يكن ذا أودٍ يقوم شنشنة أعرفها من أخزم

قال المدائني: شنشنة أعرفها من أخزم، مثل ضربه. وأخزم: فحل كان لرجل من العرب، وكان منجباً، فضرب في إبل رجلٍ آخر و لم يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملاً فقال: شنشنة أعرفها من أخزم .

عاتبه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته فأجابه: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني مصعب بن عبد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن علفة: إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع

بناتك في الصحراء لا كالئ لهن، والناس ينسبونك إلى الغيرة، وتأبى أن تزوجهن إلا الأكفاء. قال: إني أستعين عليهن بخلتين تكلآنهن، وأستغني عن سواهما. قال: وما هما؟ قال: العري والجوع .

رماه ابنه عملس فأصاب ركبته، فغضب وخرج إلى الشام، وقال في ذلك شعراً: نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي: قال خالد بن كلثوم: لما رمى عملس بن عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألا يساكن بنيه، فاحتمل وخرج إلى الشام، فلما استوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنت ناقته، فقال:

ألم تريا أطلال حنت وشاقها تفرقنا يوم الحبيب على ظهر

وأسبل من جرباء دمع كأنه جمان أضاع السلك أجرته في سطر

لعمرك إني يوم أغذو عملسا لكالمتربي حتفه وهو لا يدري

وإني لأسقيه غبوقي وإنني لغرثان منهوك الذراعين والنحر

خرج ابنه علفة إلى الشام أيضاً وكتب إلى أبيه شعراً: قال: ومضى علفة أيضاً، فافتؤض بالشام وكتب إلى أبيه:

ألا أبلغا عني عقيلاً رسالةً فإنك من حربٍ علي كريم

أما تذكر الأيام إذ أنت واحد وإذ كل ذي قربى إليك ذميم

وإذ لا يقيك الناس شيئاً تخافه بأنفسهم إلا الذين تضيم

تناول شأو الأبعدين ولم يقم لشأوك بين الأقربين أديم

فأما إذا عضت بك الحرب عضةً فإنك معطوف عليك رحيم

وأما إذا آنست أمناً ورخوةً فإنك للقربى ألد ظلوم

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه، وبعث إليه فقدم عليه .

سب عمر بن عبد العزيز ابن أخته فعاتبه في ذلك: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة قال: عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش، أمه أخت عقيل بن علفة فقال له: قبحك الله! أشبهت خالك في الجفاء. فبلغت عقيلاً فجاء حتى دخل على عمر فقال له: ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به إلا خؤولتي! فقبح الله شركما خالاً. فقال له صخير بن أبي جهم العدوي وأمه قرشية: آمين يا أمير المؤمنين. فقبح الله شركما خالا وأنا معكما أيضاً .

قرأ شيئاً من القرآن فأخطأ فاعترض عليه عمر فأجابه: فقال له عمر: إنك لأعرابي جلف جاف، أما لو كنت تقدمت إليك لأدبتك. والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً، قال: بلى، إني لأقرأ، قال: فاقرأ. فقرأ: " إذا زلزلت الأرض زلزالها " حتى بلغ إلى آخرها فقرأ فمن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره، فقال له

عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ؟ قال: أو لم أقرأ؟ قال: لا، لأن الله جل وعز قدم الخير وأنك قدمت الشر. فقال عقيل:

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفيته .

وروى هذا الخبر علي بن محمد المدائني، فذكر أنه كان بين عمر بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلام، فأغلظ يعقوب لعمر في الكلام فقال له عمر: اسكت فإنك ابن أعرابية جافية. فقال عقيل لعمر: لعن الله شر الثلاثة، مني ومنك ومنه! فغضب عمر، فقال له صخير بن أبي الجهم: آمين. فهو والله أيها الأمير شر الثلاثة. فقال عمر: والله إني لأراك لو سألته عن آية من كتاب الله ما قرأها. فقال: بلى والله إني لقارئ لآية وآيات فقال، فقال: فاقرأ، فقرأ: إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تحسن. ليس هكذا قال الله، قال: فكيف قال؟ قال: " إنا أرسلنا نوحاً " فقال: وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا!

خذا أنف هرشى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق

دخل المسجد بخفين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه: أخبرني عبيد الله بن أحمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثني علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أسلم القرشي قال: قدم عقيل بن علفة المدينة، فدخل المسجد وعليه خفان غليظان، فجعل يضرب برجليه، فضحكوا منه فقال: ما يضحككم؟ فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل تحته: يضحكون من خفيك وضربك برجليك وشدة جفائك، قال: لا، ولكن يضحكون من إمارتك؛ فإنها أعجب من خفي. فجعل يحيى يضحك .

خبره مع يحيى بن الحكم أمير المدينة وزواج ابنته: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي عن عبد الله بن مصعب قاضي المدينة قال:

دخل عقيل بن علفة على يحيى بن الحكم، وهو يومئذ أمير المدينة. فقال له يحيى: أنكح ابن خالي يعني ابن أوفى فلانة ابنتك؟ فقال: إن ابن خالك ليرضى مني بدون ذلك، قال: وما هو؟ قال: أن أكف عنه سنن الخيل إذا غشيت سوامه . فقال يحيى لحرسيين بين يديه: أخرجاه، فأخرجاه، فلما ولى قال: أعيداه إلي، فأعاداه، فقال عقيل له: ما لك تكرني إكرار الناضح ؟ قال: أما والله إني لأكرك أعرج جافياً. فقال عقيل: كذلك قلت:

تعجبت إذ رأت رأسي تجلله من الروائع شيب ليس من كبر

ومن أديمٍ تولى بعد جدته والجفن يخلق فيه الصارم الذكر

فقال له يحيى: أنشدني قصيدتك هذه كلها. قال: ما انتهيت إلا إلى ما سمعت. فقال: أما والله إنك لتقول فتقصر، فقال: إنما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة. فقال: فأنكحني أنا إحدى بناتك. قال: أما أنت فنعم. قال: أما والله لأملأنك مالاً وشرفاً. قال: أما الشرف فقد حملت ركائبي منه ما أطاقت، وكلفتها تجشم ما لم تطق، ولكن

عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيم ورضا الأبي. فزوجه ثم خرج فهداها إليه، فلما قدمت عليه بعث إليها يحيى مولاةً له لتنظر إليها، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها. فرفعت يدها، فدقت أنفها. فرجعت إلى يحيى وقالت: بعثتني إلى أعرابية مجنونةٍ صنعت بي ما ترى! فنهض إليها يحيى، فقال لها: ما لك؟ قالت: ما أردت أن بعثت إلي أمة تنظر إلي! ما أردت بما فعلت إلا أن يكون نظرك إلي قبل كل ناظر، فإن رأيت حسناً كنت قد سبقت إلى بهجته، وإن رأيت قبيحاً كنت أحق من ستره. فسر بقولها وحظيت عنده .

وذكر المدائني هذا الخبر مثله، إلا أنه قال فيه: فإن كان ما تراه حسناً كنت أول من رآه، وإن كان قبيحاً كنت أول من واراه .

زواج يزيد بن عبد الملك من ابنته الجرباء: أخبرني ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال: خطب يزيد بن عبد الملك إلى عقيل بن علفة ابنته الجرباء، فقال له عقيل: قد زوجتكها، على أن لا يزفها إليك إعلاجك ؛ أكون أنا الذي أجيء بها إليك .

قال: ذلك لك. فتزوجها، ومكثوا ما شاء الله. ثم دخل الحاجب على يزيد فقال له: بالباب أعرابي على بعيرٍ، معه امرأة في هودج قال: أراه والله عقيلاً. قال: فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه، ثم أخذ بيدها فأذعنت، فدخل بها على الخليفة فقال له: إن أنتما ودن بينكما، فبارك الله لكما، وإن كرهت شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعت يدها في يدك ثم برئت ذمتك. فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله وأعطاه .

موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها: ثم مات الصبي، فورثت أمه منه الثلث، ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب إليه: إن ابنك وابنتك هلكا، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينارٍ، فهلم فاقبضه. فقال: إن مصيبتي بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه، فلا حاجة لي في ميراثهما، وقد رأيت عندك فرساً سبقت عليه الناس، فأعطينه أجعله فحلاً لخيلي. وأبى أن يأخذ المال، فبعث إليه يزيد بالفرس .

قال لرجل من قريش بالرفاء والبنين فأنكر عليه ذلك: أخبرنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا الخراز عن المدائني عن إسحاق بن يحيى قال: رأيت رجلاً من قريش يقول له عقيل بن علفة: بالرفاء والبنين والطائر المحمود. فقلت له: يابن علفة؛ إنه يكره أن يقال هذا. فقال: يابن أخي، ما تريد إلى ما أحدث! إن هذا قول أخوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره. قال: فحدثت به الزهري فقال: إن عقيلاً كان من أجهل الناس. قال: وإنما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة: هذا قول أخوالك، لأن أم يحيى بن طلحة مرية .

خطب إليه رجل كثير المال مغموز في نسبه فقال فيه شعراً: قال المدائني وحدثني علي بن بشرٍ الجشمي قال قال الرميح: خطب إلى عقيلٍ رجل من بني مرة كثير المال، يغمز في نسبه، فقال:

لعمري لئن زوجت من أجل ماله ... هجينا لقد حبت إلي الدراهم

أأنكح عبداً بعد يحيى وخالدٍ ... أولئك أكفاني الرجال الأكارم

أبى لي أن أرضى الدنية أنني ... أمد عناناً لم تخنه الشكائم

خطب إليه رجل من بني مرة فطعن ناقته بالرمح فصرعته: نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي بخطه يأثره عن خالد بن كلثوم بغير إسناد متصل بينهما:

أن رجلاً من بني مرة يقال له داود أقبل على ناقةٍ له، فخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته، فنظر إليه عقيل وإن السيف لا يناله فطعن ناقته بالرمح فسقطت وصرعته، وشد عليه عقيل فهرب، وثار عقيل إلى ناقته فنحرها، وأطعمها قومه وقال:

ألم تقل يا صاحب القلوص ... داود الساج وذا القميص

كانت عليه الأرض حيص بيص ... حتى يلف عيصه بعيصي

وكنت بالشبان ذا تقميص

فقال داود فيه من أبيات:

أراه فتى جعل الحلال ببيته ... حراماً ويقري الضيف عضباً مهندا

فرت منه زوجته الأنمارية فردها إليه عامل فدك: وقال المدائني حدثني جوشن بن يزيد قال: لما تزوج عقيل بن علفة زوجته الأنمارية وقد كبر فرت منه، فلقيها جحاف. أحد بني قتال بن يربوع، فحملها إلى عامل فدك، وأصبح عقيل معها، فقال الأمير لعقيل: ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجرباء؟ فقال عقيل: كل ذكري، وذهب ذفري ، وتغايب نفري، فقال: خذ بيدها، فأخذها وانصرف، فولدت له بعد ذلك علفة الأصغر .

شعره يحرض بني سهم على بني جوشن: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مرة رهط عقيل بن علفة المري، وهو من بني غيظ بن مرة بن سهم بن مرة إخوتهم فاقتتلوا في أمر يهودي حمارٍ كان جاراً لهم، فقتلته بنو جوشنٍ من غطفان، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن علفة بالشام غائباً عنها، فكتب إلى بني سهم يحرضهم .

فإما هلكت ولم آتكم ... فأبلغ أماثل سهمٍ رسولا

بان التي سامكم قومكم ... لقد جعلوها عليكم عدولا

هوان الحياة وضيم الممات ... وكلاً أراه طعاماً وبيلا

فإن لم يكن غير أحداهما ... فسيروا إلى الموت سيراً جميلاً

ولا تقعدوا وبكم منة ... كفى بالحوادث للمرء غولا

قال: فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب الحصين بن الحمام المري أحد بني سهم، وقال: إلي كتب وبي نوة، خاطب أماثل سهم وأنا من أماثلهم. فأبلى في تلك الحروب بلاءً شديداً. وقال الحصين بن الحمام في ذلك من قصيدة طويلة له:

يطأن من القتلى ومن قصد القنا خباراً فما ينهض إلا تقحما

عليهن فتيان كساهم محرق وكان إذا يكسو أجاد وأكرما

صفائح بصرى أخلصتها قيونها ومطرداً من نسج داود محكما

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردها إليه وقال شعراً في ذلك: وقال المدائني قال جراح بن عصام بن بجير: عدت بنو جعفر بن كلاب على جار لعقيل فأطردت إبله وضربوه، فغدا عقيل على جار لهم فضربه، وأخذ إبله فأطردها، فلم يردها حتى ردوا إبل جاره وقال في ذلك:

إن يشرق الكلبي فيكم بريقه بني جعفر يعجل لجاركم القتل

فلا تحسبوا الإسلام غير بعدكم رماح مواليكم فذاك بكم جهل

بني جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا ندنكم كما كنا ندينكم قبل

بدأتم بجاري فانثنيت بجاركم وما منهما إلا له عندنا حبل

أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين: وذكر المدائني أيضاً: أن عقيلاً كان وحده في إبله، فمر به ناس من بني سلامان فأسروه، ومروا به في طريقه على ناس من بني القين، فانتزعوه منهم، وخلوا سبيله. فقال عقيل في ذلك:

أسعد هذيم إن سعداً أباكم أبى لا يوافي غاية القين من كلب

وجاء هذيم والركاب مناخة فقيل تأخر يا هذيم على العجب

فقال هذيم إن في العجب مركبي ومركب آبائي وفي عجبها حسبي

قال: وسعد هذيم هم عذرة وسلامان والحارث وضبة .

مات ابنه علفة بالشام فرثاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو مسلم عن المدائني عن عبد الله الحميد بن أيوب بن محمد بن عميلة قال: مات علفة بن عقيل الأكبر بالشام، فنعاه مضرس بن سوادة لعقيل بأرض الجناب، فلم يصدقه وقال:

قبح الآله ولا أقبح غيره ثفر الحمار مضرس بن سواد

تنعى امرأ لم يعل أمك مثله كالسيف بين خضارمٍ أنجاد

ثم تحقق الخبر بعد ذلك، فقال يرثيه:

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت بأمرٍ من الدنيا علي ثقيل

وقالوا ألا تبكي لمصرع فارس نعته جنود الشام غير ضئيل

فأقسمت ألا أبكي على هلك هالك أصاب سبيل الله خير سبيل

كأن المنايا تبتغي في خيارنا لها نسباً أو تهتدي بدليل

تحل المنايا حيث شاءت فإنها محللة بعد الفتى ابن عقيل

فتىً كان مولاه يحل بربوةٍ محل الموالي بعده بمسيل

حطم رجل من بني صرمة بيوته فأقبل ابنه عملس من الشام فانتقم له: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان عقيل بن علفة قد أطرد بنيه، فتفرقوا في البلاد وبقي وحده. ثم إن رجلاً من بني صرمة، يقال له بجيل وكان كثير المال والماشية حطم بيوت عقيل بماشيته، و لم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلا لقي شراً. فطردت صافنة أمة له الماشية، فضربها بجيل بعصا كانت معه فشجها. فخرج إليه عقيل وحده وقد هرم يومئذ وكبرت سنه فزجره فضربه بجيل بعصاه، واحتقره، فجعل عقيل يصيح: يا علفة، يا عملس، يا فلان، يا فلان، بأسماء أولاده مستغيثاً بهم، وهو يحسبهم لهرمه أنهم معه. فقال له أرطأة بن سهية:

أكلت بنيك الضب حتى وجدت مرارة الكلأ الوبيل

ولو كان الألى غابوا شهودا منعت فناء بيتك من بجيل

وبلغ خبر عقيلٍ ابنه العملس وهو بالشام، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه، ثم عمد إلى بجيل فضربه ضرباً مبرحاً، وعقر عدة من إبله وأوثقه بحبل، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه، ثم ركب راحلته، وعاد من وقته إلى الشام، لم يطعم لأبيه طعاماً، و لم يشرب شراباً .

خبر ابنه المقشعر مع أعرابي نزل: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا ابن عائشة قال: نزل أعرابي على المقشعر بن عقيل بن علفة المري فشربا حتى سكرا وناما، فانتبه الأعرابي مروعاً في الليل وهو يهذي، فقال له المقتشعر: ما لك؟ قال: هذا ملك الموت يقبض روحي. فوثب ابن عقيل فقال: لا والله ولا كرامة ولا نعمة عينٍ له! أيقبض روحك وأنت ضيفي وجاري! فقال: بأبي أنتم وأمي! طال والله ما منعتم الضيم، وتلفف ونام .

تمت أخبار عقيل ولله الحمد والمنة .

قد مضت أخبار عقيلٍ فيما تقدم من الكتاب، ونذكرها هنا أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه، لأن المغنين خلطوا بعض شعر ببعض شعر عقيل في الغناء الماضي ذكره، ونعيد ها هنا من الغناء ما شعره لشبيبٍ خاصةً وهو:

صوت من المائة المختارة:

سلا أم عمرو فيم أضحى أسيرها تفادى الأسارى حوله وهو موثق

فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا منعم يوماً عليه فمطلق

ويروي:

ولا هو ممنون عليه فمطلق

الشعر لشبيب بن البرصاء، والغناء لدقاق جارية يحيى بن الربيع. رمل بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أن فيه رملاً آخر لطويس .

أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

نسبه: هو شبيب بن يزيد بن جمرة، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ ابن مرة بن سعد بن ذبيان. والبرصاء أمه، واسمها قرصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وهو ابن خالة عقيل بن علفة، وأم عقيلٍ عمرة بنت حارثة بن عوف، ولقبت قرصافة البرصاء لبياضها، لا لأنها كان بها برص .

هاجى عقيل بن علفة: وشبيب شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الموية، بدوي لم يحضر إلا وافداً أو منتجعاً. وكان يهاجي عقيل بن علفة ويعاديه لشراسة كانت في عقيل وشر عظيم. وكلاهما كان شريفاً سيداً في قومه، في بيت شرفهم وسؤددهم. وكان شبيب أعور، أصاب عينه رجل من طيء في حرب كانت بينهم .

هاجى أرطأة بن سهية: أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم السجستاني عن أبي عبيدة قال: دخل أرطأة بن سهية على عبد الملك بن مروان وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء فأنشده قوله فيه:

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل ... جنيباً لآبائي وأنت جنيب

فقال له عبد الملك: كذبت! ثم أنشده البيت الآخر فقال:

وما زلت خيراً منك مذ عض كارهاً ... برأسك عادي النجاد ركوب

فقال له عبد الملك: صدقت. وكان أرطأة أفضل من شبيبٍ نفساً، وكان شبيب أفضل من أرطأة بيتاً .

فاخره عقيل بن علفة فقال شعراً يهجوه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال: فاخر عقيل بن علفة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه، ويعير برجلٍ من طيء كان يأتي أمه عمرة بنت الحارث يقال له حيان، ويهجو غيظ بن مرة:

ألسنا بفرعٍ قد علمتم دعامةً ... ورابية تنشق عنها سيولها

وقد علمت سعد بن ذبيان أننا ... رحاها الذي تأوي إليها وجولها

إذا لم نسسكم في الأمور ولم نكن ... لحربٍ عوانٍ لاقح من يئولها

فلستم بأهدى في البلاد من التي ... تردد حيرى حين غاب دليلها

دعت جل يربوع عقيلا لحادثٍ ... من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلها

فقلت له: هلا أجبت عشيرةً ... لطارق ليلٍ حين جاء رسولها!

وكائن لنا من ربوة لا تنالها مراقيك أو جرثومةٍ لا تطولها
فخرت بأيامٍ لغيرك فخرها وغرتها معروفة وحجولها
إذا الناس هابوا سوءةً عمدت لها بنو جابر شبانها وكهولها
فهلا بني سعد صبحت بغارةٍ مسومةٍ قد طار عنها نسيلها!
فتدرك وتراً عند الأم واترٍ وتدرك قتلى لم تتمم عقولها

افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه: وقال أبو عمرو: اجتمع عقيل بن علفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحكم فتكلما في بعض الأمر، فاستطال عقيل على شبيب بالصهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زوج ثلاثاً من بناته فيهم، فقال شبيب يهجوه:

ألا أبلغ أبا الجرباء عني بآيات التباغض والتقالي
فلا تذكر أباك العبد وافخر بأم لست مكرمها وخال
وهبها مهرةً لقحت ببغل فكان جنينها شر البغال
إذا طارت نفوسهم شعاعاً حمين المحصنات لدى الحجال
بطعنٍ تعثر الأبطال منه وضربٍ حيث تقتنص العوالي
أبى لي أن آبائي كرام بنوا لي فوق أشرافٍ طوال
بيوت المجد ثم نموت منها إلى علياء مشرقة القذال
تزل حجارة الرامين عنها وتقصر دونها نبل النضال
أبالحفاث شر الناس حياً وأعناق الأيور بني قتال
رفعت مسامياً لتنال مجداً فقد أصبحت منهم في سفال

قال أبو عمرو: بنو قتال إخوة بني يربوع رهط عقيل بن علفة وهم قوم فيهم جفاء، قال أبو عمرو: مات رجل منهم فلفه أخوه في عباءة له، وقال أحدهما للآخر: كيف تحمله؟ قال: كما تحمل القربة. فعمد إلى حبل فشد طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تحمل القربة، فلما صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرةً، وألقاه فيها، وهال عليه التراب حتى واراه. فلما انصرفا قال له: يا هناه ، أنسيت الحبل في عنق أخي ورجليه، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة. قال: دعه يا هناه، فإن يرد الله به خيره يحلله .

خطب بنت يزيد بن هاشم فرده ثم قبله فأبى: وقال أبو عمرو: خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ثم الصرمي ابنته، فقال: هي صغيرة، فقال شبيب: لا؛ ولكنك تبغي أن تردني، فقال له يزيد: ما أردت ذاك، ولكن أنظرني هذا العام، فإذا انصرم فعلي أن أزوجك. فرحل شبيب من عنده مغضباً، فلما مضى

قال ليزيد بعض أهله: والله ما أفلحت! خطب إليك شبيب سيد قومك فرددته! قال: هي صغيرة، قال: إن كانت صغيرة فستكبر عنده. فبعث إليه يزيد: ارجع فقد زوجتك، فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك، فأبى شبيب أن يرجع وقال:

لعمري لقد أشرفت يوم عنيزةٍ ... على رغبةٍ لو شد نفسي مريرها
ولكن ضعف الأمر ألا تمره ... ولا خير في ذي مرةٍ لا يغيرها
تبين أدبار الأمور إذا مضت ... وتقبل أشباهاً عليك صدورها

ترجي النفوس الشيء لا تستطيعه ... وتخشى من الأشياء ما لا يضيرها
ألا إنما يكفي النفوس إذا اتقت ... تقى الله ما حاذرت فيجيرها
ولا خير في العيدان إلا صلابها ... ولا ناهضات الطير إلا صقورها
ومستنبحٍ يدعو وقد حال دونه ... من الليل سجفا ظلمةٍ وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى لها ... زجرت كلابي أن يهر عقورها
فبات وقد أسرى من الليل عقبةً ... بليلة صدقٍ غاب عنها شرورها
وقد علم الأضياف أن قراهم ... شواء المتالي عندنا وقديرها
إذا افتخرت سعد بن ذبيان لم يجد ... سوى ما بيننا ما يعد فخورها
وإني لتراك الضغينة قد بدا ... ثراها من المولى فلا أستثيرها
مخافة أن تجنى علي وإنما ... يهيج كبيرات الأمور صغيرها
إذا قيلت العوراء وليت سمعها ... سواي ولم أسمع بها ما دبيرها
وحاجة نفسٍ قد بلغت وحاجةٍ ... تركت إذا ما النفس شح ضميرها
حياءً وصبراً في المواطن إنني ... حي لدى أمثال تلك ستيرها
وأحبس في الحق الكريمة إنما ... يقوم بحق النائبات صبورها
أحابي بها الحي الذي لا تهمه ... وأحساب أمواتٍ تعد قبورها
ألم تر أنا نور قوم وإنما ... يبين في الظلماء للناس نورها

تمثل محمد بن مروان بشعره: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال: كانت بين بني كلب وقوم من قيس ديات، فمشى القوم إلى أبناء

أخواهم من بني أمية يستعينون بهم في الحمالة ، فحملها محمد بن مروان كلها عن الفريقين، ثم تمثل بقول شبيب ابن البرصاء:

ولقد وقفت النفس عن حاجاتها والنفس حاضرة الشعاع تطلع
وغرمت في الحسب الرفيع غرامةً يعيا بها الحصر الشحيح ويظلع
إني فتًى حر لقدري عارف أعطي به وعليه مما أمنع

نزل هو وأرطأة بن زفر وعويف القوافي على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال. حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال. حدثني الحرمازي قال: نزل شبيب بن البرصاء وأرطأة بن زفر وعويف القوافي برجل من أشجع كثير المال يسمى علقمة، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ و لم يذبح لهم، فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا: تعالوا حتى نهجو هذا الكلب. فقال شبيب:

أفي حدثان الدهر أم في قديمه تعلمت ألا تقري الضيف علقما ؟

وقال أرطأة:

لبثنا طويلاً ثم جاء بمذقةٍ كماء السلا في جانب القعب أثلما

وقال عويف:

فلما رأينا أنه شر منزلٍ رمينا بهن الليل حتى تخرما

عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمه فرثاهم: أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القذاحمي قال: غاب شبيب بن البرصاء عن أهله غيبةً، ثم عاد بعد مدة، وقد مات جماعة من بني عمه، فقال شبيب يرثيهم:

تخرم الدهر إخواني وغادرني كما يغادر ثور الطارد الفئد
إني لباقٍ قليلاً ثم تابعهم ووارد منهل القوم الذي وردوا

هاجى رجلاً من غني فأعانه أرطأة بن سهية عليه: قال أبو عمرو: هاجى شبيب بن البرصاء رجلاً من غني، أو قال من باهلة، فأعانه أرطأة ابن سهية على شبيب، فقال شبيب:

لعمري لئن كانت سهية أوضعت بأرطأة في ركب الخيانة والغدر
فما كان بالطرف العتيق فيشترى لفحلته، ولا الجواد إذا يجري
أتنصر مني معشراً لست منهم وغيرك أولى بالحياطة والنصر !

ويروي: وقد كنت أولى بالحياطة، وهو أجود .

استعدى عليه رهط أرطاة عثمان بن حيان لهجائه إياهم فهدده ابن حيان بقطع لسانه:

وقال ابن عمرو: استعدى رهط أرطاة بن سهية على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حيان المري وقالوا له: يعمنا بالهجاء ويشتم أعراضنا، فأمر بإشخاصه إليه فأشخص، ودخل إلى عثمان وقد أتى بثلاثة نفرٍ لصوصٍ قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بهدل ومثغور وهيصم، فقتل بهدلاً وصلبه، وقطع مثغوراً والهيصم، ثم أقبل على شبيبٍ فقال: كم تسب أعراض قومك وتستطيل عليهم! اقسم قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعن لسانك، فقال شبيب:

سجنت لساني يابن حيان بعدما ... تولى شبابي، إن عقدك محكم

وعيدك أبقى من لساني قذاذةً ... هيوباً، وصمتا بعد لا يتكلم

رأيتك تحلو لي إذا شئت لامرئٍ ... ومراً مراراً فيه صاب وعلقم

وكل طريدٍ هالك متحير ... كما هلك الحيران والليل مظلم

أصبت رجالاً بالذنوب فأصبحوا ... كما كان مثغور عليك وهيصم

خطاطيفك اللاتي تخطفن بهدلاً ... فأوفى به الأشراف جذع مقوم

يداك يدا خير وشرٍ فمنهما ... تضر وللأخرى نوال وأنعم

ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج في طلبها فرماه دعج فأصاب عينه: وقال أبو عمرو: استاق دعيج بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائي ثم الجرمي إبل شبيب بن البرصاء فذهب بها، وخرج بنو البرصاء في الطلب، فلما واجهوا بني جرم قال شبيب: اغتنموا بني جرم، فقال أصحابه: لسنا طالبين إلا أهل القرحة ، فمضوا حتى أتوا دعيجاً وهو برأس الجبل، فناداه شبيب: يا دعيج، إن كانت الطراف حية فلك سائر الإبل، فقال: يا شبيب تبصر رأسها بين سائر الإبل، فنظر فأبصرها، فقال شبيب: شدوا عليه واصعدوا وراءه، فأبوا عليه، فحمل شبيب وحده، ورماه دعيج فأصاب عينه، فذهب بها وكان شبيب أعور ثم عمي بعد ما أسن، فانصرف وانصرف معه بنو عمه، وفاز دعيج بالأبل، فقال شبيب:

أمرت بني الرصاء يوم حزابةٍ ... بأمرٍ جميع لم تشتت مصادره

بشول ابن معروف وحسان بعدما ... جرى لي يمن قد بدا لي طائره

أيرجع حر دون جرم ولم يكن ... طعان ولا ضرب يذعذع عاسره؟

فأذهب عيني يوم سفح سفيرةٍ ... دعيج بن سيف، أعوزته معاذره

ولما رأيت الشول قد حال دونها ... من الهضب مغبر عنيف عمائره

وأعرض ركن من سفيرة يتقى ... بشم الذرا لا يعبد الله عامره

أخذت بني سيفٍ ومالك موقعٍ ... بما جرى مولاهم وجرت جرائره

ولو أن رجلي يوم فر ابن جوشنٍ علقن ابن ظبي أعوزته مغاوره

هجاه أرطاة بن سهية ونفاه عن بني عوف: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن عاصم بن الحدثان قال: هجا أرطاة بن سهية بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال:

فلو كنت عوفياً عميت وأسهلت كداك ولكن المريب مريب

قال: فعمي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهية، فكان يقول: ليت ابن سهية حياً حتى يعلم أني عوفي، قال: والعمى شائع في بني عوف، إذا أسن الرجل منهم عمي، وقل من يفلت من ذلك منهم .

امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل: وحدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله:

بكر العواذل أذا يبتدرن ملامتي والعاذلون فكلهم يلحاني

في أن سبقت بشربة مقديةٍ صرفٍ مشعشعةٍ بماء شنان

فقال له عبد الملك: شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول:

وإني لسهل الوجه مجلسي إذا أحزن القاذورة المتعبس

يضيء سنا جودي لمن يبتغي القرى وليل بخيل القوم ظلماء حندس

ألين لذي القربى مراراً وتلتوي بأعناقي أعدائي حبال تمرس

كان عبد الملك يتمثل بشعره في بذل النفس عند اللقاء ويعجب به: قال: وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويعجب به:

دعاني حصن للفرار فساءني مواطن أن يثنى علي فأشتما

فقلت لحصنٍ نح نفسك إنما يذود الفتى عن حوضه أن يهدما

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

سيكفيك أطراف الآسنة فارس إذا ريع نادى بالجواد وبالحمى

إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تجذما

سبب مهاجاته عقيل بن علفة: نسخت من كتاب أبي عبد الله اليزيدي و لم أقرأه عليه، قال خالد بن كلثوم: كان الذي هاج الهجاء بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علفة أنه كان لبني تشبة جار من بني سلامان بن سعد، فبلغ عقيلاً عنه أنه يطوف في بني مرة يتحدث إلى النساء فامتلأ عليه غيظاً، فبينا هو يوماً جالس وعنده غلمان له وهو يجز إبلاً له على الماء ويسمها إذ طلع عليه السلاماني على راحلته، فوثب عليه وهو وغلمانه فضربوه ضرباً

مبرحاً، وعقر راحلته، وانصرف من عنده بشر، فلم يعد إلى ذلك الموضع، ولج الهجاء بينهما. وكان عقيل شرساً سيء الخلق غيوراً .

أخبار دقاق

تزوجت يحيى بن الربيع ثم بعده من القواد والكتاب فماتوا وورثتهم: كانت دقاق مغنية محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مغني الدولة العباسية، وكانت ليحيى بن الربيع، فولدت له أحمد ابنه، وعمر عمراً طويلاً وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا، وكان عالماً بأمر الغناء والمغنين، وكان يغني غناء ليس بمستطاب ولكنه صحيح. ومات يحيى بن الربيع فتزوجت بعده من القواد والكتاب بعدة، فماتوا وورثتهم .

هجاها عيسى بن زينب: فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال: كانت دقاق أم ولد يحيى بن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق مغنية محسنة متقنة الأداء والصنعة، وكانت قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غضيض، وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة. قال أحمد بن الطيب: وعتقت دقاق فتزوجها بعد مولاها ثلاثة من القواد من وجوههم، فماتوا جميعاً، فقال عيسى بن زينب يهجوها:

قلت لما رأيت دار دقاق — حسنها قد أضر بالعشاق

حذروا الرابع الشقي دقاقا — لا يكونن نجمه في محاق

ألّه عن بضعها فإن دقاقا — شؤم حرها قد سار في الآفاق

لم تضاجع بعلاً فهب سليما — بل جريحاً وجرحه غير راقي

كتبت إلى حمدون تصف هنها فرد عليها: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني الهدادي الشاعر قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون ورواية الكوكبي أتم قال: كتبت دقاق إلى أبي تصف هنها صفة أعجزه الجواب عنها، فقال له صديق له: ابعث إلى بعض المخنثين حتى يصف متاعك، فيكون جوابها، فأحضر بعضهم وأخبره الخبر، فقال: اكتب إليها: عندي القوق بوق ، الأصلع المزبوق ، الأقرع المفروق، المنتفخ العروق، يسد البثوق ، ويفتق الفتوق، ويرم الخروق، ويقضي الحقوق، أسد بين جملين، بغل بين حملين، منارة بين صخرتين، رأسه رأس كلب، وأصله مترس درب، إذا دخل حفر، وإذا خرج قشر، لو نطح الفيل كوره، ولو دخل البحر كدره، إذا رق الكلام، وتقاربت الأجسام، والتفت الساق بالساق، ولطخ باطنها بالبصاق، وقرع البيض بالذكور ، وجعلت الرماح تمور، بطعن الفقاح ، وشق الأحراح ، صبرنا فلم نجزع، وسلمنا طائعين فلم نخدع. قال: فقطعها .

مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس اليعقوبي: حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب قال حدثني أحمد بن علي بن جعفر قال: حضرت مرة مجلساً وفيه ابن دقاق وفيه النصراني المعروف بأبي الجاموس اليعقوبي البزاز قرابة بلال قال: فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس، فلما أكثر عليه قال: اسمعوا مني. ثم حلف بالحنيفية أنه لايكذب، وحدثنا

قال: مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونة بنت الرشيد، ومعنا بز نعرضه للبيع، فخرجت إلينا دقاق أم هذا تقاولنا في ثمن المتاع، وفي يدها مروحة على أحد وجهيها منقوش: الحر إلى أيرين أحوج من الأير إلى حرين، وعلى الوجه الآخر: كما أن الرحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رحوين، قال: فأسكته والله سكوتاً علمنا معه أنه لو خرس لكان الخرس أصون لعرضه مما جرى .

كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما:

قال أحمد: وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خلاسيان يروحانها في الخيش، فتحدث الناس أنها قالت لواحد منهما أن ينيكها، فعجز فقالت له: نكني وأنت حر، فقال لها نيكيني أنت وبيعيني في الأعراب، فقال فيها عيسى بن زينب:

أحسن من غنى لنا أو شدا ... دقاق في خفضٍ من العيش

لها غلامان ينيكانها ... بعلة الترويح في الخيش

قال فيها إبراهيم بن المهدي شعراً: حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: كانت دقاق جارية يحيى بن الربيع تواصل جمعة كانوا يميلون إليها وتري كل واحد منهم أنها تهواه، وكانت أحسن أهل عصرها وجهاً، وأشأمهم على من رابطها وتزوجها، فقال فيها أبو إسحاق يعني أباه: صوت:

عدمتك يا صديقة كل خلقٍ ... أكل الناس ويحك تعشقينا ؟

فكيف إذا خالطت الغث منهم ... بلحم سمينهم لا تبشمينا

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى ريق وإلى شارية .

قال فيها أبو موسى الأعمى شعراً: أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو هفان قال: خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى إلى بعض النواحي، وترك جاريته دقاق في داره فعملت بعده الأوابد ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وأشأمه على أزواجها ومواليها وربطائها، فقال أبو موسى الأعمى فيه:

قل ليحيى نعم صبرت على المو ... ت ولم تخش سهم ريب المنون

كيف قل لي أطلقت ويحك يا يح ... يى على الضعف منك حمل القرون !

ويح يحيى ما مر باست دقاق ... بعد ما غاب من سياط البطون

صوت من المائة المختارة:

تكاشرني كرهاً كأنك ناصح ... وعينك تبدي أن صدرك لي دوي

لسانك لي حلو وعينك علقم ... وشرك مبسوط وخيرك ملتوي

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفي والغناء لإبراهيم ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهاشمي .

نسب يزيد بن الحكم وأخباره

نسبه وبعض أخبار آبائه: هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابي وذكره غيره أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص، وأن عثمان عمه، وهذا هو القول الصحيح. وأبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي وهو ثقيف .

روى جده عثمان الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعثمان جده أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكرة، وشط عثمان بالبصرة منسوب إليه؛ كانت هناك أرض أقطعها وابتاعها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومطرف بن عبد الله بن الشخير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان، سمعه من محمد بن إسحاق، وسمعه محمد من سعيد بن أبي هند من مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: سمعت عثمان بن أبي العاص الثقفي يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أم قومك واقدرهم بأضعفهم فإن منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ". قال الحميدي وحدثنا الفضيل بن عياض عن أشعث عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتخذوا مؤذناً ولا يأخذ على أذانه أجراً " .

مر به الفرزدق وهو ينشد شعراً فامتدحه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء بن الفضل قال حدثني أبي قال: مر الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعراً فقال: من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا؟ فقالوا: يزيد بن الحكم، فقال: نعم؛ أشهد بالله أن عمتي ولدته. وأم يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر، وأمها هنيدة بنت صعصعة بن ناجية. وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر فأخرج بها إلى الحكم وهو بتوج ، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس، وكان له بنون العباس وعياش .

خبره مع الحجاج وقد ولاه كورة فارس: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا الحزامي قال:

دعا الحجاج بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفي، فولاه كورة فارس، ودفع إليه عهده بها، فلما دخل عليه ليودعه قال له الحجاج: أنشدني بعض شعرك، وإنما أراد أن ينشده مديحاً له؛ فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول:

وأبي الذي سلب ابن كسرى رايةً بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

فلما سمع الحجاج فخره نهض مغضباً، فخرج يزيد من غير أن يودعه، فقال الحجاج لحاجبه: ارتجع منه العهد، فإذا رده فقل له: أيهما خير لك: ما ورثك أبوك أم هذا؟ فرد على الحاجب العهد وقال: قل له:

ورثت جدي مجده وفعاله ... وورثت جدك أعنزاً بالطائف

خرج عن الحجاج مغضباً ولحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه: وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أولها:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عيدا

يقول فيها:

سميت باسم امرئ أشبهت شيمته ... عدلاً وفضلاً سليمان بن داودا

أحمد به في الورى الماضين من ملكٍ ... وأنت أصبحت في الباقين محمودا

لا يبرأ الناس من أن يحمدوا ملكاً ... أولاهم في الأمور الحلم والجودا

فقال له سليمان: وكم كان أجرى لك لعمالة فارس؟ قال: عشرين ألفاً. قال: فهي لك علي ما دمت حياً. وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته: صوت:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذي بقرٍ ... أهدى لها شبه العينين والجيدا

أجري على موعدٍ منها فتخلفني ... فلا أمل ولا نومني المواعيدا

كأنني يوم أمسي لا تكلمني ... ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

عروضه من البسيط، والغناء للغريض، ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وذكر عمر بن بانة أنه لمعبد ثقيل أول بالوسطى .

حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عياش عن أبيه قال: سمعت الحجاج واستوى جالساً ثم قال: صدق والله زهير بن أبي سلمى حيث يقول:

وما العفو إلا لامرئٍ ذي حفيظة ... متى يعف عن ذنب امرئ السوء يلجج

فقال له يزيد بن الحكم: أصلح الله الأمير، إني قد رثيت ابني عنبساً ببيت، إنه لشبيه بهذا. قال: وما هو؟ قال: قلت:

ويأمن ذو حلم العشيرة جهله ... عليه ويخشى جهله جهلاؤها

قال: فما منعك أن تقول مثل هذا لمحمد ابني ترثيه به؟ فقال: إن ابني والله كان أحب إلي من ابنك .

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكراني عن الهيثم بن عدي. قال: كان ليزيد ابن الحكم ابن يقال له عنبس، فمات عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه:

جزى الله عني عنبساً كل صالحٍ ... إذا كانت الأولاد سيئاً جزاؤها

هو ابني وأمسى أجره لي وعزني ... على نفسه رب إليه ولاؤها

جهول إذا جهل العشيرة يبتغى ... حليم ويرضى حلمه حلماؤها

وبعد هذا البيت المذكور في الخبر الأول .

فضله عبد الملك بن مروان على شاعر ثقيف في الجاهلية: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن لقيطٍ قال قال عبد الملك بن مروان: كان شاعراً ثقيفٍ في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام فقيل له: من يعني أمير المؤمنين؟ فقال لهم: أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول:

فما منك الشباب ولست منه ... إذا سألتك لحيتك الخضابا

عقائل من عقائل أهل نجدٍ ... ومكة لم يعقلن الركابا

ولم يطردن أبقع يوم ظعنٍ ... ولا كلباً طردن ولا غرابا

وقال شاعرهم في الجاهلية:

والشيب إن يظهر فإن وراءه ... عمراً يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامةً ... ولما بقي مني ألب وأكيس

شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم الثقفي ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك:

أبا خالد قد هجت حرباً مريرةً ... وقد شمرت حرب عوان فشمر

فقال يزيد بن المهلب: بالله أستعين، ثم أنشده، فلما بلغ قوله:

فإن بني مروان قد زال ملكهم ... فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر

فقال يزيد بن المهلب: ما شعرت بذلك، ثم أنشده فلما بلغ قوله:

فمت ماجداً أو عش كريماً فإن تمت ... وسيفك مشهور بكفك تعذر

فقال: هذا لا بد منه .

قال العمري: وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن يزيد بن المهلب إنما كتب إليه يزيد ابن الحكم بهذه الأبيات، فوقع إليه تحت البيت الأول: أستعين بالله. وتحت البيت الثاني: ما شعرت. وتحت البيت الثالث: أما

هذه فنعم .

مدح يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج فأعطاه نجماً حل عليه: أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثني الغلابي قال حدثني ابن عائشة قال: دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب في سجن الحجاج وهو يعذب، وقد حل عليه نجم كان قد نجم عليه، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له:

أصبح في قيدك السماحة والجو ... د وفضل الصلاح والحسب

لا بطر إن تتابعت نعم ... وصابر في البلاء محتسب

بززت سبق الجياد في مهلٍ ... وقصرت دون سعيك العرب

قال: فالتفت يزيد بن المهلب إلى مولىً له، وقال له: أعطه نجم هذا الأسبوع، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر.

وقد رويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيضٍ مع يزيد .

روى ابنه العباس بعض شعره لجرير فأكرمه: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني هارون بن مسلم قال حدثني عثمان ابن حفص قال حدثني عبد الواحد عريف ثقيفٍ بالبصرة: أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفي هرب من يوسف بن عمر إلى اليمامة، قال: فجلست في مسجدها وغشيني قوم من أهلها، قال: فوالله إني لكذلك إذا إنا بشيخ قد دخل يترجح في مشيته، فلما رآني أقبل إلي، فقال القوم: هذا جرير، فأتاني حتى جلس إلى جنبي، ثم قال لي: السلام عليك، ممن أنت؟ قلت: رجل من ثقيف، قال: أعرضت الأديم، ثم ممن؟ قلت : رجل من بني مالك، فقال: لا إله إلا الله! أمثلك يعرف بأهل بيته! فقلت: أنا رجل من ولد أبي العاصي، قال: ابن بشر؟ قلت: نعم. قال: أيهم أبوك؟ قلت: يزيد بن الحكم. قال: فمن الذي يقول:

فني الشباب وكل شيء فان ... وعلا لداتي شيبهم وعلاني

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

ألا لا مرحبا بفراق ليلى ... ولا بالشيب إذ طرد الشبابا

شباب بان محمودا وشيب ... ذميم لم نجد لهما اصطحابا

فما منك الشباب ولست منه ... إذا سألتك لحيتك الخضابا

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

تعالوا فعدوا يعلم الناس أينا ... لصاحبه في أول الدهر تابع

تزيد يربوع بكم في عدادها ... كما زيد في عرض الأديم الكارع

قال: قلت: غفر الله لك، كان أبي أصون لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبيني ابن عمك، فقال: رحم الله أباك، فقد مضى لسبيله، ثم انصرف، فترلني بكبشين، فقال لي أهل اليمامة: ما نزل أحداً قبلك قط .

شعره في جارية مغنية كان يهواها وقد ارتحلت عنه: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلي عن يزيد حوراء المغني قال: كان يزيد بن الحكم الثقفي يهوى جاريةً مغنية، وكانت غير مطاوعةٍ له، فكان يهيم بها، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرت بيزيد بن الحكم مع غلمة لمولاها وهي راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال:

يأيها النازح الشسوع ودائع القلب لا تضيع
أستودع الله من إليه قلبي على نأيه نزوع
إذا تذكرته استهلت شوقاً إلى وجهه الدموع

كتاب الجارية إليه: ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدة، فبينا هو جالس ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له: أأنت يزيد بن الحكم؟ قال: نعم، فدفع إليه كتاباً مختوماً، ففضه فإذا كتابها إليه وفيه:

لئن كوى قلبك الشسوع فالقلب مني به صدوع
وبي ورب السماء فاعلم إليك يا سيدي نزوع
أعزز علينا بما تلاقي فينا وإن شفنا الولوع

فالنفس حرى عليك ولهى والعين عبرى لها دموع
فموتنا في يد التنائي وعيشنا القرب والرجوع
وحيثما كنت يا منايا فالقلب مني به خشوع
ثم عليك السلام مني ما كان من شمسها طلوع

قال: فبكى والله حتى رحمه من حضر، وقال لنا الكهل: ما قصته؟ فأخبرناه بما بينهما، فجعل يستغفر الله من حمله الكتاب إليه، وأحسب أن هذا الخبر مصنوع، ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر .

شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء رجل من بني قيس بن ثعلبة لطرفة بن العبد:

تكاشرني كرهاً كأنك ناصح وعينك تبدي أن صدرك لي جوي

قال: فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له: أني كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفي فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد، فقال لي أبو عمرو: إن أبا الزعراء في سن يزيد بن الحكم، ويزيد مولد يجيد الشعر، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

قال مؤلف هذا الكتاب: ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه، لأن العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن

الحكم، وهذا أعرابي لا يحصل ما يقوله، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنه ليزيد بن الحكم وليس كذلك لكان معلوماً أنه ليس لطرفة، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه، وهو بيزيد أشبه، وله في معناه عدة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص. ومن قال إنه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إن عمه عبد الرحمن هو الذي عاتبه، وفيه يقول:

ومولى كذئب السوء لو يستطيعني ... أصاب دمي يوماً بغير قتيل

وأعرض عما ساءه وكأنما ... يقاد إلى ما ساءني بدليل

مجاملةً مني وإكرام غيره ... بلا حسنٍ منه ولا بجميل

ولو شئت لولا الحلم جدعت أنفه ... بإيعاب جدعٍ بادئٍ وعليل

حفاظاً على أحلام قوم رزئتهم ... رزانٍ يزينون الندى كهول

وقال في أخيه عبد ربه:

يسر الشحناء يضمرها ... حتى ورى من غمره الداء

حران ذو غصة جرعت غصته ... وقد تعرض دون الغصة الماء

حتى إذا ما أساغ الريق أنزلني ... منه كما ينزل الأعداء أعداء

أسعى فيكفر سعي ما سعيت له ... إني كذاك من الإخوان لقاء

وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ ... يعدهن تراتٍ وهي آلاء

فأما تمام القصيدة التي نسبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مختارها ليعلم أن مرذول كلام طرفة فوقه:

تصافح من لاقيت لي ذا عداوةٍ ... صفاحاً وعني بين عينيك منزوي

أراك إذا لم أهو أمراً هويته ... ولست لما أهوى من الأمر بالهوي

أراك اجتويت الخير مني وأجتوي ... أذاك، فكل يجتوي قرب مجتوي

فليت كفافاً كان خيرك كله ... وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

عدوك يخشى صولتي إن لقيته ... وأنت عدوي، ليس ذاك بمستوي

وكم موطنٍ لولاي صحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوي

إذا ما ابتنى المجد ابن عمك لم تعن ... وقلت ألا يا ليت بنيانه خوي

كأنك إن نال ابن عمك مغنما ... شجٍ أو عميد أو أخو غلة لوي

وما برحت نفس حسود حشيتها تذيبك حتى قيل هل أنت مكتوي
جمعت وفحشاً غيبةً ونميمةً ثلاث خصال لست عنهن نرعوي
ويدحو بك الداحي إلى كل سوءةٍ فيا شر من يدحو إلى شر مدحوي
بدا منك غش طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أم مدوي

وهذا شعر إذا تأمله من له في العلم أدنى سهمٍ عرف أنه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه .

صوت من المائة المختارة:

أبى القلب إلا أم عوفٍ وحبها عجوزاً، ومن يعشق عجوزاً يفند

كثوب يمانٍ قد تقادم عهده ورقعته ما شئت في العين واليد

الشعر لأبي الأسود الدؤلي والغناء لعلويه، ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة .

أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

نسبه: اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وهم إخوة قريش، لأن قريشاً مختلف في الموضع الذي افترقت فيه مع أبيها، فخصت بهذا الاسم دونهم، وأبعد من قال في ذلك مدى من زعم أن النضر بن كنانة منتهى نسب قريش، فأما النسابون منهم فيقولون إن من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشياً .

كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم: وكان أبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين وفقهاؤهم ومحدثيهم.

وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأكثر وروى عن ابن عباس وغيره، واستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان من وجوه شيعة علي.

وذكر أبو عبيدة أنه أدرك أول الإسلام وشهد بدراً مع المسلمين . وما سمعت بذلك عن غيره .

وأخبرني عمي عن ابن أبي سعد عن محمد عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمي عن أبي عبيدة مثله .

ولاه علي البصرة: واستعمله علي رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عباس، وهو كان الأصل في بناء النحو وعقد أصوله .

كان أول من وضع النحو ورسم أصوله: أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي بذلك عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمي عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي .

أن أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحر! رفعت أشد فظنها تسأله وتستفهم

منه: أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: شهر ناجرٍ، يريد شهر صفر. الجاهلية كانت تسمى شهور السنة بهذه الأسماء . فقالت: يا أبت إنما أخبرتك و لم أسألك. فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل، فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته، فأمره فاشترى مصحفاً بدرهم، وأمل عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى. وهذا القول أول كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كلها، فنقلها النحويون وفرعوها. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن، فكتبته من حفظي، واللفظ يزيد وينقص وهذا معنى .

أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها: أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال: أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف، فنقطها ورسم من النحو رسوماً، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثم زاد بعده عنبسة بن معدان المهري، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي وكان صليبة فلحب الطريق . ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفيين رسوماً هم الآن يعلمون عليها .

أخذ النحو عن علي بن أبي طالب: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا التوزي والمهري قالا حدثنا كيسان بن المعروف الهجيمي أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال: قيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ يعنون به النحو فقال: أخذت حدوده عن علي ابن أبي طالب عليه السلام .

خبره مع زياد في سبب وضع النحو: أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاكر العنبري عن يحيى بن آدم أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال:

أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له: أصلح الله الأمير، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع لهم علماً يقيمون به كلامهم؟ قال: لا. قال: ثم جاء زياداً رجل فقال: مات أبانا وخلف بنون، فقال زياد مات أبانا وخلف بنون! ردوا علي أبا الأسود الدؤلي، فرد إليه، فقال: ضع للناس ما نهيتك عنه. فوضع لهم النحو. وقد روى هذا الحديث عن أبي بكر بن عياش يزيد بن مهران، فذكر أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد .

أول باب وضعه في النحو باب التعجب: أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي عن أبي عثمان المازني عن الأخفش عن الخيل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب .

كان معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم: وقال الجاحظ: أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس، وهو في كلها مقدم، مأثور عنه الفضل في جميعها؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلع الأشراف والبخر

الأشراف .

حديثه عن عمر بن الخطاب: فما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم، حدثنا حامد بن محمد ابن شعيب البلخي قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن أبي بريدة عن أبي الأسود الدؤلي قال: أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فمرت به جنازة فأثني على صاحبها خير، فقال عمر رضي الله عنه: وجبت، ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها بشر، فقال عمر: وجبت، فقال أبو الأسود: ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ فقال: قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة " فقلنا: وثلاثة؟ قال " وثلاثة"، فقلنا: واثنان؟ قال " واثنان "، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدثني حماد بن سعيد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي قتادة عن أبي الأسود الدؤلي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناس يوم الجمعة فقال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله جل وعز " .

حديثه عن علي بن أبي طالب: ومما رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبده بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه أبي الأسود الدؤلي عن علي كرم الله وجهه أنه قال في بول الجارية: يغسل، وفي بول الغلام: ينضح ما لم يأكلا الطعام .

تبع ابن عباس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليرده فأبى: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا معلى ابن هلال عن الشعبي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني جميعاً قالوا: لما خرج ابن عباس رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود في قومه ليرده، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هلال فمنعوه، وكادت تكون بينهم حرب، فقال لهم بنو هلال: ننشدكم الله ألا تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة إلى آخر الأبد، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه، فلا تدخلوا أنفسكم بينهما، فرجعت كنانة عنه، وكتب أبو الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره بما جرى، فولاه البصرة .

كان كاتباً لابن عباس على البصرة: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي ووكيع وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني خالد بن عبد الله قال حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: كان أبو الأسود الدؤلي كاتباً لابن عباس على البصرة، وهو الذي يقول:

وإذا طلبت من الحوائج حاجةً ... فادع الإله وأحسن الأعمالا

فليعطينك ما أراد بقدرة ... فهو اللطيف لما أراد فعالا

إن العباد وشأنهم وأمورهم ... بيد الإله يقلب الأحوالا

فدع العباد ولا تكن بطلابهم لهجاً تضعضع للعباد سؤالا

كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن محمد بن سلام قال: كان أبو الأسود الدؤلي قد أسن وكبر، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه، فقال له رجل: يا أبا الأسود، أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت، ولو لزمت منزلك كان أودع لك. فقال له أبو الأسود: صدقت ولكن الركوب يشد أعضائي، وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي، وأستنشى الريح، وألقى إخواني، ولو جلست في بيتي لاغتم بي أهلي، وأنس بي الصبي، واجترأ علي الخادم، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي، لإلفهم إياي، وجلوسهم عندي؛ حتى لعل العتر وأن تبول علي فلا يقول لها أحد: هس .

سأله بنو الديل المعاونة في دية رجل فأبى وعلل امتناعه: أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أبو عكرمة قال: كان بين بني الدليل وبين بني ليث منازعة، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً، ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا ديته، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها، وألح عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارضة، فقال له: يا أبا الأسود، أنت شيخ العشيرة وسيدهم، وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود، ثم قال له: قد أكثرت يابن أخي فاسمع مني: إن الرجل والله ما يعطي إلا لإحدى خلالٍ: إما رجل أعطى ماله رجاء مكافأةٍ ممن يعطيه، أو رجل خاف على نفسه فوقاها بماله، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرة، أو رجل أحمق خدع عن ماله، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات، ولا جئتم في شيء من هذا، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء، ولما أفدتك إياه في عقلك خير لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الديل، قوموا إذا شئتم. فقاموا يبادرون الباب .

استهزأ به رجل فرد عليه فأفحمه وقال في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به، فمر به أبو الأسود الدؤلي يوماً فقال لقومه: كأن وجه أبو الأسود وجه عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ، فضحك القوم، وأعرض عنهم أبو الأسود. ثم مر به مرة أخرى، فقال لهم: كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له: هل تعرف فقحة أمك فيهن؟ فأفحمه، وضحك القوم منه، وقاموا إلى أبي الأسود، فاعتذروا إليه مما كان، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك، وقال أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله:

وأهوج ملجاجٍ تصاممت قبله أن أسمعه وما بسمعي من باس

ولو شئت قد أعرضت حتى أصيبه على أنفه حدباء تعضل بالاسي

فإن لساني ليس أهون وقعةً وأصغر آثاراً من النحت بالفاس

وذي إحنةٍ لم يبدها غير أنه كذي الخبل تأبى نفسه غير وسواس
صفحت له صفحاً جميلاً كصفحه وعيني وما يدري عليه وأحراسي
وعندي له إن فار فوار صدره فما جبلي لا يعاوده الحاسي
وخبٍ لحوم الناس أكثر زاده كثير الخنا صعب المحالة هماس
تركت له لحمي وأبقيت لحمه لمن نابه من حاضر الجن والناس
فكر قليلاً ثم صد كأنما يعض بصم من صفا جبلٍ راسي

خبره مع أعرابي جاء يسأله: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال: خرج أبو الأسود الدؤلي ومعه جماعة أصحابٍ له إلى الصيد، فجاءه أعرابي فقال له: السلام عليك. فقال له أبو الأسود: كلمة مقولة. قال: أدخل؟ قال: وراؤك أوسع لك. قال: إن الرمضاء قد أحرقت رجلي، قال: بل عليها أو ائت الجبل يفئ عليك. قال: هل عند شيء تطعمنيه؟ قال نأكل ونطعم العيال، فإن فضل شيء فأنت أحق به من الكلب، فقال الأعرابي: ما رأيت قط ألأم منك. قال أبو الأسود: بلى قد رأيت؛ ولكنك قد أنسيت .

خبره مع ابن أبي حمامة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائني بهذا الخبر فقال فيه: كان أبو الأسود جالساً في دهليزه وبين يديه رطب، فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة، فسلم ثم ذكر باقي الخبر، مثل الذي تقدمه، وزاد عليه فقال: أنا ابن أبي الحمامة. قال: كن ابن أبي طاووسة ، وانصرف. قال: أسألك بالله إلا أطعمتني مما تأكل، قال: فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رطبات، فوقعت إحداهن في التراب، فأخذها يمسحها بثوبه، فقال له أبو الأسود: دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به، فقال: إنما كرهت أن أدعها للشيطان، فقال له: لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها .

خطب امرأة من عبد القيس فمنعها أهلها وزوجوها ابن عمها فقال أبو الأسود شعراً في ذلك: أخبرني محمد بن عمران الضبي الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدي قال ذكر الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: خطب أبو الأسود الدؤلي امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم، فأسر أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد، فحدث به ابن عم لها كان يخطبها وكان لها مال عند أهلها فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبي الأسود، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه، ومن مالها الذي في أيديهم، ففعلوا ذلك، وضاروها حتى تزوجت بابن عمها، فقال أبو الأسود الدؤلي في ذلك:

لعمري لقد أفشيت يوماً فخانني إلى بعض من لم أخش سراً ممنعا
فمزقه مزق العمى وهو غافل ونادى بما أخفيت منه فأسمعا

فقلت ولم أفحش لعالك عاثراً وقد يعثر الساعي إذا كان مسرعا
ولست بجازيك الملامة إنني أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا
ولكن تعلم أنه عهد بيننا فبن غير مذموم ولكن مودعا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أرى وأنت نجياً آخر الدهر أجمعا
وكنت إذا ضيعت سرك لم تجد سواك له إلا أشت وأضيعا

قال: وقال فيه:

أمنت امرأ في السر لم يك حازما ولكنه في النصح غير مريب
أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب
وكنت متى لم ترع سرك تلتبس قوارعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ فحق له من طاعةٍ بنصيب

اشترى جارية حولاء فعابها أهله فمدحها في شعره: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: اشترى أبو الأسود جارية، فأعجبته وكانت حولاء فعابها أهله عنده بالحول، فقال في ذلك:

يعيبونها عندي ولا عيب عندها سوى أن في العينين بعض التأخر
فإن يك في العينين سوء فإنها مهفهفة الأعلى رداح المؤخر

تحاكم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه فقال في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الزدي قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان لأبي الأسود الدؤلي صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم، وكانت بينه وبين ابن عمٍ له خصومة في دار له، وأنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكماه بينهما، فقال له خصم صديقه: إني بالذي بينك وبينه عارف، فلا يحملنك ها ذاك على أن تحيف علي في الحكم وكان صديق أبي الأسود ظالماً فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحق، فقال له صديقه: والله ما بارك الله لي في صداقتك، ولا نفعني بعلمك وفقهك، ولقد قضيت علي بغير الحق، فقال أبو الأسود:

إذا كنت مظلوماً فلا تلف راضيا عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب
وإن كنت أنت الظالم القوم فاطرح مقالتهم واشغب بهم كل مشغب
وقارب بذي جهل وباعد بعالم جلوبٍ عليك الحق من كل مجلب

ولا تحسبن السير أقرب للردى ... من الخفض في دار المقامة والثمل
ولاتحسبيني يابنتي عز مذهبي ... بظنك، إن الظن يكذب ذا العقل
وإني ملاقٍ ما قضى الله فاصبري ... ولا تجعلي العلم المحقق كالجهل
وإنك لا تدرين: هل ما أخافه ... أبعدي يأتي في رحيلي أو قبلي ؟
وكم قد رأيت حاذراً متحفظا ... أصيب وألفته المنية في الأهل

خبره مع صديقه نسيب بن حميد وشعره في ذلك: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إبراهيم العتكي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال: كان لأبي الأسود صديق من بني سليم يقال له نسيب بن حميد، وكان ينشاه في منزله، ويتحدث إليه في المسجد، وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه، فرأى أبو الأسود يوماً معه مستقة مخملة أصبهانية من صوف، فقال له أبو الأسود: ما تصنع بهذه المستقة؟ فقال: أريد بيعها، فقال له أبو الأسود: انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به إليك، فإنها من حاجتي، قال: لا بل أكسوكها، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها، فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتي درهم، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم، فردها وقال: لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهماً، فقال أبو الأسود:

بعني نسيب ولا تثبني إنني ... لا أستثيب ولا أثيب الواهبا
إن العطية خير ما وجهتها ... وحسبتها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطية ما يعود غرامةً ... وملامة تبقى ومناً كاذبا
وبلوت أخبار الرجال وفعلهم ... فملئت علماً منهم وتجاربا
فأخذت منهم ما رضيت بأخذه ... وتركت عمداً ما هنالك جانبا

فإذا وعدت الوعد كنت كغارمٍ ... ديناً أقر به وأحضر كاتبا
حتى أنفذه على ما قلته ... وكفى علي به لنفسي طالبا
وإذا فعلت فعلت غير محاسب ... وكفى بربك جازياً ومحاسبا
وإذا منعت منعت منعاً بينا ... وأرحت من طول العناء الراغبا
لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا

ضرط في مجلس معاوية فطلب منه أن يسترها عليه، فوعده، ولكنه لم يفعل: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازي ومحمد بن العباس اليزيدي وعمي قالوا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: زعم أبو بكر الهذلي أن أبا الأسود الدؤلي كان يحدث معاوية يوماً فتحرك فضرط، فقال لمعاوية: استرها علي، فقال: نعم، فلما

خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم، فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو: ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ قال: ذهبت كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكل أجوف ضروط، ثم أقبل على معاوية فقال: إن امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألا يؤمن على أمور المسلمين .

تزوج امرأة برزة فخانته وأفشت سره، فطلقها وقال في ذلك شعراً: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال: كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فيتحدث إليها، وكانت برزة جميلة، فقالت له: يا أبا الأسود، هل لك في أن أتزوجك؟ فإني صناع الكف، حسنة التدبير، قانعة باليسور، قال: نعم، فجمعت أهلها فتزوجته، فوجد عندها خلاف ما قدره، وأسرعت في ماله، ومدت يدها إلى خيانته، وأفشت سره، فغدا على من كان حضر تزويجه إياها، فسالهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا، فقال لهم:

أريت أمراً كنت لم أبله ... أتاني فقال اتخذني خليلا

فخاللته ثم أكرمته ... فلم أستفد من له فتيلا

وألفيته حين جربته ... كذوب الحديث سروقاً بخيلا

فذكرته ثم عاتبته ... عتاباً رفيقاً وقولاً جميلا

فألفيته غير مستعتبٍ ... ولا ذاكر الله إلا قليلا

ألست حقيقاً بتوديعه ... وإتباع ذلك صرماً طويلا ؟

فقالوا: بلى والله يا أبا الأسود! قال: تلك صاحبتكم، وقد طلقتها لكم، وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها، فانصرفت معهم .

أنكر عليه معاوية بخره فرد عليه: حدثنا اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا العمري قال: كان أبو الأسود أبخر، فسار معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمه على أنفه، فنحى أبو الأسود يده عن أنفه، وقال: لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار المشايخ البخر .

عابه زياد عند علي فقال في ذلك شعراً: أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا محمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج، فجعل زياد يسبع أبا الأسود عند علي ويقع فيه ويغي عليه، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه:

رأيت زياداً ينتحيني بشره ... وأعرض عنه وهو بادٍ مقاتله

وكل امرئ، والله بالناس عالم ... له عادة قامت عليها شمائله

تعودها فيما مضى من شبابه كذلك يدعو كل أمرٍ أوائله
ويعجبه صفحي له وتجملي وذو الجهل يحذو الجهل من لا يعاجله
فقلت له دعني وشأني إننا كلانا عليه معمل هو عامله
فلولا الذي قد يرتجى من رجائه لجربت مني بعض ما أنت جاهله
لجربت أني أمنح الغي من غوى علي وأجزي ما جزى وأطاوله

وقال لزياد أيضاً في ذلك:

نبئت أن زياداً ظل يشتمني والقول يكتب عند الله والعمل
وقد لقيت زياداً ثم قلت له وقبل ذلك ما خبت به الرسل
حتام تسرقني في كل مجمعة عرضي، وأنت ما شئت منتقل

كل امرئ صائر يوماً لشيمته في كل منزلة يبلى بها الرجل

قال: فلما ادعى معاوية زياداً وولاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب عليه السلام، وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان، فكان أبو الأسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك:

رأيت زياداً صد عني وجهه ولم يك مردوداً عن الخير سائله
ينفذ حاجات الرجال، وحاجتي كداء الجوى في جوفه لا يزايله
فلا أنا ناسٍ ما نسيت فآيس ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعله
وفي اليأس حزم للبيب وراحة من الأمر لا ينسى ولا للمرء نائله

أكرمه عبد الرحمن بن أبي بكرة وأفضل عليه فقال يمدحه: وقال المدائني: نظر عبد الرحمن بن أبي بكرة إلى أبي الأسود في حالٍ رثة فبعث إليه بدنانير وثياب، وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمحنه إذا أضاق ، فقال أبو الأسود يمدحه:

أبو بحرٍ أمن الناس طراً علينا بعد حي أبي المغيره
لقد أبقى لنا الحدثان منه أخا ثقةٍ منافعه كثيره
قريب الخير سهلاً غير وعرٍ وبعض الخير تمنعه الوعوره
بصرت بأننا أصحاب حق ندل به وإخوان وجيره

وأهل مضيعةٍ فوجدت خيرا ... من الخلان فينا والعشيره
وإنك قد علمت وكل نفسٍ ... ترى صفحاتها ولها سريره
لذو قلبٍ بذي القربى رحيم ... وذو عين بما بلغت بصيره
لعمرك ما حباك الله نفساً ... بها جشع ولا نفساً شريره
ولكن أنت لا شرس غليظ ... ولا هشم تنازعه خئوره
كأنا إذا أتيناه نزلنا ... بجانب روضةٍ ريا مطيره

كان عبيد الله بن زياد يماطله في قضاء حاجاته فعاتبه في ذلك: قال المدائني: وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد، فيشكو إليه أن عليه ديناً لا يجد إلى قضائه سبيلاً، فيقول له: إذا كان غد فارفع إلي حاجتك فإني أحب قضاءها، فيدخل إليه من غد، فيذكر له أمره ووعده فيتغافل عنه، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً، فقال فيه أبو الأسود:

دعاني أميري كي أفوه بحاجتي ... فقلت فما رد الجواب ولا استمع
فقمت ولم أحسس بشيء ولم أصن ... كلامي وخير القول ما صين أو نفع
وأجمعت يأساً لا لبانة بعده ... ولليأس أدنى للعفاف من الطمع

سأله رجل فمنعه فأنكر عليه فاحتج ببيت لحاتم: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني ابن عائشة قال: سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الأسود ما أصبحت حاتمياً؟ قال: بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول:

أماوي إما مانع فمبين ... وإما عطاء لا ينهنهه الزجر

شعره في جار له كان يحسده ويذمه: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال: كان لأبي الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص، فلما باع أبو الأسود داره في بني الديل وانتقل إلى هذيل، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل: هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لقاحه؟ وكانت لا تزال عنده لقحه أو لقحتان، وكان جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أبا الأسود قوله، فقال فيه:

إن امرأً نبئته من صديقنا ... يسائل هل أسقي من اللبن الجارا ؟
وإني لأسقي الجار في قعر بيته ... وأشرب ما لا إثم فيه ولا عارا
شراباً حلالاً يترك المرء صاحياً ... ولا يتولى يقلس الإثم والعارا

قصد صديقه حوثرة بن سليم فأعرض عنه فهجاه: أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال: كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حوثرة بن سليم، فاستعمله

عبيد الله ابن زياد على جي وأصبهان، وكان أبو الأسود بفارس، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدره، وجفاه حوثرة؛ فقال فيه أبوالأسود وفارقه:

تروحت من رستاق جيٍ عشية ... وخلفت في رستاق جيٍ أخاً لكا
أخاً لك إن طال التنائي وجدته ... نسياً وإن طال التعاشر ملكا
ولو كنت سيفاً يعجب الناس حده ... وكنت له يوماً من الدهر فلكا
ولو كنت أهدى الناس ثم صحبته ... وطاوعته ضل الهوى وأضلكا
إذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى ... وإن جرت عن باب الغواية دلكا

ساومه جار له في شراء لقحة وعابها فأبى عليه وقال في ذلك شعراً: قال المدائني: وكان لأبي الأسود جار، يقال له وثاق من خزاعة، وكان يحب اتخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفها، فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها: الصفوف فقال له: يا أبا الأسود ما بلقحتك بأس لولا عيب كذا وكذا، فهل لك في بيعها؟ فقال أبو الأسود: على ما تذكر فيها من العيب؟ فقال: إني أغتفر ذلك لها لما أرجوه من غزارتها، فقال له أبو الأسود: بئست الخلتان فيك، الحرص والخداع، أنا لعيب مالي أشد اغتفاراً؛ وقال أبو الأسود فيه:

يريد وثاق ناقتي ويعيبها ... يخادعني عنها وثاق بن جابر
فقلت تعلم يا وثاق بأنها ... عليك حمىً أخرى الليالي الغوابر
بصرت بها كوماء حوساء جلدةً ... من المولیات الهام حد الظواهر
فحاولت خدعي والظنون كواذب ... وكم طامع في خدعتي غير ظافر

ساومه رجل من سدوس في لقحة له وعابها فأبى عليه بيعها وقال في ذلك شعراً: قال: وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطيفاء، وكان يقول: ما ملكت مالاً قط أحب إلي منها، فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أوس بن عامر، فجعل يماكر أبا الأسود ويعيبها، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً، فبذل له فيها ثمناً وافياً، فأبى أن يبيعه وقال فيه:

أتاني في الطيفاء أوس بن عامر ... ليخدعني عنها بجن ضراسها
فسام قليلاً ناسئاً غير ناجز ... وأحصر نفساً وانتهى بمكاسها
فأقسم لو أعطيت ما سمت مثله ... وضعفاً له لما غدوت براسها
أغرك منها ان نحرت حوارها ... لجيران أم السكن يوم نفاسها
فولى ولم يطمع وفي النفس حاجة ... يرددها مردودةً بإياسها

جوابه لسائل ملحف: أخبرنا اليزيدي قال حدثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعي: أن رجلاً سأل أبا الأسود الدؤلي فرده فألح عليه، فقال له أبي الأسود: ليس للسائل الملحف مثل الرد الجامس. قال: يعني بالجامس الجامد . خطب امرأة من بني حنيفة فعارضه ابن عم لها فقال في ذلك شعراً: وقال المدائني: خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة وكان قد رآها فأعجبته فأجابته إلى ذلك وأذنت له في الدخول إليها، فدخل دارها فخاطبها بما أراد، فلما خرج لقيه ابن عم لها قد كان خطبها على أخيه، فقال له: ما تصنع ها هنا؟ فأخبره بخطبته المرأة، فنهاه عن التعرض لها، ووضع عليها أرصاداً، فكان أبو الأسود ربما مر بهم واجتاز بقبيلتهم، فدسوا عليه رجلاً يوبخه في كل محفل يراه فيه، ففعل، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له: يا أبا الأسود، أنت رجل شريف، ولك سن وخطر وعرض، ما أرضى لك أن تلم بفلانة، وليست لك بزوجةٍ ولا قرابةً، فإن أهلها قد أنكروا ذلك وتشكوه، فإما أن تتزوجها أو تضرب عنها، فقال له أبو الأسود:

لقد جد في سلمى الشكاة وللذي ... يقولون لو يبدو لك الرشد أرشد

يقولون لا تمذل بعرضك واصطنع ... معادك إن اليوم يتبعه غد

وإياك والقوم الغضاب فإنهم ... بكل طريق حولهم تترصد

تلام وتلحى كل يوم ولا ترى ... على اللوم إلا حولها تتردد!

أفادتكها العين الصموح وقد ترى ... لك العين ما لاتستطيع لك اليد

وقال أبو الأسود:

دعوا آل سلمى ظنتي وتعنتي ... وما زل مني، إن ما فات فائت

ولا تهلكوني بالملامة إنما ... نطقت قليلاً ثم إني لساكت

سأسكت حتى تحبسوني أنني ... من الجهد في مرضاكم متماوت

ألم يكفكم أن قد منعتم بيوتكم ... كما منع الغيل الأسود النواهت

تصيبون عرضي كل يوم كما علا ... نشيط بفأسٍ معدن البرم ناحت

جفاه ابن عامر لهواه في علي بن أبي طالب فقال في ذلك شعراً: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن مجالد ابن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال: كان ابن عباس يكرم أبا الأسود الدؤلي لما كان عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه، فلما ولي ابن عامرٍ جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيه أبو الأسود:

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر ... وما مر من عيشي ذكرت وما فضل

أميرين كان صاحبي كلاهما فكل جزاه الله عني بما أفعل

فإن كان شراً كان شراً جزاؤه وإن كان خيراً كان خيرا إذا عدل

كان لابنه صديق من باهله فكره صداقته له: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي قال حدثنا محمد بن فليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال قال أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب وكان له صديق من باهله يكثر من زيارته فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه:

أحبب إذا أحببت حباً مقاربا فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا بغضت بغضاً مقاربا فإنك لا تدري متى أنت راجع

وكن معدناً للحلم واصفح عن الخنا فإنك راءٍ ما عملت وسامع

آذاه جار له فباع داره واشترى داراً في هذيل وقال في ذلك شعراً: وقال المدائني حدثني أبو بكر الهذلي قال: كان لأبي الأسود جار من بني حليس بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل، من رهطه دنيةً ومنزل أبي الأسود يومئذ في بني الديل فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى، فيؤذيه. فشكا أبوالأسود ذلك إلى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال: لست أرميه، وإنما يرميه الله لقطعه الرحم وسرعته في الظلم في بخله بماله، فقال أبو الأسود: والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي. فباع داره واشترى داراً في هذيل، فقيل له: يا أبا الأسود، أبعت دارك! قال: لم أبع داري، ولكن بعت جاري، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك:

رماني جاري ظالماً برمية فقلت له مهلاً فأنكر ما أتى

وقال الذي يرميك ربك جازياً بذنبك، والحوبات تعقب ما ترى

فقلت له لو أن ربي برمية رماني لما أخطأ إلهي ما رمى

جزى الله شراً كل من نال سوءة وينحل فيها ربه الشر والأذى

وقال فيه أيضاً:

لحى الله مولى السوء لا أنت راغب إليه ولا رامٍ به من تحاربه

وما قرب مولى السوء إلا كبعده بل البعد خير من عدو تصاقبه

وقال فيه أيضاً:

وإني لتثنيني عن الشتم والخنا وعن سب ذي القربى خلائق أربع

حياء وإسلام ولطف وأنني كريم، ومثلي قد يضر وينفع

فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتها فإن العصا كانت لمثلي تقرع

وشتان ما بين وبينك إنني على كل حال أستقيم وتظلع

قصته مع جار له آذاه، وشعره في ذلك: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني الرياشي عن العتبي قال: كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابن عم أبي الأسود دنيةً، وكان شرساً سيء الخلق، فأراد سد ذلك الباب، فقال له قومه: لا تفعل فتضر بأبي الأسود وهو شيخ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة، فأبى إلا سده، ثم ندم على ذلك لأنه أضر به، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه، فعزم على فتحه، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه: صوت:

بليت بصاحبٍ إن أدن شبرا يزدني في مباعدةٍ ذراعا
وإن أمدد له في الوصل ذرعي يزدني فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسي له إلا اتباعا وتأبى نفسه إلا امتناعا

كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر، وفيه لعريب خفيف رملٍ. ولعلويه لحن غير منسوب. قال: وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك:

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا فإن أذكروك السد فالسد أكيس
ومن خير ما ألصقت بالجار حائط تزل به سفع الخطاطيف أملس

وقال أيضاً في ذلك:

أخطأت حين صرمتني والمرء يعجز لا محاله
والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقاله

نزل في بني قشير فآذوه فقال فيهم شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزي قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة و لم يقل عن أبيه قال: كان أبو السود الدؤلي نازلاً في بني قشير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أم عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من علي عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أي جوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمك إنما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك:

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا!

فقلت لهم: وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضا عليا ؟
أحب محمداً حباً شديدا ... وعباساً وحمزة والوصيا
بني عم النبي وأقربيه ... أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشداً أصبه ... ولست بمخطئ إن كان غيا
هم أهل النصيحة غير شك ... وأهل مودتي ما دمت حيا
هوى أعطيت لما استدارت ... رحى الإسلام لم يعدل سويا
أحبهم لحب الله حتى ... أجيء إذا بعث على هويا
رأيت الله خالق كل شيءٍ ... هداهم واجتبى منهم نبيا
ولم يخصص بها أحداً سواهم ... هنيئاً ما اصطفاه لهم مريا

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا في صاحبك حيث تقول:

فإن يك حبهم رشداً أصبه

فقال: أما سمعتم قول الله عز وجل: " وإنا أو إياكم هدىً أو في ضلالٍ مبين " أفترى الله عز وجل شك في نبيه! وقد روي أن معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب .

تحكم معاوية به فأجابه بشعره: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشناندانى عن الأخفش عن أبي عمر الجرمي قال: دخل أبو الأسود الدؤلي على معاوية، فقال له: لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود، فلو علقت تميمة تنفى عنك العين! فقال أبو الأسود:

أفنى الشباب الذي فارقت جدته ... كر الجديدين من آتٍ ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما ... شيئاً تخاف عليه لذعة الحدق

خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فأتى على طعامه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن محمد قال قال حدثنا المدائني عن علي بن سليمان قال: كان أبو الأسود على باب داره دكان يجلس عليه، مرتفع عن الأرض على قدر صدر الرجل، فكان يوضع بين يديه خوان على قدر الدكان، فإذا مر به مار فدعاه إلى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه، فمر به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء، فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفل، ثم قال له: يا أبا الأسود، إن عزمت على الغداء فانزل، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام، فقال له أبو الأسود: ما اسمك يا فتى؟ قال: لقمان الحكيم، قال: لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائني: وبلغني أن رجلاً دعاه أبو الأسود الدؤلي إلى طعامه وهو على هذا الدكان، فمد يده ليأكل، فشب به فرسه فسقط عنه فوقص .

كان أبو الجارود صديقاً له فلما ولى ولاية جفاه فقال فيه شعراً: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقاً لأبي الأسود، يهاديه الشعر، ويجيب كل واحدٍ منهما صاحبه، ويتعاشران ويتزاوران، فولي أبو الجارود ولاية، فجفا أبو الأسود وقطعه، و لم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها، فقال فيه أبو الأسود:

أبلغ أبا الجارود عني رسالة ... يروح بها الغادي لربعك أو يغدو

فيخبرنا ما بال صرمك بعد ما ... رضيت وما غيرت من خلق بعد

أأن نلت خيراً سرني أن تناله ... تنكرت حتى قلت ذو لبدةٍ ورد ؟

فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تمثله لي غير أنك لا تعدو

لئن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا ... لقد جعلت أشراط أوله تبدو

فإني إذا ما صاحب رث وصله ... وأعرض عني قل مني له الوجد

خبره مع الحارث بن خليد وشعره فيه: قال المدائني: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خليد، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإن فيه غنىً وخيراً، فقال له أبو الأسود: قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل، فقال: كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم. وزاد الكلام بينهما، حأتى أغلظ له الحارث بن خليد، فهجره أبو الأسود، وندم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أن تصلح بينهما، فأتوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له: قد اعتذر إليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد ، فقال أبو الأسود في ذلك:

لنا صاحب لا كليل اللسان ... فيصمت عنا و لا صارم

وشر الرجال على أهله ... وأصحابه الحمق العارم

وقال فيه:

إذا كان شيء بيننا قيل إنه ... حديد فخالف جهله وترفق

شننئت من الأصحاب من لست بارحاً ... أداماله دمل السقاء المخرق

كتب إلى الحصين كتاباً فتهاون به فقال فيه شعر: وقال المدائني: ولى عبيد الله بن زياد الحصين بن أبي الحر العنبري ميسان، فدامت ولايته إياها خمس سنين، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدى فيه لرفده، فتهاون به و لم ينظر فيه، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله فقال فيه:

ألا أبلغا عني حصينا رسالةً ... فإنك قد قطعت أخرى خلالكا

فلو كنت إذ1 أصبحت للخرج عاملا ... بميسان تعطي من غير مالكا

سألتك أو عرضت بالود بيننا لقد كان حقاً واجباً بعض ذلكا
وخبرني من كنت أرسلت أنما أخذت كتابي معرضاً بشمالكا
نظرت إلى عنوانه ونبذته كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا
حسبت كتابي إذ أتاك تعرضاً لسيبك، لم يذهب رجائي هنالكا
يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذلكا

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً، فغضب وقال: ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعدنا وتوبيخنا، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه:

أبلغ حصينا إذا جئته نصيحة ذي الرأي للمجتنيها
فلا تك مثل التي استخرجت بأظلافها مديةً أو بفيها
فقام إليها بها ذابح ومن تدع يوماً شعوب يجيها
فظلت بأوصالها قدرها تحش الوليدة أو تشتويها
وإن تأب نصحي ولا تنتهي ولم تر قولي بنصحٍ شبيها
أجرعك صابا وكان المرا ر والصاب قدماً شرابا كريها

خبره مع معاوية بن صعصعة وشعره في ذلك: وقال خالد بن كلثوم: كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودة، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف أنه لم يفعل، ثم يعاود ذلك، فقال فيه أبو الأسود:

ولي صاحب قد رابني أو ظلمته كذلك ما الخصمان بر وفاجر
وإني امرؤ عندي وعمداً أقوله لآتي ما يأتي امرؤ وهو خابر
لسانان معسول عليه حلاوة وآخر مسموم عليه الشراشر
فقلت ولم أبخل عليه نصيحتي وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجر
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقب قول تعتريه المعاذر
فكم شاعرٍ أرداه أن قال قائل له في اعتراض القول إنك شاعر
عطفت عليه عطفة فتركته لما كان يرضى قبلها وهو حافر

بقافية حذاء سهلٍ رويها وللقول أبواب ترى ومحاضر

تعزى بها من نومه وهو ناعس إذ انتصف الليل المكل المسافر

إذا ما قضاها عاد فيها كأنه للذته سكران أو متساكر

شعره في عبد الله بن عامر وكان مكرماً له ثم جفاه لتشيعه: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن العتبي قال: كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الأسود:

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعالب

وأصبح باقي الود بيني وبينه كأن لم يكن، والدهر فيه عجائب

إذا المرء لم يحببك إلا تكرهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالب

فللنأي خير من مقامٍ على أذى ولا خير فيما يستقل المعاتب

قصته مع زوجتيه القشيرية والقيسية وشعره في ذلك: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا ابن النطاح قال ذكر الحرمازي عن رجل من بني الديل قال: كانت لأبي الأسود الدؤلي امرأة من بني قشير وامرأة من عبد القيس، فأسن وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسنهما، فكانت موافقة له صابرة عليه، وهي أم عوف القشيرية التي يقول فيها:

أبى القلب إلا أم عوف وحبها عجوزاً ومن يحب عجوزاً يفند

كسحق يمانٍ قد تقادم عهده ورقعته ما شئت في العين واليد

وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دعمي وكانت أشبهما وأجملهما فالتوت عليه لما أسن، وتنكرت له وساءت عشرتها، فقال فيها أبو الأسود:

تعاتبني عرسي على أن أطيعها قد كذبتها نفسها ما تمنيت

وظنت بأني كل ما رضيت به رضيت به، يا جهلها كيف ظنت !

وصاحبتها ما لو صحبت بمثله على ذعرها أروية لاطمأنت

وقد غرها مني على الشيب والبلى جنوني بها، جنت حيالي وحنت

يقال: جن وحن، وهو من التباع كما يقال: حسن بسن

ولا ذنب لي قد قلت في بدء أمرنا ولو علمت ما علمت ما تعنت

تشكى إلى جاراتها وبناتها إذا لم تجد ذنباً علينا تجنت

ألم تعلمي أني إذا خفت جفوة بمنزلةٍ أبعدت منها مطيتي

وأني إذا شقت علي حليلتي ذهلت ولم أحنن إذا هي حنت

وفيها يقول:

أفاطم مهلاً بعض هذا التعبس ... وإن كان منك الجد فالصرم موئسي
تشتم لي لما رأتني أحبها ... كذى نعمة لم يبدها غير أبؤس
فإن تنقضي العهد الذي كان بيننا ... وتلوى به في ودك المتحلس
فإني فلا يغررك مني تجملي ... لأسلى البعاد بالبعاد المكنس
وأعلم أن الأرض فيها منادح ... لمن كان لم تسدد عليه بمحبس
وكنت امرأً لا صحبة السوء أرتجي ... ولا أنا نوام بغير معرس

أرسل غلامه يشتري له جارية فأخذها لنفسه فقال شعراً في ذلك: وقال المدائني: كان لأبي الأسود الدؤلي مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح، فذكرت لأبي الأسود جارية تباع، فركب فنظر إليها فأعجبته، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود، فقال في ذلك:

إذا كنت تبغي للأمانة حاملاً ... فدع نافعاً وانظر لها من يطيقها
فإن الفتى خب كذوب وإنه ... له نفس سوء يحتويها صديقها
متى يخل يوماً وحده بأمانة ... تغل جميعاً أو يغل فريقها
على أنه أبقى الرجال سمانة ... كما كل مسمان الكلاب سروقها

خطبته في موت علي بن أبي طالب: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي بكر الهذلي قال:

أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبيعة الحسن عليه السلام، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى علياً عليه السلام فقال في خطبته: وإن رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه، اغتال أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه ومثواه في مسجد وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله، فيالله هو من قتيل! وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت إلى الله تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان! لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً. ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يجبر الله عز وجل به ما وهى، ويسد به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفئ به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا .

كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فقال شعراً يرثي فيه علي بن أبي طالب: فبايعت الشيعة كلها،

وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية و لم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية، فكتب إليه معاوية ودس إليه يعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة، ويعده ويمنيه؛ فقال أبو الأسود:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا ... وخيسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت الدر راق الناظرينا

لقد علمت قريش حيث حلت ... بأنك خيرها حسباً ودينا

لزم ابنه المترل فحثه على العمل والسعي في طلب الرزق: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي عن الهيثم بن عدي عن أبي عبيدة قال: كان أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم مترل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها، فعاتبه أبوه على ذلك، فقال أبو حرب: إن كان لي رزق فسيأتيني، فقال له:

وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن ألق دلوك في الدلاء

تجئك بملئها يوماً ويوما ... تجئك بحمأة وقليل ماء

شعره في ابن مولاته لطيفة: قال المدائني: كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة، وكان لها عبد تاجر يقال له ملم فابتاعت له أمة وأنكحته إياها، فجاءت بغلام فسمته زيداً، فكانت تؤثره على كل أحد، وتجد به وجد الأم بولدها، وجعلته على ضيعتها، فقال فيه أبو الأسود، وقد مرضت لطيفة:

وزيد هالك هلك الحبارى ... إذا هلكت لطيفة أو ملم

تبنته فقال وأنت أمي ... فأنى بعدها لك زيد أم!

ترم متاعه وتزيد فيه ... وصاحبها لما يحوي مضم

ستلقى بعدها شراً وضرا ... وتقصى إن قربت فلا تضم

وتلقاك الملامة كل وجه ... سلكت وينتحي حاليك ذم

قال فماتت لطيفة من علتها تلك، وورثها أبو الأسود، فطرد زيداً عما كان يتولاه من ضيعتها، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعده .

اشترى جارية للخدمة فتعرضت له فقال في ذلك شعراً: قال المدائني أيضاً: اشترى أبو الأسود أمة للخدمة،

فجعلت تتعرض منه للنكاح وتتطيب وتشتمل بثوبها، فدعاها أبو الأسود فقال لها: اشتريتك للعمل والخدمة، و لم أشترك للنكاح، فأقبلي على خدمتك، وقال فيها:

أصلاح إني لا أريدك للصبا فدعي التشمل حولنا وتبذلي

إني أريدك للعجين وللرحا ولحمل قربتنا وغلي المرجل

وإذا تروح ضيف أهلك أو غدا فخذي لآخر أهبة المستقبل

أهدى إليه المنذر بن الجارود ثياباً فقال شعراً يمدحه فيه:

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعي قال حدثنا أبو عشانة عن ابن عباس قال: كان المنذر بن الجارود العبدي صديقاً لأبي الأسود الدؤلي تعجبه مجالسته وحديثه، وكان كل واحد منهما يغشي صاحبه؛ وكانت لأبي الأسود مقطعة من برود يكثر لبسها، فقال له المنذر: لقد أدمنت لبس هذه المقطعة، فقال له أبو الأسود: رب مملول لا يستطاع فراقه؛ فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً، فقال أبو الأسود يمدحه:

كساك ولم تستكسه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وإن أحق الناس إن كنت حامدا بحمدك من أعطاك والعرض وافر

أبيات أوصى فيها ابنه: أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه، وفي هذه الأبيات غناء: صوت:

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع إذا مضت إدراكها

أكرم صديق أبيك حيث لقيته واحب الكرامة من بدا فحباكها

لا تبدين نميمة حدثتها وتحفظن من الذي انباكها

اعتذر لزياد في شيء جرى بينهما فلم يقبل عذره فقال في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدثنا أبو محمد المروزي عن القحذمي عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤلي اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما، فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول:

إنني مجرم وأنت أحق الن اس أن تقبل الغداة اعتذاري

فاعف عني فقد سفهت وأنت ال مرء تعفو عن الهنات الكبار

فتبسم زياد وقال: أما إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك .

استشير في رجل أن يولى ولاية فقال شعراً: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال: سئل أبو الأسود عن رجل، واستشير في أن يولى ولاية، فقال أبو الأسود: هو

ما علمته: أهيس أليس، ألد ملحس ، إن اعطى انتهر ، وإن سئل أزر . قال الأصمعي: الأهيس: الحاد، ويقال في المثل:

إحدى لياليك فهيسي هيسي

قال: ويقال ناقة ليساء: إذا كانت لا تبرح من المبرك. قال: وهو مما يوصف به الشجاع ، وأنشد في صفة ثور:

أليس عن حوبائه سخي

ضمن له كاتب بن عامر أن يقضي حاجة ثم نكث فقال شعراً في ذلك: أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدثنا أبو ملحم عن مؤرج السدوسي عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال وكان من أفصح أهل زمانه قال: أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجةٍ له فضمن قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً، فقال أبو الأسود:

لعمري لقد أوصيت أمس بحاجتي ... فتى غير ذي قصدٍ علي ولا رؤف

ولا عارفٍ ما كان بيني وبينه ... ومن خير ما أدلى به المرء ما عرف

وما كان ما أملت منه ففاتني ... بأول خيرٍ من أخي ثقةٍ صرف

جفاه أبو الجارود فقال فيه شعراً: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال: كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي شاعراً، وكان صديقاً لأبي الأسود الدؤلي، فكان يهاديه الشعر، ثم تغير ما بينهما، فقال فيه أبو الأسود:

أبلغ أبا الأسود الجارود عني رسالة ... يروح بها الماشي ليلقاك أو يغدو

فيخبرنا ما بال صرمك بعد ما ... رضيت وما غيرت من خلق بعد

أأن نلت خيراً سرني حين نلته ... تنكرت حتى قلت ذو لبدة ورد ؟

فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تمثله لي غير أنك لا تعدو

فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا ... وقد جعلت أسباب أوله تبدو

فإني إذا ما صاحب رث وصله ... وأعرض عني قلت بالأبعد الفقد

وفاته:

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائني في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة. قال المدائني: وقد قيل إنه مات قبل ذلك، وهو أشبه القولين بالصواب، لأنا لم نسمعه له في فتنة مسعود وأمر المختار

بذكر، وذكر مثل هذا القول بعينه. والشك فيه هل أدرك الطاعون الجارف أو لا، عن يحيى بن معين. أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني ويحيى بن معين: صوت:

لعمرك أيها الرجل ... لأي الشكل تنتقل

أتهجر آل زينب أم ... تزورهم فتعتدل ؟

هم ركب لقوا ركبا ... كما قد تجمع السبل

فذلك دأبنا وبذا ... ك تجري بيننا الرسل

الشعر لأبي نفيس بن يعلى بن منية، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر .

أخبار أبي نفيس ونسبه

نسبه: اسمه حيي بن يحيى بن يعلى بن منية، وقيل بل اسم أبي النفيس يحيى بن ثعلبة بن منية، ومنية أمه، ذكر ذلك الزبير بن بكار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد. قال الزبير: وكان عمي يقول: اسمه ميمون بن يعلى؛ وأمه منية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان، وأبوه أمية بن عبدة بن همام بن جشم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وجدت ذلك بخط أبي محلم النسابة، قال: ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدوية، وهي فكيهة بنت تميم بن الدئل بن حسل بن عدي بن عبد مناة بن تميم، ولدت لمالك بن حنظلة زيداً وصدياً ويربوعاً، فهل يدعون بني العدوية .

بعض أخبار جده يعلى بن منية: وكان يعلى بن منية حليفاً لبني أمية وعديداً لهم، وبينه وبينهم صهر ومناسبة، وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً، وعمر بعده؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الرحمن ابن عبيد عن أبي الكنود قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: منيت أو بليت بأطوع الناس في الناس عائشة، وبأدهى الناس طلحة، وبأشجع الناس الزبير، وبأكثر الناس مالاً يعلى بن منية، وبأجود قريش عبد الله بن عامر، فقام إليه رجل من الأنصار فقال: والله يا أمير المؤمنين لأنت أشجع من الزبير، وأدهى من طلحة، وأطوع فينا من عائشة، وأجود من ابن عامر، ولمال الله أكثر من مال يعلى بن منية، وليكونن كما قال الله عز وجل: " فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ". فسر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله، ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال:

أما الزبير فأكفيكه ... وطلحة يكفيكه وحوحه

ويعلى بن منية عند القتال ... شديد التثاؤب والنحنحه

وعايش يكفيكها واعظ وعائش في الناس مستنصحه

فلا تجزعن فإن الأمور إذا ما أتيناك مستنجحه

وما يصلح الأمر إلا بنا كما يصلح الجبن بالإنفخه

قال: فسر علي عليه السلام بقوله، ودعا له وقال: بارك الله فيك. قال: فأما الزبير فناشده علي عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم، وأما طلحة فناشده وحوحة، وكان صديقه وكان من القراء، فذهب لينصرف، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .

فأما ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم فكثير، ولكني أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .

روى يعلى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن عباد المكي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن منية عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر: " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ". وقد روى يعلى عنه صلى الله عليه وسلم كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه .

أقرض يعلى الزبير بن العوام يوم الجمل مالاً، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال: أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذ و لم يقضه إياها .

قال: ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة، فاتفقا على أن يصلي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً، فقال شاعرهم في ذلك:

تبارى الغلامان إذ صليا وشح على الملك شيخاهما

ومالي وطلحة وابن الزبير وهذا بذي الجزع مولاهما

فأمهما اليوم غرتهما ويعلى بن منية دلاهما

رثى يعلى زوجه حين توفيت بتهامة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن جده عبد الحميد قال: كان يعلى بن منية ويكنى أبا نفيس، وسمعت غير جدي يقول اسمه يحيى وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب، ولهم حلف في بني غفارٍ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فتوفيت بتهامة فقال يرثيها:

يا رب رب الناس لما نحبوا وحين أفضوا من منىً وحصبوا

لا يسقين ملح وعليب والمسترد لا سقاة الكوكب

من أجل حماهن ماتت زينب

قال الزبير: وأنشدنيها عمي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية قال: واسمه ميمون، وكان عمي يقول: اسم أبي نفيس ميمون بن يعلى، وقال في الأبيات:

لا يسقين عنبب وعليب

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى عن جده غسان بن عبد الحميد قال: رأت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنات طارق اللواتي يقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فقالت: أخطأ من يقول: الخيل أحسن من النساء .

قال: وقالت هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أحد:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

الدر في المخانق والمسك في المفارق

إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهديري قال: جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الحزامي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متقنع، فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد:

نحن بنات طارق

فقال: وما طارق؟ فقلت: النجم، فالتف الضحاك فقال: أبا زكريا، وكيف بذاك؟ فقلت: قال الله عز وجل: " والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ". فقالت: إنما نحن بنات النجم، فقال: أحسنت .

صوت:

خليلي قوما في عطالة فآنظرا أناراً أرى من نحو يبرين أم برقا

فإن يك برقا فهو في مشمخرةٍ تغادر ماءً لا قليلا ولا طرقا

وإن تك نارا فهي نار بملتقىً من الريح تسفيهاً وتصفقها صفقا

ويروي: تزهاها وتعفقها عفقا

لأم عليٍ أوقدتها طماعةً لأوبة سفر أن تكون لهم وفقا

العشر لسويد بن كراع، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر غيره أنه لابن مسجح .

أخبار سويد بن كراع ونسبه

سويد بن كراع العكلي، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل. شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية. وكان في آخر أيام جرير والفرزدق .

كان شاعراً محكماً، وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدم فيهم: وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال: كان سويد بن كراع شاعراً محكماً، وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدم فيهم، وعكل وضبة وعدي وتيم هم الرباب .

قال: وكان بعض بني عدي ضرب رجلاً من بني ضبة، ثم من بني السيد، وهم قوم نكد شرس ، وهم أخوال الفرزدق، فاجتمعوا حتى ألم أن يكون بينهم شر، فجاء رجل من بني عدي فأعطى يده رهينة لينظروا ما يصنع المضروب، فقال خالد بن علقمة بن الطيفان حليف بني عبد الله بن دارم:

أسالم إني لا إخالك سالما ... أتيت بني السيد الغواة الأشائما

أسالم إن أفلت من شر هذه ... فوائل فراراً إنما كنت حالما

أسالم ما أعطى ابن مامة مثلها ... ولا حاتم فيما بلا الناس حاتما

قال شعراً يرد به على خالد بن علقمة: فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك:

أشاعر عبد الله إن كنت لائما ... فإني لما تأتي من الأمر لائم

تحضض أفناء الرباب سفاهةً ... وعرضك موفور وليلك نائم

وهل عجب أن تدرك السيد وترها ... وتصبر للحق السراة الأكارم

رأيتك لم تمنع طهية حكمها ... وأعطيت يربوعاً وأنفك راغم

وأنت امرؤ لا تقبل النصح طائعا ... ولكن متى تقهر فإنك رائم

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيباني أتم منه ها هنا وأوضح فذكرته؛ قال: كان بين السيد بن مالك، من ضبة، وبين بني عدي بن عبد مناة ترامٍ على خبراء بالصمان يقال لها ذات الزجاج، فرمي عمرو بن حشفة أخو بني شييم فمات، ورمت بنو السيد رجلاً منهم يقال له مدلج بن صخر العدوي فمكث أياماً لم يمت، فمر رجل من بني عدي يقال له معللٍ على بني السيد وهو لا يعلم الخبر، فأخذوه فشدوه وثاقاً فأفلت منهم، ومشى بينهم عصمة بن أبير التيمي سفيراً، فقال لسالم بن فلان العدوي: لو رهنتهم نسفك فإن مات مدلج كان رجل

برجلٍ، وإن لم يمت حملت دية صاحبهم، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن حميري أخي بني شيبم من بني السيد، فكان عنده. ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موت مدلج أتوا أخثم لينتزعوا منه سالماً ويقتلوه، ففوض عليه أخثم بيته ثم قال: يا آل أمي وكانت أمه من بني عبد مناة بن بكر فمنعه عبد مناة. ثم إن بني عبد السيد قالوا لأخثم: إلى كم تمنع هذا الرجل! أما الدية فوالله لا نقبلها أبداً. فجعل لهم أجلاً إن لم يمت مدلج فيه دفع إليهم سالماً فقتلوه به. فلما كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلج، فقتلوا سالماً، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارم، وهو ابن الطيفان:

أسالم ما منتك نفسك بعدما ... أتيت بني السيد الغواة الأشائما ؟

أسالم قد منتك نفسك أنما ... تكون ديات ثم ترجع سالما

كذبت ولكن ثائر متبسل ... يلقيك مصقول الحديدة صارما

أسالم ما أعطى ابن مامة مثلها ... ولا حاتم فيما بلا الناس حاتما

أسالم إن أفلت من شر هذه ... فوائل فرارا إنما كنت حالما

وقد أسلمت تيم عديا فأربعت ... ودلت لأسباب المنية سالما

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلام، وزاد فيها أبو عمرو:

دعوتكم إلى أمر النواكة دارما ... فقد تركتكم والنوكة دارم

وكنت كذات البو شرمت استها ... فطابقت لما خرمتك الغمائم

فلو كنت مولى مسلت ما تجللت ... به ضبع في ملتقى القوم واحم

ولم يدرك المقتول إلا مجره ... وما أسأرت منه النسور القشاعم

عليك ابن عوف لا تدعه فإنما ... كفاك موالينا الذي جر سالم

أتذكر أقواماً كفوك شئونهم ... وشأنك إلا تركه متفاقم

قال: وقال سويد بن كراع في ذلك:

أرى آل يربوعٍ وأفناه مالكٍ ... أعضوك في الحرب الحديد المنقبا

هم رفعوا فأس اللجام فأدركت ... لهاتك حتى لم تدع لك مشربا

فإن عدت عادوا بالتي ليس فوقها ... من الشر إلا أن تبيت محجبا

وتصبح تدرى الكعكبية قاعدا ... وينتف من ليتيك ما كان أزغبا

تدرى: تمشط بالمدرى كما يفعل بالنساء والكعكبية: مشطة معروفة

فهل سألوا فينا سواء الذي لهم وهل نحن أعطينا سواه فتعجبا

ويروى:

فهل سألونا خصلة غير حقهم

وهو أجود .

استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه: قال: فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سويد بن كراع في هجائه إياهم، فطلبه ليضربه ويحبسه، فهرب منه، و لم يزل متوارياً حتى كلم فيه، فأمنه على ألا يعاود، فقال سويد بن كراع:

تقول ابنة العوفي ليلى ألا ترى إلى ابن كراعٍ لا يزال مفزعا

مخافة هذين الأميرين سهدت رقادي وغشتني بياضاً تفرعا

على غير جرم غير أن جار ظالم علي فجهزت القصيد المفرعا

وقد هابني الأقوام لما رميتهم بفاقرةٍ إن هم أن يتشجعا

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الوحش نزعا

أكالئها حتى أعرس بعدما يكون سحير أو بعيد فأهجعا

فجشمني خوف ابن عثمان ردهاً ورعيتها صيفاً جديداً أو مربعا

نهاني ابن عثمان الإمام وقد مضت نوافذ لو تردي الصفا لتصدعا

عوارق ما يتركن لحماً بعظمه ولا عظم لحم دون أن يتمزعا

أحقاً هداك الله أن جار ظالم فأنكر مظلوم بأن يؤخذا معا

وأنت ابن حكام أقاموا وقوموا قروناً وأعطوا نائلاً غير أقطعا

انتجع بقومه أرض بني تميم: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم، فجاور بني قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة بن قريع وأرعاه، ووصله وكساه. فلم يزل مقيماً فيهم حتى أحيا ، ثم ودعهم وأتى بغيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حماد: ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً، وهي لسويد بن كراع:

ارتعت للزور إذ حيا وأرقني ولم يكن دانياً منا ولا صددا

ودونه سبسب تنضى المطي به حتى ترى العنس تلقي رحلها الأجدا

إذا ذكرت فاضت عبرتي دراً ... وكاد مكتوم قلبي يصدع الكبدا
وذاك مني هوى قد كان أضمره ... فلبي فما ازداد من نقص ولا نفدا
وقد أرانا وحال الناس صالحة ... نحتل مربوعةً أدمان أو بردى
ليت الشباب وذاك العصر راجعنا ... فلم نزل كالذي كنا به أبدا
أيام أعلم كم أعملت نحوكم ... من عرمسٍ عاقدٍ لم ترأمٍ الولدا
تصيخ عند السرى في البيد ساميةً ... سطعاء تنهض في ميتائها صعدا
كأن رحلي على حمشٍ قوائمه ... برمل عرنان أمسى طاويا وحدا
هاجت عليه من الجوزاء سارية ... وطفاء تحمل جوناً مردفاً نضدا
فألجأته إلى أرطأة عانكةٍ ... فيحاء ينهال منها ترب ما التبدا
تخال عطفيه من جول الرذاذ به ... منظماً بيدي داريةٍ فردا
حتى إذا ما انجلت عنه دجنته ... وكشف الصبح عنه الليل فاطردا
غدا كذي التاج حلته أساورة ... كأنما اجتاب في حر الضحى سندا

وهي طويلة اختصرتها، يقول فيها:

لا يبعد الله إذ ودعت أرضهم ... أخي بغيضاً ولكن غيره بعدا
لا يبعد الله من يعطي الجزيل ومن ... يحبو الخليل وما أكدى وما صلدا
ومن تلاقيه بالمعروف معترفا ... إذا اجرهد صفا المذموم أو صلدا
لاقيته مفضلا تندى أنامله ... إن يعطيك اليوم لا يمنعك ذاك غدا
تجيء عفواً إذا جاءت عطيته ... ولا تخالط ترنيقاً ولا زهدا
أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه ... خلقاً وأوسعه خيراً ومنتفدا
إذا تكلف أقوام صنائعه ... لاقوا ولم يظلموا من دونها صعدا
بحر إذا نكس الأقوام أو ضجروا ... لاقيت خير يديه دائماً رغدا
لا يحسب المدح خدعا حين تمدحه ... ولا يرى البخل منهاةً له أبدا
إني لرافده ودي ومنصرتي ... وحافظ غيبه إن غاب أو شهدا

صوت:

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل يدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني ولست مقيداً أني بقيد

عروضه من الوافر، الخاتل: الذي يتقتر للصيد وينحني حتى لا يرى. ويقال لكل من أراد خداع صيدٍ أو إنسانٍ: ختله، ورى أمره فلم يظهره. ومن رواه: كأني حابل فإنه يعني الذي ينصب حبالةً للصيد. الشعر لأبي الطمحان القيني. والغناء لإبراهيم ماخوري وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر ابن حبيب أن هذا الشعر للمسجاح بن سباع الضبي، فإن كان ذلك على ما قال فلأبي الطمحان مما يغنى فيه من شعره ولا يشك فيه أنه له قوله: صوت:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل، وذكر ابن المعتز أن خفيف الرمل لها، وأن الثقيل الثاني لغيرها.

الجزء الثالث عشر

أخبار أبي الطمحان القيني

اسمه ونسبه

أبو الطمحان اسمه حنظلة بن الشرقي ، أحد بني القين بن جسر بن شيع الله من قضاعة، وقد تقدم هذا النسب في عدة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم.

إدراكه الجاهلية والإسلام

واتصاله بالزبير بن عبد المطلب

وكان أبو الطمحان شاعراً فارساً خارباً صعلوكاً. وهو من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام، فكان خبيث الدين فيهما كما يذكر. وكان تراباً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية وندیماً له. أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عن أبي عبيدة.

ومما يدل على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه قال : خرج قيسبة بن كلثوم السكوني، وكان ملكاً، يريد الحج - وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعر ، بعضها لبعض - فمر ببني عامر بن عقيل، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه، وألقوه في القد ، فمكث فيه ثلاث سنين، وشاع باليمن أن الجن استطارته. فبينا هو في يوم شديد البرد في بيت عجوزٍ منهم إذ قال لها :أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرق عليها فقد أضر بي القر؟! فقالت له نعم. كانت عليه جبة له حبرةٌ لم يترك عليه غيرها، فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمة، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمين، وتغشاه عبرةٌ فبكى، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم ساكن السماء فرج لي مما أصبحت فيه. فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير، فأشار إليه أن أقبل، فأقبل الراكب، فلما وقف عليه قال له: ما حاجتك يا هذا؟ قال: أين تريد؟ قال: أريد اليمن. قال: ومن أنت؟ قال أنا أبو الطمحان القيني، فاستعبر باكياً. فقال له أبو الطمحان: من أنت ؟ فإني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك. قال: أنا قيسبة بن كلثوم السكوني، خرجت عام كذا و كذا أريد الحج، فوثب عليَ هذا الحي فصنعوا بي ما ترى، وكشف عن أغلال و قيوده، فاستعبر أبو الطمحان، فقال له قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك! قال: فأنخ، فأناخ. ثم قال له: أمعك سكين؟ قال نعم. قال: ارفع لي عن رحلك، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخره ، فكتب عليها قيسبة بالمسند ، وليس يكتب به غير أهل اليمن:

بلغا كندة الملوك جميعاً حيث سارت بالأكرمين الجمال
أن ردوا العين بالخميس عجالاً واصدروا عنه والروايا ثقال
هزئت جارتي وقالت عجيباً إذ رأتني في جيدي الأغلال
إن تريني عاري العظام أسيراً قد براني تضعضعٌ واختلال
فلقد أقدم الكتيبة بالسي ف علي السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي طمحان مائة ناقةٍ. ثم قال له :أقرىء هذا قومي، فإنهم سيعطونك مائة ناقةٍ حمراء. فخرج تسير به ناقته، حتى أتى حضرموت، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه. ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين، فذكر أمره، فأتى أخاه الجون بن كلثوم، وهو أخوه لأبيه وأمه، فقال له: يا هذا، إني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل. قال له: فهي لك. فكشف عن الرحل، فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقةٍ، ثم أتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس، فقال له: يا هذا، إن أخي في بني عقيل أسير، فسر معي بقومك، فقال له: أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك، وإلا فامض راشداً. فقال له الجون: مسّ السماء أيسر من ذلك وأهون علي مما خبرته. وضجت السكون ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له: وما عليك من هذا! هو ابن عمك ويطلب ذلك بثأرك! فأنعم له بذلك .

اجتماع السكون وكندة لإنقاذ قيسبة

وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه، وكندة والسكون معه، فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس، وبه أدرك الشرف. فسار حتى أوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة. وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي:

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم ألفي كميتٍ كلها سلهبة
نحن أبلنا الخيل في أرضكم حتى ثأرنا منكم قيسبة
واعترضت من دونهم مذحجٌ فصادفوا من خيلنا مشغبة

اعتراف أبي الطمحان بأدنى ذنوبه

حدثنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال: بلغني أن أبا الطمحان القيني قيل له، وكان فاسقاً خارباً، ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدير. قيل له: وما ليلة الدير؟ قال: نزلت بديرانية فأكلت عندها طفيشلاً بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها ، ثم انصرفت عنها.

التجاؤه إلى بني فزارة

من جناية جناها وإقامته عندهم حتى هلك

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: جنى أبو الطمحان القيني جنايةً وطلبه السلطان، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له: مالك بن سعد أحد بني شمخ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه. فأقام مدة، ثم تشوق يوماً إلى أهله وقد شرب ثمل منه، فقال لمالك: لولا أن يدي تقصر عن دية جنايتي لعدت إلى أهلي. فقال له: هذه إبلي فخذ دية جنايتك وأردد ما شئت. فلما أصبح ندم على ما قاله وكره مفارقة موضعه و لم يأمن على نفسه، فأتى مالكا فأنشده:

سأمدح مالكاً في كل ركبٍ ... لقيتهم وأترك كل رذل

فما أنا والبكارة أو مخاضٌ ... عظامٌ جلة سدسٌ وبزل

وقد عرفت كلابكم ثيابي ... كأني منكم ونسيت أهلي

نمت بك من بني شمخٍ زنادٌ ... لها ما شئت من فرعٍ وأصل

قال فقال مالك: مرحباً! فإنك حبيب ازداد حباً، إنما اشتقت إلى أهلك وذكرت أنه يحبسك عنهم ما تطالب به من عقلٍ أو ديةٍ، فبذلت لك ما بذلت، وهو لك على كل حال، فأقم في الرحب والسعة. فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم.

قال أبو عمرو في هذه الرواية: وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد، قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال :

شعره في الاعتذار لامرأته

من ركوبه الأهوال

عاتبت أبا الطمحان القيني امرأته في غاراته ومخاطرته بنفسه، وكان لصاً خارباً خبيثاً، وأكثرت لومه على ركوب الأهوال ومخاطرته بنفسه في مذاهبه، فقال لها:

لو كنت في ريمان تحرس بابه ... أراجيل أحبوشٍ وأغضف آلف

إذاً لأتتني حيث كنت منيتي ... يخب بها هادٍ بأمري قائف

فمن رهبةٍ آتي المتالف سادراً ... وأية أرض ليس فيها متالف

شعره في بجير بن أوس الطائي

وإطلاقه من الأسر

فأما البيت الذي ذكرت من شعره أن فيه لعريب صنعة وهو:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

فإنه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأمٍ الطائي، وكان أسيراً في يده. فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدة قصائد. وأول هذه الأبيات:

إذا أقبل أي الناس خيرُ قبيلةً ... وأصبر يوماً لا توارى كواكبه

فإن بني لأم بن عمروٍ أرومةٌ ... علت فوق صعبٍ لا تنال مراقبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

لهم مجلس لا يحصرون عن الندى ... إذا مطلب المعروف أجدب راكبه

وأما خبر أسره والرقعة التي أسر فيها فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

حرب جديلة والغوث الطائيين

كان أبو الطمحان القيني مجاوراً في جديلة من طيء، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها "حرب الفساد" وتحزبت حزبين: حزب جديلة وحزب الغوث، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة. فأما اليوم الذي كان لجدلة فهو "يوم ناصفة". وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها "يوم قارات حوق" ويوم البيضة "ويوم عرنان" وهو آخرها وأشدها وكان للغوث، فانهزمت جديلة هزيمة "قبيحة"، وهربت فلحقت بكلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة.

شعره لما أسر في هذه الحرب وأسر أبو الطمحان في هذه الحرب: أسره رجلان من طيء واشتركا فيه، فاشتراه منهما بجير بن أوس بن حارثة لما بلغه قوله:

أرقت وآبتني الهموم الطوارق ... ولن يلق ما لاقيا قبلي عاشق

إليكم بني لأمٍ تخب هجائها ... بكل طريق صادفته شبارق

لكم نائل غمر وأحلام سادةٍ ... وألسنةٌ يوم الخطاب مسالق

ولم يدع داعٍ مثلكم لعظيمةٍ ... إذا وزمت بالساعدين السوارق

السوارق: الجوامع واحدها سارقة.

قال فابتاعه بجير من الطائيين بحكمهما، فجز ناصيته وأعتقه.

جواره في بني جديلة وقتل تيس له غلاماً منهم وشعره في ذلك أخبري الحسن بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المدني قال حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كان أبو الطمحان القيني مجاوراً لبطن من طيء يقال لهم بنو جديلة، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله، فتعلقوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدى ديته مائةً من الإبل . وجاءهم نزيله، وكان يدعى هشاماً، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله، فقال له أبو الطمحان:

أتاني هشامٌ يدفع الضيم جاهداً ... يقول ألا ماذا ترى وتقول

فقلت له قم يا لك الخير أدها ... مذللةُ إن العزيز ذليل

فإن يك دون القين أغبر شامخٌ ... فليس إلى اليقين الغداة سبيل

انتعاش المأمون ببيتين له

أخبري عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال: دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكراً غير نشيط، فأخذت أحدثه بملح الأحاديث وطرفها، أستميله لأن يضحك أو ينشط، فلم يفعل. وخطر ببالي بيتان فأنشدته إياهما، وهما:

ألا عللاني قبل نوح النوائح ... وقبل نشوز النفس بين الجوانح

وقبل غدٍ، يا لهف نفسي على غدٍ ... إذا راح أصحابي ولست برائح

فتنبه كالمتفزع ثم قال: من يقول هذا ويحك؟ قلت: أبو الطمحان القيني يا أمير المؤمنين. قال: صدق والله، أعدهما علي. فأعدتهما عليه حتى حفظهما. ثم دعا بالطعام فأكل، ودعا بالشراب فشرب. وأمر لي بعشرين ألف درهم.

استشهاد خالد بن يزيد ببيتين له

في ريبة اعتذر عنها الحسن لعبد الملك

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثني المدائني قال: عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إياه إلى الخروج معهم على عبد الملك، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين، ألا تقبل عذر ابن عمك وتزيل عن قلبك ما قد أشربته إياه؟ أما سمعت قول أبي الطمحان القيني:

إذا كان في صدر ابن عمك إحنةٌ ... فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

وإن حمأة المعروف أعطاك صفوها ... فخذ عفوه لا يلتبس بك طينها

خبره مع الزبير بن عبد المطلب

قال المدائني: ونزل أبو الطمحان على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لديه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً إليهم، فلم يأذن له. وسأله المقام، فأقام عنده مدة، ثم أتاه فقال له:

ألا حنت المرقال وائتب ربها تذكر أوطاناً وأذكر معشري
ولو عرفت صرف البيوع لسرها بمكة أن تبتاع حمضاً بإدخر
أسرك لو أنا بجنبي عنيزةٍ وحمضٍ وضمران الجناب وصعتر
إذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ كعين الغراب صفوها لم يكدر

فلم أنشده إياها أذن له فانصرف، وكان نديماً له.

صوت

لا يعتري شربنا اللحاء وقد توهب فينا القيان والحلل
وفتيةٍ كالسيوف نادمتهم لا حصرٌ فيهم ولا بخل

الشعر للأسود بن يعفر، والغناء لسليم، خفيف ثقيل أول بالبنصر.

أخبار الأسود ونسبه

نسبه ومنزلته في الشعر

الأسود بن يعفر" ويقال يعفر بضم الياء" ابن عبد الأسود بن جندل بن سهم بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم. وأم الأسود بن يعفر رهم بنت العباب، من بني سهم بن عجل. شاعر متقدم فصيح، من شعراء الجاهلية، ليس بالمكثر. وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير، والمخبل السعدي، والنمر بن تولبٍ العكلي، وهو من العشي ويقال العشو بالواو المعدودين في الشعراء. وقصيدته الدالة المشهورة:

نام الخلي وما أحس رقادي والهم مختصرٌ لدي وسادي

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحكمها، مفضلية مأثورةٌ.

توقف سوار شهادة دارمي يجهل الأسود بن يعفر أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قالا: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: تقدم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوار بن عبد الله ليقيم عنده شهادةً، فصادفه يتمثل قول الأسود بن يعفر :

ولقد علمت لو أن علمي نافعي أن السبيل سبيل ذي الأعواد

إن المنية والحتوف كلاهما يوفي المخارم يرميان سوادي

ماذا أؤمل بعد آل محرقٍ تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرةٍ يفيض عليهم ماء الفرات يفيض من أطواد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

ثم أقبل على الدارمي فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرف من يقوله؟ قال: لا. قال: رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه! يا مزاحم، أثبت شهادته عندك، فإني متوقفُ عن قبوله حتى أسأل عنه، فإني أظنه ضعيفاً.

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن الرياشي عن أبي عبيدة بمثله.

عشرة آلاف لمن يروي قصيدة نام الخلي... أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد قال حدثني الحكم بن موسى السلولي قال حدثني أبي قال: بينا نحن بالرافقة على باب الرشيد وقوفٌ، وما أفقد أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق، إذ خرج وصيفٌ كأنه درةٌ فقال، يا معشر الصحابة، إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر:

نام الخلي وما أحس رقادي والهم مختصرٌ لدي وسادي

فليدخل فلينشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهمٍ. فنظر بعضنا إلى بعضٍ، و لم يكن فينا أحدٌ يرويها. قال: فكأنما سقطت والله البدرة عن قربوسي . قال الحكم: فأمرني أبي فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث.

تمثل علي بشعره لما انتهى إلى مدائن كسرى أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن المدائني قال: حدثنا أبو أمية بن عمرو بن هشام الحراني قال: حدثنا محمد بن يزيد بن سنان قال: حدثني جدي سنان بن يزيد قال: كنت مع مولاي جرير بن سهم التميمي وهو يسير أمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول:

يا فرسي سيري وأمي الشاما وخلفي الأخوال والأعماما

وقطعي الأجواز والأعلام وقاتلي من خالف الإماما

إني لأرجو إن لقينا العاما جمع بني أمية الطغاما

أن نقتل العاصي والهماما وأن نزيل من رجالٍ هاما

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا، فتمثل مولاي قول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال له عليٌ عليه السلام: فلم لم تقل كما قال جل وعز: "كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوماً آخرين" . ثم قال: يا ابن أخي، إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلت بهم النقمة ، فإياكم وكفر النعمة فتحل بكم النقمة.

تمثل عمر بن عبد العزيز بشعره حين مر بقصر لآل جفنة أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: مر عمر بن عبد العزيز ومعه مزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور ال جفنة، فتمثل مزاحمٌ بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ في ظل ملكٍ ثابت الأوتاد

فإذا النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلىً ونفاد

فقال له عمر: هلا قرأت: "كم تركوا من جنات وعيونٍ" ، إلى قوله جل وعز: "كذلك وأورثناها قوماً آخرين" .

ما قاله في استنقاذ إبل له أخذها بكر بن وائل نسخت من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: كان الأسود بن يعفر مجاوراً في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مرة بن عباد بالقاعة ، فقامرهم فقمروه، حتى حصل عليه تسعة عشر بكراً، فقالت لهم أمه وهي رهم بنت العباب: يا قوم، أتسلبون ابن أخيكم ماله؟ قالوا: فماذا نصنع؟ قالت: احبسوا قداحه . فلما راح القوم قالوا له: أمسك . فدخل ليقامرهم فردوا قداحه. فقال: لا أقم بين قوم لا أضرب فيهم بقدح؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحرم، فأخذت إبله طائفة من بكر بن وائل؛ فاستسعى الأسود بني مرة بن عباد وذكرهم الجوار وقال لهم:

يال عباد دعوة بعد هجمة فهل فيكم من قوة وزماع

فتسعوا لجار حل وسط بيوتكم غريب وجارات تركن جياع

وهي قصيدة طويلة، فلم يصنعوا شيئاً. فادعى جوار بني محلم بن ذهل بن شيبان، فقال:

قل لبني محلم يسيروا بذمة يسعى بها خفير

لا قدح بعد اليوم حتى توروا

ويروى إن لم توروا فسمعوا معه حتى استنقذوا إبله، فمدحهم بقصيدته التي أولها:

أجارتنا غضي من السير أوقفي إن كنت قد أزمعت بالبين فاصرفي
سائلك أو أخبرك عن ذي لبانة سقيم الفؤاد بالحسان مكلف

يقول فيها :

تداركني أسباب آل محلم وقد كدت أهوي بين نيقين نفنف
هم القوم يمسي جارهم في غضارة سوياً سليم اللحم لم يتحوف

فلما بلغتهم أبياته ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم.

طلب طلحة أن يسعى له في إبله

قال المفضل: كان رجل من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة، جاراً لبني ربيعة بن عجل بن لجيم ، فأكلو إبله، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه يسعى له في إبله. فقال له الأسود: لست جامعهما لك، ولكن أيهما شئت. قال: أختار أن تسعى لي بإبلي. فقال الأسود لأخواله من بني عجل:

يا جار طلحة هل ترد لبونه فتكون أدنى للوفاء وأكرما
تالله لو جاورتموه بأرضه حتى يفارقكم إذا ما أحرما

وهي قصيدة طويلة.

فبعث أخواله من بني عجل بإبل طلحة إلى الأسد بن يعفر فقالوا: أما إذا كنت شفيعه فخذها، وتول ردها لتحرز المكرمة عنده دون غيرك.

وقال ابن الأعرابي: قتل رجلان من بني سعد بن عجل يقال لهما وائل وسليط ابنا عبد الله، عما لخالد بن مالك بن ربعي النهشلي يقال له عامر بن ربعي، وكان خالد بن مالك عند النعمان حينئذ ومعه الأسود بن يعفر. فالتفت النعمان يوماً إلى خالد بن مالك فقال له: أي فارسين في العرب تعرف هما أثقل على الأقران وأخف على متون الخيل؟ فقال له: أبيت اللعن! أنت أعلم. فقال: خالاً ابن عمك الأسود بن يعفر وقاتلا عمك عامر بن ربعي يعني العجليين وائلاً وسليطاً فتغير لون خالد بن مالك. وإنما أراد النعمان أن يحثه على الطلب بثأر عمه. فوثب الأسود فقال: أبيت اللعن! عض بهن أمه من رأى حق أخواله فوق حق أعمامه. ثم التفت إلى خالد بن مالك فقال: يا بن عم، الخمر علي حرام حتى أثأر لك بعمك، قال وعلي مثل ذلك.

ونهضا يطلبان القوم، فجمعا جمعاً من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة ، وأرسلا رجلاً من بني زيد بن نهشل بن دارم يقال له عبيد يتجسس لهم الخبر، فرجع إليهم فقال: جوف كاظمة ملآن من حجاج وتجار، وفيهم وائل وسليط متساندان في جيش. فركبت بنو نهشل حتى أتوهم، فنادوا: من كان حاجاً فليمض لحجه،

ومن كان تاجراً فليمض لتجارته. فلما خلص لهم وائل وسليط في جيشهما اقتتلوا، فقتل وائل وسليط، قتلهما هزان بن جندل بن نهشل، عادى بينهما . وادعى الأسود بن يعفر أنه قتل وائلاً. ثم عاد إلى النعمان فلما رآه تبسم وقال: وفي نذرك يا أسود؟ قال: نعم أبيت اللعن! ثم أقام عنده مدة ينادمه ويؤاكله.

ثم مرض مرضاً شديداً، فبعث النعمان إليه رسولاً يسأله عن خبره وهول ما به؛ فقال:

نفع قليل إذا نادى الصدى أصلاً ... وحان منه لبرد الماء تغريد

وودعوني فقالوا ساعة انطلقوا ... أودى فأودى الندى والحزم والجود

فما أبالي إذا ما مت ما صنعوا ... كل امرئ بسبيل الموت مرصود

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه، قال:

ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح

من بني الحارث بن تيم الله واستولدها أمهاراً

كان أبو جعل أخو عمر بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعاً من شذاذ أسد وتميم وغيرهم، فغزوا بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة، فنذروا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فضوا جمعهم، فلحق رجل من بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعة من بني نهشل فيهم جراح بن الأسود بن يعفر، والحر بن شمر بن هزان بن زهير بن جندل، ورافع بن صهيب بن حارثة بن جندل، وعمرٌو والحارث أبنا حرير بن سلمى بن جندل، فقال لهم الحارثي : هلم إلي طلقاء ؛ فقد أعجبني قتالكم سائر اليوم، وأنا خير لكم من العطش. قالوا نعم. فنزل ليجز نواصيهم. فنظر الجراح بن الأسود إلى فرس من خيلهم فإذا هي أجود فرس في الأرض، فوثب فركبها وركضها ونجا عليها. فقال الحارثي للذين بقوا معه: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم نحن لك عليه خفراء. فلما أتى جراح أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها ثلاثة أبطن، وكان يقال لها: العصماء. فلما رجع النفر النهشليون إلى قومهم قالوا إنا خفراء فارس العصماء، فوالله لنأخذنها، فأوعدوه . وقال حرير ورافع: نحن الخفيران بها. وكان بنو جرول حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل، فأعانه على ذلك التيحان بن بلج بن جرول بن نهشل. فقال الأسود بن يعفر يهجوه:

أتاني ولم أخشى الذي ابتعثا به ... خفيرا بني سلمى حرير ورافع

هم خيبوني يوم كل غنيمة ... وأهلكتهم لو أن ذلك نافع

فلا أنا معطيهم علي ظلامة ... ولا الحق معروفاً لهم أنا مانع

وإني لأقري الضيف وصى به أبي ... وجار أبي التيحاني ظمآن جائع

فقولا لتيحان ابن عاقرة استها ... أمجر فلاقي الغي أم أنت نازع

ولو أن تيحان بن بلج أطاعني لأرشدته وللأمور مطالع
وإن يك مدلولاً عليَّ فإنني أخو الحرب لا قحمٌ ولا متجاذع
ولكن تيحان ابن عاقرة استها له ذنب من أمره وتوابع

قال: فلما رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردوها، أحلفهم عليها فحلفوا أنهم خفراء لها، فرد الفرس عليهم وامسك أمهارها، فردوا الفرس إلى صاحبها. ثم أظهر الأمهار بعد ذلك، فأوعدوه فيها أن يأخذوها. فقال الأسود:

أحقاً بني أبناء سلمى بن جندل وعيدكم إياي وسط المجالس
فهلاّ جعلتم نحوه من وعيدكم على رهط قعقاع ورهط ابن حابس
هم أوردوكم ضفة البحر طامياً وهم تركوكم بين خاز وناكس

رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي

وكان كثير البر به

وقال أبو عمرو: كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيداً جواداً، وكان مؤثراً للأسود بن يعفر، كثير الرفد له والبر به. فمات مسروق واقتسم أهله ماله، وبان فقده على الأسود بن يعفر فقال يرثيه:

أقول لما أتاني هلك سيدنا لا يبعد الله رب الناس مسروقا
من لا يشيعه عجز ولا بخل ولا يبيت لديه اللحم موشوقا
مردي حروب إذا ما الخيل ضرجها نضخ الدماء وقد كانت أفاريقا
والطاعن الطعنة النجلاء تحسبها شناً هزيماً يمج الماء مخروقا
وجفنة كنضيح البئر متأقة ترى جوانبها باللحم مفتوقا
يسرتها ليتامى أو لأرملة وكنت بالبأس المتروك محقوقا
يا لهف أمي إذ أودى وفارقني أودى ابن سلمى نقي العرض مرموقا

ما أجاب بنته وقد لامته على جوده

وقال أبو عمرو: عاتبت سلمى بنت الأسود بن يعفر أباها على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة وما يمنحه فقراءهم ويعين به مستمنحهم، فقال لها:

وقالت لا أراك تليق شيئاً أتهلك ما جمعت وتستفيد

فقلت بحسبها يسر وعار ومرتحل إذا رحل الوفود

فلومي إذا بدا لك أو أفيقي فقبلك فاتني وهو الحميد

أبو العوراء لم أكمد عليه وقيس فاتني وأخي يزيد

مضوا لسبيلهم وبقيت وحدي وقد يغني رباعته الوحيد

فلولا الشامتون أخذت حقي وإن كانت بمطلبه كؤود

ويروى:

وإن كانت له عندي كؤود

ما قاله ابنه جراح

وكان ضئيلاً وضعيفاً

قال أبو عمرو: وكان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلاً وضعيفاً، فنظر إليه الأسود وهو يصارع صبياً من الحي" وقد صرعه الصبي" والصبيان يهزءون منه، فقال:

سيجرح جراح وأعقل ضيمه إذا كان مخشيا من الضلع المبدي

فآباء جراحٍ ذؤابة دارمٍ وأخوال جراح سراة بني نهد

قال: وكانت أم الجراح أخيذةً، أخذها الأسود من بني نهد في غارةٍ أغارها عليهم.

ما قاله لما أسن وكف بصره

وقال أبو عمرو: لما أسن الأسود بن يعفر كف بصره، فكان يقاد إذا أراد مذهباً. وقال في ذلك:

قد كنت أهدي ولا أهدى فعلمني حسن المقادة أني أفقد البصرا

أمشي وأتبع جناباً ليهديني إن الجنيبة مما تجشم الغدرا

الجناب: الرجل الذي يقوده كما تقاد الجنيبة. الجشم: المشي ببطء. والغدر: مكان ليس مستوياً.

شعر لأخيه حطائط

وقد لامته أمه على جوده

وذكر محمد بن حبيب، عن ابن الإعرابي، عن المفضل: أن الأسود كان له أخٌ يقال له حطائط بن يعفر شاعر، وأن ابنه الجراح كان شاعراً أيضاً. قال: وأخوه حطائط الذي قال لأمهما رهم بنت العباب، وعاتبته على جوده فقال:

تقول ابنة العباب رهم حربتني ... حطائط لم تترك لنفسك مقعدا
إذا ما جمعنا صرمةً بعد هجمةٍ ... تكون علينا كابن أمك أسودا
فقلت ولم أعي الجواب: تأملي ... أكان هزالاً حتف زيد وأربدا
أريني جواداً مات هزلاً لعلني ... أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا
ذريني أكن للمال ربا ولا يكن ... لي المال ربا تحمدي غبه غدا
ذريني فلا أعيا بما حل ساحتي ... أسود فأكفي أو أطيع المسودا

ذريني يكن مالي لعرضي وقايةً ... يقي المال عرضي قبل أن يتبدد
أجارة أهلي بالقصيمة لا يكن ... علي ولم أظلم لسانك مبردا

صوت

أعاذلتي ألا لا تعذلينا ... أقلي اللوم إن لم تنفعينا
فقد أكثرت لو أغنيت شيئاً ... ولست بقابلٍ ما تأمرينا

الشعر لأرطاة بن سهية، والغناء لمحمد بن الأشعث، خفيف رملٍ بالبنصر، من نسخت عمرو بن بانة.

أخبار أرطاة ونسبه

نسبه من قبل أبويه

وبيان أن أمه كانت لضرار بن الأزور فصارت إلى زفر وهي حامل بأرطاة هو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن عقفان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. وقد تقدم هذا النسب في عدة مواضع من هذا الكتاب. وسهية أمه؛ وهي بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حديج بن أبي جشم بن كعب بن عامر بن عوف، سبية من كلب، وكانت لضرار بن الأزور ثم صارت إلى زفر وهي حامل فجاءت بأرطاة من ضرار على فراش زفر؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضرار إلى الحارث بن عوف فقال له:

يا حارث افكك لي بني من زفر

ويروى: "يا حار أطلق لي"

في بعض من تطلق من أسرى مضر

إن أباه امرؤ سوء إن كفر

فأعطاه الحارث إياه وقال: انطلق بابنك، فأدركه نهشل بن حري بن غطفان فانتزعه ورده إلى زفر. وفي تصداق ذلك يقول أرطاة لبعض أولاد زفر:

فإذا خمصتم قلتم يا عمنا وإذا بطنتم قلتم ابن الأزور

قال: ولهذا غلبت أمه سهية على نسبه فنسب إليها. وضرار بن الأزور هذا قاتل مالك بن نويرة الذي يقول فيه أخوه متمم:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت تحت البيوت، قتلت يا بن الأزور

منزلته في الشعر

وأرطاة شاعر فصيح، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية لم يسبقها و لم يتأخر عنها. وكان أمرأ صدق شريفاً في قومه جواداً.

إنشاده عبد الملك بعض ما ناقض به شبيب بن البرصاء أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان رفيع بن سلمة الملقب بدماذ، قال: حدثنا أبو عبيدة قال: دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيب بن البرصاء، فأنشده:

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل جنيباً لآبائي وأنت جنيب

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبت، شبيبٌ خير منك أباً. ثم أنشده:

وما زلت خيراً منك مذ عض كارها برأسك عادي النجاد رسوب

معرفة عبد الملك مقادير الناس

فقال له عبد الملك: صدقت، أنت في نفسك خير من شبيب. فعجب من عبد الملك من حضر ومن معرفته مقادير الناس على بعدهم منه في بواديهم، وكان الأمر على ما قال: كان شبيب أشرف أباً من أرطاة، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب.

ما قاله لعبد الملك وقد أسن

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمرو بن بحر الجاحظ ودماذ أبو غسان، قالا جميعاً، قال أبو عبيدة: دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فقال له: كيف حالك يا أرطاة؟ وقد كان أسن فقال: ضعفت

أوصالي، وضاع مالي، وقل مني ما كنت أحب كثرته، وكثر مني ما كنت أحب قلته. قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب، وما يكون الشعر إلا من نتائج الأربع، وعلى أني القائل:

رأيت المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبغي المنية حين تأتي ... على نفس ابن آدم من مزيد

واعلم أنها ستكر حتى ... توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال: بل توفي نذرها بك ويلك! مالي ولك؟ فقال: لا ترع يا أمير المؤمنين، فإنما عنيت نفسي وكان أرطاة يكنى أبا الوليد فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكياً وقال: أما والله على ذلك لتلمن بي.

أخبرني به حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمرو بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يحيل معنى.

مدحه مروان لما أجتمع له أمر الخلافة

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشي الهشامي بأنطاكية قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة .

وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً. وصمد لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربته، فهنأه وكان خاصاً به وبأخيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده :

تشكى قلوصي إلي الوجى ... تجر السرج وتبلي الخداما

تزور كريماً له عندها ... يدٌ لا تعد وتهدي السلاما

وقل ثواباً له أنها ... تجيد القوافي عاماً فعاما

وسادت معدا على رغمها ... قريشٌ وسدت قريشاً غلاما

جعلت على الأمر فيه صغاً ... فما زال غمزك حتى استقاما

لقيت الزحوف فقاتلتها ... فجردت فيهن عضباً حساما

تشق القوانس حتى تنا ... ل ما تحتها ثم تبري العظاما

نزعت على مهل سابقاً ... فما زادك النزع إلا تماما

فزاد لك الله سلطانه ... وزاد لك الخير منه فداما

فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقة وأوقرهن له برا وزبيباً وشعيراً.

هجاؤه شبيباً وقد وقع فيه عند يحيى

ابن الحكم

قال: وكان أرطاة يهاجي شبيب بن البرصاء، ولكل واحد منهما في صاحبه هجاء كثير، وكان كل واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم، وكانت بنو مرة تألفه وتنتجعه لصهره فيهم. فلما افترقا سبعه شبيب عند يحيى بن الحكم؛ فقال أرطاة له:

رمتك فلم تشو الفؤاد جنوب ... وما كل من يرمي الفؤاد يصيب
وما زودتنا غير أن خلطت لنا ... أحاديث منها صادق وكذوب
ألا مبلغ فتيان قومي أنني ... هجاني ابن برصاء اليدين شبيب
وفي آل عوف من يهود قبيلة ... تشابه منها ناشئون وشيب
أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل ... جنيباً لآبائي وأنت جنيب
وما زلت خيراً منك مذ عض كارهاً ... برأسك عادي النجاد رسوب
فما ذنبنا إن أم حمزة جاورت ... بيثرب أتياساً لهن نبيب
إن رجالاً بين سلعٍ وواقمٍ ... لأير أبيهم في أبيك نصيب
فلو كنت عوفياً عميت وأسهلت ... كداك ولكن المريب مريب

حرص العوفيين على العمى عند الكبر

فأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: لما قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كل شيخ من بني عوف يتمنى أن يعمى "وكان العمى شائعاً في بني عوف كما أسن منهم رجل عمي" فعمر أرطاة و لم يعم، فكان شبيب يعيره بذلك. ثم مات أرطاة وعمي شبيب، فكان يقول بعد ذلك: ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلم أنني عوفي.

ما كان له مع شبيب

وقد تمنى لقاءه في يوم قتال

ونسخت من كتاب ابن الأعرابي في شعر أرطاة قال: كان شبيب بن البرصاء يقول : وددت أني جمعني وابن الأمة أرطاة بن سهية يوم قتال فأشفي منه غيظي. فبلغ ذلك أرطأة فقال له:

إن تلقني لا ترى غيري بناظرة ... تنس السلاح وتعرف جهة الأسد
ماذا تظنك تغني في أخي رصد ... من أسد خفان جابي العين ذي لبد

جابي العين وجائب العين: شديد النظر

أبي ضراغمة غبر يعودها أكل الرجال متى يبدأ لها يعد
يا أيها المتمني أن يلاقيني إن تنأآتك أو إن تبغني تجد
نقص اللبانة من مر شرائعه صعب المقادة تخشاه فلا تعد
متى تردني لا تصدر لمصدرة فيها نجاة وغن أصدرك لا ترد
لا تحسبني كفقع القاع ينقره جان بإصبعه أو بيضة البلد
أنا ابن عقفان معروف له نسبي إلا بما شاركت أم على ولد
لاقى الملوك فأثأى في دمائهم ثم استقر بلا عقل ولاقود
من عصبة يطعنون الخيل ضاحية حتى تبدد كالمزءودة الشرد
ويمنعون نساء الحي إن علمت ويكشفون قتام الغارة العمد

أنا ابن صرمة إن تسال خيارهم أضرب برجلي في ساداتهم ويدي
وفي بني مالك أم وزاقرة لا يدفع المجد من قيس إلى أحد
ضربت فيهم بأعرافي كما ضربت عروق ناعمة في أبطح ثئد
جدي قضاعة معروف ويعرفني جبا رفيدة أهل السرو والعدد

خبر حبة لوجزة وما قال فيها أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: كان أرطأة بن سهية يتحدث إلى امرأة من غني يقال لها وجزة، وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطأة، ثم اجتمعت غني وبنومره في دار، فمر أرطأة بوجزة وقد هرمت وتغيرت محاسنها وافتقرت، فجلس إليها وتحدث معها وهي تشكو إليه أمرها، فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال:

مررت على حدثي برمان بعدما تقطع أقران الصبا والوسائل
فكنت كظبي مفلت ثم لم يزل به الحين حتى أعلقته الحبائل

أرطاة ينسب بوجزة

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد ذكر أرطأة بن سهية وجزة هذه، ونسب بها في مواضع شعره، فقال في قصيدة:

وداوية نازعتها الليل زائرا لوجزة تهديني النجوم الطوامس
أعوج بأصحابي عن القصد تعتلي بنا عرض كسريها المطي العرامس

فقد تركتني لا أعيج بمشرب فأروى ولا ألهو إلى من أجالس
ومن عجب الأيام أن كل منزل لوجزة من أكناف رمان دارس
وقد جاورت قصر العذيب فما يرى برمان إلا ساخط العيش بائس
طلاب بعيد اختلاف من النوى إذا ما أتى من دون وجزة قادس
لئن أنجح الواشون بيني وبينها وطال التنائي والنفوس النوافس
لقد طالما عشنا جميعاً وودنا جميع إذا ما يبتغي الأنس آنس
كذلك صرف الدهر ليس تبارك حبيباً ويبقى عمره المتقاعس

وقال ابن الأعرابي: كانت بين أرطأة بن سهية وبين رجل من بني أسد يقال له حيان مهاجاة، اعترض بينهما حباشة الأسدي فهجا أرطاة فقال فيه أرطأة:

أبلغ حباشة أني غير تاركه حتى أذله إذا كان ما كانا
الباعث القول يسديه ويلمحه كالمجتدي الثكل إذ حاورت حيانا
إن تدع خندف بغياً أو مكاثرة أدع القبائل من قيس بن عيلانا
قد نحبس الحق حتى ما يجاوزنا والحق يحسبنا في حيث يلقانا
نبني لآخرنا مجداً نشيده إنّا كذاك ورثنا المجد أولادنا

وقال ابن الأعرابي: وفد أرطأة بن سهية إلى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان عام الجماعة، وقد هنأه بالظفر، ومدحه فأطال المقام عنده، وأرجف أعدائه بموته، فلما قدم وقد ملأ يديه بلغه ما كان منهم، فقال فيهم:

إذا ما طلعنا من ثنية لفلف فخبر رجالاً يكرهون إيابي
وخبرهم أني رجعت بغبطة أحدد أظافري ويصرف نابي
وإني ابن حرب لا تزال تهرني كلاب عدوي أو تهر كلابي

أرطاة وزميل يتلاحيان وقال أبو عمرو الشيباني: وقع بين زميل قاتل ابن دارة وبين أرطاة بن سهية لحاء؛ فتوعده زميل، وقال: إني لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة. فقال له أرطاة:

يا زمل إني إن أكن لك سائقا تركض برجليك النجاة وألحق
لا تحسبني كامرئ صادفته بمضيعة فخدشته بالمرفق
إني امرؤ أوفى إذا قارعتكم قصب الرهان وما أشأ أتعرق

فقال له زميل:

يا أرط إن تك فاعلاً ما قلته والمرء يستحيي إذا لم يصدق
فافعل كما فعل ابن دارة سالم ثم امش هونك سادراً لا تتق
وإذا جعلتك بين لحيي شابك الأ نياب فارعد ما بدا لك وابرق

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي قال: قال أرطاة بن سهية للربيع بن قعنب:

لقد رأيتك عرياناً ومؤتزراً فما عرفت أأنثى أنت أم ذكر؟

فقال له الربيع: لكن سهية قد عرفتني. فغلبه وانقطع أرطاة.

ابن سهيل يتزوج أم هشام ويأخذ عليها المواثيق عند وفاته ألا تتزوج بعده ولكنها تزوجت عمر بن عبد العزيز

أخبرني عمي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حثنا قعنب بن المحرز عن الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلة الباهلي قال: تزوج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكانت من أجمل نساء قريش وكان يجد بها وجداً شديداً، فمرض مرضته التي هلك فيها، فجعل يديم النظر إليها وهي عند رأسه، فقالت له إنك لتنظر إلي نظر رجل له حاجة، قال: إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرت بها لهان علي ما أنا فيه. قالت: وما هي؟ قال: أخاف أن تتزوجي بعدي. قالت: فما يرضيك من ذلك؟ قال: أن توثقي لي بالإيمان المغلظة. فحلفت له بكل يمين سكنت إليها نفسه ثم هلك. فلما قضت عدتها خطبها عمر بن عبد العزيز وهو "أمير المدينة" فأرسلت إليه: ما أراك إلا وقد بلغك يميني، فأرسل إليها: لك مكان كل عبد وأمة عبدان وأمتان، ومكان كل علق علقان، ومكان كل شيء ضعفه. فتزوجته، فدخل عليها بطال بالمدينة، وقيل: بل كان رجلاً من مشيخة قريش مغفلاً، فلما رآها مع عمر جالسة قال:

تبدلت بعد الخيزران جريدة وبعد ثياب الخز أحلام نائم

فقال له عمر: جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم! فقالت أم هشام ليس كما قلت، ولكن كما قال أرطاة بن سهية:

وكائن ترى من ذات بث وعولة بكت شجوها بعد الحنين المرجع
فكانت كذات البو لما تعطفت على قطع من شلوه المتمزع
متى لا تجده تنصرف لطياتها من الأرض أو تعمد لإلف فتربع
عن الدهر فاصفح إنه غير معتب وفي غير من قدورات الأرض فاطمع

وهذه الأبيات من قصيدة يرثي بها ابنه عمراً.

أرطأة يقيم عند قبر ابنه حولاً

ويرق قومه بعد ذلك فيقمون عامهم ذلك

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل، قال: حدثنا قعنب بن المحرز عن أبي عبيدة، قال: كان لأرطأة بن سهية ابن يقال له: عمرو، فمات، فجزع عليه أرطأة حتى كاد عقلة يذهب، فأقام على قبره، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولاً. ثم إن الحي أراد الرحيل بعد حول لنجعة بغوها، فغدا على قبره، فجلس عنده حتى إذا حان الرواح ناداه: رح يا ابن سلمى معنا! فقال له قومه: ننشدك الله في نفسك وعقلك ودينك، كيف يروح معك من مات مذ حول؟ فقال: أنظروني الليلة إلى الغد. فأقاموا عليه، فلما أصبح ناداه: اغد يا ابن سلمى معنا، فلم يزل الناس يذكرونه الله ويناشدونه، فانتصى سيفه وعقر راحلته على قبره، وقال: والله لا أتبعكم فامضوا إن شئتم أو أقيموا. فرقوا له ورحموه، فأقاموا عامهم ذلك، وصبروا على مترلهم. وقال أرطأة يومئذ في ابنه عمرو يرثيه:

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن ... وقوفي عليه غير مبكى ومجزع

هل أنت ابن سلمى إن نظرتك رائح ... مع الركب أو غادٍ غداة غدٍ معى

أأنسى ابن سلمى وهو لم يأت دونه ... من الدهر إلا بعض صيف ومربع

وقفت على جثمان عمرو فلم أجد ... سوى جدث عاف ببيداء بلقع

ضربت عمودى بانه سموا معا ... فخرت ولم أتبع قلوصي بدعدع

ولو أنها حادت عن الرمس نلتها ... ببادرة من سيف أشهب موقع

تركتك إن تحيي تكوسي وإن تنؤ ... على الجهد تخذلها توال فتصرع

فدع ذكر من قد حالت الأرض دونه ... وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

أرطأة يناجي قبر ولده حولاً كاملاً وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسين بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، فذكر أن أرطأة كان يجيء إلى قبر ابنه عشيّا فيقول: هل أنت رائح معي يا ابن سلمى؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً، م تمثّل قول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني قال: قال أرطأة بن سهية يوماً للربيع بن قعنب كالعابث به:

لقد رأيتك عرياناً ومؤتزراً ... فما دريت أأنثى أنت أم ذكر

فقال له الربيع:

لكن سهية تدري إذ أتيتكم على عريجاء لما احتلت الأزر

فغلبه الربيع، ولج الهجاء بينهما، فقال الربيع بن قعنب يهجو أرطأة:

وما عاشت بنو عقفان إلا بأحلام كأحلام الجواري

وما عقفان من غطفان إلا تلمُّس مظلم بالليل ساري

إذا نحرت بنو غيظ جزوراً دعوهم بالمراجل والشِّفار

طهاة اللحم حتى ينضجوه وطاهي اللحم في شغل وعار

فقال أرطأة يجيبه ويعيِّره بأن أمه من عبد القيس:

وهذا الفسو قد شاركت فيه فمن شاركت في أير الحمار

وأي الناس أخبث من من هبل فزاري وأخبث ريح دار

مسرف بن عقبة يطرد قومه ومعهم أرطاة

لما استرفدوه بعد التهنئة والمديح بفوزه على أهل الحرة

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي، قال: قدم مسرف بن عقبة المري المدينة، وأوقع بأهل الحرة، فأتاه قومه من بني مرة وفيهم أرطاة فهنئوه بالظفر واسترفدوه فطردهم ونهرهم، وقال أرطأة بن سهية ليمدحه فتجهمه بأقبح قول وطرده. وكان في جيش مسرف رجل من أهل الشام من عذرة، يقال له عمارة، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان، وسمع شعره، وعرف إقبال معاوية عليه، ورفده له، فأومأ إلى أرطاة فأتاه، فقال له: لا يغررك ما بدا لك من الأمير، فإنه عليل ضجر، ولو قد صح واستقامت الأمور لزال عما رأيت من قوله وفعله، وأنا بك عارف، وقد رأيتك عند أمير المؤمنين - يعني معاوية - ولن تعدم مني ما تحب. ووصله وكساه وحمله على ناقة، فقال أرطأة يمدحه ويهجو مسرفاً:

لحا الله فودى مسرف وابن عمه وآثار نعلي مسرف حيث أثرا

مررت على ربعيهما فكأنني مررت بجبارين من سرو حميرا

ويروي: تضيَّفت جبَّارين

على أن ذا العليا عمارة لم أجد على البعد حسن العهد منه تغيَّرا

حباني ببرديه وعنس كأنما بنى فوق متنيها الوليدان قهقرا

أرطأة يسب من تطاولت على أمه

ويضربها فيلومه قومه

وقال أبو عمرو الشيباني: خاصمت امرأة من مرة سهية أم أرطأة بن سهية، وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه، فاستطالت عليها وسبتها، فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها، فجاء قومه، ولاموه، وقالوا له مالك تدخل نفسك في خصومات النساء! فقال لهم:

يعيرني قومي المجاهل والخنا ... عليهم وقالوا أنت غير حليم

هل الجهل فيكم أن أعاقب بعدما ... تجوز سبِّي واستحل حريمي

إذا أنا لم أمنع عجوزي منكم ... فكانت كأخرى من النساء عقيم

وقد علمت أفناء مرة أننا ... إذا ما اجتدانا الشر كل حميم

حماة لأحساب العشيرة كلها ... إذا ذم يوم الروع كل مليم

وتمام الأبيات التي فيها الغناء، المذكورة قبل أخبار أرطأة بن سهيَّة، وذكرت في قوله في قتلى من قومه قُتلوا يوم بنات قين هو:

فلا وأبيك لا تنفك نبكي ... على قتلى هنالك ما بقينا

على قتلى هنالك أوجعتنا ... وأنستنا رجالاً آخرينا

سنبكي بالرماح إذا التقينا ... على إخواننا وعلى بنينا

بطعن ترعد الأحشاء منه ... يرد البيض والأبدان جونا

كأن الخيل إذ آنسن كلبا ... يرين وراءهم ما يبتغينا

صوت

عجبت لمسراها وأنّى تخلصت ... إليّ وباب السجن بالقفل مغلق

ألمت فحيت ثم قامت فودعت ... فلما تولت كادت النفس تزهق

الشعر لجعفر بن علبة الحارثي، والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيفاً ثقيلاً أول بالوسطى لابن سريج. وذكر حماد بن إسحاق أن فيه خفيف الثقيل للهذلي.

أخبار جعفر بن علبة الحارثي ونسبه

هو جعفر بن علبة بن ربيعة، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكلاب بن معاوية بن صلاءة بن المعقل بن كعب

بن الحارث بن كعب، ويكنى أبا عارم، وعارم ابن له قد ذكره في شعره. وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه، وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل: قيل: إنه قتله في شان أمة كانا يزورانها فتغايرا عليها. وقيل: بل في غارة عليهم. وقيل: بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه. وأخباره في هذه الجهات كلها تذكر وتنسب إلى من رواها.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي، قال حدثنا أبو مالك اليماني، قال: شرب جعفر بن علبة الحارثي حتى سكر فأخذه السلطان فحسبه، فأنشأ يقول في حبسه:

لقد زعموا أني سكرت وربما ... يكون الفتى سكران وهو حليم

لعمرك ما بالسكر عار على الفتى ... ولكن عاراً أن يقال لئيم

وإن فتى دامت مواثيق عهده ... على دون ما لاقيته لكريم

قال: ثم حبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك الحبس، وكان يقال له دوران ، فقال جعفر:

إذا باب دوران ترنم في الدجى ... وشد بأغلاق علينا وأقفال

وأظلم ليل قام علج بجلجل ... يدور به حتى الصباح بإعمال

وحراس سوء ما ينامون حوله ... فكيف لمظلوم بحيله محتال

ويصبر فيه ذو الشجاعة والندى ... على الذل للمأمور والعلج والوالي

جعفر بن علبة وعلي بن جعدب

يغيران على بني عقيل

فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفر وقتله في غارة أغارها على بني عقيل، فإنني نسخت خبره في ذلك كتاب عمرو بن الشيباني يأثره عن أبيه، قال: خرج جعفر بن علبة وعلي بن جعدب الحارثي القناني والنضر بن مضارب المعاوي، فأغاروا على بن عقيل، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق، فكانوا كلما افلتوا من عصبة لقيتهم أخرى، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهد فرجعت عنهم بنو عقيل، وقد كانوا قتلوا فيهم، ففي ذلك يقول جعفر:

ألا لا أبالي بعد يوم بسحبل ... إذا لم أعذب أن يجيء حماميا

تركت بأعلى سحبل ومضيقه ... مراق دم لا يبرح الدهر ثاويا

شفيت به غيظي وجرب موطني وكان سناء آخر الدهر باقيا

أرادوا ليثنوني فقلت تجنبوا طريقي فمالي حاجة من ورائيا

فدى لبني عم أجابوا لدعوتي شفوا من القرعاء عمي وخاليا

كأن بني القرعاء يوم لقيتهم فراخ القطا لاقين صقراً يمانيا

تركناهم صرعى كان ضجيجهم ضجيج دباري اليب لاقت مداويا

أقول وقد أجلت من اليوم عركة ليبك العقيليين من كان باكيا

فإن بقرى سحبل لأمارة ونضح دماء منهم ومحابيا

المحابي: آثارهم، حبوا من الضعف للجراح التي بهم

ولم اترك لي ريبة غير أنني وددت معاذاً كان فيمن أتانيا

أراد: وددت أن معاذاً كان أتاني معهم فأقتله .

شفيت غليلي من خشينة بعد ما كسوت الهذيل المشرفي اليمانيا

أحقاً عباد الله أن لست رئياً صحاري نجد والرياح الذواريا

ولا زائراً شم العرانين أنتمى إلى عامر يحللن رملاً معاليا

إذا ما أتيت الحارثيات فانعني لهن وخبرهن أن لا تلاقيا

وقود قلوصي بينهن فإنها ستبرد أكباداً وتبكي بواكياً

أوصيكم إن مت يوماً بعارم ليغني شيئاً أو يكون مكانيا

ويروى:

وعطل قلوحي في الركاب فإنها ستبرد أكباداً أو تبكي بواكيا

وهذا البيت بعينه يروي لمالك بن الريب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه. وقال في ذلك جعفر أيضاً:

وسائلة عنا بغيب وسائل بمصدقنا في الحرب كيف نحاول

عشية قرى سحبل إذ تعطفت علينا السرايا والعدو المباسل

ففرج عنا الله مرحى عدونا وضرب ببيض المشرفية خابل

إذا ما قرى هام الرءوس اعترامها تعاورها منهم أكف وكاهل

إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا بأيماننا بيض جلتها الصياقل

ولما أبو إلا المضي وقد رأوا بأن ليس منى خشية الموت ناكل
حلفت يميناً برةً لم أرد بها مقالة تسميع ولا قول باطل
ليختضمن الهندواني منهم معاقد يخشاها الطبيب المزاول
وقالوا لنا ثنتان لابد منهما صدور رماح أشرعت أو سلاسل
فقلنا لهم تلكم إذاً بعد كرة تغادر صرعى نهضها متخاذل
وقتلى نفوس في الحياة زهيدة إذا اشتجر الخطي والموت نازل
نراجعهم في قالة بدءوا بها كما راجع الخصم البذي المناقل
لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل ولي منه ما ضمت عليه الأنامل

قال: فاستعدت عليهم بنو عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر، فأرسل إلى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم، وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه، فأما النضر فاستقيد منه بجراحة ، وأما علي بن جعدب فأفلت من الحبس، وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة : أنه قتل صاحبهم فقتل به. هذه رواية أبي عمرو.

وذكر ابن الكلبي أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثي وإسماعيل بن أحمر العقيلي اجتمعا عند أمه لشعيب بن صامت الحارثي، وهي في إبل لمولاها في موضع يقال له صمعر من بلاد بلحارث ، فتحدثا عندها فمالت إلى العقيلي، فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامة الحارثي وخنقه العقيلي حتى صرعه، ثم تفرقا. وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم، ثم بلغهم بيت قيل، وهو:

ألم تسال العبد الزيادي ما رأى بصمعر والعبد الزيادي قائم

فغضب إياس من ذلك فلقي هو ابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي، وهو إسماعيل بن أحمر، فشجه شجتين وخنقه، فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم. ثم لقي العقيليون جعفر بن علبة الحارثي فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه. وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر:

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن تغر إذا ما كان أمر تحاذره
فلا صلح حتى يخفق السيف خفقة بكف فتى جرت عليه جرائره

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جعدب، والنضر بن مضارب، وإياس بن يزيد، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمد بحبر- وهو موضع بالقاعة - فضربوهما ضرباً مبرحاً، ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق، فوجدوا العقليين وهم تسعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلى لهم العقيليون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيل جمعا

آخر بسحبل فاقتتلوا منالاً شديداً، فقتل جعفر بن علبة رجلاً من عقيل يقال له خشينة، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومي عامل مكة، فرفع الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكة، ثم أفلت منه رجل فخرج هارباً، فأحضرت عقيل قسامة: حلفوا أن جعفر قتل صاحبهم. فأقاده إبراهيم بن هشام. قال وقال جعفر بن علبة قبل أن يقتل وهو محبوس: عجبت لمسراها وأني تخلصت=إلي وباب السجن بالقفل مغلق

ألمت فحيت ثم قامت فودعت ... فلما تولت كادت النفس تزهق

فلا تحسبي أني تخشعت بعدكم ... لشيء ولا أني من الموت أفرق

وكيف وفي كفي حسام مذلق ... يعض بهامات الرجال ويعلق

ولا أن قلبي يزدهيه وعيدهم ... ولا أنني في بالمشي في القيد أخرق

ولكن عرتني من هواك صبابة ... كما كنت ألقى منك إذ أنا مطلق

فأما الهوى والود مني فطامح ... إليك وجثماني بمكة موثق

وقال جعفر بن علبة لأخيه يحرضه:

وقل لأبي عون إذا ما لقيته ... ومن دونه عرض الفلاة يحول

- في نسخة ابن الأعرابي:

.....إذا ما لقيته ... ودونه من عرض الفلاة محول

بالميم، وبشم الهاء في دونه بالرفع وتخفيفها، وهي لغتهم خاصة-

تعلم وعد الشك أني يشفني ... ثلاثة أحراس معاً وكبول

إذا رمت مشياً أو تبوأت مضجعاً ... يبيت لها فوق الكعاب صليل

ولو بك كانت لا بتعثت مطيتي ... يعود الحفا أخفافها وتجول

إلى العدل حتى يصدر الأمر مصدراً ... وتبرأ منكم قالة وعدول

ونسخت أيضاً خبره من كتاب للنضر بن حديد، فخالف هاتين الروايتين، وقال فيه: كان جعفر بن علبة يزور نساء من عقيل بن كعب، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث بن كعب، فأخذته عقيل، فكشفوا دبر قميصه، وربطوه إلى جمته، وضربوه بالسياط، وكتفوه، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث إليهن على تلك الحال ليغيظوهن، ويفضحوه عندهن، فقال لهم: يا قوم، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مثلة، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً، ولا ألجها. فلم يقبلوا منه. فقال لهم: فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى، ومنوا علي بالكف عني فإني أعده نعمة لكم ويداً لا أكفرها أبداً، أو فاقتلوني وأريحوني، فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه. فلم يفعلوا، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء، ويضربونه، ويغرون به

سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه، ثم خلوا سبيله. فلم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له، فدفع، راحلته حتى أولجها البيوت، ثم مضى. فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه، وكانت عقيل أقفى خلق الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيليون مغترون ليس مع أحد منهم عصا ولا سلاح، فوثب عليهم جعفر بن علبة وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا، فاستعدت عليهم عقيل السري ابن عبدالله الهاشمي عامل المنصور على مكة، فأحضرهم وحبسهم، فأقاد من الجارح، ودافع عن جعفر بن علبة- وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤولة أبي العباس السفاح في بني الحارث، ولأن أخت جعفر كانت تحت السري بن عبدالله، وكانت حظية عنده- إلى أن أقاموا علية قسامة: أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلم إليه، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه، وأفلت علي بن جعدب من السجن فهرب. قال وهو ابن أخي جعفر بن علبة. فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال له: اسكت لا أم لك، إني إذا لمهياف . وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه، فقال له رجل: أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال:

أشد قبال نعلي أن يراني عدوي للحوادث مستكينا

قال: وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نحبة بن كليب أخو المجنون، وهو أحد بني عامر بن عقيل، فقال في ذلك:

شفى النفس ما قال ابن علبة جعفر وقولي له اصبر ليس ينفعك الصبر
هوى رأسه من حيث كان كما هوى عقاب تدلى طالباً جانب الوكر
أبا عارم، فينا عرام وشدة وبسطة أيمان سواعدها شعر
هم ضربوا بالسيف هامة جعفر ولم ينجه بر عريض ولا بحر
وقدناه قود البكر قسراً وعنوة إلى القبر حتى ضم أثوابه القبر

وقال علبة يرثي ابنه جعفراً:

لعمرك إني يوم أسلمت جعفراً وأصحابه للموت لما أقاتل
لمتجنب حب المنايا وإنما يهيج المنايا كل حق وباطل
فراح بهم قوم ولا قوم عندهم مغللة أيديهم في السلاسل
ورب أخ لي غاب لو كان شاهداً رآه التباليون لي غير خاذل

وقال علبة أيضاً لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر:

لعمرك إن الليل يا أم جعفر علي وإن عللتني لطويل

أحاذر أخباراً من القوم قد دنت ورجعة أنقاض لهن دليل

فأجابته فقالت:

أبا جعفر أسلمت للقوم جعفراً فمت كمداً أو عش وأنت ذليل

قال أبو عمرو في روايته: وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن، وبكته وجميع من كان معها من جواريها، وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله:

أحقاً عباد الله أن لست رائياً صحاري نجد والرياح الذواريا

وقدمت في صدر أخباره. وفي هذه القصيدة يقول جعفر:

وددت معاذاً كان فيمن أتانيا

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله، ويخاطب أباه، ويعرض له أنه قتل ظلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه:

أبا جعفر سلب بنجران واحتسب أبا عارم والمسمنات العواليا

وقود قلوصا أتلف السيف ربها بغير دم في القوم إلا تماريا

إذا ذكرته معصر حارثية جرى دمع عينيها على الخد صافيا

فلا تحسبن الدين يا علب منسأ ولا الثائر الحران ينسى التقاضيا

سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة ونغلي وإن كانت دماء غواليا

تمنيت أن تلقى معاذاً سفاهة ستلقى معاذاً والقضيب اليمانيا

ووجدت الأبيات القافية التي فيها الغناء في نسخة النضر بن حديد أتم مما ذكره أبو عمرو الشيباني. وأولها:

ألا هل إلى فتيان لهو ولذة سبيل وتهتاف الحمام المطوق

وشربة ماء من خدوراء بارد جرى تحت أظلال الأراك المسوق

وسيرى مع الفتيان كل عشية أبارى مطاياهم ببصهباء سيلق

إذا كحلت عن نابها مجَّ شدقها لغاما كمح البيضة المترقرق

وأصهب جوني كأن بغامه تبغم مطرود من الوحش مرهق

برى لحم دفيه وأدمى أظله أج تيابي الفيافي سملقا بعد سملق

وذكر بعده الأبيات الماضية. وهذا وهم من النضر، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضة، فأتيت بكل واحدة منهما منفردة و لم أخلطهما لذلك.

علبة ينحر أولاد النوق لتصيح مع النسوة

بكاء على جعفر

أخبرني الحسين بن يحي المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاه فنحر أولادها، وألقاها بين أيديها وقال: ابكين معنا على جعفر! فما زالت النوق ترغو والشاء تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن، فما رئى يوم كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذٍ.

صوت

عللاني إنما الدنيا علل	واسقياني عللا بعد نهل
أصحب الصاحب ما صاحبني	وأكف اللوم عنه والعذل

الشعر للعجير السلولي. والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن حبيش. وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي.

أخبار العجير السلولي ونسبه

هو - فيما ذكر محمد بن سلام - العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضبيط بن جابر بن عبد الله بن سلول. ونسخت نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب قال: هو العجير بن عبيد الله بن كعب عبيدة بن جابر بن عمر بن سلول بن مرة بن صعصعة، أخي عامر بن صعصعة، شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية. وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زبيد الطائي، وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي، قال: حدثنا أبو الغراف قال: كان العجير السلولي دل عبد الملك بن مروان على ماء يقال له مطلوب ، وكان لناس من خثعم، فأنشأ يقول:

لا نوم إلا غرار العين ساهرة	إن لم أروع بغيظ أهل مطلوب
أن تشتموني فقد بدلت أيكتكم	ذرق الدجاج بحفان اليعاقيب
وكنت أخبركم أن سوف يعمرها	بنو أمية وعداً غير مكذوب

قال: فركب رجل من خثعهم يقال أمية إلى عبد الملك حتى دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أراد العجير أن يصل إليك وهو شويعر سآل . وحربه عليه. فكتب إلى عامله بأن يشد يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجير الجبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبسني وابعث من يبصر الأرضين والضياع، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حل وبل، فبعث فاتخذ ذلك الماء، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية.

نافع الكناني يطلبه ليقيم الحد عليه

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: هجا العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم، فأقاموا عليه البينة عند نافع بن علقمة الكناني، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحد وقال لهم: إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحد وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يدعي عليكم تجاوز الحق. فهرب العجير منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد، ثم تعلق بثوبه وقال:

إليك سبقنا السوط والسجن، تحتنا ... حيال يسامين الظلال ولقح

إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا ... تحوم علينا السانحات وتبرح

فإن أك مجلوداً فكن أنت جالدي ... وإن أك مذبوحاً فكن أنت تذبح

فسأله عن المطر وكيف كان أثره، فقال له:

يا نافع يا أكرم البريه ... والله لا أكذبك العشية

إنا لقينا سنة قسيَّه ... ثم مطرنا مطرة روية

فنبت البقل ولا رعية

- يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل- فقال له: آنج بنفسك فإني سأرضي خصومك، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس بن عبد الصمد السعدي قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي: أصدقت فيما قلته لابن عمك؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، إلا أني قلت:

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله

هذا البيت يروى لأخت يزيد بن الطثرية ترثيه به

جميل إذا استقبلته من أمامه ... وإن هو ولى أشعث الرأس جافله

طويل سطي الساعدين عذور على الحي حتى تستقل مراجله
ترى جارزيه يرعدان وناره عليها عداميل الهشيم وصامله
يجران ثنياً خيرها عظم جاره على عينه لم تعد عنها مشاغله
تركنا أبا الأضياف في كل شتوه بمر ومردى كل خصم يجادله
مقيماً سلبناه دريسي مفاضة وأبيض هندياً طوالاً إلا حمائله

فقال هشام: هلك والله الرجل.

ونسخت من كتاب ابن حبيب قال ابن الأعرابي: اصطحب العجير وشاعر من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعي الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام، وقصد العجير رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعي وكساه و لم يعط العامري العجير شيئاً، فقال العجير:

يا ليتني يوم حزمت القلوص له يممتها هاشمياً غير ممذوق
محض النجار من البيت الذي جعلت فيه النبوة يجري غير مسبوق
لا يمسك الخير إلا ريث يسأله ولا يلاطم عند اللحم في السوق

فبلغت أبياته الحسن، فبعث إليه بصلة إلى محلة قومه وقال له: قد أتاك حظك وإن لم تتصد له.

العجير يشرب حتى ينتشي

فيأمر بنحر حمله ويقول شعراً

أخبرني أحمد بن أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحوال قال: حدثني بعض الرواة أن العجير بن عبد الله السلولي مر بقوم يشربون فسقوه فلما انتشى قال: انحروا جملي وأطعمونا منه. فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنونه بشعر قال يومئذٍ، وهو:

عللاني إنما الدنيا علل واسقياني عللاً بعد نهل
وانشلا ما اغبر من قدريكما وأصبحاني أبعد الله الجمل
أصحب الصاحب ما صاحبني وأكف اللوم عنه والعذل
وإذا أتلف شيئاً لم أقل أبداً يا صاح ما كان فعل

قال: فلما صحا سأل عن جمله فقيل له: نحرته البارحة. فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم وهبوا له بعيراً فارتحله وانصرف إلى أهله.

ندمه على ذلك بعد صحوه وارتحاله على بعير وهب له أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حج العجير السلولي فنظر إلى امرأته وكان قد حج بها معه وهي تلحظ فتى من بعد وتكلمه فقال فيها:

أيا رب لا تغفر لعثمة ذنبها ... وإن لم يعاقبها العجير فعاقب

أشارت وعقد الله بيني وبينها ... إلى راكب من دونه ألف راكب

حرام عليك الحج لا تقربنه ... إذا حان حج الملمسات التوائب

العجير يكل زواجه ابنته إلى خالها

ثم يطلقها من المولى بعد قدومه

وقال ابن الأعرابي: غاب العجير غيبة إلى الشآم، وجعل أمر ابنته إلى خالها، وأمره أن يزوجها بكفْ. فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال، فرغبت أمها فيه وأمرت خال الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوجها ففعل. فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير، وبرجال من قومها، وبابن عم لها يقال له قيل، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمها القيل فإنه ساعد أمها على ما أردت، ومنع منها الفرزدق. فلما قدم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال:

ألا هل لبعجان الهلالي زاجر ... وبعجان مأدوم الطعام سمين

أليس أمير المؤمنين ابن عمها ... وبالحنو آساد لها وعرين

وعاذت بحقوى عامر وابن عامر ... ولله قد بتت علي يمين

تنالونها أو يخضب الأرض منكم ... دم خرّ عنه حاجب وجبين

وقال أيضاً في ذلك:

إذا ما أتيت الخاضبات أكفها ... عليهن مقصور الحجال المروق

فلا تدعون القيل إلا لمشرب ... رواء ولكن الشجاع الفرزدق

هو ابن لبيضاء الجبين نجيبة ... تلقت بطهر لم يجيء وهو أحمق

تداعى إليه أكرم الحي نسوة ... أطفن بكسري بيتها حين تطلق

فجاءت بعريان اليدين كأنه ... من الطير باز ينفض الطل أزرق

قول العجير في رفيق

وقال ابن الأعرابي: كان للعجير رفيق يقال له أصبح، وكانا يصيبان الطريق، وفيه يقول العجير:

ومنخرق عن منكبيه قميصه وعن ساعديه، للأخلاء وواصل

إذا طال بالقوم المطافى تنوفة وطول السرى ألفيته غير ناكل

دعوت وقد دب الكرى في عظامه وفي رأسه حتى جرى في المفاصل

كما دب صافي الخمر في مخ شارب يميل بعطفيه، عن اللب ذاهل

فلبى ليثنيني بثنيي لسانه ثقيلين من نوم غلوب الغياطل

فقلت له قم فارتحل ليس ها هنا سوى وقفة الساري مناخ لنازل

فقام اهتزاز الرمح يسرو قميصه ويحسر عن عاري الذراعيين ناحل

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير امرأة يقال لها أم خالد، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً، ثم جعل يدان حتى أثقل بالدين ومد يده إلى مالها، فمنعته منه وعاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تقول وقد غالبتها أم خالد على مالها أغرقت دينا فأقصر

أبي القصر من يأوي إذا الليل جنني إلى ضوء ناري من فقير ومقتر

أيا موقدي ناري ارفعاها لعلها تشب لمقو آخر الليل مقفر

أمن راكب أمسى بظهر تنوفة أواريك أم من جاري المتنظر

ولا قدر دون الجار إلا ذميمة وهذا المقاسي ليلة ذات منكر

تكاد الصبا تبتزه من ثيابه على الرجل إلا من قميص ومئزر

وماذا علينا أن يخالس ضوءها كريم ثناه شاحب المتحسر

- المتحسر: ما انكشف وتجرد من جسمه-

فيخبر عما قليل ولو خلت له القدر لم نعجب ولم نتخبر

صوت

سلي الطارق المعتريا أم مالك إذا ما أتاني بين قدري ومجزري

أأبسط وجهي أنه أول القرى وأبذل معروفي له دون منكرى

فلا قصر حتى يفرح الغيث من أوى إلى جنب رحلي كل أشعث أغبر

أقي العرض بالمال التلاد وما عسى أخوك إذا ما ضيع العرض يشترى

يؤدي إلي النيل قنيان ماجد كريم ومالي سارحاً مال مقتر

- القنيان : ما اقتنى من المال. إنه لبذله القرى كأنه موسر، وإذا سرح ماله علم أنه مقتر -

إذا مت يوماً فاحضري أم خالد تراثك من طرف وسيف وأقدر

قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أولها:

سلي الطارق المعتر يا أم مالك

لعروة بن الورد، وهي للعجير.

العجير يفد على عبد الملك

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمد قال: وفد العجير السلولي- وسلول بنو مرة بن صعصعة- على عبد الملك بن مروان، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغل عرض لعبد الملك، ثم وصل فلما مثل بين يديه أنشد:

ألا تلك أم الهبرزي تبينت عظامي ومنها ناحل وكسير

وقالت تضاءلت الغداة ومن يكن فتى قبل عام الماء فهو كبير

فقلت لها إن العجير تقلبت به أبطن أبلينه وظهور

فمنهن إدلاجي على كل كوكب له من عماني النجوم نظير

وقرعي بكفي باب ملك كأنما به القوم يرجون الأذين نسور

ويوم تبارى ألسن القوم فيهم وللموت أرحاء بهن تدور

لو أن الجبال الصم يسمعن وقعها لعدن وقد بانت بهن فطور

فرحت جواداً والجواد مثابر على جريه، ذو علة ويسير

عطاء عبد الملك له لطول مقامه فقال له: يا عجير ما مدحت إلا نفسك، ولكنا نعطيك لطول مقامك. وأمر له بمائة من الإبل يعطاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا العمري عن العتبي قال: نظر أبي إلى فتى من بني العباس يسحب مطرف خز عليه وهو سكران- وكان فتى متهتكاً- فحرك رأسه ملياً ثم قال: لله در العجير السلولي حيث يقول:

وما لبس الناس من حلة جديد ولا خلقاً يرتدى

كمثل المروءة للابسين فدعني من المطرف المستدى

فليس بغير فضل الكريم خلوقة أثوابه والبلى

وليس يغير طبع اللئيم مطارف خز رقاق السدى
يجود الكريم على كل حال ويكبو اللئيم إذا ما جرى

قوله في ابنه الفرزدق

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال: حدثني أبو القاسم اللهبي عن أبي عبيدة قال: كان العجير السلولي له ابن يقال له الفرزدق، وفيه يقول العجير:

ولقد وضعتك غير مترك من جابر في بيتها الضخم
واخترت أمك من نسائهم وأبوك كل عذور شهم
فلئن كذبت المنح من مائة فلتقبلن بسائغ وخم
إن الندى والفضل غايتنا ونجاتنا وطريق من يحمي

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: قال الحرمازي: وقف العجير السلولي لبعض الأمراء، وقد علق به غريم له من أهله فقال له:

أتيتك إن الباهلي يسوقني بدين ومطلوب الديون رقيق
ثلاثتنا إن يسر الله: فائر بأجر، ومعطى حقه، وعتيق

فأمر بقضاء دينه.

بنت عمه تختار العامري عليه

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير عم وكان يهواها وتهواه، فخطبها إلى أبيها فوعده وقاربه . ثم خطبها رجل من بني عامر موسر، فخيرها أبوها بينه وبين العجير، فختارت العامري ليساره، فقال العجير في ذلك:

ألما على دار لزينب قد أتى لها بلوى ذي المرخ صيف ومربع
وقولا لها قد طالما لم تكلمي وراعاك بالعين الفؤاد المروع
وقولا لها قال العجير وخصني إليك، وإرسال الخليلين ينفع
أأنت التي استودعتك السر فانتحى لي الخون مراح من القوم أفرغ

إذا مت كان الناس نصفين: شامت ومئن بما قد كنت أسدي وأصنع
ومستلحم قد صكه القوم صكة بعيد الموالي نيل ما كان يمنع

رددت له ما أفرط القتل بالضحى وبالأمس حتى اقتاله فهو أصلع

ولست بمولاه ولا بابن عمه ولكن متى ما أملك النفع أنفع

قال ابن الأعرابي: كان العجير يتحدث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جمل فألفها وعلقها. ثم انتجع أهلها نواحي نصيبين، فتتبعتها نفسه، فسار إليهم فيهم مجاوراً ، ثم رأوه منازلاً ملازماً محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا: قد رأينا أمرك فإما أن انقطعت عنها أو ارتحلت عنّا، أو فأذن بحرب . فقال: ما بيني وبينها ما ينكر، وإنما كنت أتحدث إليها كما يتحدث الرجل الكريم إلى المرأة الحرة الكريمة، فأما الريبة فحاش لله منها. ثم عاود محادثتها، فانتهبوا ماله وطردوه. فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذٍ يتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان، فأتاه مستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية ، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام، وأنشده قوله:

عفا يافع من أهله فطلوب وأقفر لو كان الفؤاد يثوب

وقفت بها من بعد ما حل أهلها نصيبين والراقي الدموع طبيب

وقد لاح معروف القتير وقد بدت بك اليوم من ريب الزمان ندوب

وسالمت روحات المطي وأحمدت مناسم منها تشتكي وصلوب

وما القلب أم ما ذكره أم صبية أريكة منها مسكن فهروب

حصان الحميا حرة حال دونها حليل لها شاكي السلاح غضوب

شموس، دنو الفرقدين اقترابها، لغي مقاريف الرجال سبوب

أحقاً عباد الله أن لست ناظراً إلى وجهها إلا عليّ رقيب

عدتني العدا عنها بعيد تساعف وما أرتجي منها إليّ قريب

لقد أحسنت جمل لو أن تبيعها إذا ما أرادت أن تثيب يثيب

تصدين حتى يذهب اليأس بالمنى وحتى تكاد النفس عنك تطيب

- هذا البيت يروي لابن الدمينة، وهو بشعره أشبه، ولا يشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه، لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصد منها، ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابي-

وأنت المنى لو كنت تستأنفيننا بخير ولكن معتفاك جديب

أيؤكل مالي وابن مروان شاهد ولم يقض لي وابن الحسام قريب

فتىً محض أطراف العروق مساور جبال العلا طلق اليدين وهوب

فأمر محمد بن مروان بإحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر، فحبسه حتى رد مال العجير، وأمر العجير بالانصراف إلى حيه وترك النزول على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجير فيها أيضاً:

هاتيك جمل بأرض لا يقربها ... إلا هبل من العيدي معتقد
ودونها معشر خزر عيونهم ... لو تخمد النار من حر لما خمدوا
عدوا علينا ذنوباً في زيارتها ... ليحجبوها وفي أخلاقهم نكد
وحال من دونها شكس خلائقه ... كأنه نمر في جلده الربد
فليس إلا عويل كلما ذكرت ... أو زفرة طالما أنّت بها الكبد
وتيمتني جمل فاستمر بها ... شحط من الدار لا أم ولا صدد
قالوا غداة استقلت: ما لمقلته ... أمن قذى هملت أم عارها رمد
فقلت لا بل غدت سلمى لطيتها ... فليتهم مثل وجدي بكرة وجدوا
إن كان وصلك أبلى الدهر جدته ... وكل شيء جديد هالك نفد
فقد أراني ووجدي إذ تفارقني ... يوماً كوجد عجوز درعها قدد
تبكي على بطل حمّت منيته ... وكان واتر أعداء به ابتردوا
وقد خلا زمن لو تصرمين له ... وصلي لأيقنت أني ميت كمد
أزمان تعجبني جمل واكتمه ... جملاً حياء، وما وجد كما أجد

فقد برئت على أني إذا ذكرت ... ينهل دمعي وتحيا غصة تلد
من عهد سلمى التي هام الفؤاد بها ... أزمان أزمان سلمى طفلة رؤد
قد قلت للكاشح المبدي عداوته ... قد طالما كان منك الغش والحسد
ألا تبين لي لا زلت تبغضني ... حتّام أنت إذا ما ساعفت ضمد

وصية عبد الملك لمؤدب ولده

أن يرويهم مثل قول العجير

وقال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدب ولده: إذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي:

يبين الجار حين يبين عني ... ولم تأنس إلي كلاب جاري

وتظعن جارتي من جنب بيتي ولم تستر بستر من جداري
وتأمن أن أطالع حين آتي عليها وهي واضعة الخمار
كذلك هدي أبائي قديماً توارثه النجار عن النجار
فهديي هديهم وهم افتلوني كما افتلي العتيق من المهار

وقال ابن حبيب أيضاً: نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقوه، فلما سكر قام إلى جمله فعقرة، وأخرج كبده وجب سنامه، فجعل يشوى ويأكل ويطعم ويغني:

عللاني إنما الدنيا علل واسسقياني عللا بعد نهل
وانشلا لي اللحم من قدريكما واصبحاني أبعد الله الجمل

فلما أفاق سأل عن جمله فأخبر ما صنع به، فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم أعطوه جملاً وزودوه، فانصرف حتى لحق بقومه.

أخبرني عمي بهذا الخبر قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال: حدثني أبي عن عمه فقال فيه: مر العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم، وذكر باقي القصة نحواً مما ذكر ابن حبيب، و لم يقل فيها: - فلما أصبح جعل يبكي ويصيح: واغربتاه!- ولكنه قال: فلما أصبح ساق قومه إليه ألف بعير مكان بعيره.

سليمان ويأمر له بثلاثين ألفاً أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا الله بن أبي سعد قال: حدثني الحكم بن موسى بن الحسين السلولي قال: حدثني أبي عن عمه قال: عرض العجير لسليمان بن عبد الله في الطواف، وعلى العجير بردان يساويان مائة وخمسين ديناراً، فانقطع شسع نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان فقال:

ودليت دلوي في دلاء كثيرة إليك فكان الماء ريان معلما

فوقف سليمان ثم قال: الله دره ما أفصحه، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلماً، والله إنه ليخيل إلي أنه العجير، وما رأيته قط إلا عند عبد الملك. فقيل له: هو العجير. فأرسل إليه: أن صر إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه، فردها العجير عليهم ووهبها لهم.

رثاء العجير لابن عمه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني هرون بن موسى الفروي قال: كان ابن عم للعجير السلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء ، فيطعن في لبتها عند بيته، فيبيتون في شواء وقدير ، ثم مات قال العجير يرثيه:

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبا بمر ومردي كل خصم يجادله

وأرعيه سمعي كلما ذكر الأسى وفي الصدر مني لوعة ما تزايله

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله

هكذا ذكر هرون بن موسى في هذا الخبر، والبيت الثالث من هذه البيات للشمردل بن شريك لا يشك فيه، من قصيدة له طويلة. فيه غناء قد ذكرته في أخباره.

صوت

فتاة كأن رضاب العبير بفيها يعل به الزنجبيل

قتلت أباها على حبها فتبخل إن بخلت أو تنيل

الشعر لخزيمة بن نهد، والغناء لطويس. خفيف رمل بالبنصر عن يحيى المكي.

أخبار خزيمة بن نهد ونسبه

هو خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية. وفاطمة التي عناها في شعره هذا: فاطمة بنت يذكر بن عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوجه إياها، فقتله غيلة. وإياها عني بقوله:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

خزيمة يشبب بفاطمة بنت يذكر بن عترة أخبرني بخبره محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا عبيد الله بن سعد الزبيري قال: حدثني عمي قال حدثني أبي - أظنه عن الزهري - قال: كان بدء تفرق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق، وخروج من خرج منهم عن نسبه، انه كان أول من ظعن عنها وأخرج منها قضاعة بن معد. وكان سبب خروجهم أن خزيمة بن نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معد كان مشؤوماً فاسداً، متعرضاً للنساء، فعلق فاطمة بنت يذكر بن عترة- واسم يذكر عامر - فشبب بها وقال فيها:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

وحالت دون ذلك من همومي هموم تخرج الشجن الدفينا

أرى ابنة يذكر ظعنت، فحلت جنوب الحزن يا شحطا مبينا

مقتل يذكر بن عنزة

وإشعاله الشربين قضاعة ونزار

قال: فمكث زماناً، ثم إن خزيمة بن نهد قال ليذكر بن عنزة: احب أن تخرج معي حتى ناتي بقرظ. فخرجا جميعاً، فلما خلا خزيمة بن نهد بيذكر بن عنزة قتلة، فلما رجع - وليس هو معه- سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك. فكان في ذلك شر بين قضاعة ونزار ابني معد، وتكلموا فيه فأكثروا، و لم يصح على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

فتاة كأن رضاب العبير بفيها يعل به الزنجبيل

قتلت أباها على حبها فتبخل إن بخلت أو تنيل

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً، فكانت نزار بن معد وهي يومئذٍ تنتسب فتقول كنده بن جنادة بن معد. وحاء وهم يومئذٍ ينتمون فيقولون حاء بن عمرو بن أد بن أدد. وكانت قضاعة تنتسب إلى معد، وعك يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن أد والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد. وكانوا يتبدون من تهامة إلى الشأم، وكانت منازلهم بالصفاح، وكان مر وعسفان لربيعة بن نزار، وكانت قضاعة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة. وإياه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله:

إذا سلكت غمر ذي كندة مع الصبح قصد لها الفرقد

هنالك إما تعزى الهوى وإما على إثرهم تكمد

وكانت منازل حاء بن عمرو بن أدد، والأشعر بن أدد، وعك بن عدنان بن أدد، فيما بين جدة إلى البحر.

القارظان

قال: فيذكر بن عنزة أحد القارظين اللذين قال فيهما الهذلي:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل

والآخر من عنزة، يقال أبو رهم، خرج يجمع القرط فلم يرجع و لم يعرف له خبر.

انهزام قضاعة وقتل خزيمة بن نهد قال: فلما ظهرت نزار على أن خزيمة بن نهد قتل يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشد قتال، فهزمت قضاعة وقتل خزيمة بن نهد وخرجت قضاعة متفرقين، فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وفرقة من بني رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الأشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر، وبها يومئذٍ قوم من النبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأجلتهم، فقال في ذلك مالك بن زهير:

نزعنا من تهامة أي حي فلم تحفل بذاك بنو نزار

ولم أك من أنيسكم ولكن شرينا دار آنسة بدار

فلما نزلوا هجر قالوا للزقاء بنت زهير وكانت كاهنة ما تقولين يا زرقاء؟ قالت: " سعف وإهان، وتمر وألبان، خير من الهوان". ثم أنشأت تقول:

ودع تهامة لا وداع مخالق بذمامه لكن قلىً وملام

لا تنكري هجراً مقام غريبة لن تعدمي من ظاعنين تهام

فقالوا لها: فما ترين يا زرقاء؟ فقالت: مقام وتنوخ، ما ولد مولود وأنقفت فروخ ، إلى أن يجيء غراب أبقع، أصمع أنزع ، عليه خلخالاً ذهب، فطار فألهب . ونعق فنعب، يقع على النخلة السحوق ، بين الدور والطريق، فسيروا على وتيرة، ثم الحيرة!. فسميت تلك القبائل تنوخ لقول الزرقاء: "مقام وتنوخ". ولحق بهم قوم من الزرد فصاروا إلى الآن في تنوخ، ولحق سائر قضاعة موت ذريع، وخرجت فرقة من بني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم: بنو تزيد، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة، فنسج نساؤهم الصوف وعملوا منه الزرابي ، فهي التي يقال لها العبقرية، وعملوا البرود التي يقال لها التزيدية . وأغارت عليهم الترك، فأصابتهم، وسبت منهم. فذلك قول عمرو بن مالك:

ألا لله ليل لم ننمه على ذات الخضاب مجنبينا

وليلتنا بآمد لم ننمها كليلتنا بميا فارقينا

بهراء تلحق بالبرك وتهزمهم

وأقبل الحارث بن قراد البهراني ليعيث في بني حلوان، فعرض له أباغ بن سليح صاحب العين فاقتتلا، فقتل أباغ، ومضت بهراء حتى لحقوا بالترك، فهزموهم واستنفذوا ما في أيديهم من بني تزيد. فقال الحارث بن قراد في ذلك:

كأن الدهر جمع في ليال ثلاث بتهن بشهرزور

صففنا للأعاجم من معد صفوفاً بالجزيرة كالسعير

سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين

وسارت سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة يقودها الحدرجان بن سلمة حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أذينة بن السميدع من عاملة. وسارت أسلم بن الحاف وهي عذرة ونهد وحوتكة وجهينة والحارث بن سعد، حتى نزلوا من الحجر إلى وادي القرى، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين. ثم أقبل غراب في رجليه حلقتا ذهب وهم

في مجلسهم، فسقط على نخلة في الطريق، فينعق نعقات ثم طار، فذكروا قول الزرقاء، فارتحلوا حتى نزلوا الحيرة. فهم أول من اختطها : منهم مالك بن زهير. واجتمع إليهم لما ابتنوا بها المنازل ناس كثير من سقاط ، فأقاموا بها زماناً، ثم أغار عليهم سابور الأكبر، فقاتلوه فكان شعارهم يومئذٍ: يا آل عباد الله! فسموا العباد، وهزمهم سابور، فصار معظمهم ومن فيه نهوض إلى الحضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية بن معاوية التنوخي، فمضى حتى نزل الحضر وهو بناء بناه السطرون الجرمقاني، فأقاموا به، وأغارت حمير على بقية قضاعة، فخيروهم بين أن يقيموا على خراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم، فخرجوا عنهم، فخرجوا - وهم كلب، وجرم والعلاف، وهم بنو زبان بن تغلب بن حلوان، وهو أول من عمل الرحال العلافية، - وعلاف لقب زبان- فلحقوا بالشام، فأغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانهزموا فلحقوا بالسماوة، فهي منازلهم إلى اليوم.

صوت

إني امرؤ كفني ربي ونزهني عن الأمور التي في غبها وخم

وإنما أنا إنسان أعيش كما عاش الرجال وعاشت قبلي الأمم

الشعر للمغيرة بن حبناء، من قصيدة مدح بها المهلب بن أبي صفرة، والغناء لأبي العبيس بن حمدون، ثقيل أول بالبنصر، وهو من مشهور أغانيه وجيدها.

نسب المغيرة بن حبناء وأخباره

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وحبناء لقب غلب على أبيه واسمه جبير بن عمرو، ولقب بذلك لحبن كان أصابه. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وأبوه حبناء بن عمرو شاعر، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة، سأذكر منها طرفاً. وكان قد هاجى زياداً الأعجم فاكثر كل واحد منهما على صاحبه وأفحش، و لم يغلب أحد منهما صاحبه، كانا متكافئين في مهاجاتهما ينتصف كل واحد منهما من صاحبه.

مديحه لطلحة الطلحات

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني الحسن بن جهور عن الحرمازي قال: قدم المغيرة بن حبناء عل طلحة الطلحات الخزاعي ثم المليحي، أحد بني مليح، فأنشده قوله فيه:

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغي رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا
وأبذل نفسي في مواطن غيرها أحب، وأعصي في هواك الأدانيا

حفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا لتجزيني مالا إخالك جازيا
رأيتك ما تنفك منك رغيبة تقصر دوني أو تحل ورائيا
أراني إذا استمطرت منك رعيبة لتمطرني عادت عجاجاً وسافياً
وأدليت دلوي في دلاء كثيرة فأبن ملاء غير دلوي كماهيا
ولست بلاق ذا حفاظٍ ونجدة من القوم حراً بالخسيسة راضياً
فإن تدن مني تدن منك مودتي وإن تنأ عني تلفني عنك نائيا

قال: فلما أنشده هذا الشعر، قال له: أما كنا أعطيناك شيئاً؟ قال: لا. فأمر طلحة خازنه فاخرج درجاً فيه حجارة ياقوت، فقال له: اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين آلف درهم. فقال: ما كنت لأختار حجارة على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمال. فلما قبضه سأله حجراً منها، فوهب له فباعه بعشرين ألف درهم. ثم مدحه، فقال:

أرى الناس قد ملوا الفعال ولا أرى بني خلف إلا رواء الموارد
إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه وكائن ترى من نافع غير عائد
إذا ما انجلت عنهم غمامة غمرة من الموت أجلت عن كرام مذاود
تسود غطاريف الملوك ملوكهم وما جدهم يعلو على كل ماجد

مديحة للمهلب بن أبي صفرة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا محمد المهلبي عن رواة باهلة، أن المهلب بن أبي صفرة لما هزم قطري بن الفجاءة بابور جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام بن حبناء في أخرياتهم فأنشده:

حال الشجا دون طعم العيش والسهر واعتاد عينك من إدمانها الدرر
واستحقبتك أمور كنت تكرهها لو كان ينفع منها النأي والحذر
وفي الموارد للأقوام تهلكه إذا الموارد لم يعلم لها صدر

ليس العزيز بمن تغشى محارمه ولا الكريم بمن يجفى ويحتقر

حتى انتهى إلى قوله:

أمسى العباد بشر لا عياث لهم إلا المهلب بعد الله والمطر
كلاهما طيب ترجى نوافله مبارك سيبه يرجى وينتظر
لا يجمدان عليهم عند جهدهم كلاهما نافع فيهم إذا افتقروا
هذا يذود ويحمي عن ذمارهم وذا يعيش به الأنعام والشجر
واستسلم الناس إذ حل العدو بهم فلا ربيعتهم ترجى ولا مضر
وأنت رأس لأهل الدين منتخب والرأس فيه يكون السمع والبصر
إن المهلب في الأيام فضله على منازل أقوام إذا ذكروا
حزم وجود و أيام له سلفت فيها يعد جسيم المر والخطر
ماضٍ على الهول ما ينفك مرتحلا أسباب معضلة يعيا بها البشر
سهل الخلائق يعفو عند قدرته منه الحياء ومن أخلاقه الخفر
شهاب حرب إذا حلت بساحته يخزي به الله أقواماً إذا غدروا
تزيده الحرب والهوال إن حضرت حزماً وعزماً ويجلو وجهه السفر
ما إن يزال على أرجاء مظلمة لولا يكفكفها عن مصرهم دمروا
سهل إليهم حليم عن مجاهلهم كأنما بينهم عثمان أو عمر
كهف يلوذون من ذل الحياة به إذا تكنفهم من هولها ضرر
أمن لخائفهم فيض لسائلهم ينتاب نائله البادون والحضر

فلما أتى على آخرها قال المهلب: هذا والله الشعر، لا ما نعلل به، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرس جواد، وزاده في عطائه خمسمائة درهم.

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغناء المذكور بذكره أخبار المغيرة، من قصيدة له مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضاً. وأولها:

أمن رسوم ديار هاجك القدم أقوت وأقفر منها الطف والعلم
وما يهيجك من أطلال منزلة عفى معالمها الأرواح والديم
بئس الخليفة من جار تضن به إذا اطربت أثافي القدر والحمم

دار التي كاد قلبي أن يحن بها ... إذا ألم به من ذكرها لمم
إذا تذكرها قلبي تضيفه ... هم تضيق به الأحشاء والكظم
والبين حين يروع القلب طائفة ... يبدي ويظهر منهم بعض ما كتموا
إني امرؤ كفني ربيي وأكرمني ... عن الأمور التي غبها وخم
وإنما أنا إنسان أعيش كما ... عاش الرجال وعاشت قبلي الأمم

سبب قوله قصيدة الصوت وهي قصيدة طويلة، وكان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيه في جيش لقتال الأزارقة، وقد شدت منهم طائفة تغير على نواحي الأهواز، وهو مقيم يومئذ بسابور، وكان فيهم المغيرة بن حبناء، فلما طال مقامه واستقر الجيش لحق بأهله، فألم بهم وأقام عندهم شهراً، ثم عاود وقد قفل الجبش إلى المهلب فقيل له: إن الكتاب خطوا على اسمه، وكتب إلى المهلب أنه عصى وفارق مكتبه بغير إذن، فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره، وأمر بإطلاق عطائه وإزالة العتب عنه، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن:

ما عاقني عن قفول الجند إذ قفلوا ... عي بما صنعوا حولي ولا صمم
ولو أردت قفولاً ما تجهمني ... إذن الأمير ولا الكتاب إذ رقموا
إني ليعرفني راعي سريرهم ... والمحدجون إذا ما ابتلت الحزم
والطالبون إلى السلطان حاجتهم ... إذا جفا عنهم السلطان أو كزموا
فسوف تبلغك الأنباء إن سلمت ... لك الشواحج والأنفاس والأدم
إن المهلب إن أشتق لرؤيته ... أو امتدحه فإن الناس قد علموا
إن الكريم من الأقوام قد علموا ... أبو سعيد وإن عدت النعم
والقائل الفاعل الميمون طائره ... أبو سعيد وإن أعداؤه رغموا
كم قد شهدت كراماً من مواطنه ... ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا
أيام أيام إذ عض الزمان بهم ... وإذ تمنى رجال أنهم هزموا
وإذ يقولون: ليت الله يهلكهم ... والله يعلم لو زلت بهم قدم
أيام سابور إذ ضاعت رباعتهم ... لولاه ما أوطنوا داراً ولا انتقموا
إذ ليس من الدنيا نصول به ... إلا المغافر والأبدان واللجم

وعاترات من الخطي محصدة نفضي بهن إليهم ثم ندعم

سبب التهاجي بينه و بين زياد الأعجم

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني في خبر هذه القصيدة، ونسخت من كتابه. وذكر أيضاً في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء، أن زياداً العجم والمغيرة بن حبناء وكعباً الأشقري، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه، فأمر لهم بجوائز وفضل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً ينشد شعره، لأن زياداً كان ألكن لا يفصح، فكان راويته ينشد عنه ما يقوله، فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهماً في صلاته، فسأل المهلب يومئذٍ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنفسوا عليه ما فضل به، فانتدب له المغيرة من بينهم، فقال للمهلب: أصلح الله الأمير، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فوالله ما يغني غناءنا في الحرب، ولا هو بأفضلنا شعباً، ولا أصدقنا وداً، ولا أشرفنا أباً، و أفصحنا لساناً! فقال له المهلب: أما إني والله ما جهلت شيئاً مما قلت، وإن الأمر فيكم عندي لمتساو، ولكن زياداً يكرم لسنه وشعره وموضعه من قومه، وكلكم كذلك عندي، وما فضلته بما ينفس به، وأنا أعوضكم بعد وهذا بما يزيد على ما فضلته به. فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه، فقال يهجوه:

أرى كل قوم ينسل اللؤم عندهم ولؤم بني حبناء ليس بناسل
يشب مع المولود مثل شبابه ويلقاه مولوداً بأبدي القوابل
ويرضعه من ثدي أم لئيمة ويخلق من ماء امرىء غير طائل
تعالوا فعدوا في الزمان الذي مضى وكل أناس مجدهم بالأوائل

لكم بفعال يعرف الناس فضله إذا ذكر الأملاء عند الفضائل
فغازيكم في الجيش الأم من غزا وقافلكم في الناس ألأم قافل
وما أنتم من مالك غير أنكم كمغرورة بالبو في ظل باطل
بنو مالك زهر الوجوه وأنتم تبين ضاحي لؤمكم في الجحافل

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثني المدائني قال: عير زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلب بالبرص، فقال له المغيرة إن عتاق الخيل لا تشينها الأوضاح ، ولا تعير بالغرر والحجول، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجل عيره بالبرص: "إنما أنا سيف الله جلاه واستله على أعدائه" فهل

تغني يا ابن العجماء غنائي، أو تقوم مقامي؟ ثم نشب الهجاء بينهما.

نسخت من نسخة ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع المفضل بن المهلب، فقال له المفضل:

فلم أر مثل الحنظلي ولونه ... أكيل كرام أو جليس أمير

فرفع المغيرة وقام مغضباً، ثم قال له:

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني ... لام العتيك و لا أخوالي العوق

- العوق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل -

لا تحسبن بياضاً في منقصة ... إن اللهاميم في ألوانها بلق

وبلغ المهلب ما جرى، فتناول المفضل بلسانه وشتمه، وقال: أردت أن يتمضغ هذا أعراضنا، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تؤذه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضل، واعتذر إليه عنه، فقبل رفده وعذره، وانقطع بعد ذلك عن مواكلة أحد منهم. رجع الخبر إلى سياقته مع زياد والمغيرة فقال المغيرة يجيب زياداً:

مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء

أزياد إنك والذي أنا عبده ... ما دون آدم من أب لك يعلم

فالحق بأرضك يا زياد ولا ترم ... مالا تطيق وأنت علج أعجم

أظننت لؤمك يا زياد يسده ... قوس سترت بها قفاك وأسهم

علج تعصب ثم راق بقوسه ... والعلج تعرفه إذا يتعمم

ألق العصابة يا زياد فإنما ... أخزاك ربي إذ غدوت ترنم

واعلم بأنك لست مني ناجياً ... إلا وأنت ربي ببظر أمك ملجم

تهجو الكرام وأنت ألام من مشى ... حسباً وأنت العلج حين تكلم

ولقد سألت بني نزار كلهم ... والعالمين من الكهول فأقسموا

بالله مالك في معد كلها ... حسب وإنك يا زياد موذم

فقال زياد يجيبه:

ألم تر أنني وترت قوسي ... لأبقع من كلاب بني تميم

عوى فرميته بسهام موت ... كذلك يرد ذو الحمق اللئيم

وكنت إذا عمزت قناة قوم ... كسرت كعوبها أو تستقيم

هم الحشو القليل لكل حي وهم تبع كزائدة الظليم

فلست بساقي هرماً ولما يمر على نواجذك القدوم

فحاول كيف تنجو من وقاعي فإنك بعد ثالثة رميم

سراتكم الكلاب البقع فيكم للؤمكم وليس لكم كريم

فقد قدمت عبودتكم ودمتم على الفحشاء والطبع اللئيم

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا المدائني قال: قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء:

عجبت لأبيض الخصيين عبد كأن عجانه الشعري العبور

فقيل له: يا أبا أمامة لقد شرفته إذ قلت فيه:

كأن عجانه الشعري العبور

ورفعت منه. فقال: سأزيده رفعة وشرفاً، ثم قال:

لا يبرح الدهر منهم خارىء أبداً إلا حسبت على باب استه القمرا

قال، وتقاولا في مجلس المهلب يوماً، فقال المغيرة لزياد:

أقول له وأنكر بعض شأني ألم تعرف رقاب بني تميم

فقال له زياد:

بلى فعرفتهن مقصرات جباه مذلة وسبال لوم

المغيرة يهجو زياداً بتحريض من ربيعة

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت ربيعة تقول لزياد الأعجم: يا زياد، أنت لساننا فاذبب عن أعراضنا بشعرك، فإن سيوفنا معك. فقال المغيرة بن حبناء فيه، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له:

يقولون ذبب يا زياد ولم يكن ليوقظ في الحرب الملمة نائماً

ولو أنهم جاءوا به ذا حفيظة فيمنعهم أو ماجداً أو مراعما

ولكنهم جاءوا بأقلف قد مضت له حجج سبعون يصبح رازما

لئيماً ذميماً أعجمياً لسانه إذا نال دنا لم يبال المكارما

وما خلت عبد القيس إلا نفاية إذا ذكر الناس العلا والعظائما

إذا كنت للعبدي جاراً فلا تزل على حذر منه إذا كان طاعما

أناساً يعدون الفساء لجارهم إذا شبعوا عند الجباة الدراهما
من الفسو يقضون الحقوق عليهم ويعطون مولاهم إذا كان غارما
لهم زجل فيه إذا ما تجاوبوا سمعت زفيراً فيهم وهماهيما
لعمرك ما نجى ابن زروان إذ عوى ربيعة من يوم ذلك سالما
أظن الخبيث ابن الخبيثين أنني أسلم عرضي أو أهاب المقاوما
لعمرك لا تهدي ربيعة للحجا إذا جعلوا يستنصرون الأعاجما

عبد القيس تعتذر إلى المغيرة

قال: فجاءت عبد القيس إلى المغيرة، فقالوا: يا هذا، مالنا ولك، تعمنا بالهجاء لأن نبحك منا كلب، فقال وقلت، قد تبرأنا إليك منه، فإن هجاك فاهجه، وخل عنا ودعنا، وأنت وصاحبك أعلم، فليس منا له عليك ناصر. فقال:

لعمرك إني لابن زروان إذ عوى لمحتقر في دعوة الود زاهد
ومالك أصل يا زياد تعده ومالك في الأرض العريضة والد
ألم تر عبد القيس منك تبرأت فلاقيت ما لم يلق في الناس واحد
وما طاش سهمي عنك يوم تبرأت لكيز بن أفصى منك والجند حاشد
ولا غاب قرن الشمس حتى تحدثت بنفيك سكان القرى والمساجد

- رفع" المساجد"، لأنه جعل الفعل لها، كأنه قال: وأهل المساجد، كما قال الله عز وجل: "واسأل القرية". وتحدثت المساجد، وإنما يريد من يصلي فيها

فأصبحت علجاً من يزرك ومن يزر بناتك يعلم أنهن ولائد
وأصبحن قلفاً يغتزلن بأجرة حواليك لم تجرح بهن الحدائد
نفرن من الموسى وأقررن بالتي يقر عليها المقرفات الكواسد
بإصطخر لم يلبسن من طول فاقة جديداً ولا تلقى لهن الوسائد
وما أنت بالمنسوب في آل عامر ولا ولدتك المحصنات المواجد
ولا ربتك الحنظلية إذ غذت بينها ولا جيبت عليك القلائد
ولكن غذاك المشركون وزاحمت قفاك وخديك البظور العوارد

ولم أر مثلي يا زياد بعرضه وعرضك يستبان والسيف شاهد
ولو أنني غشيتك السيف لم يقل إذ مت إلا مات علج معاهد

المغيرة وجوائز المهلب

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً، قال: رجع المغيرة بن حبناء إلى أهله وقد ملأ كفيه بجوائز المهلب وصلاته والفوائد منه، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغر منه، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر ينكر مثله، ولا يزال يتعتب عليه في الشيء بعد الشيء مما ينكره عليه، فقال فيه صخر بن حبناء:

صخر والمغيرة يتلاحيان

لما تعتب المغيرة عليه

رأيتك لما نلت مالاً وعضنا زمان نرى في حد أنيابه شغبا
تجنى علي الدهر أني مذنب فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه:

لحا الله أنآنا عن الضيف بالقرى وأقصرنا عن عرض والده ذبا
وأجدرنا أن يدخل البيت باسته إذا القف دلي من مخارمه ركبا
أأنبأك الأفاك عني أنني أحرك عرضي إن لعبت به لعبا

أخت صخر تشكوه إلى المغيرة

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو، قال: جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخراً، وتذكر أنه أسرع في مالها وأتلفه، وإنها منعته شيئاً يسيراً بقي لها، فمد يده إليها وضربها، فقال له المغيرة معنفاً:

ألا من مبلغ صخر بن ليلى فإني قد أتاني من نثاكا
رسالة ناصح لك مستجيب إذا لم ترع حرمته رعاكا
وصول لو يراك وأنت رهن تباع، بماله يوماً فداكا
يرى خيراً إذا ما نلت خيرا ويشجي في الأمور بما شجاكا
فإنك لا ترى أسماء أختا ولا ترينني أبداً أخاكا
فإن تعنف بها أو لا تصلها فإن لأمها ولداً سواكا
يبر ويستجيب إذا دعته وإن عاصيته فيها عصاكا

وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً ... على بعض الرجال وفوق ذاكا

جزاني الله منك وقد جزاني ... مني في معاتبنا جزاكا

وأعقب أصدق الخصمين قولاً ... وولى اللؤم أولانا بذاكا

فلا والله لو لم تعص أمري ... لكنت بمعزل عما هناكا

قال: فأجابه أخوه صخر بن حبناء فقال:

أتاني عن مغيرة ذرو قول ... تعمده فقلت له كذاكا

يعم به بني ليلى جميعاً ... فول هجاءهم رجلاً سواكا

فإن تك قد قطعت الوصل مني ... فهذا حين أخلفني مناكا

تمنيني إذا ما غبت عني ... وتخلفني مناي إذا أراكا

وتوليني ملامة أهل بيتي ... ولا تعطي الأقارب غير ذاكا

فإن تك أختنا عتبت علينا ... فلا تصرم لظنتها أخاكا

فإن لها إذا عتبت علينا ... رضاها صابرين لها بذاكا

وإن تك قد عتبت علي جهلاً ... فلا والله لا أبغي رضاكا

فقد أعلنت قولك إذا أتاني ... فاعلن من مقالي ما أتاكا

سيغني عنك صخراً رب صخر ... كما أغناك عن صخر غناكا

ويغنيني الذي أغناك عني ... ويكفيني الإله كما كفاكا

ألم ترني أجود لكم بمالي ... وأرمي بالنواقر من رماكا

وإني لا أقود إليك حرباً ... ولا أعصيك إن رجل عصاكا

ولكني وراءك شمري ... أحامي قد علمت على حماكا

وأدفع ألسن الأعداء عنكم ... ويعنيني العدو إذا عناكا

وقد كانت قريبة ذات حق ... عليك فلم تطالعها بذاكا

رأيت الخير يقصر منك دوني ... وتبلغني القوارص من أذاكا

حبناء بن عمرو ينتقل إلى نجران

وامرأته تلومه لما ضرب ابنه ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً قال: كان حبناء بن عمرو وقد غضب على قومه في بعض الأمر، فانتقل إلى نجران، وحمل معه أهله وولده، فنظرت امرأته سلمى إلى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة - وهو يومئذ غلام - فقالت لحبناء: قد كنت غنياً عن هذا الذل، وكان مقامك بالعراق في قومك أو في حي قريب من قومك أعز لك! فقال حبناء في ذلك:

تقول سليمى الحنظلية لابنها غلام بنجران الغداة غريب
رأت غلمة ثاروا إليه بأرضهم كما هر كلب الدار بين كليب
فقالت لقد أجرى أبوك لما ترى وأنت عزيز بالعراق مهيب

وقال أيضاً:

لعمرك ما تدري أشيء تريده يليك أم الشيء الذي لا تحاوله
متى ما يشأ مستقبس الشر يلقه سريعاً وتجمعه إليه أنامله

زياد الأعجم يهجو أسرة المغيرة

أخبرني عيسى بن الحسن الوراق، قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية، قال: حدثني أبو الشبل النضري، قال: كان المغيرة بن حبناء أبرص، وأخوه صخر أعور، وأخوه الآخر مجذوماً، وكان بأبيهم حبن، فلقب حبناء - واسمه جبير بن عمرو - فقال زياد الأعجم يهجوهم:

إن حبناء كان يدعي جبيراً فدعوه من لؤمه حبناء
ولد العور منه والبرص والجذ مى، ذو الداء ينتج الأدواء

زياد يمسك عن الهجاء

فيقال: إن هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به، لأن المغيرة قال - وقد بلغه هذا الشعر -: ما ذنبنا فيما ذكره، هذه أدواء ابتلانا الله عز وجل بها، وإني لأرجو أن يجمع الله هذه الأدواء كلها! فبلغ ذلك زياداً من قوله، وإنه لم يهجه بعقب هذه الأبيات، ولا أجابه بشيء، فأمسك عنه، وتكافأ.

إجادة المغيرة في تفضيل الأخ على أخيه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهروية عن أبيه عن الأصمعي، قال: لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخيه وهما لأب وأم، مثل قول المغيرة بن حبناء لأخيه صخر:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن تفاضلت الطبائع والظروف

وأمك حين تنسب أم صدق ولكن ابنها طبع سخيف

قال: وكان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية - وكان ضعيفاً - يتمثل بهذين البيتين.

قول الحجاج في يزيد بن المهلب

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن جدان، قال: حدثني أحمد بن محمد بن مخلد المهلبي، قال: نظر الحجاج إلى يزيد بن المهلب يخطر في مشيته، فقال: لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول:

جميل المحيا بختري إذا مشى وفي الدرع ضخم المنكبين شناق

فالتفت إليه يزيد، فقال إنه يقول فيها:

شديد القوى من أهل بيت إذا وهى من الدين فتق حملوا فأطاقوا

مراجيح في اللأواء إن نزلت بهم ميامين قد قادوا الجيوش وساقوا

مصرع ابن حبناء وكتابته اسمه على صدره

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني من حضر ابن حبناء لما قتل - وهو يجود بنفسه - فأخذ بيده من دمه - وكتب بيده على صدره:" قال المغيرة بن حبناء". ثم مات.

صوت

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

كيف ترجون سقاطي بعد ما جلل الرأس بياض وصلع

رب من أنضجت غيظاً صدره قد تمنى لي موتاً لم يطع

ويراني كالشجا في حلقه عسراً مخرجه ما ينتزع

ويحييني إذا لاقيته وإذا أمكن من لحمي رتع

وأبيت الليل ما أهجعه وبعيني إذا النجم طلع

الحبل ها هنا: الوصل، والحبل أيضاً: السبب يتعلق به الرجل من صاحبه، يقال: علقت من فلان بحبل، والحبل: العهد، والميثاق، والعقد يكون بين القوم، وهذه المعاني كلها تتعاقب ويقوم بعضها مقام بعض. والشجا: كل ما اغتص به من لقمة أو عظم أو غيرهما.

الشعر لسويد بن أبي كاهل اليشكري، والغناء لعلويه، ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو بن بانة في الأول والثاني من الأبيات، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ما خوري بالوسطى، عن علي بن يحيى، والهشامي. ولمالك فيها ثقيل بالبنصر، عن الهشامي أيضاً، ولابن سريج فيها خفيف ثقيل، عن علي بن يحيى.

أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه

سويد بن كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر. وذكر خالد بن كلثوم أن اسم أبي كاهل شبيب، ويكنى سويد أبا سعد.

أنشدني وكيع عن حماد، عن أبيه، لسويد بن كاهل شاهداً بذلك:

أنا أبو سعد إذا الليل دجا دخلت في سربالة ثم النجا

طبقة سويد

وجعله محمد بن سلام في الطبقة السادسة، وقرنه بعنترة العبسي وطبقته.

وسويد شاعر متقدم من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيب. وكان أبوه أبو كاهل شاعراً، وهو الذي يقول:

كأن رحلي على صعقاء حادرة طياً قد ابتل من طل خوافيها

قول الأصمعي في عينية سويد

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق البغوي، قال: حدثنا أبو نصر صاحب الأصمعي أنه قرأ شعر سويد بن أبي كاهل على الأصمعي، فلما قرأ قصيدته:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

فضلها الأصمعي، وقال: العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكمها. ثم قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عمر أنها كانت في الجاهلية تسمى: " اليتيمة " .

بين سويد وزياد الأعجم

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن الهيثم بن عدي، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال: قال زياد الأعجم يهجو بني يشكر:

إذا يشكري من ثوبك ثوبه فلا تذكرون الله حتى تطهرا

فلو أن من لؤم تموت قبيلة إذا لأمات اللؤم لا شك يشكرا

قال: فأتت بنو يشكر سويدي بن أبي كاهل ليهجو زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد:

وأنبئتهم يستصرخون ابن كاهل وللؤم فيهم كاهل وسنام

فإن يأتنا يرجع سويد ووجهه عليه الخزايا غبرة وقتام

دعي إلى ذبيان طوراً، وتارة إلى يشكر ما في الجميع كرام

فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لي! وكان سويد مغلباً . وأما قوله:

دعي إلى ذبيان طوراً وتارة إلى يشكر.....

خبر أم سويد وسبب تسميته

فإن أم سويد بن أبي كاهل كانت امرأة من بني غبر، وكانت قبل أبي كاهل عند رجل من بني ذبيان بن قيس بن عيلان، فمات عنها، فتزوجها أبو كاهل، وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط أبو كاهل ابنها لما ولدته ، وسماه سويداً، واستلحقه ، فكان إذا غضب على بني يشكر ادعى إلى بني ذبيان، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم. وذكر علان الشعوبي، أنه ولد في بني ذبيان، وتزوجت أمه أبا كاهل - وهو غلام يفعة - فاستلحقه أبو كاهل وادعاه، فلحق به.

انتماء سويد إلى قيس

ولسويد بن أبي كاهل قصيدة ينتمي فيها إلى قيس، ويفتخر بذلك، وهي التي أولها:

أبى قلبه إلا عميرة إن دنت وإن حضرت دار العدا فهو حاضر

شموس حصان السرريا كأنها مربية مما تضمن حائر

ويقول فيها أيضاً:

أنا الغطفاني زين ذبيان فابعدوا فللزنج أدنى منكم ويحابر

أبت لي عبس أن أسام دنية وسعد وذبيان الهجان وعامر

وحي كرام سادة من هوازن لهم في الملمات الأنوف الفواخر

سويد يهجو بني شيبان لأخذ ماله

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن معتب الأودي عن الحرمازي ، أن سويد بن أبي كاهل جاور في بني شيبان، فأساءوا جواره، وأخذوا شيئاً من ماله غصباً، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر، وكان الذي ظلمه وأخذ ماله أحد بني محلم، فقال يهجوهم وإخوتهم بني أبي ربيعة:

حشر الإله مع القرود محلما وأبا ربيعة ألأم الأقوام

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة إلى همام

الظاعنين على العمى قدامهم والنازلين بشر دار مقام

والواردين إذا المياه تقسمت نزح الركي وعاتم الأسدام

وقال يهجو بني شيبان:

لعمري لبئس الحي شيبان إن علا عنيزة يوم ذو أهابي أغبر

فلما التقوا بالمشرفية ذبذبت مولية أستاه شيبان تقطر

يعني يوم عنيزة، وكان لبني تغلب على بني شيبان، وفيه يقول مهلهل:

كأنا غدوة وبني أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير

وقال أيضاً:

فأدوا إلى بهراء فيكم بناته وأبناءه إن القضاعي أحمر

يعير بني شيبان ببهراء كانت بهراء أغارت على بني شيبان، فأخذوا منهم نساء، واستاقوا نعما ، ثم إنهم اشتروا منهم النساء وردوهن ، فعيرهم سويد بأنهم رددن حبالى، فقال:

ظللن ينازعن العضاريط أزرها وشيبان وسط القطقطانة حضر

فمنا يزيد إذ تحدى جموعكم فلم تفرحوه ، المرزبان المسور

- يزيد: رجل من يشكر، برز يوم ذي قار إلى أسوار، وحمل على بني شيبان، فانكشفوا من بين يديه - فاعترضه اليشكري دونهم، فقتله، وعادت شيبان إلى موقفها، ففخر بذلك عليهم، فقال:

وأحجمتم حتى علاه بصارم حسام إذا مس الضريبة يبتر

ومنا الذي أوصى بثلث تراثه على كل ذي باع يقل ويكثر

ليالي قلتم يا ابن حلزة ارتحل فزابن لنا الأعداء واسمع وأبصر

فأدى إليكم رهنكم وسط وائل حباه بها ذو الباع عمرو بن منذر

يعني الحارث بن حلزة، لما خطبه دون بكر بن وائل حتى ارتجع رهائنهم. وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه.
بنو شيبان تستعدي عامر بن مسعود على سويد وقيس تتعصب له قال: فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعود الجمحي، وكان والي الكوفة، فدعا به، فتوعده، وأمره بالكف عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه، فتعصبت له قيس، وقامت بأمره حتى تخلصته، فقال في ذلك:

يكف لساني عامر وكأنما يكف لسناً فيه صاب وعلقم
أتترك أولاد البغايا وغيبتي وتحبسني عنهم ولا أتكلم
ألم تعلموا أني سويد وأنني إذا لم أجد مستأخراً أتقدم
حسبتم هجائي إذ بطنتم غنيمة علي دماء البدن إن لم تندموا

سويد وابن الغبري يتهاجيان

ثم يهربان لما طلبهما عبد الله بن عامر وعامل الصدقة يحبسها وبنو حمال يفكون ابن الغبري قال الحرمازي في خبره هذا: وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري، فطلبهما عبد الله بن عامر بن كريز، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حمال بن يشكر، فأخذهما صاحب الصدقة، وذلك في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحي الكوفة، فحبسهما، وأمر أن لا يخرجا من السجن حتى يؤديا مائة من الإبل، فخاف بنو حمال على صاحبهم ففكوه، وبقي سويد، فخذله بنو عبد سعد، وهم قومه، فسأل بني غبر، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم، فقال: ويخذل سويداً قومه

من سره النيك بغير مال فالغبريات على طحال
شواغر يلمعن للقفال

عبس وذبيان تستوهبه لمديحه لهم

وإطلاقه بغير فداء

فلما سأل بني غبر، قالوا له: يا سويد "ضيعت البكار بطحال" فأرسلوها مثلاً. أي إنك عممت جماعتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة، فضاع منك ما قدرت أنا نفديك به من الإبل. فلم يزل محبوساً حتى استوهبته عبس وذبيان لمديحه لهم، وانتمائه إليهم، فأطلقوه بغير فداء.

صوت

أخضني المقام الغمر إن كان غرني سنا خلب أو زلت القدمان

أتتركني جدب المعيشة مقفرا وكفاك من ماء الندى تكفان

الشعر للعتابي، والغناء لمخارق، ثاني ثقيل بالوسطى، وقيل: إن فيه للواثق ثاني ثقيل آخر.

أخبار العتابي ونسبه

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، وهو ابن مالك عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. شاعر مترسل بليغ مطبوع، متصرف في فنون الشعر ومقدم. من شعراء الدولة العباسية، ومنصور النمري تلميذه وراويته، وكان منقطعاً إلى البرامكة، فوصفوه للرشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ، وعظمت فوائده منه، ثم فسدت الحال بينه وبين منصور وتباعدت. وأخبار ذلك تذكر في مواضعها.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني القاسم بن مهروية، قال: حدثني جعفر بن المفضل، عن رجل من ولد إبراهيم الحراني ، قال: كثر الشعراء بباب المأمون، فأوذن بهم، فقال لعلي بن صالح صاحب المصلى: أعرضهم، فمن كان منهم مجيداً فأوصله إلي، ومن كان غير مجيد فاصرفه. وصادف ذلك شغلاً من علي بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه، فقام مغضباً، وقال: والله لأعمنهم بالحرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القرب منه، فقال لهم: على رسلكم فإن المدى أقرب من ذلك، هل فيكم من يحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد نادك في الوحي تقديس وتطهير

فت الممادح إلا أن ألسننا مستنطقات بما تحوي الضمائير

قالوا: لا والله ما بنا أحد يحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً

قيل في شعر العتابي تكلف

ونفاه آخرون

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن سهل، قال: تذاكرنا شعر العتابي، فقال بعضنا: فيه تكلف، ونصره بعضنا، فقال شيخ حاضر: ويحكم أيقال إن شعره تكلفاً؟ وهو القائل:

رسل الضمير إليك تترى بالشوق ظالعة وحسرى

متزجيات ما يني ن على الوجى من بعد مسرى

ما جف للعينين بع دك يا قرير العين مجرى

فاسلم سلمت مبرأ من صبوتي أبداً معرى
إن الصبابة لم تدع مني سوى عظم مبرى
ومدامع عبرى على كبد عليك الدهر حرى

في هذين البيتين غناء أو يقال: إنه متكلف؟ وهو الذي يقول:

فلو كان للشكر شخص يبين إذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه لتعلم أني امرؤ شاكر

رذاذ يضع لحناً

الغناء في هذين البيتين لأبي العبيس، ثقيل أول، ولرذاذ خفيف ثقيل. فحدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبجي عن أبي الحسن علي بن العباس وغيره من أهله قالوا: لما صنع رذاذ لحنه في هذا الشعر:

فلو كان للشكر شخص يبين

أبو العبيس يسقط لحن رذاذ فتن به الناس، وكان هجيراهم زماناً ، حتى صنع أبو العبيس فيه الثقيل الأول، فأسقط لحن رذاذ وغلب عليه.

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد، قالوا جميعاً:

المأمون يكتب في إشخاص العتابي

كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرو العتابي، فلما دخل قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتك فساءتني، ثم بلغتني وفدتك فسرتني. فقال له العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتاها فضلاً وإنعاماً، وقد خصصتني منهما بما لا يتسع له أمنية، ولا يبسط لسواه أمل، لأنه لا دين إلا بك، ولا دنيا معك. فقال له: سلني. فقال: يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال. فوصله صلات سنية، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل.

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد الكراني، أن عبد الله بن سعيد بن زرارة، حدثه عن محمد بن إبراهيم اليساري، قال: المأمون يداعب العتابي لما قدم العتابي مدينة السلام على المأمون، أذن له، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وكان العتابي شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلم فرد عليه وأدناه، وقربه حتى قرب منه، فقبل يده: ثم أمره بالجلوس فجلس، وأقبل عليه يسائله عن حاله، وهو يجيبه بلسان ذلق طلق، فاستظرف

المأمون ذلك، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظن الشيخ أنه استخف به، فقال: يا أمير المؤمنين: الإيناس قبل الإبساس .

إسحاق بن إبراهيم يعارض العتابي

فاشتبه على المأمون قوله، فنظر إلى إسحاق مستفهماً، فأومأ إليه، وغمزه على معناه حتى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار! فأتي بذاك، فوضعه بين يدي العتابي، وأخذوا في الحديث، وغمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه، فجعل العتابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق، فبقي العتابي متعجباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم، سل. فقال لإسحاق: يا شيخ من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمي كل بصل. فتبسم العتابي وقال: أما أنت فمعروف، وأما الاسم فمنكر. فقال إسحاق: ما أقل إنصافك، أتنكر أن يكون اسمي كل بصل؟ واسمك كل ثوم، وكل ثوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتابي: لله درك، ما أحجك ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصلتني به؟ فقال له المأمون: بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله.

مصادقة العتابي لإسحاق فقال له إسحاق: أما إذا أقررت بهذا، فتوهمني تحدني، فقال: ما أظنك إلا إسحاق الموصلي، الذي تناهى إلينا خبره، قال: أنا حيث ظننت. وأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما: أما إذ قد اتفقتما على المودة، فانصرفا متنادمين. فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

إعجاب عبد الله بن طاهر بشعر العتابي

وذكر أحمد بن طاهر أيضاً أن مسعود بن عيسى العبدي، حدثه عن موسى بن عبد الله التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بن طاهر جمع من الشعراء، فعلم أنهم على بابه، فقال لخادم له أديب: أخرج إلى القوم، وقل لهم: من كان منكم يقول كما قال العتابي للرشيد:

مستنبط عزمات القلب من فكر ما بينهن وبين الله معمور

فليدخل، وليعلم أني إن وجدته مقصراً عن ذلك حرمته، فمن وثق من نفسه أنه يقول مثل هذا فليقم. قال: فدخلوا جميعاً إلا أربعة نفر.

جوائز الرشيد للعتابي

أخبرني الحسن بن علي قال، حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية، قال: حدثنا عبد الله بن سعد إبراهيم بن الحدين، قال: وجد الرشيد على العتابي، فدخل سراً مع المتظلمين بغير إذن، فمثل بين يدي الرشيد، وقال له: يا

أمير المؤمنين، قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك، وردني ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكرك قناعة بغيرك، ولنعم الصائن لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول:

أخضني المقام الغمر إن كان غرني سنا خلب أو زلت القدمان

أتتركني جدب المعيشة مقتراً وكفاك من ماء الندى تكفان

وتجعلني سهم المطامع بعد ما بللت يميني بالندى ولساني

قال: فأعجب الرشيد قوله، وخرج عليه الخلع، وقد أمر له بجائزة، فما رأيت العتابي قط أبسط منه يومئذٍ.

بشار يحقد على إجادة العتابي

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهروية، قال: حدثنا أحمد بن خلاد، قال: حدثني أبي، قال: جاء العتابي وهو حدث إلى بشار، فأنشده:

أيصدف عن أمامة أم يقيم وعهدك بالصبا عهد قديم

أقول لمستعار القلب عفى على عزماته السير العديم

أما يكفيك أن دموع عيني شآبيب يفيض بها الهموم

أشيم فلا أرد الطرف إلا على أرجائه ماء سجوم

قال: فمد بشار يده إليه: ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجباً لبصير ابن زانية، أن يقول هذا الشعر. فخجل العتابي وقام عنه.

العتابي ويحيى بن خالد

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب، قال: حدثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق، قال: كلم العتابي يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة، فقال له يحيى: لقد ندر كلامك اليوم وقل. فقال له: وكيف لا يقل وقد تكنفني ذل المسألة، وحيرة الطلب، وخوف الرد؟! فقال: والله لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده. وقضى حاجته.

سخرية العتابي من الناس

أخبرني الحسن بن علي، قال : حدثنا ابن مهروية، قال: حدثنا عثمان الوراق، قال: رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال :لا. قال: فاصبر حتى أعلمك انهم بقر. فقام فوعظ وقص ودعا، حتى كثر

الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد، أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار. فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة انفه، ويقدره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي

أخبرني الحسن حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو عصام محمد بن العباس، قال: قال يحيى بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي، فضلاً عن رسائله وشعلاه، فلن تروا أبداً مثله.

كتاب للعتابي

أخبرني أبي، قال: اخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الخراز عن ابن الأعرابي، قال: أنكر العتابي على صديق له شيئاً، فكتب إليه: " إما إن تقر بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك، وإلا فطب نفساً بالانتصاف منك، فإن الشاعر يقول:

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإن جحود الذنب ذنبان ."

يحيى بن أكثم يستأذن المأمون للعتابي

أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن مهروية، قال: حدثني عبد الواحد بن محمد، قال: وقف العتابي بباب المأمون يلتمس الوصول إليه، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذن، فقال له: إن رأيت - أعزك الله - أن تذكر أمري لأمير المؤمنين إذا دخلت فافعل. قال له: لست أعزك الله بحاجبه. قال: فإن لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت، واعلم أن الله - عز وجل - جعل في كل شيء زكاة، جعل زكاة المال رفد المستعين، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف. واعلم أن الله عز وجل مقبل عليك بالزيادة إن شكرت، أو التغيير إن كفرت، وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأني أدعوك إلى ازدياد نعمتك، وأنت تابى. فقال له يحيى: أفعل وكرامة. وخرج الإذن ليحيى، فلما دخل، لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا إذا استأذن المأمون للعتابي، فأذن له.

كلمتان للعتابى

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهروية، قال: حدثني أبو الشبل، قال: قال العتابي لرجل اعتذر إليه: إني إن لم أقبل عذرك لكنت ألأم منك، وقد قبلت عذرك، فدم على لوم نفسك في جنايتك، نزد في قبول عذرك، والتجافي إن هفوتك.

قال: وقيل له لو تزوجت! فقال: إني وجدت مكابدة العفة أيسر علي من الاحتيال لمصلحة العيال.

تقدير المأمون للعتابي وإكرامه لما أسن

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهروية، قال: قال جعفر بن المفضل، قال لي أبي: رأيت العتابي جالساً بين يدي المأمون وقد أسن، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده، واعتمد الشيخ على المأمون، فما زال ينهضه رويداً رويداً حتى أقله فنهض، فعجبت من ذلك، وقلت لبعض الخدم: ما أسوأ أدب هذا الشيخ، فمن هو؟ قال: العتابي.

دعبل وابن مهروية يحسدانه ويحقدان عليه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهروية، قال: حدثني بن الأشعث، قال: قال دعبل: ما حسدت أحداً قط على شعر كما حسدت العتابي على قوله:

هيبة الإخوان قاطعة ... لأخي الحاجات عن طلبه

فإذا ما هبت ذا أمل ... مات ما أملت من سببه

قال ابن مهروية: هذا سرقه العتابي من قول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: " الهيبة مقرونة بالخيبة، والحياء مقرون بالحرمان، والفرصة تمر مر السحاب" حدثني محمد بن داود، عن أبي الأزهر، عن عيسى بن الحسن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بذلك.

عبد الله بن طاهر يجيزه ثلاث مرات

وينعم عليه بخلعة سنية بعد إنشاده

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه عن أبي الشبل. قال: دخل العتابي على عبد الله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده:

حسن ظني وحسن ما عود الل ... ه سواي منك الغداة أتى بي

أي شيء يكون أحسن من حس ... ن يقين حدا إليك ركابي

قال: فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد، فأنشده:

ودك يكفينيك في حاجتي ... ورؤيتي كافية عن سؤال

وكيف أخشى الفقر ما عشت لي ... وإنما كفاك لي بيت مال

فأمر له بجائزة، ثم دخل في اليوم الثالث، فأنشده:

بهجات الثياب يخلقها الده ... ر وثوب الثناء غض جديد

فاكسني ما يبيد أصلحك الل ه فالله يكسوك ما لا يبيد

فأمر له بجائزة، وأنعم عليه بخلعة سنية.

العتابي وطوق ابن مالك

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو دعامة، قال: قال طوق بن مالك للعتابي: أما ترى عشيرتك؟ - يعني بني تغلب - كيف تدل علي، وتتمرغ وتستطيل، وأنا أصبر عليهم؟! فقال العتابي: أيها الأمير، إن عشيرك من أحسن عشرتك ، وإن عمك من عمك خيره، وإن قريبك من قرب منك نفعه، وإن أخف الناس عندك أخفهم ثقلاً عليك، وأنا الذي أقول:

إني بلوت الناس في حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب من الأنساب

شكوى النمري للعتابي إلى طاهر بن الحسين وإصلاحه ما بينهما أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال حدثنا الرياشي، قال: شكا منصور النمري العتابي إلى طاهر بن الحسين، فوجه طاهر إلى العتابي، فأحضره، وأخفى منصوراً في بيت قريب منهما، وسأل طاهر العتابي أن يصالحه، فشكا سوء فعله به، فسأله أن يصفح عنه، فقال: لا يستحق ذلك. فأمر منصوراً بالخروج، فخرج وقال للعتابي، لم لا أستحق هذا منك؟ فأنشأ العتابي يقول:

أصحبتك الفضل إذ لا أنت تعرفه حقاً ولا لك في استصحابه أرب

لم ترتبطك على وصلي محافظة ولا أعاذك مما اغتالك الأدب

ما من جميل ولا عرف نطقت به إلا إلي وإن أنكرت ينتسب

قال: فأصلح طاهر بينهما - وكان منصور من تعليم العتابي تخريجه - وأمر طاهر للعتابي بثلاثين ألف درهم.

أخبرني عمر عن عبد الله بن أبي سعد عن الحسين بن يحيى الفهري عن العباس بن أبي ربيعة السلمي، قال: شكا منصور النمري كلثوم بن عمرو العتابي إلى طاهر. ثم ذكر مثله.

العتابي يفضل العلم والأدب على المال

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: كان العتابي جالساً ذات يوم ينظر في كتاب، فمر به بعض جيرانه، فقال: أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له؟ فأنشد العتابي يقول:

يا قاتل الله أقواماً إذا ثقفوا ذا اللب ينظر في الآداب والحكم

قالوا وليس بهم إلا نفاسته أنافع ذا من الإقتار والعدم

وليس يدرون أن الحظ ما حرموا لحاهم الله، من علم ومن فهم

قول العتابي في عزل طاهر بن علي

أخبرني علي بن صالح وعمي، قالا: حدثنا أحمد بن طاهر، قال: حدثنا أبو حيدرة الأسدي، قال: قال العتابي في عزل طاهر بن علي، وكان عدوه:

يا صاحباً متلونا متباينا فعلي وفعله
ما إن أحب له الردى ويسرني والله عزله
لم تعد فيما قلت لي وفعلت بي ما أنت أهله
كم شاغل بك عدويته وفارغ من أنت شغله

أخبرني أحمد بن الفرج، قال: حدثني أحمد بن عطاء الحراني عن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عبد الله بن سعد، قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج، قال:

مدحه جعفراً لما أمنه عند الرشيد

لما سعى منصور النمري بالعتابي إلى الرشيد اغتاظ علي، فطلبه، فستره جعفر بن يحيى عنه مدة، وجعل يستعطفه عليه، حتى استل ما في نفسه، وأمنه، فقال يمدح جعفر يحيى:

ما زلت في غمرات الموت مطرحا قد ضاق عني فسيح الأرض من حيلي
ولم تزل دائباً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

عودة عبد الله طاهر له في مرضه

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن خلاد عن أبيه، قال: عاد عبد الله بن طاهر وإسحق بن إبراهيم بن مصعب، كلثوم بن عمرو العتابي، في علة اعتلها، فقال الناس: هذه خطرة خطرت! فبلغ ذلك العتابي، فكتب إلى عبد الله بن طاهر:

قالوا الزيارة خطرة خطرت ونجار برك ليس بالخطر
أبطل مقالتهم بثانية تستنفد المعروف من شكري

فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله، وركب هو إسحاق بن إبراهيم، فعاداه مرة ثانية.

عبد الله بن هشام التغلبي يصله

بعد العتب والكتابة إليه

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبي، قال: حدثني أبو العيناء، قال: حدثني أبو العلاء المعمري، قال: عتب عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي على كلثوم بن عمرو التغلبي في شيء بلغه عنه، فكتب إليه: صوت

لقد سمتني الهجران حتى أذقتني ... عقوبات زلاتي وسوء مناقبي

فها أنا ساع في هواك وصابر ... على حد مصقول الغرارين قاضب

ومنصرف عما كرهت وجاعل ... رضاك مثالاً بين عيني وحاجبي

قال: فرضي عنه، ووصله صلة سنية.

الغناء في هذه الأبيات لسعيد مولى فائد، ثاني ثقيل بالبنصر، عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه منحول يحيى، وذكر أحمد بن المكي في كتابه، أنه لأبي سعيد، وجعله في باب الثقيل الأول بالبنصر، ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله.

من أخبار ربيعة في آمد أخبرني الحسين بن القاسم، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج، قال: أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه، قال: كان أخوان من فزارة يخفران قرية بين آمد وسميساط، يقال لها تل حوم، فطال مقامهما بها حتى أثريا، فحسدهما قوم من ربيعة، وقالوا: يخفران هذان الضياع في بلدنا! فجمعوا لهما جمعاً، وساروا إليهما، فقاتلوهما، فقتل أحدهما، وعلى الجزيرة يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشمي، فشكا القيسي أمره إلى وجوه قيس، وعرفهم قتل ربيعة أخاه، وأخذهم ماله. فقالوا له: إذا جلس الأمير فادخل إليه. ففعل ذلك، ودخل على عبد الملك، وشكا ما لحقه، ثم قال له: وحسب الأمير أنهم لما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائل منهم:

اشربا ما شربتما إن قيساً ... من قتيل وهالك وأسير

لا يحوزن أمرنا مضري ... بخفير ولا بغير خفير

فقال عبد الملك: أتندبني : إلى العصبية؟ وزبره ، فخرج الرجل مغموماً، فشكا ذلك إلى وجوه قيس، فقالوا: لا ترع، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه، فعاوده. فعاوده في المجلس الآخر، فزبره، وقال له قوله الأول، فقال له: إني لم آتك أندبك للعصبية، وإنما جئتك مستعديا ، فقال له: حدثني كيف فعل القوم؟ فحدثه وانشده، فغضب فقال: كذب لعمري، ليحوزنها. ثم دعا بابي عصمة أحد قواده، فقال: اخرج فجرد السيف في ربيعة، فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة، فقال كلثوم بن عمرو العتابي قصيدته التي أولها:

ماذا شجاك بحوارين من طلل ... ودمنة كشفت عنها الأعاصير

يقول فيها:

هذي يمينك في قرباك صائلة وصارم من سيوف الهند مشهور
إن كان منا ذوو إفك ومارقة وعصبة دينها العدوان والزور
فإن منا الذي لا يستحث إذا حث الجياد وضمنها المضامير
مستنبط عزمات القلب من فكر ما بينهن وبين الله معمور

يعني عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي، وكان قد أخذ قوادهم.

شعر العتابي يدفع القتل عن ربيعة فبلغت القصيدة عبد الملك، فأمر أبا عصمة بالكف عنهم، فلما قدم الرشيد الرافقة انشده عبد الملك القصيدة، فقال: لمن هذه؟ فقال: لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم بن عمرو، فقال: وما يمنعه أن يكون ببابنا. فأمر بإشخاصه من رأس عين، فوافى الرشيد وعليه قميص غليظ، وفروة وخف، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل، فلما رفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بان تفرش له حجرة، وتقام له وظيفة، ففعلوا، فكانت المائدة إذا قدمت إليه أخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها، فإذا كانت وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقدونه، ويتعجبون من فعله.

الرشيد يأمر بطرده

وسأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره، فأمر بطرده.

يحيى العقيلي يشتري له دابة

توصله إلى راس عين وقد فضح سعيداً بأفعاله فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله، فسلم عليه، وانتسب له، فرحب به، وقال له: ارتفع. فقال: لم آتك للجلوس، قال: فما حاجتك؟ قال: دابة أبلغ عليها إلى رأس عين، فقال: غلام أعطه الفرس الفلاني. فقال: لا حاجة لي في ذلك، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلغ عليها. فقال لغلامه: امض معه فابتع له ما يريد. فمضى معه، فعدل به العتابي إلى سوق الحمير، فقال له: إنما أمرني أن ابتاع لك دابة. فقال له: إنه أرسلك معي، و لم يرسلني معك، فإن عملت ما أريد و إلا انصرف.
فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً، وقال: ادفع إليه ثمنه، فدفع إليه، فركب الحمار عرياً بمرشحة عليه وبرذعة، وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيد: فضحتني، امثلي يحمل مثلك على هذا؟ فضحك، وقال: ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك. ومضى إلى رأس عين.

لوم زوجته له وما قال في ذلك

وكانت تحته امرأة من باهلة، وقالت: هذا منصور النمري قد أخذ الأموال فحلى نساءه، وبنى داره، واشترى ضياعاً، وأنت هنا كما ترى! فأنشأ يقول:

تلوم على ترك الغنى باهلية زوي الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرا مقلدة أعناقها بالقلائد
أسرك إني نلت ما نال جعفر من العيش أو نال يحيى بن خالد
وإن أمير المؤمنين أغصني مغصهما بالمشرقات البوارد
رأيت رفيعات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود
دعيني تجئني ميتتي مطمئنة ولم أتجشم هول تلك الموارد

وهذا الخبر فيه اضصراب، لأن القصيدة المذكورة التي أولها:

ماذا شجاك بحوارين من طلل

للعتابي في الرشيد، لا في عبد الملك، ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد متنقصاً منه. وله أخبار معه طويلة، وقد حدثني بخبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعة على غير هذه الرواية.

عتب الرشيد على العتابي

وقطعه الهبات فيتنصل بقصيدته هذه

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بن إسماعيل العدوي عن موسى بن عبد الله التميمي قال:

عتب الرشيد على العتابي أيام الوليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان عوده إياها، فاتاه متنصلاً بهذه القصيدة:

ماذا شجاك بحوارين من طلل ودمنة كشفت عنها الأعاصير
شجاك حتى ضمير القلب مشترك والعين إنسانها بالماء مغمور
في ناظري انقباض عن جفونهما وفي الجفون عن الآماق تقصير
لو كنت ترين ما شوقي إذا جعلت تنأى بنا وبك الأوطان والدور
علمت أن سرى ليلى ومطلعي من بيت نجران والغورين تغوير
إذا الركائب مخوف نواظرها كما تضمنت الدهن القوارير
نادتك أرحامنا اللاتي نمت بها كما تنادي جلاد الجلة الخور
مستنبط عزمات القلب من فكر ما بينهن وبين الله معمور
فت المدائح إلا أن أنفسنا مستنطقات بما تحوي الضمائير

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديس وتطهير

فإن منا الذي لا يستحث إذا ... حث الجياد وحازتها المضامير

إن كان ذوو إفك ومارقة ... وعصبة دينها العدوان والزور

ومن عرائقه السفاح عندكم ... مجرب من بلاء الصدق مخبور

الآن قد بعدت في خطو طاعتكم ... خطاهم حيث يحتل الغشامير

للهويرد أرزاقه ويصله

لها بشر لو يدرج الذر فوقه لبان مكان الذر فأثرا
لعمري لقد أمكنت منا عدونا وأقررت للعادي فأخنى وأهجرا

الأبيرد و حارثة بن بدر

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال: اكسني بردين ادخل بهما على الأمير - يعني عبيد الله بن زياد - وكساه ثوبين فلم يرضهما، فقال فيه:

أحارث أمسك فضل برديك إنما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا
وكنت إذا استمطرت منك سحابة لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا
أحارث عاود شربك الخمر إنني أرى ابن زياد عنك اصبح لاهيا

فبلغت أبياته هذه حارثة فقال: قبحه الله: لقد شهد بما لم يعلم. وإنما ادع جوابه لما لا يعلم. هكذا ذكر محمد بن سلام.

حارثة يمنع عنه الكسوة أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الأصمعي قال: هجا الأبيرد الرياحي حارثة بن بدر فقال:

أحارث راجع شربك إنني أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا
أرى فيك رأيا من أبيه وعمه وكان زياد ماقتاً لك فاليا

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام، وقال في خبره هذا: فكان حارثة يكسوه في كل سنة بردين، فحبسهما عنه في تلك السنة، فقال حارثة بن بدر يجيبه:

فإن كنت عن بردي مستغنياً لقد أراك بأسمال الملابس كاسيا
وعشت زماناً أن أعينك كسوتي قنعت بأخلاق وأمسيت عاريا
وبردين من حوك العراق كسوتها على حاجة منها لأمك باديا

فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر:

زعمت غدانة أن فيها سيداً ضخماً يواريه جناح الجندب
يرويه ما يروي الذباب وينتشي لؤماً ويسبعه ذراع الأرنب

وقال أيضاً لحارثة بن بدر:

ألا ليت حظي من غدانة أنها تكون كفافاً لا علي ولا ليا
أبى الله أن يهدي عدانة للهدى وأن لا تكون الدهر إلا مواليا
فلو أنني ألقى ابن بدر بموطن نعد به من أولينا المساعيا
تقاصر حتى يستقيد وبذه قروم تسامى من رياح تساميا
أيا فارط الحي الذي قد حشالكم من المجد أنهاء ملاء الخوابيا
وعمي الذي فك السميدع عنوة فلست بنعمي يا ابن عقرب جازيا
كلانا عني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا
ألم ترنا إذ سقت قومك سائلا ذوي عدد للسائلين معاطيا
بني الردف حمالين كل عظيمة إذا طلعت والمترعين الجوابيا
وإنا لنعطي النصف من لو نضيمه أقر ولكنا نحب العوافيا

الردف الذي عناه ها هنا: جده عتاب بن هرمي بن رياح، كان ردف بن المنذر، إذا ركب ركب وراءه، وإذا جلس جلس عن يمينه، وإذا غزا كان له المرباع، وإذا شرب الملك سقي بكأسه بعده، وكان بعده ابنه قيس بن عتاب يردف النعمان. وهو جد الأبيرد أيضاً.

الأبيرد وسعد العجلي

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال: كانت بنو عجل قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عجلاً، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم، يقال له سعد، ويجالسه، وكان قصده امرأة سعد هذا، فمالت إليه فومقته، وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً، وكان سعد شيخاً هما ، فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرهما وتحدث بهما، واتهم الأبيرد بها، فشكاه إلى قومه واستعذرهم منه ، فقالوا له: مالك تتحدث إلى امرأة الرجل؟ فقال: وما بأس بذلك ! وهل خلا عربي منه؟ قالوا: قد قيل فيكما ما لا قرار عليه، فاجتنب محادثتها، وإياك أن تعاودها. فقال الأبيرد: إن سعداً لا خير فيه لزوجته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأني رأيته يأتي فرسه البلقاء، ولا فضل فيه لامرأته، فهي تبغضه لفعله، وهو يتهمها لعجزه عنها. فضحكوا من قوله، وقالوا له: وما عليك من ذلك؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس إليها. فقال الأبيرد في ذلك:

ألم تر أن ابن المعذر قد صحا وودع ما يلحى عليه عواذله
غدا ذو خلاخيل علي يلومني وما لوم عذال عليه خلاخله
فدع عنك هذا الحلي إن كنت لائمي فإني امرؤ لا تزدهيني صلاصله

إذا خطرت عنس به شدنية بمطرد الأرواح ناء مناهله

تبين أقوام سفاهة رأيهم ترحل عنهم وهو عف منازله

لهم مجلس كالردن يجمع مجلساً لئاماً مساعيه كثيراً هتامله

تبرأت من سعد وخلة بيننا فلا هو معطيني ولا أنا سائله

متى تنتج البلقاء يا سعد أم متى تلقح من ذات الرباط حوائله

يحدث سعد أن زوجته زنت ويا سعد إن المرء تزني حلائله

فإن تسم عيناها إلي فقد رأت فتى كحسام أخلصته صياقله

فتى قد قد السيف لا متضائل ولا رهل لباته و أباجله

- وهذا البيت الأخير يروي للعجير السلوكي، ولأخت يزيد بن الطثرية- فاعترضه سلمان العجلي فهجاه وهجا بني رياح فقال:

لعمرك إنني وبني رياح لكالعاوي فصادف سهم رام

يسوقون ابن وجرة مزمئرا ليحميهم وليس لهم بحام

وكم من شاعر لبني تميم قصير الباع من نفر لئام

كسونا إذ تخرق ملبساه دواهي يبترين من العظام

وإن يذكر طعامهم بشر فإن طعامهم شر الطعام

شريج من مني أبي سواج وآخر خالص من حيض آم

وسوداء المغابن من رياح على الكردوس كالفأس الكهام

إذا ما مر بالقعقاع ركب دعتهم من ينيك على الطعام

تداولها غواة الناس حتى تؤوب وقد مضى ليل التمام

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له:

عوى سلمان من جو فلاقي أخو أهل اليمامة سهم رامي

عوى من جبنه وشقي عجل عواء الذئب مختلط الظلام

بنو عجل أذل من المطايا ومن لحم الجزور على الثمام

تحيا المسلمون إذا تلاقوا وعجل ما تحيا بالسلام

إذا عجليه ولدت غلاماً ... إلى عجل فقبح من غلام

يمص بثديها فرخ لئيم ... سلالة أعبد ورضيع آم

خبيث الريح ينشأ بالمخازي ... لئيم بين آباء لئام

أنا ابن الأكرمين بني تميم ... ذوي الآكال والهمم العظام

وكائن من رئيس قطرته ... عواملنا ومن ملك همام

وجيش قد ربعناه وقوم ... صبحناه بذي لجب لهام

وقال أيضاً الأبيرد محيباً له:

أخذنا بآفاق السماء فلم ندع ... لسلمان سلمان اليمامة منظرا

من القلح فساء ضروط يهره ... إذا الطير مرات على الدوح صرصرا

وأقلح عجلي كان بخطمه ... نواجذ خنزير إذا ما تكشر

يزل النوى عن ضرسه فيرده ... إلى عارض فيه القوادح أبخرا

إذا شرب العجلي نجس كأسه ... وظلت بكفي جأنب غير أزهر

شديد سواد الوجه تحسب وجهه ... من الدم بين الشاربين مقيراً

إذا ما حساها لم تزده سماحة ... ولكن أرته أن يصر ويحصرا

فلا يشربن في الحي عجل فإنه ... إذا شرب العجلي أخنى وأهجر

يقاسي نداماهم وتلقى أنوفهم ... من الجدع عند الكأس أمراً مذكرا

ولم تك في الإشراك عجل تذوقها ... ليالي يسبيها مقاول حميرا

وينفق فيها الحنظليون ما لهم ... إذا ما سعى منهم سفيه تجبرا

ولكنها هانت وحرم شربها ... فمالت بنو عجل لما كان أكفرا

لعمري لئن أزننتم أو صحوتم ... لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

مجائل وعرادة يتفاخران بنحر الإبل

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال: كان مجائل بن مرة بن محكان السعدي وابن عم له يقال له: عرادة، وقد كان عرادة اشترى غنماً له فأهبها، وكانت مائة شاه، فاشترى

مرة بن محكان مائة من الإبل فأنحر بعضها وأنهب باقيها، وقال أبو عبيدة: أنهما تفاخرا، فغلبه مرة، فقال الأبيرد لعرادة:

شرى مائة فأنهبها جميعاً وبت تقسم الحذف النقادا

فبعث عبيد الله بن زياد فاخذ مرة بن محكان فحبسه وقيده، ووقع بعد ذلك من قومه لحاء، فكانت بينهم شجاج ثم تكافؤوا وتوافقوا على الديات فأبنيء مررة بن محكان وهو محبوس، فعرف ذلك فتحمل جميعها في ماله، فقال فيه الأبيرد:

لله عينا من رأى من مكبل كمرة إذ شدت عليه الأداهم

فأبلغ عبيد الله عني رسالة فإنك قاض بالحكومة عالم

فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى فعاقب هداك الله أعظم حاتم

تعاقب خرقاً أن يجود بماله سعى في ثأى من قومه متفاقم

كأن دماء القوم إذ علقت به على مكفهر من ثنايا المخارم

الأبيرد وابن عمه الأحوص

يحرضان رجلاً على سحيم بن وثيل الرياحي

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، قال: حدثنا عمي قال: أتى رجل الأبيرد الرياحي وابن عمه الأحوص، وهما من رهط ردف الملك من بني رياح، يطلب منهما قطراناً لإبله فقالا له: إن أنت بلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطراناً. فقال: قولا. فقالا اذهب فقل له:

فإن بداهتي وجراء حولي لذو شق على الحطم الحرون

قال: فلم أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه، وانحدر في الوادي، وجعل يقبل فيه ويدبر، ويهمهم بالشعر. ثم قال: اذهب فقل لهما:

فإن علالتي وجراء حولي لذو شق على الضرع الظنون

أنا ابن الغر من سلفي رياح كنصل السيف وضاح الجبين

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وإن مكاننا من حميري مكان الليث من وسط العرين

وإن قناتنا مشط شطاها شديد مدها عنق القرين

قال الأصمعي: إذا مسست شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل: مشظت يدي والشظا: ما تشظى منها

وإني لا يعود إلي قرني غداة الغب إلا في قرين
بذي لبد يصد الركب عنه ولا تؤتى فريسته لحين
غدرت البزل إذ هي صاولتني فما بالي وبال ابني لبون
وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت رأس الأربعين
أخو الخمسين مجتمع أشدي ونجذني مداورة الشؤون
سأحيا ما حييت وإن ظهري لذو سند إلى نضد أمين

قال: فأتياه فاعتذرا إليه، فقال: إن أحدكم لا يرى أن يصنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا، وحسبه بحسبنا، ويستطيف بنا استطافة الأرن . فقالا له: فهل إلى الترع من سبيل . فقال : إننا لم تبلغ أنسابنا.

قال اليزيدي: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي.

قصيدة الصوت

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريداً وفي أولها الغناء المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله:

تطاول ليلي لم أنمه تقلباً كأن فراشي حال من دونه الجمر
أراقب من ليل التمام نجومه لدن غاب قرن الشمس حتى بدا الفجر
تذكرت قرماً بان منا بنصره ونائله يا حبذا ذلك الذكر
فإن تكن الأيام فرقن بيننا فقد عذرتنا في صحابتنا العذر
وكنت أرى هجرا فراقك ساعةً ألا لا بل الموت التفرق والهجر
أحقاً عباد الله أن لست لاقيا بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر
فتى إن هو استغنى تخرق في الغنى فإن قل مالاً لم يؤد متنه الفقر
وسامى جسيمات الأمور فنالها على العسر حتى أدرك العسر اليسر
ترى القوم في العزاء ينتظرونه إذا ضل رأي القوم أو حزب الأمر
فليتك كنت الحي في الناس باقيا وكنت أنا الميت الذي غيب القبر
فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء قل بها القطر

كأن لم يصاحبنا بريدٌ بغبطة ... ولم يأتنا يوماً بأخباره السفر
لعمري لنعم المرء عالي نعيه ... لنا ابن عزيز بعد ما قصر العصر
تمضت به الأخبار حتى تغلغلت ... ولم تثنه الأطباع دوني ولا الجدر
ولما نعى الناعي بريداً تغولت ... بي الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر
عساكر تغشى النفس حتى كأنني ... أخو سكرة طارت بهامته الخمر
إلى الله أشكو في بريد مصيبتي ... وبثي وأحزاناً تضمنها الصدر
وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكا ... من الأجر لي فيه وإن سرني الأجر
وما زال في عيني بعد غشاوةٌ ... وسمعي عما كنت أسمعه وقر

على أنني أقنى الحياء واتقي ... شماتة أعداءٍ عيونهم خزر
فحياك عني الليل والصبح إذ بدا ... وهوج من الأرواح غدوتها شهر
سقى جدثاً لو أستطيع سقيته ... بأودٍ فرواه الروافد والقطر
ولا زال يرعى من بلاد ثوى بها ... نبات إذا صاب الربيع بها نضر
حلفت برب الرافعين أكفهم ... ورب الهدايا حيث حل بها النحر
ومجتمع الحجاج حيث توافقت ... رفاق من الآفاق تكبيرها جأر
يمين امرىءٍ آلى وليس بكاذب ... وما في يمين قالها صادق وزر
لئن كان أمس ابن المعذر قد ثوى ... بريد لنعم المرء غيبه القبر
هو الخلف المعروف والدين والتقى ... ومسعر حرب لا كهام ولا غمر
أقام فنادى أهله فتحملوا ... وصرمت الأسباب واختلط النجر
فتى كان يغلي اللحم نيئاً ولحمه ... رخيص لجاديه إذا تنزل القدر
فتى الحي والأضياف إن روحتهم ... بليل وزاد السفر إن أرمل السفر
إذا جارةٌ حلت لديه وفى بها ... فآبت ولم يهتك لجارته ستر
عفيف عن السوآت ما التبست به ... صليبٌ فما يلفى لعود به كسر
سلكت سبيل العالمين فما لهم ... وراء الذي لاقيت معدى ولا قصر

وكل امرىء يوماً سيلقى حمامه وإن نأت الدعوى وطال به العمر
وأبليت خيراً في الحياة وإنما ثوابك عندي اليوم أن ينطق الشعر

وقال يرثيه أيضاً، وهي قصيدة طويلة:

إذا ذكرت نفسي بريداً تحاملت إلي ولم أملك لعيني مدمعا
وذكرنيك الناس حين تحاملوا علي وأضحوا جلد أجرب مولعا
فلا يبعدنك الله خير أخي امرىءٍ فقد كنت طلاع النجاد سميدعا
وصولاً لذي القربى بعيداً عن الخنا إذا ارتادك الجادي من الناس أمرعا
أخو ثقة لا ينتحي القوم دونه إذا القوم حالوا أو رجا الناس مطمعا
ولا يركب الوجناء دون رفيقه إذا القوم أزجوهن حسرى وظلعا

صوت

يا زائرينا من الخيام حياكما الله بالسلام
يحزنني أن أطفتما بي ولم تنالا سوى الكلام
بورك هارون من إمام بطاعة الله ذي اعتصام
له إلى ذي الجلال قربى ليس لعدل ولا إمام

الشعر لمنصور النمري، والغناء لعبد الله بن طاهر، رمل، ذكر ذلك عبيد الله ابنه، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها، وفيه للرف خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانة. وفيه ثقيل أول بالبنصر مجهول الأصابع. ذكر حبش أنه للرف أيضاً.

أخبار منصور النمري ونسبه

منصور بن الزبرقان سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - بن شريك بن مطعم الكبش الرخم، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضحيان بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وإنما سمي عامر الضحيان لأنه كان سيد قومه وحاكمهم، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار، فسمي الضحيان. وسمي جد منصور مطعم الكبش الرخم، لأنه أطعم ناسا نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسه فإذا رخم يحمن حول أضيافه، فأمر بأن يذبح لهم كبش ويرمى به بين أيديهم، ففعل ذلك فتزلن عليه، فمزقنه؛ فسمي مطعم الكبش الرخم. وفي ذلك يقول أبو نعيجة النمري يمدح رجلاً منهم:

أبوك زعيم بني قاسط وخالك ذو الكبش يقري الرخم

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وروايته، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبه، والعتابي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرضه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالرشيد. وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا، وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه، وأخبار ذلك تذكر في مواضعها من أخبارهما - إن شاء الله تعالى - وكان النمري قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابي إليه، وأسترفده له، وسأله استصحابه، فأذن له في القدوم، فحظي عنده، وعرف مذهب الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب - عليهم السلام - والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة، وتفضيله أياه على الشعراء في الجوائز. فسلك مذهب مروان في ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان، ولكنه حام و لم يقع، وأومأ و لم يحقق، لأنه كان يتشيع، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب، وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقي ولا يذر.

سؤاله أن يذكر عند الرشيد

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد الكراني، وأخبرني به عمي قال: حدثنا عبد الله بن سعد حديث محمد بن جعفر النحوي أنه قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال: حدثنا ثابت بن الحارث الجشمي قال: كان منصور النمري مصافياً للبرامكة، وكان مسكنه بالشأم، فكتب يسألهم أن يذكروه للرشيد ، فذكروه ووصفوه، فأحب أن يسمع كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدم ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان، على ما سمعه من بيانه، وكان مروان يقول قبل قدومه: هذا شامي وأنا حجازي، افتراه يكون أشعر مني، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد، واستنشد الرشيد منصوراً، فأنشده:

أمير المؤمنين إليك خضنا غمار الهول من بلد شطير

بخوص كالأهلة خافقات تلين على السرى وعلى الهجير

حملن إليك أحمالاً ثقالا ومثل الصخر والدر النثير

فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار إلى المصير

إلى من لا يشير إلى سواه إذا ذكر الندى كف المشير

فقال مروان: وددت والله أنه أخذ جائزتي وسكت.

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال:

يذلل من رقاب بني علي ومن ليس بالمن الصغير

مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير

مروان ينشد الرشيد قال مروان: فما برحت حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشده، وكان يتبسم في وقت ما كان ينشده النمري، ويأخذ على بطنه، وينظر إلى ما قال، فأنشدته:

موسى وهارون هما الذان في كتب الأخبار يوجدان

من ولد المهدي مهديان قدا عنانين على عنان

قد أطلق المهدي لي لساني وشد أزري ما به حباني

من اللجين ومن العقيان عيدية شاحطة الأثمان

لو خايلت دجلة بالألبان إذاً لقيل اشتبه النهران

النمري لا يحتفل بقول مروان قال: فوالله ما عاج النمري بذلك ولا احتفل به، فأومأ إلى هارون أن زده؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام

ارضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد حام

أني يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

قال: فوالله ما عاج بشيء منها، وخرجت الجائزتان، فأعطى مروان مائة ألفٍ، وأعطى النمري سبعين ألفاً، وقال: أنت مزيدٌ في ولد علي.

قال: ولقد تخلص النمري إلى شيء ليس عليه فيه شيء، وهو قوله:

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم وإلا فالندامة للكفور

وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌ وردوا ما يناسب للذكور

قال: فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، وإلى قوله:

وما لبني بناتٍ من تراثٍ مع الأعمام في ورق الزبور

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثني الغنوي عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشرٍ العبدي، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمد بن جعفر النحوي يزيد وينقص، والمعنى متقارب.

غضب هارون أن يشبه بالرسول أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي قال: حدثني أحمد بن سيار الشيباني الشاعر قال: كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يرده، حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتى قال فيه:

فكأنه بعد الرسول رسول

فغضب هارون و لم ينتفع به أحد يومئذٍ، وحرم ذلك الشاعر فلم يعطه شيئاً، وأنشد منصورٌ النمري قصيدة مدحه بها وهجا آل علي وثلبهم، فضجر هارون وقال له: يا ابن اللخناء، أتظن أنك تتقرب إلي بهجاء قوم أبوهم أبي، ونسبهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: وما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبه، وأمر مسروراً فوجأ في عنقه وأخرج، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده:

بني حسنٍ ورهط بني حسينٍ ... عليكم بالسداد من الأمور

فقد ذقتم قراع بني أبيكم ... غداة الروع بالبيض الذكور

أحين شفوكمو من كل وترٍ ... وضموكم إلى كنف وثير

وجادوكم على ظمإٍ شديد ... سقيتم من نوالهم الغزيز

فما كان العقوق لهم جزاءً ... بفعلهم وآدى للثؤور

وإنك حين تبلغهم أذاةً ... وإن ظلموا لمحزون الضمير

فقال له: صدقت، وإلا فعلي وعلي، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

مروان ينشد الرشيد أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل قال: دخل مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر، ومنصور النمري على الرشيد، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها:

أنى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام

وأنشده سلم فقال:

حضر الرحيل وشدت الأحداج

وأنشده النميري قصيدته التي يقول فيها:

إن المكارم والمعروف أوديةٌ ... أحلك منها حيث تجتمع

الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء فأمر لكل واحد منهم بمائة ألف درهم، فقال له يحيى بن خالدٍ: يا أمير المؤمنين، مروان شاعرك خاصة قد ألحقتهم به. قال: فليزد مروان عشرة آلاف.

أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعد قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: أخبرني أبو حاتمٍ الطائي، عن يحيى بن ضبيئة الطائي، عن الفضل قال: حضرت الرشيد وقد دخل منصور النمري عليه فأنشده:

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزع ... إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

بان الشباب وفاتتني بلذته ... صروف دهرٍ وأيامٍ لها خدع

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

قال: فتحرك الرشيد لذلك ثم قال: أحسن والله، لا يتهنأ أحدٌ بعيش حتى يخطر في رداء الشباب.

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن سعدٍ قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدي عن أبي ثابت العبدي عن مروان بن أبي حفصة، قال: خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم، فظفر الرشيد، وقد كاد أن يعطب، لولا الله عز وجل ثم يزيد بن مزيد. فقال لي وللنمري: أنشدا. فأنشدته قولي:

طرقتك زائرةً فحي خيالها ... غراء تخلط بالحياء دلالها

ووصفت الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم، والظفر الذي رزقه، فقال: عدوا قصيدته، فكانت مائة بيتٍ، فأمر لي بمائة ألف درهم، ثم قال للنمري: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمري:

مضرٌ على فأس اللجام كأنه ... إذا ما اشتكت أيدي الجياد يطير

فظل على الصفصاف يومٌ تباشرت ... ضباعٌ وذؤبان به ونسور

فأقسم لا ينسى لك الله أجرها ... إذا قسمت بين العباد أجور

قال النمري: ثم قلت في نفسي: ما يمنعني من إذكاره بالجائزة؟ فقلت:

إذا الغيث أكدى واقشعرت نجومه ... فغيث أمير المؤمنين مطير

وما حل هارون الخليفة بلدةً ... فأخلفها غيثٌ وكاد يضير

فقال: أذكرتني. ورأيته متهللاً لذلك. قال: فألحقني بمروان وأمر لي بمائة ألف درهم.

البيدق ينشد قصيدة النمري

أخبرني عمي، قال: حدثني ابن أبي سعدٍ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان، قال حدثني محمد الراوية المعروف بالبيدق - وكان قصيراً، فلقب بالبيدق لقصره، وكان ينشد هارون أشعار المحدثين - وكان أحسن خلق الله إنشاداً - قال: دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع، ويزيد بن مزيد، وبين يديه خوان لطيف عليه جديان ورغفان سميد ودجاجتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النمري العينية، فلما بلغت إلى قوله:

أي امرىءٍ بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تتسع

إذا رفعت امرأً فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوام متضع

نفسي فداؤك والأبطال معلمة يوم الوغى والمنايا بينها قرع

قال: فرمى بالخوان بين يديه وصاح، وقال: هذا والله أطيب من كل طعامٍ وكل شيءٍ، وبعث إليه بسبعة آلاف دينارٍ، فلم يعطني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأس العين، فأغضبني وأحفظني، فأنشدت هارون قوله:

شاءٌ من الناس راتعٌ هامل يعللون النفوس بالباطل

فلما بلغت إلى قوله:

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

الرشيد يبعث بمن يقتل النمري في يوم وفاته

قال: أراه يحرض علي، ابعثوا إليه من يجيء برأسه. فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغن كلامه شيئاً، وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن. قال: وكان إنشاد محمدٍ البيدق يطرب كما يطرب الغناء.

سبب غضب الرشيد على النمري

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: حدثنا علي بن الحسين الشيباني، قال: أخبرني منصور بن جهور، قال: سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه، فقال لي: استقبلت النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً، فقلت له: ما خبرك؟ فقال: تركت امرأتي تطلق، وقد عسر عليها ولادها، وهي يدي ورجلي، والقيمة بأمري وأمر مترلي. فقلت له: لم لا تكتب على فرجها هارون الرشيد؟ قال: ليكون ماذا؟ قال لتلد على المكان، قال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك:

إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتسع

فقال لي: يا كشخان، والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرن قولك هذا للرشيد. فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي، فاستترت عند الفضل بن الربيع، فلم يزل يسأل في حتى أذن لي في الظهور، فلما دخلت عليه، قال لي: قد بلغني ما قلته للنمري، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت: والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذل علي إلا وقوفي على ميله إلى العلوية، فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلت. فقال: أنشدني. فأنشدته قوله:

شاءٌ من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت إلى قوله:

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

غضب الرشيد وطلبه نبش قبره فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضل بن الربيع: أحضره الساعة. فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد توفي، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه.

الفضل بن الربيع يحمي النمري أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال: حدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: حدثني بعض الزينبيين، قال: حبس الرشيد منصوراً النمري بسبب الرفض، فتخلصه الفضل بن الربيع، ثم بلغه شعره في آل علي عليه السلام، فقال للفضل: اطلبه. فستره الفضل عنده، وجعل الرشيد يلح في طلبه، حتى قال يوماً للفضل:

ويحك يا فضل تفوتني النمري؟ قال: يا سيدي، هو عندي قد حصلته. قال: فجئني. وكان الفضل قد أمره أن يطول شعره، ويكثر مباشرة الشمس ليشحب وتسوء حالته، ففعل، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة، وأدخله عليه، وقد عفا شعره، وساءت حالته، فلما رآه، قال: السيف! فقال الفضل: يا سيدي من هذا الكلب حتى تأمر بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو القائل:

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

فقال منصور: لا يا سيدي ما أنا قائلٌ هذا، ولقد كذب علي، ولكني القائل:

يا منزل الحي ذا المغاني انعم صباحاً على بلاكا

هارون يا خير من يرجى لم يطع الله من عصاكا

في خير دينٍ وخير دنيا من اتقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع:

رأيت الملك مذ آزر ت قد قامت محانيه

هو الأوحد في الفضل فما يعرف ثانيه

عفة النمري

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن أبي سعدٍ، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل، قال: اجتمع عند المأمون قبل خلافته، وذلك في أيام الرشيد، منصورٌ النمري والخزيمي والعباس بن زفر، وعنده جعفر بن يحيى، فحضر الغداء، فأتي المأمون بلونٍ من الطعام، فأكل منه فاستطابه، فأمر به فوضع بين يدي جعفر بن يحيى، فأصاب منه، ثم أمر به فوضع بين يدي العباس فأكل منه، ثم نحاه، فأكل منه بعده الخزيمي وغيره - و لم

يأكل منه النمري - وذلك بعين المأمون، فقال له: لم لم تأكل؟ فقال: لئن أكلت ما أبقى هؤلاء إني لنهمٌ. قال: فهل قلت في هذا شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

لهفي أتطعمها قينسا وآكلها ... إني إذاً لدنيء النفس والخطر

ما كان جدي ولا كان الهمام أبي ... ليأكلا سؤر عباس ولا زفر

شتان من سؤر عباسس وفضلته ... وسؤر كلبٍ مغطى العين بالوبر

ما زال يلقم والطباخ يلحظه ... وقد رأى لقماً في الحلق كالعجز

نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي، قالا: حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي، قال: اخبرني علقمة بن نصر بن واصلٍ النمري، قال: سمعت أشياخنا يقولون، إن منصور بن بجرة بن منصور بن صليل بن أشيم بن قطن بن سعد بن عامرٍ بن الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسطٍ، قال هذه القصيدة:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع ... إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

بان الشباب وفاتتني بشرته ... صروف دهرٍ وأيام لها خدع

ما كنت أول مسلوبٍ شبيبته ... مكسو شيبٍ فلا يذهب بك الجزع

منصور بن سلمة يستوهبها منه ويطلبه الرشيد ولكنه يرده فيستنجد بيزيد الشيباني فيدخله فسمعها منصور بن سلمى بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له، وكان منصور بن بجرة هذا موسراً لا يتصدى لمدح ولا يفد إلى أحد ولا يتنجعه بالشعر، وكان هارون الرشيد قد جرد السيف في ربيعة، فوجه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد، وكان رجلاً تقتحمه العين جداً، ويزدريه من رآه لدمامة خلقه فأمر الرشيد لما عرضت عليه بإحضار قائلها. قال منصور: فلما وصلت إليه عرفني الحاجب أنه لما عرضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعاً، وأمره بإدخالي، فلما قربت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامة خلقي، وكان قصيراً أزرق أحمر أعمش نحيفاً. قال: فردني، وأمر بإخراجي فأخرجت، فمر بي ذات يوم يزيد بن مزيدٍ الشيباني، فصحت به: يا أبا خالد، أنا رجلٌ من عشيرتك، وقد لحقني ضيم، وعذت بك. فوقف، فعرفته خبري، وسألته: أن يذكرني إذا مرت به رقعتي، ويتلطف في إيصالي، ففعل ذلك، فلما دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة:

أتسلو وقد بان الشباب المزايل

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة فقال لي: غداً إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة وخرج يزيد يركض، فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها، وأنشدته القصيدة، فلما صرت إلى هذا الموضع:

يجرد فينا السيف من بين مارقٍ وعانٍ بجودٌ كلهم متحامل

قالوا: فلما سمع الجلساء هذا البيت، قالوا: ذهب الأعرابي وافتضح، فلما قلت:

وقد علم العدوان والجور والخنا بأنك عيافٌ لهن مزايل

ولو علموا فينا بأمرك لم يكن ينال برياً بالأذى متناول

لنا منك أرحام ونعتد طاعةً وبأساً إذا اصطك القنا والقنابل

وما يحفظ الأنساب مثلك حافظٌ ولا يصل الأرحام مثلك واصل

جعلناك فامنعنا معاذاً ومفزعا لنا حين عضتنا الخطوب الجلائل

وأنت إذا عاذت بوجهك عوذ تطامن خوفٌ واستقرت بلابل

فقال الجلساء: أحسن والله الأعرابي يا أمير المؤمنين! فقال الرشيد: يرفع السيف عن ربيعة ويحسن إليهم.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ، قال: حدثني علي بن الحسين بن عبيدٍ البكري قال: أخبرني أبو خالد الطائي عن الفضل، قال: كنا عند الرشيد وعنده الكسائي، فدخل إليه منصورٌ النمري، فقال له الرشيد: أنشدني. فأنشده قوله:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

فتحرك الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله:

ما كنت أوفي شبابي كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

فطرب الرشيد، وقال: أحسنت والله، وصدقت، لا والله لا يتهنا أحد يعيش حتى يخطر في رداء الشباب! وأمر به بجائزة سنية.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي، قال: حدثني أحمد بن سنانٍ البيساني، وأخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعدٍ، قال: حدثنا مسعود بن عيسى، عن موسى بن عبد الله التميمي: أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمري، وكانوا على نبيذٍ، فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعاف الشرب لأنك رافضي، وتسمع وتصغي إلى الغناء، وليس تركك النبيذ من ورعٍ، فقال منصور:

خلا بين ندماني موضع مجلسي ولم يبق عندي للوصال نصيب

وردت على الساقي تفيض وربما رددت عليه الكأس وهي سليب

وأي امرىء لا يستهش إذا جرت عليه بنانٌ كفهن خضيب

الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، مطلق في مجرى البنصر. ومن الناس من ينسبه إلى مخارق، هكذا في الخبر.

وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، قال: كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمري قوله:

تقضت لباناتٌ ولاح مشيب ... وأشفى على شمس النهار غروب

وودعت إخوان الصبا وتصرمت ... غواية قلبٍ كان وهو طروب

وردت على الساقي تفيض وربما ... رددت عليه الكأس وهي سليب

ومما يهيج الشوق لي فيرده ... خفيفٌ على أيدي القيان صخوب

عطون به حتى جرى في أديمه ... أصابيغ في لباتهن وطيب

فأجابه النمري وقال:

أوحشة ندمانيك تبكي فربما ... تلاقيهما والحلم عنك عزوب

ترى خلفا من كل نيلٍ وثروةٍ ... سماع قيان عودهن قريب

يغنيك يا بنتي فتستصحب النهى ... وتحتازك الآفات حين أغيب

وإن امرأً أودى السماع بلبه ... لعريان من ثوب الفلاح سليب

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر، قال: أتى النمري يزيد بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضاقة وعسرة، فقال: اسمع مني جعلت فداك. فأنشده قصيدةً له. يقول فيها:

لو لم يكن لبني شيبان من حسب ... سوى يزيد لفاتوا الناس في الحسب

تأوي المكارم من بكر إلى ملكٍ ... من آل شيبان يحويهن من كثب

أبٌ وعمٌ وأخوالٌ مناصبهم ... في منبت النبع لا في منبت الغرب

إن أبا خالد لما جرى وجرت ... خيل الندى أحرز الأولى من القصب

لما تلغبهن الجري قدمه ... عتقٌ مبينٌ ومحضٌ غير مؤتشب

إن الذين اغتزوا بالحر غرته ... كمغتزي الليث في عريسه الأشب

ضرباً دراكاً وشداتٍ على عنقٍ ... كان إيقاعها النيران في الحطب

لا تقربن يزيداً عند صولته ... لكن إذا ما احتبى للجود فاقترب

فقال يزيد: والله ما أصبح في بيت مالي شيء، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاءه بمائة دينارٍ وحلف أنه لا يملك يومئذ غيرها.

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر، قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدثني عمي عن جدي، قال: قال لي منصور النمري، كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرو التغلبي، وقد وخطني الشيب يومئذٍ، وعبيد الله شابٌ حديث السن، فإذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت، فجعلت أنظر إليهما وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت، وقلت فيها:

لما رأيت سوام الشيب منتشراً ... في لمتي وعبيد الله لم يشب

سللت سهمين من عينيك فانتضلا ... على سبيبة ذي الأذيال والطرب

كذا الغواني نرى منهن قاصدة ... إلى الفروع معراة عن الخشب

لا أنت أصبحت تعتدينا أرباً ... ولا وعيشك ما أصبحت من أربي

إحدى وخمسين قد أنضبت جدتها ... تحول بيني وبين اللهو واللعب

لا تحسبني وإن أغضيت عن بصري ... غفلت عنك ولا عن شأنك العجب

ثم عدلت عن ذلك فمدحت فيها يزيد بن مزيد فقلت:

لو لم يكن لبني شيبان من حسب ... سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

لا تحسب الناس قد حابوا بني مطرٍ ... إذا أسلم الجود فيهم عاقد الطنب

الجود أخشن لمساً يا بني مطر ... من أن تبزكموه كف مستلب

ما أعرف الناس أن الجود مدفعةٌ ... للذم لكنه يأتي على النشب

قال: فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم.

حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل، قال: حدثني عمرو بن عثمان الموصلي، قال حدثني ابن أبي روق الهمداني، قال: قال لي منصور النمري: دخلت على الرشيد يوماً و لم أكن أعددت له مدحاً، فوجدته نشيطاً طيب النفس، فرمت شيئاً فما جاءني، ونظر إلي مستنطقاً، فقلت:

إذا اعتاص المديح عليك فامدح ... أمير المؤمنين تجد مقالا

وعذ بفنائه واجنح إليه ... تنل عرفاً ولم تذلل سؤالا

فناءٌ لا تزال به ركابٌ ... وضعن مدائحاص وحملن مالا

فقال: والله لئن قصرت القول لقد أطلت المعنى، وأمر لي بصلةٍ سنية.

طربت إلى الحي الذين تحملوا ... ببرقة أحواذ وأنت طروب

فبت أسقاها سلافاً مدامةً لها في عظام الشاربين دبيب

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي، والغناء لعلويه، رمل بالوسطى، عن الهشامي، وفيه لسليم خفيف رملٍ، مطلقٌ في مجرى الوسطى.

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ويكنى أبا الأقرع. شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والنجدة فيهم، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان، فلما قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفي ثم هرب، فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه إلى أن قتل، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً، واحتال عليه حتى أمنه.

وأخباره تذكر في ذلك وغيره ها هنا أخبرني بخبره في تنقله من عسكرٍ إلى عسكر، ثم استئمانه، جماعةٌ من شيوخنا، فذكروه متفرقاً فابتدأت بأسانيدهم، وجمعت خبره من روايتهم.

فأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكارٍ، قال: حدثني اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس، ببعضه، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا يحيى بن سعيدٍ الأموي، وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي، قال: حدثنا محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا محمد بن كناسة، وأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل، ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلبٍ، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبةٌ، قالوا: كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب، وكان متسرعاً إلى الفتن، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص، فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير، فكان معه حتى قتل، ثم اندس إلى عبد الملك فكلم فيه فأمنه.

هذه رواية ثعلب، وقال العنزي وابن سعد في روايتهما: لما قتل عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس، فدخل حجرةً، فقال له: مالك يا هذا لا تأكل؟ قال: لا أستحل أن آكل حتى تأذن لي. قال: إني قد أذنت للناس جميعاً. قال: لم أعلم فآكل بأمرك. قال: كل. فأكل، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله، فلما أكل الناس وجلس عبد الملك في مجلسه، وجلس خواصه بين يديه، وتفرق الناس، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده:

أبلغ أمير المؤمنين فإنني مما لقيت من الحوادث موجع

منع القرار فجئت نحوك هاربا جيش يجر ومقنبٌ يتلمع

فقال عبد الملك: وما خوفك لا أم لك، لولا أنك مريبٌ! فقال عبد الله:

إن البلاد علي وهي عريضةٌ وعرت مذاهبها وسد المطلع

فقال له عبد الملك: ذلك بما كسبت يداك، وما الله بظلامٍ للعبيد، فقال عبد الله:

كنا تنحلنا البصائر مرةً وإليك إذ عمي البصائر نرجع

إن الذي يعصيك منا بعدها من دينه وحياته متودع

آتي رضاك ولا أعود لمثلها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع

أعطي نصيحتي الخليفة ناخعا وخزامة الأنف المقود فأتبع

فقال له عبد الملك: هذا لا نقبله منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك؟ فإذا عرفت الحوبة قبلنا التوبة. فقال عبد الله:

ولقد وطئت بني سعيد وطأةً وابن الزبير فعرشه متضعضع

فقال عبد الملك: لله الحمد والمنة على ذلك. فقال عبد الله:

ما زلت تضرب منكباً عن منكبٍ تعلو ويسفل غيركم ما يرفع

ووطئتم في الحرب حتى أصبحوا حدثاً يكوس وغابراً يتجعجع

فحوى خلافتهم ولم يظلم بها القرم قرم بني قصي الأنزع

لا يستوي خاوي نجوم أفلٍ والبدر منبلجاً إذا ما يطلع

وضعت أمية واسطين لقومهم ووضعت وسطهم فنعم الموضع

بيتٌ أبو العاصي بناه بربوةٍ عالي المشارف عزه ما يدفع

فقال له عبد الملك: إن توريتك عن نفسك لتريبني، فأي الفسقة أنت؟ وماذا تريد؟ فقال:

حربت أصيبيتى يدٌ أرسلتها وإليك بعد معادها ما ترجع

وأرى الذي يرجو تراث محمدٍ أفلت نجومهم ونجمك يسطع

فقال عبد الملك: ذلك جزاء أعداء الله. فقال عبد الله بن الحجاج:

فانعش أصيبيتى الألاء كأنهم جحلٌ تدرج بالشربة جوع

فقال عبد الملك: لا أنعشهم الله، وأجاع أكبادهم، ولا أبقى وليداً من نسلهم، فإنهم نسل كافرٍ فاجرٍ لا يبالي ما صنع. فقال عبد الله:

مالٌ لهم مما يضن جمعته يوم القليب فحيز عنهم أجمع

فقال له عبد الملك: لعلك أخذته من غير حله، وأنفقته في غير حقه، وأرصدت به لمشاقة أولياء الله، وأعددته لمعاونة أعدائه، فنزعه منك إذ استظهرت به على معصية الله. فقال عبد الله:

أدنو لترحمني وتجبر فاقتي فأراك تدفعني فأين المدفع

فتبسم عبد الملك، وقال له: إلى النار، فمن أنت الآن؟ قال: أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبي، وقد وطئت دارك وأكلت طعامك، وأنشدتك، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه، وأنت بما عليك في هذا عارف. ثم عاد إلى إنشاده فقال:

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني فثوبك أوسع

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه، وقال: البسه، لا لبست! فالتحف به، ثم قال له عبد الملك: أولى لك والله، لقد طاولتك طمعاً في أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك، فأبى الله ذلك، فلا تجاورني في بلدٍ، وانصرف آمناً، قم حيث شئت.

قال اليزيدي في خبره: قال عبد الله بن الحجاج: ما زلت أتعرف منه كل ما أكره حتى أنشدته قولي:

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني فثوبك أوسع

فرمى عبد الملك مطرفه، وقال: البسه. فلبسته.

ثم قال: آكل يا أمير المؤمنين؟ قال: كل. فأكل حتى شبع، ثم قال: أمنت ورب الكعبة؟ فقال: كن من شئت إلا عبد الله بن الحجاج. قال: فأنا والله هو، وقد أكلت طعامك، ولبست ثيابك، فأي خوفٍ علي بعد ذلك؟ فأمضى له الأمان.

ونسخت عن كتاب أحمد بن يحيى ثعلب بن ابن الأعرابي، قال: كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفي الشاري، فلما انقضى أمره هرب، وضاقت عليه الأرض من شدة الطلب، فقال في ذلك:

رأيت بلاد الله وهي عريضةٌ على الخائف المطرود كفة حابل

تؤدي إليه أن كل ثنية تيممها ترمي إليه بقاتل

قال: ثم لجأ إلى أحيح بن خالد بن عقبة بن أبي معيطٍ، فسعى به إلى الوليد بن عبد الملك، فبعث إليه بالشرط، فأخذ من دار أحيح، فأتي به الوليد فحبسه، فقال وهو في الحبس:

أقول وذاك فرط الشوق مني لعيني إذ نأت ظمياء فيضي

فما للقلب صبرٌ يوم بانت وما للدمع يسفح من مغيض

كأن معتقاً من أذرعات بماء سحابة خصرٍ فضيض

بفيها إذ تخافتني حياءً بسرٍ لا تبوح به خفيض

يقول فيها:

فإن يعرض أبو العباس عني ويركب بي عروضاً عن عروض
ويجعل عرفه يوماً لغيري وبيغضني فإني من بغيض
فإني ذو غنًى وكريم قومٍ وفي الأكفاء ذو وجهٍ عريض
غلبت بني أبي العاصي سماحاً وفي الحرب المذكرة العضوض
خرجت عليهم في كل يومٍ خروج القدح من كف المفيض
فدًى لك من إذا ما جئت يوماً تلقاني بجامعة ربوض
على جنب الخوان وذاك لؤمٌ وبئست تحفة الشيخ المريض
كأني إذ فزعت إلى أحيحٍ فزعت إلى مقوقيةٍ بيوض
إوزة غيضةٍ لقحت كشافاً لقحقحها إذا درجت نقيض

قال: فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك، فقال يا أمير المؤمنين: إن عبد الله بن الحجاج قد هجاك قال: بماذا؟ فأنشده قوله:

فإن يعرض أبو العباس عني ويركب بي عروضاً عن عروض
ويجعل عرفه يوماً لغيري وبيغضني فإني من بغيض

فقال الوليد: وأي هجاءٍ هذا! هو من بغيض إن أعرضت عنه، أو أقبلت عليه، أو أبغضته، ثم ماذا؟ فأنشده:

كأني إذ فزعت إلى أحيحٍ فزعت إلى مقوقيةٍ بيوض

فضحك الوليد، ثم قال: ما أراه هجا غيرك. فلما خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجاج، فأطلق. وكان الوليد إذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه.

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة. وحدثني يعقوب بن القاسم الطلحي، قال: حدثني غير واحدٍ، منهم عبد الرحمن بن محمدٍ الطلحي، قال: حدثني أحمد بن معاوية، قال: سمعت أبا علقمة الثقفي يحدث. قال أبو زيدٍ: وفي حديث بعضهم ما ليس في حديث الآخر، وقد ألفت ذلك، قال:

كان كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصة بن يزيد بن شداد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب، على ثغر الري، ولاه إياه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة، وكان

عبد الله بن الحجاج معه، فأغار الناس على الديلم، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلاً منهم، فأخذ سلبه، فانتزعه منه كثير، وأمر بضربه، فضرب مائة سوطٍ، وحبس، فقال عبد الله في ذلك، وهو محبوس:

تسأل سلمى عن أبيها صحابه ... وقد علقته من كثيرٍ حبائل

فلا تسألي عني الرفاق فإنه ... بأبهر لا غازٍ ولا هو قافل

ألست ضربت الديلمي أمامهم ... فجدلته فيه سنانٌ وعامل

فمكث في الحبس مدةً، ثم أخلي سبيله، فقال:

سأترك ثغر الري ما كنت والياً ... عليه لأمر غالني وشجاني

فإن أنا لم أدرك بثأري وأثئر ... فلا تدعني للصيد من غطفان

تمنيتني يا بن الحصين سفاهةً ... ومالك بي يا بن الحصين يدان

فإني زعيمٌ أن أجلل عاجلاً ... بسيفي كفاحاً هامة ابن قنان

قال: فلما عزل كثيرٌ وقدم الكوفة كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التمارين - وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة - وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يحدث المغيرة، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال، وخرج من عنده ممسياً يريد داره، فضربه عبد الله بعمود حديدٍ على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها، وقال في ذلك:

من مبلغٌ قيساً وخندف أنني ... ضربت كثيراً مضرب الظربان

فأقسم لا تنفك ضربة وجهه ... تذل وتخزي الدهر كل يمان

فإن تلقني تلق أمراً قد لقيته ... سريعاً إلى الهيجاء غير جبان

وتلق أمراً لم تلق أمك بره ... على سابح غوج اللبان حصان

وحولي من قيسٍ وخندف عصبةٌ ... كرامٌ على البأساء والحدثان

وإن تك للسنخ الذي غص بالحصى ... فإني لقرمٍ يا كثير هجان

أنا ابن بني قيس علي تعطفت ... بغيض بن ريثٍ بعد آل دجان

من مبلغ قيساً وخندف أنني ... أدركت مظلمتي من ابن شهاب

أدركته أجرى على محبوكةٍ ... سرح الجراء طويلة الأقراب

جرداء سرحوبٍ كأن هويها ... تعلو بجؤجئها هوي عقاب

خضت الظلام وقد بدت لي عورةٌ ... منه فأضربه على الأنياب

فتركته يكبو لفيه وأنفه ذهل الجنان مضرج الأثواب

هلا خشيت وأنت عادٍ ظالمٌ بقصور أبهر نصرتي وعقابي

إذ تستحل، وكان ذاك مجرماً، جلدي وتنزع ظالماً أثوابي

ما ضره والحر يطلب وتره بأشم لا رعشٍ ولا قبقاب

قال: فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية: إن سيدنا ضربه خسيسٌ من غطفان، فإن رأيت أن تقيدنا من أسماء بن خارجة. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: ما رأيت كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء. وحبس عبد الله بن الحجاج، وكتب إليهم: "إن القود ممن لمن يجن محظورٌ ، والجاني محبوسٌ، حبسته فليقتص منه المجني عليه". فقال كثير بن شهابٍ: لا أستقيدها إلا من سيد مضر. فبلغ قوله معاوية فغضب وقال: أنا سيد مضر فليستقدها مني، وأمن عبد الله بن الحجاج، وأطلقه، وأبطل ما فعله بابن شهاب، فلم يقتص ولا أخذ له عقلاً. عفو كثير عن عبد الله بن الحجاج.

إن عبد الله بن الحجاج لما ضربه بالعمود، قال له: أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالري، وقد قابلتك بما فعلت بي، ولم أكن لأكتمك نفسي، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقودٍ لأقتلنك. فقال له: أنا أقتص من مثلك، والله لا أرضى بالقصاص إلا من أسماء بن خارجة! وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة، فكتب معاوية إلى المغيرة: أن أحضر كثيراً وعبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتص كثير أو يعفو. فأحضرهما المغيرة، فقال قد عفوت؟ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله. قال: وقال لي: يا أبا الأقيرع، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان، وقد عفوت عنك.

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال: كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما: عوين، والثاني جندب، فمات جندب وعبد الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة، فمر أخوه عوين بحراثٍ إلى جانب قبر جندب، فنهاه أن يقربه بفدانه، وحذره ذلك، فلما كان الغد وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضر به، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه. وقال:

أقول لحراثي حريمي جنبا فدانيكما لا تحرثا قبر جندب

فإنكما إن تحرثاه تشردا ويذهب فدانٌ منكما كل مذهب

قال: فأخذ عوين، فاعتقله السجان، فضربه حتى شغله بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه، وأمر بألا يتعقب، فقال عبد الله بن الحجاج، يذكر ما كان من ابنه عوين:

لمثلك يا عوين فدتك نفسي نجا من كربةٍ إن كان ناجي

عرفتك من مصاصٍ السنخ لما تركت ابن العكامس في العجاج

قال: ولما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مثل بين يديه، فأنشده:

يا بن أبي العاصي ويا خير فتى ... أنت النجيب والخيار المصطفى

أنت الذي لم تدع الأمر سدى ... حين كشفت الظلمات بالهدى

ما زلت إن نازٍ على الأمر انتزى ... قضيته إن القضاء قد مضى

كما أذقت ابن سعيدٍ إذ عصى ... وابن الزبير إذ تسمى وطغى

وأنت إن عد قديم وبنى ... من عبد شمس في الشماريخ العلى

جيبت قريشٌ عنكم جوب الرحى ... هل أنت عافٍ عن طريد قد غوى

أهوى على مهواة بئرٍ فهوى ... رمى به جولٌ إلى جول الرجا

فتجبر اليوم به شيخاً ذوى ... يعوي مع الذئب إذا الذئب عوى

وإن أراد النوم لم يقض الكرى ... من هول ما لاقى وأهوال الردى

يشكر ذاك ما نفت عينٌ قذى ... نفسي وآبائي لك اليوم الفدا

فأمر عبد الملك بتحمل ما يلزم ابنه من غرم وعقل، وأمنه.

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال: وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه، فأجزل صلته، وأمره بأن يقيم عنده ففعل، فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشرٍ، أن يمنعه عطاءه، فمنعه، ورجع عبد الله لما أضر به ذلك إلى عبد العزيز، وقال يمدحه:

تركت ابن ليلى ضلةً وحريمه ... وعند ابن ليلى معقل ومعول

ألم يهدني أن المراغم واسعٌ ... وأن الديار بالمقيم تنقل

سأحكم أمري إن بدا لي رشده ... وأختار أهل الخير إن كنت أعقل

وأترك أوطاري وألحق بامرىءٍ ... تحلب كفاه الندى حين يسأل

أبت لك يا عبد العزيز مآثرٌ ... وجريٌ شأى جري الجياد وأول

أبي لك إذ أكدوا وقل عطاؤهم ... مواهب فياض ومجدٌ مؤثل

أبوك الذي ينميك مروان للعلى ... وسعد الفتى بالخال لا من يخول

فقال له عبد العزيز: أما إذ عرفت موضع خطئك، واعترفت به فقد صفحت عنك. وأمر بإطلاق عطائه، ووصله، وقال له: أقم ما شئت عندنا، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت.

ونسخت من كتابه أيضاً: كان عمر بن هبيرة بن معية بن سكينٍ قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقاً له، واستعان عليه بقومه، فلقوه في بعلبك، فعاونوا عبد الله بن الحجاج عليه، وفرقوه بالسياط حتى انتزعوا حقه منه، فقال عبد الله في ذلك:

ألا أبلغ بني سعدٍ رسولاً ودونهم بسيطة فالمعاط
أميطوا عنكم ضرط ابن ضرطٍ فإن الخبث مثلهم يماط
ولي حقٌ فراطة أولينا قديماً والحقوق لها افتراط
فما زالت مباسطتي ومجدي وما زال التهايط والمياط
وجدي بالسياط عليك حتى تركت وفي ذناباك انبساط
متى ما تعترض يوماً لحقي تلاقك دونه سعرٌ سباط
من الحيين ثعلبة بن سعدٍ ومرة أخذ جمعهم اعتباط

تراهم في البيوت وهم كسالى وفي الهيجا إذا هيجوا نشاط

والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولها:

نأتك ولم تخش الفراق جنوب وشطت نوى بالظاعنين شعوب
طربت إلى الحي الذين تحملوا ببرقة أحوازٍ وأنت طروب
فظلت كأني ساورتني مدامةٌ تمنى بها شكس الطباع أريب
تمر وتستحلي على ذاك شربها لوجه أخيها في الإناء قطوب
كميت إذا صبت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب
تذكرت ذكرى من جنوب مصيبة وما لك من ذكرى جنوب نصيب
وأنى ترجي الوصل منها وقد نأت وتبخل بالموجود وهي قريب
فما فوق وجدي إذ نأت وجد واجدٍ من الناس لو كانت بذاك تثيب
برهرهةٌ خود كأن ثيابها على الشمس تبدو تارةً وتغيب

وهي قصيدةٌ طويلة.

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال: كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرفه آثار عبد الله بن

الحجاج، وبلاءه من محاربته، وأنه بلغه أنه أمنه، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولى قتله وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج، فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك، ثم أنشده:

أعوذ بثوبيك اللذين ارتداهما ... كريم الثنا من جيبه المسك ينفح

فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي ... وإن كنت مذبوحاً فكن أنت تذبح

فقال عبد الملك: ما صنعت شيئاً. فقال عبد الله:

لأنت وخير الظافرين كرامهم ... عن المذنب الخاشي العقاب صفوح

ولو زلقت من قبل عفوك نعله ... ترامى به دحض المقام بريح

نمى بك إن خانت رجالاً عروقهم ... أرومٌ ودينٌ لم يخنك صحيح

وعرفٌ سرى لم يسر في الناس مثله ... وشأوٌ على شأو الرجال متوح

تداركني عفو ابن مروان بعدما ... جرى لي من بعد الحياة سنيح

رفعت مريحاً ناظري ولم أكد ... من الهم والكرب الشديد أريح

فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إني قد عرفت من خبث عبدالله وفسقه ما لا يزيدني علماً به، إلا أنه اغتفلني متنكراً، فدخل داري، وتحرم بطعامي، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي، وأعاذني فأعذته، وفي دون هذا ما حظر علي دمه، وعبد الله أقل وأذل من أن يوقع أمراً، أو ينكث عهداً في قتله خوفاً من شره، فإن شكر النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه، وإن كفر ما أوتي وشاق الله ورسوله وأولياءه فالله بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشد بأساً وشكيمة منه، من الملحدين، فلا تعرض له ولا لأحدٍ من أهل بيته إلا بخيرٍ، والسلام.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت في القريتين بركةٌ من ماء، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دعكنة لا يدخل البركة معه أحدٌ إلا غطه حتى يغلبه، فغط يومها فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً، فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ: اللهم اصبب علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجاج. فكان أول رجل انحدرت به راحلته، فأناخها، ونزل، فقال ابن هبيرة للوليد: هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين، أيهما أخزى الله صاحبه به. فأمره الوليد أن ينحط عليه في البركة والكلبي فيها واقفٌ متعرضٌ للناس وقد صدوا عنه. فقال له: يا أمير المؤمنين إني أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلا بقتله، أو أقتله فلا ترضى قومه إلا بمثل ذلك، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولست بصاحب مال. فقال دعنكة: يا أمير المؤمنين هو في حل وأنا في حل. فقال له الوليد: دونك. فتكأكأ ساعةً كالكاره حتى عزم عليه الوليد، فدخل البركة، فاعتنق الكلبي وهوى به إلى قعرها، ولزمه حتى وجد الموت، ثم خلى عنه، فلما علا غطه غطة ثانية، وقام عليه ثم أطلقه حتى تروح، ثم أعاده وأمسكه حتى مات، وخرج ابن الحجاج وبقي الكلبي،

فغضب الوليد وهم به، فكلمه يزيد وقال: أنت أكرهته، أفكان يمكن الكلبي من نفسه حتى يقتله؟ فكف عنه. فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك:

نجاني الله فرداً لا شريك له ... بالقريتين ونفسٌ صلبة العود
وذمة من يزيدٍ حال جانبها ... دوني فأنجيت عفواً غير مجهود
لولا الإله وصبري في مغاطستي ... كان السليم وكنت الهالك المودي
يا حبذا عمل الشيطان من عمل ... إن كان من عمل الشيطان حبيها
لنظرةٌ من سليمى اليوم واحدةٌ ... أشهى إلي من الدنيا وما فيها

الشعر لناهض بن ثومه الكلابي، أنشدنيه هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: أنشدنا الرياشي قال: أنشدنا ناهض بن ثومة أبو العطاف الكلابي هذين البيتين لنفسه. وأخبرني بمثل ذلك عمي من الكراني عن الرياشي، والغناء لأبي العبيس ابن حمدون ثقيلٌ أول ينشد بالوسطى.

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدويٌّ فارس فصيح، من الشعراء في الدولة العباسية، وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة. روى عنه الرياشي، وأبو سراقة، ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وكان يهجوه رجلٌ من بني الحارث بن كعبٍ، يقال له: نافع بن أشعر الحارثي، فأثرى عليه ناهض فمما قاله في جواب قصيدةٍ هجا بها قبائل قيسٍ، قصيدة ناهضٍ التي أولها:

ألا يا أسلما يأيها الطللان ... وهل سالمٌ باقٍ على الحدثان
أبينا لنا حبيتما اليوم إننا ... مبينان عن ميلٍ بما تسلان
متى العهد من سلمى التي بتت القوى ... وأسماء إن العهد منذ زمان
ولا زال ينهل الغمام عليكما ... سبيل الربى من وابلٍ ودجان
فإن أنتما بينتما أو أجبتما ... فلا زلتما بالنبت ترتديان
وجر الحرير والفرند عليكما ... بأذيال رخصات الأكف هجان
نظرت ودوني قيد رمحين نظرةً ... بعينين إنساناهما غرقان
إلى ظعن بالعاقرين كأنها ... قرائن من دوح الكثيب ثمان
لسلمى وأسماء اللتين أكنتا ... بقلبي كنيني لوعةٍ وضمان

عسى يعقب الهجر الطويل تدانيا ... ويا رب هجرٍ معقبٍ بتداني

خليلي قد أكثرتما اللوم فاربعا ... كفاني ما بي لو تركت كفاني

إذا لم تصل سلمى وأسماء في الصبا ... بحبليهما حبلي فمن تصلان

فدع ذا ولكن قد عجبت لنافع ... ومعواه من نجران حيث عواني

عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه ... مقيماً بلوذي يذبلٍ وذقان

لعمري لقد قال ابن أشعر نافعٌ ... مقالة موطوء الحريم مهان

أيزعم أن العامري لعفله ... بعاقبةٍ يمرى به الرجوان

ويذكر إن لاقاه زلة نعله ... فجيء للذي لم يستبن ببيان

كذبت ولكن بابن علبة جعفرٍ ... فدع ما تمنى زلت القدمان

أصيب فلم يعقل وطل فلم يقد ... فذاك الذي يخزى به الأبوان

وحق لمن كان ابن أشعر ثائراً ... به الطل حتى يحشر الثقلان

ذليلٌ ذليل الرهط أعمى يسومه ... بنو عامر ضيماً بكل مكان

فلم يبق إلا قوله بلسانه ... وما ضر قولٌ كاذبٌ بلسان

هجا نافعٌ كعباً ليدرك وتره ... ولم يهج كعبٌ نافعاً لأوان

ولم تعف من آثار كعبٍ بوجهه ... قوارع منها وضحٌ وقوان

وقد خضبوا وجه ابن علبة جعفرٍ ... خضاب نجيع لا خضاب دهان

فلم يهج كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ ... بسيف ولم يطعنهم بسنان

فما لك مهجىً يا بن أشعر فاكتعم ... على حجر واصبر لكل هوان

إذا المرء لم ينهض فيثأر بعمه ... فليس يجلى العار بالهذيان

أبي قيس عيلانٍ وعمي خندفٌ ... ذوا البذخ عند الفجر والخطران

إذا ما تجمعنا وسارت حذاءنا ... ربيعة لم يعدل بنا أخوان

أليس نبي الله منا محمد ... وحمزة والعباس والعمران

ومنا ابن عباسٍ ومنا ابن عمه ... عليٌ إمامٌ الحق والحسنان

وعثمان والصديق منا وإننا لنعلم أن الحق ما يعدان

ومنا بنو العباس فضلاً فمن لكم هلموه أو لا ينطقن يمان

قال: فأنشد ناهضٌ هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة، وعنده خالٌ له من الأنصار، فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري: أخرسنا أخرسه الله! وكان جده نصيحٌ شاعراً، وهو الذي يقول:

ألا من لقلبٍ في الحجاز قسيمه ومنه بأكناف الحجاز قسيم

معاود شكوى أن نأت أم سالمٍ كما يشتكي جنح الظلام سليم

سليمٌ لصلٍّ أسلمته لما به رقًى قل عنه دفعها وتميم

فلم ترم الدار البريصاء فالصفا صفاها فخلاها فأين تريم

وقفت عليها بازلاً ناهجيةً إذا لم أزعها بالزمام تعوم

كنازاً من اللاتي كأن عظامها جبرن على كسرفهن عثوم

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه، قال:

كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدي قثم فيمدحه، ويصله جدي وغيره، وكان بدوياً جافياً كأنه من الوحش، وكان طيب الحديث، فحدثه يوماً: أنهم انتجعوا ناحية الشام، فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان يترل حلب، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه، وكان براً به، قال: فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً قد ضم بعضها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثيابٌ تحكي ألوان الزهر، فقلت في نفسي: هذا أحد العيدين: الأضحى أو الفطر. ثم ثاب إلي ما عزب عن عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي أرى؟ فبينا أنا واقفٌ متعجب أتاني رجل فأخذ بيدي، فأدخلني داراً قوراء، وأدخلني منها بيتاً قد نجد في وجهه فرش ومهدت، وعليها شابٌ ينال فروع شعره منكبيه، والناس حوله سماطان، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حكي لنا جلوسه على الناس وجلوس الناس بين يديه، فقلت وأنا ماثل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. فجذب رجلٌ يدي، وقال: اجلس فإن هذا ليس بأمير. قلت: فما هو؟ قال: عروس. فقلت: واثكل أماه، لرب عروسٍ رأيته بالبادية أهون على أهله من هن أمه. فلم أنشب أن دخل رجالٌ يحملون هنات مدورات، أما ما خف منها فيحمل حملاً، وأما ما كبر وثقل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا، وتحلق القوم عليه حلقاً، ثم أتينا بخرقٍ بيضٍ فألقيت بين أيدينا، فظننتها ثياباً، وهممت أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً، وذلك أني رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سدًى ولا لحمة، فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً، وإذا هو - فيما زعموا - صنفٌ من الخبز لا أعرفه، ثم أتينا بطعام كثيرٍ بين حلوٍ وحامضٍ، وحار وباردٍ، فأكثرت منه وأنا لا

أعلم ما في عقبه من التخم والبشم، ثم أتينا بشرابٍ أحمر في عساس، فقلت: لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني. وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابي إنك قد أكثرت من الطعام، وإن شربت الماء همى بطنك. فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي، قالوا: لا تزال حياً ما كان بطنك شديداً فإذا اختلف فأوص. فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلت أكثر منه فلا أمل شربه، فتداخلني من ذلك صلفٌ لا أعرفه من نفسي، وبكاءٌ لا أعرف سببه ولا عهد لي بمثله، واقتدارٌ على أمري أظن معه أني لو أردت نيل السقف لبلغته، ولو ساورت الأسد لقتلته، وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتحدثني نفسي بهتم أسنانه وهشم أنفه، وأهم أحياناً أن أقول له: يا ابن الزانية! فبنا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة، أحدهم قد علق في عنقه جعبة فارسية مشنجة الطرفين دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً، ثم بدر الثاني فاستخرج من كمه هنةً سوداء كفيشلة الحمار، فوضعها في فيه، وضرط ضراطاً لم أسمع - وبيت الله - أعجب منه، فاستتم بها أمرهم، ثم حرك أصابعه على أجحرةٍ فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ولكنه أتى منها لما حرك أصابعه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكل بعضه لبعض، كأنه، علم الله، ينطق. ثم بدا ثالث كزٌ، مقيت عليه قميص وسخ، معه مرآتان، فجعل يصفق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان، ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان لا ساق لواحدٍ منهما، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب، ثم التبط به على الأرض، فقلت: معتوهٌ ورب الكعبة! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي. ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً، ثم أرسل النساء إلينا: أن أمتعونا من لهوكم هذا. فبعثوا بهم، وجعلنا نسمع أصواتهن من بعدٍ، وكان معنا في البيت شابٌ لا آبه له، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرها، فيها خيوطٌ أربعة، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه، ثم عرك آذانها وحركها بخشبة في يده فنطقت - ورب الكعبة - وإذا هي أحسن قينةٍ رأيتها قط وغنى عليها، فأطربني حتى استخفني من مجلسي، فوثبت فجلست بين يديه، وقلت: بأبي أنت وأمي، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلا قريباً. فقال: هذا البربط؟ فقلت بأبي أنت وأمي، فما

هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزير. قلت: فالذي يليه؟ قال: المثنى. قلت: فالثالث؟ المثلث. قلت: فالأعلى؟ قال: البم. قلت: آمنت بالله أولاً، وبك ثانياً، وبالبرط ثالثاً، وبالبم رابعاً.

قال: فضحك أبي، والله، حتى سقط، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكه، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث، ويطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه.

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال: كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب، فأتاه أعرابيٌ، فقال له: حدث أبا عبد الله - يعني الهيثم بن النخعي - بما رأيت في حاضر المسلمين. فحدثه بنحوٍ من هذا الحديث، ولم يسم الأعرابي باسمه، وما أجدره بأن يكون لم

يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفه الذي حدث به النوفلي عنه.

نسخت من كتاب لعلي بن محمد الكوفي فيه شعر ناهض بن ثومة قال: كان رجلٌ من بني كعب قد تزوج امرأة من بني كلاب، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلقها، وأقام بموضعه في بني كلاب، وكان لا يزالون يتسخفون به ويظلمونه، وإن رجلاً منهم أورد إبله الماء فوردت إبل الكعبي عليها، فزاحمته، لكنها ألقته على ظهره فتكشف، فقام مغضباً بسيفه إلى إبل الكعبي، فعقر منها عدةً، وجلاها عن الحوض، ومضى الكعبي مستصرخاً بني كلاب على الرجل، فلم يصرخوه، فساق باقي إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم، فغضبوا له، وركبوا معه حتى أتوا حلة بني كلاب، فاستاقوا إبل الرجل الذي عقر لصاحبهم، ومضى الرجل فجمع عشيرته، وتداعت هي وكعبٌ للقتال، فتحاربوا في ذلك حرباً شديداً، وتمادى الشر بينهم، حتى تساعى حلماؤهم في القضية، فأصلحوها على أن يعقل القتلى والجرحى، وترد الإبل، وترسل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي، فتراضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الألفة، فقال في ذلك ناهض بن ثومة:

أمن طلل بأخطب أبدته ... نجاء الوبل والديم النضاح

ومر الدهر يوماً بعد يوم ... فما أبقى المساء ولا الصباح

فكل محلة عنيت بسلمى ... لريدات الرياح بها نواح

تطل على الجفون الحزن حتى ... دموع العين ناكزةٌ نزاح

وهي طويلةٌ يقول فيها:

هنيئاً للعدى سخطٌ ورغمٌ ... وللفرعين بينهما اصطلاح

وللعين الرقاد فقد أطالت ... مساهرةً وللقلب انتجاح

وقد قال العداة نرى كلاباً ... وكعباً بين صحلهما افتتاح

تداعوا للسلام وأمر نجح ... وخير الأمر ما فيه النجاح

ومدوا بينهم بحبال مجدٍ ... وثديٍ لا أجد ولا ضياح

ألم تر أن جمع القوم يحشى ... وأن حريم واحدهم مباح

وأن القدح حين يكون فردا ... فيهصر لا يكون له اقتداح

وإنك إن قبضت بها جميعاً ... أبت ما سمت واحدها القداح

أنا الخطار دون بني كلاب ... وكعبٍ إن أتيح لهم متاح

أنا الحامي لهم ولكل قرمٍ ... أخٌ حامٍ إذا جد النضاح

أنا الليث الذي لا يزدهيه ... عواء العاويات ولا النباح
سل الشعراء عني هل أقرت ... بقلبي أو عفت لهم الجراح
فما لكواهل الشعراء بدٌّ ... من القتب الذي فيه لحاح
ومن توريك راكبه عليهم ... وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره، أن وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر، وكانت لكلاب على بني نمير، وأن نميراً استغاثت ببني تميم، ولجأت إلى مالك بن زيدٍ سيد تميم يومئذٍ بديار مضر، فمنع تميماً من إنجادهم، وقال: ما كنا لنلقى بين قيس وخندف دماءً نحن عنها أغنياء، وأنتم وهم لنا أهلٌ وإخوة، فإن سعيتم في صلح عاونا، وإن كانت حمالة أعنا، فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها. فقال ناهض بن ثومة في ذلك:

سلام الله يا مال بن زيد ... عليك وخير ما أهدى السلاما
تعلم أينا لكم صديق ... فلا تستعجلوا فينا الملاما
ولكنا وحي بني تميم ... عداةٌ لا نرى أبداً سلاما
وإن كنا تكافقنا قليلا ... كحرف السيف ينهار انهداما
وهيض العظم يصبح ذا انصداع ... وقد ظن الجهول به التئاما
فلن ننسى الشباب المرد منا ... ولا الشيب الجحاجح والكراما
ونوح نوائح منا ومنهم ... مآتم ما تجف لهم سجاما
فكيف يكون صلحٌ بعد هذا ... يرجي الجاهلون لهم تماما
ألا قل للقبائل من تميم ... وخص لمالكٍ فيها الكلاما
فزيدوا يا بني زيدٍ نميرا ... هوانا إنه يداني الفطاما
ولا تبقوا على الأعداء شيئاً ... أعز الله نصركم وداما
وجدت المجد في حيي تميم ... ورهط الهذلق الموفي الذماما
نجوم القوم ما زالوا هداةً ... وما زالوا لآبيهم زماما
هم الرأس المقدم من تميم ... وغاربها وأوفاها سناما
إذا ما غاب نجمٌ آب نجم ... أغر نرى لطلعته ابتساما

فهذي لابن ثومة فانسبوها إليه لا اختفاء ولا اكتتاما

وإن رغمت لذاك بنو نميرٍ فلا زالت أنوفهم رغاما

قال: يعني بالهذلق الهذلق بن بشير، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب، وابنيه علقمة وصباحاً.

قال: وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تصب كلاباً ولا نميراً، فلما ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض:

ألا هل أتى كعباً على نأي دراهم وخذلانهم أنا سررنا بني كعب

بما لقيت منا نميرٌ وجمعها غداة أتينا في كتائبنا الغلب

فيا لك يوماً بالحمى لا نرى له شبيهاً وما في يوم شيبان من عتب

أقامت نمير بالحمى غير رغبة فكان الذي نالت نمير من النهب

رؤوسٌ وأوصالٌ يزايل بينها سباعٌ تدلت من أبانين والهضب

لنا وقعاتٌ في نمير تتابعت بضيمٍ على ضيم ونكبٍ على نكب

وقد علمت قيس بن عيلان كلها وللحرب أبناءٌ بأنا بنو الحرب

ألم ترهم طراً علينا تحزبوا وليس لنا إلا الرديني من حزب

وإنا لنقتاد الجياد على الوجى لأعدائنا من لا مدان ولا صقب

ففي أي فجٍّ ما ركزنا رماحنا مخوفٍ بنصب للعدا حين لا نصب

أخبرنا جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني غرير بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير يقال له: رأس الكبش، قد هاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زماناً، وتناقضا الشعر بينهما مدة، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال:

رأيتكما يا بني ربيعة خرتما وعولتما والحرب ذات هرير

وصدقتما قول الفرزدق فيكما وكذبتما بالأمسر قول جرير

فإن أنتما لم تقذعا الخيل بالقنا فصيرا مع الأنباط حيث تصير

تسومكما بغيا نميرٌ هضيمةً ستنجد أخبارٌ بهم وتغور

قال: فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر، حتى أتوا نميراً وهم في هضبات يقال لهن وارداتٌ، فقتلوا واجتاحوا، وفضحوا نميراً، ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومة يجيب عمارة عن قوله:

يحضضنا عمارة في نمير ليشغلهم بنا وبه أرابوا

ويزعم أننا حزنا وأنا لهم جار المقربة المصاب
سلوا عن نميراً هل وقعنا بنزوتها التي كانت تهاب
ألم تخضع لهم أسدٌ ودانت لهم سعد وضبة والرباب
ونحن نكرها شعثاً عليهم عليها الشيب منا والشباب
رغبنا عن دماء بني قريع إلى القلعين إنهما اللباب
صبحناهم بأرعن مكفهرٍّ يدف كأن رأيته العقاب
أجش من الصواهل ذي دوي تلوح البيض فيه والحراب
فأشعل حين حل بواردات وثار لنقعه ثم انصباب
صبحناهم بها شعث النواصي ولم يفتق من الصبح الحجاب
فلم تغمد سيوف الهند حتى تعيلت الحليلة والكعاب
أعرفت من سلمى رسوم ديار بالشط بين مخفقٍ وصحار
وكأنما أثر النعاج بجوها بمدافع الركبين ودع جواري
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياء جاهلةً عن الأخبار
فكأن عيني غرب أدهم داجنٍ متعود الإقبال والإدبار

الشعر للمخبل السعدي، والغناء لإبراهيم، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال الهشامي: فيه لإبراهيم ثقيلٌ أول، ولعنان بنت خوطٍ خفيف رمل.

أخبار المخبل ونسبه

قال ابن الكلبي: اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابن حبيب وأبو عمرو: اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعرٌ فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد. وإياه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

ذو القروح: امرؤ القيس. وجرول: الحطيئة. وأبو يزيد: المخبل. وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل. وهو من المقلين، وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنهما وهو شيخ كبير. وكان له ابن، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى بلغ خبره عمر، فرده عليه.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد. قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال: هاجر شيبان بن المخبل السعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبل جزعاً شديداً، وكان قد أسن وضعف، فافتقر إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يغلب على عقله، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك، وأعطاه مالاً وفرساً، وقال: أنا أكلم أمير المؤمنين عمر في رد ابنك، فإن فعل غنمت مالك. وأقمت في قومك، وإن أبى استنفقت ما أعطيتك ولحقت به، وخلفت إبلك لعيالك. ثم مضى إلى عمر - رضوان الله عنه - فأخبره خبر المخبل، وجزعه على ابنه، وأنشده قوله:

أيهلكني شيبان في كل ليلة ... لقلبي من خوف الفراق وجيب
أشيبان ما أدراك أن كل ليلة ... غبقتك فيها والغبوق حبيب
غبقتك عظماها سناماً أو انبرى ... برزقك براق المتون أريب
أشيبان إن تأبى الجيوش بحدهم ... يقاسون أياماً لهن حطوب
ولا هم إلا البز أو كل سابح ... عليه فتًى شاكي السلاح نجيب
يذودون جند الهرمزان كأنما ... يذودون أوراد الكلاب تلوب
فإن يك غصني أصبح اليوم ذاوياً ... وغصنك من ماء الشباب رطيب
فإني حنت ظهري خطوبٌ تتابعت ... فمشي ضعيفٌ في الرجال دبيب
إذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبان أن لمن يعقني ... تعق إذا فارقتني وتحوب
فلا تدخلن الدهر قبرك حويةً ... يقوم بها يوماً عليك حسيب

يعني بقوله حسيب الله عز ذكره.

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له، فكتب إلى سعد يأمره أن يقفل شيبان بن المخبل ويرده على أبيه، فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيبان ورده فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تحرمني الجهاد. فقال له: إنما عزمةٌ من عمر، ولا خير لك في عصياته وعقوق شيخك. فانصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات.

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ والجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة أن شيبان بن المخبل كان يرعى إبل أبيه، فلا يزال أبوه يقول: أحسن رعية إبلك يا بني، فيقول: أراحني الله من رعية إبلك، ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى، وانحدر إلى البصرة، وشهد فتح تستر، فقال: فذكر أبوه الأبيات، وزاد فيها قوله:

إذا قلت ترعى قال سوف تريحني من الرعي مذعان العشي خبوب

قال: أبو زيد وحدثناه عتاب بن زيادٍ: قال: حدثنا ابن المبارك، قال حدثنا مسعودٌ عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه، و لم يقل: شيبان بن المخبل، ولكنه قال: انطلق رجلٌ إلى الشام، وذكر القصة والشعر.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب، قال: خطب المخبل السعدي إلى الزبرقان بن بدرٍ أخته خليدة، فمنعه إياها، ورده لشيء كان في عقله، وزوجها رجلاً من بني جشم بن عوفٍ، يقال له: مالك بن أمية ابن عبد القيس، من بني محارب.

فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الجلاس بن مخربة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالا، و لم يعلم به أحدٌ، ففقد و لم يعلم له خبر، فبينما جار الزبرقان الذي من عبد القيس قاتل الجلاس ليلةً يتحدث إذ غلط، فحدث هزالاً بقتله الرجل، وذلك قبل أن يتزوج هزالٌ إلى الزبرقان، فأتى هزال عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن نهشل فأخبره، فدعا هزالٌ قاتل الجلاس فأخرجه عن البيوت، ثم اعتوره هو وعبد عمرو فضرباه حتى قتلاه، ورجع هزالٌ إلى الحي وضرب عبد عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عطارد بن عوفٍ.

فقالت امرأة مالك بن مية المقتول:

أجيران ابن أمية خبروني أعينٌ لابن مية أم ضمار

تجلل خزيها عوف بن كعب فليس لنسلهم منها اعتذار

قال: فلما زوج الزبرقان أخته خليدة هزالاً بعد قتله جاره عيب عليه، وعير به، وهجاه المخبل، فقال:

لعمرك إن الزبرقان لدائم على الناس تعدو نوكه ومجاهله

أأنكحت هزالاً خليدة بعدما زعمت بظهر الغيب أنك قاتله

فأنكحته رهواً كأن عجانها مشق إهابٍ أوسع السلخ ناجله

يلاعبها فوق الفراش وجاركم بذي شبرمان لم تزيل مفاصله

قال: ولج الهجاء بين المخبل والزبرقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذات يوم، وكان الزبرقان أسودهما، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته:

أنبئت أن الزبرقان يسبني سفهاً ويكره ذو الحرين خصالي

قال: وإنما سماه ذا الحرين لأنه كان مبدناً، فكان له ثديان عظيمان، فسبه بهما وشبههما بالحرين. ويقال: إنه إنما عيره بأخته وابنته، و لم يكن للمخبل ابن في الجاهلية، قال:

أفلا يفاخرني ليعلم أينا أدنى لأكرم سوددٍ وفعال

فلما بلغ إلى قوله:

وأبوك بدر كان مشترط الخصى وأبي الجواد ربيعة بن قتال

فلما أنشده هذا البيت، قال:

وأبوك بدرٌ كان مشترط الخصى وأبي.....

ثم انقطع عليه كلامه، إما بشرق أو انقطاع نفس، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله: وأبي. فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين، فقال: صدقت، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعةٍ. فغلبه الزبرقان، وضحكوا من قوله وتفرقوا، وقد انقطع بالمخبل قوله.

أخبرنا اليزيدي، قال: حدثني عمي عن عبيد الله عن ابن حبيب، قال: كان زرارة بن المخبل يليط حوضه، فأتاه رجلٌ من بني علباء بن عوف، فقال له: صارعني، فقال له زرارة، إني عن صراعك لمشغولٌ، فجذب بحجزته وهو غافلٌ فسقط، فصاح به فتيان الحي: صرع زرارة وغلب. فأخذ زرارة حجراً، فأخذ به رأس العلباوي، فسأل المخبل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمل عن ابنه الدية، فتحملها وتخلصه، وكسا المخبل حلةً حسنةً، وأعطاه ناقة نجيبةً، فقال المخبل يمدحه:

لعمر أبيك لا ألقى ابن عمٍّ على الحدثان خيراً من بغيض

أقل ملامة وأعز نصراً إذا ما جئت بالأمر المريض

كساني حلةً وحباؤ بعنس أبس بها إذا اضطربت غروضي

غداة جنى بني على جرماً وكيف يداي بالحرب العضوض

فقد سد السبيل أو حميد كما سد المخاطبة ابن بيض

أبو حميد: بغيض بن عامرٍ. وأما قوله: كما سد المخاطبة ابن بيض، فإن ابن بيض: رجل من بقايا قوم عاد، كان تاجراً، وكان لقمان بن عادٍ يجيز له تجارته في كل سنة بأجرٍ معلوم، فأجازه سنة وسنتين، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ، فأتى قومه فنزل فيهم، ولقمان في سفره، ثم حضرت التاجر الوفاة فخاف لقمان على بنيه وماله فقال لهم: إن لقمان صائر إليكم، وإني أخشاه إذا علم بموتي على مالي، فاجعلوا ماله قبلي في ثوبه، وضعوه في طريقه إليكم، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقه، فادفعوه إليه واتقوه، وإن تعداه رجوت أن يكفيكم الله إياه. ومات الرجل، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه على طريقه، فقال: سد ابن بيضٍ الطريق، فأرسلها مثلاً، وانصرف وأخذ حقه. وقد ذكرت ذلك الشعراء، فقال بشامة بن عمروٍ:

كثوب ابن بيضٍ وقاهم به فسد على السالكين السبيلا

قال ابن حبيب: ولما حشدت بنو علباء للمطالبة لدم صاحبهم، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبل، ومشت المشيخة في الأمر، وقالوا: هذا قتل خطأ، فلا تواقعوا الفتنة، واقبلوا الدية. فقبلوها وانصرفوا، فقال زرارة بن المخبل يفخر بذلك:

فاز المخالس لما أن جرى طلقاً أما حطيم بن علباء فقد غلبا
إني رميت بجلمود على حنق مني إليه فكانت رميةً غرباً
ليثاً إلي يشق الناس منفرجاً لحياه عنانةٌ لا يتقي الخشبا
فأورثتني قتيلاً إن لقيت وإن أفلت كانت سماع السوء والحربا

ثم أخذ بنو حازم جاراً لبني قشير، فأغار عليه المنتشر بن وهب الباهلي، فأخذ إبله، فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبل، فلما سأله قال له: إن شئت فاعترض إبلي فخذ خيرها ناقةً، وإن شئت سعيت لك في إبلك. فقال: بل إبلي. فقال المخبل:

إن قشيراً من لقاح ابن حازم كراحضة حيضاً وليست بطاهر
فلا يأكلها الباهلي وتقعدوا لدى غرضٍ أرميكم بالنواقر
أغرك أن قالوا لعزة شاعر فناك أباه من خفيرٍ وشاعر

فلما بلغهم قول المخبل سعوا بإبله، فردها عليهم حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل، فقال المخبل في ذلك:

تدارك حزنٌ بالقنا آل عامر قفا حضنٍ والكر بالخيل أعسر
فإني بذا الجار الخفاجي واثقٌ وقلبي من الجار العبادي أوجر
إذا ما عقيليٌّ أقام بذمة شريكين فيها فالعبادي أوجر
لعمرك لقد خارت خفاجة عامراً كما خير بيتٌ بالعراق المشقر
وإنك لو تعطي العبادي مشقصاً لراشي كما راشى على الطبع أبخر

راشى من الرشوة أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: مر المخبل السعدي بخليدة بنت بدرٍ، أخت الزبرقان بن بدرٍ، بعد ما أسن وضعف بصره، فأنزلته وقربته وأكرمته، ووهبت له وليدة وقالت له إني آثرتك بها يأبا يزيد فاحتفظ بها. فقال: ومن أنت حتى أعرفك وأشكرك؟ قالت: لا عليك، قال: بلى والله أسألك. قالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظالماً، أنا خليدة بنت بدرٍ. فقال: واسوأتاه منك، فإني أستغفر الله عز وجل، وأستقيلك وأعتذر إليك. ثم قال:

لقد ضل حلمي في خليدة إنني سأعتب نفسي بعدها وأموت
فأقسم بالرحمن إني ظلمتها وجرت عليها والهجاء كذوب

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبل وأخباره يمدح بها علقمة بن هوذة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله، ويقول:

فجزى الإله سراة قومي نضرةً وسقاهم بمشارب الأبرار
قومٌ إذا خافوا عثار أخيهم لا يسلمون أخاهم لعثار
أمثال علقمة بن هوذة إذ سعى يخشى علي متالف الأبصار

أثنوا علي وأحسنوا وترافدوا لي بالمحاض البزل والأبكار
والشول يتبعها بنات لبونها شرقاً حناجرها من الجرجار

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب. وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثنا العمري، عن لقيطٍ قالوا: اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يسلموا، وبعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فنحروا جزوراً، واشتروا خمراً ببعير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرنا. فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي، وقال اليزيدي: فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم، فدل عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، وقالوا له: أخبرنا أينا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فآمنوه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تنشر وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزوراً قد نحرت، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك.
وقال لقيط في خبره، قال له ربيعة بن حذار: وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، و لم يترك نيئاً فينتفع به، وأما أنت يا مخبل فشعرك شهبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادةٍ أحكم فليس يقطر منها شيء.
أخبرنا اليزيدي، عن عمه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بني امرىء القيس يقال له روقٌ مجاوراً في بكر بن وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل يستمنحه، فقال له: إن شئت فاختر خير ناقة في إبلي فخذها، وإن شئت سعيت لك. فقال: أن تسعى بي أحب إلي. فخرج المخبل فوقف على نادي قومه، ثم قال:

أدوا إلى روح بن حس ان بن حارثة بن منذر
كوماء مدفاةً كأ ن ضروعها حماء أجفر
تأبى إلى بصص تس ح المحض باللبن الفضنفر

فقالوا: نعم ونعمة. فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدة إبله.
وقال ابن حبيب في هذه الرواية: كان رجل من بني ضبة.

اسل عن ليلى علاك المشيب وتصابي الشيخ شيءٌ عجيب

وإذا كان النسيب بسلمى لذ في سلمى وطاب النسيب
إنما شبهتها إذ تراءت وعليها من عيون رقيب
بطلوع الشمس في يوم دجنٍ بكرةً أو حان منها غروب
إنني فاعلم وإن عز أهلي بالسويداء الغداة غريب

الشعر لغيلان بن سلمة الثقفي، وجدت ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكري، والغناء لابن زرزورٍ الطائفي، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى، عن يحيى المكي، وفيه ليونس الكاتب لحن ذكره في كتابه، ولم يجنسه.

أخبار غيلان ونسبه

غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي وهو ثقيف. وأمه سبيعة بيت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف.

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، وأسلم ابنه عامر قبله، وهاجر، ومات بالشام في طاعون عمواس وأبوه حيٌّ.

وغيلان شاعرٌ مقل، ليس بمعروف في الفحول.

وبنته بادية بنت غيلان التي قال هيتٌ المخنث لعمر بن أم سلمة أم المؤمنين، أو لأخيه سلمة: "إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لك بادية بنت غيلان، فإنها كحلاء، شموعٌ نجلاء، خمصانة هيفاء، إن مشت تثنت، وإن جلست تبنت، وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ، وبين فخذيها كالإناء المكفأ".

وغيلان فيما يقال أحد من قال من قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وآله: "لولا أنزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين".

قال ابن الكبي: حدثني أبي، قال: تزوج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص، فولدت له عماراً وعامراً، فهاجر عمار إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغه خبره عمد خازنٌ كان لغيلان إلى مالٍ له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه، وأخبر غيلان أن ابنه عماراً سرق ماله وهرب به، فأشاع ذلك غيلان وشكاه إلى الناس، وبلغ خبره عماراً فلم يعتذر إلى أبيه، ولم يذكر له براءته مما قيل له، فلما شاع ذلك جاءت أمه لبعض ثقيفٍ إلى غيلان، فقالت له: أي شيءٍ لي عليك إن دللتك على مالك؟ قال: ما شئت. قالت: تبتاعني وتعتقني؟ قال: ذلك لك. قالت: فاخرج معي. فخرج معها، فقالت: إني رأيت عبدك فلاناً قد احتفر ها هنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً. وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه، ويتفقده في اليوم مراتٍ، وما أراه إلا المال. فاحتفر الموضع فإذا هو بماله، فأخذه

وابتاع الأمة فأعتقها، وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عماراً، فقال: والله لا يراني غيلان أبداً، ولا ينظر في وجهي. وقال:

حلفت لهم بما يقول محمدٌ ... وبالله إن الله ليس بغافل

برئت من المال الذي يدفنونه ... أبرىء نفسي أن ألط بباطل

ولو غير شيخي من معدٍّ يقوله ... تيممته بالسيف غير مواكل

وكيف انطلاقي بالسلاح إلى امرىءٍ ... تبشره بي يبتدرن قوابلي

فلما أسلم غيلان، خرج عامرٌ وعمارٌ مغاضبين له مع خالد بن الوليد، فتوفي عامر بعمواس، وكان فارس ثقيفٍ يومئذٍ، وهو صاحب شنوءة يوم تثليث، وهو قتل سيدهم جابر بن سنانٍ أخا دهنة، فقال غيلان يرثي عامراً:

عيني تجود بدمعها الهتان ... سحاً وتبكي فارس الفرسان

يا عام من للخيل لما أجحمت ... عن شدة مرهوبة وطعان

لو أستطيع جعلت مني عامراً ... بين الضلوع وكل حي فان

يا عين بكي ذا الحزامة عامراً ... للخيل يوم تواقف وطعان

وله بتثليثات شدة معلم ... منه وطعنة جابر بن سنان

فكأنه صافي الحديدة مخذمٌ ... مما يحير الفرس للباذان

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري، قال: كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان، فتخطى بعضها إلى أرضٍ لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب، فضرب أبو عقيل الراعي واستخف به، فشكا الباهلي ذلك إلى غيلان، فقال لأبي عقيل:

ألا من يرى رأى امرىءٍ ذي قرابة ... أبي صدره بالضغن إلا تطلعا

فسلمك أرجو لا العداوة إنما ... أبوك أبي وإنما صفقنا معا

وإن ابن عم المرء مثل سلاحه ... يقيه إذا لاقى الكمي المقنعا

فإن يكثر المولى فإنك حاسدٌ ... وإن يفتقر لا يلف عندك مطمعا

فهذا وعيدٌ وادخارٌ فإن تعد ... وجدك أعلم ما تسلفت أجمعا

ونسخت من كتابه، قال: لما أسن غيلان وكثرت أسفاره ملته زوجته، وتجنت عليه، وأنكر أخلاقها، فقال فيها:

يا رب مثلك في النساء غريرةٍ ... بيضاء قد صبحتها بطلاق

لم تدر ما تحت الضلوع وغرها ... مني تحمل عشرتي وخلاقي

ونسخت من كتابه: إن بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرةً من أنفسهم وأحلافهم، ثم ساروا إلى ثقيفٍ بالطائف، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافاً لثقيف، فلما بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر، فخرجت ثقيف إلى بني عامرٍ وعليهم يومئذٍ غيلان بن سلمة بن معتب، فلقوهم وقاتلتهم ثقيفٌ قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومن كان معهم، وظهرت عليهم ثقيفٌ، فأكثروا فيهم القتل، فقال غيلان في ذلك، ويذكر تخلف بني نصر عنهم:

ودع بذمٍّ إذا ما حان رحلتنا ... أهل الحظائر من عوفٍ ودهمانا

القائلين وقد حلت بساحتهم ... جسرٌ تحسحس عن أولاد هصانا

والقائلين وقد رابت وطابهم ... أسيف عوفٍ ترى أم سيف غيلانا

أغنو الموالي عنا لا أبالكم ... إنا سنعني صريح القوم من كانا

لا يمنع الخطر المظلوم قحمته ... حتى يرى بالعين من كانا

ونسخت من كتابه، قال: جمعت خثعم جموعاً من اليمن، وغزت ثقيفاً بالطائف، فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف، فقاتلهم قتالاً شديداً، فهزمهم وقتل منهم مقتلةً عظيمة، وأسر عدةً منهم، ثم من عليهم وقال في ذلك:

ألا يا أخت خثعم خبرينا ... بأي بلاء قومٍ تفخرينا

جلبنا الخيل من أكناف وجٍّ ... وليثٍ نحوكم بالدارعينا

رأيناهن معملةً رواحا ... يقيتان الصباح ومعتدينا

فأمست مسي خامسةٍ جميعاً ... تضابع في القياد وقد وجينا

وقد نظرت طوالعكم إلينا ... بأعينهم وحققنا الظنونا

إلى رجراجةٍ في الدار تعشى ... إذا استنت عيون الناظرينا

تركن نساءكم في الدار نوحا ... يبكون البعولة والبنينا

جمعتم جمعكم فطلبتمونا ... فهل أنبئت حال الطالبينا

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ، قال: أخبرني محمد بن سعد الشامي، قال: حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي، قال: خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة، ما أنشدني لغيره، حتى صدرنا عن الأبلة، ثم مر بالطف وهو يريد الطابق، فأنشدني له:

وليلة أرقت صحابك بالط ... ف وأخرى بجنب ذي حسم

فالجسر فالقصران فالنهر المرب ... د بين النخيل والأجم

معانق الواسط المقدم أو أدنو من الأرض غير مقتحم

أستعمل العنس بالقياد إلى ال آفاق أرجو نوافل الطعم

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه، قال: لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة، وكان قد أحصن عشراً من نساء العرب في الجاهلية، قال: "يا بني قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدت أمهاتكم فلن تزالوا بخيرٍ ما غذوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، وعليكم بكل رمكاء مكينةٍ ركينةٍ، أو بيضاء رزينة، في خدر بيت يتبع، أوجد يرتجى، وإياكم والقصيرة الرطلة، فإن أبغض الرجال إلي أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي، القصير الرطل". ثم أنشأ يقول:

وحرة قومٍ قد تنوق فعلها وزينها أقوامها فتزينت

رحلت إليها لا ترد وسيلتي وحملتها من قومها فتحملت

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني، قال: كان غيلان بن سلمة الثقفي قد وفد إلى كسرى فقال له ذات يوم: يا غيلان، أي ولدك أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يقدم. قال له: ما غذاؤك؟ قال: خبز البر. قال: قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغذاؤك غذاء العرب، إنما البر جعل لك هذا العقل.

قال: الكراني، قال العمري: روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أتم من هذه الرواية، و لم أسمعه منه. قال الهيثم: حدثني أبي، قال: خرج أبو سفيان بن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان، فقال لهم: إنا من مسيرنا هذا لعلى خطر، ما قدومنا على ملك جبارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه، وليست بلاده لنا بمتجر؟ ولكن أيكم يذهب بالعير، فأن أصيب فنحن برآء من دمه، وإن غنم فله نصف الربح؟ فقال غيلان بن سلمة: دعوني إذاً فأنا لها. فدخل الوادي، فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول:

ولو رآني أبو غيلان إذ حسرت عني الأمور إلى أمرٍ له طبق

لقال رغبٌ ورهب يجمعان معاً حب الحياة وهول النفس والشفق

إما بقيت على مجدٍ ومكرمة أو أسوة لك فيمن يهلك الورق

ثم قال: أنا صاحبكم. ثم خرج في العير، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً، فلما قدم بلاد كسرى، تخلق ولبس ثوبين أصفرين، وشهر أمره، وجلس بباب كسرى حتى أذن له، فدخل عليه وبينهما شباكٌ من ذهب، فخرج إليه الترجمان، وقال له: يقول لك الملك: من أدخلك بلادي بغير إذني؟ فقال: قل له: لست من أهل عداوةٍ لك، ولا أتيتك جاسوساً لضد من أضدادك، وإنما جئت بتجارةٍ تستمتع بها، فإن أردتها فهي لك، وإن لم تردها وأذنت في

بيعها لرعيتك بعتها، وإن لم تأذن في ذلك رددتها. قال: فإنه ليتكلم، إذ سمع صوت كسرى فسجد، فقال له الترجمان: يقول لك الملك: لم سجدت؟ فقال: سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحدٍ أن يعلو صوته إجلالاً للملك، فعلمت أنه لم يقدم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاماً له. قال: فاستحسن كسرى ما فعل، وأمر له بمرفقةٍ توضع تحته، فلما أتي بها رأى عليها صورة الملك، فوضعها على رأسه، فاستجهله كسرى واستحمقه، وقال للترجمان: قل له: إنما بعثنا إليك بهذه لتجلس عليها. قال: قد علمت، ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك، فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها، ولكن كان حقها التعظيم، فوضعتها على رأسي، لأنه أشرف أعضائي وأكرمها علي. فاستحسن فعله جداً، ثم قال له: ألك ولد؟ قال: نعم. قال: فأيهم أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يؤوب. فقال كسرى: زه، ما أدخلك علي ودلك على هذا القول والفعل إلا حظك، فهذا فعل الحكماء وكلامهم، وأنت من قوم جفاةٍ لا حكمة فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبز البر. قال: هذا العقل من البر، لا من اللبن والتمر. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له أطماً بالطائف، فكان أول أطم بني بها.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال: استشهد نافع بن سلمة الثقفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل، فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه، وقال يرثيه:

ما بال عيني لا تغمض ساعةً ... إلا اعترتني عبرةٌ تغشاني

أرعى نجوم الليل عند طلوعها ... وهناً وهن من الغروب دوان

يا نافعاً من للفوارس أحجمت ... عن فارس يعلو ذرى الأقران

فلو استطعت جعلت مني نافعاً ... بين اللهاة وبين عكد لساني

قال: وكثر بكاؤه عليه، فعوتب في ذلك، فقال: والله لا تسمح عيني بمائها فأصن به على نافع. فلما تطاول العهد انقطع ذلك من قوله، فقيل له فيه، فقال: بلي نافع، وبلي الجرع، وفي وفنيت الدموع، واللحاق به قريب

ألا عللاني قبل نوح الوادب ... وقبل بكاء المعولات القرائب

وقبل ثوائي في ترابٍ وجندلٍ ... وقبل نشوز النفس فوق الترائب

فإن تأتني الدنيا بيومي فجاءة ... تجدني وقد قضيت منها مآربي

الشعر لحاجز الأزدي، والغناء لنبيه هزج، بالبنصر، عن الهشامي.

أخبار حاجز ونسبه

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران بن عوف بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد. وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وفي ذلك يقول:

قومي سلامان إما كنت سائلةً ... وفي قريش كريم الحلف والحسب

إني متى أدع مخزوماً تري عنقاً ... لا يرعشون لضرب القوم من كثب

يدعى المغيرة في أولى عديدهم ... أولاد مرأسةٍ ليسوا من الذنب

وهو شاعر جاهلي مقل، ليس من مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يستبق بن الخيل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني العباس بن هشام، عن أبيه، عن عوف بن الحارث الأزدي، أنه قال لابنه حاجز بن عوف: أخبرني يا بني بأشد عدوك. قال: نعم، أفزعتني خثعم فتروت نزواتٍ، ثم استفزتني الخيل واصطف لي ظبيان، فجعلت أهنههما بيدي عن الطريق، ومنعاني أن أتجاوزها في العدو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا، فسبقتهما. فقال له: فهل جاراك أحدٌ في العدو؟ قال: ما رأيت أحداً جاراني إلا أطيلس أغبر من النقوم، فإنا عدونا معاً فلم أقدر على سبقه.

قال: النقوم بطن من الأزد من ولد ناقم، واسمه عامر بن حوالة بن الهنو بن الأزد.

نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني من كتاب بخط المرهبي الكوكبي، قال: أغار عوف بن الحارث بن الأخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلمٍ، فقال لأصحابه: انزلوا حتى أعتبر لكم. فانطلق حتى أتى صرماً من بني هلال، وقد عصب على يد فرسه عصاباً ليظلع فيطمعوا فيه، فلما أشرف عليهم استرابوا به، فركبوا في طلبه، وانهزم من بين أيديهم، وطمعوا فيه، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان، فأصيب يومئذٍ بنو هلال، وملأ القوم أيديهم من الغنائم، ففي ذلك يقول حاجز بن عوف:

صباحك واسلمى عنا أماماً ... تحية وامقٍ وعمي ظلاما

برهرهةٌ يحار الطرف فيها ... كحقة تاجر شدت ختاما

فإن تمس ابنة السهمي منا ... بعيداً لا تكلمنا كلاما

فإنك لا محالة أن تريني ... ولو أمست حبالكم رماما

بناجية القوائم عيسجورٍ ... تدارك نيها عاماً فعاما

سلي عني إذا اغبرت جمادي ... وكان طعام ضيفهم الثماما

ألسنا عصمة الأضياف حتى ... يضحى مالهم نفلاً تواما

أبى ربع الفوارس يوم داجٍ وعمي مالكٌ وضع السهاما

فلو صاحبتنا لرضيت منا إذا لم تغبق المائة الغلاما

يعني بقوله: وضع السهام، أن الحارث بن عبدالله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دهمان بن نصر بن زهران، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع، لأن الرياسة في الأزد كانت لقومه، وكان يقال لهم: الغطاريف وهم أسكنوا الأسد بلد السراة، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم، فغزهم بنو فقيم بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان، فأغاثوهم، حتى هزموا بني فقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم، فأراد الحارث أن يأخذ الربع كما كان يفعل، فمنعه مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان، وهو عم أبي حاجز، وقال: هيهات، ترك الربع غدوة فأرسلها مثلاً، فقال له الحارث: أتراك يا مالك تقدر أن تسود؟ فقال: هيهات، الأزد أمنع من ذاك. فقال: أعطني ولو جعباً، والجعب: البعر في لغتهم، لئلا تسمع العرب أنك منعتني. فقال مالك: فمن سماعها أفر، ومنعه الربيع، فقال حاجز في ذلك:

ألا زعمت أبناء يشكر أننا بربعهم باءوا هنالك ناضل

ستمنعنا منكم ومن سوء صنعكم صفائح بيضٌ أخلصتها الصياقل

وأسمر خطيٌّ إذا هز عاسلٌ بأيدي كماةٍ جربتها القبائل

وقال أبو عمرو: جمع حاجزٌ ناساً من فهم وعدران، فدلهم على خثعم، فأصابوا منهم غرة وغنموا ما شاءوا، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعدونه ويرصدونه، فقال:

إني من إرعادكم وبروقكم وإيعادكم بالقتل صمٌّ مسامعي

وإني دليل غير مخفٍ دلالتي على ألف بيتٍ جدهم غير خاشع

ترى البيض يركضن المجاسد بالضحى كذا كل مشبوح الذراعين نازع

على أي شيء لا أبا لأبيكم تشيرون نحوي نحوكم بالأصابع

وقال أبو عمرو: أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معد يكرب، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان، فالتقوا واقتتلوا، فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزاً فأنفذ فخذه، فصاح حاجز: يا آل الأزد! فندم عمرو وقال: خرجت غازياً وفجعت أهلي. وانصرف، فقال عزيل الخثعمي يذكر طعنة عمروٍ حاجزاً، فقال:

أعجز حاجزٌ منا وفيه مشلشلة كحاشية الإزار

فعز علي ما أعجزت مني وقد أقسمت لا يضربك ضار

فأجابه حاجز فقال:

إن تذكروا يوم القري فإنه بواءٌ بأيامٍ كثيرٍ عديدها
فنحن أبحنا بالشخيصة واهناً جهاراً فجئنا بالنساء نقودها
ويوم كراءٍ قد تدارك ركضنا بني مالكٍ والخيل صعرٌ خدودها
ويوم الأراكات اللواتي تأخرت سراة بني لهبان يدعة شريدها
ونحن صبحنا الحي يوم تنومةٍ بملمومة يهوى الشجاع وئيدها

ويوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حمراً جلودها
فما رغمت حلفاً لأمرٍ يصيبها من الذل إلا نحن رغماً نزيدها

وقال أبو عمرو: بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم، وكان معه بشير ابن أخيه، فقال له: يا بشير، ما تشير؟ قال: دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويمضوا ونمضي معهم فيظنونا بعضهم. ففعلا، وكانت في ساق حاجز شامةٌ، فنظرت إليها امرأةٌ من خثعم، فصاحت: يا آل خثعم، هذا حاجز. فطاروا يتبعونه، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة: أكفيكم سلاحة أو عدوه. فقالوا: لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفاً وهو يعدو مثله، ولكن اكفينا سلاحه. فسحت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الأغر بن همام بن الأسر بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفزع الخثعمي، حتى قاربه، فصاحت به خثعم: يا عوف ارم حاجزاً، فلم يقدم عليه، وجبن، فغضبوا وصاحوا: يا حاجز، لك الذمام، فاقتل عوفاً فإنه قد فضحنا. فنزع في قوسه ليرميه، فانقطع وتره، لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت، وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم، فنزل حاجز عنه، فمر فنجا وقال في ذلك:

فدى لكما رجلي أمي وخالتي بسعيكما بين الصفا والأثائب
أوان سمعت القوم خلفي كأنهم حريق أباءٍ في الرياح الثواقب
سيوفهم تغشى الجبان ونبلهم يضيء لدى الأقوام نار الحباحب
فغير قتالي في المضيق أغاثني ولكن صريح العدو غير الأكاذب
نجوت نجاءً لا أبيك تبثه وينجو بشير نجو أزعر خاضب
وجدت بعيراً هاملاً فركبته فكادت تكون شر ركبة راكب

وقال أبو عمرو: اجتاز قوم حجاجٌ من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة، فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال، فقتلهم هو وقومه، وبلغ ذلك حاجزاً، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم، وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز:

يا ضمر هل نلناكم بدمائنا ... أم هل حذونا نعلكم بمثال

نبكي لقتلى من فقيم قتلوا ... فاليوم تبكي صادقاً لهلال

ولقد شفاني أن رأيت نساءكم ... يبكين مردفة على الأكفال

يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا ... لقحت على الدكاء بعد حيال

قال أبو عمرو: خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد، ولا عرف له خبر، فكانوا يرون أنه مات عطشاً أو ضل، فقال أخته ترثيه:

أحيٌّ حاجزٌ أم ليس حياً ... فيسلك بين جندف والبهيم

ويشرب شربةً من ماء ترج ... فيصدر مشية السبع الكليم

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة، قال: كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفرار، لقي عامراً فهرب منهم فنجا، وقال:

ألا هل أتى ذات القلائد فرتي ... عشية بين الجرف والبحر من بعر

عشية كادت عامرٌ يقتلونني ... لدى طرف السلماء راغية البكر

فما الظبي أخطت خلفة الصقر رجله ... وقد كاد يلقى الموت في خلفة الصقر

بمثلي غداة القوم بين مقنع ... وآخر كالسكران مرتكزٍ يفري

وفر من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبي، ففاته حاجز، وقال في ذلك:

وكأنما تبع الفوارس أرنبا ... أو ظبي رابيةٍ خفافاً أشعبا

وكأنما طردوا بذي نمراته ... صدعا من الأروى أحس مكلبا

أعجزت منهم والأكف تنالني ... ومضت حياضهم وآبوا خيبا

أدعو شنوءة غثها وسمينها ... ودعا المرقع يوم ذلك أكلبا

وقال يخاطب عوض أمسى:

أبلغ أميمة عوض أمسى بزنا ... سلباً وما إن سرها ننكبا

لولا تقارب رأفة وعيونها ... حمشاً مصعداً ومصوبا

يا دار من ماوي بالسهب بنيت على خطب من الخطب
إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانساً يرقلن بالركب
ومدججاً يسعى بشكته محمرةً عيناه كالكلب

ومعاشراً صدأ الحديد بهم عبق الهناء مخاطم الجرب

الشعر للحارث بن الطفيل الدوسي، والغناء لمعبد، رمل بالبنصر، من رواية يحيى المكي، وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق، والله أعلم.

أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله بن عدثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، شاعرٌ فارسٌ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، وأبوه الطفيل بن عمروٍ شاعر أيضاً، وهو أول من وفد من دوس على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم وعاد إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام.

أخبرني عمي قال: حدثنا الحزنبل بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، واللفظ في الخبر له، والله أعلم.

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه: إن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسي خرج حتى أتى مكة حاجاً، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة، وكان رجلاً يعصو - والعاصي البصير بالجراح، ولذلك يقال لولده: بنو العاصي - فأرسلته قريشٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: انظر لنا ما هذا الرجل، وما عنده؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام، فقال له: إني رجلٌ شاعر، فاسمع ما أقول: فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هات. فقال:

لا وإله الناس نألم حربهم ولو حاربتنا منهبٌ وبنو فهم
ولما يكن يومٌ تزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأٍ ضخم
أسلماً على خسف ولست بخالدٍ وما لي من واقٍ إذا جاءني حتمي
فلا سلم حتى تحفز الناس خيفةٌ ويصبح طيرٌ كانساتٍ على لحم

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنا أقول فاستمع، ثم قال: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد". ثم قرأ: "قل أعوذ برب الفلق". ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وعاد إلى قومه، فأتاهم في ليلةٍ مطيرةٍ ظلماء، حتى نزل بروق، وهي قرية عظيمةٌ لدوس فيها منبر، فلم يبصر أين يسلك، فأضاء له نور في طرف سوطه، فبهر الناس ذلك النور، وقالوا:

نار أحدثت على القدوم ثم على بروق، لا تطفأ. فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم، فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه و لم تسلم أمه، ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة، وكان هو وأهله في جبل يقال له ذو رمع، فلقيه بطريق يزحزح، وبلغنا أنه كان يزخف في العقبة من الظلمة ويقول:

يا طولها من ليلةٍ وعناءها على أنها من بلدة الكفر نجت

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة، فقال له: ما وراءك؟ فقال: بلادٌ حصينة وكفر شديد. فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "اللهم اهد دوساً" ثلاث مراتٍ. قال أبو هريرة: فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا، فصحت: واقوماه! فلما دعا لهم سري عني، و لم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافهم عليه، فقال له: لم أحب هذا منك يا رسول الله. فقال له: إن فيهم مثلك كثيراً. وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف بن غوية بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن منهب بن دوس يقول في الجاهلية: إن للخلق خالقاً لا أعلم ما هو. فخرج حينئذٍ في خمسة وسبعين رجلاً حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: ما زلت ألوي الآجرة بيدي، ثم لويت على وسطي حتى كأني بجادٌ أسود، وكان جندب يقربهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً، فيسلمون.
وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدةٍ للحارث بن الطفيل، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحرث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران.

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضماد بن مسرح بن النعمان بن الجبار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر، سيد آل الحارث، كان يقول لقومه: أحذركم جرائر أحمقين من آل الحارث يبطلان رياستكم. وكان ضمادٌ يتعيف، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلها، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم، وكان القتيل من آل الحارث تؤخذ له ديتان، ويعطون إذا لزمهم عقل قتيل من دوس ديةً واحدة، فقال غلامان من بني الحارث يوماً: ائتوا شيخ بني دوس وزعيمهم الذي ينتهون إلى أمره فلنقتله. فأتياه. فقالا: يا عم، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه. فأخرجاه من مترله، فلما تنحيا به قال له أحدهما: يا عم، إن رجلي قد دخلت فيها شوكة، فأخرجها لي. فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله، فعمدت دوس إلى سيد بني الحارث، وكان نازلاً بقنونى فأقاموا له في غيضةٍ في الوادي، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها، فجعلت الناقة ترغو وتحن إلى الإبل، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأن الناقة، فوثبوا عليه فقتلوه، ثم أتوا أهله، وعرفت بنو الحارث الخبر، فجمعوا لدوس وغزوهم فنذروا بهم فقاتلوهم فتناصفوا، وظفرت بنو الحارث بغلمةٍ من دوس فقتلوهم، ثم إن دوساً اجتمع منهم تسعةٌ وسبعون رجلاً، فقالوا: من يكلمنا، من يمانينا حتى نغزو أهل ضماد؟ فكان ضماد قد أتى عكاظ، فأرادوا أن يخالفوه إلى أهله، فمروا برجل من دوسٍ وهو يتغنى:

فإن السلم زائدة نواها وإن نوى المحارب لا تروب

فقالوا: هذا لا يتبعكم، ولا ينفعكم أن تبعكم، أما تسمعون غناءه في السلم. فأتوا حممة بن عمرو، فقالوا: أرسل إلينا بعض ولدك. فقال: وأنا إن شئتم. وهو عاصب حاجبيه من الكبر، فأخرج معهم ولده جميعاً، وخرج معهم وقال لهم: تفرقوا فرقتين، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا، وإياكم والغارة حتى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضاً. ففعلوا، فلم يلتفتوا حتى قتلوا ذلك الحي من آل الحارث، وقتلوا إبنا لضماد، فلما قدم قطع أذني ناقته وذنبها، وصرخ في آل الحارث، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوسٌ تجتمع بازائه، وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرف بعضهم بعضاً، وكان ضماد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ: إن كنت تحرز أهلي، وإلا أقمت عليهم. فقال له: أنا حأحرزهم من مائة، فإن زادوا فلا. وكانت تحت ضمادٍ امرأةٌ من دوس، وهي أخت مربان بن سعد الدوسي الشاعر، فلما أغارت دوسٌ على بني الحارث قصدها أخوها، فلاذت به، وضمت فخذها على ابنها من ضمادٍ، وقالت: يا أخي اصرف عني القوم، فإني حائض لا يكشفوني. فنكزسية القوس في درعها، وقال: لست بحائض، ولكن في درعك سخلةٌ بكذا من آل الحارث، ثم أخرج الصبي فقتله، وقال في ذلك:

ألا هل أتى أم الحصين ولو نأت خلافتنا في أهله ابن مسرح

ونضرة تدعو بالفناء وطلقها ترائبه ينفحن من كل منفح

وفر أبو سفيان لما بدا لنا فرار جبانٍ لأمه الذل مقرح

قال: فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي، فتحاشد الحيان، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالهم، ووقف ضماد بن مسرح في رأس الجبل، وأتتهم دوس. وأنزل خالد بن ذي السبلة بناته هنداً وجندلة وفطيمة ونضرة، فبنين بيتاً، وجعلن يستقين الماء، ويحضضن. وكان الرجل إذا رجع فاراً أعطينه مكحلة ومجمراً، وقلن: معنا فانزل - إي أنك من النساء - وجعلت هندٌ بنت خالدٍ تحرضهم وترتجز وتقول:

من رجلٌ ينازل الكتيبة فذلكم تزني به الحبيبه

فلما التقوا رمى رجلٌ من دوس رجلاً من آل الحارث، فقال: خذها وأنا أبو الزبن، فقال ضماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث بحضرة الوادي: يا قوم زبنتم فارجعوا. ثم رجل آخر من دوس، فقال: خذها وأنا أبو ذكر. فقال ضماد: ذهب القوم بذكرها، فاقبلوا رأيي وانصرفوا. فقال: قد جبنت يا ضماد. ثم التقوا، فأبيدت بنو الحارث. هذه رواية أبي عمرو.

وأما الكلبي فإنه قال: كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغطريف ويقال لبنيه الغطاريف، وكان لهم ديتان، ولسائر قومه دية، وكانت لهم على دوس إتاوةٌ يأخذونها كل سنة، حتى إن كان الرجل منهم ليأتي بيت الدوسي

فيضع سهمه أو نعله على الباب، ثم يدخل، فيجيء الدوسي، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته، حتى أدرك عمرو بن حممة بن عمرو فقال لأبيه: ما هذا التطول الذي يتطول به إخواننا علينا؟ فقال: يا بني، إن هذا شيءٌ قد مضى عليه أوائلنا، فأعرض عن ذكره. فأعرض عن هذا الأمر، وإن رجلاً من دوس عرس بابنة عم له، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر، فجاء زوجها فدخل على اليشكري، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك، فجمع دوساً وقام فيهم، فحرضهم وقال: إلى كم تصبرون لهذا الذل، هذه بنو الحارث، تأتيكم الآن تقاتلكم، فاصبروا تعيشوا كراماً أو تموتوا كراما. فاستجابوا له، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا، واقتتلوا، فظفرت بهم دوس، وقتلتهم كيف شاءت، فقال رجل من دوس يومئذٍ:

قد علمت صفراء حرشاء الذيل ... شرابة المحض تروكٌ للقيل

ترخى فروعاً مثل أذناب الخيل ... أن بروقاً دونها كالويل

ودونها خرط القتاد بالليل

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم، عن أبي عمرو:

يا دار من ماوي بالسهب ... بنيت على خطبٍ من الخطب

إذ لا ترى إلا مقاتلةً ... وعجانساً يرقلن بالركب

ومدججاً يسعى بشكته ... محمرةً عيناه كالكلب

ومعاشراً صدأ الحديد بهم ... عبق الهناء مخاطم الجرب

لما سمعت نزال قد دعيت ... أيقنت أنهم بنو كعب

كعب بن عمر لا لكعب بني ال ... عنقاء والتبيان في النسب

فرميت كبش القوم معتمداً ... فمضى وراشوه بذي كعب

شكو بحقويه القداح كما ... ناط المعرض أقدح القضب

فكأن مهري ظل منغمساً ... بشبا الأسنة مغرة الجأب

يا رب موضوعٍ رفعت ومر ... فوع وضعت بمنزل اللصب

وحليل غانية هتكت قرارها ... تحت الوغى بشديدة العضب

كانت على حب الحياة فقد ... أحللتها في منزل غرب

جانيك من يجني عليك وقد ... تعدى الصحاح مبارك الجرب

هذا البيت في الغناء في لحن ابن سريج، وليس هو في هذه القصيدة، ولا وجد في الرواية، وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تضيف المغنون شعراً إلى شعر، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الروي والقافية.

صرفت هواك فانصرفا ... ولم تدع الذي سلفا
وبنت فلم أمت كلفا ... عليك ولم تمت أسفا
كلانا واجد في النا ... س ممن مله خلفا

الشعر لعبد الصمد بن المعذل، والغناء للقاسم بن زرزور، رملٌ بالوسطى، وفيه لعمر الميداني هزجٌ.

أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختري بن المختار بن ذريح بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشير بن حمران بن حدرجان بن عساس بن ليث بن حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزارٍ. وقيل: ربيعة بن ليث بن حمران. وجدت في كتابٍ بخط أحمد بن كامل: حدثني غيلان بن المعذل أخو عبد الصمد، قال: كان أبي يقول: أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد، وأفصى جد بكر بن وائل هو أفصى بن دعمي. والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دعمي. ويكنى عبد الصمد أبا القاسم، وأمه أم ولد يقال لها: الزرقاء. شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية، بصري المولد والمنشأ. وكان هجاء خبيث اللسان، شديد العارضة، وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً، إلا أنه كان عفيفاً، ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجده غيلان شاعرين، وقد روى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير، والمعذل بن غيلان هو الذي يقول:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خلةً في إخوة وأقاربٍ ... وذي رحم ما كان مثلي يضيعها
فلو ساعدتني في المكارم قدرةٌ ... لفاض عليهم بالنوال ربيعها

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش، عن المبرد وأنشدناه محمد بن خلف بن المرزبان عن الربعي أيضاً. قالا: وهو القائل:

ولست بميالٍ إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لصبار على ما ينوبني ... وحسبك أن الله أثنى على الصبر

أخبرني محمد بن خلفٍ، قال: حدثنا النخعي وإسحاق، قال: هجا أبان اللاحقي المعذل بن غيلان فقال:

كنت أمشي مع المعذل يوماً ... ففسا فسوةً فكدت أطير

فتلفت هل أرى ظربانا ... من ورائي والأرض بي تستدير

فإذا ليس غيره وإذا إع ... صار ذاك الفساء منه يفور

فتعجبت ثم قلت لقد أع ... رف هذا فيما أرى خنزير

فأجابه المعذل فقال:

صحفت أمك إذ سم ... تك بالمهد أبانا

قد علمنا ما أرادت ... لم ترد إلا أتانا

صيرت باء مكان ال ... تاء والله عيانا

قطع الله وشيكا ... من مسميك اللسانا

أخبرني عمي قال: حدثنا المبرد قال: مر المعذل بن غيلان بعبد الله بن سوار العنبري القاضي، فاستنزله عبد الله، وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده، فأبى، وأنشده:

أمن حق المودة أن نقضي ... ذمامكم ولا تقضوا ذماما

وقد قال الأديب مقال صدقٍ ... رآه الآخرون لهم إماما

إذا أكرمتكم وأهنتموني ... ولم أغضب لذلكم فذاما

قال: وانصرف، فبكر إليه عبد الله بن سوار، فقال له: رأيتك أبا عمرو مغضباً. فقال: أجل ماتت بنت أختي ولم تأتني. قال: ما علمت ذلك. قال: ذنبك أشد من عذرك، وما لي أنا أعرف خبر حقوقك، وأنت لا تعرف خبر حقوقي؟ فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضي عنه.

حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا ابن مهرويه عن الحمدوني، قال: كان شروين حسن الغناء والضرب، وكان من أراد أن يغنيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه، وتلوح له بخرقة حمراء، ليظنها امرأةً تطالعه، فكان حينئذٍ يغني أحسن ما يقدر عليه تصنعاً لذلك، فغضب عليه عبد الصمد في بعض الأمور، فقال يهجوه:

من حل شروين له منزلاً ... فلتنهه الأولى عن الثانيه

فليس يدعوه إلى بيته ... إلا فتًى في بيته زانيه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو عمرو البصري، قال: قال عبد الصمد بن المعذل في رجلٍ زانٍ من أهل البصرة كانت له امرأةٌ تزني، فقال:

إن كنت قد صفرت أذن الفتى ... فطالما صفر آذانا

لا تعجبي إن كنت كشخنته فإنما كشخنت كشخانا

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب، قال: حدثنا سوار بن أبي شراعة، قال: كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهري، وكانت له جاريةٌ مغنيةٌ حسنة الغناء، وكان ابن الجوهري شيخا هماً قبيح الوجه، فتعشقت فتًى كاتباً كان يعاشره ويدعوه، وكان الفتى نظيفاً ظريفاً، فاجتمعت معه مراراً في منزله، وكان عبد الصمد يعاشره، فكان الفتى يكاتمه أمره، ويحلف له أنه لا يهواها، فدخلت عليهما ذات يومٍ بغتةً، فبقي الفتى باهتاً لا يتكلم، وتغر لونه وتخلج في كلامه، فقال عبد الصمد:

لسان الهوى ينطق ومشهده يصدق

لقد نم هذا الهوى عليك وما يشفق

إذا لم تكن عاشقا فقلبك لم يخفق

وما لك إما بدت تحار فلا تنطق

أشمسٌ تجلت لنا أم القمر المشرق

الغناء في هذه الأبيات لرذاذٍ، ويقال للقاسم بن زرزور، رملٌ مطلقٌ.

قال: ثم طال الأمر بنيهما، فهربت إليه جملةً، فقال عبد الصمد في ذلك:

إلى امرىءٍ حازم ركبت أي امرىء عاجزٍ تركت

فتنة ابن الجوهري لقد أظهرت نصحاً وقد أفكت

أكذبتها عزمةٌ ظهرت لا تبالي نفس من سفكت

ظفرت فيها بما هويت ونجت من قرب من فركت

ثم خدودٌ بعدها لطمت وجيوبٌ بعدها هتكت

وعيون لا يرقأن على حسن وجه فاتهن بكت

خرجت والليل معتكرٌ لم يهلها أيةً سلكت

وعيون الناس قد هجعت ودجى الظلماء قد حلكت

لم تخف وجداً بعاشقها حرمة الشهر الذي انتهت

ورأت لما سقت كمداً أنها في دينها نسكت

ملئت كفٌ بها ظفرت دون هذا الخلق ما ملكت

إي ملك إذا خلا وخلت فشكا أشجانه وشكت

تجتلي من وجهه ذهباً وهي يجلو فضةً فتكت

هكذا فعل الفتاة إذا هي في عشاقها محكت

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني بعض أصحابنا قال: نظر عبد الصمد بن المعذل إلى جارٍ له يخطر في مشيته خطرةً منكرة، وكان فقيراً رث الحال، فقال فيه:

يتمشى في ثوب عصبٍ من العز ى على عظم ساقه مسدول

دب في رأسه خمارٌ من الجو ع سرى خمرة الرحيق الشمول

فبكى شجوه وحن إلى الخ بز ونادى بزفرةٍ وعويل

من لقلبٍ متيم برغيفي ن ونفسٍ تاقت إلى طفشيل

ليس تسمو إلى الولائم نفسي جل قدر الأعراس عن تأميلي

هات لوناً وقل لتلك تغني لست أبكي لدارسات الطلول

أخبرنا سوار بن أبي شراعة، قال: كان بالبصرة طفيليٌ يكنى أبا سلمة، وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة، وأخذ ابنيه معه وعليهما القلانس الطوال، والطيالسة الرقاق، فيقدم ابنيه، فيدق الباب أحدهما ويقول: افتح يا غلام لأبي سلمة. ثم لا يلبث البواب حتى يتقدم لآخر، فيقول: افح ويلك فقد جاء أبو سلمة. ويتلوهم، فيدقون جميعاً الباب، ويقولون: بادر ويلك، فإن أبا سلمى واقف. فإن لم يكن عرفهم فتح لهم، وهاب منظرهم، وإن كانت معرفته إياهم قد سبقت لم يلتف إليهم، ومع كل واحد منهم فهرٌ مدور يسمونه كيسان، فينتظرون حتى يجيء بعض من دعي، فيفتح له الباب، فإذا فتح طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب، فلا يقدر البواب على غلقه، ويهجمون عليه فيدخلون. فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لقمةً حارة من فالوذج، وبلعها لشدة حرارتها، فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة، فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه:

أحزان نفسي عليها غير منصرمة وأدمعي من جفوني الدهر منسجمه

على صديقٍ ومولًى لي فجعت به ما إن له في جميع الصالحين لمه

كم جفنةٍ مثل جوف الحوض مترعةٍ كوماء جاء بها طباخها رذمه

قد كللتها شحومٌ من قليتها ومن سنام جزورٍ عبطةٍ سنمه

غيبت عنها فلم تعرف له خبراً لهفي عليك وويلي يا أبا سلمه

ولو تكون لها حياً لما بعدت يوماً عليك ولو في جاحمٍ حطمه

قد كنت أعلم أن الأكل يقتله لكنني كنت أخشى ذاك من تخمه

إذا تعمم في شبليه ثم غدا فإن حوزة من يأتيه مصطلمه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه، قال: كان عبد الصمد بن المعذل يتعشق فتًى من المغنين، يقال له: أحمد، فغاضبه الفتى وهجره، فكتب إليه:

سل جزعي مذ صددت عن حالي هل خطر الصبر على بالي

لا غير الله سوء فعلك بي إن كنت أعتبت فيك عذالي

ولا ذممت البكا لي عليك ولا حمدت حسن السلو من سال

لو كنت أبغي سواك ما جهلت نفسي أن الصدود أعفى لي

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن محمدٍ النوفلي، فقال: هجا عبد الصمد بن المعذل قينةً بالبصرة قال فيها:

تفتر عن مضحك السدري إن ضحكت كرف الأتان رأت إدلاء أعيار

يفوح ريح كنيفٍ من ترائبها سوداء حالكةٌ دهماء كالقار

قال: فكسدت والله تلك القينة بالبصرة، فلم تدع ولم تستتبع حتى أخرجت عنها.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال: كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رقعةً فلم يجبه عنها، لشيء كان بلغه عنه، فكتب إليه:

قد كتبتت الكتاب ثم مضى اليو م ولم أدر ما جواب الكتاب

ليت شعري عن الأمير لماذا لا يراني أهلاً لرد الجواب

لا تدعني وأنت رفعت حالي ذا انخفاضٍ بهجرتي واجتنابي

إن أكن مذنباً فعندي رجوعٌ وبلاءٌ بالعذر والإعتاب

وأنا الصادق الوفاء وذو العه د الوثيق المؤكد الأسباب

أخبرني الحرمي بن علي، قال: حدثني أبو الشبل، قال: كان بالبصرة رجلٌ من ولد المهلب بن أبي صفرة، يقال له: صبيانه، وكان له بستان سريٌّ في منزله، فكان يدعو الفتيات إليه، فلا يعطيهن شيئاً من الدراهم، ويقصر بهن على ما يحملنه من البستان معهن، مثل الرطب والبقول والرياحين، فقال فيه عبد الصمد قوله:

قومٌ زناةٌ مالهم دراهم جذرهم النمام والحماحم

أنذل من تجمعه المواسم خسوا وخست منهم المطاعم

فعدلهم إن قسته المظالم

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، وأخبرنا به سوار أجازة، قال: حدثني أبي، قال: لما هجا الجماز عبد الصمد بن المعذل جاءني فقال لي: أنقذني منه. فقلت له: أمثلك يفرق من الجماز؟ فقال: نعم، لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يفرق منه، ولا عرض له، وشعره ينفق على من لا يدري. فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه:

ابن المعذل من هو ومن أبوه المعذل

سألت وهبان عنه فقال بيضٌ محول

قال: وكان وهبان هذا رجلاً يبيع الحمام، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه، وجعل يغشى المجالس، ويحلف أنه ما قال: إن عبد الصمد بيضٌ محول، ويسألهم أن يعتذروا إليه، فكان هذا منه قد صار بالبصرة طرفةً ونادرة، فجاءني عبد الصمد يستغيث منه، ويقول لي: ألم أقل لك إن آفتي منه عظيمةٌ، والله لدوران وهبان على الناس يحلف لهم: إنه ما قال: إني بيضٌ محول، أشد علي من هجائه لي. فبعثت إلى وهبان فأحضرته، وقلت له: يا هذا، قد علمنا ان الجماز قد كذل عليك، وعذرناك فنحب أن لا تتكلف العذر إلى الناس في أمرنا، فإنا قد عذرناك. فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد، قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: قال لي أبو شراعة القيسي: بلغ أبا جعفر مضرطان أن عبد الصمد بن المعذل هجاه، واجتمعتا عند أبي وائلة السدوسي، فقال له مضرطان: بلغني أني هجوتني. فقال له عبد الصمد: من أنت حتى أهجوك؟ قال: هذا شرٌ من الهجاء. فوثب إلى عبد الصمد يضربه، فقال الحمدوي، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه جده، وهو الذي كان يقتل الزنادقة:

ألذ من صحبة القناني أو اقتراحٍ على قيان

لكز فتًى من بني لكيزٍ يهدى له أهون الهوان

أهوى له بازل خدبٌ يطحن قرنيه بالجران

فنال منه ثؤور قوم باليد طوراً وباللسان

وكان يفسو فصار حقًا يضرط من خوف مضرطان

قال: وبلغ عبد الصمد شعر الحمدوي، فقال: أنا له. ففزع الحمدوي منه، فقال:

ترحٌ طعنت به وهمٌ وارد إذ قيل إن ابن المعذل واجد

هيهات أن أجد السبيل إلى الكرى وابن المعذل من مزاحي حارد

فرضي عنه عبد الصمد

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العتري، قال: حدثني إبراهيم بن عقبة اليشكري، قال: قال عبد الصمد بن المعذل، هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس، حتى لم يبق خاصٌ ولا عامٌ إلا رواهما، وهما:

ابن المعذل من هو ... ومن أبوه المعذل

سألت وهبان عنه ... فقال بيضٌ محول

فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى فيه كل أحدٍ، فما رواه أحد ولا فكر فيه، وذلك لضعته، وهو قولي:

نسب الجماز مقصو ... ر إليه منتهاه

يتراءى نسب النا ... س فما يخفى سواه

يتحاجى في أبي الج ... ماز من هو كاتباه

ليس يدري من أبو الج ... ماز إلا من يراه

أخبرني الأخفش، قال: كان لعبد الصمد بستانٌ نظيف عامر، فأنشدنا لنفسه فيه:

إذا لم يزرني ندمانيه ... خلوت فنادمت بستانيه

فنادمته خضراً مؤنقاً ... يهيج لي ذكر أشجانيه

يقرب مفرحة المستلذ ... ويبعد همي وأحزانيه

أرى فيه مثل مداري الظباء ... تظل لأطلائها حانيه

ونور أقاح شتيت النبات ... كما ابتسمت عجباص غانيه

ونرجسه مثل عين الفتاة ... إلى وجه عاشقها رانيه

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب، قال: كان يزيد بن عبد الملك المسمعي يهوى جاريةً من جواري القيان، يقال لها: عليم، وكان يعاشر عبد الصمد، ويزيد يومئذٍ شابٌ حديث السن، وكان عبد الصمد يسميه ابني، ويسمي الجارية ابنتي، فباع الفتى بستاناً له في معقل، وضيعةً بالقندل، فاشترى الجارية بثمنها، فقال عبد الصمد:

بنيتي أصبحت عروساً ... تهدى من ابني إلى عروس

زفت إليه لخير وقتٍ ... فاجتمعا ليلة الخميس

يا معشر العاشقين أنتم بالمنزل الأرذل الخسيس
يزيد أضحى لكم رئيساً فاتبعوا منهج الرئيس
من رام بلاً لرأس أير ذلل نفساً بحل كيس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني يزيد بن محمدٍ المهلبي، قال: بلغ عبد الصمد بن المعذل أن أبا قلابة الجرمي تدسس إلى الجماز لما بلغه تعرضه له، وهجاؤه إياه، فحمله على الزيادة في ذلك، ويضمن له أن ينصره ويعاضده، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قلابة حتى أفحمه، فقال عبد الصمد فيهما:

يا من تركت بصخرة صماء هامته أميمه
إن الذي عاضدته أشبهته خلقاً وشيمه
وكفعل جدتك الحدي ثة فعل جدته القديمه
فتناصرا فابن اللئي مة ناصرٌ لابن الليئمة

حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: كان لعبد الصمد بن المعذل صديقٌ يعاشره ويأنس به، فتزوج إليه أمير البصرة، وكان من ولد سليمان بن علي، فنبل الرجل وعلا قدره، وولاه المتزوج إليه عملاً، فكتب إليه عبد الصمد:

أحلت عما عهدت من أدبك أم نلت ملكاً فتهت في كتبك
أم هل ترى أن في مناصفة الإخ وان نقصاً عليك في حسبك
أم كان ما كان منك عن غضبٍ فأي شيء أدناك من غضبك
إن جفاءً كتاب ذي ثقة يكون في صدره وأمتع بك
كيف بإنصافنا لديك وقد شاركت آل النبي في نسبك
قل للوفاء الذي تقدره نفسك عندي مللت من طلبك
أتعبت كفيك في مواصلتي حسبك ماذا كفيت من تعبك

فأجابه صديقه:

كيف يحول الإخاء يا أملي وكل خيرٍ أنال من نسبك
إن يك جهلٌ أتاك من قبلي فامنن بفضلٍ علي من أدبك
أنكرت شيئاً فلست فاعله ولا تراه يخط في كتبك

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال: كان لعبد الصمد بن المعذل صديقٌ كثير الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، ومطله به مطلاً طويلاً، فقال عبد الصمد:

لي صاحبٌ في حديثه البركة ... يزيد عند السكون والحركة

لو قال لا في قليل أحرفها ... لردها بالحروف مشتبكة

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، قال: كان يحيى بن عبد السميع الهاشمي يعاشر عبد الصمد بن المعذل، ويجتمعان في دار رجلٍ من بني المنجاب له جاريةٌ مغنيةٌ، وكان ينزل رحبة المنجاب بالبصرة، ثم استبد بها الهاشمي دون عبد الصمد، فقال فيهم عبد الصمد:

قل ليحيى مللت من أحبابي ... فلينكهم ما شاء من أصحابي

قد تركنا تعشق المرد لما ... أن بلونا تنعم العزاب

وشنئنا المؤاجرين فملنا ... بعد خبرٍ إلى وصال القحاب

حبذا قينةٌ لأهل بني المن ... جاب حلت في رحبة المنجاب

صدقت إذ يقول لي خلق الأح ... راح ليس الفقاح للأزباب

حبذا تلك إذ تغنيك يا يح ... يى وتسقيك من ثنايا عذاب

ذكر القلب ذكرةً أم زيدٍ ... والمطايا بالسهب سهب الركاب

حبذا إذ ركبتها فتجافت ... تتشكى إليك عند الضراب

وتغنت وأنت تدفع فيها ... غير ذي خيفة لهم وارتقاب

إن جنبي عن الفراش لناب ... كتجافي الأسر فوق الظراب

ليت شعري هل أسمعن إذا ما ... زاح عني وساوس الكتاب

من فتاةٍ كأنها خوط بانٍ ... مج فيها النعيم ماء الشباب

إذ تغنيك خلف سجفٍ رقيق ... نعماتٍ تحبها بصواب

شف عنها محقق جنديٌ ... فهي كالشمس من خلال سحاب

رب شعرٍ قد قلته بتباهٍ ... ويغرى به ذوو الألباب

قد تركت الملحنين إذا ما ... ذكروه قاموا على الأذناب

قال: وشاعت الأبيات بالبصرة، فامتنع مولى الجارية من معاشرة الهاشمي، وقطعه بعد ذلك.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي، قال:

حدثني أحمد بن صالح الهاشمي، قال: كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمان مائلاً إلى عبد الصمد بن المعذل، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرنباني، فجرى عن ابني هشام الكرنباني - وهو أبو وائلة وإبراهيم - وبين الحر بن عبد الله، لحاءٌ في أمر عبد الصمد، لأنهما ذكراه وسباه، فامتعض له الحسين وسبهما عنه، فرميا الحسين بابن المعذل، ونسباه إلى أن عبد الصمد يرتكب القبيح، وبلغ الحسين ذلك، فلقيهما في سكة المربد، فشد عليهما بسوطه وهو راكب، فضربهما ضرباً مبرحاً، وأفلت أبو وائلة، ووقع سبيب السوط في عين إبراهيم، فأثر فيها أثراً قبيحاً، فاستعان بمشيخةٍ من آل سليمان بن علي، وهرب أبو وائلة إلى الأمير علي بن عيسى وهو والي البصرة، فوجه معه بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله، فطلبه وهرب حسين إلى المحدثة، فلما كان من الغد جاء حسينٌ إلى صالح إسحاق بن سليمان، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان، ومشيخةٍ من آل سليمان، فصاروا معه إلى علي بن عيسى، وأقبل عبد الصمد بن المعذل لما رآهم، فدخل معهم لنصرة حسين، فكلموا علي بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد، فقال: أصلح الله الأمير، هؤلاء أهلك، وأجلة أهل مصرك، تصدوا إليك في ابنهم وابن أخيهم، وهو وإن كان حدثاً لا ينبسط للحجة بحداثته، فإن ها هنا من يعبر عنه، وقد قلت أبياتاً، فإن رأى الأمير أن يأذن في إنشادها فعل. قال: قل. فأنشده عبد الصمد قوله:

يا ابن الخلائف وابن كل مباركٍ ... رأس الدعائم سابق الأغصان

إن العلوج على ابن عمك أصفقوا ... فأتوك عنه بأعظم البهتان

قرفوه عندك بالتعدي ظالما ... وهم ابتدوه بأعظم العدوان

شتموا له عرضا أغر مهذباً ... أعراضهم أولى بكل هوان

وسموا بأجسامٍ إليه مهينةٍ ... وصلت بألأم أذرع وبنان

خلقت لمد القلس لا لتناولٍ ... عرض الشريف ولا لمد عنان

لم يحفظوا قرباه منك فينتهوا ... إذ لم يهابوا حرمة السلطان

أيذل مظلوماً وجدك جده ... كيما يعز بذله علجان

وينال أقلف كربلاء بلاده ... ذل ابن عم خليفة الرحمن

إني أعيذك أن تنال بك التي ... تطغى العلوج بها على عدنان

فدعا عليٌ بن عيسى حسيناً، فضمه إليه، فقال: انصرف مع مشايخك. ودعا بهشام الكرنباني وابنيه، فعذلهم في أمره، ثم أصلح بينهم بعد ذلك.

أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: كان عبد الصمد بن المعذل يعاشر عبد الله بن المسيب ويألفه، فبلغه أن اغتابه يوماً وهو سكران، وعاب شيئاً أنشده من شعره، فقال فيه وكتب بها إليه:

عتبي عليك مقارن العذر ... قد زال عند حفيظتي صبري
لك شافعٌ مني إلي فما ... يقضي عليك بهفوةٍ فكري
لما أتاني ما نطقت به ... في السكر قلت جناية السكر
حاشا لعبد الله يذكرني ... مستعذباً بنقيصتي ذكري
إن عاب شعري أو تحيفه ... فليهنه ما عاب من شعري
يا ابن المسيب قد سبقت بما ... أصبحت مرتهناً به شكري
فمتى خمرت فأنت في سعةٍ ... ومتى هفوت فأنت في عذر
ترك العتاب إذا استحق أخٌ ... منك العتاب ذريعة الهجر

أخبرني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال: دعا عبد الصمد بن المعدل شروين المغني، وكان محسناً متقدماً في صناعته، فتعالل عليه ومضى إلى غيره، فقال عبد الصمد، والله لأسمنه ميسماً لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلا بعد أن يبذل عرضه وحريمه. فقال فيه:

من حل شروين له منزلا ... فلتنهه الأولى عن الثانية
فليس يدعوه إلى بيته ... إلا فتًى في بيته زانية

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطر إلى أن خرج إلى بغداد وسر من رأى.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن العباس العسكري، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا الفضل بن أبي جرزة، قال: كان أبو قلابة الجرمي وعبد الصمد بن المعذل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلبي أرادوا المسير إلى بيت بحرٍ البكراوي، وكانت له جاريةٌ مغنية، يقال لها: جبلة، وكان أبو رهم إليها مائلاً يتعشقها، ثم اشتراها بعد ذلك فلما أرادوا الدخول إليها وافاهم أبو رهم، فأدخلوه وحده وحجبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة، فقال أبو قلابة: لا بد أن نهجو أبا رهم. فقالوا: قل. فقال:

ألا قل لأبي رهمٍ ... سيهوى نعتك الوصف
كما حالفك الغي ... كذا جانب الظرف
أتانا أنه أهدى ... إلى بحرٍ من الشغف
حزيمات من الصير ... فهلا معه رغف
فنادوا اقسمي فينا ... فقد جاءكم اللطف

فقال له عبد الصمد: سخنت عينك أيشٍ هذا الشعر، بمثل هذا يهجى من يراد به الفضيحة. فقال أبو قلابة: هذا الذي حضرني، فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله وأجود. فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم، وأول قصيدةٍ هجاه بها قوله:

دعوا الإسلام وانتحلوا المجوسا ... وألقوا الريط واشتملوا القلوسا

بني العبد المقيم بنهر تيري ... لقد أنهضت طيركم نحوسا

حرامٌ أن يبيت لكم نزيلٌ ... فلا يمسي بأمكم عروسا

إذا ركد الظلام رأت عسيلاً ... يحث على نداماه الكؤسا

ويذكرهم أبو رهم بهجوٍ ... فيستدعي إلى الحرم النفوسا

ويخليهم هشامٌ بالغواني ... ويحمي الفضل بينهم الوطيسا

فتسمع في البيوت لهم هبيباً ... كما أهملت في الزرب التيوسا

لقد كان الزناة بلا رئيس ... فقد وجد الزناة بهم رئيسا

هم قبلوا الزناء وأنشؤوه ... وهم وسموا بجبهته حبيسا

لئن لم تنف دعوتهم سدوسٌ ... لقد أخزى الإله بهم سدوسا

وقال فيه:

لو جاد بالمال أبو رهم ... كجوده بالأخت والأم

أضحى وما يعرف مثلٌ له ... وقيل أسخى العرب والعجم

من بر بالحرمة إخوانه ... أحق أن يشكر بالشتم

وله فيه من قصيدة طويلة:

هو والله منصفٌ ... زوجه زوج زوجته

يقسم الأير عادلا ... بين حرها وفقحته

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا العتري، قال: حدثني أبو الفضل بن عبدان، قال: خرج عبد الصمد بن المعذل مع أهله إلى نزهة وقال:

قد نزلنا بروضةٍ وغديرٍ ... وهجرنا القصر المنيف المشيدا

بعريشٍ ترى من الزاد فيه ... زكرتي خمرةٍ وصقراً صيودا

وغريرين يطربان الندامى ... كلما قلت أبدياً وأعيدا

غنياني فغنياني بلحن سلس الرجع يصدع الجلمودا
لا ذعرت السوام في فلق ال صبح مغيراً ولا دعيت يزيدا
حي ذا الزور وانهه أن يعودا إن بالباب حارسين قعودا
من يزرنا يجد شوء حبارى وقديراً رخصاً وخمراً عتيدا
وكراماً معذلين وبيضاً خلعوا العذر يسحبون البرودا
لست عن ذا بمقصرٍ ما جزائي قربت لي كريمةٌ عنقودا

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، قال: نظر عبد الصمد بن المعذل إلى الأفشين بسر من رأى وهو غلامٌ أمرد، وكان من أحسن الناس، وهو واقفٌ على باب الخليفة مع أولاد القواد، فأنشدنا لنفسه فيه، قال:

أيها اللاحظي بطرفٍ كليل هل إلى الوصل بيننا من سبيل
علم الله أنني أتمنى زورةً منك عند وقت المقيل
بعد ما قد غدوت في القرطق الجو ن تهادى وفي الحسام الصقيل
وتكفيت في المواكب تختا ل عليها تميل كل مميل
وأطلت الوقوف منك ببا ب القصر تلهو بكل قال وقيل
وتحدثت في مطاردة الصي د بخبرٍ به ورأى أصيل
ثم نازعت في السنان وفي الرم ح وعلم بمرهفات النصول
وتكلمت في الطراد وفي الطع ن ووثبٍ على صعاب الخيول
فإذا ما تفرق القوم أقبل ت كريحانةٍ دنت لذبول
قد كساك الغبار منه رداءً فوق صدغ وجفن طرفٍ كحيل
وبدت وردة القسامة من خ دك في مشرقٍ نقي أسيل
ترشح المسك منه سالفة الظب ي وجيد الأدمانة العطبول
فأسوف الغبار ساعة ألقا ك برشف الخدين والتقبيل
وأحل القباء والسيف من خص رك رفقاً باللطف والتعليل
ثم تؤتى بما هويت من التش ريف عندي والبر والتبجيل
ثم أجلوك كالعروس على الشر ب تهادى في مجسد مصقول

ثم أسقيك بعد شربي من ري قك كأساً من الرحيق الشمول
وأغنيك إن هويت غناءً غير مستكرهٍ ولا مملول
لا يزال الخلخال فوق الحشايا مثل أثناء حيةٍ مقتول
فإذا ارتاحت النفوس اشتياقاً وتمنى الخليل قرب الخليل
كان ما كان بيننا لا أسمي ه ولكنه شفاء الغليل

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي والمبرد وغيرهما، قالوا: كانت متيم جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة، فعلقها عبد الصمد بن المعذل، وكانت لا تخرج إلا منتقبةً، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهةٍ، وقدمت متيم إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحر القاضي، فاحتاج إلى أن يشهد عليها، فأمرها بأن تسفر، فلما قدم عبد الصمد قيل له: لو رأيت متيم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم ير مثله. فقال عبد الصمد قوله:

ولما سرت عنها القناع متيمٌ تروح منها العنبري متيما
رأى ابن عبيد الله محكمٌ عليها لها طرفا عليه محكما
وكان قديماً كالح الوجه عابساً فلما رأى منها السفور تبسما
فإن يصب قلب العنبري فقبله صبا باليتامى قلب يحيى بن أكثما

فبلغ قوله يحيى بن أكثم، فكتب إليه: عليك لعنة الله، أي شيء أردت مني حتى أتاني شعرك من البصرة؟ فقال لرسوله: قل له: متيم أقعدتك على طريق القافية! أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني عبد الله بن أحمد العبدي، قال: حدثني الأنيسي، قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعذل، وكان خرج من البصرة على أن يغزو، فلما دخل على إسحاق بن إبراهيم أنشده:

أفضلت نعمي على قومٍ رعيت لهم حقاً قديماً من الود الذي درسا
وحرمة القصد بالأمال إنهم أتوا سواك فما لاقوا به أنسا
لأنت أكرم منه عند رفعته قولاً وفعلاً وأخلاقاً ومغترسا

فأمر له بخمسمائة دينارٍ، فقبضها ورجع إلى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور في الثغر، وبلغ عبد الصمد خبره، فقال فيه:

يرى الغزاة بأن الله همته وإنما كان يغزو كيس إسحاق
فباع زهداً ثواباً لا نفاد له وابتاع عاجل رفد القوم بالباقي

فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله، فقال: قد مسنا أبو السم عبد الصمد بشيءٍ من هجائه. وبعث إليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح: أبى الأمير إلا كرماً وظرفاً.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليلٍ، قال: حدثني الحسن الأسدي، قال: قدم أبو نبقة من البحرين وقد أهدى إلى قوم من أهل البصرة هداياه، ولم يهد إلى عبد الصمد شيئاً فكتب إليه:

أما كان في قسب اليمامة والتمر ... وفي أدم البحرين والنبق الصفر

ولا في مناديل قسمت طريفها ... وأهديتها حظٌ لنا يا أبا بكر

سرت نحو أقوامٍ فلا هنأتهم ... ولم ينتصف منها المقل ولا المثري

أأنت إلى طالوت ذي الوفر والغنى ... وآل أبي حرب ذوي النشب الدثر

ولم تأتني ولا الرياشي تمرةٌ ... غصصت بباقي ما ادخرت من التمر

ولم يعط منها النهشلي إداوةً ... تكون له في القيظ ذخراً مدى الدهر

أقول لفتيانٍ طويت لطيهم ... عرى البيد منشور المخافة والذعر

لئن حكم السدري بالعدل فيكم ... لما أنصف السدري في ثمر السدر

لئن لم تكن عيناك عذرك لم تكن ... لدينا بمحمودٍ ولا ظاهر العذر

أخبرنا الحسن بن عليلٍ، قال: حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي، قال: وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعدٌ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم، وكان يقال ذلك في عبد الصمد، فقال فيه:

يقول ذوو التشؤم ما لقينا ... كما لقي ابن سهلٍ من يزيد

أتته منية المأمون لما ... أتاه يزيد من بلدٍ بعيد

فصير منه عسكره خلاءً ... وفرق عنه أفواج الجنود

فقلت لهم وكم مشؤوم قوم ... أباد لهم عديداً من عديد

رأيت ابن المعذل يال عمرو ... بشؤم كان أسرع في سعيد

فمنه موت جلة آل سلم ... ومنه قض آجام البريد

ولم ينزل بدارٍ ثم يمسي ... ولما يتسمع لطم الخدود

وكل مديح قومٍ قال فيهم ... فإن بعقبه يا عين جودي

إذا رجلٌ تسمع منه مدحاً ... تنسم منه رائحة الصعيد

فلو حصف الذين يبيح فيهم ... أثاروا منه رائحة الطريد

فليس العز يمنه منه شؤماً ولا عتباً بأبواب الحديد

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال: مر أحمد بن المعذل بأخيه عبد الصمد وهو يخطر، فأنشأ يقول:

إن هذا يرى أرى أنه ابن المهلب

أنت والله معجبٌ ولنا غير معجب

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا أبي وغيره، وحدثني به بعض آل المعذل، قال: مر عبد الصمد بن المعذل بغلام يقال له: المغيرة، حسن الصوت حسن الوجه، وهو يقرأ ويقول القصائد، فأعجب به، وقال فيه:

أيها الرافع في المس جد بالصوت العقيره

قتلتني عينك النج لاء والقتل كبيره

أيها الحكام أنتم فاصلو حكم العشيره

أحلالاً ما بقلبي صنعت عينا مغيره

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا زكريا بن مهران بن يحيى، قال: جاءنا عبد الصمد بن المعذل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائي، فأنشدنا قصيدةً له في صفة الحمى، فقال لي محمد بن عمر: امض إلى منزل عبد الصمد حتى تكتبها. فمضيت إليه حتى كتبتها، وهي:

هجرت الصبا ايما هجره وعفت الغواني والخمره

طوتني عن وصلها سكره بكأس الضنا ايما سكره

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن يزيد الكاتب، قال: جمع بين أبي تمام الطائي وبين عبد الصمد بن المعذل مجلسٌ، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر، وكان في أبي تمام إبطاء، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه:

أنت بين اثنتين تبرز للنا س وكلتاهما بوجهٍ مذال

لست تنفك طالباً لوصلٍ من حبيبٍ أو طالباً لنوال

أي ماء لحر وجهك يبقى بين ذل الهوى وذل السؤال

قال: فأخذ أبو تمامٍ القرطاس وخلا طويلاً، وجاء به وقد كتب فيه:

أفي تنظم قول الزور والفند وأنت أبرز من لا شيء في العدد

أشرجت قلبك من بغضي على حرق كأنها حركات أروح في الجسد

فقال له عبد الصمد: يا ماص بظر أمه، يا غث، أخبرني عن قولك أنزر من لا شيء، واخبرني عن قولك اشرحت قلبك، قلبي مفرشٌ أو عيبة أو حرجٌ فأشرحه، عليك لعنة الله فما رأيت أغث منك. فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يرى أقبح منه، وقام فانصرف، وما راجعه بحرف.

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمامٍ لا يضر أبا تمامٍ هذا منه، وما أقل ما يقدح مثل هذا في مثل أبي تمام.

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: حدثني العنزي، قال: كان عبد الصمد بن المعذل يستثقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفراش، وكان له ابنٌ أثقل منه، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو - وكان يخلف بعض أمراء البصرة - وكان الفراش هذا يصلي به، ثم يجلس فيفطر وهو وابنه عنده، فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما، فقال عبد الصمد بن المعذل:

غدر الزمان وليته لم يغدر ... وحدا بشهر الصوم فطر المفطر

وثوت بقلبك يا محمد لوعةٌ ... تمري بوادر دمعك المتحدر

وتقسمتك صبابتان لبينه ... أسف المشوق وخلة المتفكر

فاستبق عينك واحش قلبك يأسه ... واقر السلام على خوان المنذر

سقياً لدهرك إذ تروح يومه ... والشمس في علياء لم تتهور

حتى تنيخ بكلكل متزاورٍ ... وتمد بلعوماً قموص الحنجر

وترود منك على الخوان أناملٌ ... تدع الخوان سراب قاعٍ مقفر

ويح الصحاف من ابن فراش إذا ... أنحى عليها كالهزبر الهيصر

ذو دربة طبٌ إذا لمعت له ... بشر الخوان بدا بحل المئزر

ود ابن فراش وفراشٌ معاً ... لو أن شهر الصوم مدة أشهر

يزرى على الإسلام قلة صبره ... وتراه يحمد عدة المتنصر

لا تهلكن على الصيام صبابةً ... سيعود شهرك قابلاً فاستبشر

لا در درك يا محمد من فتى ... شين المغيب وغير زين المحضر

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد البصري وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذل، قال: كان يزيد بن محمد المهلبي يعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسابه، ويرمي كل واحد منهما صاحبه بالشؤم. وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولى نهر تيرى ونواحيها، فقال عبد الصمد يهجوه:

أبوك أمير قرية نهر تيرى ... ولست على نسائك بالأمير

وأرزاق العباد على آله لهم وعليك أرزاق الأيور

فكم من رزق ربك من فقيرٍ وما في أهل رزقك من فقير

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثني أحمد بن منصور، قال: شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدهن، فدخل إليه عبد الصمد بن المعذل بعد خروجه عنه، فأنشده قوله:

بأيمن طائرٍ وأسر فال وأعلى رتبةٍ وأجل حال

شربت الدهن ثم خرجت عنه خروج المشرفي من الصقال

تكشف عنك ما عانيت عنه كما انكشف الغمام عن الهلال

وقد أهديت ريحاناً طريفا به حاجيت مستمعا سؤالي

وما هو غير ياءٍ بعد حاء وقد سبقا بميم قبل دال

وريحان الشباب يعيش يوماً وليس يموت ريحان المقال

ولم يك مؤثراً تفاح شمٍّ على تفاح أسماع الرجال

أخبرني جحظة، قال: حدثني ميمون بن مهران، قال: حدثني أحمد بن المغيرة العجلي، قال: كنت عند أبي سهل الإسكافي وعنده عبد الصمد بن المعذل، فرفع إليه رجلٌ رقعة، فقرأها فإذا فيها:

هذا الرحيل فهل في حاجتي نظر أو لا فاعلم ما آتي وما أذر

فدفعها إلى عبد الصمد، وقال: الجواب عليك. فكتب فيها:

النفس تسخو ولكن يمنع العسر والحر يعذر من بالعسر يعتذر

ثم قال عبد الصمد لعلي بن سهل: هذا الجواب قولاً، وعليك أعزك الله الجواب فعلاً، ونجح سعي الآمل حقٌ واجب على مثلك. فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعلي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي، قال: كان لابن المعذل ابنٌ ثقيلٌ تياهٌ الذهاب بنفسه، وكان مبغضاً عند أهل البصرة، فمر يوماً بعمه عبد الصمد، فلما رآه قال لمن معه:

إن هذا يرى أرى أنه ابن المهلب

أنت والله معجبٌ ولنا غير معجب

قال: وقال فيه أيضاً:

لو كان يعطى المنى الأعمام في ابن أخٍ أصبحت في جوف قرقورٍ إلى الصين
قد كان هماً طويلاً لا يقام له لو كان رؤيتنا إياك في الحين
فكيف بالصبر إذ أصبحت أكثر في مجال أعيننا من رمل يبرين
يا أبغض الناس في عسر وميسرةٍ وأقذر الناس في دنيا وفي دين
لو شاء ربي لأضحى واهباً لأخي بمد تكلك أجراً غير ممنون
وكان خيراً له لو كان مؤتزرا في السالفات على غرمول عنين
وقائلٍ لي ما أضناك قلت له شخصٌ ترى وجهه عيني فيضنيني
إن القلوب لتطوى منك يا ابن أخي إذا رأتك على مثل السكاكين
أتتك العيس تنفخ في براها تكشف عن مناكبها القطوع
بأبيض من أمية مضرحيٍّ كأن جبينه سيفٌ صنيع

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، والغناء لابن المهربد، رمل بالبنصر عن الهشامي. والله أعلم.

أخبار عبد الرحمن ونسبه

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمه أم أخيه مروان، آمنة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق بن رقبة بن مخدج من بني كنانة. ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف، شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه، وكان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كل واحدٍ منهما من صاحبه.

أخبرني محمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، عن العمري، عن العتبي والهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان.

وأخبرني به عمي عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم، عن صالح بن حسانٍ قال: قدم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولى سعيد بن العاص، وكان مروان وجه به وقال له: القه أمامي فعاتبه لي واستصلحه. وقال عمي في خبره: كان عبد الرحمن بدمشق، فلما بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلقاه، وقال له: أقم حتى أدخل إلى الرجل، فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفرداً. وإن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس. قال: فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أمامه، فلما قدم عليه دخل إليه وهو يعشي الناس، فأنشأ يقول:

أتتك العيس تنفخ في براها تكشف عن مناكبها القطوع

بأبيض من أمية مضرحي كأن جبينه سيفٌ صنيع

فقال معاوية: أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً؟ فقال: أي ذلك شئت. فقال له: ما أشاء من ذلك شيئاً، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عن له، فقال: على أي الظهر أتيتنا؟ قال: على فرسي. قال: وما وصفته؟ قال: أجشٌ هزيم، يعرض بقول النجاشي له:

ونجى ابن حربٍ سابحٌ ذو علالة أجش هزيم والرماح دواني

إذا خلت أطراف الرماح تناله مرته به الساقان والقدمان

فغضب معاوية: وقال: أما إنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الريب، ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنائنه بعد هجعة الناس - وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في امراة أخيه - فخجل عبد الرحمن وقال: يا أمير المؤمنين، وما حملك على عزل ابن عمك، ألجنايةٍ أوجبت سخطاً، أم لرأي رأيته، وتدبيرٍ استصلحته؟ قال: لتدبير استصلحته. قال: فلا بأس بذلك، وخرج من عنده فلقي أخاه مروان، فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية، فاستشاط غيظاً، وقال لعبد الرحمن: قبحك الله، ما أضعفك، أعرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه؟ ثم لبس حلته، وركب فرسه، وتقلد سيفه، ودخل على معاوية، فقال له حين رآه وتبين الغضب في وجهه: مرحباً بأبي عبد الملك، لقد زرتنا عند اشتياقٍ منا إليك. قال: لاها الله ما زرتك لذلك، ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقاً قاطعاً، والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا. لقد كانت السابقة من بني شمس لآل أبي العاص، والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، والخلافة فيهم، فوصلوكم يا بني حرب وشرفوكم، وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم، حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم، أبيتم إلا أثرة وسوء صنيعة، وقبح قطيعة، فرويداً رويداً، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين، وإنما هي أيامٌ قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم امرؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوء بالمرصاد.

قال عمي في خبره: فقال له معاوية: عزلتك لثلاثٍ لو لم يكن منهن إلا واحدةٌ لأوجبت عزلك: إحداهن إني أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما، فلم تستطع أن تشتفي منه. والثانية كراهتك لأمر زياد. والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجك عمرو بن عثمان فلم تعدها. فقال له مروان: أما ابن عامرٍ فإني لا أنتصر في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه. وأما كراهتي أمر زياد فإن سائر بني أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيراً كثيراً. وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إن لتأتي علي سنةٌ أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً - يعرض بأن رملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح - فقال له معاوية: يا ابن الوزغ، لست هناك. فقال له مروان: هو ذاك الآن، والله إني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة - يعني أربعين - ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني! فانخزل معاوية ثم قال:

فإن آك في شراركم قليلاً فإني في خياركم كثير

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلاتٌ نزور

قال: فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له، وقال: لك العتبى، وأنا رادك إلى عملك. فوثب مروان وقال له: كلا والله وعيشك لا رأيتني عائداً إليه أبدا. وخرج، فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيت لك قط سقطةً مثلها، ما هذا الخضوع لمروان؟ وأي شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأي شيءٍ تخشاه منهم؟ فقال له: ادن مني أخبرك بذلك. فدنا منه، فقال له: إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة لما زفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي تولى نقلها إليه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحد النظر إليه، فلما خرج من عنده قيل له: يا رسول الله، لقد أحددت النظر إلى الحكم! فقال: ابن المخزومية ذلك رجلٌ إذا بلغ ولده ثلاثين - أو قال: أربعين - ملكوا الأمر بعدي. فوالله لقد تلقاها مروان من عينٍ صافية. فقال له الأحنف: لا يسمعن هذا أحدٌ منك، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك، وإن يقض الله عز وجل أمراً يكن. فقال له معاوية: فاكتمها علي يا أبا بحر إذاً، فقد لعمري صدقت ونصحت.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني يعقوب بن القاسم الطلحي، قال: حدثني ثمالٌ عن أيوب بن درباس بن دجاجة قال:

شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن، إلى معاوية، ثم ذكر نحواً من الحديث الأول، و لم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف، وزاد فيه: فقال عبد الرحمن في ذلك:

أتقطر آفاق السماء له دماً إذا قيل الطرف أجرد سابح

فحتى متى لا نرفع الطرف ذلةً وحتى متى تعيا عليك المنادح

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه، قال: كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية، وقد بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي عليهما السلام فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبد الرحمن ثم قال:

أبلغ أمير المؤمنين فلا تكن كموتر أقواسٍ وليس لها نبل

لهامٌ بجنب الطف أدنى قرابةً من ابن زياد الوغد ذي لحسب الرذل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل

فصاح به يزيد: اسكت يا ابن الحمقاء، وما أنت وهذا؟! أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني هارون بن معروف قال: حدثنا بشر بن السري قال: حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال: رأيتهم - يعني بني أمية - يتتايعون نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز، فذهبت معهم وأنا

غلامٌ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده، فدخلنا عليه، فقال له عبيد بن عمير، ما لي أراك تذرف عيناك؟ فقال له: إن هذا - يعني عبد الرحمن بن الحكم - قال بيتاً أبكاني، وهو:

وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتي ... وعبد مناف لم تغلها الغوائل

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية، وإنا إنما كنا أهل بيتٍ واحد في الجاهلية، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم قال: حدثني أخي عباسٌ: أن عبد الرحمن بن الحكم كان يولع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها شنباء ويهيم بمحبتها، فبلغ ذلك مروان، فشتمه وتوعده وتحفظ منه في أمر الجارية وحجبها، فقال فيها عبد الرحمن:

لعمر أبي شنباء إني بذكرها ... وإن شحطت دار بها لحقيق

وإني لها، لا ينزع الله ما لها ... علي وإن لم ترعه لصديق

ولما ذكرت الوصل قالت وأعرضت ... متى أنت عن هذا الحديث مفيق

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا الخليل بن أسد عن العمري، ولم أسمعه من العمري، عن الهيثم بن عدي قال: لما ادعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك - والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد، وذلك غلط - قال:

إلا أبلغ معاوية بن حربٍ ... مغلغلةً من الرجل الهجان

أتغضب أن يقال أبوك عفٌ ... وترضى أن يقال أبوك زان

فأشهد إن رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها ولدت زياداً ... وصخرٌ من سمية غير داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب، فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه قال له: إيه يا عبد الرحمن، أنت القائل:

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ ... مغلغلةً من الرجل الهجان

قال: لا أيها الأمير، ما هكذا قلت، ولكني قلت:

ألا من مبلغ عني زياداً ... مغلغلةً من الرجل الهجان

من ابن القرم قرم بني قصي ... أبي العاصي بن آمنة الحصان

حلفت برب مكة والمصلى ... وبالتوراة أحلف والقرآن

لأنت زيادةٌ في آل حرب ... أحب إلي من وسطى بناني

سررت بقربه وفرحت لما | أتاني الله منه بالبيان
وقلت له أخو ثقةٍ وعمٌّ | بعون الله في هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتى | فما أدري بغيبٍ ما تراني

فرضي عنه زيادٌ، وكتب له بذلك إلى معاوية، فلما دخل عليه بالكتاب قال: أنشدني ما قلت لزياد. فانشده، فتبسم ثم قال: قبح الله زياداً، ما أجهله، والله لما قلت له أخيراً حيث تقول: لأنت زيادة في آل حرب شر من القول الأول، ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه.

هجاء عبد الرحمن لأخيه

الحارث حين استعفى من الغزو

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة البحر، فنكص واستعفى، فوجه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان، فمضى وأبلى وحسن بلاؤه، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث:

شنئتك إذ رأيتك حوتكيا | قريب الخصيتين من التراب
كأنك قملة لقحت كشافاً | لبرغوث ببعرة أو صوأب
كفاك الغزو إذا أحجمت عنه | حديث السن مقتبل الشباب
فليتك حيضة ذهبت ضلالاً | وليتك عند منقطع السحاب

هجاؤه لمروان حين أعدي عليه الحناط

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: لطم عبد الرحمن بن الحكم مولى لأهل المدينة حناطاً، وأخوه مروان يومئذ وال لأهل المدينة، فاستعداه الحناط عليه، فأجلسه مروان بين يديه وقال له: الطمه - وهو أخو مروان لأبيه وأمه - فقال الحناط: والله ما أردت هذا، وإنما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرني عليه، وقد وهبتها لك. قال: لست أقبلها منك فخذ حقك. فقال: والله لا ألطمه، ولكني أهبها لك. فقال له مروان: إن كنت ترى أن ذلك يسخطني فوالله لا أسخط، فخذ حقك. فقال: قد وهبتها لك، ولست والله لاطمه. قال: لست والله قابلها، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك، أو لله عز وعلا. فقال: قد وهبتها لله تعالى. فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان:

كل ابن أم زائد غير ناقص | وأنت ابن أم ناقص غير زائد
وهبت نصيبي منك يا مرو كله | لعمرو وعثمان الطويل وخالد

رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى، وأنشأ يقول:

أيا عين جودي بدمع سرب — على فتية من خيار العرب

وما ضرهم، غير حين النقوس، — أي أميري قريش غلب

غضب معاوية عليه ثم عفوه عنه

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثني عمر بن شبة قال: حدثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال: عرض معاوية على عبد الرحمن بن الحم خيله، فمر به فرس فقال له: كيف تراه؟ فقال: هذا سابح. ثم عرض عليه آخر فقال: هذا ذو علالة. ثم مر به آخر فقال: وهذا أجش هزيم. فقال له معاوية: قد علمت ما أردت، إنما عرضت بقول النجاشي في:

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة — أجش هزيم والرماح دوان

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا — كسيد الغضى باق على النسلان

أخرج عني فلا تساكني في بلد، فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية، وقال له عبد الرحمن: وحتى متى نستذل ونضام؟ فقال له مروان: هذا عملك بنفسك. فأنشأ يقول:

أتقطر آفاق السماء لنا دماً — إذا قلت هذا الطرف أجرد سابح

فحتى متى لا نرفع الطرف ذلة — وحتى متى تعيا عليك المنادح

فدخل مروان على معاوية، فقال له مروان: حتى متى هذا الاستخفاف بآل أو أبي العاصي؟ أما والله إنك لتعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم وآله فينا، ولقل ما بقي من الأجل فضحك معاوية وقال: لقد عفوت لك عنه يأبا عبد الملك. والله أعلم بالصواب صوت

قولا لنائل ما تقضين في رجل — يهوى هواك وما جنبته اجتنبا

يمسي معي جسدي والقلب عندكم — فما يعيش إذا ما قلبه ذهبا

الشعر لمسعدة بن البختري، والغناء لعبادل، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لعريب ثقيل أول آخر عن ابن المعتز، ولها فيه أيضاً خفيف رمل عنه.

أخبار مسعدة ونسبه

هو مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صفرة، بن أخي المهلب بن أبي صفرة. وقد مضى نسبه متقدماً في نسب يزيد بن محمد المهلبي وابن أبي عيينة وغيرهما.

وهذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدي وكان يهواها.

تشبيب مسعدة بنائلة

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة، عن القحذمي قال: كان مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صفرة، يشبب بنائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدي أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، وكان أبوها سيداً شريفاً، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج، وفيها يقول:

أنائل إنني سلم لأهلك فاقبلي سلمى

قال القحذمي: وأم نائلة هذه عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، وأمها الملاءة بنت زرارة بن أوفى الجرشية، وكان أبوها فقيهاً محدثاً من التابعين. وقد شبب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة ابنتها.

عاتكة بنت الفرات وما قيل فيها قال عيسى: فحدثني محمد بن سلام قال: لا أعلم أن امرأة شبب بها وبأمها وجدها غير نائلة. فأما نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة، وأما عاتكة فإن يزيد بن المهلب تزوجها؛ فقتل عنها يوم العقر، وفيها يقول الفرزدق:

إذا ما المزونيات أصبحن حسرا وبكين أشلاء على غير نائل

فكم طالب بنت الملاءة إنها تذكر ريعان الشباب المزايل

ما قيل في أمها الملاءة وفي الملاءة أمها يقول الفرزدق:

كم للملاءة من طيف يؤرقني إذا تجرثم هادي الليل واعتكرا

قصة عاتكة بنت الملاءة أخبرني الحرمي بن العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال: خرجت عاتكة بنت الملاءة إلى بعض بوادي البصرة فلقيت بدوياً معه سمن فقالت له: أتبيع هذا السمن؟ فقال: نعم. قالت: أرناه. ففتح نحياً فنظرت إلى ما فيه، ثم ناولته إياه وقالت: افتح آخر. ففتح آخر فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه، فلما شغلت يديه أمرت جواريها فجعلن يركلن في استه وجعلت تنادي: يا لثارات ذات النحيين! قصة ذات النحيين قال الزبير: تعني ما صنع بذات النحيين في الجاهلية؛ فإن رجلاً يقال له: خوات بن جبير رأى امرأة معها نحيا سمن فقال: أريني هذا. ففتحت له أحد النحيين، فنظر إليه ثم قال: أريني الآخر. ففتحته، ثم دفعه إليها، فلما شغل يديها وقع عليها، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن، فضربت العرب المثل بها، وقالت أشغل من ذات النحيين فأرادت عاتكة بنت الملاءة أن هذا لم يفعله أحد من النساء برجل كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها، وأنها ثأرت للنساء ثأرهن من الرجال بما فعلته.

ما جرى بين الملاءة وعمر بن أبي ربيعة أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق

الموصلي عن الزبير والمسيبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله: أن الملاءة بنت زرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعة ينشدهم، فقالت لجارية: من هذا؟ قالت: عمر بن أبي بربيعة، المنتقل من مترله من ذات وداد إلى أخرى، الذي لم يدم على وصل، ولا لقوله فرع ولا أصل، أما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما ترضين، وما رأيت أدنا من نساء أهل الحجاز ولا أقر منهن بخسف، والله لأمة من إمائنا آنف منهن! فبلغ ذلك عمر عنها، فراسلها فراسلته، فقال:

حي المنازل قد عمرن خرابا ... بين الجرين وبين ركن كسابا
بالثني من ملكان غير رسمها ... مر السحاب المعقبات سحابا
وذيول معصفة الرياح تجرها ... دققاً فأصبحت العراص يبابا
ولقد أراها مرة مأهولة ... حسناً جناب محلها معشابا
دار التي قالت غداة لقيتها ... عند الجمار فما عييت جوابا
هذا الذي باع الصديق بغيره ... ويريد أن أرضى بذاك ثوابا
قلت اسمعي مني المقال ومن يطع ... بصديقه المتملق الكذابا
وتكن لديه حباله أنشوطة ... في غير شيء يقطع الأسبابا
إن كنت حاولت العتاب لتعلمي ... ما عندنا فلقد أطلت عتابا
أو كان ذلك للبعاد فإنه ... يكفيك ضربك دونك الجلبابا
وأرى بوجهك شرق نور بين ... وبوجه غيرك طخية وضبابا

صوت

أسعداني يا نخلتي حلوان ... وارثيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يف ... رق بين الألاف والجيران

أسعداني وأيقنا أن نحساً ... سوف يلقاكما فتفترقان
ولعمري لو ذقتما ألم الفر ... قة أبكاكما كما أبكاني
كم رمتني به صروف الليالي ... من فراق الأحباب والخلان

الشعر لمطيع بن إياس، والغناء لحكم الوادي، هزج بالوسطى عن عمرو وإلهشامي.

أخبار مطيع بن إياس ونسبه

هومطيع بن إياس الكناني. ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وذكر إسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر. والديل وليث أخوان لأب وأم، أمهما أم خارجة، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهي التي يضرب بها المثل فيقال: أسرع من نكاح أم خارجة. وقد ولدت عدة بطون من العرب حتى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلص من ولادها كبير أحد منهم كان مقارباً. فمن ولدت الديل وليث والحارث وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغاضرة بن مالك بن مالك ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، والعنبر وأسيد والهجيم، بنو عمرو بن تميم، وخارجة بن يشكر وبه كانت تكنى ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا، وهو أبو المصطلق.

نكاح أم خارجة

قال النسابون: بلغ من سرعة نكاحها أن الخاطب كان يأتيها فيقول لها: خطب، فتقول له: نكح.
وزعموا أن بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابن لها عن حيه إلى حيها، فلقيها راكب فلما تبينته قالت لابنها: هذا خاطب لي لا شك فيه، أفتراه يعجلني أن أنزل عن بعيري ؟ فجعل ابنها يسبها.
ولا أعلم أني وجدت نسب مطيع متصلاً إلى كنانة في رواية أحد إلا في حديث أنا ذاكره؛ فإن راويه ذكر أن أبا قرعة الكناني جد مطيع، فلا أعلم أهو جده الأدنى فأصل نسبه به، أم هو بعيد منه، فذكرت الخبر على حاله.

تشاحن ابن الزبير وجد مطيع

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني العمري وأبو فراس عمي جميعاً، عن شراحيل بن فراس، أن أبا قرعة الكناني، واسمه سلمى بن نوفل قال: وهو جد مطيع بن إياس الشاعر كانت بينه وبين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضه ، فدخل سلمى وابن الزبير يخطب الناس، وكان منه وجلاً، فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس، فلما انصرف من المجلس دعا حرسياً فقال: امض إلى موضع كذا وكذا من المسجد، فادع لي سلمى بن نوفل. فمضى فأتاه به، فقال له الزبير: إيها أيها الضب. إني لست بالضب ولكن الضب بالضمر من صخر. قال: إيهاً أيها الذيخ . قال: إن أحداً لم يبلغ سني وسنك إلا سمي ذيخاً .
قال: إنك لها هنا يا عاض بظر أمه. قال: أعيذك بالله أن يتحدث العرب أن الشيطان نطق على فيك بما تنطق به الأمة الفسلة، وايم الله ما ها هنا داد أريده على المجلس أحد إلا قد كانت أمه كذلك.

والد مطيع بن إياس

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال: كان إياس بن مسلم، أبو مطيع بن إياس شاعراً، وكان قد وفد إلى نصر بن سيار بخراسان فقال فيه:

إذا ما نعالي من خراسان أقبلت وجاوزت منها مخرماً ثم مخرما

ذكرت الذي أوليتني ونشرته فإن شئت فاجعلني لشكرك سلما

جد مطيع بن إياس

فأما نسب أبي قرعة هذا فإنه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة. ذكر ذلك المدائني. وكان سلمى بن نوفل جواداً. وفيه يقول الشاعر:

يسود أقوام وليسوا بسادة بل السيد الميمون سلمى بن نوفل

رجع الخبر إلى سياقه نسب مطيع بن إياس وأخباره

صفة مطيع وذكر نشأته

وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلو العشرة، مليح النادرة، ماجناً متهماً في دينه بالزندقة، ويكنىأبا سلمى. ومولده ومنشؤه الكوفة، و أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوج بها، فولد له مطيع.

صلته بالولاة والخلفاء

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومتصرفاً بعده في دولتهم، ومع أوليائهم وعمالهم وأقاربهم لا يكسد عند أحد منهم، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فكان معه حتى مات، و لم أسمع له مع أحد منهم خبراً إلا حكاية بوفوده على سليمان بن علي، وأنه ولاه عملاً. وأحسبه مات في تلك الأيام.

رأي بعض الناس فيه

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال: حدثني محمد بن سعد الكراني عن العمري عن العتبي عن أبيه قال: قدم البصرة علينا شيخ من أهل الكوفة لم أر قط أظرف لساناً ولا أحلى حديثاً منه، وكان يحدثني عن مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وحماد الراوية، وظرفاء الكوفة، بأشياء من أعاجيبهم وطرفهم، فلم يكن يحدث عن أحد بأحسن مما كان يحدثني عن مطيع بن إياس، فقلت له: كنت والله أشتهي أن أرى مطيعاً، فقال: والله لو رأيته للقيت منه بلاء عظيماً. قال: قلت: وأي بلاء ألقاه من رجل أراه؟ قلت: كنت ترى رجلاً يصبر عن العاقل إذا رآه، ولا

يصحبه أحد إلا افتضح به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال: سالت رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيع بن إياس عنه فقال: لا ترد أن تسألني عنه. قلت: و لم ذاك؟ قال: وما سؤالك إياي عن رجل كان إذا حضر ملكك ، وإذا غاب عنك شاقك، وإذا عرفت بصحبته فضحك.

إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن عمرو قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن محمد جبير، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: حدثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكم الوادي، أنه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلام حديث السن، فقال:

إكليلها ألوان ووجهها فتان

وخالها فريد ليس لها جيران

إذا مشت تثنت كأنها ثعبان

فطرب حتى زحف عن مجلسه إلى، وقال: أعد فديتك بحياتي. فأعدته حتى صحل صوتي ، فقال لي: ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال: ومن هو فديتك؟ فقلت: مطيع بن إياس الكناني. فقال: وأين محله؟ قلت: الكوفة. فأمر أن يحمل إليه على البريد، فحمل إليه، فما أشعر يوماً إلا برسوله قد جاءني، فدخلت إليه ومطيع بن إياس واقف بين يديه، وفي يد الوليد طاس من ذهب يشرب به، فقال له: غن هذا الصوت يا وادي. فغنيته إياه، فشرب عليه، ثم قال لمطيع: من يقول هذا الشعر؟ قال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: إدن مني. فدنا منه، فضمه الوليد وقبل فاه وبين عينيه، وقبل مطيع رجله والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقرب المجالس إليه، ثم تم يومه فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيام على هذا الصوت.

لحن هذا الصوت هزج مطلق في مجرى البنصر، والصنعة لحكم. وقد حدثني بخبره هذا مع الوليد جماعة غير هذه الرواية، و لم يذكروا فيها حضور مطيع.

حدثني به أحمد عبيد الله بن عمار قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال: بلغني عن حكم الوادي، وأخبرني الحسين بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أمه عن حكم الوادي قال: وفدت على الوليد بن يزيد مع المغنين، فخرج يوماً إلينا وهو راكب على حمار، وعليه دارعة وشيء ؛ وبيده عقد جوهر، وبين يديه كيس فيه ألف دينار، فقال: من غناني فأطربني فله ما علي وما معي. فغنوه فلم يطرب فاندفعت وأنا يومئذ أصغرهم سناً فغنيته:

إكليلها ألوان ووجهها فتان

وخالها فريد ليس له جيران

إذا مشت تثنت كأنها ثعبان

فرمى إليه بما معه من المال والجوهر ، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إلي رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته.

صحبته لجماعة من الزنادقة

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: كان مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثي، وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك، وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة.

صلته بعبد الله بن معاوية

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمومته، أن مطيع بن إياس وعمارة بن حمزة من بني هاشم، وكان مرميين بالزندقة، نزعا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب لما خرج في آخر دولة بني أمية، وأول ظهور الدولة العباسية بخراسان، وكان ظهر على نواح من الجبل: منها أصبهان وقم ونهاوند، فكان مطيع وعمارة ينادمانه ولا يفارقانه.

قال النوفلي: فحدثني إبراهيم بن يزيد بن الخشك قال: دخل مطيع بن إياس على عبد الله بن معاوية يوماً وغلام واقف على رأسه يذب عنه بمنديل و لم يكن في ذلك الوقت مذاب، إنما المذاب عباسية قال: وكان الغلام الذي يذب أمرد حسن الصورة، يروق عين الناظر، فلما نظر مطيع إلى الغلام كاد عقله يذهب، وجعل يكلم ابن معاوية يلجلج، فقال:

إني وما أعمل الحجيج له أخشى مطيع الهوى على فرج

أخشى عليه مغامساً مرساً ليس بذي رقبة ولا حرج

ما قاله هو وعمارة في صاحب شرطة ابن معاوية أخبرني أحمد بن عبيد الله قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي عن عمه عيسى قال: كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له: قيس بن عيلان العنسي النوفلي وعيلان اسم أبيه، وكان شيخاً كبيراً دهرياً لا يؤمن بالله ، وكان إذا عس لم يبق أحد إلا قتله، فأقبل يوماً فنظر إليه ابن معاوية ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن إياس، قال:

إن قيساً وإن تقنع شيباً لخبيث الهوى على شمطه

أجزيا عمارة. فقال:

ابن سبعين منظراً ومشيباً وابن عشر يعد في سقطه

فأقبل على مطيع فقال: أجز. فقال:

وله شرطةٌ إذا جنه اللي ل فعوذوا بالله من شرطه

قال النوفلي: وكان مطيعٌ فيما بلغني مأبوناً، فدخل عليه قومه فلاموه على فعله، وقالوا له: أنت في أدبك وشرفك وسؤددك وشرفك ترمى بهذه الفاحشة القذرة؟ فلو أقصرت عنها! فقال: جربوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه. وقالوا: قبح الله فعلك وعذرك، وما استقبلتنا به.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا حماد عن أخيه عن النضر بن جديد قال: أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال: حدثني مطيع بن إياس قال: قال لي حماد عجردٍ: هل لك في أن أريك خشة صديقي، وهي المعروفة بظبية الوادي؟ قلت: نعم. قال: إنك إن قعدت عنها وخبثت عينك في النظر أفسدتها علي. فقلت: لا والله لا أتكلم بكلمةٍ تسوءك. ولأسرنك. فمضى وقال: والله لا أتكلم، لئن خالفت ما قلت لأخرجنك. قال: قلت: إن خالفتَ ما تكره فاصنع بي ما أحببت. قال: امض بنا. فأدخلني على أظرف خلق الله وأحسنهم وجهاً، فلما رأيتها أخذني الزمع وفطن لي: فقال: اسكن يا ابن الزانية. فسكنت قليلاً، فلحظتني ولحظتها أخرى، فغضب ووضع قلنسيته عن رأسه، وكانت صلعته حمراء كأنها است قردٍ، فلما وضعها وجدت للكلام موضعاً فقلت:

وار السوأة السوآ ء يا حماد عن خشه

عن الأترجة الغض ة والتفاحة الهشه

فالتفت إلي، وقال: فعلتها يا ابن الزانية؟ فقالت له: أحسن والله، ما بلغ صفتك بعد، فما تريد منه؟ فقال لها: يا زانية! فقالت له: الزانية أمك! وثاورته وثاورها، فشقت قميصه، وبصقت في وجهه، وقالت له: ما تصادقك وتدع مثل هذا إلا زانية! وخرجنا وقد لقي كلٌ بلاء، وقال لي: ألم أقل لك يا ابن الزانية: إنك ستفسد علي مجلسي. فأمسكت عن جوابه، وجعل يهجوني ويسبني، ويشكوني إلى أصحابنا، فقالوا لي: اهجه ودعنا وإياه. فقلت فيه:

ألا يا ظبية الوادي وذات الجسد الراد

وزين المصر والدار وزين الحي والنادي

وذات المبسم العذب وذات الميسم البادي

أما بالله تستحيي ن من خلة حماد

فحمادٌ فتًى ليس بذي عزٍّ فتتقادي

ولا مالٍ ولا عزٍّ ولا حظٍّ لمرتاد

فتوبي واتقي الله وبتي جبل جراد

فقد ميزت بالحسن عن الخلق بإفراد

وهذا البين قد حم فجودي منك بالزاد

في الأول والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكم الوادي رملٌ.

قال: فأخذ أصحابنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها، وألقوها في الطريق، وخرجت أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم، فلما رآها وقرأها قال لهم: يا أولاد الزنا، فعلها ابن الزانية، وساعدتموه علي! قال: وأخذها حكمٌ الوادي فغنى فيها، فلم يبق بالكوفة سقاءٌ ولا طحان ولامكارٍ إلا غنى فيها، ثم غنيت مدةً وقدمت، فأتاني فما سلم علي حتى قال لي: يا ابن الزانية، ويلك أما رحمتني من قولك لها:

أما بالله تستحيي ن من خلة حماد

بالله قتلتني قتلك الله! والله ما كلمتني حتى الساعة. قال: قلت: اللهم أدم هجرها له وسوء آرائها فيه، وآسفه عليها، وأغره بها! فشتمني ساعةً. قال مطيع: ثم قلت له: قم بنا حتى أمضي بك فأريك أختي. قال مطيع، فمضينا فلما خرجت إلينا دعوت قيمةً لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً، وعرفتها أن الذي معي حماد. فضحكت ثم أخذت صاحبتي في الغناء، وقد علمت بموضعه وعرفته، فكان أول صوت غنت:

أما بالله تستحيي ن من خلة حماد

فقال لها: يا زانية! وأقبل علي فقال لي: وأنت يا زاني يا ابن الزانية. وشاتمته صاحبتي ساعةً، ثم قامت فدخلت، وجعل يتغيظ علي فقلت: أنت ترى أني أمرتها أن تغني بما غنت؟ قال: أرى ذلك وأظنه ظناً، لا والله، ولكني أتيقنه! فحلفت له بالطلاق على بطلان ظنه، فقالت: وكيف هذا؟ فقلت: أراد أن يفسد هذا المجلس من أفسد ذلك المجلس. فقالت: قد والله فعل. وانصرفنا.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال: قال يحيى بن زيادٍ الحارثي لمطيع بن إياس: انطلق بنا إلى فلانة صديقتي، فإن بيني وبينها مغاضبة، لتصلح بيننا، وبئس المصلح أنت. فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان، ومطيعٌ ساكت، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع، ما يسكتك، أسكت الله نأمتك؟ فقال لها مطيع:

أنت معتلة عليه وما زا ل مهيناً لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى بما سمع، وهش له مطيع:

فدعيه وواصلي ابن إياسٍ جعلت نفسي الغداة فداك

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت، فما زال يجلد بها رأسه ويقول: ألهذا جئت بك يا ابن الزانية! ومطيع يغوث حتى مل يحيى، والجارية تضحك منهما، ثم تركه وقد سدر.

حدثني الحسن بن عليٍّ الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: مرض حماد عجردٍ، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياس، وكان خاصةً به، فكتب إليه حماد:

كفاك عيادتي من كان يرجو ثواب الله في صلة المريض

فإن تحدث لك الأيام سقماً يحول جريضه دون القريض

يكن طول التأوه منك عندي بمنزلة الطنين من البعوضأم

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حمادٍ عن أبيه قال: قدم مطيع بن إياس من سفر فقدم بالرغائب، فاجتمع هو وحماد عجردٍ بصديقته ظبية الوادي، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد، فلما جلسوا يشربون غنت ظبية الوادي فقالت:

أظن خليلي غدوةً سيسير وربي على أن لا يسير قدير

فما فرغت من الصوت حتى غنت صاحبة مطيع:

ما أبالي إذا النوى قربتهم ودنونا من حل منهم وساروا

فجعل مطيعٌ يضحك وحماد يشتمها.

أظن خليلي غدوةً سيسير وربي على أن لا يسير قدير

عجبت لمن أمسى محباً ولم يكن له كفنٌ في بيته وسرير

غنى في هذين البيتين إبراهيم الموصلي، ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيف رملٍ بالوسطى.

حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجرجاني قال: كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له: عمر بن سعيد، فعاتبه في أمر قينةٍ يقال لها مكنونة كان مطيعٌ يهواها حتى اشتهر بها، وقال له: إن قومك يشكونك ويقولون، إنك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة، وقد لحقهم العيب والعار من أجلها! فأنشأ مطيع يقول:

قد لامني في حبيبتي عمر واللوم في غير كنهه ضجر

قال أفق قلت لا قال بلى قد شاع في الناس عنكما الخبر

قلت قد شاع فاعتذاري مما ليس لي فيه عندهم عذر

عجزٌ لعمري وليس ينفعني فكف عني العتاب يا عمر
وارجع إليهم وقل لهم قد أبى وقال لي لا أفيق فانتحروا
أعشق وحدي فيؤخذون به كالترك تغزو فيقتل الخزر

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن أبي أحمد عن أبي العير الهاشمي قال: حدثني أبي أن مطيع بن إياس مر بيحيى بن زيادٍ، وحماد الراوية وهما يتحدثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالا: في قذف المحصنات. قال: أو في الأرض محصنة فتقذفانها؟ حدثني عيسى بن الحسن الوراق قال: حدثني عمر بن عبد الملك الزيات. وحدثنيه الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني محمد بن هارون قال: أخبرني الفضل بن إياس الهذلي الكوفي أن المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضارالناس فحضروا، وقامت الخطباء فتكلموا، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله، وفيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، حدثنا فلانٌ عن فلانٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً". وهذا العباس بن محمدٍ أخوك يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس، فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم. مخافةً من المنصور، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي.

قال: ولما انقضى المجلس، وكان العباس بن محمد لم يأنس به، قال: أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى استشهدني على كذبه، فشهدت له خوفاً، وشهد كل من حضر علي بأني كاذب؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفرٍ، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدمه، فخافه وطرده عن خدمته. قال: وكان جعفرٌ ماجناً، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه، وشقت عليه البيعة لمحمدٍ، فأخرج أيره ثم قال: إن كان أخي محمدٌ هو المهدي فهذا القائم من آل محمدٍ.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: كان مطيع بن إياسٍ يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور وينادمه، فكره أبو جعفر ذلك، لما شهر به مطيعٌ في الناس وخشي أن يفسده، فدعا بمطيع وقال له: عزمت علي أن تفسد ابني علي وتعلمه زندقتك؟ فقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظن بي هذا، والله ما يسمع مني إلا ما إذا وعاه جمله وزينه ونبله! فقال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضره ويغره. فلما رأى مطيعٌ إلحاحه في أمره قال له: أتؤمنني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتى أصدقك؟ قال: أنت آمن. قال: وأي مستصلح فيه؟ وأي نهايةٍ لم يبلغها في الفساد والضلال؟ قال: ويلك، بأي شيء؟ قال: يزعم أنه ليعشق امرأةً من الجن وهو مجتهدٌ في خطبتها، وجمع أصحاب العزائم عليها، وهم يغرونه ويعدونه بها ويمنونه، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جدٍّ ولا هزل ولا كفر إيمان. فقال له المنصور: ويلك، أتدري ما تقول؟ قال: الحق والله أقول. فسل عن ذلك، فقال له: عد إلى صحبته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر، ولا تعلمه أني علمت بذلك حتى أجتهد في أزالته عنه.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً، فقال لمطيع: قد أفسدت ابني يا مطيع. فقال له مطيع: إنما نحن رعيتك فإذا أمرتنا بشيءٍ فعلنا.

قال: وخرج جعفرٌ من دار حرمه فقال لأبيه: ما حملك على أن دخلت داري بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر: لعن الله من أشبهك، ولعنك! فقال: والله لأنا أشبه بك منك بأبيك - قال: وكان خليعاً - فقال: أريد أن أتزوج امرأةً من الجن! فأصابه لمم، فكان يصرع بين يدي أبيه والربيع واقف، فيقول له: يا ربيع، هذه قدرة الله.

وقال المدائني في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه: فأصاب جعفراً من كثرة ولعه بالمرأة التي ذكر أنه يتعشقها من الجن صرعٌ، فكان يصرع في اليوم مراتٍ حتى مات، فحزن عليه المنصور حزناً شديداً، ومشى في جنازته، فلما دفن وسوي قبره قال للربيع، أنشدني قول مطيع بن إياس في مرثية يحيى بن زياد. فأنشده:

يا أهلي ابكوا لقلبي القرح ... وللدموع الذوارف السفح

راحوا بيحيى ولو تطاوعني ال ... أقدار لم يبتكر ولم يرح

يا خير من يحسن البكاء له ال ... يوم ومن كان أمس للمدح

قال: فبكى المنصور، وقال: صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر.

أخبرني به عمي أيضاً عن الخزاز عن المدائني، فذكر مثله.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني المغيرة بن هشامٍ الربعي قال: سمعت ابن عائشة يقول: مر مطيع بن إياس بالرصافة، فنظر إلى جاريةٍ قد خرجت من قصر الرصافة كأنها الشمس حسناً وحواليها وصائف يرفعن أذيالها، فوقف ينظر إليها إلى أن غابت عنه، ثم التفت إلى رجلٍ كان معه وهو يقول:

لما خرجن من الرصا ... فة كالتماثيل الحسان

يحففن أحور كالغزا ... ل يميس في جدل العنان

قطعن قلبي حسرةً ... وتقسماً بين الأماني

ويلي على تلك الشما ... ئل واللطيف من المعاني

يا طول حر صبابتي ... بين الغواني والقيان

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، عن ابن توبة صالح بن محمد، قال: حدثني بعض ولد منصور بن زياد عن أبيه قال: قال محمد بن الفضل بن السكوني: رحل مطيع بن إياسٍ إلى هشام بن عمرو وهو بالسند مستمحياً له، فلما رأته بنته قد صحح العزم على الرحيل بكت، فقال لها:

اسكتي قد حززت بالدمع قلبي طالما حز دمعكن القلوبا

ودعي أن تقطعي الآن قلبي وتريني في رحلتي تعذيبا

فعسى الله أن يدافع عني ريب ما تحذرين حتى أءوبا

ليس شيءٌ يشأوه ذو المعالي بعزيزٍ عليه فادعي المجيبا

أنا في قبضة الإله إذا ما كنت بعداً أو كنت منك قريبا

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيعٍ بغير رواية، فكان أولها:

ولقد قلت لابنتي وهي تكوي بانسكاب الدموع قلباً كئيبا

وبعده بقية الأبيات.

أخبرني الحسن بن علي الحفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني علي بن محمدٍ النوفلي، عن صالح الأصم قال: كان مطيع بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ، وعندهم قينةٌ تغنيهم، فأومأ إليها مطيعٌ بقبلةٍ، فقالت له: تراب! فقال مطيع:

إن قلبي قد تصابى بعد ما كان أنابا

ورماه الحب منه بسهامٍ فأصابا

قد دهاه شادن يل بس في الجيد سخابا

فهو بدرٌ في نقاب فإذا ألقى النقابا

قلت شمسٌ يوم دجنٍ حسرت عنها السحابا

ليتني منه على كش حين قد لانا وطابا

أحضر الناس بما أك رهه منه جوابا

فإذا قلت أنلني قبلةً قال ترابا

لحكم الوادي في هذه الأبيات هزجٌ بالنبصر، من رواية الهشامي.

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال: ذكر موسى بن صالح بن سنح بن عميرة أن مطيع بن إياس كان أحضر الناس جواباً ونادرة، وأنه ذات يوم كان جالساً يعدد بطون قريش ويذكر مآثرها ومفاخرها، فقيل له: فأين بنو كنانة؟ قال:

بفلسطين يسرعون الركوبا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

حلقٌ من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يظهر للناس تألهاً ومروءةً وسمتاً حسناً، وكان ربما دعا مطيعاً ليلةً من الليالي أن يصير إليه، ثم قطعه عنه شغل، فاشتغل وجاء مطيعٌ فلم يجده، فلما كان من الغد جلس مطيعٌ مع أصحابه، فأنشدهم فيه:

ويلي ممن جفاني وحبه قد براني

وطيفه يلقاني وشخصه غير دان

أغر

من خندريسٍ عقارٍ كحمرة الأرجوان

قال: فلقيه بعد ذلك أبو دهمان، فقال: عليك لعنة الله فضحتني، وهتفت بي، وأذعت سري، لا أكلمك أبداً، ولا أعاشرك ما بقيت، فما تفرق بين صديقك وعدوك.

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة، قال: حدثني علي بن عمروسٍ عن عمه علي بن القاسم قال: كنت آلف مطيع بن إياس، وكان جاري، وعنفني في عشرته جماعة، وقالوا لي: إنه زنديق. فأخبرته بذلك، فقال: وهل سمعت مني أو رأيت شيئاً يدل على ذلك، أو هل وجدتني أخل بالفرائض في صلاةٍ أو صومٍ؟ فقلت له: والله ما اتهمتك ولكني خبرتك بما قالوا. واستحييت منه. فعجل على السكر ذات يوم في منزله، فنمت عنده ومطرنا في جوف الليل وهو معي، فصاح بي مرتين أو ثلاثاً، فعلمت أنه يريد أن يصطبح، فكسلت أن أجيبه، فلما تيقن أني نائمٌ جعل يردد على نفسه بيتاً قاله، وهو قوله:

أصبحت جم بلابل الصدر عصراً أكاتمه إلى عصر

فقلت في نفسي: هذا يعمل شعراً في فن من الفنون. فأضاف إليه بيتاً ثانياً، وهو قوله:

إن بحت طل دمي وإن تركت وقدت علي توقد الجمر

فقلت في نفسي: ظفرت بمطيع. فتنحنحت، فقال لي: أما ترى هذا المطر وطيبه، أقعد بنا حتى نشرب أقداحاً. فاغتنمت ذلك، فلما شربنا أقداحاً قلت له: زعمت أنك زنديق. قال: وما الذي صحح عندك أني زنديق؟ قلت: قولك: إن بحت طل دمي وأنشدته البيتين، فقال لي: كيف حفظت البيتين و لم تحفظ الثالث؟ فقلت: والله ما سمعت منك ثالثاً. فقال: بلى قد قلت ثالثاً. قلت: فما هو؟ قال:

مما جناه علي أبي حسنٍ عمرٌ وصاحبه أبو بكر

وحدثني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: جاء مطيع بن إياسٍ إلى إخوان له وكانوا على شراب، فدخل الغلام يستأذن له، فلما سمع صاحب البيت بذكره خرج مبادراً، فسمعه يقول:

أمسيت جم بلابل الصدر دهراً أزجيه إلى دهر

إن فهت طل دمي وإن كتمت وقدت علي توقد الجمر

فلما أحس مطيعٌ بأن صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال:

مما جناه علي أبي حسن عمرٌ وصاحبه أبو بكر

وكان صاحب البيت يتشيع، فأكب على رأسه يقبله ويقول: جزاك الله يا أبا مسلم خيراً! وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب: أن الرشيد أتي ببنت مطيع بن إياس في الزنادقة، فقرأت كتابهم واعترفت به، وقالت: هذا دينٌ علمنيه أبي، وتبت منه. فقبل توبتها وردها إلى أهلها.

قال أحمد: ولها نسلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها: الفراشية قد رأيتهم، ولا عقب لمطيع إلا منهم.
أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إياس نازلاً بكرخ بغداد، وكان بها رجلٌ يقال له: الفهمي، مغن محسن، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زيادٍ يدعوه بهذه الأبيات. قال:

عندنا الفهمي مسرو ... رٌ وزمارٌ مجيد
ومعاذٌ وعياذٌ ... وعميرٌ وسعيد
وندامى يعملون ال ... لقز والقلز شديد
بعضهم ريحان بعض ... فهم مسكٌ وعود

قال: فأتاه يحيى، فأقام عنده وشرب معهم، وبلغت الأبيات المهدي، فضحك منها، وقال: تنايك القوم ورب الكعبة.
قال الكراني: القلز: المبادلة.
وجدت هذا الخبر بخط ابن مهرويه، عن إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجريدي. فذكر أن مطيعاً اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته، واصطبح يوم الأضحى، وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات:

قد شربنا ليلة الأض ... حى وسقينا يزيد
عندنا الفهمي مسرو ... رٌ وزمار مجيد
وسليمان فتانا ... فهو يبدي ويعيد
ومعاذٌ وعياذٌ ... وعمير وسعيد
وندامى كلهم يق ... لز والقلز شديد
بعضهم ريحان بعضٍ ... فهم مسكٌ وعود
غالت الأنحس عنهم ... وتلقتهم سعود
فترى القوم جلوساً ... والخنا عنهم بعيد
ومطيع بن إياس ... فهو بالقصف وليد
وعلى كر الجديدي ... ن وما حل جليد

ووجدت في كتاب بعقب هذا: وذكر محمد بن عمر الجرجاني أن عوف بن زياد كتب يوماً إلى مطيع: أنا اليوم نشيطٌ للشرب، فإن كنت فارغاً فسر إلي، وإن كان عندك نبيذٌ طيب، وغناءٌ جيد جئتك. فجاءته رقعته وعنده حمادٌ الراوية وحكمٌ الوادي، وقد دعوا غلاماً أمرد، فكتب إليه مطيع:

نعم لنا نبيذٌ ... وعندنا حماد

وخيرنا كثيرٌ ... والخير مستزاد

وكلنا من طربٍ ... يطير أو يكاد

وعندنا وادينا ... وهو لنا عماد

ولهونا لذيذٌ ... لم يلهه العباد

إن تشته فساداً ... فعندنا فساد

أو تشته غلاماً ... فعندنا زياد

ما إن به التواءٌ ... عنا ولا بعاد

قال: فلما قرأ الرقعة صار إليهم، فأتم به يومه معهم.

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن عنبسة القرشي الكريزي عن أبيه قال: مدح مطيع بن إياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول فيها:

لا تلح قلبك في شقائه ... ودع الميتم في بلائه

كفكف دموعك أن يفض ... ن بناظر غرقٍ بمائه

ودع النسيب وذكره ... فبحسب مثلك من عنائه

كم لذةٍ قد نلتها ... ونعيم عيشٍ في بهائه

بنوا عمٍ شبه الدمى ... والليل في ثنيي عمائه

واذكر فتًى بيمينه ... حتف الزمان لدى التوائه

وإذا أمية حصلت ... كان المهذب في انتمائه

وإذا الأمور تفاقمت ... عظماً فمصدرها برائه

وإذا أردت مديحه ... لم يكد قولك في بنائه

في وجهه علم الهدى ... والمجد في عطفي ردائه

وكأنما البدر المن ... ير مشبه به في ضيائه

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنية، وحركته ورفعت من ذكره، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه.

أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه، لمطيع بن إياسٍ يستعطف يحيى بن زياد في هجرةٍ كانت بينهما وتباعد:

يا سمي النبي الذي خ ... ص به الله عبده زكريا

فدعاه الإله يحيى ولم يج ... عل له الله قبل ذاك سميا

كن بصب أمسى بحبك براً ... إن يحيى قد كان براً تقيا

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته:

قد مضى يحيى وغودرت فردا ... نصب ما سرعيون الأعادي

وأرى عيني مذ غاب يحيى ... بدلت من نومها بالسهاد

وسدته الكف مني تراباً ... ولقد أرثي له من وساد

بين جيران أقاموا صموتاً ... لا يحيرون جواب المنادي

أيها المزن الذي جاد حتى ... أعشبت منه متون البوادي

اسق قبراً فيه يحيى فإني ... لك بالشكر موافٍ مغاد

نسخت من نسخةٍ بخط هارون بن محمد بن عبد الملك قال:

لما بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يشبب بها قال فيها وفيه غناء من خفيف الرمل أظنه لحكم:

صاح غراب البين بالبين ... فكدت أنقد بنصفين

قد صار لي خدنان من بعدهم ... همٌ وغمٌ شر خدنين

أفدي التي لم ألق من بعدها ... أنساً وكانت قرة العين

أصحبت أشكو فرقة البين ... لما رأت فرقتهم عيني

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا العباس بن ميمون بن طائع قال: حدثني ابن خرداذبة قال: خرج مطيع بن إياس، ويحيى بن زيادٍ حاجين، فقدما أثقالهما وقال أحدهما للآخر: هل لك في أن نمضي إلى زرارة فنقصف ليلتنا عنده، ثم نلحق أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبهم حتى انصرف الناس من مكة. قال: فركبا بعيريهما وحلقا رؤسهما ودخلا مع الحجاج المنصرفين. وقال مطيعٌ في ذلك:

ألم ترني ويحيى قد حججنا ... وكان الحج من خير التجاره

خرجنا طالبي خيرٍ وبرٍّ ... فمال بنا الطريق إلى زراره

فعاد الناس قد غنموا وحجوا وأبنا موقرين من الخساره

وقد روي هذا الخبر لبشارٍ وغيره.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الفضل بن محمدٍ اليزيدي عن إبراهيم الموصلي عن محمد بن الفضل قال: خرج جماعةٌ من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش، فخرج يحيى بن زيادٍ إلى محمد بن العباس وكنت في صحابته، فمضى إلى البصرة، وخرج حماد عجردٍ إليها معه، وعاد حمادٌ الراوية إلى الكوفة، وأقام مطيعٌ بن إياس ببغداد وكان يهوى جاريةً يقال لها: ريم لبعض النخاسين وقال فيها:

لولا مكانك في مدينتهم لظعنت في صحبي الألى ظعنوا

أوطنت بغداداً بحبكم وبغيرها لولاكم الوطن

قال: وقال مطيعٌ في صبوح اصطبحه معها:

ويومٍ ببغداد نعمنا صباحه على وجه حوراء المدامع تطرب

ببيت ترى فيه الزجاج كأنه نجوم الدجى بين الندامى تغلب

يصرف ساقينا ويقطب تارةً فيا طيبها مقطوبةً حين يقطب

علينا سحيق الزعفران وفوقنا أكاليل فيها الياسمين المذهب

فما زلت أسقى بين صنجٍ ومزهرٍ من الراح حتى كادت الشمس تغرب

وفيها يقول:

أمسى مطيعٌ كلفا صبًّا حزيناً دنفا

حرٌ لمن يعشقه برقه معترفا

يا ريم فاشفي كبداً حرى وقلباً شغفا

ونوليني قبلةً واحدةً ثم كفى

قال وفيها يقول:

يا ريم قد أتلفت روحي فما منها معي إلا القليل الحقير

فأذنبي إن كنت لم تذنبي في ذنوباً إن ربي غفور

ماذا على أهلك لو جدت لي وزرتني يا ريم فيمن يزور

هل لك في أجرٍ تجازي به في عاشقٍ يرضيه منك اليسير

يقبل ما جدت به طائعاً وهو وإن قل لديه الكثير

لعمري من أنت له صاحبٌ ما غاب عنه في الحياة السرور

قال وفيها يقول:

يا ريم يا قاتلتي إن لم تجودي فعدي

بيضت بالمطل وإخلا فك وعدي كبدي

حالف عيني سهدي وما بها من رمد

يا ليتني في الأحد أبليت مني جسدي

لمن به من شقوتي أخذت حتفي بيدي

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطاح لمطيع بن إياس، يقوله في جوهر جارية بربر:

يا بأبي وجهك من بينهم فإنه أحسن ما أبصر

يا بأبي وجهك من رائع يشبهه البدر إذا يزهر

جاريةٌ أحسن من حليها والحلي فيه الدر والجوهر

وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر

جاءت بها بربر مكنونةً يا حبذا ما جلبت بربر

كأنما ريقتها قهوةٌ صب عليها باردٌ أسمر

أخبرني الحسين بن القاسم قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني منصور بن بشر العمركي عن محمد بن الزبرقان قال: كان مطيع بن إياسٍ كثير العبث، فوقف على أبي العمير: رجلٍ من أصحاب المعلى الخادم، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال:

ألا أبلغ لديك أبا العمير أراني الله في استك نصف أير

فقال له أبو العمير: يا أبا سلمى، لوجدت لأحدٍ بالأير كله لجدت به إلى ما بيننا من الصداقة، ولكنك بحبك لا نريده كله إلا لك. فأفحمه، ولم يعاود العبث به.

قال: وكام مطيع يرمى بالأبنة.

قال: وسقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصدقائه: احمد الله على السلامة! قال: احمد الله أنت الذي لم ترعك هدته، ولم يصبك غباره، ولم تعدم أجرة بنائه.

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: وفد مطيع بن إياسٍ إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد مدحه بقصيدته:

أمن آل ليلى عزمن البكورا ... ولم تلق ليلى فتشفي الضميرا
وقد كنت دهرك فيما خلا ... لليلى وجارات ليلى زءورا
ليالي أنت بها معجبٌ ... تهيم إليها وتعصي الأميرا
وإذ هي حوراء شبه الغزا ... ل تبصر في الطرف منها فتورا
تقول ابنتي إذ رأت حالتي ... وقربت للبين عنساً وكورا
إلى من أراك وقتك الحتو ... ف نفسي تجشمت هذا المسيرا
فقلت :إلى البجلي الذي ... يفك العناة ويغني الفقير
أخي العرف أشبه عند الندى ... وحمل المئين أباه جديرا
عشير الندى ليس يرضى الندى ... يد الدهر بعد جريرٍ عشيرا
إذا استكثر المجتدون القلي ... ل للمعتفين استقل الكثير
إذا عسر الخير في المجتدي ... ن كان لديه عتيداً يسيرا
وليس بمانع ذي حاجةٍ ... ولا خاذلٍ من أتى مستجيرا
فنفسي وقتك أبا خالدٍ ... إذا ما الكماة أغاروا النمورا
إلى ابن يزيد أبي خالدٍ ... أخي العرف أعملتها عيسجورا
لنلقى فواضل من كفه ... فصادفت منه نوالاً غزيرا
فإن يكن الشكر حسن الثنا ... ء بالعرف مني تجدني شكورا
بصيراً بما يستلذ الروا ... ة من محكم الشعر حتى يسيرا

فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً، و لم يعلم أحد بحضوره، ثم قال له: قد عرفت خبرك، وإني متعجل لك جائزتك ساعتي هذه، فإذا حضرت غداً فإني سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء، وأزودك نفقة طريقك وأصرفك، لئلا يبلغ أبا جعفر خبري فيهلكني. فأمر له بمائتي دينار، فلما أصبح أتاه، فاستأذنه في الإنشاد، فقال له: يا هذا لقد رميت بآمالك غير مرمى، وفي أي شيءٍ أنا حتى ينتجعني الشعراء؟ لقد أسأت إلي لأني لا أستطيع تبليغك محابك، ولا آمن سخطك وذمك. فقال له: تسمع ما قلت فإني أقبل ميسورك، وأبسط عذرك. فاستمع منه كالمتكلف المتكره، فلما فرغ قال لغلامه: يا غلام كم مبلغ ما بقي من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائة درهم. قال: أعطه مائة درهم

لنفقة طريقه، ومائة درهمٍ ينصرف بها إلى أهله، واحتبس لنفقتنا مائة درهم. ففعل الغلام ذلك، وانصرف مطيعٌ عنه شاكراً، ولم يعرف أبو جعفر خبره.

أنشدني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أمه، لمطيع بن إياسٍ، وفيه غناء:

واهاً لشخص رجوت نائله ... حتى انثنى لي بوده صلفا

لانت حواشيه لي وأطمعني ... حتى إذا قلت نلته انصرفا

قال: وأنشدني حماد أيضاً عن أبيه، لمطيع بن إياسٍ، وفيه غناءٌ أيضاً:

خليلي مخلفٌ أبداً ... يمنيني غداً فغدا

وبعد غدٍ وبعد غدٍ ... كذا لا ينقضي أبدا

له جمرٌ على كبدي ... إذا حركته وقدا

وليس بلابثٍ جمر ال ... غضى أن يحرق الكبدا

وفي هذه الأبيات لعريب هزج.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا العتزي عن مسعود بن بشرٍ قال:

قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياسٍ: أي الأشياء أطيب عندك؟ قال: صهباء صافيه، تمزجها غانية، بماء غادية.

قال: صدقت.

أخبرني محمد بن خلف ين المرزبان قال: حدثني أبو عبد الله التميمي قال: حدثنا أحمد بن عبيدٍ. وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: سكر مطيع بن إياسٍ ليلةً، فعربد على يحيى بن زيادٍ عربدة قبيحة وقال له وقد حلف بالطلاق:

لا تحلفاً بطلاق من ... أمست حوافرها رقيقة

مهلاً فقد علم الأنا ... م بأنها كانت صديقة

فهجر يحيى وحلف ألا يكلمه أبداً، فكتب إليه مطيع:

إن تصلني فمثلك اليوم يرجى ... عفوه الذنب عن أخيه ووصله

ولئن كنت قد هممت بهجري ... للذي قد فعلت إني لأهله

وأحق الرجال أن يغفر الذن ... ب لإخوانه الموفر عقله

الكريم الذي له الحسب الثا ... قب في قومه ومن طاب أصله

ولئن كنت لا تصاحب إلا ... صاحبا لا تزل ما عاش نعله

لا تجده وإن جهدت وأنى ... بالذي لا يكاد يوجد مثله

إنما صاحبي الذي يغفر الذن ب ويكفيه من أخيه أقله
الذي يحفظ القديم من العه د وإن زل صاحبٌ قل عذله
ورعى ما مضى من العهد منه حين يؤذي من الجهالة جهله
ليس من يظهر المودة إفكاً وإذا قال خالف القول فعله
وصله للصديق يوماً فإن طا ل فيومان ثم ينبت حبله

قال: فصالحه يحيى وعاود عشرته.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثنا أبو أيوب المدني قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال: حدثني أبي عن رجلٍ من أهل الشأم قال: كنت يوماً نازلاً بدير كعب، قد قدمت من سفر، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدير معه ثقلٌ وآلةٌ وعيبة، فكان قريباً من موضعي، فدعا بطعام فأكل، ودعا الراهب فوهب له دينارين، وإذا بينه وبينه صداقةٌ، فأخرج له شراباً فجلس يشرب ويحدث الراهب، وأنا أراهما، إذ دخل الدير رجل فجلس معهما، فقطع حديثهما وثقل في مجلسه، وكان غث الحديث، فأطال. فجاءني بعض غلمان الرجل النازل فسألته عنه، فقال: هذا مطيع بن إياس. فلما قام الرجل وخرج كتب مطيعٌ على الحائط شيئاً، وجعل يشرب حتى سكر، فلما كان من غدٍ رحل، فجئت موضعه فإذا فيه مكتوب:

طربة ما طربت في دير كعب كدت أقضي من طربتي فيه نحبي
وتذكرت إخوتي وندامى ي فهاج البكاء تذكار صحبي
حين غابوا شتى وأصبحت فرداً ونأوا بين شرق أرضٍ وغرب
وهم ما هم فحسبي لا أب غي بديلاً بهم لعمرك حسبي
طلحة الخير منهم وأبو المن ذر خلي ومالكٌ ذاك تربى
أيها الداخل الثقيل علينا حين طاب الحديث لي ولصحبي
خف عنا فأنت أثقل والل ه علينا من فرسخي دير كعب
ومن الناس من يخف ومنهم كرحى البزر ركبت فوق قلبي

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عمر بن محمد قال: حدثنا الحسين بن إياس، ويحيى بن زيادٍ، وزاد العمل حتى حلف يحيى بن زياد على بطلان شيء كلمه به مما دار بينهما، فقال مطيع:

لا تحلفاً بطلاق من أمست حوافرها رقيقه
هيهات قد علم الأمي ر بأنها كانت صديقه

فغضب يحيى وحلف ألا يكلم مطيعاً أبداً، وكانا لا يكادان يفترقان في فرحٍ ولا حزنٍ، ولا شدةٍ ولا رخاء، فتباعد ما بين يحيى وبينه، وتجافيا مدة، فقال مطيعٌ في ذلك، وندم على ما فرط منه إلى يحيى، فكتب إليه بهذا الشعر، قال:

كنت ويحيى كيد واحدةٍ ... نرمي جميعاً وترانا معا
إن عضني الدهر فقد عضه ... يوجعنا ما بعضنا أوجعنا
أو نام نامت أعين أربعٌ ... منا وإن أسهر فلن يهجعا
يسرني الدهر إذا سره ... وإن رماه فلنا فجعا
حتى إذا ما الشيب في مفرقي ... لاح وفي عارضه أسرعا

سعى وشاةٌ فمشوا بيننا ... وكاد حبل الود أن يقطعا
فلم ألم يحيى على فعله ... ولم أقل مل ولا ضيعا
لكن أعداءً لنا لم يكن ... شيطانهم يرى بنا مطمعا
بينا كذا غاش على غرة ... فأوقد النيران مستجمعا
فلم يزل يوقدها دائباً ... حتى إذا ما اضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني. وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه. قال إسحاق في خبره: دخل على إخوانٍ يشربون وقال الأصمعي: دخل سراعة بين الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد، وعندهما قينةٌ تغنيهما، فسقوه أقداحاً وكان على الريق، فاشتد ذلك عليه، فقال مطيعٌ للقينة: غني سراعة. فقالت له: أي شيءٍ تختار؟ فقال: غني:

طبيبي داويتما ظاهراً ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا

ففطن مطيعٌ لمعناه. فقال: إيك أكل؟ قال: نعم. فقدم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم. والله أعلم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن هارون الأزرقي مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال: حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال: كان مطيع بن إياس يهوى ابن مولى لنا يقال له محمد بن سالم، فأخرجت أباه إلى ضيعةٍ لي بالري لينظر فيها، فأخرجه أبوه معه، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني، فأنشدني لنفسه:

أيا ويحه لا الصبر يملك قلبه ... فيصبر لما قيل سار محمد

فلا الحزن يفنيه ففي الموت راحةٌ فحتى متى في جهده يتجلد
قد اضحى صريعاً باديات عظامه سوى أن روحاً بينها تتردد
كئيباً يمني نفسه بلقائه على نأيه والله بالحزن يشهد
يقول لها صبراً عسى اليوم آئبٌ بإلفك أو جاءٍ بطلعته الغد
وكنت يداً كانت بها الدهر قوتي فأصبحت مضنى منذ فارقني يدي

في أخبار مطيع التي تقدم ذكرها آنفاً أغانٍ أغفلت عن نسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه:

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا
فقوما اكوياني ولا ترحما من الكي مستحصفاً راصنا
ومرا على منزل بالغميم فإني عهدت به شادنا
فتور القيام رخيم الكلا م كان فؤادي به راهنا

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيبٍ عن الزبير بن بكار، لعمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، والغناء لمعبدٍ، ولحنه ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمروٍ، وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تشبه فيه بالأوائل. ولو قال قائل: إنه أحسن صنعةٍ له صدق.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، أن غيلان بن خرشة الضبي دخل إلى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هم، حتى غنت القينة:

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوًى باطنا

وكان أعرابياً جافياً به لوثة، فغضب ووثب وهو يقول: السوط ورب غيلان يداوي ذلك الجوى! وخرج من عندهم.

وهذا الخبر مذكورٌ في أخبار معبدٍ من كتابي هذا وغيره، ولكن ذكره ها هنا حسن فذكرته.

أمسيت جم بلابل الصدر دهراً أزجيه إلى دهر
إن فهت طل دمي وإن كتمت وقدت علي توقد الجمر

الغناء لحكم الوادي، هزج بالبنصر عن حبشٍ الهشامي.

أخبرني ابن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال: دخلت علينا جوهر المغنية جارية بربر، وكانت محسنةً جميلة ظريفة، وعندنا مطيع بن إياسٍ وهو يلعب بالشطرنج، وأقبل عليها بنظره وحديثه، ثم قال:

ولقد قلت معلناً لسعيدٍ وجعفر

إن أتتني منيتي فدمي عند بربر

قتلتني بمنعها لي من وصل جوهر

قال: وجوهر تضحك منه.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال:

بلغ مطيع بن إياس أن حماد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زيادٍ قاله في منقذ بن بدرٍ الهلالي، فأجابه منقذٌ عنه بجوابٍ، فاستخفهما حماد عجرد، وطعن عليهما، فقال فيه مطيع:

أيها الشاعر الذي عاب يحيى ومنقذا

أنت لو كنت شاعراً لم تقل فيهما كذا

لست والله فاعلم ن لدي النقد جهبذا

تعدل الصبر بالرضى شائب الصفو بالقذى

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال: كنت جالساً مع مطيع بن إياسٍ، فمرت بنا مكنونة جارية المروانية، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها، فلم تسلم، وعبث بها مطيع بن إياسٍ فشتمته، فالتفت إلي وأنشأ يقول:

فديت من مر بنا يوماً ولم يتكلم

وكان فيما خلا من ه كلما مر سلم

وإن رآني حيا بطرفه وتبسم

لقد تبدل فيما أظن والله أعلم

فليت شعري ماذا علي في الود ينقم

يا رب إنك تعلم أني بمكنون مغرم

وأنني في هواها ألقى الهوان وأعظم

يا لائمي في هواها احفظ لسانك تسلم

واعلم بأنك مهما أكرمت نفسك تكرم

إن الملول إذا ما مل الوصال تجرم

أو لا فما لي أجفى من غير ذنب وأحرم

مطيع يشبب بجوهر ثم يهجو

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان مطيع بن إياس يألف جواري بربر، ويهوى منهن جاريتها المسماة جوهر، وفيها يقول؛ ولحكم فيه غناء:

خافي اله يا بربر ... لقد أفسدت ذا العسكر

إذا ما أقبلت جوهر ... يفرح المسك والعنبر

وجوهر درة الغوا ... ص من يملكها يحبر

لها ثغرٌ حكى الدر ... وعينا رشإٍ أحور

في هذه الأبيات هزج لحكم الوادي. قال وفيها يقول:

أنت يا جوهر عندي جوهره ... في قياس الدرر المشتهره

أو كشمسٍ أشرقت في بيتها ... قذفت في كل قلب شرره

وكأني ذائقٌ من فمها ... كلما قبلت فاها سكره

وكأني حين أخلو معها ... فائز بالجنة المختضره

قال: فجاءها يوماً، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصحاف يهواها متخل معها، فقال مطيع يهجوها:

ناك والله جوهر الصحاف ... وعليها قميصها الأفواف

شام فيها أيراً له ذا ضلوع ... لم يشنه ضعفٌ ولا إخطاف

جد دفعاً فيها فقالت ترفق ... ما كذا يا فتى تناك الظراف

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هرون بن محمد بن عبد الملك قال: قال محمد بن صالح بن النطاح، أنشد المهدي قول مطيع بن إياسٍ:

خافي الله يا بربر ... لقد أفتنت ذا العسكر

بريح المسك والعنبر ... وظبي شادنٍ أحور

وجوهر درة الغوا ... من يملكها يحبر

أما والله يا جوهر ... لقد فقت على الجوهر

فلا والله ما المهد ... ي أولى منك بالمنبر

فإن شئت ففي كفي ... ك خلع ابن أبي جعفر

فقال المهدي: اللهم العنهما جميعاً، ويلكم! اجمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القحبة. وجعل يضحك من قول مطيع. ووجدت أبيات مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن علي أتم من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأولين:

زعموها قالت وقد غاب فيها ... قائماً في قيامه استحصاف

وهو في جارة استها يتلظى ... يا فتى هكذا تناك الظراف

ناكها ضيفها وقبل فاها ... يا لقومي لقد طغى الأضياف

لم يزل يرهز الشهية حتى ... زال عنها قميصها والعطاف

وقال هارون بن محمدٍ في خبره: بيعت جوهر جارية بربر، فاشترتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت تغني بالبصرة وأخرجتها، فقال مطيع فيها:

لا تبعدي يا جوهر ... عنا وإن شط المزار

ويلي لقد بعدت ديا ... رك سلمت تلك الديار

يشفى بريقتها السقا ... م كأن ريقتها العقار

بيضاء واضحه الجبي ... ن كأن غرتها نهار

القلب قلبي وهو عن ... د الهاشمية مستعار

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتزي قال: حدثنا علي بن منصورٍ المؤدب أن صديقاً لمطيع دعاه إلى بستانٍ له بكلواذي، فمضى إليها، فلم يستطبها، فقال يهجوها:

بلدة تمطر التراب على النا ... س كما يمطر السماء الرذاذا

وإذا ما أعاذ ربي بلاداً ... من خرابٍ كبعض ما قد أعاذا

خربت عاجلاً ولا أمهلت يو ... ماً ولا كان أهلها كلواذي

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معمر قال: كان لمطيع بن إياس معامل من تجار الكوفة، فطالت صحبته إياه وعشرته له حتى شرب النبيذ، وعاشر تلك الطبقة، وأفسدوا دينه، فكان إذا شرب يعمل كما يعملون، وقال كما يقولون، وإذا صحا تهيب ذلك وخافه، فمر يوماً بمطيع بن إياس وهو جالس على باب داره، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: شيعت صديقاً لي حج، ورجعت كما ترى ميتاً من ألم الحر والجوع والعطش. فدعا مطيع بغلامه وقال له: أي شيء عندك؟ فقال له: عندي من الفاكهة كذا، ومن البوارد والحار كذا، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا،

وقد رش الخيش وفرغ من الطعام. فقال له: كيف ترى هذا؟ فقال: هذا والله العيش وشبه الجنة. قال: أنت الشريك فيه على شريطة إن وفيت بها وإلا انصرفت. قال: وما هي؟ قال: تشتم الملائكة وتنزل. فنفر التاجر وقال: قبح الله عشرتكم قد فضحتموني وهتكتموني. ومضى فلم يبعد حتى لقيه حماد عجرد فقال له: ما لي أراك نافراً جزعاً؟ فحدثه حديثه. فقال: أساء مطيع - قبحه الله وأخطأ، وعندي والله ضعف ما وصف لك؛ فهل لك فيه؟ فقال: أجل ، بي والله إليه أعظم فاقة. قال: أنت الشريك فيه على أن تشتم الأنبياء فإنهم تعبدونا بكل أمر معنت متعب، ولا ذنب للملائكة فنشتمهم. فنفر التاجر وقال: أنت أيضاً فقبحك الله، لا أدخل! ومضى فاجتاز بيحيى بن زياد الحارثي فقال له: ما لي أراك يا أبا فلان مرتاعاً؟ فحدثه بقصته. فقال: قبحهما الله لقد كلفاك شططاً، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما، وعندي والله أضعاف ما عندهما، وأنت الشريك فيه على خصلة تنفعك ولا تضرك، وهي خلاف ما كلفاك إياه من الكفر. قال: ما هي؟ قال: تصلي ركعتين تطيل ركوعهما وسجودهما، وتصليهما وتجلس، فنأخذ في شأننا، فضجر التاجر وتأفف وقال: هذا شر من ذاك، أنا تعب ميت، تكلفني صلاة طويلة في غير بر ولا لإطاعة يكون ثمنها أكل سحت وشرب خمر وعشرة فجرة وسماع مغنيات قحاب. وسبه وسبهما ومضى مغضباً. فبعث خلفه غلاماً وأمره برده، فرده كرهاً، وقال: انزل الآن على ألا تصلي اليوم بتة. فشتمه أيضاً وقال: ولا هذا. فقال: انزل الآن كيف شئت وأنت ثقيل غير مساعد. فنزل عنده. ودعا يحيى مطيعاً وحماداً، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه، ثم قدم الطعام، فأكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهر والعصر، فلما دبت الكأس فيه قال له مطيع: أيما أحب إليك: تشتم الملائكة أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له حماد: أيما أحب إليك: تشتم الأنبياء أو تنصرف؟ فشتمهم. فال له يحيى: أيما أحب إليك: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصلى الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أيما أحب إليك: تترك باقي صلاتك اليوم أو تنصرف؟ قال: بل أتركها يا بني الزانية ولا أنصرف. فعمل كل ما أرادوه منه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

رفع صاحب الخبر إلى المنصور أن مطيع بن إياس زنديق، وأنه يعاشر ابنه جعفراً وجماعة من أهل بيته، ويوشك أن يفسدوا أديانهم وينسبوا إلى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أما الزندقة فليس من أهلها، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم. قال: فأحضره وانهه عن صحبة جعفر وسائر أهله. فأحضره المهدي وقال له: يا خبيث يا فاسق، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي، والله لقد بلغني أنهم يتقادعون عليك، ولا يتم لهم سرور إلا بك، فقد غررتهم وشهرتهم في الناس، ولولا أني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليه بالزندقة، لقد كان أمر بضرب عنقك. وقال للربيع: اضربه مائتي سوط واحبسه. قال: و لم يا سيدي؟ قال: لأنك سكير خمير قد أفسدت أهلي كلهم بصحبتك. فقال له: إن أذنت وسمعت احتججت. قال: قل. قال: أنا امرؤ شاعر، وشوقي إنما تنفق مع الملوك، وقد كسدت عندكم، وأنا في أيامكم مطرح، وقد رضيت فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك، لا يتبع ذلك عشيرة، وأصفيته على ذلك شكري وشعري، فإن كان ذلك

عائباً عندك تبت منه. فأطرق، ثم قال: قد رفع إلي صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال وتضحك منهم. قال: لا، والله ما ذلك من فعلي ولا شأني، ولا جرى مني قط إلا مرة؛ فإن سائلاً أعمى اعترضني وقد عبرت الجسر على بغلتي وظنني من الجند، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح: اللهم سخر الخليفة لأن يعطي الجند أرزاقهم، فيشتروا من التجار المتعة، ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم، فتجب فيها الزكاة عليهم، فيصدقوا علي منها. فنفرت بقلبي من صياحه ورفعة عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء، فقلت: يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك، سل الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج إليها، فإن هذه المسائل فضول، فضحك الناس منه، ورفع علي في الخبر قولي له هذا. فضحك المهدي وقال: خلوه ولا يضرب ولا يحبس. فقال له: أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتي من عضيهة وأنصرف بلا جائزة؟ قال: لا يجوز هذا، أعطوه مائتي دينار ولا يعلم بها الأمير، فيتجدد عنده ذنوبه.

قال: وكان المهدي يشكر له قيامه في الخطباء ووضعه الحديث لأبيه في أنه المهدي. فقال له: اخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين غداً. فقال له: فأين أقصد؟ قال: أكتب لك إلى سليمان بن علي فيوليك عملاً ويحسن إليك. قال: قد رضيت. فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي، فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هند، فعزله به.

حدثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أن مطيع بن إياس قدم على سليمان بن علي بالبصرة ووليها على الصدقة داود بن أبي هند فعزله وولى عليها مطيعاً.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن بعض البصريين قال: كان مالك بن أبي سعدة عن عم جابر الشطرنجي جميل الوجه حسن الجسم، وكان يعاشر حماد عجرد ومطيع بن إياس وشرب معهما فافسد بينهما وبينه وتباعد، فقال حماد عجرد يهجوه:

أتوب إلى الله من مالك ... صديقاً ومن صحبتي مالكا

فإن كنت صاحبته مرة ... فقد تبت يا رب من ذلكا

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع: سخنت عينك! هكذا تهجو الناس؟ قال: فكيف كنت أقول؟ قال: كنت تقول:

نظرة ما نظرتها ... يوم أبصرت مالكا

في ثياب معصفرا ... ت على الوجه باركا

تركتني ألوط من ... بعدما كنت ناسكا

نظرة ما نظرتها ... أو ردتني المهالكا

مطيع يشكو المنصور ويمدح أيام بني أمية

اخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور، فطالت صحبته له بغير فائدة، فاجتمع يوماً مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد، فتذكروا أيام بني أمية وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها، وحسن مملكتهم وطيب دراهم بالشأم، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور، وشدة الحر، وخشونة العيش، وشكو الفقر فأكثروا، فقال مطيع بن إياس: قد قلت في ذلك شعراً فاسمعوا. قالوا: هات. فأنشدهم:

حبذا عيشنا الذي زال عنا ... حبذا ذاك حين لا حبذا ذا

أين هذا من ذاك سقياً لهذا ... ك ولسنا نقول سقيا لهذا

بلدة تمطر التراب على النا ... س كما يمطر السماء الرذاذا

خربت عاجلاً وأخرب ذو العر ... ش بأعمال أهلها كلواذي

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال: لما خرج حماد بن العباس إلى البصرة، عاشر جماعة من أهلها وأدبائها وشعرائها، فلم يجدهم كما يريد، و لم يستطب عشرتهم واستغلظ طبعهم، وكان هو ومطيع بن إياس وحماد الراوية ويحيى بن زياد كأنهم نفس واحدة، وكان أشدهم أنساً به مطيع إياس ، فقال حماد يتشوقه:

لست والله بناس ... لمطيع بن إياس

ذاك إنسان له فض ... ل على كل أناس

غرس الله له في ... كبدي أحلى غراس

فإذا ما الكاس دارت ... واحتساها من أحاسي

كان ذكرانا مطيعاً ... عندها ريحان كاسي

مطيع يصف ليالي قضاها في الكرخ

ويتشوق إلى يحيى بن زياد

حدثنا عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال: دعا مطيع بن إياس صديقاً له من أهل بغداد إلى بستان له بالكرخ، يقال له بستان صباح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيان من أهل الكرخ مرد وشبان، ومغنين ومغنيات، فكتب مطيع إلى يحيى بن زياد الحارثي يخبره بأمره ويتشوقه قال:

كم ليلة بالكرخ قد بتها ... جذلان في بستان صباح

في مجلس تنفح أرواحه ... يا طيبها من ريح أرواح

يدير كأساً فإذا ما دنت حفت بأكواب وأقداح

في فتية بيض بهاليل ما إن لهم في الناس من لاح

لم يهنني ذاك لفقد امرىء ابيض مثل البدر وضاح

كأنما يشرق من وجهه إذا بدا لي ضوء مصباح

قال: فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يصلحهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أياماً على قصفهم حتى ملوا، ثم انصرفوا.

روايته شعراً لفتى كوفي

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: قال مطيع بن إياس: جلست أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصبوة ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك، فقال:

لأحسن من بيد يحار بها القطا ومن جبلي طيٍّ ووصفكما سلعا

تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلة في وجه صاحبه ترعى

المهدي يعاتب مطيع بن إياس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو المضاء قال: عاتب المهدي مطيع بن إياس في شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كان ما بلغك عني حقاً فما تغني المعاذير، وإن كان باطلاً فما تضر الأباطيل. فقبل عذره وقال: فإنا ندعك على حملتك ولا نكشفك. والله أعلم.

مطيع وأصحابه وجوهر المغنية

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحكم الوادي يوماً على شراب لهم في بستان بالكوفة، وذلك في زمن الربيع، ودعوا جوهر المغنية، وهي التي يقول فيها مطيع:

أنت يا جوهر عندي جوهره في قياس الدرر المشتهره

فشربوا تحت كرم معروش حتى سكروا، فقال مطيع في ذلك:

خرجنا نمتطي الزهرا ونجعل سقفنا الشجرا

ونشربها معتقة تخال بكأسها شررا

وجوهر عندنا تحكي بدارة وجهها القمرا
يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدته نظرا
وجوهر قد رأيناها فلم نر مثلها بشر

غنى فيه حكم غناء خفيفاً، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم. وقد روي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحداً، وأجازه بالباقي بعض االشعراء. وهذا أصح. لحن حكم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى.

مطيع يهجو أباه

حدثنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني حماد عن أبيه قال:
كان مطيع بن إياس عاقاً بأبيه شديد البغض له وكان يهجوه، فأقبل يوماً من بعد، ومطيع يشرب مع إخوان له، فلما رآه أقبل على أصحابه فقال:

هذا إياسٌ مقبلاً جاءت به إحدى الهنات
هوز فوه وأنفه كلمن في إحدى الصفات
كأن سعفص بطنه والثغر شين قريشات
لما رأيتك آتياً أيقنت أنك شرآت

مطيع يمدح معن بن زائدة

حدثني جعفر بن قدامه بن زياد الكاتب قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:
مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي أولها:

أهلاً وسهلاً بسيد العرب ذي الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها وأخي ال جود حوى غايتيه من كثب
قيل أتاكم أبو الوليد فقا ل الناس طرافي السهل والرحب
أبو العفاة الذي يلوذ به من كان ذا رغبة وذا رهب
جاء الذي تفرج الهموم به حين يلز الوضين بالحقب
جاء وجاء المضاء يقدمه رأي إذا هم غير مؤتشب
شهم إذا الحرب شب دائرها أعادها عودة على القطب
يطفىء نيرانها ويوقدها إذا خبت نارها بلا حطب

إلا بوقع المذكرات يشبه ... ن إذا ما انتضين بالشهب

لم أر قرناً له يبارزه ... إلا أراه كالصقر والخرب

ليث بخفان قد حمى أجماً ... فصار منها في منزل أشب

شبلاه قد أدبا به فهما ... شبهاه في جده وفي لعب

قد ومقا شكله وسيرته ... وأحكما منه أكرم الأدب

نعم الفتى تقرن الصعاب به ... عند تجاثي الخصوم للركب

ونعم ما ليلة الشتاء إذا اس ... تنبح كلب القرى فلم يجب

لا ونعم عنده مخالفة ... مثل اختلاف الصعود والصبب

يحصر من لا فلا يهم بها ... ومنه تضحي نعم على أرب

ترى له الحلم والنهى خلقاً ... في صولة مثل جاحم اللهب

سيف الإمامين ذاك وذا إذا ... قل بناة الوفاء والحسب

ذا هودة لا يخاف نبوتها ... ودينه لا يشاب بالريب

فلما سمعها معن قال له: إن شئت مدحناك كما مدحتنا وإن شئت أثبناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعن:

ثناء من أمير خير كسب ... لصاحب فاقة وأخى ثراء

ولكن الزمان برى عظامي ... وما مثل الدراهم من دواء

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لطفت حتى تخلصت منها، صدقت، لعمري ما مثل الدراهم من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهم، وخلع عليه وحمله

مطيع وصديق له عربي

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المهلبي عن أبيه عن إسحاق قال: كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه، فضرط ذات يوم وهو عنده، فاستحيا وغاب عن المجلس، فتفقده مطيع وعرف سبب انقطاعه، فكتب إليه وقال:

أظهرت منك لنا هجراً ومقلية ... وغبت عنا ثلاثاً لست تغشانا

هون عليك فما في الناس ذو إبل ... إلا وأنيقه يشردن أحيانا

مجون مطيع وأصحابه في الصلاة

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس، فحدثنا عنه قال: اجتمع يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم، فشربوا أياماً تباعاً، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سكارى: ويحكم! ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي. فقالوا: نعم. فقام مطيع فأذن وأقام، ثم قالوا: من يتقدم؟ فتدافعوا ذلك، فقال مطيع للمغنية: تقدمي فصلي بنا. فتقدمت تصلي بهم عليها غلالة رقيقة مطيبة بلا سراويل، فلما سجدت بان فرجها، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبله وقطع صلاته، ثم قال:

ولما بدا فرجها جاثماً ... كرأس حليق ولم تعتمد

سجدت إليه وقبلته ... كما يفعل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم، وضحكوا وعادوا إلى شربهم

إعجاب المهدي بتهنئة مطيع

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال: كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يوجه إليه بابنه موسى، فحمله إليه، فلما قدم عليه قامت الخطباء تهنئه، والشعراء تمدحه، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه، فقام مطيع بن إياس فقال:

أحمد الله إله ال ... خلق رب العالمينا

الذي جاء بموسى ... سالماً في سالمينا

الأمير ابن الأمير اب ... ن أمير المؤمنينا

فقال المهدي: لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع. فأمسك الناس، وأمر له بصلة.

مطيع ينصح يحيى بن زياد

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب لأبي سعيد السكري بخطه. قال: حدثني ابن أبي فنن. أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائني عن ابن أبي الدواهي، وخبر السكري أتم واللفظ له، قال: كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قيان، وكان له ابن وضيء حسن الصورة يقال له الأصبغ ، لم يكن بالكوفة أحسن وجهاً منه، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحماد عجرد وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويطرفونه ، وكلهم كان يعشق ابنه أصبغ، حتى كان يوم نوروز وعزم أبو الأصبغ على أن

يصطبح مع يحيى بن زياد، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً، فقال أبو الأصبع لجواريه: إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم، فأعددن له كل ما يصلح لمثله. ووجه بغلمان له ثلاثة في حوائجه، و لم يبق بين يديه أحد، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل، فلما جاءه استأذن له الغلام، فقال له يحيى: قل له يدخل، وتنح أنت وأغلق الباب ولا تدع الأصبغ يخرج إلا بإذني. ففعل الغلام ودخل الأصبغ، فأدى إليه رسالة أبيه، فلما فرغ راوده يحيى عن نفسه، فامتنع، فثاوره يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم راﻟم حل تكته، فلم يقدر عليها، فقطعها وناكه، فلما فرغ أخرج من تحت مصلاه أربعين دينار، فأعطاه إياها، فأخذها، وقال له يحيى: امض فإني بالأثر. فخرج اصبغ من عنده، فوافاه مطيع بن إياس، فرآه يتبخر ويتطيب ويتزين، فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يجبه، وشمخ بأنفه، وقطب حاجبيه، وتفخم؛ فقال له: ويحك مالك؟ نزل عليك الوحي؟ كلمتك الملائكة؟ بويع لك بالخلافة؟ وهو يومىء برأسه: لا لا، في كل كلامه، فقال له: كأنك قد نكت أصبغ بن أبي الأصبغ قال: إي والله الساعة نكته، وأنا اليوم في دعوة أبيه. فقال مطيع: فامرأته طالق إن فارقتك أو نقبل متاعك. فأبداه له يحيى حتى قبله، ثم قال له: كيف قدرت عليه؟ فقال يحيى ما جرى وحدثه بالحديث، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ، فتبعه مطيع، فقال له: ما تصنع معي والرجل لم يدعك؟ وإنما يريد الخلوة. فقال: أشيعك إلى بابه ونتحدث. فمضى معه، فدخل يحيى ورد الباب في وجه مطيع، فصبر ساعة، ثم دق الباب فاستأذن، فخرج إليه الرسول، وقال له: يقول لك أنا اليوم على شغل لا أتفرغ معه لك . فتعذر قال: فابعث إلي بدواة وقرطاس، فكتب إليه مطيع :

يا أبا الأصبغ لا زلت على	كل حال ناعما متبعا
لا تصيرنى في الود كمن	قطع التكة قطعاً شنعا
وأتى ما يشتهي لم يثنه	خيفة أو حفظ حق ضيعا
لو ترى الأصبغ ملقى تحته	مستكيناً خجلاً قد خضعا
وله دفع عليه عجل	شبق شاءك ما قد صنعا
فادع بالأصبغ واعلم حاله	سترى أمراً قبيحاً شنعا

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى: فعلتها يا ابن الزانية؟ قال: لا والله. فضرب بيده إلى تكة ابنه، فرآها مقطوعة، وأيقن يحيى بالفضيحة، فتلكأ الغلام، فقال له يحيى: قد كان الذي كان، وسعى بي إليك مطيع ابن الزانية، وهذا ابني وهو والله أفره من ابنك، وأنا عربي ابن عربية وأنت نبطي ابن نبطية، فنك ابني عشر مرات مكان المرة التي نكت ابنك، فتكون قد ربحت الدنانير، وللواحد عشرة فضحك وضحك الجواري، وسكن غضب أبي الأصبغ، وقال لابنه: هات الدنانير يا بن الفاعلة. فرمى بها إليه، وقام خجلاً، وقال يحيى: والله لا أدخل مطيع الساعي ابن الزانية

فقال أبو الأصبغ وجواريه: والله ليدخلن، فقد نصحنا وغششتنا. فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يجيى يشتمهم بكل لسان، وهو يضحك، والله أعلم.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: حضر مطيع بن إياس وشراعة بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة بن الحباب وعبد الله بن العياش المنتوف وحماد عجرد، مجلساً لأميرٍ من أمراء الكوفة، فتكايدوا جميعاً عنده، ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ويهجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما.

وخمسةٍ قد أبانوا لي كيادهم ... وقد تلظى لهم ملقًى وطنجير

لو يقدرون على لحمي لمزقه ... قردٌ وكلبٌ وجرواه وخنزير

أخبرني وكيعٌ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنه في تخت، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال: كان حمادٌ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حلقياً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له: من يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. قال حماد: نعم هذا شعر الحطيئة لما حضر الكوفة وصار بها حلقياً. يعرض حماد بأنه كذاب، وأنه حلقي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا بن الأعرابي عن الفضل قال: جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً، قال: لمن؟ قال: لمودتك. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألا تقبل في قول قائلٍ. ويقال إن الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم، فذكر الجاحظ أن مطيعاً حلف أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتفاها ومأكمتاها، فتدخرج تحتها الرمان فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنه قالها في امرأة من أبناء الدهاقين كان يهواها، وشعره يدل على صحة هذا القول، والقول الأول غلط.

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالمٍ قال: أخبرني مطيع بن إياس الليثي - وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف - أنه كان مع سلم بن قتيبة، فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجلٍ على عمله والقدوم عليه في خاصته على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنت أحبها، فأمرني سلم بالخروج معه، فاضطررت إلى بيع الجارية، فبعتها وندمت على ذلك بعد خروجي وتمنيت أن أكون أقمت، وتتبعتها نفسي، ونزلنا حلوان، فجلست على العقبة أنتظر ثقلي وعنان دابتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى، فتذكرت الجارية واشتقتها وقلت:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يف رق بين الألاف والجيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفر قة قد أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان
كم رمتني صروف هذي الليالي بفراق الأحباب والخلان
غير أني لم تلق نفسي كما لا قيت من فرقة ابنة الدهقان
جارة لي بالري تذهب همي ويسلي دنوها أحزاني
فجعتني الأيام أغبط ما كن ت بصدعٍ للبين غير مدان

وبرغمي أن أصبحت لا تراها ال عين مني وأصبحت لا تراني
إن نكن ودعت فقد تركت بي لهباً في الضمير ليس بوان
كحريق الضرام في قصب الغا ب زفته ريحان تختلفان
فعليك السلام مني ما سا غ سلاما عقلي وفاض لساني

هكذا ذكر أبو الحسن الأسدي في هذا الخبر وهو غلط.

نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني عن حماد، و لم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال: كانت لي بالري جارية أيام مقامي بها مع سلم بن قتيبة، فكنت أتستر بها، وكنت أتعشق امرأةً من بنات الدهاقين كنت نازلاً إلى جنبها في دار لها، فلما خرجنا بعت الجارية وبقيت في نفسي علاقةٌ من المرأة التي كنت أهواها، فلما نزلنا عقبة حلوان جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت:

أسعداني يا نخلتي حلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان

وذكر الأبيات، فقال لي سلم: ويلك هذه الأبيات؟ أفي جاريتك؟ فاستحييت أن أصدقه فقلت: نعم. فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي، فلم ألبث أن ورد كتابه: إني وجدتها قد تداولها الرجال، فقد عزفت نفسي عنها، فأمر لي بخمسة آلاف درهم، ولا والله ما كان في نفسي منها شيء، ولو كنت أحبها لم أبال إذا رجعت إلي بمن تداولها، و لم أبال لوناكها أهل مني كلهم.

أخبرني عمي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشمي عن سلام الأبرش، قال: لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جماراً، فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جماراً، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فمر بقطع إحداهما،

فقطعت، فأتي الرشيد بجمارتها، فأكل منها وراح. فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة، وإذا على القائمة مكتوب:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

فاغتم الرشيد، وقال: يعز علي أن أكون نحستكما، ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارثي بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن أبي محمد القيسي عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال: لما خرج المهدي فصار بعقبة حلوان استطاب الموضع فتغدى ودعا بحسنة فقال لها: أما ترين طيب هذا الموضع؟ غنيني بحياتي حتى أشرب ها هنا أقداحاً، فأخذت محكة كانت في يده وأوقعت على مخدة وغنته:

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا إذا نام حراس النخيل جناكما

فقال: أحسنت، ولقد هممت بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلتي حلوان - فمنعني منهما هذا الصوت. قالت له حسنة: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرق بينهما. فقال لها: وما ذاك؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه.

فلما بلغت إلى قوله:

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال: أحسنت والله فيما قلت، إذ نبهتني على هذا، والله لا أقطعهما أبداً، ولأوكلن بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت. ثم أمر بأن يفعل، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات.

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا إذا نام حراس النخيل جناكما

فطيبكما أربى على النخل بهجةً وزاد على طول الفتاء فتاكما

يقال إن الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وفيه لعطردٍ رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشامي.

أخبرني عمي عن أحمد بن طاهر عن الخراز عن المدائني أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق، فكانت تضيقه وتزحم الأثقال عليه، فأمر بقطعهما، فأنشد قول مطيع:

واعلما ما بقيتما أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال: لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما، وتركهما.

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود المهدي قال: قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان

ولهممت أن آمر بقطعهما. فبلغ قوله المنصور، فكتب إليه:

بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان، ولا فائدة لك في قطعهما، ولا ضرر عليك في بقائهما، فأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاهما، فتفرق بينهما. يريد قول مطيع.

ومما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد، وفيه غناء قد ذكرته في أخبار حماد:

جعل الله سدرتي قصر شيري ... ن فداءً لنخلتي حلوان

جئت مستسعداً فلم يسعداني ... ومطيعٌ بكت له النخلتان

وأنشدني جحظة ووكيعٌ عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء و لم يسمه:

أيها العاذلان لا تعذلاني ... ودعاني من الملام دعاني

وابكيا لي فإنني مستحق ... منكما بالبكاء أن تسعداني

إنني منكما بذلك أولى ... من مطيع بنخلتي حلوان

فهما تجهلان ما كان يشكو ... من هواه وأنتما تعلمان

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة:

وكذاك الزمان ليس وإن أل ... ف يبقى عليه مؤتلفان

سلبت كفه الغري أخاه ... ثم ثنى بنخلتي حلوان

فكأن الغري قد كان فرداً ... وكأن لم تجاور النخلتان

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال: جلس مطيع بن إياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فرش خضر، فقال له الطبيب: أي شيء تشتهي اليوم؟ قال: أشتهي ألا أموت. قال: ومات في علته هذه، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي.

قال أبوالفرج: ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال:

أمر مدامةً صرفا ... كأن صبيبها ودج

كأن المسك نفحتها ... إذا بزلت لها أرج

فظل تخاله ملكا ... يصرفها ويمتزج

الغناء لإبراهيم، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي. وفيه لحن آخر لابن جامع. وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

جدلت كجدل الخيزرا ... ن وثنيت فتثنت

وتيقنت أن الفؤا ... د يحبها فأدلت

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل، وذكر حبش أنه لمقامة.

أيها المبتغي بلوى رشادي اله عني فما عليك فسادي

أنا خلو من الذي بي وما يع لم ما بي إلا القريح الفؤاد

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامي.

إلا إن أهل الدار قد ودعوا الدارا وقد كان أهل الدار في الدار أجوارا

يبكي على إثر الجميع فلا يرى سوى نفسه فيها من القوم ديارا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر ابن المكي أن فيه لابن سريج لحناً من الثقيل الأول بالبنصر.

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد

في انقباضٌ وحشمةٌ فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

الشعر لمحمد بن كناسة الأسدي، والغناء لقلم الصالحية، ثقيل أول بالوسطى. وذكر ابن خرداذبة أن فيه لإسماعيل بن صالح لحناً.

أخبار محمد بن كناسة ونسبه

هو محمد بن كناسة، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان - واسم صهبان كعب - بن دويبة بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كوفي المولد والمنشأ، قد حمل عنه شيء من الحديث، وكان إبراهيم بن إدهم الزاهد خاله، وكان امرأ صالحاً لا يتصدى لمدح ولا لهجاء، وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر.

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدثني مصعب الزبيري قال: قلت لمحمد بن كناسة الأسدي ونحن بباب أمير المؤمنين: أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد:

رأيتك ما يغنيك ما دونه الغنى وقد كان يغنى دون ذاك ابن أدهما

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها وكان لحق الله فيها معظما

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً فإن قال بذ القائلين وأحكما

فقال محمد بن كناسة: أنا قلتها وقد تركت أجودها. فقال:

أهان الهوى حتى تجنبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني علي بن مسرور العتكي قال حدثني أبي قال قال ابن كناسة: لقد كنت أتحدث بالحديث فلو لم يجد سامعه إلا القطن الذي على وجه أمه في القبر لتعلل عليه حتى يستخرجه ويهديه إلي، وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث فما أفرغ منه حتى أهيء له عذراً.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازةً قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني عبيد الله بن يحيى بن فرقدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول: كنت في طريق الكوفة، فإذا أنا بجويريةٍ تلعب بالكعاب كأنها قضيب بانٍ، فقلت لها: أنت أيضاً لو ضعت لقالوا ضاعت جارية، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق. فقالت: ويلي عليك يا شيخ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام؟ فكسفت والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت:

وإني لحلوٌ مخبري إن خبرتني ولكن يغطيني ولا ريب بي شيخ

فقالت لي وهي تلعب وتبسمت: فما أصنع بك أنا إذاً؟ فقلت: لا شيء. وانصرفت.

أخبرنا ابن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

فقال: يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي ترى فيه الثريا خفت تفرق الحي من مجمعهم، والثريا تطلع بالغداة في الصيف، والجوزاء تطلع بعد ذلك في أول القيظ.

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني صالح بن أحمد بن عباد قال: مر محمد بن كناسة في طريق بغداد، فنظر إلى مصلوب على جذعٍ، وكانت عنده امرأة يبغضها، وقد ثقل عليه مكانها، فقال يعنيها:

أيا جذع مصلوبٍ أتى دون صلبه ثلاثون حولاً كاملاً هل تبادل

فما أنت بالحمل الذي قد حملته بأضجر مني بالذي أنا حامل

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد. وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن محمد بن عمران عن عبيد بن حسن قال: رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيدة بطن شاة، فقال: هاته أحمله عنك. فقال: لا. ثم قال:

لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفعٍ إلى عياله

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال حدثنا محمد بن علي بن عثمان عن أبيه قال: كنت يوماً عند ابن كناسة، فقال لنا: أعرفكم شيئاً من فهم دنانير؟ يعني جاريته. قلنا: نعم. فكتب إليها: إنك أمةٌ ضعيفةٌ لكعاء، فإذا جاءك كتابي هذا فعجلي بجوابي. والسلام. فكتبت إليه: ساعني تهجينك إياي عند أبي الحسين، وإن من أعيا العي الجواب عما لا جواب له. والسلام.

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إلي الزبير بن بكار أخبرني علي بن عثمان الكلابي قال: جئت

يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده، ووجدت جاريته دنانير جالسة، فقالت لي: ما لك محزوناً يا أبا الحسين؟ فقلت: رجعت من دفن أخٍ لي من قريش، فسكتت ساعة ثم قالت:

بكيت على أخٍ لك من قريشٍ ... فأبكانا بكاؤك يا علي

فمات وما خبرناه ولكن ... طهارة صحبه الخبر الجلي

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال: أملق محمد بن كناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره، فقال لهم مجيباً عن ذلك:

تؤنبني أن صنت عرضي عصابةٌ ... لها بين أطناب اللئام بصيص

يقولون لو غمضت لازددت رفعةً ... فقلت لهم إني إذن لحريص

أتكلم وجهي لا أبا لأبيكم ... مطامع عنها للكرام محيص

معاشي دوين القوت والعرض وافرٌ ... وبطني عن جدوى اللئام خميص

سألقى المنايا لم أخالط دنيةً ... ولم تسر بي في المخزيات قلوص

حدثنا الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني إسحاق الموصلي قال: أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال:

في انقباضٌ وحشمةٌ فإذا ... صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم

قال إسحاق فقلت لابن كناسة: وددت أنه نقص من عمري سنتان وأني كنت سبقتك إلى هذين البيتين فقلتهما.

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني محمد بن المقدام العجلي قال: كانت أم محمد بن كناسة امرأةً من بني عجل، وكان إبراهيم بن أدهم خاله أو ابن خاله، فحدثني ابن كناسة أن إبراهيم بن أدهم قدم الكوفة فوجهت أمه إليه بهديةً معه، فقبلها ووهب له ثوباً، ثم مات إبراهيم، فرثاه ابن كناسة فقال:

رأيتك ما يكفيك ما دونه الغنى ... وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهما

وكان يرى الدنيا قليلاً كثيرها ... فكان لأمر الله فيهما معظما

أمات الهوى حتى تجنبه الهوى ... كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده ... فما يستطيع الجهل أن يترمرما

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً وإن قال بذ القائلين وأحكما
يرى مستكيناً خاضعاً متواضعاً وليثاً إذا لاقى الكتيبة ضيغما
على الجدث الغربي من آل وائلٍ سلامٌ وبرٌ ما أبر وأكرما

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني زكريا بن مهران قال: عاتب محمد بن كناسة صديقٌ له شريفٌ كان ابن كناسة يزوره ويألفه على تأخره عنه، فقال ابن كناسة:

ضعفت عن الإخوان حتى جفوتهم على غير زهدٍ في الوفاء ولا الود
ولكن أيامي تخرمن منتي فما أبلغ الحاجات إلا على جهد

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أنشدني ابن كناسة قال الضبي، وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها:

ومن عجب الدنيا تبقيك للبلى وأنك فيها للبقاء مريد
وأي بني الأيام إلا وعنده من الدهر ذنبٌ طارفٌ وتليد
ومن يأمن الأيام أما انبياعها فخطر وأما فجعها فعتيد
إذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى فإن فطام النفس عنه شديد

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال قال لي عبيد بن الحسن: قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع: اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنها حسنة في هذا الوقت. فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق، فلم يزل ينظر إلى البر وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق، فأنشأ يقول:

الآن حين تزين الظهر ميثاؤه وبراقه العفر
بسط الربيع بها الرياض كما بسطت قطوع اليمنة الخمر
بريةٌ في البحر نابتة يجبى إليها البر والبحر
وجرى الفرات على مياسرها وجرى على أيمانها الزهر
وبدا الخورنق في مطالعها فردا يلوح كأنه الفجر
كانت منازل للملوك ولم يعلم بها لمملك قبر

قال: ثم قال يصف تلك البلاد:

سفلت عن برد أرضٍ زادها البرد عذابا
وعلت عن حر أخرى تلهب النار التهابا

مزجت حيناً ببردٍ فصفا العيش وطابا

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إسحاق بن محمد الأسدي قال حدثني عبد الأعلى بن محمد بن كناسة قال: رآني أبي مع أحداث لم يرضهم، فقال لي:

ينبيك عن عيب الفتى ترك الصلاة أو الخدين

فإذا تهاون بالصلا ة فما له في الناس دين

ويزن ذو الحدث المري ب بما يزن به القرين

إن العفيف إذا تكن فه المريب هو الظنين

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة - قال: كان محمد بن كناسة عم أبيه - قال: كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه، وكان يكتب الحديث ويتفقه ويظهر أدباً ونسكاً، وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهره، فما جاءه قال له:

ما من روى أدباً فلم يعمل به ويكف عن دفع الهوى بأديب

حتى يكون بما تعلم عاملاً من صالح فيكون غير معيب

ولقلما يغني إصابة قائل أفعاله أفعال غير مصيب

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال: أتيت امرأةً من بني أودٍ تكحلني من رمد كان أصابني، فكحلتني ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك. فاضطجعت ، ثم تمثلت قول الشاعر:

أمخترمي ريب المنون ولم أزر طيب بني أودٍ على النأي زينبا

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت: لا والله. فقالت: في والله قيل، وأنا زينب التي عناها، وأنا طبيب أود، أفتدري من الشاعر؟ قلت: لا. قالت: عمك أبو سماك الأسدي.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني علي بن عثام الكلابي قال: كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية، يقال لها دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشعثاء، وكان عفيفاً مزاحاً، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها. فقالت فيه:

لأبي الشعثاء حبٌ باطنٌ ليس فيه نهضةٌ للمتهم

يا فؤادي فازدجر عنه ويا عبث الحب به فاقعد وقم

زارني منه كلامٌ صائبٌ ووسيلات المحبين الكلم

صائدٌ تأمنه غزلانه مثل ما تأمن غزلان الحرم

صل إن أحببت أن تعطى المنى يا أبا الشعثاء لله وصم

ثم ميعادك يوم الحشر في جنة الخلد إن الله رحم

حيث ألقاك فلاماً ناشئاً يافعاً قد كملت فيه النعم

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن محمد الأسدي قال حدثني جدي موسى بن صالح قال: ماتت دنانير جارية بن كناسة، وكانت أديبةٌ شاعرة، فقال يرثيها بقوله:

الحمد لله لا شريك له يا ليت ما كان منك لم يكن

إن يكن القول قل فيك فما أفحمني غير شدة الحزن

قال أبو الفرج: وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً، وروى عنه الثقات من المحدثين، فممن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مهران الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة بن الزبير، ومسعر بن كدام، وعبد العزيز بن أبي داود، وعمر بن ذر الهمداني، وجعفر بن برقان، وسفيان الثوري، وفطر بن خليفة ونظراؤهم.

طائفة مما روي من الأحاديث أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن سعد العوفي قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال: قلت: يا رسول الله إن الرجل يحب القوم و لم يلحق بهم. قال: المرء مع من أحب أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائنا خديجة". والله أعلم.

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا ابن كناسة قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زر بن حبيش قال: كانت في أبي بن كعب شراسةً، فقلت له: يا أبا المنذر، اخفض جناحك يرحمك الله، وأخبرنا عن ليلة القدر. فقال: هي ليلة سبع وعشرين. وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط، ليعلم صحة ما حكيته عنه، وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلح ها هنا.

أخبار قلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جاريةً مولدة صفراء حلوةً حسنة الغناء والضرب حاذقةً، قد أخذت عن إبراهيم وابنه إسحاق، ويحيى المكي، وزبير بن دحمان. وكانت لصالح بن عبد الوهاب أخي أحمد بن عبد الوهاب كاتب صالح بن الرشيد، وقيل: بل كانت لأبيه. وكانت لها صنعةٌ يسيرة نحو عشرين صوتاً، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار.

فأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذ أبو الفضل رالمغني مولى المتوكل على الله، قال حدثني أحمد

بن الحسين بن هشام، قال: كانت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات، فغنى بين يدي الواثق لحن لها في شعر محمد بن كناسة، قال:

في انقباضٌ وحشمةٌ فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

فسأل: لمن الصنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره. ويلك؟ من صالح بن عبد الوهاب هذا! فأخبره: قال: أين هو؟ قال: ابعث فأشخصه وأشخص معه جاريته. فقدما على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنت، فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينارٍ وولاية مصر. فغضب الواثق من ذلك، ورد عليه. ثم غنى بعد ذلك زرزورٌ الكبير في مجلس الواثق صوتاً، الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب أخي صالح، والغناء لقلم، وهو:

أبت دار الأحبة أن تبينا أجدك ما رأيت لها معينا

تقطع نفسه من حب ليلى نفوساً من أثبن ولا جزينا

فسأل: لمن الغناء؟ فقيل: لقلم جارية صالح، فبعثت إلى ابن الزيات: أشخص صالحاً ومعه قلم. فلما أشخصهما دخلت على الواثق، فأمرها أن تغنيه هذا الصوت، فغنته، فقال لها: الصنعة فيه لك؟ نعم يا أمير المؤمنين. قال: بارك الله عليك. وبعث إلى صالح فأحضر، فقال: أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فإن من حقها علي إذا تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه، فبارك الله له فيها. فقال له الواثق: قد قبلتها. وأمر ابن الزيات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار، وسماها احتياطاً، فلم يعطه ابن الزيات المال ومطله به، فوجه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك، فغنت الواثق وقد اصطبح صوتاً، فقال لها: بارك الله فيك وفيمن رباك. فقالت: يا سيدي وما نفع من رباني مني إلا التعب والغرم علي والخروج مني صفراً؟ قال: أو لم آمر له بخمسة آلاف دينار؟ قالت: بلى! ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئاً. فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه، وخمسة آلاف دينار أخرى معها.

قال صالح: فصرت مع الخادم إليه بالكتاب، فقربني وقال: أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت، والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة. فقمت، ثم تناساني كأنه لم يعرفني، وكتبت أقتضيه، فبعث إلي: اكتب لي قبضاً بها وخذها بعد جمعة. فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء، فاستترت وهو في منزل صديق لي، فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه إلى الواثق، فبعث إلي بالمال وأخذ كتابي بالقبض. ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي: أمرني أمير المؤمنين أن أصير إليك فأسألك، هل قبضت المال؟ قلت: نعم قد قبضته.

قال صالح: وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي، وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منه لشيء بعدها.

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني ابن إسحاق الخراساني. قال: وحدثني محمد بن مخارق قال: لما بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله:

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين بدولة الواثق هارون
وعم بالإحسان من فعله فالناس في خفضٍ وفي لين
ما أكثر الداعي له بالبقا وأكثر التالي بآمين

وأنشده أيضاً قوله فيه:

وثقت بالملك الوا ثق بالله النفوس
ملكٌ يشقى به الما ل ولا يشقى الجليس
أسد تضحك عن شد اته الحرب العبوس
أنس السيف به واس توحش العلق النفيس
يا بني العباس يأبى ال له إلا أن تسوسوا

وتغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين، فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار.

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من فات قبلك شاغله
سقى جدثاً أعراف غمرة دونه ببيشة ديمات الربيع ووابله
وما بي حب الأرض إلا جوارها صداه وقولٌ ظن أني قائله

الشعر للشمردل بن شريك من قصيدةٍ طويلةٍ مشهورةٍ يرثي بها أخاه، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول بالوسطى، ابتداؤه نشيد، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي، وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج.

أخبار الشمردل ونسبه

الشمردل بن شريك بن عبد الملك بن رؤبة بن مكرم بن ضبارى بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان في أيام جرير والفرزدق.

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بن تميم في عهد جرير والفرزدق، وقد خرج هو

وإخوته حكم ووائل وقدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سود، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان، فقال له: الشمردل: إن رأيت أيها الأمير أن تنفذنا معاً في وجه واحد، فإنا إذا اجتمعنا تعاونا وتناصرنا وتناسبنا. فلم يفعل ما سأله، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها، فقال الشمردل يهجوه، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم بن أد بن طابخة:

إني إليك إذا كتبت قصيدة ... لم يأتني لجوابها مرجوع

أيضيعها الجشمي فيما بيننا ... أم هل إذا وصت إليك تضيع

ولقد علمت وأنت عني نازحٌ ... فيما أتى كبد الحمار وكيع

وبنو غدانة كان معروفاً لهم ... أن يهضموا ويضيمهم يربوع

وعمارة العبد المبين إنه ... واللؤم في بدن القميص جميع

قال أبو عبيدة: و لم ينشب أن جاءه نعي أخيه قدامة من فارس، قتله جيش لقوهم بها، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام، فقال يرثيهما:

أعاذل كم من روعةٍ قد شهدتها ... وغصة حزن في فراق أخ جزل

إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت ... علي الضحى حتى تنسيني أهلي

وما أنا إلا مثل من ضربت له ... أسى الدهر عن ابني أبٍ فارقا مثلي

أقول إذا عزيت نفسي بإخوة ... مضوا لاضعافٍ في الحياة ولا عزل

أبى الموت إلا فجع كل بني أب ... سيمسون شتى غير مجتمعي الشمل

سبيل حبيبي اللذين تبرضا ... دموعي حتى أسرع الحزن في عقلي

كأن لم نسر يوماً ونحن بغبطةٍ ... جميعاً وينزل عند رحليهما رحلي

فعيني إن أفضلتما بعد وائلٍ ... وصاحبه دمعاً فعودا على الفضل

خليلي من دون الأخلاء أصبحا ... رهيني وفاءٍ من وفاةٍ ومن قتل

فلا يبعدا للداعيين إليهما ... إذا اغبر آفاق السماء من المحل

فقد عدم الأضياف بعدهما القرى ... وأخمد نار الليل كل فتًى وغل

وكانا إذا أيدي الغضاب تحطمت ... لواغر صدر أو ضغائن من تبل

تحاجز أيدي جهل القوم عنهما ... إذا أتعب الحلم التترع بالجهل

كمستأسدي عريسةٍ لهما بها حمًى هابه من بالخزونة والسهل

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره.

قال أبو عبيدة: وقال يرثي أخاه وائلاً، وهي من مختار المراثي وجيد شعره:

لعمري لئن غالت أخي دار فرقةٍ وآب إلينا سيفه ورواحله
وحلت به أثقالها الأرض وانتهى بمثواه منها وهو عفٌ مآكله
لقد ضمنت جلد القوى كان يتقى به جانب الثغر المخوف زلازله
وصولٌ إذا استغنى وإن كان مقترا من المال لم يحف الصديق مسائله
محلٌ لأضياف الشتاء كأنما هم عنده أيتامه وأراملة
رخيص نضيج اللحم مغلٍ بنيئه إذا بردت عند الصلاء أناملة
أقول وقد رجمت عنه فأسرعت إلي بأخبار اليقين محاصله
إلى الله أشكو لا إلى الناس فقده ولوعة حزن أوجع القلب داخله

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخي رمحاً ترفض عامله
سقى جدثاً أعراف غمرة دونه ببيشة ديمات الربيع ووابله
بمثوى غريبٍ ليس منا مزاره بدانٍ ولا ذو الود منا مواصله
إذا ما أتى يومٌ من الدهر دونه فحياك عنا شرقه وأصائله
سنا صبح إشراقٍ أضاء ومغربٌ من الشمس وافى جنح ليلٍ أوائله
تحية من أدى الرسالة حببت إليه ولم ترجع بشيءٍ رسائله
أبى الصبر أن العين بعدك لم يزل يخالط جفنيها قذىً لا يزايله
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله
يذكرني هيف الجنوب ومنتهى مسير الصبا رمساً عليه جنادله
وهتافةٌ فوق الغصون تفجعت لفقد حمام أفردتها حبائله
من الورق بالأصياف نواحة الضحى إذا الغرقد التفت عليه غياطله
وسورة أيدي القوم إذا حلت الحبا حبا الشيب واستعوى أخا الحلم جاهله

فعيني إذ أبكاكما الدهر فابكيا لمن نصره قد بان منا ونائله
إذا استعبرت عوذ النساء وشمرت مآزر يوم ما توارى خلاخله
وأصبح بيت الهجر قد حال دونه وغال امرأ ما كان يخشى غوائله
وثقن به عند الحفيظة فارعوى إلى صوته جاراته وحلائله
إلى ذائد في الحرب لم يك خاملاً إذا عاذ بالسيف المجرد حامله
كما ذاد عن عريسة الغيل مخدر يخاف الردى ركبانه ورواحله
فما كنت ألفي لامرىء عند موطنٍ أخاً بأخي لو كان حياً أبادله
وكنت به أغشى القتال فعزني عليه من المقدار من لا أقاتله
لعمرك إن الموت منا لمولعٌ بمن كان يرجى نفعه ونوافله
فما البعد إلا أننا بعد صحبة كأن لم نبايت وائلاً ونقايله
سقى الضفرات الغيث ما دام ثاوياً بهن وجادت أهل شوكٍ مخايله
وما بي حب الأرض إلا جوارها صداه وقول ظن إني قائله

قال أبو عبيدة: ثم قتل أخوه حكم أيضاً في وجهه، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله، وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيه فقال يرثيه:

يقولون احتسب حكماً وراحوا بأبيض لا أراه ولا يراني
وقبل فراقه أيقنت أني وكل ابني أبٍ متفارقان
أخٌ لي لو دعوت أجاب صوتي وكنت مجيبه أنى دعاني
فقد أفنى البكاء عليه دمعي ولو أني الفقيد إذاً بكاني
مضى لسبيله لم يعط ضيما ولم ترهب غوائله الأداني
قتلنا عنه قاتله وكنا نصول به لدى الحرب العوان
قتيلاً ليس مثل أخي إذا ما بدا الخفرات من هول الجنان
وكنت سنان رمحي من قناتي وليس الرمح إلا بالسنان
وكنت بنان كفي من يميني وكيف صلاحها بعد البنان
وكان يهابك الأعداء فينا ولا أخشى وراءك من رماني

فقد أبدوا ضغائنهم وشدوا إلي الطرف واغتمزوا لياني

فداك أخٌ نبا عنه غناه ومولًى لا تصول له يدان

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي، قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا: وقف الفرزدق علىالشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت:

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غير جز الحلاقم

فقال له الفرزدق: والله يا شمردل لتتركن لي هذا البيت، أو لتتركن لي عرضك. فقال: خذه لا بارك الله لك فيه. فادعاه وجدله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أولها:

تحن بزوراء المدينة ناقتي حنين عجولٍ تبتغي البو رائم

حدثنا هاشم قال حدثنا غسان بن أبي عبيدة قال: رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط، فعبره على بعض من يعبر الرؤيا، فأتاه نعي أخيه وائلٍ، فذلك قوله:

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخي رمحاً ترفض عامله

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان الشمردل مغرماً بالشراب، وكان له نديما يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان، أحدهما يقال له ديكل من قومه، والآخر من بني شيبان يقال له قبيصة، فاجتمعوا يوماً على جزورٍ ونحروه وشربوا حتى سكروا، وانصرف قبيصة حافياً وترك نعله عندهم، وأنسيها من السكر، فقال الشمردل:

شربت ونادمت الملوك فلم أجد على الكأس نداماناً لها مثل ديكل

أقل مكاساً في جزور وإن غلت وأسرع إنضاجاً وإنزال مرجل

ترى البازل الكوماء فوق خوانه مفصلةً أعضاؤها لم تفصل

سقيناه بعد الري حتى كأنما يرى حين أمسى أبرقي ذات مأسل

عشية أنسينا قبيصة نعله فراح الفتى البكري غير منعل

حدثنا هاشم قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازني واستماحه، فوعده الرفد، ثم ردده زماناً طويلاً حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها إليه وكيله غلة فردها، وقال يهجوه:

يقول هلالٌ كلما جئت زائراً ولا خير عند المازني أعاوده

ألا ليتني أمسي وبيني وبينه بعيد مناط الماء غبرٌ فدافده

غدا نصف حولٍ منه إن قال لي غدا وبعد غد منه كحول أراصده

ولو أنني خيرت بين غداته ... وبين برازي ديلميا أجالده
تعوضت من ساقي عشرين درهماً ... أتاني بها من غلة السوق ناقده
ولو قيل مثلا كنز قارون عنده ... وقيل التمس موعوده لا أعاوده
ومثلك منقوص اليدين رددته ... إلى محتدٍ قد كان حيناً يجاحده

حدثنا هاشم قال: حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلاً من بني ضبة كان عدوا للشمردل، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك، ثم خرج في البعث الذي بعث مع وكيع، فلما قتل إخوة الشمردل وماتوا، بلغه عن الضبي سرورٌ بذلك، وشماتةٌ بمصيبته فقال:

يأيها المبتغي شتمي لأشتمه ... إن كان أعمى فأني عنك غير عم
ما أرضعت مرضعٌ سخلا أعق بها ... في الناس لا عربٍ منها ولا عجم
من ابن حنكلةٍ كانت وإن عربت ... مذالة لقدور الناس والحرم
عوى ليكسبها شراً فقلت له ... من يكسب الشر ثديي أمه يلم
ومن تعرض شتمي يلق معطسه ... من النشوق الذي يشفى من اللمم
متى أجئك وتسمع ما عنيت به ... تطرق على قذع أو ترض بالسلم
أولا فحسبك رهطاً أن يفيدهم ... لا يغدرون ولا يوفون بالذمم
ليسوا كثعلبة المغبوط جارهم ... كأنه في ذرى ثهلان أو خيم
يشبهون قريشاً من تكلمهم ... وطول أنضية الأعناق والأمم
إذا غدا المسك يجري في مفارقهم ... راحوا كأنهم مرضى من الكرم
جزوا النواصي من عجلٍ وقد وطئوا ... بالخيل رهط أبي الصهباء والحطم
ويوم أفلتهن الحوفزان وقد ... شالت عليه أكف القوم بالجذم
إني وإن كنت لا أنسى مصابهم ... لم أدفع الموت عن زيقٍ ولا حكم
لا يبعداً فتياً جودٍ ومكرمة ... لدفع ضيمٍ وقتل الجوع والقرم
والبعد غالهما عني بمنزلةٍ ... فيها تفرق أحياءٍ ومخترم
وما بناءٌ وإن سدت دعائمه ... إلا سيصبح يوماً خاوي الدعم
لئن نجوت من الأحداث أو سلمت ... منهن نفسك لم تسلم من الهرم

حدثنا هاشم قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان عمر بن يزيد الأسيدي صديقاً للشمردل بن شريك، ومحسناً إليه كثير البر به والرفد له، فأتاه نعيه وهو بخراسان، فقال يرثيه:

لبس الصباح وأسلمته ليلة ... طالت كأن نجومها لا تبرح

من صولة يجتاح أخرى مثلها ... حتى ترى السدف القيام النوح

عطلن أيديهن ثم تفجعت ... ليل التمام بهن عبرى تصدح

وحليلةٍ رزئت وأختٌ وابنةٌ ... كالبدر تنظره عيونٌ لمح

لا يبعد ابن يزيد سيد قومه ... عند الحفاظ وحاجةٍ تستنجح

حامي الحقيقة لا تزال جياده ... تغدو مسومة بن وتروح

للحرب محتسب القتال مشمرٌ ... بالدرع مضطمر الحوامل سرح

ساد العراق وكان أول وافد ... تأتي الملوك به المهارى الطلح

يعطي الغلاء بكل مجد يشتري ... إن المغالي بالمكارم أربح

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة، وأنشدنا قوله:

قد أغتدى والصبح في حجانه ... والليل لم يأو إلى مآبه

وقد بدا أبلق من منجابه ... بتوجي صاد في شبابه

معاودٍ قد ذل في إصعابه ... قد خرق الضفار من جذابه

وعرف الصوت الذي يدعى به ... ولمعة الملمع في أثوابه

فقلت للقانص إذ أتى به ... قبل طلوع الآل أو سرابه

ويحك ما أبصر إذ رأى به ... من بطن ملحوبٍ إلى لبابه

قشعاً ترى التبت من جنابه ... فانقض كالجلمود إذ علا به

غضبان يوم قنيةٍ رمى به ... فهن يلقين من اغتصابه

تحت جديد الأرض أو ترابه ... من كل شحاج الضحى ضغابه

إذ لا يزال حربه يشقى به ... منتزع الفؤاد من حجابه

جاد وقد أنشب في إهابه ... مخالباً ينشبن في إنشابه

مثل مدى الجزار أو حرابه كأنما بالحلق من خضابه
عصفرة الفؤاد أو قضابه حوى ثمانين على حسابه
من خربٍ وخزرٍ يعلى به لفتيةٍ صيدهم يدعى به
واعدهم لمنزل بتنا به يطهى به الخربان أو يشوى به
فقام للطبخ ولاحتطابه أروع يهتاج إذا هجنا به

أخبرنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل، فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه:

هل خبر السرحان إذ يستخبر عني وقد نام الصحاب السمر
لما رأيت الضأن منه تنفر نهضت وسنان وطار المئزر
وراع منها مرح مستهير كأنه إعصار ريح أغبر
فلم أزل أطرده ويعكر حتى إذا استيقنت ألا أعذر
وإن عقرى غنمي ستكثر طار بكفي وفؤادي أوجر
ثمت أهويت له لا أزجر سهماً فولى عنه وهو يعثر
وبت ليلي آمناً أكبر

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: قال الشمردل بن شريك وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها، ويقول: إنها لمن ظريف الكلام:

ثم استقل منعماتٌ كالدمى شمس العتاب قليلة الأحقاد
كذب المواعد ما يزال أخو الهوى منهن بين مودة وبعاد
حتى ينال حبالهن معلقا عقل الشريد وهن غير شراد
والحب يصلح بعد هجرٍ بيننا ويهيج معتبةً بغير بعاد
خليلي لا تستعجلا أن تزودا وإن تجمعا شملي وتنتظرا غدا
وإن تنظراني اليوم أقض لبانةً وتستوجبا منا علي وتحمدا

الشعر للحصين بن الحمام المري، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر، من روايتها ومن رواية الهشامي.

الجزء الرابع عشر

أخبار الحصين بن الحمام ونسبه

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب بن حرام بن واثلة، بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرة، وكان خصيلة بن مرة وصرمة بن مرة وسهم بن مرة أمهم جميعاً حرقفة بنت مغنم بن عوف بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فكانوا يداً واحدة على من سواهم، وكان حصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم.

وكان يقال له: مانع الضيم.

وحدثني جماعة من أهل العلم أن ابنه أتى باب معاوية بن أبي سفيان فقال لآذنه: استأذن لي على أمير المؤمنين وقل: ابن مانع الضيم، فاستأذن له، فقال له معاوية: ويحك! لا يكون هذا إلا ابن عروة بن الورد العبسي، أو الحصين بن الحمام المري، أدخله. فلما دخل إليه قال له: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام، فقال: صدقت، ورفع مجلسه وقضى حوائجه.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان ناس من بطنٍ من قضاعة يقال لهم: بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاعة. وبنو سلامان بن سعد إخوة عذرة بن سعد، وكانوا حلفاء لبني صرمة بن مرة ونزولاً فيهم. وكان الحرقة وهم بنو حميس بن عامر بن جهينة حلفاء لبني سهم بن مرة، وكانوا قوماً يرمون بالنبل رمياً سديداً، فسموا الحرقة لشدة قتالهم. وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مرة. وكان في بني صرمة يهوديٌ من أهل تيماء يقال له جهينة بن أبي حمل. وكان في بني سهم يهودي من أهل وادي القرى يقال له غصين بن حي، وكانا تاجرين في الخمر. وكان بنو جوشن - أهل بيت من عبد الله بن غطفان - جيراناً لبني صرمة، وكان يتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال لهم خصيلة كان يقطع الطريق وحده. وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه، وينشدونه في كل مجلس وموسم. فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجوشني في بيت غصين بن حي جار بني سهم يبتاع خمراً، فبينما هو يشتري إذ مرت أخت المفقود تسأل عن أخيها خصيلة، فقال غصين:

تسائل عن أخيها كل ركبٍ ... وعند جهينة الخبر اليقين

فأرسلها مثلاً، يعني بجهينة نفسه. فحفظ الجوشني هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نشدتك الله ودينك هل تعلم لأخي علماً؟ فقال له: لا وديني لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثل:

لعمرك ما ضلت ضلال ابن جوشنٍ حصاةٌ بليلٍ ألقيت وسط جندل

أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبداً فلما سمع الجوشني ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله. وقال الجوشني:

طعنت وقد كاد الظلام يجنني غصين بن حي في جوار بني سهم

فأتي حصين بن الحمام فقيل له: إن جارك غصيناً اليهودي قد قتله ابن جوشن جار بني صرمة. فقال حصين: فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة، فأتوا جهينة بن أبي حمل فقتلوه. فشد بنو صرمة على ثلاثة من حميس بن عامر جيران بني سهم فقتلوهم. فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بني سلامان ثلاثة نفرٍ، ففعلوا. فاستعر الشر بينهم. قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رهط الحصين بكثير. فقال لهم الحصين: يا بني صرمة، قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي، فقتلتم من جيراننا من قضاعة ثلاثة نفرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سلامان ثلاثة نفر، وبيننا وبينكم رحم ماسة قريبة، فمروا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم، ونأمر جيراننا من قضاعة فيرتحلون عنا جميعاً، ثم هم أعلم. فأبى ذلك بنو صرمة، وقالوا: قد قتلتم جارنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم، فإنك تعلم أنكم أقل منا عدداً وأذل، وإنما بنا تعزون وتمنعون. فناشدهم الله والرحم فأبوا. وأقبلت الخضر من محارب، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نهب بني سهم إذا انتهبوا فنصيب منهم. وخذلت غطفان كلها حصيناً، وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاعة. وصافهم حصينٌ الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه، وأمرهم ألا يزيدوهم على النبل، وهزمهم الحصين، وكف يده بعد ما أكثر فيهم القتل. وأبى ذلك البطن من قضاعة أن يكفوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم. وكان سنان بن أبي حارثة خذل الناس عنه لعداوته قضاعة، وأحب سنان أن يهب الحيان من قضاعة، وكان عيينة بن حصن وزبان بن سيار بن عمرو بن جابر ممن خذل عنه أيضاً. فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة، وأجلبت محارب بن خصفة معهم.

فقال الحصين بن الحمام في ذلك من الأبيات:

ألا تقبلون النصف منا وأنتم بنو عمنا لا بل هامكم القطر

سنأبى كما تأبون حتى تلينكم صفائح بصرى والأسنة والأصر

أيؤكل مولانا ومولى ابن عمنا مقيمٌ ومنصورٌ كما نصرت جسر

فتلك التي لم يعلم الناس أنني خنعت لها حتى يغيبني القبر

فليتكم قد حال دون لقائكم سنون ثمانٍ بعدها حججٌ عشر

أجدي لا ألقاكم الدهر مرةً على موطنٍ إلا خدودكم صعر

إذا ما دعوا للبغي قاموا وأشرقت وجوههم والرشد وردٌ له نفر

فواعجبا حتى خصيلة أصبحت موالي عزٍّ لا تحل لها الخمر

قوله: موالي عز، يهزأ بهم. ولا تحل لهم الخمر، أراد فحرموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك:

ألما كشفنا لأمة الذل عنكم تجردت لا برٌّ جميلٌ ولا شكر

فإن يك ظني صادقا تجز منكم جوازي الإله والخيانة والغدر

قال: فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خصفة. وكان رئيس محارب حميضة بن حرملة. ونكصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه، وهما عدوان وعبد عمرو بنا سهم، فسار حصين، وليس معه من بني سهم إلا بنو وائله بن سهم وحلفاؤهم وهم الحرقة، وكان فيهم العدد، فالتقوا بدارة موضوع، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر. وقال الحصين بن الحمام في ذلك:

جزى الله أفناء العشيرة كلها بدارة موضوعٍ عقوقاً ومأثما

بني عمنا الأدنين منهم ورهطنا فزارة إذا رامت بنا الحرب معظما

ولما رأيت الود ليس بنافعي وإن كان يوماً ذا كواكب مظلما

صبرنا وكان الصبر منا سجيةً بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما

نفلق هاماً من رجالٍ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعق وأظلما

نطاردهم نستنقذ الجرد بالقنا ويستقذون السمهري المقوما

نستنقذ الجرد، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه. ويستنقذون السمهري وهو القنا الصلب، أي نطعنهم فتجرهم الرماح

لدن غدوةٍ حتى أتى الليل ما ترى من الخيل إلا خارجياً مسوما

وأجرد كالسرحان يضربه الندى ومحبوكةً كالسيد شقاء صلدما

يطأن من القتلى ومن قصد القنا خباراً فما يجرين إلا تقحما

عليهم فتيانٌ كساهم محرقٌ وكان إذا يكسو اجاد وأكرما

صفائح بصرى أخلصتها قيونها ومطرداً من نسج داود مبهما

جزى الله عنا عبد عمرو ملامةً وعدوان سهمٍ ما أذل وألاما

فلست بمبتاع الحياة بسبةٍ ولا مرتقٍ من خشية الموت سلما

وقال أبو عبيدة:

وقتل في تلك الحرب نعيم بن الحارث بن عباد بن حبيب بن وائلة بن سهل، قتلته بنو صرمة يوم دارة موضوع، وكان وادًا للحصين فقال يرثيه:

قتلنا خمسةً ورموا نعيما وكان القتل للفتيان زينا
لعمر الباكيات على نعيم لقد جلت رزيته علينا
فلا تبعد نعيم فكل حيٍّ سيلقى من صروف الدهر حينا

قال أبو عبيدة: ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضوا، فلحق بهم الحصين بن الحمام فردهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرته عنهم، وقال في ذلك:

إن امرأً بعدي تبدل نصركم بنصر بني ذبيان حقًّا لخاسر
أولئك قومٌ لا يهان ثويهم إذا صرحت كحلٌ وهب الصنابر

وقال لهم أيضاً:

ألا أبلغ لديك أبا حميسٍ وعاقبة الملامة للمليم
فهل لكم إلى مولًى نصورٍ وخطبكم من الله العظيم
فإن دياركم بجنوب بسٍّ إلى ثقفٍ إلى ذات العظوم

بس: بناء بنته غطفان شبهوه بالكعبة. وكانوا يحجونه ويعظمونه ويسمونه حرماً، فغزاهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه:

غذتكم في غداة الناس حجًّا غذاء الجائع الجدع اللئيم
فسيروا في البلاد وودعونا بقحط الغيث والكلإ الوخيم

قال أبو عبيدة: قال عمرو: زعموا أن المثلم بن رباح قتل رجلاً يقال له حباشة في جوار الحارث بن ظالم المري، فلحق المثلم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ ذلك الحارث بن ظالم، فطلب الحصين بدم حباشة، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانه فقالوا: إنا لا نعقل بالإبل، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم. فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته:

خليلي لا تستعجلا أن تزودا وأن تجمعا شملي وتنتظرا غدا
فما لبثٌ يوماً بسائق مغنم ولا سرعةٌ يوماً بسابقةٍ غدا
وإن تنظراني اليوم أقض لبانةً وتستوجبا مناً علي وتحمدا

لعمرك إني يوم أغدو بصرمتي تناهى حميسٌ بادئين وعودا
وقد ظهرت منهم بوائق جمةٌ وأفرع مولاهم بنا ثم أصعدا
وما كان ذنبي فيهم غير أنني بسطت يداً فيهم وأتبعتها يدا
وأني أحامي من وراء حريمهم إذا ما المنادي بالمغيرة نددا
إذا الفوج لا يحميه إلا محافظٌ كريم المحيا ماجدٌ غير أجردا
فإن صرحت كحلٌ وهبت عريةٌ من الريح لم تترك لذي العرض مرفدا
صبرت على وطء الموالي وخطبهم إذ ضن ذو القربى عليهم وأجمدا

أخبرني ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان البرج بن الجلاس الطائي خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب، وفيه يقول البرج بن الجلاس:

وندمانٍ يزيد الكأس طيباً سقيت وقد تغورت النجوم
رفعت برأسه فكشفت عنه بمعرقةٍ ملامة من يلوم
ونشرب ما شربنا ثم نصحو وليس بجانبي خدي كلوم
ونجعل عبأها لبني جعيلٍ وليس إذا انتشوا فيهم حليم

كانت للبرج أخت يقال لها العفاطة، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أخته فافتضها، وندم على ما صنع لما أفاق، وقال لقومه: أي رجل أنا فيكم؟ قالوا: فارسنا وأفضلنا وسيدنا. قال: فإنه إن علم بما صنعت أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبت رأسي فلم تروني أبداً، فلم يسمع بذلك أحد منهم. ثم أن أمةً لبعض طيىء وقعت إلى الحصين بن الحمام، فرأت عنده البرج الطائي يوماً وهما يشربان. فلما خرج من عنده قالت للحصين: إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلما أتاك فسكر عندك. فزجرها الحصين وسبها، فأمسكت. ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم، وأتى الصريخ الحصين بن الحمام، فتبع القوم، فأدركهم، فقال للبرج: ما صبك على جيراني يا برج؟ فقال له: وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منا، وأنشأ يقول:

أنى لك الحرقات فيما بيننا عنزٌ بعيدٌ منك يا بن حمام
أقبلت تزجي ناقة متباطئا علطاً تزجيها بغير خطام

تزجي: تسوق، علطاً: لا خطام عليها ولا زمام، أي أتيت هكذا من العجلة فأجابه الحصين بن الحمام:

برجٌ يؤثمني ويكفر نعمتي صمي لما قال الكفيل صمام

مهلاً أبا زيدٍ فإنك إن تشأ أوردك عرض مناهلٍ أسدام
أوردك أقلبةً إذا حافلتها خوض القعود خبيئة الأخصام
أقبلت من أرض الحجاز بذمةٍ عطلا أسوقها بغير خطام
في إثر إخوانٍ لنا من طيىء ليسوا بأكفاء ولا بكرام
لا تحسبن أخا العفاطة أنني رجلٌ بخبرك ليس بالعلام
فاستنزلوك وقد بللت نطاقها عن بنت أمك والذيول دوامي

ثم ناصب الحصين بن الحمام البرج الحرب، فقتل من أصحابه البرج عدة وهزم، سائرهم واستنقذ ما في أيديهم، وأسر البرج، ثم عرف له حق ندامه وعشرته إياه فمن عليه وجز ناصيته وخلى سبيله. فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال:أشعتم ما فعلت بأختي وفضحتموني، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم، فلم يعرف له خبر إلى الآن.

وقال ابن الكلبي: بل شرب الخمر صرفاً حتى قتلته.

أخبرني ابن دريد قال: حدثنا أبوحاتم عن أبي عبيدة قال: جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عديٍّ ثم أغار على بني عقيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نعماً كثيراً ونساء، فأصاب أسماء بنت عمرو سيد بني كعب فأطلقها ومن عليها، وقال في ذلك:

فدًى لبني عدي ركض ساقي وما جمعت من نعمٍ مراح
تركنا من نساء بني عقيلٍ أيامى تبتغي عقد النكاح
أرعيان الشوي وجدتمونا أم أصحاب الكريهة والنطاح
لقد علمت هوازن أن خيلي غداة النعف صادقة الصباح
عليها كل أروع هبرزيٍّ شديدٍ حده شاكي السلاح
فكر عليهم حتى التقينا بمصقولٍ عوارضها صباح
فأبنا بالنهاب وبالسبايا وبالبيض الخرائد واللقاح
وأعتقنا ابنة المري عمروٍ وقد خضنا عليها بالقداح

أخبرنا ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أن الحصين بن الحمام أدرك الإسلام. قال: ويدل على ذلك قوله:

وقافيةٍ غير إنسيةٍ قرضت من الشعر أمثالها

شرودٍ تلمع بالخافقين إذا أنشدت قيل من قالها
وحيران لا يهتدي بالنهار من الظلع يتبع ضلالها
وداعٍ دعا دعوة المستغيث وكنت كمن كان لبى لها
إذا الموت كان شجاً بالحلوق وبادرت النفس أشغالها
صبرت ولم أك رعديدةً وللصبر في الروع أنجى لها
ويومٍ تسعر فيه الحروب لبست إلى الروع سربالها
مضعفة السرد عاديةً وعضب المضارب مفصالها
ومطرداً من ردينية أذود عن الورد أبطالها
فلم يبق من ذاك إلا التقى ونفسٌ تعالج آجالها

أمورٌ من الله فوق السماء مقادير تنزل أنزالها
أعوذ بربي من المخزيا ت يوم ترى النفس أعمالها
وخف الموازين بالكافرين وزلزلت الأرض زلزالها
ونادى منادٍ بأهل القبور فهبوا لتبرز أثقالها
وسعرت النار فيها العذاب وكان السلاسل أغلالها

حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: مات حصين بن الحمام في بعض أسفاره، فسمع صائح في الليل يصيح لا يعرف في بلاد بني مرة:

ألا هلك الحلو الحلال الحلاحل ومن عقده حزمٌ وعزمٌ ونائل

الحلو: الجميل، والحلال: الذي لبس عليه في ماله عيب. والحلاحل: الشريف العاقل:

ومن خطبه فصلٌ إذا القوم أفحموا يصيب مرادي قوله من يحاول

المرادي: جمع مرادة، وهي صخرة تردى بها الصخور، أي تكسر قال: فلما سمع أخوه معية بن الحمام ذلك قال: هلك والله الحصين، ثم قال يرثيه:

إذا لاقيت جمعاً أو فئاماً فإني لا أرى كأبي يزيدا
أشد مهابةً وأعز ركناً وأصلب ساعة الضراء عواد
صفيي وابن أمي والمواسي إذا ما النفس شارفت الوريدا

كأن مصدراً يحبو ورائي إلى أشباله يبغي الأسودا

المصدر: العظيم الصدر، شبه أخاه بالأسد.

لأ أرق الله عيني من أرقت له ولا ملا مثل قلبي قلبه ترحا

يسرني سوء حالي في مسرته فكلما ازددت سقماً زادني فرحا

الشعر لمحمد بن يسير، والغناء لأحمد بن صدقة، رملٌ بالوسطى.

أخبار محمد بن يسير ونسبه

محمد بن يسير الرياشي، يقال إنه مولًى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الأخباري الأديب، ويقال له إنه منهم صلبيةً. وبنو رياش يذكرون أنه من خثعم، ولهم بالبصرة خطة وهم معروفون بها، وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين، متقلل، لم يفارق البصرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعاً، ولا تجاوز بلده، وصحبته طبقته، وكان ماجناً هجاء خبيثاً.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عي بن القاسم بن علي بن سليمان طارمة قال: بعث إلي محمد بن أيوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان - وهو يتولى البصرة حينئذٍ - في ليلةٍ صبيحتها يوم سبتٍ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر. فقلت له: أنمت وانتبهت أم لم تنم بعد؟ فقال: قد قضيت حاجتي من النوم، وأريد أن أصطبح وأبتدىء الساعة بالشرب، وأصل ليلتي بيومي محتجباً عن الناس، وعندي محمد بن رباح، وقد وجهت إلى إبراهيم بن رياش، وحضرت أنت، فمن ترى أن يكون خامسنا؟ قلت: محمد بن يسير. فقال: والله ما عدوت ما في نفسي. فقال لي ابن رباح: اكتب إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طيب هذا الوقت، وكان يوم غيم، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع، فكتب إليه ابن رباح:

يوم سبتٍ وشنبذٍ ورذاذٍ فعلام الجلوس يا بن يسير

قم بنا نأخذ المدامة م ن كف غزالٍ مضمخٍ بالعبير

في هذين البيتين لعباسٍ أخي بحرٍ ثقيل أول بالبنصر وبعث إليه بالرقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب. فقال لهم: بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة! فقالوا: لم نلقه، وإنما كتب جوابها في منزله، ولم تأمرنا بالهجوم عيه فنهجم. فقرأها فإذا فيها:

أجيء على شرطٍ فإن كنت فاعلاً وإلا فإني راجعٌ لا أناظر

ليسرج لي البرذون في حال دلجتي وأنت بدلجاتي مع الصبح خابر

لأقضي حاجاتي إليه وأنثني إليك وحجامٌ إذا جئت حاضر

فيأخذ من شعري ويصلح لحيتي ومن بعد حمامٌ وطيبٌ وجامر
ودستيجةٌ من طيب الراح ضخمةٌ يرودنيها طائعاً لا يعاسر

فقال محمد بن أيوب: ما نقول؟ فقلت: إنك لا تقوى على مطاولته، ولكن اضمن له ما طلب، فكتب إليه: قد أغد لك - وحياتك - كل ما طلبت فلا تبطىء، فإذا به قد طلع علينا، فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة. فلما أحضرت أمر محمد بن يسير فشد بحبل إلى أسطوانة من أساطين المجلس، وجلسنا نأكل بحذائه. فقال لنا: أي شيء يخلصني؟ قلنا: تجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب. فقال: كفوا عن الأكل إذاً ولا تستبقوني به فتشغلوا خاطري، ففعلنا ذلك وتوقفنا، فأنشأ يقول:

أيا عجبا من ذا التسري فإنه له نخوةٌ في نفسه وتكابر
يشارط لما زار حتى كأنه مغنٍّ مجيدٌ أو غلام مؤاجر
فلولا ذمامٌ كان بيني وبينه للطم بشارٌ قفاه وياسر

فقال محمد: حسبك، لم نرد هذا كله، ثم حله وجلس يأكل معنا، وتممنا يومنا.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم، وهو من خثعم وكان من بخلاء الناس، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق قلعها من داره، فغرس فيه أصل رمان وفسيلةً لطيفة، وزرع حواليه بقلاً، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له: منيع، فأكلت البقل ومضغت الخوص، ودخلت إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيس فيها شعره وأشياء من سماعاته، فأكلتها وخرجت، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة منيع:

لي بستانٌ أنيقٌ زاهرٌ ناضر الخضرة ريان ترف
راسخ الأعراق ريان الثرى غدقٌ تربته ليست تجف
لمجاري الماء فيه سننٌ كيفما صرفته فيه انصرف
مشرق الأنوار مياد الندى منثنٍ في كل ريح منعطف
تملك الريح عليه أمره فإذا لم يؤنس الريح وقف
يكتسي في الشوق ثوبي يمنةٍ ومع الليل عليها يلتحف
ينطوي الليل عليه فإذا واجه الشرق تجلى وانكشف
صابرٌ ليس يبالي كثرةً جز بالمنجل أو منه نتف

كلما ألحف منه جانبٌ ... لم يتلبث منه تعجيل الخلف

لا ترى للكف فيه أثراً ... فيه بل ينمي على مس الأكف

فترى الأطباق لا تمهله ... صادراتٍ واردات تختلف

فيه للخارف من جيرانه ... كلما احتاج إليه مخترف

أقحوانٌ وبهارٌ مونقٌ ... وسوى ذلك من كل الطرف

وهو زهرٌ للندامى أصلاً ... برضا قاطفهم مما قطف

وهو في الأيدي يحيون به ... وعلى الآناف طوراً يستشف

أعفه يا رب من واحدةٍ ... ثم لا أحفل أنواع التلف

اكفه شاة منيعٍ وحدها ... يوم لا يصبح في البيت علف

اكفه ذات سعالٍ شهلةً ... متعت في شر عيش بالخرف

اكفه يا رب وقصاء الطلى ... ألحم الكتفين منها بالكتف

وكلوحٌ أبداً مفترةٌ ... لك عن هتمٍ كليلاتٍ رجف

ونئوس الأنف لا يرقا ولا ... أبداً تبصره إلا يكف

لم تزل أظلافها عافيةً ... لم يظلف أهلها منها ظلف

فترى في كل رجلٍ ويدٍ ... من بقاياهن فوق الأرض خف

تنسف الأرض إذا مرت به ... فلها إعصار تربٍ منتسف

ترهج الطرق على مجتازها ... بيدٍ في المشي والخطو القطف

في يديها طرقٌ مشيتها ... حلقة القوس وفي الرجل حنف

فإذا ما سعلت واحد ودبت ... جاوب البعر عليها فخصف

وأحص الشعر منها جلدها ... شنةٌ في جوف غارٍ منخسف

ذات قرنٍ وهي جماء ألا ... إن ذا الوصف كوصفٍ مختلف

وإذا تدنو إلى مستعسبٍ ... عافها نتناً إذا ما هو كرف

لا ترى تيساً عليها مقدماً ... رميت من كل تيس بالصلف

شوهة الخلقة ما أبصرها ... من جميع الناس إلا وحلف
ما رأى شاةً ولا يعلمها ... خلقت خلقتها فيما سلف
عجباً منها ومن تأليفها ... عجباً من خلقها كيف ائتلف
لو ينادون عليها عجباً ... كسبوا منها فلوساً ورغف
ليتها قد أفلتت في جفنةٍ ... من عجينٍ أو دقيق مجترف
فتلقت شفرةً من أهله ... قدر الإصبع شيئاً أو أشف
أحكمت كفا حكيم صنعها ... فأتت مجدولةً فيها رهف
أدمجت من كل وجه غير ما ... ألل الأقيان من حد الطرف
قابض الرونق فيها ماتعٌ ... يخطف الأبصار منها يستشف
لمحتها فاستخفت نحوها ... عجلاً ثم أحالت تنتسف
فتناهت بين أضعاف المعى ... وتبوت بين أثناء الشغف
أو رمتها قرحةٌ زادت لها ... ذوباناً كل يومٍ ونحف
كل يوم فيه يدنو يومها ... أو ترى واردةً حوض الدنف
بينما ذاك بها إذ أصبحت ... كحميتٍ مفعمٍ أو مثل جف
شاغراً عرقوبها قد أعتبت ... بطنةً من بعد إدمان الهيف
وغدا الصبية من جيرانها ... ليجروها إلى مأوى الجيف
فتراها بينهم مسحوبةً ... تجرف الترب بجنبٍ منحرف
فإذا صاروا إلى المأوى بها ... أعملوا الآجر فيها والخزف
ثم قالوا: ذا جزاءٌ للتي ... تأكل البستان منا والصحف
لا تلوموني فلو أبصرت ذا ... كله فيها إذن لم أنتصف

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن يسير، وحدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: هوي أبي قينةً من قيان أبي هاشم بالبصرة، فكتبت إليه أمي تعاتبه، فكتب إليها:

لا تذكري لوعةً إثري ولا جزعا ... ولا تقاسن بعدي الهم والهلعا

بل ائتسي تجدي إن ائتسيت أساً بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا
ما تصنعين بعينٍ عنك قد طمحت إلى سواك وقلبٍ عنك قد نزعا
إن قلت قد كنت في خفضٍ وتكرمةٍ فقد صدقت ولكن ذاك قد نزعا
وأي شيءٍ من الدنيا سمعت به إلا إذا صار في غاياته انقطعا
ومن يطيق خليعاً عند صبوته أم من يقوم لمستورٍ إذا خلعا

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن يسير أن أباه دعي إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النجم، فعبث بأبي وباغضه وأساء أدبه، فقال يهجوه:

نشت بأبي النجم المغني سحابةٌ عليه من الأيدي شآبيبها القفد
نشا نوءها بالنحس حتى تصرمت وغابت فلم يطلع لها كوكبٌ سعد
سقته بجادت فارتوى من سجالها ذو رأسه والوجه والجيد والخد
فلا زال يسقيه بها كل مجلس به فتيةٌ أمثالها الهزل والجد

أراد به يسقيانه.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال وحدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: كان لأبي صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهاً وأقلهم أدباً، إلا أنه كان وافر المتاع، فكان القيان يواصلنه ويكثرن عنده، ويهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب، فيدعو بأبي فيعاشره. فهويته قنيةٌ من قيان البصرة، كانت من أحسن الناس وجهاً، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جداً تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره. فسأل أبي أن يجيبها عنه، فقال أبي: اكتب يا بني قبل أن أجيب عنها:

وابلائي من طول هذا الكتاب أسعدوني عليه يا أصحابي
أسعدوني على قراة كتابٍ طوله مثل طول يوم الحساب
إن فيه مني البلاء ملقًى ولغيري فيه الهوى والتصابي
وله الود والهوى وعلينا فيه للكاتبين رد الجواب
ثم ممن يا سيدي وإلى من منهضيم الحشا لعوب كعاب
وإلى من إن قلت فيه بعيب لم أحط في مقالتي بالصواب

لا يساوي على التأمل والتف تيش يوماً في الناس كف تراب

فقال عبد الله: وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه، فيمشي قدامه، فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذًى لقي داود شره وحذره أبي. فمات داود. وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران، فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عنتاً، فقال يرثي داود:

أقول والأرض قد غشى وجللها ثوب الدجى فهو فوق الأرض ممدود
وسد كل فروج الجو منطبقاً وكل فرجٍ به في الجو مسدود
وفي الوداع وفي الإبداء لي عنتٌ دون المسير وباب الدار مسدود
من لي بداود في ذي الحال يرشدني من لي بداود لهفي أين داود
لهفي على رجله ألا أقدمها قدام رجلي فتلقاها الجلاميد
إذا لا أزال إذا أقبلت ينكبني حرفٌ وجرفٌ ودكانٌ وأخدود
فإن تكن شوكةٌ كانت تحل به أو نكتةٌ في سواد الليل أو عود

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال: هجمت شاة منيع البقال على دار ابن يسير وهو غائب، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة، فأكلتها كلها، فقال في ذلك:

قل لبغاة الآداب ما صنعت منها إليكم فلا تضيعوها
وضمنوها صحف الدفاتر بال حبر وحسن الخطوط أوعوها
فإن عجزتم ولم يكن علفٌ تسيغه عندكم فبيعوها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن شبل البرجمي قال: كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان، وكان يوسف أشد خلق الله عربدةً، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يعربد عليه. ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولحاءٌ، فعربد يوسف عليه وشجه، فقال ابن يسير يهجوه:

لا تجلسن مع يوسفٍ في مجلسٍ أبداً ولم تحمل دم الأخوين
ريحانه بدم الشباب ملطخٌ وتحية الندمان لطم العين

أخبرني جعفربن قدامة قال حدثني الحسين بن يحيى المنجم قال حدثني أبو علي بن الخراساني قال: كان لمحمد بن يسير البصري بابان يدخل من أحدهما وهو الأكبر، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر، ومن يستشرط من المرد. فجاء يوماً غلامٌ قد خرجت لحيته، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر، فمر من ذلك الباب، فجعل يخاصم لدالته، وبلغ ابن يسير فكتب إليه:

قل لمن رام بجهلٍ مدخل الظبي الغرير

بعد أن علق في خ ... ديه مخلاة الشعير
ليته يدخل إن جا ... ء من الباب الكبير

وأخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال: كنا في مجلسٍ ومعنا محمد بن يسير وعمرو القصافي، وعندنا مغنية حسنة الوجه شهلة تغني غناءً حسناً، فكنا معها في أحسن يوم، وكان القصافي يعين في كل شيء يستحسنه ويحبه، فما برحنا من المجلس حتى عاها، فانصرفت محمومةً شاكية العين. فقال ابن يسير:

إن عمراً جنى بعينيه ذنباً ... قل مني فيه عليه الدعاء
عان عينا فعينه للتي عا ... ن فدًى وقل منه الفداء
شر عينٍ تعين أحسن عينٍ ... تحمل الأرض أو تظل السماء

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا القاسم بن الحسن قال: استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجةٍ أرادها فأبى عليه، فمضى إليها ماشياً، وكتب إلى عمرو القصافي - وكان جاراً للهاشمي وصديقاً - يشكوه إليه ويخبره بخبره:

إن كنت لا عير لي يوماً يبلغني ... حاجي وأقضي عليه حق إخواني
وضن أهل العواري حين أسألهم ... من أهل ودي وخلصاني وجيراني
فإن رجلي عندي لا عدمتهما ... رجلا أخي ثقةٍ مذ كان جولاني
تبلغاني حاجاتي وإن بعدت ... وتدنياني مما ليس بالداني
كأن خلفي إذا ما جد جدهما ... إعصار عاصفةٍ مما تثيران

رجلاي لم تألما نكباً كأنهما ... قطًّا وقداً وإدماجاً مداكان
كأن ما بهما أخطوا إذا أرتهيا ... في سكةٍ من أي ذاك سما كان
إن تبعثا في دهاسٍ تبعثا رهجاً ... أوفى حزونٍ ذكا فيها شهابان
فالحمد لله يا عمرو الذي بهما ... عن العواري وعن ذا الناس أغناني

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال: كنا في حلقة التوزي، فلما تقوضت أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قوله:

جهد المقل إذا أعطاه مصطبراً ... ومكثرٌ من غنًى سيان في الجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله ... إما نوالي وإما حسن مردود

فقلنا له: ما هذا التكارم! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جلة تمرٍ كانت عنده أكثرها وحملنا بقيتها. فكتب إلى والي البصرة عمر بن حفص:

يا أبا حفصٍ بحرمتنا ... عن نفساً حين تنتهك

خذ لنا ثاراً بجلتنا ... فبك الأوتار تدرك

كهف كفي حين تطرحها ... بين أيدي القوم تبترك

زارنا زورٌ فلا سلموا ... وأصيبوا أيةً سلكوا

أكلوا حتى إذا شبعوا ... أخذوا الفضل الذي تركوا

قال: فبعث إلينا فأحضرنا فأغرمنا مائة درهم، وأخذ من كل واحدٍ منا جلة تمرٍ، ودفع ذلك إليه.

أخبرني الأخفش قال حدثنا أبو العيناء قال: كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌ، فرجه أحمد يوماً بحماره تعرضاً لشره وعبثا به، فأخذ ابن يسير بأذن الحمار وقال له: قل لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذي الناس، فضحك أحمد ونزل، فعانقه وصالحه.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن علي الشامي قال: طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المديني فراخاً من الحمام الهداء، فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير، ثم نور عليه أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه. فقال محمد بن يسير:

يا رب رب الرائحين عشيةً ... بالقوم بين منًى وبين ثبير

والواقفين على الجبال عشيةً ... والشمس جانحةٌ إلى التغوير

حتى إذا طفل العشي ووجهت ... شمس النهار وآذنت بغئور

رحلوا إلى خيفٍ نواحل ضمها ... طول السفار وبعد كل مسير

ابعث على طير المديني الذي ... قال المحال وجاءني بغرور

ابعث على عجلٍ إليها بعدما ... يأخذون زينتهن في التحسير

في كل ما وصفوا المراحل وابتدوا ... في المبتدين بهن والتكسير

ومضين عن دور الخريبة زلفةً ... دون القصور وحجرة الماخور

مع كل ريح تغتدي بهبوبها ... في الجو بين شواهن وصقور

من كل أكلف بات يدجن ليله ... فغدا بغدوة ساغبٍ ممطور

ضرمٍ يقلب طرفه متأنساً ... شيئا فكن له من التقدير

يأتي لهن ميامناً ومياسراً ... صكًّا بكل مزلقٍ ممكور

من طائرٍ متحيرٍ عن قصده ... أو ساقطٍ خلج الجناح كسير

لم ينج منه شريدهن فإن نجا ... شيءٌ فصار بجانبات الدور

لمشمرين عن السواعد حسرٍ ... عنها بكل رشيقة التوتير

سدد الأكف إلى المقاتل صيبٍ ... سمت الحتوف بجؤجؤ ونحور

ليس الذي تخطي يداه رميةً ... منهم بمعدودٍ ولا معذور

يتبوعون وتمتطي أيديهم ... في كل معطية الجذاب نتور

عطف السيات دوائراً في عطفها ... تعزى صناعتها إلى عصفور

ينفثن عن جذب الأكف ثواقباً ... متشابهات القد والتدوير

تجري بها مهج النفوس وإنها ... لنواصلٌ سلتٌ من التحبير

ما إن تقصر عن مدى متباعدٍ ... في الجو يحسر طرف كل بصير

حتى تراه مزملاً بدمائه ... فكأنه متضمخٌ بعبير

فيظل يومهم بعيشٍ ناصبٍ ... نصب المراجل معجلي التنوير

ويئوب ناجيهن بين مضرجٍ ... بدمٍ ومخلوبٍ إلى منسور

عاري الجناح من القوادم والقرا ... كاسٍ عليه مائر التامور

فيئوده متبهنسٌ في مشيه ... خطف المؤخر مشبع التصدير

ذو حلكه مثل الدجى أو غبثةٍ ... شغبٌ شديد الجد والتشمير

فيمر منها في البراري والقرى ... من كل أعصل كالسنان هصور

في حين تؤذيها المبايت موهناً ... أو بعد ذلك آخر التسحير

يختص كل سليل سابق غايةٍ ... محض النجار مجربٍ مخبور

عجل عليه بما دعوت له به ... أره بذاك عقوبة التنوير

حتى يقول جميع من هو شامتٌ ... هذي إجابة دعوة ابن يسير

فلألفينك عند حالي حسرةٍ وتأسفٍ وتلهفٍ وزفير
ولتلفين إذا رمتك بسهمها أيدي المصائب منك غير صبور

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال: خرجنا مع بعض ولد النوشجاني إلى قصرٍ له في بستانهم بالجعفرية، ومعنا محمد بن يسير، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن، فإذا هو قد خرب واختل، فقال فيه محمد بن يسير:

ألا يا قصر قصر النوشجاني أرى بك بعد أهلك ما شجاني
فلو أعفى البلاء ديار قومٍ لفضلٍ منهم ولعظم شان
لما كانت ترى بك بيناتٍ تلوح عليك آثار الزمان

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن أبي حرب قال أنشدنا يوماً محمد بن يسير في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض لنفسه قال:

ويلٌ لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مثواه
واغفلتا في كل يومٍ مضى يذكرني الموت وأنساه
من طال في الدنيا به عمره وعاش فالموت قصاراه
كأنه قد قيل في مجلسٍ قد كنت آتيه وأغشاه
محمد صار إلى ربه يرحمنا الله وإياه

قال: فأبكى والله جميع من حضر.

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل قلا: كان محمد بن يسير صديقاً لداود بن أحمد بن أبي داود كثير الغشيان له ففقده أهل أياماً وطلبوه فلم يجدوه، وكان مع أصحابٍ له قد خرجوا يتنزهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم: اطلبوه في منزل حسن المغنية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة خمار التركي. فلما كان بعد أيامٍ جاءه ابن يسير فقال له: إيه أيها القاضي، كيف دللت علي أهلي؟ قال: كما بلغك، وقد قلت في ذلك أبياتاً: قال: أو فعلت ذلك أيضاً؟ زدني من برك، هات، أيش قلت؟ فأنشده:

ومرسلةٍ توجه كل يومٍ إلي وما دعا للصبح داعي
تسائلني وقد فقدوه حتى أرادوا بعده قسم المتاع
إذا لم تلقه في بيت حسنٍ مقيماً للشراب وللسماع
ولم ير في طريقي بني سدوسٍ يخط الأرض منه بالكراع

يدق حزونها بالوجه طوراً وطوراً باليدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى فلا تغلط حبيس أبي شجاع

قال: فجعل ابن يسير يضحك ويقول: أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه خلعةً من ثيابه.

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن القاسم طارمة قال: كنت مع المعتصم لما غزا الروم، فجاء بعض سراياه بخبر عمه، فركب من فوره وسار أجد سيرٍ وأنا أسايره، فسمع منشداً يتمثل في عسكره:

إن الأمور إذا اسندت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تياسن وإن طالت مطالبةٌ إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

فسر بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إلي وقال لي: يا علي أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم. قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفاءل باسمه ونسبه. وقال: أمر محمود وسير سريع يعقب هذا الأمر. ثم قال: أنشدني الأبيات، فأنشدته قوله:

ماذا يكلفك الروحات والدلجا البر طوراً وطوراً تركب اللججا
كم من فتًى قصرت في الرزق خطوته ألفيته بسهام الرزق قد فلجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبةٌ إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
إن الأمور إذا اسندت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفوٌ أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا
لا ينتج الناس إلا من لقاحهم يبدو لقاح الفتى يوماً إذا نتجا

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن علي وعمي قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبوالشبل قال: كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان ذات يومٍ ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرابٍ، فأمر أن نبخر ونطيب، فأقبلت وصيفةٌ له حسنة الوجه، فجعلت تبخرنا وتغلفنا بغاليةٍ كانت معه. فلما غلفت ابن يسير وبخرته التفت إلي - وكان إلى جانبي - فأنشدني:

يا باسطاً كفه نحوي يطيبني كفاك أطيب يا حبي من الطيب
كفاك يجري مكان الطيب طيبهما فلا تزدني عليها عند تطييبي

يا لائمي في هواها أنت لم ترها فأنت مغرًى بتأنيبي وتعذيبي

انظر إلى وجهها هل مثل صورتها في الناس وجهٌ مجلًى غير محجوب؟

فقلت له: اسكت ويلك! لا، تصفع والله وتخرج. فقال: والله لو وثقت بأن نصفع جميعاً لأنشدته الأبيات، ولكني أخشى أن أفرد بالصفع دونك.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا الرياشي قال: كان محمد بن يسير جالساً في حلقتنا في مسجد البصرة، وإلى جانبنا حلقة قومٍ من أهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها، فقال ابن يسير: اسمعوا ما قلت في هؤلاء، فأنشدنا قوله:

يا سائلي عن مقالة الشيع وعن صنوف الأهواء والبدع

دع عنك ذكر الأهواء ناحيةً فليس ممن شهدت ذو ورع

كل أناسٍ بديهم حسنٌ ثم يصيرون بعد للسمع

أكثر ما فيه أن يقال لهم لم يك في قوله بمنقطع

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن علي الشامي قال: كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه، من ذلك قوله:

إذا ما غدا الطلاب للعلم ما لهم من الحظ إلا ما يدون في الكتب

غدوت بتشمير وجدٍّ عليهم فمحبرتي أذني ودفترها قلبي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر، قال: كان إبراهيم بن رياح إذا حزبه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير:

تخطي النفوس مع العيا ن وقد تصيب مع المظنة

كم من مضيقٍ في الفضا ء ومخرجٍ بين الأسنة

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال: مر ابن يسير بأبي عثمان المازني فجلس إليه ساعة، فرأى من في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خلقٍ وسخةٍ مقطعة، فأخذ ورقةً وكتب فيها:

كم أرى ذا تعجبٍ من نعالي ورضائي منها بلبس البوالي

كل جرداء قد تكتفيها من أقطارها بسود النقال

لا تداني وليس تشبه في الخل قة إن أبرزت نعال الموالي

من يغال من الرجال بنعلٍ فسواي إذاً بهن يغالي

لو حذاهن للجمال فإني في سواهن زينتي وجمالي
في إخائي وفي وفائي ورأيي ولساني ومنطقي وفعالي
ما وقاني الحفا وبلغني الحا جة منها فإنني لا أبالي

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:
دعا قثم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده، فلما سكر سرق منه ألواح آبنوس كانت تكون في كمه، فقال في ذلك:

عين بكي بعبرةٍ تسفاح وأقيمي مآتم الألواح
أوحشت حجزتي وردناي منها في بكوري وعند كل رواح
واذكريها إذا ذكرت بما قد كان فيها من مرفقٍ وصلاح
آبنوس دهماء حالكة اللو ن لبابٌ من اللطاف الملاح
ذات نفع خفيفة القدر والمح مل حلكوكة الذرا والنواحي
وسريعٌ جفوفها إن محاها عند مملٍ مستعجل القوم ماحي
هي كانت على علومي والآ داب والفقه عدتي وسلاحي
كنت أغدو بها على طلب العل م إذا ما غدوت كل صباح
هي كانت غذاء زوري إذا زا ر وري النديم يوم اصطباحي

يعني أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزواره المأكول والمشروب.

آب عسري وغاب يسري وجودي حين غابت وغاب عني سماحي

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: كان محمد بن يسير يعادي أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشق جاريةً سوداء مغنية، فقال ابن يسير يهجوه:

أقول لما رأيته كلفاً بكل سوداء نزرةٍ قذره
أهلٌ لعمري لما كلفت به عند الخنازير تتفق العذره

أخبرني وكيع قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا أبو العواذل قال: عوتب محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا محبرةٍ، وأنه لا يكتب ما يسمعه، فقال:

ما دخل الحمام من علمي فذاك ما فاز به سهمي
والعلم لا ينفعني جمعه إذا جرى الوهم على فهمي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان محمد بن يسير يعاشر ولد جعفر بن سليمان، فأخذ منه قثم بن جعفرٍ ألواح آبنوس كان يكتب فيها بالليل، فقال ابن يسير في ذلك:

أبقت الألواح إذ أخذت ... حرقةً في القلب تضطرم

زانها فصان من صدفٍ ... واحمرار السير والقلم

وتولى أخذها قثمٌ ... لا تولى نفعها قثم

أخبرني الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان محمد بن يسير يعاشر بعض الهاشميين، ثم جفاه الهاشمي لملالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله:

قد كنت منقبضاً وأنت بسطتني ... حتى انبسطت إليك ثم قبضتني

أذكرتني خلق النفاق وكان لي ... خلقاً فقد أحسنت إذ أذكرتني

لو دام ودك وانبسطت إلى امرىءٍ ... في الود بعدك كنت أنت غررتني

فهلم نجتذب التذاكر بيننا ... ونعود بعد كأننا لم نفطن

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا مسعود بن يسير قال: شرب محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه، حتى خرج من عندهم وهو لا يعقل فأخذ رداءه وعثر في طريقه وأصاب وجهه آثار، فلما أفاق أنشأ يقول:

شاربت قوماً لم أطق شربهم ... يغرق في بحرهم بحري

لما تجارينا إلى غايةٍ ... قصر عن صبرهم صبري

خرجت من عندهم مثخناً ... تدفعني الجدر إلى الجدر

مقبح المشي كسير الخطا ... تقصر عند الجد عن سيري

فلست أنسى ما تجشمت من ... كدحٍ ومن جرحٍ ومن أثر

وشق ثوبٍ وتوى آخرٍ ... وسقطةٍ بان بها ظفري

حدثني عمي وجحظة عن أحمد بن الطيب قال: حدثنا بعض أصحابنا عن مسعو بن يسير، ثم ساق الخبر مثله سواءً.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيناء قال: اجتمع جعيفران الموسوس ومحمد بن يسير في بستان، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه، فقال جعيفران:

قد قلت لابن يسيرٍ ... لما رمى من عجانه

في الأرض تل سمادٍ ... علا على كثبانه

طوبى لصاحب أرضٍ خرئت في بستانه

قال: فجعل ابن يسير يشتم جعيفران ويقول: أي شيء أردت مني يا مجنون يا بن الزانية حتى صيرتني شهرةً بشعرك!

أخبرني جحظة قال: حدثني سوار بن أبي شراعة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشرب، وما بات قط إلا وهو سكران، وما نبذ قط نبيذاً، وإنما كان يشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هادٍّ، و لم تمكنه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد وكاد يجن لما فقد النبيذ. فكتب إلى والي البصرة وكان هاشمياً، وهو محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال:

كم في علاج نبيذ التمر لي تعبٌ الطبخ والدلك والمعصار والعكر

وإن عدلت إلى المطبوخ معتمداً رأيتني منه عند الناس أشتهر

نقل الدنان إلى الجيران يفضحني والقدر تتركني في القوم أعتذر

فصرت في البيت أستسقي وأطلبه من الصديق ورسلي فيه تبتدر

فمنهم باذلٌ سمحٌ بحاجتنا ومنهم كاذبٌ بالزور يعتذر

فسقني ري أيامٍ لتمنعني عمن سواك وتغنيني فقد خسروا

إن كان زقٌ فزقٌ أو فوافرةٌ من الدساتيج لا يزري بها الصفر

وإن تكن حاجتي ليست بحاضرةٍ وليس في البيت من آثارها أثر

فاستسق غيرك أو فاذكر له خبري إن اعتراك حياءٌ منه أو حصر

ما كان من ذلكم فليأتني عجلاً فإنني واقفٌ بالباب أنتظر

لا لي نبيذٌ ولا حرٌّ فيدعوني وقد حماني من تطفيلي المطر

قال: فضحك لما قرأها. وبعث إليه بزقٍّ نبيذٍ ومائتي درهم، وكتب إليه: اشرب النبيذ: وأنفق الدراهم إلى أن يمسك المطر ويتسع لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ فاجعلني فيئةً لك، والسلام.

أنت حديثي في النوم واليقظة أتعبت مما أهذي بك الحفظة

كم واعظٍ فيك لي وواعظةٍ لو كنت ممن تنهاه عنك عظه

الشعر لديك الجن الحمصي. والغناء لعريب، هزج، ذكر ذلك ذكاء وجه الرزة وقمريٌّ جميعاً، والله أعلم.

أخبار ديك الجين ونسبه

ديك الجن لقبٌ غلب عليه، واسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم. وكان جده تميم ممن أنعم الله عز وجل عليه بالإسلام من أهل مؤتة على يدي حبيب بن مسلمة الفهري، وكان شديد التشعب والعصبية على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلاً منا قتل به، و لم نجد الله عز وجل فضلهم علينا، إذ جمعنا الدين.

وهو شاعرٌ مجيدٌ يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره. من شعراء الدولة العباسية. وكان من ساكني حمص، و لم يبرح نواحي الشأم، ولا وفد إلى العراق ولا إلى غيره منتجعاً بشعره، ولا متصدياً لأحد. وكان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن علي عليهما السلام منها قوله:

ياعين لا للقضا و لا الكتب بكا الرزايا سوى بكا الطرب

وهي مشهورة عند الخاص والعام، ويناح بها. وله عدة أشعار في هذا المعنى، وكانت له جاريةٌ يهواها، فاتهمها بغلامٍ له فقتلها، واستنفد شعره بعد ذلك في مراثيها.

قال أبو الفرج: ونسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجن يقال له أبو وهب الحمصي قال: كان عمي خليعاً ماجناً معتكفاً على القصف واللهو، متلافاً لما ورث عن آبائه، واكتسب بشعره من أحمد وجعفر ابني علي الهاشميين، وكان له ابن عم يكنى أبا الطيب يعظه وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من لذاته وربما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة، فيستخف بهم وبه. فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه:

مولاتنا يا غلام مبتكره فباكر الكأس لي بلا نظره
غدت على اللهو والمجون على أن الفتاة الحيية الخفره
لحبها لا عدمتها حرقٌ مطويةٌ في الحشا ومنتشره
ما ذقت منها سوى مقبلها وضم تلك الفروع منحدره
وانتهرتني فمت من فرقٍ يا حسنها في الرضا ومنتهره

ثم انثنت سورة الخمار بنا خلال تلك الغدائر الخمره
وليلةٍ أشرفت بكلكلها علي كالطيسان معتجره
فتقت ديجورها إلى قمرٍ أثوابه بالعفاف مستتره
عج عبرات المدام نحوي من عشر وعشرين واثنتي عشره

قد ذكر الناس عن قيامهم ذكرى بعقلي ما أصبحت نكره
معرفتي بالصواب معرفةٌ غراء إما عرفتم النكره
يا عجبا من أبي الخبيث ومن سروحه في البقائر الدثره
يحمل رأساً تنبو المعاول عن صفحته والجلامد الوعره
لو البغال الكمت ارتقت سنداً فيه لمدت قوائماً خدره
ولا المجانيق فيه مغنيةٌ ألفٌ تسامى وألف منكدره
انظر إلى موضع المقص من ال هامة تلك الصفيحة العجره
فلو أخذتم لها المطارق حر انية صنعة اليد الخبره
إذاً لراحت أكف جلتهم كليلةً والأداة منكسره
كم طرباتٍ أفسدتهن وكم صفوة عيشٍ غادرتها كدره
وكم إذا ما رأوك يا ملك ال موت لهم من أناملٍ خصره
وكم لهم دعوة عليك وكم قذفة أم شنعاء مشتهره
كريمةٍ لؤمك استخف بها ونالها بالمثالب الأشره
قفوا على رحله تروا عجباً في الجهل يحكي طرائف البصره
يا كل منيٍ وكل طالعةٍ نحسٍ ويا كل ساعةٍ عسره
سبحان من يمسك السماء على ال أرض وفيها أخلاقك القذره

قال: وكان عبد السلام قد اشتهر بجاريةٍ نصرانيةٍ من أهل حمص هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه وذهبت به. فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده، فتزوجها، وكان اسمها ورداً، ففي ذلك يقول:

انظر إلى شمس القصور وبدرها وإلى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبل عينك أبيضاً في أسودٍ جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من أردافها عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامةٍ من كفها ورديةٍ ومدامة من ثغرها

قال: وكان قد أعسر واختلت حاله، فرحل إلى سلمية قاصداً لأحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدةً طويلة، وحمل ابن عمه بغضه إياه بعد مودته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فكتب إلى أحمد بن علي شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص ويعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها:

إن ريب الزمان طال انتكاثه ... كم رمتني بحادثٍ أحداثه

يقول فيها:

ظبي إنسٍ قلبي مقيل ضحاه ... وفؤادي بريره وكباثه

وفيها يقول:

خيفةً أن يخون عهدي وأن يض ... حي لغير حجوله ورعاثه

ومدح أحمد بعد هذا، وهي طويلة. فأذن له فعاد إلى حمص، وقدر ابن عمه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص. فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنفاً على تمسكه بهذه المرأة بعدما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثةً لا يجمل به معها المقام عليها، ودس الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، وناد باسم ورد، فإذا قال: من أنت؟ فقل: أنا فلان. فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئاً. فبينما هو في ذلك إذ قرع الرجل الباب فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان. فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها، وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلت ... وإلى ذلك الوصال وصلت

فالذي مني اشتملت عليه ... ألعار ما قد عليه اشتملت

قال ذو الجهل قد حلمت ولا أع ... لم أني حلمت حتى جهلت

لاثمٌ لي بجهله ولماذا ... أنا وحدي أحببت ثم قتلت

سوف آسى طول الحياة وأبكي ... ك على ما فعلت لا ما فعلت

وقال فيها أيضاً:

لك نفسٌ مواتيه ... والمنايا معاديه

أيها القلب لا تعد ... لهوى البيض ثانيه

ليس برقٌ يكون أخ لب من برق غانيه
خنت سري ولم أخن ك فموتي علانية

قال: وبلغ السلطان الخبر فطلبه، فخرج إلى دمشق فأقام بها أياماً. وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمنه، وتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته فقدم حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه فندم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه، وقال في ندمه على قتلها:

يا طلعةً طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطىء الحصى شيءٌ أعز علي من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وأنفت من نظر الحسود إليها

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن.

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحاف قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن منصور قال: كان من غطفان رجلٌ يقال له السليك بن مجمع، وكان من الفرسان، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قومٍ قتلهم، وكان يهوى ابنة عم له، وكان خطبها مدةً فمنعها أبوها، ثم زوجه إياها خوفاً منه، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته، فلقيه من بني فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلبه بذحلٍ، فحلقوا عليه، وقاتلهم وقتل منهم عدداً، وأثخن بالجراح آخرين، وأثخن هو حتى أيقن بالموت. فعاد إليها فقال: ما أسمح بك نفساً لهؤلاء، وإني أحب أن أقدمك قبلي. قالت: افعل، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدك. فضربها بسيفه حتى قتلها، وأنشأ يقول:

يا طلعة طلع الحمام عليها

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن، ثم نزل إليها فتمرغ في دمها وتخضب به، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. وبلغ قومه خبره، فحملوه وابنة عمه فدفنوهما. قال: وحفظت فزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها. قال: وبلغني أن قومه أدركوه وبه رمق، فسمعوه يردد هذه الأبيات، فنقلوها وحفظوها عنه، وبقي عندهم يوماً ثم مات.

وقال ديك الجن في هذه المقتولة:

أشفقت أن يرد الزمان بغدره أو ابتلى بعد الوصال بهجره
قمرٌ أنا استخرجته من دجنه لبليتي وجلوته من خدره

فقتلته وله علي كرامةٌ ... ملء الحشى وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ ... والحزن يسفح عبريت في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده ... بالحي حل بكى له في قبره
غصصٌ تكاد تفيظ منها نفسه ... وتكاد تخرج قلبه من صدره

وقال فيها أيضاً:

أساكن حفرةٍ وقرار لحد ... مفارق خلةٍ من بعد عهد
أجبني إن قدرت على جوابي ... بحق الود كيف ظللت بعدي
وأين حللت بعد حلول قلبي ... وأحشائي وأضلاعي وكبدي
أما والله لو عاينت وجدي ... إذا استعبرت في الظلمات وحدي
وجد تنفسي وعلا زفيري ... وفاضت عبرتي في صحن خدي
إذاً لعلمت أني عن قريبٍ ... ستحفر حفرتي ويشق لحدي
ويعذلني السفيه على بكائي ... كأني مبتلًى بالحزن وحدي
يقول قتلتها سفهاً وجهلاً ... وتبكيها بكاءً ليس يجدي
كصياد الطيور له انتحابٌ ... عليها وهو يذبحها بحد

وقال فيها أيضاً:

ما لامرىء بيد الدهر الخئون يد ... ولا على جلد الدنيا له جلد
طوبى لأحباب أقوامٍ أصابهم ... من قبل أن عشقوا موتٌ فقد سعدوا
وحقهم إنه حقٌّ أضن به ... لأنفدن لهم دمعي كما نفدوا
يا دهر إنك مسقيٌ بكأسهم ... وواردٌ ذلك الحوض الذي وردوا
الخلق ماضون والأيام تتبعهم ... نفنى جميعاً ويبقى الواحد الصمد

وقال فيها:

أما آن للطيف أن يأتيا ... وأن يطرق الوطن الدانيا
وإني لأحسب ريب الزما ... ن يتركني جسداً باليا
سأشكر ذلك لا ناسياً ... جميل الصفاء ولا قاليا

وقد كنت أنشره ضاحكاً فقد صرت أنشره باكيا

وقال أيضاً:

قل لمن كان وجهه كضياء الش مس في حسنه وبدرٍ منير
كنت زين الأحياء إذ كنت فيهم ثم قد صرت زين أهل القبور
بأبي أنت في الحياة وفي المو ت وتحت الثرى ويوم النشور
خنتني في المغيب والخون نكرٌ وذميمٌ في سالفات الدهور
فشفاني سيفي وأسرع في ح ز التراقي قطعاً وحز النحور

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان ديك الجن يهوى غلاماً من أهل حمص يقال له بكر، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدثنان إلى أن غاب القمر:

دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر إذا ما تجلى من محاسنك الفجر
إذا ما انقضى سحر الذين ببابلٍ فطرفك لي سحرٌ وريقك لي خمر
ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

قال: وكان هذا الغلام يعرف ببكر بن دهمرد. قال: وكان شديد التمنع والتصون. فاحتال قومٌ من أهل حمص فأخرجوه إلى متنزه لهم يعرف بميماس، فأسكروه وفسقوا به جميعاً، وبلغ ديك الجن الخبر فقال فيه:

قل لهضيم الكشح مياس انتقض العهد من الناس
يا طلعة الآس التي لم تمد إلا أذلت قضب الآس
وثقت بالكأس وشرابها وحتف أمثالك في الكاس
وحال ميماس ويا بعدما بين مغيثيك وميماس
تقطيع أنفاسك في أثرهم وملكهم قطع أنفاسي
لا بأس مولاي على أنها نهاية المكروه والباس
هي الليالي ولها دولةٌ ووحشة من بعد إيناس
بينا أنافت وعلت بالفتى إذ قيل حطته على الراس
فاله ودع عنك أحاديثهم سيصبح الذاكر كالناسي

وقال فيه أيضاً:

يا بكر ما فعلت بك الأرطال يا دار ما فعلت بك الأيام

في الدار بعد بقيةٌ نستامها إذ ليس فيك بقيةٌ تستام
عرم الزمان على الديار برغمهم وعليك أيضاً للزمان عرام
شغل الزمان كراك في ديوانه فتفرغت لدواتك الأقلام

قال فيه أيضاً:

قولا لبكر بن دهمردٍ إذا اعتكرت عساكر الليل بين الطاس والجام
ألم أقل لك إن البغي مهلكةٌ والبغي والعجب إفسادٌ لأقوام
قد كنت تفرق من سهمٍ بغانيةٍ فصرت غير رميمٍ رقعة الرامي
وكنت تفزع من لمسٍ ومن قبلٍ فقد ذللت لإسراجٍ وإلجام
إن تدم فخذاك من ركضٍ فربتما أمسي وقلبي عليك الموجع الدامي

أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكية، وبها أنشدني قصيدة البحتري:

ملامك إنه عهدٌ قريب ورزءٌ ما انقضت منه الندوب

وأنشدني لديك الجن يعزي جعفر بن علي الهاشمي:

نغفل والأيام لا تغفل ولا لنا من زمنٍ موئل
والدهر لا يسلم من صرفه أعصم في القنة مستوعل
يتخذ الشعرى شعاراً له كأنما الأفق له منزل
كأنه بين شناظيرها بارقةٌ تكمن أو تمثل

ولا حبابٌ صلتان السرى أرقم لا يعرف ما يجهل
نضناض فيفاء يرى أنه بالرمل غانٍ وهو المرمل
يطلب من فاجئةٍ معقلاً وهو لما يطلب لا يعقل
والدهر لا يسلم من صرفه مسربلٌ بالسرد مستبسل
ولا عقنباة السلامى لها في كل أفقٍ علقٌ مهمل
فتخاء في الجو خداريةٌ كالغيم والغيم لها مثقل
آمن من كل لصرف الردى أنزلها من جوها منزل

والدهر لا يحجبه مانعٌ ... يحجبه العامل والمنصل

يصغي جديداه إلى حكمه ... ويفعل الدهر بما يفعل

كأنه من فرط عز به ... أشوش إذ أقبل أو أقبل

الأقبل: الذي في عينه قبلٌ، وهو دون الحول.

في حسب أوفى له جحفلٌ ... يقدمه من رأيه جحفل

بينا على ذلك إذ عرشت ... في عرشه داهيةٌ ضئبل

إن يك في العز له مشقصٌ ... ماضٍ فقد تاح له مقتل

جاد على قبرك من ميتٍ ... بالروح ربٌ لك لا يبخل

وحنت المزن على قبره ... بعارضٍ نجوته محفل

غيثٌ ترى الأرض على وبله ... تضحك إلا أنه يهمل

يصل والأرض تصلي له ... من صلواتٍ معه تسأل

أنت أبا العباس عباسها ... إذا استطار الحدث المعضل

وانت ينبوع أفانينها ... إذا هم في سنةٍ أمحلوا

وأنت علام غيوب النثا ... يوماً إذا نسأل أو نسأل

نحن نعزيك ومنك الهدى ... مستخرجٌ والنور مستقبل

نقول بالعقل وأنت الذي ... نأوي إليه وبه نعقل

نحن فداءٌ لك من أمةٍ ... والأرض والآخر والأول

إذا غفا عنك وأودى بها ... ذا الدهر فهو المحسن المجمل

قال أبو المعتصم: ثم مات جعفر بن علي الهاشمي، فرثاه ديك الجن فقال:

على هذه كانت تدور النوائب ... وفي كل جمع للذهاب مذاهب

نزلنا على حكم الزمان وأمره ... وهل يقبل النصف الألد المشاغب

وتضحك سن المرء والقلب موجعٌ ... ويرضى الفتى عن دهره وهو عاتب

ألا أيها الركبان والرد واجبٌ ... قفوا حدثونا ما تقول النوادب

إلى أي فتيان الندى قصد الردى ... وأيهم نابت حماه النوائب

فيا لأبي العباس كم رد راغبٌ ... لفقدك ملهوفاً وكم جب غارب

ويا لأبي العباس إن مناكباً ... تنوء بما حملها لنواكب

فيا قبره جد كل قبرٍ بجوده ... ففيك سماءٌ ثرةٌ وسحائب

فإنك لو تدري بما فيك من علاً ... علوت وباتت في ذراك الكواكب

أخاً كنت أبكيه دماً وهو نائمٌ ... حذاراً وتغمى مقلتي وهو غائب

فمات ولا صبري على الأجر واقفٌ ... ولا أنا في عمرٍ إلى الله راغب

أأسعى لأحظى فيك بالأجر إنه ... لسعيٌ إذن مني لدى الله خائب

وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما ... عواقب حمدٍ أن تذم العواقب

يقولون :مقدارٌ على المرء واجبٌ ... فقلت :وإعوالٌ على المرء واجب

هو القلب لما حم يوم ابن أمه ... وهي جانبٌ منه وأسقم جانب

ترشفت أيامي وهن كوالحٌ ... عليك وغالبت الردى وهو غالب

ودافعت في صدر الزمان ونحره ... وأي يدٍ لي والزمان محارب

وقلت له: خل الجواد لقومه ... وهأنذا فازدد فإنا عصائب

فوالله إخلاصاً من القول صادقاً ... وإلا فحبي آل أحمد كاذب

لو ان يدي كانت شفاءك أو دمي ... دم القلب حتى يقضب القلب قاضب

لسلمت تسليم الرضا وتخذتها ... يداً للردى ما حج الله راكب

فتًى كان مثل السيف من حيث جئته ... لنائبةٍ نابتك فهو مضارب

فتًى همه حمدٌ على الدهر رابحٌ ... وإن غاب عنه ماله فهو عازب

شمائل إن يشهد فهن مشاهد ... عظامٌ وإن يرحل فهن كتائب

بكاك أخٌ لم تحوه بقرابةٍ ... بلى إن إخوان الصفاء أقارب

وأظلمت الدنيا التي كانت جارها ... كأنك للدنيا أخٌ ومناسب

يبرد نيران المصائب أنني ... أرى زمناً لم تبق فيه مصائب

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر: إن خطيب أهل حمص كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ثلاث مرات في خطبته، وكان أهل حمص كلهم من اليمن، لم يكن فيهم من مضر إلا ثلاثة أبيات، فتعصبوا على الإمام وعزلوه، فقال ديك الجن:

سمعوا الصلاة على النبي توالى ... فتفرقوا شيعاً وقالوا لا لا
ثم استمر على الصلاة إمامهم ... فتحزبوا ورمى الرجال رجالا
يا آل حمص توقعوا من عارها ... خزياً يحل عليكم ووبالا
شاهت وجوهكم وجوهاً طالما ... رغمت معاطسها وساءت حالا
أيا بنة عبد الله وابنة مالكٍ ... ويا بنة ذي البردين والفرس بارد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإني لست آكله وحدي

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن عاصم المنقري، والغناء لعلويه، ثقيلٌ أول بالوسطى.

أخبار قيس بن عاصم ونسبه

هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس. واسم مقاعس الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ويكنى أبا علي. وأمه أم أصعر بنت خليفة بن جرول بن منقر.

وهو شاعرٌ فارسٌ شجاعٌ حليمٌ كثير الغارات، مظفرٌ في غزاوته. أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما. وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية، وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه في حياته، وعمر بعده زماناً وروى عنه عدة أحاديث.

أخبرني عمي الحسن بن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال: وفد قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به عنه من الموءودات التي وأدهن من بناته، فأخبر أنه ما ولدت له بنتٌ قط إلا وأدها. ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنتٌ قط إلا وأدتها، وما رحمت منهن موءودةً قط إلا بنيةً لي ولدتها أمها وأنا في سفر، فدفعتها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم، وقدمت فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً. ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت، فزارت أمها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق ونظمت عليها ودعاً، وألبستها قلادة جزعٍ، وجعلت في عنقها مخنقة بلح: فقلت، من هذه الصبية فقد أعجبني جمالها وكيسها؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتك أني ولدت ولداً ميتاً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرةً فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت ما

تصنع بي؟ وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت أمغطي أنت بالتراب؟ أتاركي أنت وحدي ومنصرفٌ عني؟ وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريتها، وانقطع صوتها، فما رحمت أحداً ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "إن هذه لقسوةٌ، وإن من لا يرحم لا يرحم" أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني عمي أبو فراس محمد بن فراس عن عمر بن أبي بكار عن شيخ من بني تميم عن أبي هريرة: أن قيس بن عاصمٍ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حجره بعض بناته يشمها، فقال له: ما هذه السخلة تشمها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد ولد لي بنون ووأدت بنيات ما شممت منهن أنثى ولا ذكراً قط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهل إلا أن يترع الله الرحمة من قلبك".! قال أحمد بن الهيثم قال عمي فحدثني عبد الله بن الأهتم:

أن سبب وأد قيسٍ بناته أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعدٍ منهم نساءً واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأةٌ، خالها قيس بن عاصم، وهي رميم بنت أحمر بن جندلٍ السعدي، وأمها أخت قيس. فرحل قيسٌ إليهم ويسألهم أن يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها. فخيرت، فاختارت عمرو بن المشمرج. فانصرف قيس فوأد كل بنت، وجعل ذلك سنة في كل بنتٍ تولد له، واقتدت به العرب في ذلك، فكان كل سيد يولد له بنت يئدها خوفاً من الفضيحة.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي بن العباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: تزوج قيس بن عاصم المنقري منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي، وأتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام، فقال: فأين أكيلي؟ فلم تعلم ما يريد، فأنشأ يقول:

أيا بنة عبد الله وابنة مالكٍ ... ويا بنة ذي البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإني لست آكله وحدي

أخاً طارقاً أو جار بيتٍ فإنني ... أخاف ملامات الأحاديث من بعدي

وإني لعبد الضيف من غير ذلةٍ ... وما بي إلا تلك من شيم العبد

قال: فأرسلت جاريةً لها مليحة فطلبت له أكيلاً، وأنشأت تقول له:

أبى المرء قيسٌ أن يذوق طعامه ... بغير أكيلٍ إنه لكريم

فبوركت حيًّا يا أخا الجود والندى ... وبوركت ميتاً قد حوتك رجوم

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: جاور رجلٌ من بني القين من قضاعة قيس بن عاصم، فأحسن جواره و لم ير منه إلا خيراً حتى فارقه، ثم نزل عند جوين الطائي أبي عامر بن جوين، فوثب عليه رجال من طيىء فقتلوه وأخذوا ماله، فقال العباس بن مرداس يهجوهم ويمدح قيساً:

لعمري لقد أوفى الجواد ابن عاصم ... وأحصن جاراً يوم يحدج بكره
أقام عزيزاً منتدى القوم عنده ... فلم ير سوءاتٍ ولم يخش غدره
أقام بسعدٍ يشرب الماء آمناً ... ويأكل وسطاها ويربض حجره
فإنك إذ بادلت قيس بن عاصمٍ ... جويناً لمختار المنازل شره
فأصبح يحدو رحله بمفازةٍ ... وماذا عدا جاراً كريماً وأسره
يظل بأرض الغدر يأكل عهده ... جوينٌ وشمخٌ خاربين بوجره
يذمان بالأزواد والزاد محرمٌ ... سروقان من عرق شروراً وفجره

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني دماذ عن أبي عبيدة قال: قال الأحنف: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، فقيل له: وكيف ذلك يا أبا بحر.؟ فقال: قتل ابن أخ له ابناً له فأتى بابن أخيه مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بني، نقصت عددك، وأوهيت ركنك، وفتت في عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك. خلوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، قال: فانصرف القاتل وما حل قيس حبوته، ولا تغير وجهه.

أخبرني عبيد الله الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن ابن جعدبة وأبي اليقظان قالا: وقد قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "هذا سيد أهل الوبر".

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال: جاور داريٌ كان يتجر في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرب قيسٌ ليلةً حتى سكر، فربط الداري وأخذ ماله، وشرب من شرابه فازداد سكراً، وجعل من السكر يتطاول ويثاور النجوم ليبلغها وليتناول القمر، وقال:

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإله به ... كأن عثنونه أذناب أجمال

ثم قسم صدقة النبي صلى الله عليه وسلم في قومه وقال:

ألا أبلغا عني قريشاً رسالةً ... إذا ما أتتهم مهديات الودائع
حبوت بما صدقت في العام منقراً ... وأيأست منها كل أطلس طامع

قال: فلما فعل بالداري ما فعل وسكر، جعل ماله نهبى، فلم تزل امرأته تسكنه حتى نام. فلما أصبح أخبر بما كان منه، فآلى ألا يدخل الخمر بين أضلاعه أبداً.

أخبرني وكيعٌ قال حدثنا المدائني قال:

ولي قيس بن عاصم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات بني مقاعس والبطون كلها، وكان الزبرقان بن بدرٍ قد ولي صدقات عوف والأبناء. فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع كل واحد من قيس والزبرقان صدقات من ولي صدقته دس إليه الزبرقان من زين له المنع لما في يده وخدعه بذلك، وقال له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي، فهلم نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا، فإن استقام الأمر لأبي بكر وأودت العرب إليه الزكاة جمعنا له الثانية. ففرق قيس الإبل في قومه، فانطلق الزبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة بعير فأداها إليه، وقال في ذلك:

وفيت بأذواد النبي محمدٍ وكنت امرأً لا أفسد الدين بالغدر

فلما عرف قيسٌ ما كاده به الزبرقان قال: لو عاهد الزبرقان أمه لغدر بها.

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث بن أسامة قال حدثنا المدائني، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ثعلبٌ على ابن الأعرابي قال: قيل لقيس بن عاصم: بماذا سدت؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر الموالي.

أخبرني وكيعٌ قال حدثنا العمري عن الهيثم قال: كان قيس بن عاصم يقول لبنيه: إياكم والبغي، فما بغى قومٌ قط إلا قلوا وذلوا. فكان بعض بنيه يلطمه قومه أو غيرهم فينهى إخوته عن أن ينصروه.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة: أن قيس بن عاصم قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرحب به وأدناني، فقلت: يا رسول الله، المال الذي لا يكون علي فيه تبعةٌ ما ترى في إمساكه لضيفٍ إن طرقني، وعيالٍ إن كثروا علي؟ فقال: "نعم المال الأربعون، والأكثر الستون، وويلٌ لأصحاب المئين - ثلاثاً - إلا من أعطى من رسلها وأطرق فحلها، وأفقر ظهرها، ومنح غزيرتها، وأطعم القانع والمعتر".

فقلت له: يا رسول الله، ما أكرم هذه الأخلاق! إنه لا يحل بالوادي الذي أنا فيه من كثرتها. قال: "فكيف تصنع في الإطراق"؟ قلت: يغدو الناس، فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به، قال: "فكيف تصنع في الإقفار"؟ فقلت إني لأفقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة. قال: "فكيف تصنع في المنيحة"؟ قلت: إني لأمنح في السنة المائة. قال: "إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت".

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريكٍ الشيباني، طعنه في استه في يوم جدود.

وكان من حديث ذلك اليوم أن الحارث بن شريك بن عمرو الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع موادعةٌ، ثم هم بالغدر بهم، فجمع بني شيبان وبني ذهبٍ واللهازم: قيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم، ثم غزا بني يربوع، فنذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريكٍ، فنادى في قومه

بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريكٍ على بني مقاعس وإخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم، فاستصرخوا بني منقرٍ فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يومٍ شديد الحر. فما شعر الحوفزان إلا بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقرٍ - واسم الأهتم سنان - وهو واقف على رأسه، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتم: من أنت؟ فانتسب له، وقال: هذه منقر قد أتتك. فقال الحوفزان: فأنا الحارث بن شريك! فنادى الأهتم: يا آل سعد! ونادى الحوفزان: يا آل وائل! وحمل كل واحد منهما على صاحبه، ولحقت بنو منقرٍ، فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه، ونادت نساء بني ربيع: يا آل سعد! فاشتد قتال بني منقر لصياحهن، فهزمت بكر بن وائل، وخلوا من كان في أيديهم من بني مقاعس، وما كان في أيديهم من أموالهم، وتبعهتم بنو منقرٍ بين قتلٍ وأسرٍ، فأسر الأهتم حمران بن عبد عمرو، وقصد قيس بن عاصم الحوفزان، ولم يكن له همة غيره، والحارث على فرسٍ له قارحٍ يدعى الزبد، وقيس على مهرٍ، فخاف قيس أن يسبقه الحارث، فحفزه بالرمح في استه، فتحفز به الفرس فنجا، فسمي الحوفزان. وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم، وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم.

وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنةٍ فمات. وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم:

جزى الله يربوعاً بأسوأ فعلها ... إذا ذكرت في النائبات أمورها

ويوم جدودٍ قد فضحتم ذماركم ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها

ستخطم سعدٌ والرباب أنوفكم ... كما حز في أنف القضيب جريرها

وقال سوار بن حيان المنقري:

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنةٍ ... سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وحمران قسراً أنزلته رماحنا ... فعالج غلاً في ذراعيه مقفلا

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضاً على اللهازم، فتبعه بنو كعب بن سعد بالبناح وثيتل، فتخوف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل، وقد كان يتناجون في ذلك، فقام ليلاً فشق مزادهم، لئلا يجدوا بداً من لقاء العدو، فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصبروا له، فأغار عليهم، فكان أشهر يوم يوم ثيتل لبني سعد، وظفر قيسٌ بما شاء، وملا يديه من أموالهم وغنائمهم. وفي ذلك يقول ابنه علي بن قيس بن عاصم:

أنا ابن الذي شق المزاد وقد رأى ... بثيتل أحياء اللهازم حضرا

فصبحهم بالجيش قيس بن عاصمٍ ... وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال: وأغار قيسٌ أيضاً ببني سعد على عبد القيس، وكان رئيس بني سعدٍ يومئذٍ سنان بن خالد، وذلك بأرض البحرين، فأصابوا ما أرادوا، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فعل بهم بالمشقر حين أغلق عليهم بابهم فامتنعوا، فقال في ذلك سوار بن حيان:

فيا لك من أيام صدقٍ أعدها ... كيوم جؤاثى والنباج وثيتلا

قال: وكان قيس بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكلاب الثاني، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة الحارثي حين أسره عصمة بن أبير التيمي ودفعه إلى الأهتم، فرفع قيسٌ قوسه فضرب فم الأهتم بها فهتم أسنانه، فيومئذ سمي الأهتم.

أخبرنا هشام بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن عدي قال: جمع قيس بن عاصمٍ ولده حين حضرته الوفاة قال: يا بني، إذا مت فسودوا كباركم، ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم. وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهةٌ للكريم، ويستغنى به عن اللئيم. وإذا مت فادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم. وإياكم والمسألة فإنها آخر مكاسب العبد، وإن امرأ لم يسأل إلا ترك مكسبه. وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحي من بكر بن وائل، فقد كان بيننا خماشاتٌ في الجاهلية. ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوترٍ، ثم قال: اكسروها فلم يستطيعوا، ثم قال: فرقوا. ففرقوا. فقال: اكسروها سهما سهما، فسكروها. فقال: هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة. ثم قال:

إنما المجد ما بنى والد الصد ... ق وأحيا فعاله المولود

وتمام الفضل الشجاعة والحل ... م إذا زانه عفافٌ وجود

وثلاثون يا بني إذا ما ... جمعتهم في النائبات العهود

كثلاثين من قداحٌ إذا ما ... شدها للزمان قدحٌ شديد

لم تكسر وإن تفرقت الأس ... هم أودى بجمعها التبديد

وذوو الحلم والأكابر أولى ... أن يرى منكم لهم تسويد

وعليكم حفظ الأصاغر حتى ... يبلغ الحنث الأصغر المجهود

ثم مات، فقال عبدة بن الطبيب يرثيه:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليته منك نعمةً ... إذا زار عن شحطٍ بلادك سلما

فما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ... ولكنه بنيان قومٍ تهدما

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله، فبكى هشامٌ حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فأنت والله كما قال عبدة بن الطبيب:

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال له الوليد: كذبت يا أحول يا مشئوم، لسنا كذلك، ولكنا كما قال الآخر:

إذا مقرمٌ منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلابي عن أبيه قال:

كان بين قيس بن عاصم وعبدة بن الطبيب لحاءٌ، فهجره قيس بن عاصم، ثم حمل عبدة دماً في قومه، فخرج يسأل فيما تحمله، فجمع إبلاً، ومر به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية، فقال: فيم يسأل عبدة؟ فأخبر، فساق إليه الدية كاملةً من ماله، وقال: قولوا له ليستمتع بما صار إليه، وليسق هذه إلى القوم. فقال عبدة: أما والله لولا أن يكون صلحي إياه بعقب هذا الفعل عاراً علي لصالحته، ولكني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأصالحه. ومضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيساً قد مات، فوقف على قبره وأنشأ يقول:

عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترحما

الأبيات.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحدثان وهشام بن الكلبي عن أشياخهما: أن قيس بن عاصم المنقري سكر من الخمر ليلةً قبل أن يسلم، فغمز عكنة ابنته - أو قال أخته - فهربت منه. فلما صحا منها، فقيل له: أو ما علمت ما صنعت البارحة؟ قال: لا. فأخبروه بصنعه، فحرم الخمر على نفسه، وقال في ذلك:

وجدت الخمر جامحةً وفيها خصالٌ تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي ولا أدعو لها أبداً نديما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي ولا أشفى بها أبداً سقيما
فإن الخمر تفضح شاربيها وتجشمهم بها أمراً عظيما
إذا دارت حمياها تعلت طوالع تسفه الرجل الحليما

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: قال الزبرقان: إن تاجراً ديافياً مر بحملٍ خمرٍ على قيس بن عاصم فنزل به، فقال قيس: اصبحني قدحاً، ففعل. ثم قال له: زدني، فقال له: أنا رجلٌ

تاجرٌ طالب ربح وخير، ولا أستطيع أن أسقيك بغير ثمن. فقام إليه قيس فربطه إلى دوحةٍ في داره حتى أصبح، فكلمته أخته في أمره، فلطمها وخمش وجهها - وزعموا أنه أرادها على نفسها - وجعل يقول:

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإله به كأن لحيته أذناب أجمال

فلما أصبح قال: من فعل هذا بضيفي؟ قالت له أخته: الذي صنع هذا بوجهي، أنت والله صنعته، وأخبرته بما فعل. فأعطى الله عهداً ألا يشرب الخمر أبداً. فهو أول عربي حرمها على نفسه في الجاهلية، وهو الذي يقول:

فوالله لا أحسو يد الدهر خمرةً ولا شربةً تزري بذي اللب والفخر

فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل بصاحبها حتى تكسع في الغدر

وصارت به الأمثال تضرب بعدما يكون عميد القوم في السر والجهر

ويبدرهم في كل أمرٍ ينوبهم ويعصمهم ما نابهم حادث الدهر

فيا شارب الصهباء دعها لأهلها ال غواة وسلم للحسيم من الأمر

فإنك لا تدري إذا ما شربتها وأكثرت منها ما تريش وما تبري

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المباركي قال أخبرني المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قال الأحنف بن قيس: ذكرت بلاغة النساء عند زيادٍ، فحدثته أن قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بني حنيفة، فأبى أهلها وأبوها أن يسلموا وخافوا إسلامها، فاجتمعوا إليها وأقسموا إنها إن أسلمت لم يكونوا معها في شيء ما بقيت. فطالبت قيساً بالفرقة، ففارقها، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ: أما والله لقد صحبتني سارة، ولقد فارقتني غير عارة، لا صحبتك مملولة، ولا أخلاقك مذمومة، ولولا ما اخترت ما فرق بيننا إلا الموت، ولكن أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحق أن يطاع. فقالت له: أنبئت بحسبك وفضلك، وأنت والله إن كنت للدائم المحبة، الكثير المودة، القليل اللائمة، المعجب الخلوة، البعيد النبوة. ولتعلمن أني لا أسكن بعدك إلى زوج. فقال قيس: ما فارقت نفسي شيئاً قط فتبعته كما تبعتها.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني أبو فراس قال: كان قيس بن عاصم يكنى أبا علي، وكان خاقان بن الأهتم إذا ذكره قال: بخ! من مثل أبي علي!

تطيف به كعب بن سعد كأنما يطيفون عماراً ببيتٍ محرم

وقال علان بن الحسن الشعوبي: بنو منقر قومٌ غدرٌ، يقال لهم الكودان، ويلقبون أيضاً أعراف البغال، وهم أسوأ خلق الله جواراً، يسمون الغدر كيسان، وفيهم بخلٌ شديد.

وأوصى قيس بن عاصم بنيه، فكان أكثر وصيته إياهم أن يحفظوا المال، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً.

وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب:

يا منقر بن عبيدٍ إن لؤمكم مذ عهد آدم في الديوان مكتوب

للضيف حقٌ على من كان ذا كرمٍ والضيف في منقرٍ عريان مسلوب

وقال النمر بن تولب يذكر الغدر كيسان في قصيدة هجاهم بها:

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد

قال: وهذا شائع في جميع بني سعد، إلا أنهم يتدافعونه إلى بني منقر، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سنان بني خالد بن منقر، وهو جد قيس بن عاصم.

وحكى ابن الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة قدمت عليه وفود العرب، فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عمه، فلما صارا عند النبي صلى الله عليه وسلم تسابا وتهاترا، فقال قيس لعمرو بن الأهتم: والله يا رسول الله ما هم منا، وإنهم لمن أهل الحيرة. فقال عمرو بن الأهتم: بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منا. ثم قال له:

ظللت مفترش الهلباء تشتمني عند الرسول فلم تصدق ولم تصب

الهلباء يعني استه، يعيره .بذلك، وبأن عانته وافية

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم والروم لا تملك البغضاء للعرب

سدنا فسوددنا عودٌ وسوددكم مؤخرٌ عند أصل العجب والذنب

قال: وإنما نسبه إلى الروم لأنه كان أحمر. فيقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه عن هذا القول في قيسٍ، وقال: إن إسمعيل بن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان أحمر. فأجابه قيس بن عاصم فقال:

ما في بني الأهتم من طائلٍ يرجى ولا خيرٍ له يصلحون

قل لبني الحيري مخصوصةً تظهر منهم بعض ما يكتمون

لولا دفاعي كنتم أعبداً مسكنها الحيرة فالسيلحون

جاءت بكم عفرة من أرضها حيريةً ليست كما تزعمون

في ظاهر الكف وفي بطنها وسمٌ من الداء الذي تكتمون

وذكر علان أن قيساً ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، وآمن بسجاح، وكان مؤذنها، وقال في ذلك:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

قال: ثم لما تزوجت سجاح بمسيلمة الكذاب الحنفي وآمنت به آمن به قيسٌ معها. فلما غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمة أخذ قيس بن عاصم أسيراً، فادعى عنده أن مسيلمة أخذ ابناً له، فجاء يطلبه. فأحلفه

خالد على ذلك، فحلف فخلى سبيله، ونجا منه بذلك.

قال: ومما يعيرون به أن عبادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد أسر قيس بن عاصمٍ وسبى أمه وأختيه يوم أبرق الكبريت، ثم من عليهم فأطلقهم بغير فداء، فلم يثبه قيسٌ و لم يشكره على فعله بقولٍ يبلغه. فقال عبادة في ذلك:

على أبرق الكبريت قيس بن عاصمٍ ... أسرت وأطراف القنا قصدٌ حمر

متى يعلق السعدي منك بذمةٍ ... تجده إذا يلقى وشيمته الغدر

قال: وكان قيس بن عاصم يسمى في الجاهلية الكودن.

وكان زيد الخيل الطائي خرج عن قومه وجاور بني منقرٍ، فأغارت عليهم بنو عجلٍ وزيدٌ فيهم، فأعانهم وقاتل بني عجل قتالاً شديداً، وأبلى بلاءً حسناً، حتى انهزمت عجل، فكفر قيس فعله وقال: ما هزمهم غيري. فقال زيد الخيل يعيره ويكذبه في قصيدة طويلة:

ولست بوقافٍ إذا الخيل أجحمت ... ولست بكذابٍ كقيس بن عاصم

ومما روى قيس بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم: حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان الثوري عن الأغر المنقري عن خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جده أنه أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء وسدرٍ.

وحدثنا حامد قال حدثنا أبو خثيمة قال حدثنا جريرٌ عن المغيرة عن أبيه شعبة عن التوءم قال:

سأل قيس بن عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف: فقال: "لا حلف في الإسلام، ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية" أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا ابن عائشة قال: حدثني رجلٌ من الرباب قال: ذكر رجلٌ قيس بن عاصم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لقد هممت أن آتيه فأفعل به وأصنع به، كأنه توعده. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "إذاً تحول سعدٌ دونه بكراكرها".

قال: ولما مات قيسٌ رثاه مرداس بن عبدة بن منبه فقال:

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ... ولكنه بنيان قومٍ تهدما

خذ من العيش ما كفى ... ومن الدهر ما صفا

حسن الغدر في الأنا ... م كما استقبح الوفا

صل أخا الوصل إنه ... ليس بالهجر من خفا

عين من لا يريد وص ... لك تبدي لك الجفا

الشعر لمحمد بن حازم الباهلي، والغناء لابن القصار الطنبوري، رملٌ بالبنصر. أخبرني بذلك جحظة.

أخبار محمد بن حازم ونسبه

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة. أخبرني بذلك ابن عمار أبو العباس عن محمد بن داود بن الجراح عن حسن بن فهم.

وهو من شعراء الدولة العباسية، شاعر مطبوع، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس، فاطرح، و لم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، ولا اتصل بواحد منهم، فيكون له نباهة طبقته. وكان ساقط الهمة، متقللاً جداً، يرضيه اليسير، ولا يتصدى لمدح ولا طلب.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال: سمعت محمد بن حازم الباهلي في مترلنا يقول: بعث إلي فلانٌ الطاهري - وكنت قد هجوته فأفرطت - بألف دينارٍ وثياب، وقال: أما ما قد مضى فلا سبيل إلى رده، ولكن أحب ألا تزيد عليه شيئاً. فبعثت إليه بالألف الدينار والثياب، وكتبت:

لا ألبس النعماء من رجلٍ ... ألبسته عاراً على الدهر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو علي - وسقط اسمه من كتابي - قال قرأت في كتاب عمي: قال لي محمد بن حازم الباهلي: مر بي أحمد بن سعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلم علي سلاماً أرضاه، فكتبت رقعةً وأتبعته بها، وهي:

وباهليٍّ من بني وائلٍ ... أفاد مالاً بعد إفلاس

قطب في وجهي خوف القرى ... تقطيب ضرغامٍ لدى الباس

وأظهر التيه فتايهته ... تيه امرىءٍ لم يشق بالناس

أعرته إعراض مستكبرٍ ... في موكب مر بكناس

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو علي قال: لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلت له: يا أبا جعفر، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليوم وهو أبو إسحاق بن سعد، وكان يكتب للنوشجاني فأنشدني:

راجع بالعتبى فأعتبته ... وربما أعتبك المذنب

وإن في الدهر على صرفه ... بين الصديقين لمستعتب

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري وابن الوشاء جميعاً قالا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال: قال ابن الأعرابي: أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزمان في مديح الشباب وذم الشيب:

لا حين صبرٍ فخل الدمع ينهمل ... فقد الشباب بيوم المرء متصل

سقياً ورعياً لأيام الشباب وإن ... لم يبق منه له رسمٌ ولا طلل

جر الزمان ذيولاً في مفارقه ... وللزمان على إحسانه علل

وربما جر أذيال الصبا مرحاً ... وبين برديه غصنٌ ناعمٌ خضل
يصبي الغواني ويزهاه بشرته ... شرخ الشباب وثوبٌ حالكٌ رجل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها ... من الشباب بيومٍ واحدٍ بدل
كفاك بالشيب عيباً عند غانيةٍ ... وبالشباب شفيعاً أيها الرجل
بان الشباب وولى عنك باطله ... فليس يحسن منك اللهو والغزل
أما الغواني فقد أعرضن عنك قلًى ... وكان إعراضهن الدل والخجل
أعرنك الهجر ما لاحت مطوقةٌ ... فلا وصالٌ ولا عهدٌ ولا رسل

ليت المنايا أصابتني بأسهمها ... فكن يبكين عهدي قبل أكتهل
عهد الشباب لقد أبقيت لي حزناً ... ماجد ذكرك إلا جد لي ثكل
إن الشباب إذا ما حل رائده ... في منهلٍ راد يقفو إثره أجل

قال ابن الوشاء خاصةً: وما أساء ولا قصر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى:

أبكى الشباب لندمانٍ وغانيةٍ ... وللمغاني وللأطلال والكثب
وللصريح وللآجام في غلسٍ ... وللقنا السمر والهندية القضب
وللخيال الذي قد كان يطرقني ... وللندامى وللذات والطرب
يا صاحباً لم يدع فقدي له جلداً ... أضعت بعدك إن الدهر ذو عقب
وقد أكون وشعبانا معاً رجلاً ... يوم الكريهة فراجاً عن الكرب

أخبرني ابن عمار عن العتري قال: كان محمد بن حازم الباهلي مدح بعض بني حميد فلم يثبه وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشيء بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاءً كثيراً شنيعاً، منه قوله:

عدواك المكارم والكرام ... وخلك دون خلتك اللئام
ونفسك نفس كلبٍ عند زورٍ ... وعقبى زائر الكلب التدام
تهر على الجليس بلا احترامٍ ... لتحشمه إذا حضر الطعام
إذا ما كانت الهمم المعالي ... فهمك ما يكون به الملام
قبحت ولا سقاك الله غيثاً ... وجانبك التحية والسلام

قال: فبعثت إليه ابن حميد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكف، فلم يفعل، ورد المال عليه، وقال فيه:

موضع أسرارك المريب وحشو أثوابك العيوب
وتمنع الضيف فضل زادٍ ورحلك الواسع الخصيب
يا جامعاً مانعاً بخيلاً ليس له في العلا نصيب
أبالرشا يستمال مثلي؟ كلا ومن عنده الغيوب
لا أرتدي حلةً لمثنٍ بوجهه من يدي ندوب
وبين جنبيه لي كلومٌ داميةٌ ما لها طبيب
ما كنت في موضع الهدايا منك ولا شعبنا قريب
أني وقد نشت المكاوي عن سمةٍ شأنها عجيب
وسار بالذم فيك شعري وقيل لي محسنٌ مصيب
مالك مال اليتيم عندي ولا أرى أكله يطيب
حسبك من موجزٍ بليغ يبلغ ما يبلغ الخطيب

حدثني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني علي بن الحسين الشيباني قال: بعث الحسن بن سهلٍ محمد بن حميد في وجهةٍ، وأمره بجباية مالٍ، وبحرب قوم من الشراة، فخان في المال وهرب من الحرب، فقال فيه محمد بن حازم الباهلي:

تشبه بالأسد الثعلب فغادره معنقاً يجنب
وحاول ما ليس في طبعه فأسلمه الناب والمخلب
فلم تغن عنه أباطيله وحاص فأحرزه المهرب
وكان مضيًّا على غدره فعيب والغادر الأخيب
أيا بن حميدٍ كفرت النعي م جهلاً ووسوسك المذهب
ومنتك نفسك ما لا يكون وبعض المنى خلبٌ يكذب
وما زلت تسعى على منعمٍ ببغيٍ وتنهى فلا تعتب
فأصبحت بالبغي مستبدلاً رشاداً وقد فات مستعتب

قال: وقال فيه لما شخص إلى حيث وجهه الحسن بن سهلٍ:

إذا استقلت بك الركاب فحيث لا درت السحاب
زالت سراعاً وزلت يجري ببينك الظبي والغراب

بحيث لا يرتجى إيابٌ وحيث لا يبلغ الكتاب
فقبل معروفك امتنانٌ ودون معروفك العذاب
وخير أخلاقك اللواتي تعاف أمثالها الكلاب

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني أبي قال: قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم الباهلي: ما نعيب شعرك إلا أنك لا تطيل، فأنشأ يقول:

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي إلى المعنى وعلمي بالصواب
وإيجازي بمختصرٍ قريبٍ حدفت به الفضول من الجواب
فأبعثهن أربعةً وخمساً مثقفةً بألفاظٍ عذاب

خوالد ما حدا ليلٌ نهاراً وما حسن الصبا بأخي الشباب
وهن إذا وسمت بهن قوماً كأطواق الحمائم في الرقاب
وهن إذا أقمت مسافراتٌ تهادتها الرواة مع الركاب

حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: كان بالأهواز رجلٌ يعرف بأبي ذؤيب من التتار، وكان مقصد الشعراء وأهل الأدب، فقصده محمد بن حازم، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بذة، وهيئة رثة، و لم يعرفه نفسه، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر، وأبو ذؤيب يتكلم متحققاً بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم - وقد دخل عليه يوماً - عن بيتٍ من شعر الطرماح جهله، فرد عليه جواباً محالاً كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مغضباً. فلما خرج قيل له: ماذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشر؟ أتدري لمن تعرضت؟ قال: ومن ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهلي، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافياً حتى لحقه، فحلف له أنه لم يعرفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنه لا يقبل له رفداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً، وكتب إليه بعد أن افترقا:

أخطا ورد علي غير جوابي وزرى علي وقال غير صواب
وسكنت من عجبٍ لذاك فزادني فيما كرهت بظنه المرتاب
وقضى علي بظاهرٍ من كسرةٍ لم يدر ما اشتملت عليه ثيابي
من عفةٍ وتكرمٍ وتحملٍ وتجلدٍ لمصيبةٍ وعقاب
وإذا الزمان جنى علي وجدتني عوداً لبعض صفائح الأقتاب
ولئن سألت ليخبرنك عالمٌ أني بحيث أحب من آداب

وإذا نبا بي منزلٌ خليته ... قفراً مجال ثعالبٍ وذئاب

وأكون مشترك الغنى متبدلاً ... فإذا افترقت قعدت عن أصحابي

لكنه رجعت عليه ندامةٌ ... لما نسبت وخاف مض عتابي

فأقلته لما أقر بذنبه ... ليس الكريم على الكريم بناب

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا النوفلي قال: كان سعد بن مسعود القطربلي: أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمد بن حازم الباهلي، فسأله حاجةً فرده عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم وترضاه، فردها وكتب إليه:

متسع الصدر مطيقٌ لما ... يحار فيه الحول القلب

راجع بالعتبى فأعتبته ... وربما أعتبك المذنب

أجل وفي الدهر على أنه ... موكل بالبين مستعتب

سقياً ورعياً لزمانٍ مضى ... عني وسهم الشامت الأخيب

قد جاءني منك مويلٌ فلم ... أعرض له والحر لا يكذب

أخذي مالاً منك بعد الذي ... أودعتنيه مركبٌ يصعب

أبيت أن أشرب عند الرضا ... والسخط إلا مشرباً يعذب

أعزني اليأس وأغنى فما ... أرجو سوى الله ولا أهرب

قارون عندي في الغنى معدمٌ ... وهمتي ما فوقها مذهب

فأي هاتين تراني بها ... أصبو إلى مالك أو أرغب؟

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعيسى بن الحسين الوراق، واللفظ له، قالا:حدثنا الخليل بن أسدٍ النوشجاني، قال، حدثنا حماد بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن يحيى قال: آخر ما فارقت عليه محمد بن حازم أنه قال: لم يبق شيءٌ من اللذات إلا بيع السنانير. فقلت له: سخنت عينك! أيش لك في بيع السنانير من اللذات؟ قال: يعجبني أن تجيئني العجوز الرعناء، تخاصمني وتقول: هذا سنوري سرق مني، وأخاصمها وأشتمها وتشتمني، وأغيظها وأباغضها، ثم أنشدني:

صل خمرةً بخمارٍ ... وصل خماراً بخمر

وخذ بحظك منها ... زاداً إلى حيث تدري

قال: قلت: إلى أين ويحك؟ قال: إلى النار يا أحمق.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني الحسن بن ابي السري قال: كان إسحاق بن أحمد بن أبي نهيك آنساً بمحمد بن حازم الباهلي يدعوه ويعاشره مدة. فكتب إليه يستزيره ويعاتبه عتاباً أغضبه، وبلغه أنه غضب، فكتب إليه:

ما مستزيرك في ودٍّ رأى خللاً ... في موضع الأنس أهلاً منك للغضب

قد كنت توجب لي حقًّا وتعرف لي ... قدري وتحفظ مني حرمة الأدب

ثم انحرفت إلى الأخرى فأحشمني ... ما كان منك بلا جرمٍ ولا سبب

وإن أدنى الذي عندي مسامحةٌ ... في حاجتي بعد أن أعذرت في الطلب

فاختر فعندي من ثنتين واحدةٌ ... عذرٌ جميلٌ وشكرٌ ليس باللعب

فإن تجدد كما قد كنت تفعل ... .

حدثني محمد بن يونس الأنباري المعروف بمحصنة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: قال محمد بن حازم الباهلي: عرضت لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سهلٍ، فأتيته، وقد كنت قلت في السفينة شعراً، فلما دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبت له، فعرفني، فقال: ما قلت فيه شيئاً؟ فقال له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً وهو في السفينة، فسألني أن أنشده، فأنشدته قولي:

وقالوا لو مدحت فتًى كريماً ... فقلت وكيف لي بفتًى كريمٍ؟

بلوت الناس مذ خمسين عاماً ... وحسبك بالمجرب من عليم

فما أحدٌ يعد ليوم خيرٍ ... ولا أحدٌ يعود ولا حميم

ويعجبني الفتى وأظن خيراً ... فأكشف منه عن رجل لئيم

تقيل بعضهم بعضاً فأضحوا ... بني أبوين قداً من أديم

فطاف الناس بالحسن بن سهلٍ ... طوافهم بزمزم والحطيم

وقالوا سيدٌ يعطي جزيلا ... ويكشف كربة الرجل الكظيم

فقلت مضى بذم القوم شعري ... وقد يؤتى البريء من السقيم

وما خبرٌ ترجمه ظنوني ... بأشفى من معاينة الحليم

فجئت وللأمور مبشراتٌ ... ولن يخفى الأغر من البهيم

فإن يك ما تنشر عنه حقًّا رجعت بأهبة الرجل المقيم
وإن يك غير ذاك حمدت ربي وزال الشك عن رجلٍ حكيم
وما الآمال تعطفني عليه ولكن الكريم أخو الكريم

قال: فلما أنشدته هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير! والله لو كان نظيرك لما جاز أن تخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعد، ولكنني سأمدحه مدحاً يشبه مثله. قال: فافعل، وأنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جودة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح، فأدخلت إليه. فأمرني أن أنشد هذا الشعر، فاستعفيته فلم يعفني، وقال: قد قنعنا منك بهذا القدر إذا لم تدخلنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إياه، فضحك وقال: ويحك! ما لك والناس تعمهم بالهجاء؟ حسبك الآن من هذا النمط وأبق عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قبلت، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديت إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبت القوم للحسن بن سهل فعوضني الجزيل من الثواب
وقال دع الهجاء وقل جميلاً فإن القصد أقرب للثواب
فقلت له: برئت إليك منهم فليتهم بمنقطع التراب
ولولا نعمة الحسنِ بن سهلٍ علي لسمتهم سوء العذاب
بشعرٍ يعجب الشعراء منه يشبه بالهجاء وبالعتاب
أكيدهم مكايدة الأعادي وأختلهم مخاتلة الذئاب
بلوت خيارهم فبلوت قوماً كهولهم أخس من الشباب
وما مسخوا كلاباً غير أني رأيت القوم أشباه الكلاب

قال: فضحك وقال: ويحك! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد. فقلت: هذه بغيةٌ طفحت على قلبي، وأنا كافٌ عنهم ما أبقى الله الأمير.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: كان لمحمد بن حازمٍ الباهلي صديقٌ على طول الأيام، فنال مرتبةً من السلطان وعلا قدره، فجفا محمداً وتغير له، فقال في ذلك محمد بن حازم:

وصل الملوك إلى التعالي ووفا الملوك من المحال
مالي رأيتك لا تدو م على المودة للرجال
إن كان ذا أدبٍ وظر فٍ قلت ذاك أخو ضلال

أو كان ذا نسكٍ ودي ... نٍ قلت ذاك من الثقال

أو كان في وسطٍ من ال ... أمرين قلت يريغ مالي

فبمثل ذا تكلتك أمك ... تبتغي رتب المعالي؟

حدثني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن علي الشيباني قال: كان محمد بن حازم الباهلي قد نسك وترك شرب النبيذ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهدي، فحادثه وناشده وأكل معه لما حضر الطعام، ثم جلسوا للشراب، فسأله إبراهيم أن يشرب، فأبى وأنشأ يقول:

أبعد خمسين أصبو؟ ... والشيب للجهل حرب

سنٌّ وشيبٌ وجهلٌ! ... أمرٌ لعمرك صعب

يا بن الإمام فهلا ... أيام عودي رطب!

وشيب رأسي قليلٌ ... ومنهل الحب عذب

وإذ سهامي صيابٌ ... ونصل سيفي عضب

وإذ شفاء الغواني ... مني حديثٌ وقرب

فالآن لما رأى بي ال ... عذال لي ما أحبوا

وأقصر الجهل مني ... وساعد الشيب لبٌّ

وآنس الرشد مني ... قومٌ أعاب وأصبو

آليت أشرب كأساً ... ما حج لله ركب

حدثني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال: وعد النوشجاني محمد بن حازمٍ شيئاً سأله إياه ثم مطله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك، واقتضاه، فأقام على مطله، فكتب إليه:

أبا بشرٍ تطاول بي العتاب ... وطال بي التردد والطلاب

ولم أترك من الأعذار شيئاً ... ألام به وإن كثر الخطاب

سألتك حاجةً فطويت كشحاً ... على رغمٍ وللدهر انقلاب

وسمتني الدنية مستخفًّا ... كما خزمت بآنفها الصعاب

كأنك كنت تطلبني بثأرٍ ... وفي هذا لك العجب العجاب

فإن تك حاجتي غلبت وأعيت ... فمعذورٌ وقد وجب الثواب

وإن يك وقتها شيب الغراب فلا قضيت ولا شاب الغراب

رجوتك حين قيل لي ابن كسرى وإنك سر ملكهم اللباب

فقد عجلت لي من ذاك وعداً وأقرب من تناوله السحاب

وكلٌّ سوف ينشر غير شكٍّ ويحلمه لطيته الكتاب

أخبرني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال: قصد محمد بن حازمٍ بعض ولد سعيد بن سالمٍ وقد ولي عملاً، واسترفده، فأطال مدته ولم يعطه شيئاً، وانصرف عنه وقال:

أللدنيا أعدك يا بن عمي فأعلم أم أعدك للحساب

إلى كم لا أراك تنيل حتى أهزك قد برئت من العتاب

وما تنفك من جمعٍ ووضعٍ كأنك لست توقن بالإياب

فشرك عن صديقك غير ناءٍ وخيرك عند منقطع التراب

أتيتك زائراً فأتيت كلباً فحظي من إخائك للكلاب

فبئس أخو العشيرة ما علمنا وأخبث صاحبٍ لأخي اغتراب

أيرحل عنك ضيفك غير راضٍ ورحلك واسعٌ خصب الجناب

فقد أصبحت من كرمٍ بعيداً ومن ضد المكارم في اللباب

وما بي حاجةٌ لجداك لكن أردك عن قبيحك للصواب

حدثني عمي قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: كنا عند المتوكل يوماً وقد غاضبته قبيحةٌ، فخرج إلينا فقال: من ينشدني منكم شعراً في معنى غضب قبيحةٍ علي، وحاجتي أن أخضع لها حتى ترضى؟ فقلت له: لقد أحسن محمد بن حازمٍ الباهلي يا أمير المؤمنين حيث يقول:

صفحت برغمي عنك صفح ضرورةٍ إليك وفي قلبي ندوبٌ من العتب

خضعت وما ذنبي إن الحب عزني فأغضب صفحاً عن معالجة الحب

وما زال بي فقرٌ إليك منازعٌ يذلل مني كل ممتنع صعب

إلى الله أشكو أن ودي محصلٌ وقلبي جميعاً عند مقتسم القلب

والغناء لعبيدة الطنبورية رملٌ بالوسطى قال: أحسنت وحياتي يا يزيد! وأمر بأن يغنى فيه، وأمر لي بألف دينار.

حدثني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثنا علي بن خالد البرمكي قال:

سافر محمد بن حازم الباهلي سفراً، فمر بقومٍ من بني نميرٍ، فسلوا منه بعيراً له عليه ثقله، فقال يهجوهم:

نمير :أجبناً حيث يختلف القنا ولؤماً وبخلاً عند زادٍ ومزود

ومنع قرى الأضياف من غير علةٍ ولا عدمٍ إلا حذار التعود

وبغياً على الجار الغريب إذا طرا عليكم وختل الراكب المتفرد

على أنكم ترضون بالذل صاحباً وتعطون من لا حاكم الضيم عن يد

أما

فبعث محمد بن حامدٍ إلى عامله فصرفه عن الناحية، وقال له: عرضتني لما أكره، واحتمل خراج محمد بن حازم.

أخبرني محمد بن الحسين بن الكندي المؤدب قال: حدثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: قال هذا الباهلي محمد بن حازمٍ في وصف الشيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهلي: تعني قوله:

كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ ... وبالشباب شفيعاً أيها الرجل

فقال: إياه عنيت. فقال له الباهلي: ما سمعت لأحدٍ من المحدثين أحسن منه.

حدثني عمي قال: حدثنا حسين بن فهم قال: حدثني أبي قال: دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير، فدعاه إلى أن يشرب معه، فامتنع وقال:

أبعد خمسين أصبو ... والشيب للجهل حرب

سنٌّ وشيبٌ وجهلٌ ... أمرٌ لعمرك صعب

يا بن الإمام فهلا ... أيام عودي رطب

وشيب رأسي قليلٌ ... ومنهل الحب عذب

وإذ شفاء الغواني ... مني حديثٌ وشرب

الآن حين رأى بي ... عواذلي ما أحبوا

آليت أشرب كأساً ... ما حج لله ركب

قال: فأعطاه محمد بن زبيدة ووصله.

أخبار ابن القصار ونسبه

اسمه فيما أخبرني به أبوالفضل بن برد الخيار، سليمان بن علي: وذكره جحظة في كتاب الطنبوريين، فتله في نفسه وأخلاقه ومدح صنعته، وقال: مما أحسن فيه قوله:

أرقت لبرقٍ لاح في فحمة الدجى ... فأذكرني الأحباب والمنزل الرحبا

قال: وهذا خفيف رمل مطلق. ومما أحسن فيه أيضاً:

تعالي نجدد عهد الصبا ... ونصفح للحب عما مضى

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً:

وذكر أنه كان مع أبيه قصاراً، وتعلم الغناء فبرع فيه. ومن طيب ما ثلبه به جحظة وتنادر عليه به - وأراها مصنوعةً - أنه مر يوماً على أبيه، ومعه غلاماً يحمل قاطرميز نبيذ، وجوامرجة مذبوحة مسموطة، فقال: الحمد لله الذي أراني ابني قبل موتي يأكل لحم الجواميرات، ويشرب نبيذ القاطرميزات.

وحدث عن بعض جيرانه أن ابن القصار غنى له يوماً بحبلٍ ودلوٍ، وأن إسماعيل بن المتوكل وهب له مائتي أترجة كانت بين يديه، فباعها بثلاثة دنانير، وأنه يحمل بلبكيذة إلى دار السلطان، وله فيه خبزٌ وجبنٌ فيأكله ويحمل في البلبكيذ ما يوضع بين يديه في دار السلطان، فيدعو إخوانه عليه. وأكثر من ثلب الرجل مما لا فائدة فيه. ولو أراد قائل أن يقول فيه ما لا يبعد من هذه الأخلاق لوجد مقالاً واسعاً، ولكنه مما يقبح ذكره، سيما وقد لقيناه وعاشرناه. عفا الله عنا وعنه.

أخبرنا ذكاء وجه الرزة قال: كنا نجتمع مع جماعةٍ في الطنبوريين، ونشاهدهم في دور الملوك وبحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضل من المسرور وعمر الميداني وابن القصار.

وحدثني قمرية البكتمرية قالت: كنت لرجلٍ من الكتاب يعرف بالبلوري، وكان شيخاً، وكانت ستي التي ربتني مولاته، وكانت مغنيةً شجية الصوت حسنة الغناء، وكانت تعشق ابن القصار، وكانت علامة مصيره إليها أن يجتاز في دجلة وهو يغني، فإن قدرت على لقائه أوصلته إليها، وإلا مضى. فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مقمرةٍ وهو يغني خفيف رملٍ قال:

أنا في يمنى يديها ... وهي في يسرى يديه

إن هذا لقضاءٌ ... فيه جورٌ يا أخيه

ويغني في آخره رده:

ويل ويلي يا أبيه

وكانت ستي واقفةً بين يدي مولاها، فما ملكت نفسها أن صاحت: أحسنت والله يا رجل! فتفضل وأعد، ففعل وشرب رطلاً وانصرف، وعلم أنه لا يقدر على الوصول إليها. وكان مولاها يعرف الخبر، فتغافل عنها لموضعها من قلبه، فلا أذكر أني سمعت قط أحسن من غنائه

باح بالوجد قلبك المستهام ... وجرت في عظامك الأسقام

يوم لا يملك البكاء أخو الشو ... ق فيشفى ولا يرد سلام

لم يقع إلي قائل هذا الشعر. والغناء لمعبد اليقطيني ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكي.

أخبار معبد

كان معبدٌ اليقطيني غلاماً مولداً خلاسياً من مولدي المدينة، اشتراه بعض ولد علي بن يقطين. وقد شدا بالمدينة، وأخذ الغناء عن جماعةٍ من أهلها، وعن جماعة أخرى من علية المغنين بالعراق في ذلك الوقت، مثل إسحاق وابن جامع وطبقتهما، ولم يكن فيما ذكر بطيب المسموع، ولا خدم أحداً من الخلفاء إلا الرشيد، ومات في أيامه، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: حدثني معبدٌ الصغير المغني مولى علي بن يقطين قال: كنت منقطعاً إلى البرامكة، آخذ منهم وألازمهم. فبينا أنا ذات يومٍ في منزلي إذا بابي يدق، فخرج غلامي ثم رجع إلي فقال: على الباب فتًى ظاهر المروءة يستأذن عليك، فأذنت له. فدخل علي شاب ما رأيت أحسن وجهاً منه، ولا أنظف ثوباً، ولا أجمل زياً منه، من رجلٍ دنفٍ عليه آثار السقم ظاهرة، فقال لي: إني أرجو لقاك منذ مدةٍ فلا أجد إليه سبيلاً، وإن لي حاجة. قلت: ما هي؟ فأخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي، ثم قال: أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنيني به. فقلت: هاتهما، فأنشدهما، وقال:

والله يا طرفي الجاني على بدني ... لتظفئن بدمعي لوعة الحزن

أو لأبوحن حتى يحجبوا سكني ... فلا أراه ولو أدرجت في كفني

والغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أول مطلقٌ في مجرى الوسطى قال: فصنعت فيهما لحناً ثم غنيته إياه، فأغمي عليه حتى أكظنته قد مات. ثم أفاق فقال: أعد فديتك! فناشدته الله في نفسه وقلت: أخشى أن تموت. فقال: هيهات! أنا أشقى من ذاك. وما زال يخضع لي ويتضرع لي حتى أعدته، فصعق صعقةً أشد من الأولى، حتى ظننت أن نفسه قد فاظت. فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه، وقلت: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني، فقد قضيت حاجتك، وبلغت وطراً مما أردته، ولست أحب أن أشرك في دمك. فقال: يا هذا ! لا حاجة لي في الدنانير. فقلت: لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: وما هن؟ قلت: أولها أن تقيم عندي وتتحرم بطعامي، والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشد قلبك وتسكن ما بك، والثالثة أن تحدثني بقصتك. فقال: أفعل ما تريد. فأخذت الدنانير، ودعوت بطعامٍ فأصاب منه إصابة معذر، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً، وغنيته بشعرٍ غيره في معناه، وهو يشرب ويبكي. ثم قال: الشرط أعزك الله، فغنيته، فجعل يبكي أحر بكاء وينشج أشد نشيج، وينتحب. فلما رأيت ما به قد خف عما كان يلحقه، ورأيت النبيذ قد شد من قلبه، كررت عليه صوته مراراً، ثم قلت: حدثني حديثك. فقال: أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجت متنزهاً في ظاهرها وقد سال العقيق، في فتية من أقراني وأخداني، فبصرنا بقيناتٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له، فجلسن حجرةً منا، وبصرت فيهن بفتاةٍ كأنها قضيبٌ قد طله الندى، تنظر بعينين ما ارتد طرفهما إلا بنفس من يلاحظهما. فأطلنا وأطلن، حتى تفرق الناس، وانصرفن وانصرفنا، وقد أبقت بقبي جرحاً بطيئاً اندماله. فعدت إلى منزلي وأنا وقيذٌ. وخرجت من الغد إلى العقيق، وليس به أحدٌ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً. ثم جعلت أتتبعها في طرق المدينة وأسواقها، فكأن الأرض أضمرتها، فلم أحس لها بعين ولا أثر، وسقمت حتى أيس مني أهلي. ودخلت ظئري فاستعلمتني حالي، وضمنت لي حالها والسعي فيما أحبه منها، فأخبرتها بقصتي، فقالت: لا بأس عليك! هذه أيام الربيع، وهي سنة خصبٍ وأنواء، وليس يبعد عنك المطر، وهذا العقيق، فتخرج حينئذٍ

وأخرج معك، فإن النسوة سيجئن. فإذا فعلن ورأيتها تبعتها حتى أعرف موضعها، ثم أصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها. فكأن نفسي اطمأنت إلى ذلك، ووثقت به وسكنت إليه، فقويت وطمعت وتراجعت نفسي، وجاء مطر بعقب ذلك، فأسال الوادي، وخرج الناس وخرجت مع أخواني إليه، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه، فما كنا والنسوة إلا كفرسي رهانٍ. وأومأت إلى ظئري فجلست حجرةً منَّا ومنهن، وأقبلت على إخواني فقلت: لقد أحسن القائل حيث قال:

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت وقد غادرت جرحاً به وندوبا

فأقبلت على صواحباتها فقالت: أحسن والله القائل، وأحسن من أجابه حيث يقول:

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريبا

فأمسكت عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها، وعرفت ما أرادت. ثم تفرق الناس وانصرفنا، وتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها، وصارت إلي فأخذت بيدي ومضينا إليها. فلم تزل تتلطف حتى وصلت إليها. فتلاقينا وتداورنا على حال مخالسةٍ ومراقبة. وشاع حديثي وحديثها، وظهر ما بيني وبينها، فحجبها أهلها، وتشدد عليها أبوها. فما زلت أجتهد في لقائها فلا أقدر عليه. وشكوت إلى أبي - لشدة ما نالني - حالي، وسألته خطبتها لي. فمضى أبي ومشيخة أهلي إلى أبيها فخطبوها. فقال: لو كان بدأ بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسعفته بما التمس، ولكنه قد فضحها، فلم أكن لأحقق قول الناس فيها بتزويجه إياها، فانصرفت على يأسٍ منها ومن نفسي. قال معبد: فسألته أن يترل، مخبرني وصارت بيننا عشرةٌ. ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب فأتيته، فكان أول صوتٍ غنيته صوتي في شعر الفتى، فطرب عليه طرباً شديداً، وقال: ويحك! إن لهذا الصوت حديثاً، فما هو؟ فحدثته، فأمر بإحضار الفتى، فأحضر من وقته، واستعاده الحديث، فأعاده عليه. فقال: هي في ذمتي حتى أزوجك إياها، فطابت نفسه، وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح. وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدثه الحديث، فعجب منه، وأمر بإحضارها جميعاً، فأحضرنا، وأمر بأن أغنيه الصوت فغنيته، وشرب عليه، وسمع حديث الفتى، فأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلا مسافة الطريق حتى أحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصل، وخطب إليه الجارية للفتى، وأقسم عليه ألا يخالف أمره، فأجابه وزوجه إياها، وحمل إليه الرشيد ألف دينار لجهازها، وألف دينارٍ لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألف دينارٍ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألف دينار. وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى.

هل نفسك المستهامة السدمة سالبةٌ مرةً ومعتزمه

عن ذكر خودٍ قضى لها الملك ال خالق ألا تكنها ظلمه

الشعر لابن أبي الزوائد، والغناء لحكم رملٌ بالوسطى عن الهشامي.

أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

اسمه سليمان بن يحيى بن زيد بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف بن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور. ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً. شاعرٌ مقلٌ، من مخضرمي الدولتين، وكان يؤم الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني بذلك محمد بن خلف وكيعٌ قال: حدثنا ابن أبي خيثمة عن بعض رجاله عن الأصمعي، وأخبرني وكيعٌ قال: حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال: كان ابن أبي الزوائد يتعشق جاريةً سوداء مولاة الصهيبيين، وكان يختلف إليها وهي في النخل بحاجزة. فلما حان الجداد قال:

حجيج أمسى جداد حاجزةٍ ... فليت أن الجداد لم يحن

وشت بينٌ وكنت لي سكناً ... فيما مضى كان ليس بالسكن

قد كان لي منك ما أسر به ... وليت ما كان منك لم يكن

نعف في لهونا ويجمعنا ال ... مجلس بين العريش والجرن

يعجبنا اللهو والحديث ولا ... نخلط في لهونا هناً بهن

لو قد رحلت الحمار منكشفاً ... لم أرها بعدها ولم ترني

فقال له أبو محمد الجمحي: إن الشعراء يذكرون في شعرهم أنهم رحلوا الإبل والنجائب، وأنت تذكر أنك رحلت حماراً. فقال: ما قلت إلا حقاً، والله ما كان لي شيء أرحله غيره. قال: وقال فيها أيضاً:

يا ليت أن العرب استلحقوا ... ريم الصهيبيين ذاك الأجم

وكان منهم فتزوجته ... أو كنت من بعض رجال العجم

أخبرني وكيع قال: حدثني طلحة بن عبد الله بن الزبير بن بكار عن عمه قال: كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد. ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عبيدة عنه، فهجره من أجله، فهجاه، فقال:

قطع الصفاء ولم أكن ... أهلاً لذاك أبو عبيده

لا تحسبنك عاقلاً ... فلأنت أحمق من حميده

حميدة: امرأة كانت بالمدينة رعناء يضرب بها المثل في الحمق.

حدثني عمي ووكيع قالا: حدثنا الكراني عن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

دخل ابن أبي الزوائد إلى حماد بن عمران الطليحي، وكان يلقب بعطعط، وكان له قيانٌ يسمعهن الناس عنده، فرآهن ابن الزوائد فقال فيهن:

أقول وقد صفت البظر لي: ... أللبظر أدخلني عطعط؟

فإني امرؤٌ لا أحب الزنا ... ولا يستفزني البربط

ولو بعضهن ابتغى صبوتي ... لخالط هامتها المخبط

لبئس فعال امرىءٍ قد قرا ... وهمت عوارضه تشمط

وما كنت مفترشاً جارتي ... وسيدها نائمٌ يضرط

أأفرغ في جارتي نطفةً ... حراماً كما يفرغ المسعط

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني أبو هفان قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: حدثني المسيبي: أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصارية، فطال لبثها عنده حتى ملها وأبغضها، فقال يهجوها:

يا رمل أنت الغول بين رمال ... لم تظفري ببقًى ولا بجمال

يا رمل لو حدثت أنك سلفعٌ ... شوهاء كالسعلاة بين سعالي

ما جاء يطلبك الرسول بخطبةٍ ... مني ولا ضمت عليك حبالي

ولقد نهى عنك النصيح وقال لي ... لا تقرنن بذيةً بعيال

لما هززت مهندي وقذفته ... فيها وقد أرهفته بصقال

رجع المهند ما له من حيلةٍ ... وهناك تصعب حيلة المحتال

وكأنما أولجته في قلةٍ ... قد بردت للصوم أو بوقال

ورأيت وجهاً كاسفاً متغيراً ... وحراً أشق كمركن الغسال

ما كان أير الفيل بالغ قعره ... بتحاملٍ عنه ولا إدخال

ولقد طعنت مبالها بسلاحها ... فوجدت أخبث مسلح ومبال

قال: وقال لها وقد فخرت:

هلا سألت منازلاً بغرار ... عمن عهدت به من الأحرار

أين انتأوا ونحاهم صرف النوى ... عنا وصرف مقحمٍ مغيار

كره المقام وظن بي وبأهلها ... ظنًّا فكان بنا على إصرار

عدي رجالك واسمعي يا هذه ... عني مقالة عالمٍ مفخار

سأعد ساداتٍ لنا ومكارماً ... وأبوة ليست علي بعار

قيسٌ وخندف والداي كلاهما ... والعم بعد ربيعة بن نزار

من مثل فارسنا دريدٍ فارساً ... في كل يوم تعانقٍ وكرار
وبنو زيادٍ من لقومك مثلهم ... أو مثل عنترة الهزبر الضاري
والحي من سعدٍ ذؤابة قومهم ... والفخر منهم والسنام الواري
والمانعون من العدو ذمارهم ... والمدركون عدوهم بالثار
والناكحون بنات كل متوجٍ ... يوم الوغى غصباً بلا إمهار
وبنو سليم نكل من عاداهم ... وحيا العفاة ومعقل الفرار
ليسوا بأنكاس إذا حاستهم ال ... موت العداة وصمموا لمغار

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال: كان ابن أبي الزوائد وفد إلى بغداد في أيام المهدي، فاستوخمها، فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غسان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً:

يا بن يحيى ماذا بدا لك ماذا ... أمقامٌ أم قد عزمت الخياذا
فالبراغيث قد تثور منها ... سامرٌ ما نلوذ منها ملاذا
فنحك الجلود طوراً فتدمى ... ونحك الصدور والأفخاذا
فسقى الله طيبة الوبل سحًّا ... وسقى الكرخ والصراة الرذاذا
بلدةٌ لا ترى بها العين يوماً ... شارباً للنبيذ أو نباذا
أو فتًى ماجناً يرى اللهو والبا ... طل مجداً أو صاحباً لواذا
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا ... شاعراً قال في الروي على ذا
قالها شاعرٌ لو أن القوافي ... كن صخراً أطارهن جذاذا

قال الزبير: وأنشدني له أبو غسان محمد بن يحيى، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجواب، والآخر أبو أيوب، فسقياه نبيذاً على أنه طري لا يسكر، فأسكره، فقال:

سقاني شربةً فسكرت منها ... أبو الجواب صاحبي الخبيث
وعاونه أبو أيوب فيها ... ومن عاداته الخلق الخبيث
فلما أن تمشت في عظامي ... وهمت وثبتي منها تريث
علمت بأنني قد جئت أمراً ... تسوء به المقالة والحديث
فدعهم لا أبا لك واجتنبهم ... فإن خليطهم لهو اللويث

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين:

كالشمس في شرقها إذا سفرت عنها ومثل المهاة ملتثمه
ما صور الله حين صورها في سائر الناس مثلها نسمه
كل بلاد الإله جئت فما أبصرت شبهاً لها وقد علمه
أنثى من العالمين تشبهها عابسةً هكذا ومبتسمه
فتانة المقلتين مخطفة ال أحشاء منها البنان كالعنمه
إذا تعاطت شيئاً لتأخذه قلت غزالٌ يعطو إلى برمه
يا طيب فيها وطيب قبلتها والقرب منها في الليلة الشجمه
إن من اللذة التي بقيت غشيانك الخود من بني سلمه
لا تهجر الخود إن تغال بها بعد سلو وقبل ذاك فمه
آتي معداً لها الكلام فما أنطق من هيبةٍ ولا كلمه
أحب والله أن أزوركم وحدي كذا أو أزوركم بلمه
هذا الجمال الذي سمعت به سبحان ذي الكبرياء والعظمة
من أبصرت عينه لها شبهاً حل عليه العذاب والنقمه
يا هند يا هند نولي رجلاً وكيف تنويل من سفكت دمه
أو تدركي نفسه فقد هلكت أو ترحميه فمثلكم رحمه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن جعفر بن قادمٍ مولى بني هاشم قال: حدثني عمي أحمد بن جعفر عن ابن دأب قال: خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السعلاء ومعنا مصعب بن عبد الله النوفلي وثابتٌ والزبير ابنا حبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابن أبي الزوائد السعدي وابن أبي ذئب متنزهين إلى العقيق، وقد سأل يومئذٍ، إذا أتانا آتٍ ونحن جلوس، فسألناه عن الخبر بالمدينة؟ ورد كتاب أمير المؤمنين المنصور أن لا تتزوج منافيةٌ إلا منافيًّا. قال ابن أبي ذئب: إذن والله لا يخطب قرشيٌّ إلا من لا يحبها، ولا يرغب فيمن لا يرغب فيها ممن لا فضل له عليها، وكان غير حسن الرأي في بني هاشم. وتكلم ابنا حبيبٍ بمثل ذلك، وقال أحدهما. إن نسبنا من بني عبد مناف قد طال، فأدالنا الله منهم. قال: فغضب مصعبٌ النوفليٍ وكان أحول فازدادت عيناه انقلاباً، فقال: أما أنت يا بن أبي ذئب فو الله ما شرفتك جاهلية ولا رفعك إسلام، فيقع في بال أحد أنك عنيت بما جرى. وأما أنتما يا بني حبيبٍ فبغضكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث، ولا يزال يتجدد كلما ذكرتم قتل الزبيرن وإنكم لمن طينتين مختلفتين: أما إحداهما فمن صفية، وهي الطينة الأبطحية السنية، تنزعان إليها إذا نافرتما، وتفخران بها إذا افتخرتما، والأخرى الطينة العوامية التي تعرفانها، ولو

شئت أن أقول لقلت، ولكن صفية تحجزني، فأحسنا الشكر لمن رفعكما، ولا تميلا عليه بمن وضعكما. فقالا له: مهلاً، فوالله لقد يمنا في الإسلام أفضل من قديمك، ولحظنا فيه بالزبير أفضل من حظك. فقال مصعبٌ: والله ما تفرخان في نسبكما إلا بعمتي، ولا تفضلان في دينكما إلا بابن عمي صلى الله عليه وسلم، فمفاخره لي دونكما. ثم تفرقوا، فقال ابن أبي الزوائد:

لعمركما يا بني خبيب بن ثابتٍ تجاوزتما في الفخر جهلاً مداكما
وأنكرتما فضل الذين بفضلهم سمت بين أيدي الأكرمين يداكما
فإنكما لم تعرفا إذ سموتما إلى العز من آل النبي أباكما
ولم تعرفا الفضل الذي قد فخرتما فليس من العوام حقًّا أتاكما
فلولا الكرام الغر من آل هاشمٍ فلا تجهلا لم تدفعا من رماكما
محبٌّ صد آلفه فليس لليله صبح

يقلبه على مضضٍ مواعد ما لها نجح
له في عينه غربٌ وفي أحشائه جرح
صحا عنه الذي يرجو زيارته وما يصحو

الشعر لأبي الأسد، والغناء لعلويه، هزجٌ بالوسطى وخفيف ثقيلٍ بالوسطى.

أخبار أبي الأسد ونسبه

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الوراق عن عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي، نباته بن عبد الله الحماني. وذكر أبو هفان المهزمي أنه من بني شيبان. وهو شاعر مطبوع متوسط الشعر، من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور. وكان طبًّا مليح النوادر مزاحاً خبيث الهجاء، وكان صديقاً لعلويه المغني الأعسر، ينادمه ويواصل عشرته ويصله علويه بالأكابر، ويعرضه للمنافع، وله صنعةٌ في كثير من شعره.

فأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن محمد الأبزاري قال: كان أبو الأسد الشاعر صديقاً لعلويه، وكان كثيراً ما يغني في شعره. فدعانا علويه ليلةً، ووعدته جارية لآل يحيى بن معاذ وكانت تأخذ عنه الغناء أن تزوره تلك الليلة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكان علويه يهيم بها، فانتظرناها حتى أيسنا منها احتباساً. فقال علويه لأبي الأسد: قل في هذا شعراً، فقال:

محبٌّ صد ألفه فليس لليله صبح

صحا عنه الذي يرجو زيارته وما يصحو

قال: فصنع علويه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيدي الناس، وغنانا فيه، فلم نزل نشرب عليه حتى أصبحنا. وصنع في تلك الليلة بحضرتنا فيه الرمل في شعر أبي وجزة السعدي:

قتلتني بغير ذنبٍ قتول وحلالٌ لها دمي المطلول

ما على قاتلٍ أصاب قتيلاً بدلالٍ ومقلتين سبيل

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو هفان قال: كتب أبو الأسد وهو من بني حمان إلى موسى بن الضحاك:

لموسى أعبدٌ وأنا أخوه وصاحبه ومالي غير عبد

فلو شاء الإله وشاء موسى لآنس جانبي فرجٌ بسعد

قال: وفرجٌ غلامٌ كان لأبي الأسد، وسعدٌ غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد، وقاسمه بعده بقية غلمانه، فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم.

أخبرني محمد الخزاعي قال: حدثني العباس بن ميمون طائع قال: هجا أبو الأسد أحمد بن أبي داودٍ فقال:

أنت امرؤٌ غث الصنيعة رثها لا تحسن النقمى إلى أمثالي

نعماك لا تعدوك إلا في امرىءٍ في مسك مثلك من ذوي الأشكال

وإذا نضرت إلى صنيعك لم تجد أحداً سموت به إلى الإفضال

فاسلم بغير سلامةٍ ترجى لها إلا لسدك خلة الأنذال

قال: فأدى إليه سلامة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبيات عن أبي الأسد، فبعث إليه ببرد واستكفه، وبعث بابن عائشة إلى مظالم ما سبذان، وقال له: قد شركته في التوبيخ لنا فشركناك في الصفقة، فإن كنتما صادقين في دعواكما كنتما من الأنذال، وإن كنتما كاذبين فقد جريتما بالقبيح حسناً.

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن الحسن بن الحرون قال: كان سبب هجاء أبي الأسد أحمد بن أبي داودٍ أنه مدحه فلم يثبه، ووعده بالثواب ومطله، فكتب إليه:

ليتك إذ نبتني بواحدةٍ تقنعني منك آخر الأبد

تخلف ألا تبرني أبداً فإن فيها برداً على كبدي

اشف فؤادي مني فإن به مني جرحاً نكأته بيدي

إن كان رزقي إليك فارم به في ناظري حيةٍ على رصد

قد عشت دهراً وما أقدر أن أرضى بما قد رضيت من أحد

فكيف أخطأت لا أصبت ولا نهضت من عثرةٍ إلى سدد
لو كنت حراً كما زعمت وقد كددتني بالمطال لم أعد
صبرت لما أسأت بي فإذا عدت إلى مثلها فعد وعد
فإنني أهل ذاك في طمعي وفي خطائي سبيل معتمد
أبعدني الله حين يحملني حرصي على مثل ذا من الأود

الآن أيقنت بعد فعلك بي أني عبدٌ لأعبد قفد
فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

أخبرني علي بن الحسين بن عبد السميع المروزي قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي قال: كان أبو الأسد الشاعر واسمه نباته بن عبد الله الحماني منقطعاً إلى الفيض بن صالح وزير المهدي، وفيه يقول:

ولائمةٍ لامتك يا فيض في الندى فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
أرادت لتنهى الفيض عن عادة الندى ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض في كل بلدةٍ مواقع ماء المزن في البلد القفر
كأن وفود الفيض لما تحملوا إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

وكان أبو الأسد قبله منقطعاً إلى أبي دلف مدة، فلما قدم عليه علي بن جبلة العكوك غلب عليه، وسقطت منزلة أبي الأسد عنده، فانقطع إلى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله، وذلك في أيام الرشيد. وفيه يقول:

أتيت الفيض مشتكياً زماني فأعداني عليه جود فيض
وفاضت كفه بالبذل منه كما كف ابن عيسى ذات غيض

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني علي بن الحسن بن الأعرابي، قال: سأل أبو الأسد بعض الكتاب، وهو علي بن يحيى المنجم، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء، فلم يفعل. وبلغ حمدون بن إسماعيل الخبر، فسأل له فيها مبتدئاً ونجزها وأنفذها إليه.

فقال أبو الأسد يهجو الرجل الذي كان سأله الحاجة، ويمدح حمدون بن إسماعيل:

صنعٌ من الله أني كنت أعرفكم قبل اليسار وأنتم في التبابين
فما مضت سنةً حتى رأيتكم تمشون في القز والقوهي واللين
وفي المشاريق ما زالت نساؤكم يصحن تحت الدوالي بالوراشين

فصرن يرفلن في وشي العراق وفي ... طرائف الخز من دكنٍ وطاروني
أنسين قطع الحلاوي من معادنها ... وحملهن كشوثاً في الشقابين
حتى إذا أيسروا قالوا وقد كذبوا ... نحن الشهاريج أولاد الدهاقين
في است أم ساسان أيرى إن أقربكم ... وأير بغلٍ مشظٍّ في است شيرين
لو سيل أوضعهم قدراً وأنذلهم ... لقال من فخره إني ابن شوبين
وقال أقطعني كسرى وورثني ... فمن يفاخرني أم من يناويني
من ذا يخبر كسرى وهو في سقر ... دعوى النبيط وهم بيض الشياطين
وأنهم زعموا أن قد ولدتهم ... كما ادعى الضب إني نطفة النون
فكان ينحز جوف النار واحدةً ... تفري وتصدع خوفاً قلب قارون
أما تراهم وقد حطوا برادعهم ... عن أتنهم واستبدوا بالبراذين
وأفرجوا عن مشارات البقول إلى ... دور الملوك وأبواب السلاطين
تغلي على العرب من غيظٍ مراجلهم ... عداوةً لرسول الله في الدين
فقل لهم وهم أهلٌ لتزنيةٍ ... شر الخليقة يا بخر العثانين
ما الناس إلا نزارٌ في أرومتها ... وهاشمٌ سرجها الشم العرانين
والحي من سلفي قحطان إنهم ... يزرون بالنبط اللكن الملاعين
فما على ظهرها خلقٌ له حسبٌ ... مما يناسب كسرى غير حمدون
قرمٌ عليه شهنشاهيةٌ ونباً ... ينبيك عن كسروي الجد ميمون
وإن شككت ففي الإيوان صورته ... فانظر إلى حسب بادٍ ومخزون

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر.

أن أبا الأسد زار أبا دلف في الكرج، فحجب عنه أياماً، فقال يعاتبه وكتب بها إليه:

ليت شعري أضاقت الأرض عني ... أم بفج أنا الغداة طريد
أم أنا قانعٌ بأدنى معاشٍ ... همتي القوت والقليل الزهيد
مقولي قاطعٌ وسيفي حسامٌ ... ويدي حرةٌ وقلبي شديد
رب بابٍ أعز من بابك اليو ... م عليه عساكرٌ وجنود

قد ولجناه داخلين غدواً ورواحاً وأنت عنه مذود
فاكفف اليوم من حجابك إذ لس ت أميراً ولا خميساً تقود
واغترب في فدافد الصد إذ لس ت أسيراً ولا علي قيود
لا يقيم العزيز في بلد الهو ن ولا يكبت الأريب الجليد

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هفان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان براً به قال: وهذا من جيد شعره، وقد سرق البحتري معناه منه في شعر مدح به علي بن يحيى المنجم:

أعدو على مال بسطامٍ فأنهبه كما أشاء فلا تثنى إلي يدي
حتى كأني بسطامٌ بما احتكمت فيه يداي وبسطامٌ أبو الأسد

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أبو هفان، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبو أيوب المدايني قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثني أبو دعامة قال: لما مات إبراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد - وكان صديقه - ألا ترثيه؟ فقال يرثيه:

تولى الموصلي فقد تولت بشاشات المزاهر والقيان
وأي ملاحةٍ بقيت فتبقى حياة الموصلي على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهي ويسعدهن عاتقة الدنان
وتبكيه الغوية إذ تولى ولا تبكيه تالية القران

فقيل له: ويحك فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أما من يعقل فلا. وبأي شيءٍ كنت أذكره وأثبه به؟ أبالفقه أم بالزهد أم بالقراءة؟ وهل يرثى إلا بهذا وشبهه! قال أبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن علي بن يحيى، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطوسي قال: كنت مقيماً بالجبل فمر بي أبو الأسد الشاعر الشيباني، فأنزلته عندي أياماً، وسألته عن خبره فقال: صادفت شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دلف، فما احتبسني ولا برني ولا عرض علي المقام عنده، وقد حضرني فيه أبيات فأكتبها، ثم أنشدني:

إني مررت بشاهينٍ وقد نفحت ريح العشي وبرد الثلج يؤذيني
فما وقى عرضه مني بكسوته لا بل ولا حسبٍ دانٍ ولا دين
إن لم يكن لبن الدايات غيره عن طبع آبائه الشم العرانين
فربما غاب بعلٌ عن حليلته فناكها بعض سواس البراذين

وما تحرك أيرٌ فامتلا شبقاً إلا تحرك عرقٌ في است شاهين

ثم قال: لأمزقنه كل ممزقٍ، ولأصيرن إلى أبي دلف فلأنشدنه. ومضى من فوره يريد أبا دلف، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعر، فشق عليه وغمه. وأتاه أبو الأسد فدخل عليه، فسأله عن قصته مع شاهين، فأخبره بها، فقال: هبه لي. قال قد فعلت. وأمر له بعشرة آلالف درهم، فأمسك عنه.

قال أبو الفرج: هذا البيت الأخير لبشار كان عرض له فقال:

وما تحرك أيرٌ فامتلا شبقاً إلا تحرك عرقٌ في است ....

ثم قال: في است من؟ ومر به تسنيم بن الحواري فسلم عليه، فقال: في است تسنيم والله. فقال له: أي شيء ويلك؟ فقال: لا تسل. فقال: قد سمعت ما أكره، فاذكر لي سببه. فأنشده البيت، فقال: ويلك! أي شيء حملك على هذا؟ قال: سلامك علي. لا سلم الله عليك ولا علي إن سلمت عليك بعدها، وبشار يضحك. وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشار.

وقد جمع معه كل ما يغنى في هذه القصيدة:

أجدك إن نعمٌ نأت أنت جازع قد اقتربت لو أن ذلك نافع

وحسبك من نأيٍ ثلاثة أشهر ومن حزنٍ أن شاق قلبك رابع

بكت عين من أبكاك ليس لك البكى ولا تتخالجك الأمور النوازع

فلا يسمعن سري وسرك ثالثٌ ألا كل سرٍّ جاوز اثنين شائع

وكيف يشيع السر مني ودونه حجابٌ ومن فوق الحجاب الأضالع

كأن فؤادي بين شقين من عصاً حذار وقوع البين والبين واقع

وقالت وعيناها تفيضان عبرةً بأهلي بين لي متى أنت راجع

فقلت لها بالله يدري مسافرٌ إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

فشدت على فيها اللثام وأعرضت وأقبلن بالكحل السحيق المدامع

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن الحدادية، والغناء لإسحاق في الأول والثاني من الأبيات خفيف رملٍ بالوسطى، وفي الثالث وما بعده أربعة.

أخبار قيس بن الحدادية ونسبه

هو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خزاعة بن عمرو وهو مزيقياء بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وهو رداء ويقال: رديني، وقد مضى نسبه متقدماً، والحدادية أمه، وهي امرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حداد. شاعر من شعراء الجاهلية، وكان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه، فلت تحتمل جريرةً له، ولا تطالب بجريرة يجرها أحدٌ عليه.

قال أبو الفرج: نسخت خبره من كتاب أبي عمرو الشيباني: لما خلعت خزاعة بن عمرو - وهو مزيقياء بن عامر، وهو ماء السماء بن الحارث - قيس بن الحدادية، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعيا لقوم منهم يقال لهم: بنو قمير بن حبشية بن سلول، فجمع لهم قيسٌ شذاذاً من العرب وفتاكاً من قومه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً يقال لهم ابن عش، واستاق أموالهم، فلحقه رجل من قومه كان سيداً، وكان ضلعه مع قيس فيما جرى عليه من الخلع، يقال له ابن محرق، فأقسم عليه أنيرد ما استاقه، فقال: أما ما كان لي ولقومي فقد أبررت قسمك فيه، وأما ما اعتورته أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه، فرد سهمه وسهم عشيرته، وقال في ذلك:

فاقسم لولا أسهم ابن محرقٍ ... مع الله ما أكثرت عد الأقارب

تركت ابن عشٍّ يرفعون برأسه ... ينوء بساقٍ كعبها غير راتب

وأنهاهم خلعي على غير ميرةٍ ... من اللحم حتى غيبوا في الغوائب

وقال أبو عمرو: أغار أبو بردة بن هلال بن غويمر، أخو بني مالك بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن امرىء القيس على هوازن في بلادها، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر وبنو نصر، وقتل أبو بردة قيس بن زهير أخا خداش بن زهير الشاعر، وسبى نسوةً من بني عامر: منهن صخرة بنت أسماء بن الضريبة النصري، وامرأتين منهم يقال لهما: بيقر وريًّا، ثم انصرفوا راجعين، فلما انتهوا إلى هرشى خنقت صخرة نفسها فماتت، وقسم أبو بردة السبي والنعم والأموال في كل من كان معه، وجعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه وفرقه فيهم.

ثم أغارت هوازن على بني ليث، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم: بنو الملوح بن يعمر بن عوف، ورعاءً لبني ضاطر بني حبشية، فقتلوا منهم رجلاً وسبوا منهم سبياً كثيراً واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك مالك بن عوف النصري:

نحن جلبنا الخيل من بطن ليةٍ ... وجلدان جرداً منعلاتٍ ووقحا

فأصبحن قد جاوزن مراً وجحفةً ... وجاوزن من أكناف نخلة أبطحا

تلقطن ضيطاري خزاعة بعد ما ... أبرن بصحراء الغميم الملوحا

قتلناهم حتى تركنا شريدهم ... نساء وأيتاماً ورجلاً مسدحا

فإنك لو طالعتهم لحسبتهم بمنعرج الصفراء عتراً مذبحا

فلما صنعت هوازن ببني ضاطر ما صنعت، جمع قيس بن الحدادية قومه، فأغار على جموع هوازن، فأصاب سبياً ومالاً، وقتل يومئذٍ من بني قشير: أبا زيد وعروة وعامراً ومروحاً، وأصاب أبياتاً من كلاب خلوفاً، واستاق أموالهم وسبياً، ثم انصرف وهو يقول.

نحن جلبنا الخيل قبًّا بطونها تراها إلى الداعي المثوب جنحا
بكل خزاعيٍّ إذا الحرب شمرت تسربل فيها برده وتوشحا
قرعنا قشيرا في المحل عشيةً فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا
قتلنا أبا زيد وزيدا وعامرا وعروة أقصدنا بها ومروحا
وأبنا بإبل القوم تحدى ونسوةٍ يبكين شلواً أو أسيراً مجرحا
غداة سقينا أرضهم من دمائهم وأبنا بأدمٍ كن بالأمس وضحا
ورعنا كلاباً قبل ذاك بغارة فسقنا جلاداً في المبارك قرحا

لقد علمت أفناء بكر بن عامرٍ بأنا نذود الكاشح المتزحزحا
وأنا بلا مهرٍ سوى البيض والقنا نصيب بأفناء القبائل منكحا

وقال أبو عمرو: وزعموا أن قيس بن عيلان رغبت في البيت، وخزاعة يومئذٍ تليه، وطمعوا أن ينزعوه منهم، فساروا ومعهم قبائل من العرب ورأسوا عليهم عامر بن الظرب العدواني، فساروا إلى مكة في جمعٍ لهام، فخرجت إليهم خزاعة فاقتتلوا، فهزمت قيس، ونجا عامرٌ على فرس له جواد. فقال قيس بن الحدادية في ذلك:

لقد سمت نفسك يا بن الظرب وجشمتهم منزلاً قد صعب
وحملتهم مركباً باهظاً من العبء إذ سقتهم للشغب
بحرب خزاعة أهل العلا وأهل الثناء وأهل الحسب
هم المانعو البيت والذائدون عن الحرمات جميع العرب
نفوا جرهماً ونفوا بعدهم كنانة غصباً ببيض القضب
وسمر الرماح وجرد الجياد عليها فوارس صدقٍ نجب
وهم ألحقوا أسداً عنوةً بأحياء طيٍّ وحازوا السلب
خزاعة قومي فإن أفتخر بهم يزك معتصري والنسب

هم الرأس والناس من بعدهم ذنابى وما الرأس مثل الذنب
يواسى لدى المحل مولاهم وتكشف عنه غموم الكرب
فجارهم آمنٌ دهره بهم إن يضام وأن يغتصب
يلبون في الحرب خوف الهجاء ويبرون أعداءهم بالحرب
ولو لم ينجك من كيدهم أمين الفصوص شديد العصب
لزرت المنايا فلا تكفرن جوادك نعماه يا بن الظرب
فإن يلتقوك يزرك الحما م أو تنج ثانيةً بالهرب

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بين التوليد.

وقال أبو عمرو: أغارت هوازن على خزاعة وهم بالمحصب من منى، فأوقعوا ببطن منهم يقال لهم بنو العنقاء، وبقوم من بني ضاطر، فقتلوا منهم عبداً وعوفاً وأقرم وغبشان، فقال ابن الأحب العدواني يفخر بذلك:

غداة التقينا بالمحصب من منًى فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائم
تركنا بها عوفاً وعبداً وأقرماً وغبشان سؤراً للنسور القشاعم

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيره أن فخر بيوم ليس لقومه:

فخرت بيوم لم يكن لك فخره أحاديث طسمٍ إنما أنت حالم
تفاخر قوماً أطردتك رماحهم أكعب بن عمرو هل يجاب البهائم
فلو شهدت أم الصبيين حملنا وركضهم لابيض منها المقادم
غداة توليتم وأدبر جمعكم وأبنا بأسراكم كأنا ضراغم

قال أبو عمرو: وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا في فراس بن غنم، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً، فهربوا فنزلوا في بجيلة على أسد بن كرز، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي فراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز:

لا تعذليني سلمى اليوم وانتظري أن يجمع الله شملاً طالما افترقا
إن شتت الدهر شملاً بين جيرتكم فطال في نعمةٍ يا سلم ما اتفقا
وقد حللنا بقسريٍّ أخي ثقةٍ كالبدر يجلو دجى الظلماء والأفقا
لا يجبر الناس شيئاً هاضه أسدٌ يوماً ولا يرتقون الدهر ما فتقا
كم من ثناءٍ عظيم قد تداركه وقد تفاقم فيه الأمر وانخرقا

قال أبو عمرو: وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين، وغيرهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حماد الراوية لخالد القسري في أيام ولايته، وأنشده إياها فوصله، والتوليد بين فيها جداً.

وقال أبو عمرو: غزا الضريس القشيري بني ضاطر في جماعة من قومه، فثبتوا له وقاتلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم، فقال قيس بن الحدادية في ذلك:

فدىً لبني قيس وأفناء مالكٍ ... لدى الشسع من رجلي إلى الفرق صاعدا

غداة أتى قوم الضريس كأنهم ... قطا الكدر من ودان أصبح واردا

فلم أر جمعاً كان أكرم غالباً ... وأحمى غلاماً يوم ذلك أطردا

رميناهم بالحو والكمت والقنا ... وبيضٍ خفافٍ يختلين السواعدا

قال أبو عمرو: ولما خلعت خزاعة قيساً، تحول من قومه، ونزل عند بطنٍ من خزاعة، يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد، فآووه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم:

جزى الله خيراً عن خليع مطردٍ ... رجالاً حموه آل عمرو بن خالد

فليس كمن يغزو الصديق بنوكه ... وهمته في الغزو كسب المزاود

عليكم بعرصات الديار فإنني ... سواكم عديدٌ حين تبلى مشاهدي

ألا وذتم حتى إذا ما أمنتم ... تعاورتم سجعاً كسجع الهداهد

تجنى علي المازنان كلاهما ... فلا أنا بالمغصي ولا بالمساعد

وقد حدبت عمرو علي بعزها ... وأبنائها من كل أروع ماجد

مصاليت يوم الروع كسبهم العلا ... عظام مقيل الهام شعر السواعد

أولئك إخواني وجل عشيرتي ... وثروتهم والنصر غير المحارد

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي، والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني عمي أن خزاعة أغارت على اليمامة، فلم يظفروا منها بشيء، فهزموا وأسر منهم أسرى، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسرهم إلى مكة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم، فغدوا جميعاً إلى الخلصاء، وفيهم قيس بن الحدادية، فأخرجوهم وحملوهم، وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم، فمر بهم عدي بن نوفل، فاستجاروا به، فابتاعهم وأعتقهم، فقال قيس يمدحه:

دعوت عديًّا والكبول تكبني ... ألا يا عدي يا عدي بن نوفل

دعوت عدياً والمنايا شوارعٌ ... ألا يا عدي للأسير المكبل

فما البحر يجري بالسفين إذا غدا بأجود سيباً منه في كل محفل

تداركت أصحاب الحظيرة بعدما أصابهم منا حريق المحلل

وأتبعت بين المشعرين سقايةً لحجاج بيت الله أكرم منهل

قال أبو عمرو: وكان قيس بن الحدادية يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجدبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته، فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدم قبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نعم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور:

أجدك إن نعمٌ نأت أنت جازع قد اقتربت لو أن ذلك نافع

قد اقتربت لو أن في قرب دارها نوالاً ولكن كل من ضن مانع

وقد جاورتنا في شهور كثيرة فما نولت والله راءٍ وسامع

فإن تلقين نعمى هديت فحيها وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع

وظني بها حفظٌ لغيبي ورعيةٌ لما استرعيت والظن بالغيب واسع

وقلت لها في السر بيني وبينها على عجلٍ أيان من سار راجع

فقالت لقاءٌ بعد حول وحجةٍ وشحط النوى إلا الذي العهد قاطع

وقد يلقى بعد الشتات أولو النوى ويسترجع الحي السحاب اللوامع

وما إن خذولٌ نازعت حبل حابلٍ لتنجو إلا استسلمت وهي ظالع

بأحسن منها ذات يوم لقيتها لها نظرٌ نحوي كذي البت خاشع

رأيت لها ناراً تشب ودونها طويل القرا من رأس ذروة فارع

فقلت لأصحابي اصطلوا النار إنها قريبٌ فقالوا بل مكانك نافع

فيا لك من حادٍ حبوت مقيدا وأنحى على عرنين أنفك جادع

أغيظاً أرادت أن تخب حمالها لتفجع بالإظعان من أنت فاجع

فما نطفة بالطود أو بضرية بقية سيلٍ أحرزتها الوقائع

يطيف بها حران صادٍ ولا يرى إليها سبيلاً غير أن سيطالع

بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً من الليل واخضلت عليك المضاجع

وحسبك من نأيٍ ثلاثة أشهر ومن حزنٍ أن زاد شوقك رابع
سعى بينهم واشٍ بأفلاق برمةٍ لتفجع بالأظعان من هو جازع
بكت من حديث بثه وأشاعه ورصفه واشٍ من القوم راصع
بكت عين من أبكاك لا يعرف البكا ولا تتخالجك الأمور النوازع
فلا يسمعن سري وسرك ثالثٌ ألا كل سر جاوز اثنين شائع
وكيف يشيع السر مني ودونه حجابٌ ومن فوق الحجاب الأضالع
وحبٌّ لهذا لربع يمضي أمامه قليل القلى منه جليلٌ ورادع
لهوت به حتى إذا خفت أهله وبين منه للحبيب المخادع
نزعت فما سري لأول سائل وذو السر ما لم يحفظ السر ماذع
وقد يحمد الله العزاء من الفتى وقد يجمع الأمر الشتيت الجوامع
ألا قد يسلى ذو الهوى عن حبيبه فيسلى وقد تردي المطي المطامع
وما راعني إلا المنادى ألا اظعنوا وإلا الرواغي غدوةً والقعاقع
فجئت كأني مستضيفٌ وسائل لأخبرها كل الذي أنا صانع
فقالت :تزحزح ما بنا كبر حاجةٍ إليك ولا منا لفقرك راقع
فما زلت تحت الستر حتى كأنني من الحر ذو طمرين في البحر كارع
فهزت إلي الرأس مني تعجبا وعضض مما قد فعلت الأصابع
فأيهما ما أتبعن فإنني حزين على إثر الذي أنا وادع
بكى من فراق الحي قيس بن منقذ وإذراء عيني مثله الدمع شائع
بأربعة تنهل لما تقدمت بهم طرق شتى وهن جوامع
وما خلت بين الحي حتى رأيتهم ببينونة السفلى وهبت سوافع
كأن فؤادي بين شقين من عصاً حذار وقوع البين والبين واقع
يحث بهم جادٍ سريعٌ نجاؤه ومعرى عن الساقين والثوب واسع
فقلت لها يا نعم حلي محلنا فإن الهوى يا نعم والعيش جامع
فقالت وعيناها تفيضان عبرةً بأهلي بين لي متى أنت راجع

فقلت لها تالله يدري مسافرٌ إذا أضمرته الأرض ما الله صانع
فشدت على فيه اللثام وأعرضت وأقبلن بالكحل السحيق المدامع
وإني لعهد الود راعٍ وإنني بوصلك ما لم يطوني الموت طامع

قال أبو عمرو: فأنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حليتي هذه ، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضاً يذكر بين الحي وتفرقهم وينسب بنعم:

سقى الله أطلالاً بنعمٍ ترادفت بهن النوى حتى حللن المطاليا
فإن كانت الأيام يا أم مالك تسليكم عني وترضي الأعاديا
فلا يأمنن بعدي امرؤ فجع لذةٍ من العيش أو فجع الخطوب العوافيا
وبدلت من جدواك يا أم مالكٍ طوارق هم يحتضرن وساديا
وأصبحت بعد الأنس لابس جبة أساقي الكماة الدارعين العواليا
فيوماي يومٌ في الحديد مسربلا ويوم مع البيض الأوانس لاهيا
فلا مدركاً حظاً لدى أم مالك ولا مستريحا في الحياة فقاضيا
خليلي إن دارت على أم مالك صروف الليالي فابعثا لي ناعيا
ولا تتركاني لا لخيرٍ معجل ولا لبقاءٍ تنظران بقائيا

وإن الذي أملت من أم مالك أشاب قذالي واستهام فؤاديا
فليت المنايا صبحتني غديةً بذبح ولم أسمع لبينٍ مناديا
نظرت ودوني يذبلٌ وعمايةٌ إلى آل نعمٍ منظرا متنائيا
شكوت إلى الرحمن بعد مزارها وما حملتني وانقطاع رجائيا
وقلت ولم أملك أعمرو بن عامر لحتفٍ بذات الرقمتين يرى ليا
وقد أيقنت نفسي عشية فارقوا بأسفل وادي الدوح أن لا تلاقيا
إذ ما طواك الدهر يا أم مالكٍ فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال أبو عمرو: وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون.

قال أبو عمرو: وكان من خبر مقتل قيس بن الحدادية أنه لقي جمعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدونه منه غرة، فقالوا له: استأسر، فقال: وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع؟ والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عتراً جرباء جدماء ما أعطيتموها، فقالوا له: استأسر لا أم لك! فقال: نفسي علي أكرم من ذاك، وقاتلهم حتى قتل. وهو يرتجز ويقول:

أنا الذي تخلعه مواليه ... وكلهم بعد الصفاء قاليه

وكلهم يقسم لا يباليه ... أنا إذا الموت ينوب غاليه

مختلطٌ أسفله بعاليه ... قد يعلم الفتيان أني صاليه

إذا الحديد رفعت عواليه

وقيل: إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت فنام في ظل وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قتل.

صرمتني ثم لا كلمتني أبداً ... إن كنت خنتك في حال من الحال

ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ... ولا جرت خطرةٌ منه على بالي

فسوغيني المنى كيما أعيش بها ... وأمسكي البذل ما أطلعت آمالي

أو عجلي تلفي إن كنت قاتلتي ... أو نوليني بإحسان وإجمال

الشعر لابن قنبر، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته.

أخبار ابن قنبر ونسبه

هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني مازن بني عمرو بن تميم، بصري شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية، وكان يهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدة، ثم غلبه مسلم.

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه: حدثني الحسن بن سعيد قال: حدثني منصور بن جهور قال: لما تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه، فجاء مسلماً ابن عم له فقال: أيها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر، وقد بعثت عليك لسانك ثم أمسكت عنه، فإما أن قاذعته، وإما أن سالمته، فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد فيه، وله دعوات يدعوها، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه، فأطرق الرجل ساعةً ثم قال:

غلب ابن قنبر واللئيم مغلب ... لما اتقيت هجاءه بدعاء

مازال يقذف بالهجاء ولذعه حتى اتقوه بدعوة الآباء

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر ليبلغ مني هذا، فأمسك عني لسانك وتعرف خبره بعد، قال: فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عبد الله العبدي القسري قال: رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرصافة في يوم جمعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجيان، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدته

أنا النار في أحجارها مستكنة فإن كنت ممن يقدح النار فاقدح

وتلاه ابن قنبر فأنشده قوله:

قد كدت تهوي وما قوسي بموترةٍ فكيف ظنك بي والقوس في الوتر

فوثب مسلم وتواخزا وتواثبا حتى حجز الناس بينهما فتفرقا، فقال رجل لمسلم - وكان يتعصب له - ويحك! أعجزت عن الرجل حتى واثبته؟ قال: أنا وإياه لكما قال الشاعر:

هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أبصر

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدة، ثم غلبه مسلم بعد ذلك، فمن مناقضتهما قول ابن قنبر:

ومن عجب الأشياء أن لمسلم إلي نزاعاً في الهجاء وما يدري

والله ما قيست علي جدوده لدي مفخر في الناس قوساً ولا شعري

ولابن قنبر قوله:

كيف أهجوك يا لئيمٌ بشعري أنت عندي فاعلم هجاء هجائي

يا دعي الأنصار بل عبدها النذ ل تعرضت لي لدرك الشقاء

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة، عن محمد بن جبير عن الحسين بن محرز المغني المديني قال: دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد:

فما أقصر اسم الحب يا ويح ذي الحب وأعظم بلواه على العاشق الصب

يمر به لفظ اللسان مشمرا ويغرق من ساقاه في لجج الكرب

فلما بصر بي قال: تعال يا حسين، فجئت، فأنشدني البيتين، ثم أعادهما علي حتى حفظتهما، ثم قال: اصنع فيهما لحناً، فإن أجدت سررتك، فخلوت وصنعت فيهما لحني المشهور، وعدت فغنيته إياه، فقال: أحسنت، وشرب عليه بقية يومه، وأمر لي بألف دينار، والشعر لحكم بن قنبر.

أخبرني محمد بن الأزهر قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه:

ويلي على من أطار النوم وامتنعا وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
ظبيٌ أغر ترى في وجهه سرجاً تعشي العيون إذا ما نوره سطعا
كأنما الشمس في أثوابه بزغت حسناً أو البدر في أردانه طلعا
فقد نسيت الكرى من طول ما عطلت منه الجفون وطارت مهجتي قطعا

قال ابن سلام: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوارٍ من جواري سليمان بن علي في الطريق الذي بين المربد وقصر أوس، فقلن لي: أنت الذي تقول:

ويلي على من أطار النوم وامتنعا

فقلت: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السمج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبني ويلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي، فرجعت عارياً إلى منزلي. قال: وكان حسن اللباس.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي مؤدبي قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: حدثني عمي قال: دخل الحكم بن قنبر على عمي - وكان صديقاً له - فبش به ورفع مجلسه، وأظهر له الأنس والسرور، ثم قال: أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك. فأنشده:

وحق الذي في القلب منك فإنه عظيم لقد حصنت سرك في صدري
ولكنما أفشاه دمعي وربما أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهب لي ذنوب الدمع إني أظنه بما منه يبدو إنما يبتغي ضري
ولو يبتغي نفعي لخلى ضمائري يرد على أسرار مكنونها ستر.

فقال لي: يا بني اكتبها واحفظها، ففعلت وحفظتها يومئذٍ وأنا غلام.

أخبرني اليزيدي قال: أخبرني عمي عن ابن سلام، وأخبرني به أحمد بن ابن عباس العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه قوله:

صرمتن ثم لا كلمتني أبداً إن كنت خنتك في حالٍ من الحال
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جرت خطرة منه على بالي

قال: فقلت له وأنا أضحك: يا هذا لقد بالغت في اليمين. فقال: هي عندي كذاك، وإن لم تكن عندك كما هي عندي. قال اليزيدي: قال عمي وهو الذي يقول وفيه غناء:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا
كل جزء من محاسنها كائنٌ في فضله مثلا
لو تمنت في ملاحتها لم تجد من نفسها بدلا

فيه لحنٌ لابن القصار رمل.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: قال لي إبراهيم بن المدبر: أتعرف الذي يقول:

إن كنت لا ترهب ذمي لما ... تعرف من صفحي عن الجاهل

فاخش سكوتي فطناً منصتا ... فيك لتحسين خنا القائل

مقالة السوء إلى أهلها ... أسهل من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

فقلت: هذه للعتابي، فقال: ما أنشدها إلا لابن قنبر، فقلت له: من شاء منهما فليقلها، فإنه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

وإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما ... سكت له حتى يلج ويستشري

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال: أطعم رجل من ولد عبد الله بن كريز صديقاً له ضيعة، فمكثت في يده مدة، ثم مات الكريزي، فطالب ابنه الرجل بالضيعة، فمنعه إياها، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن، فقيل له: ألا تستحي! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أنت تنقض مكرمةً لأبيك، فقال له ابن الكريزي - وكان ساقطاً - الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله، فقال له عبيد الله بن الحسن: هذا الجواب والله أعز من الخصومة ويحك، وهذا موضع هذا القول، اللهم اردد على قريش أخطارها، ثم أقبل علينا فقال: لله در الحكم بن قنبر حيث يقول:

إذا القرشي لم يشبه قريشاً ... بفعلهم الذي بذ الفعالا

فجرميٌّ له خلقٌ جميل ... لدى الأقوام أحسن منه حالا

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا مسعود بن بشر قال: شكا العباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرقي هجاه فقال له: قد سمعت ما كان مدحك به، وعرفت ثوابك إياه، وما قال في ذمك بعد ذلك، فما وجدته ظلمك به، ولله در ابن قنبر حيث قال:

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

وبعد، فقد اشتريت عرضك منه، وأمرته بأن لا يعود لذمك تعريضاً ولا تصريحاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه، فقال له:

ولقد قلت لأهلي ... إذ أتوني بخصيب

ليس والله خصيبٌ ... للذي بي بطبيب

إنما يعرف دائي من به مثل الذي بي

قال: وكان خصيب عالماً بمرضه، فنظر إلى مائه فقال: زعم جالينوس أن صاحب هذه العلة إذا صار ماؤه هكذا لم يعش، فقيل له: إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت إلى خطئه أحوج مني إليه في هذا الوقت. قال: ومات من علته.

خليلي من سعد ألما فسلما على مريمٍ لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

الشعر للأسود بن عمارة النوفلي، والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبار الأسود ونسبه

هو فيما أخبرني به الحرمي بن أبي العلاء والطوسي، عن الزبير بن بكار، عن عمه الأسود بن عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان الأسود شاعراً أيضاً.

قال الزبير فيما حدثنا به شيخانا المذكوران عنه: وحدثني عمي قال: كان عمارة بن الوليد النوفلي أبو الأسود بن عمارة شاعراً، وهو الذي يقول:

تلك هندٌ تصد للبين صداً أدلالاً أم هند تهجو جدا

أم لتنكا به قروح فؤادي أم أرادت قتلي ضراراً وعمدا

قد براني وشفني الوجد حتى صرت مما ألقى عظاماً وجلدا

أيها الناصح الأمين رسولا قل لهندٍ عني إذا جئت هندا

علم الله أن قد اوتيت مني غير من بذاك نصحا وودا

ما تقربت بالصفاء لأدنو منك إلا نأيت وازددت بعدا

الغناء لعبادل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفي كتاب حكم: الغناء له خفيف رمل، وفي كتاب يونس: فيه لحن ليونس غير مجنس، وفيه ليحيى المكي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أول: قال الزبير: قال عمي ومن لا يعلم: يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلي، قال: وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة، وهو القائل:

خليلي من سعد ألما فسلما على مريم لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

قال: وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت:

ذكرناك شرطياً فأصبحت قاضيا وصرت أميراً أبشري قحطان

أرى نزواتٍ بينهن تفاوت وللدهر أحداث وذا حدثان

أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي لكل أناس دولة وزمان

قال: وإنما خاطب بني عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيري كان تزوج إليهم، وإنما قال: أبشري قحطان لأن كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال: كان أبي يتعشق جارية مولدة مغنية لامرأة من أهل المدينة، ويقال للجارية مريم، فغاب غيبة إلى الشأم، ثم قدم فنزل في طرف المدينة، وحمل متاعه على حمالين، وأقبل يريد منزله، وليس شيء أحب إليه من لقاء مريم، فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها، وعيناها تدمعان، فساءلها وساءلته، فقال للعجوز: ما هذه المصيبة التي أصبت بها؟ قالت: لم أصب بشيء إلا مبيعي مريم، قال: وممن بعتها؟ قالت: من رجل من أهل العراق، وهو على الخروج، وإنما ذهبت بها حتى ودعت أهلها، فهي تبكي من أجل ذلك، وأنا أبكي من أجل فراقها، قال: الساعة تخرج؟ قالت: نعم الساعة تخرج، فبقي متبلداً حائراً، ثم أرسل عينيه يبكي، وودع مريم وانصرف، وقال قصيدته التي أولها:

خليلي من سعد ألما فسلما على مريمٍ لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

قال: وهي طويلة، وقد غنى بعض أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زيانبياً. هكذا قال ابن عمار في خبره.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو العباس أحمد بن مالك اليمامي، عن عبد الله بن محمد البواب قال: سألت الخيزران موسى الهادي أن يولي خاله الغطريف اليمن، فوعدها بذلك ودافعها به، ثم كتبت إليه يوماً رقعةً تتنجزه فيها أمره، فوجه إليها برسولها يقول: خيريه بين اليمن وطلاق ابنته، أو مقامي عليها ولا أوليه اليمن، فأيهما فاختار فعلته، فدخل الرسول إليها - و لم يكن فهم عنه ما قال - فأخبرها بغيره، ثم خرج إليه فقال: تقول لك: ولاية اليمن، فغضب وطلق ابنته وولاه اليمن، ودخل الرسول فأعلمه بذلك، فارتفع الصياح من داره، فقال: ما هذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أو لم تختر ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدى غيره، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلى وقال له: أقم على رأس كل رجل بحضرتي من الندماء رجلاً بسيف، فمن لم يطلق امرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، و لم يبرح من حضرته أحد إلا وقد طلق امرأته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إلي فأخبروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفع بطيلسانه يراوح بين رجليه، فخطر ببالي:

خليلي من سعد ألما فسلما على مريم لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لي: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعاني تحسن الشعر وتفسده، وإنما قال: فنعلما ليعلم هو القصة، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره ، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرت إليه من مراجعتي إياه، ثم عرفته خبر الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف وهو يقول: هذا أحق مترل بترك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت على شرطة المدينة، ثم ولى القضاء، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن علي، فقال الأسود بن عمارة:

ذكرتك شرطياً فأصبحت قاضيا فصرت أميراً أبشري قحطان

أرى نزواتٍ بينهن تفاوتٌ وللدهر أحداث وذا حدثان

أرى حدثاً ميطان منقطعٌ له ومنقطع من بعده ورقان

أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي لكل أناس دولةٌ وزمان

هل لدهر قد مضى من معاد أو لهم داخلٍ من نفاد

أذكرتني عيشةً قد تولت هاتفاتٌ نحن في بطن وادي

هجن لي شوقاً وألهبن ناراً للهوى في مستقر الفؤاد

بأن أحبابي وغودرت فرداً نصب ما سر عيون الأعادي

الشعر لعلي بن الخليل، والغناء لمحمد الرف، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة.

أخبار علي بن الخليل

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيباني، ويكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه، فاتهم بالزندقة، وأخذ مع صالح ثم أطلق لما انكشف أمره.

قال محمد بن داود بن الجراح: حدثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافقة للمظالم، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكىء على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن

الثياب، في يده قصة، فلما رآه أمر بأخذ قصته، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة لها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشده فيها قصيدته:

يا خير من وخدت بأرحله ... نجب الركاب بمهمه جلس

فاستحسنها الرشيد وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخص به بعد ذلك وأكثر مدحه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر فأنشده علي بن الخليل:

يا خير من وخدت بأرحله ... نجبٌ تخبٌّ بمهمهٍ جلس

تطوي السباسب في أزمتها ... طي التجار عمائم البرس

لما رأتك الشمس إذ طلعت ... كسفت بوجهك طلعة الشمس

خير البرية أنت كلهم ... في يومك الغادي وفي أمس

وكذاك لن تنفك خيرهم ... تمسي وتصبح فوق ما تمسي

لله ما هرون من ملك ... بر السريرة طاهر النفس

ملك عليه لربه نعمٌ ... تزداد جدتها على اللبس

تحكي خلافته ببهجتها ... أنق السرور صبيحة العرس

من عترةٍ طابت أرومتهم ... أهل العفاف ومنتهى القدس

نطقٍ إذا احتضرت مجالسهم ... وعن السفاهة والخنا خرس

إني إليك لجأت من هربٍ ... قد كان شردني ومن لبس

واخترت حكمك لا أجاوزه ... حتى أوسد في ثرى رمسي

لما استخرت الله في مهلٍ ... يممت نحوك رحلة العنس

كم قد قطعت إليك مدرعاً ... ليلاً بهيم اللون كالنقس

إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ ... كان التوكل عنده ترسي

ما ذاك إلا أنني رجل ... أصبو إلى بقر من الإنس

بقرٍ أوانس لا قرون لها ... نجل العيون نواعمٍ لعس

ردع العبير على ترائبها ... يقبلن بالترحيب والخلس

وأشاهد الفتيان بينهم صفراء عند المزج كالورس
للماء في حافاتها حببٌ نظم كرقم صحائف الفرس
والله يعلم في بقيته ما إن أضعت إقامة الخمس

فأطلقه للرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

وقال: إنما زعمت ألا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان عافية بن يزيد يصحب ابن علاثة، فأدخله على المهدي، فاستقضاه معه بعسكر المهدي وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله كذلك، أدخله إلى المهدي ليعرض عليه، فغلب عليه، علي بن الخليل في ذلك:

عجباً لتصريف الأمو ر مسرةً وكراهيه
رثت ليعقوب بن دا ودٍ حبال معاويه
وعدت على ابن علاثة ال قاضي بوائق عافيه
أدخلته فعلا علي ك كذاك شؤم الناصية
وأخذت حتفك جاهداً بيمينك المتراخيه
يعقوب ينظر في الأمو ر وأنت تنظر ناحيه

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عمرو بن فراس الذهلي عن أبيه قال: قال لي محمد بن الجهم البرمكي: قال لي المأمون يوماً: يا محمد: أنشدني بيتاً من المديح جيداً فاخراً عربياً لمحدث حتى أوليك كورةً تختارها. قال قلت: قول علي بن الخليل:

فمع السماء فروع نبعتهم ومع الحضيض منابت الغرس
متهللين على أسرتهم ولدى الهياج مصاعب شمس

فقال: أحسنت، وقد وليتك الدينور، فأنشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أوليك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر

فقال: قد أحسنت، قد وليتك همذان، فأنشدني مرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

فقال: وقد أحسنت، قد وليتك نهاوند، فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أوليك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

تعالي نجدد دارس العلم بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

فقال: قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السوس من كور الأهواز، فولاني ذلك أجمع ووجهت إلى السوس بعض أهلي.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد، عن التوزي، قال: نزل أبو دلامة بدهقان يكنى أبا بشر، فسقاه شراباً أعجبه، فقال في ذلك:

سقاني أبو بشر من الراح شربةً لها لذةٌ ما ذقتا لشراب

وما طبخوها غير أن غلامهم سعى في نواحي كرمها بشهاب

قال: فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال: أحرقه العبد أحرقه الله.

أخبرني الحسن بن علي، وعمي الحسن بن محمد، قالا: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمران الضبي عن علي بن يزيد قال: ولد ليزيد بن مزيد ابن، فأتاه علي بن الخليل فقال: اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسم وقال: هات، فأنشده:

يزيد يا بن الصيد من وائلٍ أهل الرياسات وأهل المعال

يا خير من أنجبه والد ليهنك الفارس ليث النزال

جاءت به غراء ميمونة والسعد يبدو في طلوع الهلال

عليه من معن ومن وائلٍ سيما تباشيرٍ وسيما جلال

والله يبقيه لنا سيدا مدافعاً عنا صروف الليال

حتى نراه قد علا منبرا وفاض في سؤاله بالنوال

وسد ثغراً فكفى شره وقارع الأبطال تحت العوال

كما كفانا ذاك آباؤه فيحتذي أفعالهم عن مثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني ابن الأعرابي المنجم الشيباني، عن علي بن عمرو الأنصاري، قال: دخل علي بن الخليل على المهدي فقال له: يا علي، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: تبت منها، قال: فأين قولك؟

أولعت نفسي بلذتها ما ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك:

إذا ما كنت شاربها فسرًّا ودع قول العواذل واللواحي

قال: هذا شيء قلته في شبابي، وأنا القائل بعد ذلك:

على اللذات والراح السلام تقضى العهد وانقطع الذمام

مضى عهد الصبا وخرجت منه كما من غمده خرج الحسام

وقرت على المشيب فليس مني وصال الغانيات ولا المدام

وولى اللهو والقينات عني كما ولى عن الصبح الظلام

حلبت الدهر أشطره فعندي لصرف الدهر محمودٌ وذام

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون، عن علي بن عبيدة الشيباني، قال: دخل علي بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة فحادثه وناشده، ثم قال له معن: هل لك في الطعام؟ قال: إذا نشط الأمير، فأتيا بالطعام، فأكلا، ثم قال: هل لك في الشراب؟ قال: إن سقيتني ما أريد شربت، وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه، فضحك ثم قال: قد عرفت الذي تريد، وأنا أسقيك منه، فأتي بشراب عتيق، فلما شرب منه وطابت نفسه أنشأ يقول:

يا صاح قد أنعمت إصباحي ببارد السلسال والراح

قد دارت الكأس برقراقةٍ حياة أبدانٍ وأرواح

تجري على أغيد ذي رونقٍ مهذب الأخلاق جحجاح

ليس بفحاش على صاحب ولا على الراح بفضاح

تسره الكأس إذا أقبلت بريح أترجٍّ وتفاح

يسعى بها أزهر في قرطق مقلد الجيد بأوضاح

كأنها الزهرة في كفه أو شعلة في ضوء مصباح

حدثنا علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان لعلي بن الخليل الكوفي صديق من الدهاقين يعاشره ويبره، فغاب عنه مدةً طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالاً ورفعةً، وقويت حاله، فادعى أنه من بني تميم، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له، ولقيه فلم يسلم عليه، فقال يهجوه:

يروح بنسبة المولى ... ويصبح يدعي العربا
فلا هذا ولا هذا ... ك يدركه إذا طلبا
أتيناه بشبوطٍ ... ترى في ظهره حدبا
فقال أما لبخلك من ... طعامٍ يذهب السغبا
فصد لأخيك يربوعاً ... وضبًّا واترك اللعبا
فرشت له قريح المس ... ك والنسرين والغربا
فأمسك أنفه عنها ... وقام مولياً هربا
يشم الشيح والقيصو ... م كي يستوجب النسبا
وقام إليه ساقينا ... بكأسٍ تنظم الحببا
معتقةٍ مروقةٍ ... تسلي هم من شربا
فآلى لا يسلسلها ... وقال اصبب لنا حلبا
وقد أبصرته دهراً ... طويلاً يشتهي الأدبا
فصار تشبهاً بالقو ... م جلفاً جافياً جشبا
إذا ذكر البرير بكى ... وأبدى الشوق والطربا
وليس ضميره في القو ... م إلا التين والعنبا
جحدت أباك نسبته ... وأرجو أن تفيد أبا

قال علي بن سليمان: وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعلي بن الخليل في هذا الذكر، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعلي، قال:

يأيها الراغب عن أصله ... ما كنت في موضع تهجين
متى تعربت وكنت امرأً ... من الموالى صالح الدين
لو كنت إذ صرت إلى دعوة ... فزت من القوم بتمكين
لكف من وجدي ولكنني ... أراك بين الضب والنون
فلو تراه صارفاً أنفه ... من ريح خيريٍّ ونسرين
لقلت جلفٌ من بني دارمٍ ... حن إلى الشيح بيبرين

دعموص رمل زل عن صخرةٍ يعاف أرواح البساتين
تنبو عن الناعم أعطافه والخز والسنجاب واللين

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً، قالا: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان علي بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية لعتبة مولاة المهدي، فمرت به عتبة في موكبها والجارية معها، فوقفت عليه وسلمت، وسألت عن خبره، فلم يوفها حق الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما انصرفت أقبل عليه علي بن الخليل، فقال له:

راقب بطرفك من تخا ف إذا نظرت إلى الخليل
فإذا أمنت لحاظهم فعليك بالنظر الجميل
إن العيون تدل بالن ظر المليح على الدخيل
إما على حبٍّ شدي دٍ أو على بغضٍ أصيل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: كان علي بن الخليل يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور، فكتب إليه والبة بن الحباب يدعوه، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومه ذلك عنه، ويصف له طيب مجلسه وغناءً حصله وغلاماً دعاه، فكتب إليه علي بن الخليل:

أما ولحاظ جارية تذيب حشاشة المهج
وسحر جفونها المضني ك بين الفتر والدعج
مليحة كل شيء ما خلا من خلقها السمج
وحرمة دنك المبزو ل والصهباء منه تجي
كأن مجيئها في الكأ س حين تصب من ودج
لو انعرج الأنام إلى بشاشة مجلسٍ بهج
وكنت بجانب جدبٍ لكان إليك منعرجي

وصار إليه في إثر الرقعة.

أخبار محمد الزف

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم، كوفي الأصل والمولد والمنشأ، والزف: لقب غلب عليه، وكان مغنياً ضارباً طيب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذاً للغناء، وأصحهم أداء له، وأذكاهم، إذا سمع

الصوت مرتين أو ثلاثاً أداه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، فكانا يرفعان منه، ويقدمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء، وكانت فيه عربدة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرة فأمر بإخراجه، ومنعه من الوصول إليه، وجفاه وتناساه، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين.

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل.

أخبرني ابن جعفر جحظة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد:

جسورٌ على هجري جبانٌ على وصلي ... كذوب غدا يستتبع الوعد بالمطل

مقدم رجل في الوصال مؤخر ... لأخرى يشوب الجد في ذاك بالهزل

يهم بنا حتى إذا قلت قد دنا ... وجاد ثني عطفاً ومال إلى البخل

يزيد امتناعاً كلما زدت صبوةً ... وأزداد حرصاً كلما ضن بالبذل

فأحسن فيه ما شاء وأجمل، فغمزت عليه محمداً الزف، وفطن لما أردت، واستحسنه الرشيد، وشرب عليه، واستعاده مرتين أو ثلاثاً، ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءني، وأومأت إلى مخارق وعلويه وعقيد فجاءوني، فأمرته بإعادة الصوت، فأعاده وأداه كأنه لم يزل يرويه، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنوه ودار لهم، ثم عدت إلى المجلس، فلما انتهى الدور إلي بدأت فغنيته قبل كل شيء غنيته، فنظر إلي ابن جامع محدداً نظره، وأقبل علي الرشيد فقال: أكنت تروي هذا الصوت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال ابن جامع: كذب والله، ما أخذه إلا مني الساعة. فقلت: هذا صوت أرويه قديماً، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني، وأقبلت عليه، فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال، ما سمع منه قبل ذلك الوقت، فأقبل علي فقال: بحياتي اصدقني عن القصدة، فصدقته، فجعل يضحك ويصفق ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامعٍ الزف.

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أول بالبنصر، والصنعة لابن جامع من رواية الهشامي وغيره.

قال أبو الفرج: وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية، فقال فيه قال: محمد الزف أروى خلق الله للغناء، وأسرعهم أخذاً لما سمعه منه، ليست عليه في ذلك كلفة، وإنما يسمع الصوت مرة واحدة وقد أخذه، وكنا معه في بلاء إذا حضر، فكان من غنى منا صوتاً فسأله عدو له أو صديق أن يلقيه عليه، فبخل ومنعه إياه، سأل محمداً الزف أن يأخذه، فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله، فكان أبي يبره ويصله ويجديه من كل جائزة وفائدة تصل إليه، فكان غناؤه عنده حمى مصوناً لا يقربه، ولم يكن طيب المسموع، ولكنه كان أطيب الناس نادرةً، وأملحهم مجلساً، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنين لبخله، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه، وأصغى سمعه إليه، حتى يحكيه، وكان في

ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببر ورفد.

فغنى يوماً بحضرة الرشيد:

أرسلت تقرىء السلام الرباب ... في كتابٍ وقد أتانا الكتاب

فيه لو زرتنا لزرناك ليلاً ... بمنًى حيث تستقل الركاب

فأجبت الرباب قد زرت لكن ... لي منكم دون الحجاب حجاب

إنما دهرك العتاب وذمي ... ليس يبقي على المحب عتاب

ولحنه من الثقيل الأول، فأحسن فيه ما شاء، ونظرت إلى الزف فغمزته وقمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت له: أي شيء عملت؟ فقال: قد فرغت لك منه، قلت: هاته، فرده علي ثلاث مرات، وأخذته وعدت إلى مجلسي، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً، فقاما، وتبعهما فألقاه عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه، فعرفاني أنهما قد أخذاه، فلما بلغ الدور إلي كان الصوت أول شيء غنيته، فحدد الرشيد نظره إلي، ومات ابن جامع وسقط في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه قديماً، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غنياه. فغنياه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إلي، فغمزته بعيني أنه صدق، وجد الرشيد في العبث به بقية يومه، ثم سألني بعد ذلك عن الخبر، فصدقته عنه وعن الزف، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزف، قال حماد: وللزف صنعة يسيرة جيدة منها في الرمل الثاني:

لمن الظعائن سيرهن تزحف ... عوم السفين إذا تقاذف مجذف

مرت بذي حسمٍ كأن حمولها ... نخل بيثرب طلعها متزحف

فلئن أصابتني الحروب لربما ... أدعى إذا منع الرداف فأردف

فأثير غاراتٍ وأشهد مشهدا ... قلب الجبان به يطيش فيرجف

قال: ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة:

إذا شئت غنتني بأجراع بيشةٍ ... أو النخل من تثليث أو من يلملما

مطوقةٌ طوقاً وليس بحليةٍ ... ولا ضرب صواغٍ بكفيه درهما

تبكي على فرخٍ لها ثم تغتدي ... مدلهةً تبغي له الدهر مطعما

تؤمل منه مؤنساً لانفرادها ... وتبكي عليه إن زقا أو ترنما

ومن صنعته في هذه الطريقة:

يا زائرينا من الخيام حياكما الله بالسلام

يحزنني أن أطعتماني ولم تنالا سوى الكلام

بورك هارون من إمامٍ بطاعة الله ذي اعتصام

له إلى ذي الجلال قربى ليس لعدل ولا إمام

وله في هذه الطريقة:

بان الحبيب فلاح الشيب في راسي وبت منفرداً وحدي بوسواس

ماذا لقيت فدتك النفس بعدكم من التبرم بالدنيا وبالناس

لو كان شيء يسلي النفس عن شجن سلت فؤادي عنكم لذة الكاس

بأبي ريمٌ رمى قل بي بألحاظٍ مراض

وحمى عيني أن تل تذ طيب الإغتماض

كلما رمت انبساطاً كف بسطي بانقباض

أو تعالى أملي في ه رماه انخفاض

فمتى ينتصف المظ لوم والظالم قاضي

الشعر لأبي الشبل البرجمي، والغناء لعثعث الأسود، خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه لكثير رمل، ولبنان خفيف رمل.

أخبار أبي الشبل ونسبه

نسبه

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتأدب بالبصرة.

مجونه واتصاله بالمتوكل

أخبرني بذلك الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن علي بن الحسن الأعرابي.

وقدم إلى سر من رأي في أيام المتوكل ومدحه، وكان طبا نادراً، كثير الغزل ماجنا، فنفق عند المتوكل بإيثاره العبث، وخدمه، وخص به، فأثرى وأفاد، فذكر لي عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان عن أبيه أنه لما مدحه بقوله:

أقبلي فالخير مقبل واتركي قول المعلل

وثقي بالنجح إذ أب بصرت وجه المتوكل

ملك ينصف يا ظا لمتي فيك ويعدل

فهو الغاية والمأ مول يرجوه المؤمل

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتاً، فانصرف بثلاثين ألف درهم.

الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكي رمل بالبنصر.

أخبرني يحيى بن علي، عن أبي أيوب المديني، عن أحمد بن المكي قال: غنيت المتوكل صوتاً شعره لأبي الشبل البرجمي وهو:

أقبلي فالخير مقبل ودعي قول المعلل

فأمر لي بعشرين ألف درهم، فقلت: يا سيدي أسأل الله أن يبلغك الهنيدة، فسأل عنها الفتح فقال: يعني مائة سنة، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى.

وحدثنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن المكي مثله.

دعنه جاريته فقال شعراً حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهروية قال: حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب الشاعر، وهو القائل:

اقبلي فالخير مقبل ودعي قول المعلل

قال: كانت لي جارية اسمها سكر، فدخلت يوماً منزلي ولبست ثيابي لأمضي إلى دعوة دعيت إليها، فقالت: أقم اليوم في دعوتي أنا، فأقمت وقلت:

أنا في دعوة سكر والهوى ليس بمنكر

كيف صبري عن غزالٍ وجهه دلو مقير

فلما سمعت الأول ضحكت وسرت، فلما أنشدها البيت الثاني قامت إلى تضربني وتقول لي: هذا البيت الأخير الذي فيه "دلوٌ" لمالك ، لولا الفضول؛ فما زالت -يعلم الله- تضربني حتى غشي علي.

مدحه مالك بن طوق ثم ذمه

ذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأسدي حدثه قال: مدح أبو الشبل مالك بن طوق بمدح عجيب، وقدر منه ألف درهم، فبعث إليه صرة مختومة فيها مائة دينار، فظنها دراهم، فردها وكتب معها قوله:

فليت الذي جادت به كف مالكٍ ومالك مدسوسان في أست أم مالك

فكان إلى يوم القيامة في أستها فأيسر مفقودٍ وأيسر هالك

وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره، فأحضر، فقال له: يا هذا ظلمتنا واعتديت علينا، فقال: قد قدرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائه درهم، فقال: افتحها، ففتحتها فإذا فيها مائة دينار، فقال: أقلني أيها الأمير. قال: قد أقلتك، ولك عندي كل ما تحب أبداً ما بقيت وقصدتني.

رثاؤه لطبيب

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: قال لي أبو الشبل البرجمي: كان في جيراني طبيب أحمق، فمات فرثيته فقلت:

قد بكاه بول المريض بدمعٍ ... واكفٍ فوق مقلتيه ذروف

ثم شقت جيوبهن القواري ... ر عليه ونحن نوح اللهيف

ياكساد الخيار شنبر والأق ... راص طراً ويا كساد السفوف

كنت تمشي مع القوي فإن جا ... ء ضعيفٌ لم تكترث بالضعيف

لهف نفس على صنوف رقاعا ... تٍ تولت منه وعقلٍ سخيف

عبثه بخالد بن الوليد

حدثنا الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا أبو الشبل قال: إن خالد بن يزيد بن هبيرة كان يشرب النبيذ، فكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها لهب، فكانت تغشانا معه، فكنت أعبث بهما كثيراً ويشتماني، فقام مولاها يوماً إلى الخابية يستقي نبيذاً، فإذا قميصه قد أنشق، فقلت فيه:

قالت له لهبٌ يوماً وجادلها ... بالشعر في باب فعلان ومفعول

أما القميص فقد أودى الزمان به ... فليت شعري ما حال السراويل؟

فبلغ الشعرأبا الجهم أحمد بن يوسف فقال:

حال السراويل حالٌ غير صالحة ... تحكي طرائقه نسج الغرابيل

وتحته حفرة قوراء واسعة ... تسيل فيها ميازيب الأحاليل

قال أبو الشبل: وكانت أم خالد هذا ضراطة، تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع، فقلت فيه:

في الحي من لا عدمت خلته ... فتى إذا ما قطعته وصلا

له عجوز بالحبق أبصر من ... أبصرته ضارباً ومرتجلا

نادمتها مرة وكنت فتى ... ما زلت أهوى وأشتهي الغزلا

حتى إذا ما أمالها سكر يبعث في قلبها لها مثلا
اتكأت يسرة وقد حرقت أشرجها كي تقوم الرملا
فلم تزل بأستها تطارحني اسمع إلى من يسومني العللا

عرض شعره على المازني فذمه

حدثني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل قال: لما عرض لي الشعر أتيت جاراً لي نحوياً وأنا يومئذ حديث السن أظنه قال إنه المازني فقلت له: إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدره بشيء من الشعر، فكره أن يظهره حتى تسمعه. قال: هاته، وكنت قد قلت شعراً ليس بجيد، إنما هو قول مبتدىء، فأنشدته إياه، فقال: من العاض بظر أمه القائل لهذا؟ فقمت خجلاً، فقلت لأبي الشبل: فأي شيء قلت له أنت؟ قال: قلت في نفسي: أعضك الله بظر أمك وبهضك

بعض نوادره

أخبرني عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان قال: كنت أرىأبا الشبل كثيراً عند أبي، وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره، فقال له أبي يوماً: حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك؛ قال: نعم، من طرائف أموري أن أبيني زنى بجارية سندية لبعض جيراني، فحبلت وولدت، وكانت قيمة الجارية عشرين ديناراً، فقال: يا أبت، الصبي والله أبني، فساومت به، فقيل لي: خمسون ديناراً، فقلت له: ويلك! كنت تخبرني الخبر وهي حبلى فأشتريها بعشرين ديناراً، ونربح الفضل بين الثمنين، وأمسكت عن المساومة بالصبي حتى اشتريته من القوم بما أرادوا. ثم أحبلها ثانياً فولدت له ابناً آخر، فجاءني يسألني أن أبتاعه، فقلت له: عليك لعنة الله، ما يحملك أن تحبل هذه؟ فقال: يا أبت لا أستحب العزل ، وأقبل على جماعة عندي يعجبهم مني، ويقول: شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحله! فقلت له: يا بن الزانية، تستحل الزنا وتتحرج من العزل! فضحكنا منه.

خبره مع خمار يهودي

وقلت له: وأي شيء أيضاً؟ قال: دخلت أنا ومحمود الوراق إلى حانة يهودي خمار، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً، فظنناه خمراً بنت عشر، قد أنضجها الهجير فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا، فقلت له: أشرب معنا، قال: لا أستحل شرب الخمر، فقال لي محمود: ويحك! رأيت أعجب مما نحن فيه. يهودي يتحرج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أجل، والله لا نفلح أبداً، ولا يعبأ الله بنا، ثم شربنا حتى سكرنا، وقمنا في الليل فنكنا بنته وامرأته وأخته، وسرقنا ثيابه، وخرينا في نقيرات نبيذٍ له وانصرفنا.

هجاؤه هبة الله بن إبراهيم

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: أخبرنا عون بن محمد الكندي، قال: وقعت لأبي الشبل البرجمي إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهدي حاجة فلم يقضها فهجاه، فقال:

صلف تندق منه الرقبة ومساوٍ لم تطقها الكتبة

كلما بادره ركبٌ بما يشتهيه منه نادى يا أبه

ليته كان التوى الفرج به لم يزد في هاشم هذي هبه

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمى بدراً، وكان غالباً على أمره.

حدثني الصولي قال: حدثني القاسم بن إسماعيل قال: قال رأى أبو الشبل إبراهيم بن العباس يكتب، فأنشأ يقول:

ينظم اللؤلؤ المنثور منطقه وينظم الدر بالأقلام في الكتب

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل البرجمي قال: حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إلي محسناً، وعلي مفضلاً، فجرى ذكر البرامكة، فوصفهم الناس بالجود وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا، فقمت في وسط المجلس، فقلت لعبيد الله: أيها الوزير، إني قد حكمت في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتي شعر لا يقدر أحد أن يرده علي، وإنما جعلته شعراً ليدور ويبقى، فيأذن الوزير في إنشادهما قال: قل، فرب صواب قد قلته، فقلت:

رأيت عبيد الله أفضل سوددا وأكرم من فضل ويحيى بن خالد

أولئك جادوا والزمان مساعد وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

فتهلل وجه عبيد الله وظهر السرور فيه، وقال: أفرطت أبا الشبل، ولا كل هذا، فقلت: والله ما حابيتك أيها الوزير و لا قلت إلا حقا، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعلي الخلع، وتحتي دابة بسرجه ولجامه، وبين يدي خمسة آلاف درهم.

قصته مع جاريتين

حدثني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدثني أبو الشبل الشاعر قال: كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخاسين كانت تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدثت إليها، ثم أنشدتها بيتاً لأبي المستهل شاعر منصور بن المهدي في المعتصم:

أقام الإمام منار الهدى وأخرس ناقوس عموريه

ثم قلت لها: أجيزي؛ فقالت:

كساني الميلك جلابيبه ثياب علاها بسموريه

ثم دعت بطعام فأكلنا، وخرجت من عندها، فمضيت إلى الأخرى، فقالت: من أين ياأبا الشبل؟ فقلت: من عند فلانة، قالت: قد علمت أنك تبدأ بها وصدقت، كانت أجملهما فكنت ابدأ بها ثم قالت: أما الطعام فأعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله، لعلمي بأن تلك لا تدعك تنصرف أو تأكل. فقلت: أجل قالت: فهل لك في الشراب قلت: نعم، فأحضرته و أخذنا في الحديث، ثم قالت: فأخبرني ما دار بينكما؟ فأخبرتها، فقالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، وبيتها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمورية، أفلا قالت:

فأضحى به الدين مستبشراً وأضحت زنادهما واريه

فقلت: أنت والله أشعر منها في شعرها، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك. والله أعلم.

شعره في الشيب

أخبرنا الحسن قال: حدثنا ابن مهروية قال: أنشدني أبو الشبل لنفسه:

عذيري من جواري الحي إذ يرغبن عن وصلي

رأين الشيب قد ألب سني أبهة الكهل

فأعرضن وقد كن إذا قيل أبو الشبل

تساعين فرقعن ال كوى بالأعين النجل

قال: وهذا سرقه من قول العتبي:

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضن عني بالحدود النواضر

وكن إذا أبصرنني أو سمعني سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

خبره مع حاتم بن الفرج

حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل قال: كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني، وكان أهتم، قال أبو الشبل: وأنا أهتم؛ وهكذا كان أبي وأهل بيتي، لا تكاد تبقى في أفواهم حاكة ، فقال أبو عمر أحمد بن المنجم:

لحاتم في بخله فطنة أدق حساً من خطا النمل

قد جعل الهتمان ضيفاً له فصار في أمن من الأكل

ليس على خبر امرىء ضيعة أكيله عصم أبو الشبل

ما قدر ما يحمله كفه إلى فم من سنه عطل
فحاتم الجود أخو طيىء مضى وهذا حاتم البخل

شعره في جارية سوداء يحبها

أخبرني بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيناء قال: كانت لأبي الشبل البرجمي جارية سوداء، وكان يحبها حباً شديداً، فعوتب فيها، فقال:

غدت بطول الملام عاذلة تلومني في السواد والدعج
ويحك كيف السلو عن غرر مفترقات الأرجاء، كالسبح
يحملن بين الأفخاذ أسنمة تحرق أوبارها من الوهج
لا عذب الله مسلماً بهم غيري ولا حان منهم فرجي
فإنني بالسواد مبتهج وكنت بالبيض غير مبتهج

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب قال: حدثني أبو هريرة البصري النحوي الضرير قال: كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يعابث قينة لهاشم النحوي يقال لها خنساء، وكانت تقول الشعر، فعبث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها، فقالت له: ليت شعري، بأي شيء تدل؟ أنا والله أشعر منك، لئن شئت لأهجونك حتى أفضحك، فأقبل، عليها وقال:

حسناء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مجير
تاهت بأشعارها علينا كأنما ناكها جرير

قال: فخجلت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه.

شعره في ذم المطر

قال عمي: قال أحمد بن الطيب: حدثني أبو هريرة هذا قال: حدثني أبو الشبل أنها وعدته أن تزوره في يوم بعينه كان مولاها غائباً فيه، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطر منعها من الوفاء بالموعد، قال: فقلت أذم المطر:

دع المواعيد لا تعرض لوجهتها إن المواعيد مقرون بها المطر
إن المواعيد والأعياد قد منيت منه بأنكد ما يمنى به بشر
أما الثياب فلا يغررك إن غسلت صحو شديد ولا شمس ولا قمر
وفي الشخوص له نوء وبارقة وإن تبيت فذاك الفالج الذكر

وإن هممت بأن تدعو مغنية فالغيث لا شك مقرون به السحر

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم، فأمره عبيد بقضاء حاجة كان أبو الشبل البرجمي سأله إياها، فأخرها نسيم، فشكاه إلى عبيد الله، فأمر عبيد الله غلاماً آخر فقضاها بين يديه، فقال أبو الشبل يهجو نسيماً:

قل لنسيم أنت في صورة خلقت من كلب وخنزيره
رعيت دهراً بعد أعفاجها في سلح مخمور ومخموره
حتى بدا رأسك من صدغها زانية بالفسق مشهوره
لا تقرب الماء إذا أجنبت ولا ترى أن تقرب النوره
ترى نبات الشعر حول أستها درابزيناً حول مقصوره

حدثني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني ابن مهرويه قال: كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دلقيش، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه، فقال أبو الشبل فيه:

لابن حماد أياد عندنا ليست بدون
عنده جارية تشفي من الداء الدفين
ولها في رأس مولاها أكاليل قرون
ذات صدع حاتمي الفعل في كن مكين
لا يرى منع الذي يحوي ولو أم البنين

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب قال: حدثني أبو هريرة النحوي قال: كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشاً للأضحى، فجعل يعلفه ويسمنه، فأفلت يوماً على قنديل له كان يسرجه بين يديه، وسراج وقارورة للزيت، فنطحه فكسره، وانصب الزيت على ثيابه وكتبه وفراشه، فلما عاين ذلك ذبح الكبش قبل الأضحى، وقال يرثي سراجه:

يا عين بكي لفقد مسرجةٍ كانت عمود الضياء والنور
كانت إذا ما الظلام ألبسني من حندس الليل ثوب ديجور
شقت بنيرانها غياطله شقا دعا الليل بالدياجير
صينية الصين حين أبدعها مصور الحسن بالتصاوير

وقبل ذا بدعة أتيح لها ... من قبل الدهر قرن يعفور

وصكها صكة فما لبثت ... أن وردت عسكر المكاسير

وإن تولت فقد لها تركت ... ذكراً سيبقى على الأعاصير

من ذا رأيت الزمان ياسره ... فلم يشب يسره بتعسير

ومن أباح الزمان صفوته ... فلم يشب صفوه بتكدير

مسرجتي لو فديت ما بخلت ... عنك يد الجود بالدنانير

ليس لنا فيك ما نقدره ... لكنما الأمر بالمقادير

مسرجتي كم كشفت من ظلم ... جليت ظلماءها يتنوير

وكم غزال على يديك نجا ... من دق خصييه بالطوامير

من لي إذا ما النديم دب إلى ... الندمان في ظلمة الدياجير

وقام هذا يبوس ذاك، وذا ... يعنق هذا بغير تقدير

وأزدوج القوم في الظلام فما ... تسمع إلا الرشاء في البير

فما يصلون عند خلوتهم ... إلا صلاة بغير تطهير

أوحشت الدار من ضيائك وال ... بيت إلى مطبخ وتنور

إلى الرواقين فالمجالس فال ... مربد مذ غبت غير معمور

قلبي حزين عليك إذ بخلت ... عليك بالدمع عين تنمير

إن كان أودى بك الزمان فقد ... أبقيت منك الحديث في الدور

دع ذكرها واهج قرن ناطحها ... وأسرد أحاديثه بتفسير

كان حديثي أني اشتريت فما اش ... تريت كبشاً سليل خنزير

فلم أزل بالنوى أسمنه ... والتبن والقت والأثاجير

أبرد الماء في القلال له ... واتقي فيه كل محذور

تخدمه طول كل ليلتها ... خدمة عبد بالذل مأسور

وهي من التيه ما تكلمني ال ... فصيح إلا من بعد تفكير

شمس كأن الظلام ألبسها ... ثوباً من الزفت أو القير

من جلدها خفها وبرقعها ... حوراء في غير خلقة الحور

فلم يزل يغتذي السرور، وما ال ... محزون في عيشةٍ كمسرور

حتى عدا طوره، وحق لمن ... يكفر نعمى بقرب تغيير

فمد قرنيه نحو مسرجة ... تعد في صون كل مذخور

شد عليها بقرن ذي حنقٍ ... معودٍ للنطاح مشهور

وليس يقوى بروقه جبل ... صلد من الشمخ المذاكير

فكيف تقوى عليه مسرجة ... أرق من جوهر القوارير

تكسرت كسرة لها ألم ... وما صحيح الهوى كمكسور

فأدركته شعوب فأنشعبت ... بالروع والشلو غير مقتور

أديل منه فأدركته يد ... من المنايا بحد مطرور

يلتهب الموت في ظباه كما ... تلتهب النار في المساعير

ومزقته المدى فما تركت ... كف القرا منه غير تعسير

وأغتاله بعد كسرها قدر ... صيره نهزه السنانير

فمزقت لحمه براثنها ... وبذرته أشد تبذير

واختلسته الحداء خلساً مع ال ... غربان لم تزدجر لتكبير

وصار حظ الكلاب أعظمه ... تهشم أنحاءها بتكسير

كم كاسر نحوه وكاسرة ... سلاحها في شفا المناقير

وخامع نحوه وخامعة ... سلاحها في شبا الأظافير

قد جعلت حول شلوه عرساً ... بلا افتقار إلى مزامير

ولا مغن سوى هماهمها ... إذا تمطت لوارد العير

يا كبش ذق إذ كسرت مسرجتي ... لمدية الموت كأس تنحير

بغيت ظلماً والبغي مصرع من ... بغى على أهله بتغيير

أضحية ما أظن صاحبها ... في قسمه لحمها بمأجور

أخبرني الحسن بن علي الشيباني قال: دخلت على أبي الشبل يوماً فوجدت تحت مخدته ثلث قرطاس، فسرقته منه و لم يعلم بي، فلما كان بعد أيام جاءني فأنشدني لنفسه يرثي ذلك الثلث القرطاس.

فكر تعتري وحزن طويل ... وسقيم أنحى عليه النحول

ليس يبكي رسماً ولا طللا مح ... كما تندب الربا والطلول

إنما حزنه على ثلث كا ... ن لحاجاته فغالته غول

كان للسر والأمانة والكت ... مان إن باح بالحديث الرسول

كان مثل الوكيل في كل سوق ... إن تلكا أو مل يوماً وكيل

كان للهم إن تراكم في الصد ... ر فلم يشف من عليل غليل

لم يكن يبتغي الحجاب من الحجاب ... إن قيل ليس فيها دخول

إن شكا حاجباً تشدد في الإذ ... ن فللحاجب الشقي العويل

يرفع الخير عنه والرزق والكس ... وة فهو المطرود وهو الذليل

كان يثنى في جيب كل فتاة ... دونها خندق وسور طويل

يقف الناس وهو أول من يد ... خله القصر غادة عطبول

فإذا أبرزته باح به في ال ... قصر مسك وعنبر معلول

وله الحب والكرامة ممن ... بات صبا والشم والتقبيل

ليس كالكاتب الذي بأبي الخطاب يكنى قد شابه التطفيل

ذا كريم يدعى، وهذا طفيلي ... وهذا وذا جميعاً دليل

ذاك بالبشر والجماعة يلقى ... ولهذا الحجاب والتنكيل

لم يفد وفده الزمان على الأل ... سن منه عطف ولا تنويل

كان مع ذا عدل الشهادة مقبو ... لاً إذا عز شاهداً تعديل

وإذا ما التوى الهوى بالأليفي ... ن فلم يرع واصلاً موصول

فهو الحاكم الذي قوله بي ... ن الأليفين جائز مقبول

فلئن شتت الزمان به شم ... ل دواتي وحان منه رحيل

لقديماً ما شتت البين والأل ... فة من صاحب، فصبر جميل

لا تلمني على البكاء عليه إن فقد الخليل خطب جليل

قال: فرددته عليه، وكان اتهم به أبا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة، فقال لي: ويلك، نحيت ووقع أبو الخطاب بلا ذنب، ولو عرفت أنك صاحبها لكان هذا لك، ولكنك قد سلمت.

أخبار عثعث

نسبه كان عثعث أسود مملوكاً لمحمد بن يحيى بن معاذ، ظهر له منه طبع وحسن أخذ وأداء، فعلمه الغناء، وخرجه وأدبه، فبرع في صناعته، ويكنىأبا دليجة وكان مأبوناً؛ والله أعلم.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن ميمون بن هارون قال: حدثني عثعث الأسود، قال: مخارق كناني بأبي دليجة، وكان السبب في ذلك أن أول صوت سمعني أغنيه:

أبا دليجة من توصي بأرملة أو من لأشعث ذي طمرين ممحال

فقال لي: أحسنت ياأبا دليجة، فقبلها وقبلت يده: أنا يا سيدي أبا المهنا؛ أتشرف بهذه الكنية إذا كانت نحلة منك. قال ميمون: وكان مخارق يشتهي غناؤه ويحزنه إذا سمعه.

ما وقع له في مجلس غناء قال أبو الفرج: نسخت من كتاب علي بن محمد بن نصر بخطه، حدثني يعني ابن حمدون قال: كنا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكل، وقد عزمنا على الصبوح ومعنا جعفر بن المأمون، وسليمان بن وهب، وإبراهيم بن المدبر، وحضرت عريب وشارية وجواريهما، ونحن في أتم سرور، فغنت بدعة جارية عريب:

أعاذلتي أكثرت جهلاً من العذل على غير شيء من ملامي وفي عذلي

والصنعة لعريب؛ وغنت عرفان:

إذا رام قلبي هجرها حال دونه شفيعان من قلبي لها جدلان

والغناء لشارية، وكان أهل الظرف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين: عريبية وشارية ، فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح، وعريب وشارية ساكتتان لا تنطقان، وكل واحدة من جواريهما تغني صنعة ستها لا تتجاوزها، حتى غنت عرفان:

بأبي من زارني في منامي فدنا مني وفيه نفار

فأحسنت ما شاءت، وشربنا جميعاً، فلما أمسكت قالت عريب لشارية: يا أختي لمن هذا اللحن؟ قالت لي، كنت صنعته في حياة سيدي، تعني إبراهيم بن المهدي، وغنيته إياه فاستحسنه، وعرضه على إسحاق فاستحسنوه، فأسكتت عريب، ثم قالت لأبي عيسى: احب يا بني فديتك أن تبعث إلى عثعث فتجيئني به، فوجّه إليه، فحضر وجلس، فلما اطمأن وشرب وغنى، قالت له: ياأبا دليجة أو تذكر صوت زبير بن دحمان عندي وأنت حاضر،

فسألته أن يطرحه عليك؟ قال: وهل تنسى العذراءأبا عذرها ، نعم، والله إني لذاكره حتى كأننا أمس افترقنا عنه. قالت: فغنه، فاندفع فغنى الصوت الذي ادعته شارية حتى استوفاه وتضاحكت عريب، ثم قالت لجواريها: خذوا في الحق، ودعونا من الباطل، وغنوا الغناء القديم. فغنت بدعة وسائر جواري عريب، وخجلت شارية وأطرقت وظهر الانكسار فيها، و لم تنتفع هي يومئذ بنفسها، ولا أحد من جواريها ولا متعصبيها أيضا بأنفسهم.

قال: وحدثني يحيى بن حمدون قال: قال لي عثعث الأسود: دخلت يوماً على المتوكل هو مصطبح وابن المارقي يغنيه قوله:

أقاتلتي بالجيد والقد والخد وباللون في وجه أرق من الورد

وهو على البركة جالس، قد طرب واستعاده الصوت مراراً وأقبل عليه، فجلست ساعة ثم قمت لأبول، فصنعت هزجاً في شعر البحتري الذي يصف فيه البركة:

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وإن علتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولاً حواشيهم

وزادها زينة من بعد زينتها أن اسمه يوم يدعى من أساميها

فما سكت ابن المارقي سكوتاً مستوجباً حتى اندفعت أغني هذا الصوت، فاقبل علي وقال لي : أحسنت وحياتي، أعد، فأعدت، فشرب قدحاً، و لم يزل يستعيدنيه ويشرب حتى اتكأ، ثم قال للفتح: بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار وخلعة تامة واحمله على شهري فاره بسرجه ولجامه، فانصرفت بذلك أجمع.

نسبه ما في هذه الأخبار من الغناء صوت

أعاذلتي أكثرت جهلاً من العذل على غير شيء من ملامي ولا عذلي

نأيت فلم يحدث لي الناس سلوةً ولم ألف طول النأي عن خلة يسلي

عروضه من الطويل، الشعر لجميل، والغناء لعريب، ثقيل أول بالبنصر، ومنها: صوت

إذا رام قلبي هجيرها حال دونه شفيعان من قلبي لها جدلان

إذا قلت لا، قالا بلى، ثم أصبحا جميعاً على الرأي الذي يريان

عروضه من الطويل، والناس ينسبون هذا الشعر إلى عروة بن حزام، وليس له.

الشعر لعليّ بن عمرو الأنصاري، رجل من أهل الأدب والرواية، كان بسرّ من رأى كالمنقطع إلى إبراهيم بن المهدي، والغناء لشارية، ثقيل أول بالوسطى، وقيل إنه من صنعة إبراهيم، ونحلها إياه، وفيه لعريب خفيف رمل بالبنصر.

ومنها: صوت

بأبي من زارني في منامي فدنا مني وفيه نفار
ليلة بعد طوع الثريا وليالي الصيف بتر قصار
قلت هلكي أم صلاحي فعطفاً دون هذا منك فيه الدمار
فدنا مني وأعطى وأرضى وشفى سقمي ولذّ المزار

لم يقع إلينا لمن الشعر، والغناء لزبير بن دحمان، ثقيل أول بالوسطى، وهو من جيّد صنعته وصدور أغانيه.

غناؤه في شعر أخبرني ابن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا أحمد بن طيفور قال: كتب صديق لأحمد بن يوسف الكاتب في يوم دجن: يومنا يومٌ ظريف النواة، رقيق الحواشي، قد رعدت سماؤه وبرقت، وحنت وارجحنّت ، وأنت قطب السرور، ونظام الأمور، فلا تفردنا منك فنقلّ، ولا تنفرد عنا فنذلّ، فإن المرء بأخيه كثير، وبمساعدته جدير. قال: فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل، وحضرهم عثعث بن الأسود، فقال أحمد: صوت

أرى غيماً يؤلّفه جنوب وأحسبه سيأتينا بهطل
فعين الرأي أن تأتي برطلٍ فتشربه وتدعو لي برطل
وتسقيه ندامانا جميعاً فينصرفون عنه بغير عقل
فيوم الغيم يوم الغم إن لم تبادر بالمدامة كل شغل
ولا تكره محرمها عليها فإني لا أراه لها بأهل

قال: وغنى فيه عثعث اللحن المشهور الذي يغنى به اليوم صوت

ترى الجند والأعراب يغشون بابه كما وردت ماء الكلاب هواملة
إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحباً لجوا الدار حتى يقتل الجوع قاتله

عروضه من الطويل. الهوامل: التي لا رعاء لها، ولجوا: أدخلوا، يقال: ولج يلج ولجاً. وقوله: حتى يقتل الجوع قاتله: أي يطعمكم فيذهب جوعكم، جعل الشبع قاتلاً للجوع.

الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار عبد الله الزبير ونسبه

نسبه عبد الله بن الزبير بن الأشم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

أخبرني بذلك أحمد عن الخراز عن أبن الأعرابي؛ وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأموية، وكان

من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتي به أسيراً فمن عليه ووصله وأحسن إليه، فمدحه وأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قتل مصعب ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان، ويكنى عبد الله أبا كثير، وهو القائل يعني نفسه:

فقالت :ما فعلتأبا كثير أصح الود أم أخلفت بعدي؟

وهو أحد الهجائين للناس، المرهوب شرهم.

خبره مع عبد الرحمن بن أم الحكم

قال ابن الأعرابي: كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشيم، من رهط عبد الله بن الزبير دنية ، فخرج عبد الرحمن بن أم الحكم وافداً إلى معاوية، ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد، يقال لأحدهما أكل بن ربيعة من بني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين، وعدي بن الحرث أحد بني العدان من بني نصر، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم لابن الزبير: خذ من بني عمك ديتين لقتيلك، فأبى ابن الزبير، وكان ابن أم الحكم يميل إلى أهل القاتل، فغضب عليه عبد الرحمن ورده عن الوفد من منزل يقال له فياض، فخالف ابن الزبير الطريق إلى يزيد بن معاوية، فعاذ به، فأعاده وقام بأمره، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أم الحكم، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه، فقال فيه أين الزبير قصيدة أولها قوله:

أبى الليل بالمران أن يتصرما كأني أسوم العين نوعاً محرما
ورد بثنييه كأن نجومه صوار تنتهي من إران فقوما
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أمص بنات الدر ثدياً مصرما
وسوق نساء يسلبون ثيابها يهادونها همدان رقا وخثعما
على أي شيء يا لؤي بن غالب تجيبون من أجرى علي وألجما
وهاتوا فقصوا آية تقرءونها أحلت بلادي أن تباح وتظلما
وإلا فأقصى الله بيني وبينكم وولى كثير اللؤم من كان ألأما
وقد شهدتنا من ثقيف رضاعة وغيب عنها الحوم قوام زمزما
بنو هاشم لو صادفوك تجدها مججت ولم تملك حيازيمك الدما
ستعلم إن زلت بك النعل زلة وكل أمرئ لاقي الذي كان قدما
بأنك قد ما طلت أنياب حية تزجي بعينيها شجاعاً وأرقما

وكم من عدو قد أراد مساءتي بغيب ولو لاقيته لتندما
وأنتم بني حام بن نوح أرى لكم شفاهاً كأذناب المشاجر ورما
فإن قلت خالي من قريش فلم أجد من الناس شراً من أبيك وألأما
صغيراً ضغا في خرقة فأمضه مربية حتى إذ أهم وأفطما
رأى جلدة من آل حام متينة ورأساً كأمثال الجريب مؤوما
وكنتم سقيطاً في ثقيف، مكانكم بني العبد، لا توفي دماؤكمودما

شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة قال ابن الأعرابي: ثم عزل ابن أم الحكم عن الكوفة، ووليها عبيد الله بن زياد، فقال ابن الزبير:

أبلغ عبيد الله عني فإنني رميت ابن عوذ إذ بدت لي مقاتله
على قفرة إذ هابه الوفد كلهم ولم أك أشوي القرن حين أناضله
وكان يماري من يزيد بوقعة فما زال حتى استدرجته حبائله
فتقصيه من ميراث حرب ورهطة وآل إلى ما ورثته أوائله
وأصبح لما أسلمته حبالهم ككلب القطار حل عنه جلاجله

ونسخت من كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة، قال يحيى بن حازم وحدثنا علي بن صالح صاحب المصلى عن القاسم بن معدان: أن عبد الرحمن بن أم الحكم غضب على عبد الله بن الزبير الأسدي لما يلغه أنه هجاه، فهدم داره، فأتى معاوية فشكاه إليه، فقال له: كم كانت قيمة دارك؟ فاستشهد أسماء بن خارجة ، وقال له: سله عنها؛ فسأله؛ فقال: ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها، ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج ،فأمر له معاوية بألف درهم، قال: وإنما شهد له أسماء كذلك ليرفده عند معاوية، و لم تكن داره إلا خصائص قصب.

وكان عبد الرحمن بن أم الحكم لما ولي الكوفة أساء بها السيرة، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة، فسألته امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركته يسأل إلحافاً، وينفق إسرافاً، وكان محمقاً ، ولاه معاوية خاله عدة أعمال، فذمه أهلها وتظلموا منه، فعزله وأطرحه ، وقال له: يا بني، قد جهدت أن أنفقك وأنت تزداد كساداً .

وقالت له أخته أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب: يا أخي، زوج ابني بعض بناتك؛ فقال: ليس لهن بكفء؛ فقالت له: زوجني أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك؛ وأنا خير من بناتك، فقال لها: يا أخية، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهي الزبيب، وقد كثر الآن الزبيب عندنا، فلن نزوج إلا كفئاً خبره مع عمرو بن

عثمان بن عفان حدثنا الحسن بن الطيب البلخي قال: حدثني أبو غسان قال: بلغني أن أول من أخذ بعينه في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفان، أتاه عبد الله بن الزبير الأسدي، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثاً، فدعا وكيله وقال: اقترض لنا مالاً؛ فقال: هيهات! ما يعطينا التجار شيئاً. قال: فأربحهم ما شاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم، وثانياً عشرة آلاف، فوجه بها إليه مع تخت ثياب، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

مدحه أسماء بن خارجة أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال: حدثني أحمد بن عرفة المؤدب قال: أخبرني أبو المصبح عادية بن المصبح السلولي قال: أخبرني أبي قال: كان عبد الله بن الزبير الأسدي قد مدح أسماء بن خارجة الفزاري فقال:

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

فاثابه أسماء ثواباً لم يرضه، فغضب وقال يهجوه:

بنت لكم هند بتلذيع بظرها دكاكين من جص عليها المجالس
فوالله لولا رهز هند ببظرها لعد أبوها في اللئام العوابس

فبلغ ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذر من فعله بضيقة شكاها، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة في كل سنة، واقتطعه جنتيه، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله. وكان أسماء يقول لبنيه: والله ما رأيت قط جصاً في بناء ولا غيره إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت.

حبسه ابن أم الحكم وشعره أخبرني عمي عن ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابي قال: حبس ابن أم الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير في جناية وضعها عليه، وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إياه، فاستغاث بأسماء بن خارجة، فلم يزل يلطف في أمره، ويرضي خصومه ويشفع إلى ابن أم الحكم في أمره حتى يخلصه، فاطلق شفاعته، وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التي أولها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزبير، يقول فيها:

ألم تر أن الجود أرسل فأنتقى حليف صفاء وأتلى لا يزايله
تخير أسماء بن حصن فبطنت بفعل العلا أيمانه وشمائله
ولا مجد إلا مجد أسماء فوقه ولا جرى إلا جري أسماء فاضله

ومحتمل ضغنا لأسماء لو جرى ... بسجلين من أسماء فارت اباجله
عوى يستجيش النابحات وإنما ... بأنيابه صم الصفا وجنادله
وأقصر عن مجراة أسماء سعيه ... حسيراً كما يلقي من الترب ناخله
وفضل أسماء بن حصن عليهم ... سماحة أسماء بن حصن ونائله
فمن مثل أسماء بن حصن إذا غدت ... شآبيبه أم أي شيء يعادله
وكنت إذا لاقيت منهم حطيطة ... لقيت أبا حسان تندى أصائله
تضيفه غسان يرجون سيبه ... وذو يمن أحبوشه ومقاوله
فتى لا يزال الدهر ما عاش مخصباً ... ولو كان المومأة تخدي رواحله
فأصبح :ما في الأرض خلق علمته ... من الناس إلا باع أسماء طائله
تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ترى الجند والأعراب يغشون بابه ... كما وردت ماء الكلاب نواهله
إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحبا ... لجو الباب حتى يقتل الجوع قاتله
ترى البازل البختي فوق خوانه ... مقطعة أعضاؤه ومفاصله

إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي ... تحلب كفاه الندى وأنامله
تراهم كثيراً حين يغشون بابه ... فتسترهم جدرانه ومنازله

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم.

شعره بين يدي عبيد الله بن زياد أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا العباس بن ميمون طائع قال: حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، وقال ابن الأعرابي أيضاً: دخل عبد الله بن الزبير على عبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشأم، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

حنت قلوصي وهناً بعد هدأتها ... فهيجت مغرماً صبا على الطرب
حنت إلى خير من حث المطي له ... كالبدر بين أبي سفيان والعتب
تذكرت بقرى البلقاء نائله ... لقد تذكرته من نازح عزب
والله ما كان بي لولا زيارته ... وأن ألاقي أبا حسان من أرب
حنت لترجعني خلفي فقلت لها ... هذا أمامك فالقيه فتى العرب

لا يحسب الشر جاراً لا يفارقه ولا يعاقب عند الحلم بالغضب

من خير بيت علمناه وأكرمه كانت دماؤهم تشفى من الكلب

قال ابن الأعرابي: كانت العرب تقول : من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه إلى أن يسقى من دم ملك فيقول: إنه من أولاد الملوك.

بقية أخبار عبد الله بن الزبير معاونة ابن زياد على قتل هانىء بن عروة أخبرني أحمد بن عيسى العجلي بالكوفة قال: حدثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال: حدثنا مضر بن مزاحم، عن عمرو بن سعد، عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الحارث بن محمد قال: حدثنا ابن سعد عن الواقدي، وذكر بعض ذلك ابن الأعرابي في روايته عن المفضل، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين، أن المختار بن أبي عبيد خطب الناس يوماً على المنبر فقال: لتنزلن نار من السماء، تسوقها ريح حالكة دهماء، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكر قبيح عند الشيعة، يعدونه في قتلة الحسين عليه السلام، لما كان من معاونته عبيد الله بن زياد على هانىء بن عروة المرادي حتى قتل، وحركته في نصرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد ذكر ذلك شاعرهم فقال:

أيركب أسماء الهماليج آمنا وقد طلبته مذحج بقتيل!

يعني بالقتيل هانىء بن عروة المرادي، وكان المختار يحتال ويدبر في قتله من غير أن يغضب قيساً فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أوقد سجع بي أبو إسحاق! لا قرار على زأر من الأسد ،وهرب إلى الشأم، فأمر المختار بطلبه ففاته، فأمر بهدم داره، فما تقدم عليها مضري بتة لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس، فتولت ربيعة واليمن هدمها، وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار ، فقال في ذلك عبد الله بن الزبير :

تأوب عين ابن الزبير سهودها وولى على ما قد عراها هجودها

كأن سواد العين أبطن نحله وعادها مما تذكر عيدها

محضرة من نحل جيحان صعبة لوى بجناحيها وليد يصيدها

من الليل وهنأ، أو شظية سنبل أذاعت به الأرواح يذرى حصيدها

إذا طرفت أذرت دموعاً كأنها نثير جمان بان عنها فريدها

وبت كأن الصدر فيه ذبالة شبا حرها القنديل ذاك وقودها

فقلت أناجي النفس بيني وبينها كذاك الليالي نحسها وسعودها

فلا تجزعي مما ألم فإنني أرى سنة لم يبق إلا شريدها

أتاني وعرض الشام بيني وبينها أحاديث والأنباء ينمي بعيدها
بأن أبا حسان تهدم داره لكيز سعت فساقها وعبيدها
جزت مضراً عني الجوازي بفعلها ولا أصبحت إلا بشر جدودها
فما خيركم؟ لا سيداً تنصرونه ولا خائفاً إن جاء يوماً طريدها
أخذلانه في كل يوم كريهة ومسألة ما إن ينادى وليدها

لأمكم الويلات أنى أتيتم جماعات أقوام كثير عديدها
فيا ليتكم من بعد خذلانكم له جوار على الأعناق منها عقودها
ألم تغضبوا تبا لكم إذ سطت بكم مجوس القرى في داركم ويهودها!
تركتم أبا حسان تهدم داره مشيدة أبوابها وحديدها
يهدمها العجلي فيكم بشرطة كما نب في شبل التيوس عتودها
لعمري لقد لف اليهودي ثوبه على غدرة شنعاء باق نشيدها
فلو كان من قحطان أسماء شمرت كتائب من قحطان صعر خدودها
ففي رجب أو غرة الشهر بعده تزوركم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفا دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ففي النار سقياه هناك صديدها

وقال ابن مهرويه: أخبرني به الحسن بن علي عنه، حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي: أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، وبها يومئذ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة، وقتل عمرو بن سعيد، وكان أسماء أموي الهوى، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

تأوب عين ابن الزبير سهودها

وذكر القصيدة بأسرها، وهذا الخبر أصح عندي من الأول، لآن الحسن بن علي حدثني قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب قال: لما ولي مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزبير الأسدي، فقال له: إيه يا بن الزبير، أنت القائل:

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله تصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال: أنا القائل لذلك، وإن الحقين ليأبى العذرة ، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع؛ فقال: أما إني ما أصنع بك إلا خيراً، أحسن إليك قوم فاحببتهم ووليتهم ومدحتهم، ثم أمر له بجائزة وكسوة، ورده إلى منزله مكرماً، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيده بذكره، فلما قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس، فعرف ابن الزبير خبره وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير فاستقبله بوجهه وقال له:

أبا مطر شلت يمين تفرعت بسيفك رأس ابن الحواري مصعب

فقال له ابن ظبيان: فكيف النجاة من ذلك؟ قال: لا نجاة، هيهات! سبق السيف العذل، قال: فكان ابن ظبيان بعد قتله مصعباً لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظه، كان يهول عليه في منامه فلا ينام، حتى كل جسمه ونهك، فلم يزل كذلك حتى مات.

شعره عند عبيد الله بن زياد وقال ابن الأعرابي لما قدم ابن الزبير من الشأم إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه، فأوصله إليه، ثم استاذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها: صوت

أصرم بليلى حادث أم تجنب أم الحبل منها واهن متقضب

أم الود من ليلى كعهدي مكانه ولكن ليلى تستزيد وتعتب

غنى في هذين البيتين حنين ثاني ثقيل عن الهشامي.

ألم تعلمي يا ليل أني لين هضوم وأني عنبس حين أغضب

وأني متى أنفق من المال طارفاً فإني أرجو أن يثوب المثوب

أأن تلف المال التلاد بحقه تشمس ليلى عن كرمي وتقطب

عشية قالت والركاب مناخة بأكوارها مشدودة: أين تذهب؟

أفي كل مصر نازح لك حاجة كذلك ما أمر الفتى المتشعب

فوالله ما زالت تلبث ناقتي وتقسم حتى كادت الشمس تغرب

دعيني ما للموت عني دافع ولا للذي ولى من العيش مطلب

إليك عبيد الله تهوي ركابنا تعسف مجهول الفلاة وتدأب

وقد ضمرت حتى كأن عيونها نطاف فلاة ماؤها متصبب

فقلت لها: لا تشتكي الأين إنه أمامك قرم من أمية مصعب
إذا ذكروا فضل امرىء كان قبله ففضل عبيد الله أثرى وأطيب
وأنك لو يشفي بك القرح لم يعد وأنت على الأعداء ناب ومخلب
تصافى عبيد الله والمجد صفوة ال حليفين ما أرسى ثبير ويثرب
وأنت إلى الخيرات أول سابق فابشر، فقد أدركت ما كنت تطلب
أعني بسجل من سجالك نافع ففي كل يوم سرى لك محلب
فإنك لو إياي تطلب حاجة جرى لك أهل في المقال ومرحب

قال: فقال له عبيد الله وقد ضحك من هذا البيت الأخير: فإني لا أطلب إليك حاجة، كم السجل الذي يرويك؟ قال: نوالك أيها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

شعره في صديقه قال ابن الأعرابي: كان نعيم بن دجانة بن شداد بن حذيفة بن بكر بن قيس بن منقذ بن طريف صديقاً لعبيد الله بن الزبير، ثم تغير عليه، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك:

ألا طرقت رويمة بعد هدء تخطى هول أنمار وأسد
تجوس رحالنا حتى أتتنا طروقاً بين أعراب وجند
فقالت :ما فعلت أبا كثير اصح الود أم أخلفت عهدي؟
كأن المسك ضم على الخزامى إلى أحشائها وقضيب رند
ألا من مبلغ عني نعيماً فسوف يجرب الإخوان بعدي
رأيتك كالشموس ترى قريباً وتمنع مسح ناصية وخد
فإني إن أقع بك لا أهلل كوقع السيف ذي الأثر الفرند
فأولى ثم أولى ثم أولى فهل للدر يحلب من مرد؟

رثاؤه لصديقه أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عيسى بن إسمعيل تينة، وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثني عيسى بن إسمعيل عن المدائني عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: كان عبد الله بن الزبير صديقاً لعمرو بن الزبير بن العوام، فلما أقامه أخوه ليقتص منه بالغ كل ذي حقد عليه في ذلك، وتدسس فيه من يقترب إلى أخيه، وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه شيئاً بينةً، ولا يطالبه بحجة، وإنما يقبل قوله ثم يدخله إليه السجن ليقتص منه، فكانوا يضربونه والقيح ينتضح من ظهره وأكتافه على الأرض لشدة ما يمر به، ثم يضرب وهو على تلك الحال، ثم أمر بأن يرسل عليه الجعلان ، فكانت تدب عليه فتثقب لحمه، وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث، حتى مات على تلك الحال، فدخل الموكل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدح لبن يريد أن

يتسحر به وهو يبكي فقال له: مالك؟ أمات عمرو؟ قال: نعم، قال: أبعده الله، وشرب اللبن، ثم قال: لا تغسلوه ولا تكفنوه، وادفنوه في مقابر المشركين، فدفن فيها، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه ويؤنب أخاه بفعله، وكان له صديقاً وخلاً ونديماً:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ... كبير بني العوام إن قيل من تعني
ستعلم إن جالت بك الحرب جولة ... إذا فوق الرامون أسهم من تغني
فأصبحت الأرحام حين وليتها ... بكفيك أكراشاً تجر على دمن
عقدتم لعمرو عقدة وغدرتم ... بابيض كالمصباح في ليلة الدجن
وكبلته حولا يجود بنفسه ... تنوء به في ساقه حلق اللبن
فما قال عمرو إذ يجود بنفسه ... لضاربه حتى قضى نحبه: دعني
تحدث من لاقيت أنك عائذ ... وصرعت قتلى بين زمزم والركن
جعلتم لضرب الظهر منه عصيكم ... تراوحه، والأصبحية للبطن
تعذر منه الآن لما قتلته ... تفاوت أرجاء القليب من الشطن
فلم أر وفداً كان للغدر عاقداً ... كوفدك شدوا غير موف ولا مسني
وكنت كذات الفسق لم تدر ما حوت ... تخير حاليها أتسرق أم تزني
جزى الله عني خالداً شر ما جزى ... وعروة شراً، من خليل، ومن خدن
قتلتم أخاكم بالسياط سفاهة ... فيا لك للرأي المضلل والأفن

فلو أنكم أجهزتم إذ قتلتم! ... ولكن قتلتم بالسياط وبالسجن
وإني لأرجو أن أرى فيك ما ترى ... به من عقاب الله ما دونه يغني
قطعت من الأرحام ما كان واشجاً ... على الشيب، وابتعت المخافة بالأمن
وأصبحت تسعى قاسطاً بكتيبة ... تهدم ما حول الحطيم ولا تبني
فلا تجز عن من سنة قد سنتها ... فما للدماء الدهر تهرق من حقن

رثاؤه يعقوب بن طلحة أخبرني عمي قال: حدثني الخراز عن المدائني قال: قتل يعقوب بن طلحة يوم الحرة ، وكان يعقوب ابن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد: يا عجباً قاتلني كل أحد حتى ابن خالتي! قال: وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكروس، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه:

لعمرك ما هذا بعيش فيبتغى هنىء ولا موت يريح سريع
لعمري لقد جاء الكروس كاظماً على أمر سوء حين شاع فظيع
نعى أسرة يعقوب منهم فأقفرت منازلهم من رزمة فبقيع
وكلهم غيث إذا قحط الورى ويعقوب منهم للأنام ربيع

وقال ابن الأعرابي: كان على ابن الزبير دين لجماعة، فلازموه ومنعوه التصرف في حوائجه، وألح عليه غريم له من بني نهشل يقال له: ذئب، فقال ابن الزبير:

أحابس كيد الفيل عن بطن مكة وأنت على ما شئت جم الفواضل
أرحني من اللائي إذا حل على دينهم يمشون في الدارات مشي الأرامل
إذا دخلوا قالوا: السلام عليكم وغير السلام بالسلام يحاول
ألين إذا اشتد الغريم وألتوي إذا استد حتى يدرك الدين قابل
عرضت على زيد ليأخذ بعض ما يحاوله قبل اشتغال الشواغل
تثاءب حتى قلت: داسع نفسه وأخرج أنياباً له كالمعاول

دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم وقال ابن الأعرابي: استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أم الحكم، فأجاراه وقاما بأمره، ودخل مع مروان إلى المدينة ، وقال في ذلك:

أجدي إلى مروان عدواً فقلصي وإلا فروحي واغتدي لابن عامر
إلى نفر حول النبي بيوتهم مكاريم للعافي رقاق المآزر
لهم سورة في المجد قد علمت لهم تذبذب باع المتعب المتقاصر
لهم عامر البطحاء من بطن مكة ورومة تسقي بالجمال القياسر

حبسه زفر فقال شعراً وقال ابن الأعرابي: عرض قوم من أهل المدراء لابن الزبير الأسدي في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقرقيسياء ، فاستعدوا عليه زفر بن الحارث الكلابي وقالوا: إنه أموي الهوى، وكانت قيس يومئذ زبيرية، وقرقيسياء وما وإلاها في يد ابن الزبير، فحبسه زفر أياما وقيده، وكان معه رفيق من بني أمية يقال له: أبو الحدراء، فرحل وتركه في حبسه أياماً، ثم تكلمت فيه جماعة من مضر، فأطلق، فقال في ذلك:

أغاد أبو الحدراء أم متروح؟ كذاك النوى مما تجد وتمزح
لعمري لقد كانت بلاد عريضة لي الروح فيها عنك والمتسرح
ولكنه يدنو البغيض ويبعد ال حبيب وينأى في المزار وينزح

ألا ليت شعري هل أتى أم واصل كبول أعضوها بساقي تجرح
إذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها صريف خطا طيف بدلوين تمتح
تبغي أباها في الرفاق وتنثني وألوى به في لجة البحر تمسح
أمرتحل وفد العراق وغودرت تحن بأبواب المدينة صيدح
فإنك لا تدرين فيما أصابني أريثك أم تعجيل سيرك أنجح
أظن أبو الحدراء سجني تجارة ترجى وما كل التجارة تربح!

خبره مع الحجاج

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال: لما قدم الحجاج الكوفة والياً عليها صعد المنبر، فخطبهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، إن الشيطان قد باض وفرخ في صدوركم، ودب ودرج في حجوركم، فأنتم له دين، وهو لكم قرين، "ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً" ثم حثهم على اللحاق بالمهلب بن أبي صفرة، وأقسم ألا يجد منهم أحداً اسمه في جريدة المهلب بعد ثالثة بالكوفة إلا قتله، فجاء عمير بن ضابىء البرجمي فقال: أيها الأمير، إني شيخ لا فضل في، ولي ابن شاب جلد، فاقبله بدلاً مني، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول، فرفسه وكسر ضلعين من أضلاعه، وهو يقول:

أين تركت ضابئاً يا نعثل

فقال له الحجاج: فهلا يومئذ بعثت بديلاً، يا حرسي ! اضرب عنقه، وسمع الحجاج ضوضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذا البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت، فقال: أتحفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولوا هاربين، فازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب حتى غرق بعضهم ، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي:

أقول لإبراهيم لما لقيته أرى الأمر أمسى واهياً متشعباً
تخير فإما أن تزور ابن ضابىء عميراً وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حوليا من الثلج أشبها
فأضحى ولو كنت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني علي عثام الكلابي قال: دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على مصعب بن الزبير بالكوفة لما وليها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلم يأذن له، وقال له: ألم تسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها في مديحك لأسماء بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنشدها، فأنشده:

إذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مطرت على الأرض السماء

ولا رجع الوفود بغنم جيش ... ولا حملت على الطهر النساء

ليوم منك خير من أناس ... كثير حولهم نعم وشاء

فبورك في بنيك وفي أبيهم ... إذا ذكروا ونحن لك الفداء

فالتفت إليه مصعب وقال له: اذهب إلى أسماء، فمالك عندنا شيء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوضه حتى أرضاه، ثم عوضه مصعب بعد ذلك، وخص به، وسمع مديحه، وأحسن عليه ثوابه.

مدحه لبشر بن مروان قال ابن الأعرابي: لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله بن الزبير الأسدي وبره وخصه بأنسه، لعلمه بهواه في بني أمية، فقال يمدحه:

ألم ترني والحمد لله أنني ... برئت وداواني بمعروفه بشر

رعى ما رعى مروان مني قبله ... فصحت له مني النصيحة والشكر

ففي كل عام عاشه الدهر صالحاً ... علي لرب العالمين له نذر

إذا ما أبو مروان خلى مكانه ... فلا تهنأ الدنيا ولا يرسل القطر

ولا يهنىء الناس الولادة بينهم ... ولا يبق فوق الأرض من أهلها شفر

فليس البحور بالتي تخبروننني ... ولكن أبو مروان بشر هو البحر

وقال فيه أيضا فذكر أمه قطبة بنت بشر بن مالك ملاعب الأسنة:

جاءت به عجز مقابلة ... ما هن من جرم ومن عكل

يابشر يا بن الجعفرية ما ... خلق الإله يديك للبخل

أنت ابن سادات لأجمعهم ... وفي بطن مكة عزة الأصل

بحر من الأعياص جدن به ... في مغرس للجود والفضل

متهلل تندى يداه إذا ... ضن السحاب بوابل سجل

خروجه مع الحجاج أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عباس قال: أخبرني مشيخة من بني أسد أن ابن الزبير الأسدي لما قفل من قتال الأزارقة صوب بعث إلى الري، قال: فكنت فيه، وخرج الحجاج إلى القنطرة يعني قنطرة الكوفة التي بزبارة ليعرض الجيش، فعرضهم، وجعل يسأل عن رجل رجل من هو؟ فمر به ابن الزبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذي تقول:

تخير فإما أن تزور ابن ضابىء ... عميراً، وإما أن تزور المهلبا

قال: بلى، أنا الذي أقول:

ألم تر أني قد أخذت جعيلة وكنت كمن قاد الجنيب فأسمحا

قال له الحجاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقدت الأعداء يا مي فأعلمي بكل شرى ناراً فلم أر مجمحاً

فقال له الحجاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يعدم الداعي إلى الخير تابعاً ولا يعدم الداعي إلى الشر مجدحا

فقال له الحجاج: إن ذلك كذلك، فامض إلى بعثك، فمضى إلى بعثه فمات بالري.

مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي قال: لما ولي عبد الرحمن ابن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزبير، فلم يثبه، وكان قدم في هيئة رثة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبر، فقال ابن الزبير فيه:

تبقلت لما أن أتيت بلادكم وفي مصرنا أنت الهمام القلمس

ألست ببغل أمه عربية أبوك حمار أدبر الظهر ينخس

قال: وكان بنو أمية إذا رأوا عبد الرحمن يلقبونه البغل، وغلبت عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً، يظنه يعرض به .

شعره في مقتل عبد الله بن الزبير أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: لما قتل عبد الله بن الزبير صلب الحجاج جسده، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه، فقام عبد الله بن الزبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلم ولا تقل إلا خيراً، وتوخ الحق فيما تقوله، فأنشأ يقول:

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت أمية حتى أحرزوا القصبات

وجئت المجلي يا بن مروان سابقاً أمام قريش تنفض العذرات

فلا زلت سباقاً إلى كل غاية من المجد نجاء من الغمرات

قال: فقال له: أحسنت فسل حاجتك: فقال له: أنت أعلى عيناً بها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب بعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المحل في وفي الحجاج التي قلتها: فأنشده: شعره في المحل وفي الحجاج

كأني بعبد الله يركب ردعه وفيه سنان زاعبي محرب

وقد فر عنه الملحدون وحلقت به وبمن آساه عنقاء مغرب

تولوا فخلوه فشال بشلوه طويل من الأجذاع عار مشذب

بكفي غلام من ثقيف نمت به قريش وذو المجد التليد معتب

فقال له عبد الملك: لا تقل غلام، ولكن همام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛ والله أعلم

هجاؤه عبد الله بن الزبير أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: خدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد قال: قتل ابن الزبير من شيعة بني أمية قوماً بلغه أنهم يتجسسون لعبد الملك، فقال فيه عبد الله بن الزبير في ذلك يهجوه ويعيره بفعله:

أيها العائذ في مكة كم من دم أهرقته في غير دم

أيد عائذة معصمة ويد تقتل من حل الحرم!

مدحه بشر بن مروان قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي فيه إصلاحات بخطه، والكتاب بخط النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره، قال: دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه، فجفاه، فلما وصل إليه وقف بين يديه، وجعل يتأمل من حواليه من بني أمية، ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم، فقال له بشر، إن نظرك يا بن الزبير ليدل أن وراءه قولاً؛ فقال: نعم؛ قال: قل؛ فقال:

كأن بني امية حول بشر نجوم وسطها قمر منير

هو الفرع المقدم من قريش إذا أخذت مآخذها الأمور

لقد عمت نوافله فأضحى غنيا من نوافله الفقير

جبرت مهيضنا وعدلت فينا فعاش البائش الكل الكسير

فأنت الغيث قد علمت قريش لنا، والواكف الجون المطير

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضي عنه، فقال ابن الزبير:

لبشر بن مروان على الناس نعمة تروح وتغدو لا يطاق ثوابها

به أمن الله النفوس من الردى وكانت بحال لا يقر ذبابها

دمغت ذوي الأضغان يا بشر عنوة بسيفك حتى ذل منها صعابها

وكنت لنا كهفاً وحصناً ومعقلاً إذا الفتنة الصماء طارت عقابها

وكم لك يا بشر بن مروان من يد مهذبة بيضاء راس ظرابها

وطدت لنا دين النبي محمد بحلمك إذا هرت سفاها كلابها

وسدت ابن مروان قريشاً وغيرها إذا السنة الشهباء قل سحابها

رأبت ثآنا واصطنعت أيادياً إلينا ونار الحرب ذاك شهابها

شعره لبشر بن مروان قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بن الزبير إلى بشر بن مروان متعرضاً له ويسمعه بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً؟ لقد نزحت فيه بحرك يا بن الزبير؛ فقال: أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي أياد كثيرة، وكنت لمعروفه شاكراً، وأيادي الأمير عندي أجل، وأملي فيه أعظم، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم، وإن أذن لي في الإنشاد رجوت أن أوفق للصواب. فقال: هات، فقال:

تداركني بشر بن مروان بعدما تعاونت إلى شلوي الذئاب العواسل
غياث الضعاف المرملين وعصمة ال يتامى ومن تأوي إليه العباهل
قريع قريش والهمام الذي له أقرت بنو قحطان طرا ووائل
وقيس بن عيلان وخندف كلها أقرت وجن الأرض طرا وخابل
يداك ابن مروان يد تقتل العدا وفي يدك الأخرى غياث ونائل
إذا أمطرتنا منك يوماً سحابة روينا بما جادت علينا الأنامل
فلا زلت يابشر بن مروان سيداً يهل علينا منك طل ووابل
فأنت المصفى يا بن مروان والذي توافت إليه بالعطاء القبائل
يرجون فضل الله عند دعائكم إذا جمعتكم والحجيج المنازل
ولولا بنو مروان طاشت حلومنا وكنا فراشاً أحرقتها الشعائل

شعره في أمير المؤمنين فأمر له بجائزة وكساه خلعة، وقال له: إني أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين، فتهيأ لذلك يا بن الزبير، قال: أنا فاعل أيها الأمير، قال: فماذا تقول له إذا وفدت عليه ولقيته إن شاء الله. فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال:

أقول: أمير المؤمنين عصمتنا ببشر من الدهر الكثير الزلازل
وأطفأت عنا نار كل منافق بأبيض بهلول طويل الحمائل
نمته قروم من أمية للعلا إذا افتخر الأقوام وسط المحافل
هو القائد الميمون والعصمة التي أتى حقها فينا على كل باطل
أقام لنا الدين القويم بحلمه ورأي له فضل على كل قائل

أخوك أمير المؤمنين ومن به نجاد ونسقي صوب أسحم هاطل
إذا ما سألنا رفده هطلت لنا سحابة كفيه بجود ووابل
حليم على الجهال منا ورحمة على كل حاف من معد وناعل

فقال بشر لجلسائه: كيف تسمعون؟ هذا والله الشعر، وهذه القدرة عليه! فقال له حجار بن ابجر العجلي، وكان من أشراف أهل الكوفة، وكان عظيم المنزلة عند بشر: هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولاً إذا أراد، فقال محمد بن عمير بن عطارد وكان عدواً لحجار أيها الأمير، إنه لشاعر، وأشعر منه الذي يقول: شعر الفرزدق في بشر بن مروان

لبشر بن مروان على كل حالة من الدهر فضل في الرخاء وفي الجهد
قريع قريش والذي باع ماله ليكسب حمداً حين لا أحد يجدي
ينافس بشر في السماحة والندى ليحرز غايات المكارم بالحمد
فكم جبرت كفاك يا بشر من فتى ضريك، وكم عيلت قوماً على عمد

وصيرت ذا فقر غنياً، ومثرياً فقيراً، وكلا قد حذوت بلا وعد

خبره مع حجار بن أبجر فقال بشر: من يقول هذا؟ قال: الفرزدق، وكان بشر مغضباً عليه، فقال، أبعث إليه فأحضره، فقال له: هو غائب بالبصرة، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشدكها ولترضى عنه، فقال بشر: هيهات! لست راضياً عنه حتى يأتيني، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق، فتهيأ للقدوم على بشر، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة، فأمام وأنتظر قدومه، فقال عبد الله بن الزبير لمحمد بن عمير في مجلسه ذلك بحضرة بشر:

بني دارم هل تعرفون محمداً بدعوته فيكم إذا الأمر حققا
وساميتم قوماً كراماً بمجدكم وجاء سكيتا آخر القوم مخفقاً
فأصلك دهمان بن نصر فردهم ولا تك وغداً في تميم معلقاً
فإن تميماً لست منهم ولا لهم أخا يا بن دهمان فلا تك أحمقاً
ولولا أبو مروان لاقيت وابلا من السوط ينسيك الرحيق المعتقا
أحين علاك الشيب أصبحت عاهراً وقلت أسقني الصهباء صرفاً مروقاً
تركت شراب المسلمين ودينهم وصاحب وغداً من فزارة أزرقاً

نبيتان من شرب المدامة كالذي أتيح له حبل فأضحى مخنقا

فقال بشر: أقسمت عليك إلا كففت، فقال: أفعل أصلحك الله، والله لولا مكانك لأنفذت حضنيه بالحق وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته، وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير وكان عدوه وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمت حجاراً بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك، أو لست تعلم أن الفرودق أشعر العرب؟ قال: بلى، ولكن محمداً ظلمني وتعرض لي، و لم أكن لأحلم عنه إذ فعل، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً، فقال:

سليل النصارى سدت عجلاً ولم تكن لذلك أهلاً أن تسود بني عجل

ولكنهم كانوا لئاماً فسدتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقل

وكيف بعجل إن دنا الفصح واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلي

وعندك قسيس النصارى وصلبها وعانية صهباء مثل جنى النحل

قال: فلما بلغ حجاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان، فقال له بشر: هجوت حجاراً؟ فقال: لا والله أعز الله الأمير، ما هجوته، لكنه كذب علي، فأتاه ناس من بني عجل وتهددوه بالقتل، فقال فيهم:

تهددني عجل، وما خلت أنني خلاة لعجل والصليب لها بعل

وما خلتني والدهر فيه عجائب أعمر حتى قد تهددني عجل

وتوعدني بالقتل منهم عصابة وليس لهم في العز فرع ولا أصل

وعجل أسود في الرخاء، ثعالب إذا التقت الأبطال واختلف النبل

فإن تلقنا عجل هناك فما لنا ولا لهم م الموت منجى ولا وعل

منعه عبد الرحمن الخروج إلى الشام وقال النضر في كتابه: لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزبير الخروج إلى الشأم، وأراد حبسه، لجأ إلى سويد بن منجوف، واستجار به، فأخرجه مع بني شيبان في بلادهم، وأجازه عمل ابن أم الحكم، فقال يمدحه:

أليس ورائي إن بلاد تجهمت سويد بن منجوف وبكر بن وائل

حصون براها الله لم ير مثلها طوال أعاليها شداد الأسافل

هم أصبحوا كنزي الذي لست تاركاً ونبلي التي أعددتها للمناضل

حاجب بشر قال شعراً وقال أيضا في هذا الكتاب: جاء عبد الله بن الزبير يوماً إلى بشر بن مروان، فحجبه حاجبه، وجاء حجار بن أبجر فأذن له، وانصرف ابن الزبير يومئذ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوساً، فدخل إليه، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

ألم تر أن الله أعطى فخصنا بأبيض قرم من أمية أزهرا
طلوع ثنايا المجد، سام بطرفه إذا سئل المعروف ليس بأوعرا
فلولا أبو مروان بشر لقد غدت ركابي في فيف من الأرض أغبرا

سراعاً إلى عبد العزيز دوائباً تخلل زيتونا بمصر وعرعرا
وحاربت في الإسلام بكر بن وائل كحرب كليب أو أمر وأمقرا
إذا قادت الإسلام بكر بن وائل فهب ذاك دينا قد تغير مهترا
بأي بلاء أم بأي نصيحة تقدم حجاراً أمامي ابن أبجرا
ومازلت مذ فارقت عثمان صادياً ومروان ملتاحاً عن الماء أزورا
ألا لتني قدمت والله قبلهم وأن أخي مروان كان المؤخرا
بهم جمع الشمل الشتيت، وأصلح ال إله، وداوى الصدع حتى تجبرا
قضى الله: لا ينفك منهم خليفة كريم يسوس الناس يركب منبرا

فاعتذر إليه بشر ووصله وحمله، وأنكر على حاجبه ما تشكاه، وأمر أن ياذن له عند إذنه لأخص أهله وأوليائه
شعر لأبيه وقال النضر في كتابه هذا: كان الزبير بن الأشيم أبو عبد الله بن الزبير شاعراً، وكان لعبد الله بن الزبير ابن يقال له الزبير شاعر، فأما ابوه الزبير بن ألشيم فهو الذي يقول:

ألا يا لقومي للرقاد المؤرق وللربع بعد الغبطة المتفرق
وهم الفتى بالأمر من دون نيله مراتب صعبات على كل مرتقي
ويوم بصحراء البديدين قلته بمنزلة النعمان وابن محرق
وذلك عيش قد مضي كان بعده أمور أشابت كل شأن ومفرق
وغير ما استنكرت يا ام واصل حوادث إلا تكسر العظم تعرق
فراق حبيب أو تغير حالة من الدهر أورام لشخصي مفوق
على أنني جلد صبور مرزأ وهل تترك أليام شيئاً لمشفق؟

شعر لابنه وأما ابنه الزبير بن عبد الله بن الزبير، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن اسماء بن خارجة الفزاري:

قالت عبيدة موهناً اين أعتراك الهم أينه
هل تبلغن بك المنى ما كنت تأمل في عيينه

بدر له الشيم الكرا ... ئم كاملات فاعتلينه
والجوع يقتله الندى ... منه إذا قحط ترينه
فهناك يحمده الورى ... أخلاق غيركم اشتكينه

قال: وهو القائل في بعض بني عمه:

ومولى كداء البطن أو فوق دائه ... يزيد موالي الصدق خيراً وينقص
تلومت أرجو أن يثوب فيرعوي ... به الحلم حتى استيأس المتربص

هروبه إلى معاوية وقال النضر في كتابه هذا: لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية، أحرق عبد الرحمن داره، فتظلم منه وقال: أحرق لي داراً قد قامت علي بمائة ألف درهم، فقال معاوية: ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر، فمن يعرف صحة ما ادعيت؟ قال: هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك، فقال معاوية للمنذر: ما عندك في هذا؟ قال: إني لم آبه لنفقته على داره ومبلغها، ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن ابتاع له بها ساجاً من البصرة، ففعلت، فقال معاوية: إن داراً اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! وأمر له بها، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه، ثم قال لهم: أي الشيخين عندكم أكذب؟ والله إني لأعرف داره، وما هي إلا خصاص قصب، ولكنهم يقولون فنسمع، ويخادعوننا فننخدع، فجعلوا يعجبون منه.

مدحه إبراهيم بن الأشتر أخرجه الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي قال: أتى عبد الله بن الزبير إبراهيم بن الأشتر النخعي فقال له: إني قد مدحتك بابيات فاسمعهن، فقال: إني لست أعطي الشعراء، فقال: اسمعها مني وترى رأيك، فقال: هات إذا، فأنشده قوله:

الله أعطاك المهابة والتقى ... وأحل بيتك في العديد الأكثر
وأقر عينك يوم وقعة خازر ... والخيل تعثر بالقنا المتكسر
وإني مدحتك إذ نبا بي منزلي ... وذممت إخوان الغنى من معشر
وعرفت أنك لا تخيب مدحتي ... ومتى أكن بسبيل خير أشكر
فهلم نحوي من يمينك نفحة ... إن الزمان ألح يابن الأشتر

فقال: كم ترجو أن أعطيك؟ فقال: ألف درهم أصلح بها أمر نفسي وعيالي، فأمر له بعشرين ألف درهم.

صوت

ما هاج شوقك من بكاء حمامة ... تدعو إلى فنن الأراك حماما

تدعو أخا فرخين صادف ضارياً ذا مخلبين من الصقور قطاما

إلا تذكرك الأوانس بعدما قطع المطي سباسباً وهياما

الشعر لثابت قطنة؛ وقيل إنه لكعب الأشقري، والصحيح أنه لثابت، والغناء ليحيى المكي، خفيف ثقيل أول بالبنصر، من رواية ابنه والهشامي أيضاً.

أخبار ثابت قطنة

نسبه هو ثابت بن كعب، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، ويكنىأبا العلاء، أخو بني اسد بن الحارث بن العتيك ، وقيل: بل هو مولى لهم، ولقب قطنة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قطنة، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، وكان في صحابة يزيد بن المهلب، وكان يوليه أعمالاً من أعمال الثغور، فيحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته.

فأخبرني إبراهيم بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان ثابت قطنة وقد ولي عملاً من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذر عليه وحصر، فقال: "سيجعل الله بعد عسر يسراً"، وبعد عي بياناً، وأنتم إلى أمير فعال، أحوج منكم إلى أمير قوال:

وإلا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان ويقال الأحنف بن قيس فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه، ولو أن كلاماً استخفني، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف.

صلاته الجمعة بالناس

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب، عن دعبل بن علي، قال: كان يزيد بن المهلب تقدم إلى ثابت قطنة في أن يصلي بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر و لم يطق الكلام، قال حاجب الفيل يهجوه:

أبا العلاء لقد لقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق

أما القران فلم تخلق لمحكمه ولم تسدد من الدنيا لتوفيق

لما رمتك عيون الناس هبتهم فكدت تشرق لما قمت بالريق

تلوي اللسان وقد رمت الكلام به كما هوى زلق من شاهق النيق

خبر حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني وهو حاجب الفيل، والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقري أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده:

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة ... أرجي ندى كفيك يابن المهلب

وأنت امرؤ جادت سماء يمينه ... على كل حي بين شرق ومغرب

فجد لي بطرف أعوجي مشهر ... سليم الشظا عبل القوائم سلهب

سبوح طموح الطرف يستن مرجم ... أمر كإمرار الرشاء المشذب

طوى الضمر منه البطن يستن مرجم ... عقاب تدلت من شماريخ كبكب

تبادر جنح الليل فرحين أقوياء ... من الزاد في قفر من الرض مجدب

فلما رأت صيداً تدلت كأنها ... دلاة تهاوى مرقباً بعد مرقب

فشكت سواد القلب من ذئب قفرة ... طويل القرا عاري العظام معصب

وسابغة قد أتقن القين صنعها ... وأسمر خطي طويل محرب

وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب متى يلق الضريبة يقضب

وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى ... تقدم أو اركب حومة الموت أركب

فإني امرؤ من عصبة ما زينة ... نماني أب ضخم كريم المركب

قال: فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس، وقال له: قد عرفت ما شرطت لنا على نفسك؟ فقال: اصلح الله الأمير، حجتي بينة، وهي قول الله عز وجل: "والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون". فقال له ثابت قطنة: ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة! مدحت الأمير ببيتين، وسألته حوائجك في عشرة أبيات، وختمت شعرك ببيت تفخر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردت حدت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تخدعه، فقال له يزيد: مه يا ثابت، فإنا لا نخدع، ولكنا نتخادع، وسوغه ما أعطاه، وأمر له بألفي درهم. ولج حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه:

لا يعرف الناس منه غير قطنته ... وما سواها من الأنساب مجهول

خبره مع حاجب الفيل عند يزيد

قال: ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلب، وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقري وكانا لا يفارقان مجلسه فوقف بين يديه فقال له: تكلم يا حاجب، فقال: يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك، قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفيك حقك، ولكن المجتهد محسن، فلا تهجني بمعنى الإنشاد، وتأذن لي فيه، فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتي . فقال له يزيد: هات، فما زلت مجيداً محسناً مجملاً. فأنشده:

كم من كمي في الهياج تركته ... يهوي لفيه مجدلاً مقتولاً

جللت مفرق رأسه ذا رونق ... عضب المهزة صارماً مصقولا

قدت الجياد وأنت غر يافع ... حتى التهلت ولم تزل مأمولا

كم قد حربت وقد جبرت معاشر ... وكم امتننت وكم شفيت غليلا

فقال له يزيد: سل حاجتك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأمير أعزه الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقل يفعل، فلست بما تصير إليه أغبط منا، قال: تحملني وتخدمني وتجزل جائزتي، فأمر له بخمسة تخوت ثياب وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب:

شم الغيث وأنظرويك أين تبعجت ... كلاه تجدها في يد ابن المهلب

يداه يد يخزي بها الله من عصى ... وفي يده الأخرى حياة المعصب

قال: فحسده ثابت قطنة وقال: والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت بملء كفك نوى، ولكنك أعطاك على قدره، وقام مغضبا، وقال لحاجب يزيد بن المهلب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منا بإجزاله العطية لمثل هذا، وإلا فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذ:

أحاجب لولا أن أصلك زيف ... وأنك مطبوع على اللؤم والكفر

وأني لو أكثرت فيك مقصر ... رميتك رمياً لا يبيد يد الدهر

فقل لي ولا تكذب فإني عالم ... بمثلك هل في مازن لك من ظهر؟

فإنك منهم غير شك ولم يكن ... أبوك من الغر الجحا جحة الزهر

أبوك ديافي وأمك حرة ... ولكنها لا شك وافية البظر

فلست بهاج ابن ذبيان إنني ... سأكرم نفسي عن سباب ذوي الهجر

هجاء حاجب له

فقال حاجب: والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده، ولا بهجاء الأزد كلها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طرا؛ فقال يهجوهم:

دعوني وقحطاناً وقولوا لثابت ... تنح ولا تقرب مصاولة البزل

فللزنج خير حين تنسب والداً ... من أبناء قحطان العفاشلة الغزل

أناس إذا الهيجاء شبت رأيتهم ... أذل على وطء الهوان من النعل

نساؤهم فوضى لمن كان عاهراً ... وجيرانهم نهب الفوارس والرجل

شعره عن نفسه

أخبرني وكيع قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: وحدثني دعبل قال: بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال:

لا يعرف الناس منه غير قطنته ... وما سواها من الأنساب مجهول

وقال: هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال: اشهدوا أني قائله، فقالوا: ويحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك به، ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا. فقال: لا بد من أن يقع على خاطر غيري، فأكون قد سبقته إليه، فقالوا له: أما هذا فشر قد تعجلته، ولعله لا يقع لغيرك، فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يرد على حاجب:

هيهات ذلك بيت قد سبقت به ... فاطلب له ثانياً يا حاجب الفيل

أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدب قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن أبي عبيدة قال: كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشراة وقوماً من المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبه، فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدة قالها في الإرجاء:

يا هند إني أظن العيش قد نفذا ... ولا أرى المر إلا مدبرا نكدا

إني رهينة يوم لست سابقه ... إلا يكن يومنا هذا فقد أفدا

بايعت ربي بيعاً إن وفيت به ... جاورت قتلى كراماً جاوروا أحدا

يا هند فاستمعي لي إن سيرتنا ... أن نعبد الله لم نشرك به أحدا

نرجي الأمور إذا كانت مشبهة ... ونصدق القول فيمن جار أو عندا

المسلمون على الإسلام كلهم ... و المشركون أشتوا دينهم قددا

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً ... م الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا

لانسفك الدم إلا أن يراد بنا ... سفك الدماء طريقاً واحداً جددا

من يتق الله في الدنيا فإن له ... أجر التقي إذا وفى الحساب غدا

وما قضى الله من أمر فليس له ... رد، وما يقض من شيء يكن رشدا

كل الخوارج مخط في مقالته ... ولو تعبد فيما قال واجتهدا

وأما علي وعثمان فإنهما ... عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا

وكان بينهما شغب وقد شهدا ... شق العصا، وبعين الله ما شهدا

يجزي علي وعثمان بسعيهما ... ولست أدري بحق أية وردا

الله يعلم ماذا يحضران به ... وكل عبد سيلقى تاه منفردا

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب بخط المرهبي الكوفي في شعر ثابت قطنة؛ قال: لما ولي سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نعيم، جلس يعرض الناس وعنده حميد الرؤاسي وعبادة المحاربي، فلما دعي بثابت قطنة تقدم، وكان تام السلاح، جواد الفرس، فارساً من الفرسان، فسأله عنه، فقيل: هذا ثابت قطنة، وهو أحد فرسان الثغور، فأمضاه وأجاز على اسمه، فلما انصرف قال له حميد وعبادة: هذا أصلحك الله الذي يقول:

إنا لضرابون في حمس الوغى ... رأس الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد: علي به، فردوه وهو يريد قتله، فلما أتاه قال له: أنت القائل: إنا لضرابون في حمس الوغى قال: نعم، أنا القائل:

إنا لضرابون في حمس الوغى ... رأس المتوج إن إراد صدودا

عن طاعة الرحمن أو خلفائه ... إن رام إفسادا وكر عنودا

فقال له سعيد: أولى لك، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك، قال: وبلغ ثابتاً ما قاله حميد وعبادة، فأته عبادة معتذراً، فقال له : قد قبلت عذرك، ولم يأته حميد، فقال ثابت يهجو:

وما كان الجنيد ولا أخوه ... حميد من رءوس في المعالي

فإن يك دغفل أمسى رهيناً ... وزيد و المقيم إلى زوال

فنعدكم ابن بشر فاسألوه ... بمرو الروذ يصدق في المقال

ويخبر أنه عبد زنيم ... لئيم الجد من عم وخال

قال: واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينة كان أميرها محمد بن مالك بن بدر المهداني ثم الخيواني ، وكان يغمز في نسبه، وخطب إلى قوم من كندة فردوه، فعرف خبر ثابت في نزوله، فلم يكرمه، ولا أمر له بقرى، ولا تفقده بنزل ولا غيره، فلما رحل عنه قال يهجوه ويعيره برد من خطب إليه:

لو أن بكيلا هم قومه ... وكان أبوه أبا العاقب
لأكرمنا إذا مررنا به ... كرامة ذي الحسب الثاقب
ولكن خيوان هم قومه ... فبئس هم القوم للصاحب
وانت سنيد بهم ملصق ... كما ألصقت رقعة الشاعب
وحسبك حسبك عند النثا ... بأفعال كندة من عائب
خطبت فجازوك لما خطبت ... جزاء يسار من الكاعب
كذبت فزيفت عقد النكاح ... لمتك بالنسب الكاذب
فلا تخطبن بعدها حرة ... فتثنى بوسم على الشارب

هجاؤه لقتيبة بن مسلم

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان لثابت قطنة راوية يقال له النضر، فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه، وغيرهم بهزيمة انهزموها عن الترك، فقال:

توافت تميم في الطعان وعردت ... بهيلة لما عاينت معشراً غلبا
كماة كفاة يرهب الناس حدهم ... إذا ما مشوا في الحرب تحسبهم نكبا
تسامون كعباً في العلا وكلابها ... وهيهات أن تلقوا كلاباً ولا كعبا

قال: فأفشى عليه راويته ما قاله، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات:

يا ليت لي بأخي نضر أخا ثقة ... لا أرهب الشر منه غاب أم شهدا
اصبحت منك على أسباب مهلكة ... وزلة خائفاً منك الردى أبدا
ما كنت إلا كذئب السوء عارضه ... أخوه يدمى ففرى جلده قددا
أو كابن آدم خلى عن أخيه وقد ... أدمى حشاه ولم يبسط إليه يدا
أهم بالصرف أحياناً فيمنعني ... حيا ربيعة والعقد الذي عقدا

رثاؤه المفضل بن المهلب

ونسخت منه أيضا قال: لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب، والناس حولها جلوس يعزونها، فأنشدها:

يا هند كيف بنصب بات يبكيني ... وعائر في سواد الليل يؤذيني

كأن ليلي والأصداء هاجدة ... ليل السليم، وأعيا من يداويني

لما حنى الدهر من قوسي وعذرني ... شيبي وقاسيت أمر الغلظ واللين

إذا ذكرت أبا غسان أرقني ... هم إذا عرس السارون يشجيني

كان المفضل عزا في ذوي يمن ... وعصمة وثمالا للمساكين

ما زلت بعدك في هم تجيش به ... نفسي وفي نصب قد كاد يبليني

إني تذكرت قتلى لو شهدتهم ... في حومة الموت لم يصلوا بها دوني

لا خير في العيش إن لم أجن بعدهم ... حرباً تبيء بهم قتلى فيشفوني

فقالت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيت الحق، وما من المرثية بدٌّ، وكم من ميتة ميتٍ أشرف من حياة حيّ، وليست المصيبة في قتل ممن استشهد ذابّا عن دينه، مطيعاً لربه، وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته، وخمل ذكره بعد موته، وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملاً، يقال: إنه ما عزي يومئذٍ بأحسن من كلامها.

رده على ابن الكواء

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضا قال: كان ابن الكواء اليشكريّ مع الشراة والمهلب يحاربهم، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلب وعمّ الأزد بالهجاء، فقالت لثابت: أجبه فقال له ثابت:

كلُّ القبائل من بكرٍ نعدهم ... واليشكريون منهم ألأم العرب

أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدت ... بيشكرٍ أمه المعرورة النسب

نحاكم عن حياض المجد والدكم ... فما لكم في بني الرشاء من نسب

أنتم تحلون من بكرٍ اذا نسبوا ... مثل القراد حوالي عكوة الذنب

نبئت أن بني الكواء قد نبحوا ... فعل الكلاب تتلى الليث في الأشب

يكوي الأبيجر عبد الله شيخكم ... ونحن نبرى الذي يكوى من الكلب

كتابه إلى يزيد بن المهلب

ونسخت من كتابه أيضا قال:كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرضه:

إن امرأً حدبت ربيعة حوله ... والحي من يمن وهاب كئودا

لضعيف ما ضمت جوانح صدره ... إن لم يلف إلى الجنود جنودا

أيزيدكن في الحرب إذ هيجتها ... كأبيك لا رعشاً ولا رعديدا

شاورت أكرم من تناول ماجد ... فرأيت همك في الهموم بعيدا

ما كان في أبويك قادح هجنة ... فيكون زندك في الزناد صلودا

إنا لضرّابون في حمس الوغى ... رأس المتوج إن أراد صدودا

وقرٌ اذا كفر العجاج ترى لنا ... في كل معركة فوراس صيدا

ياليت أسرتك الذين تغيبوا ... كانوا ليومك بالعراق شهودا

وترى مواطنهم إذا اختلف القنا ... والمشرفية يلتظين وقودا

فقال يزيد لما قرأ كتابه:إن ثابتاً لغافل عما نحن فيه،ولعمري لأطيعنه،وسيرى ما يكون،فاكتبوا إليه بذلك.

أخبرني عمي قال:حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال:أنشد مسلمة بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب قول ثابت قطنة:

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا ... كانو ليومك يا يزيد شهودا

فقال مسلمة:وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهودا يومئذٍ،فسقيتهم بكأسه،قال:فكان مسلمة أحد من أجاب شعراً بكلام منثور فغلبه.

خطب امرأة فدفعه عنها جويبر بن سعيد

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال:حدثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال:حدثني محمد القحذميّ عن سليمان بن ناصح الأسدي قال :خطب ثابت قطنة امرأةً كان يميل إليها،فجعل السفير بينه وبينها جويبر بن سعيد المحدث،فاندس فخطبها لنفسه،فتزوجها ودفع عنها ثابتاً،فقال ثابت حين بان له الأمر:

أفشي علي مقالة ما قلتها ... وسعى بامر كان غير سديد

إني دعوت الله حين ظلمتني ... ربي وليس لمن دعا ببعيد

أن لا تزال متيما بخريدةٍ ... تسبي الرجال بمقلتين وجيد

حتى إذا وجب الصداق تلبست ... لك جلد أغضف بارزٍ بصعيد

تدعو عليك الحاريات مبرة ... فترى الطلاق وأنت غير حميد

قال:فلقى جويبر كل ما دعا عليه ثابت به،ولحقه من المرأة كل شر وضر حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها منه.

رثاؤه يزيد بن المهلب

أخبرني جعفر بن قدامة قال:حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه قال:كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب في يوم العقر ،فلما خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل،قال ثابت قطنة يرثيه:

كل القبائل بايعوك على الذي ... تدعو إليه وتابعوك وساروا

حتى إذا حمس الوغى وجعلتهم ... نصب الأسنة أسلموك وطاروا

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن ... عاراً عليك،وبعض قتل عار

هجاؤه لربيعة

قال أبو الفرج :ونسخت من كتاب المرهبي قال:كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد ،فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر،فشغبت عليه حتى أرضاها فيه،فقال ثابت قطنة يهجوهم:

عصافير تنزو في الفساد،وفي الوغى ... إذا راعها روعٌ جماميح بروق

الجماميح:ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً،وواحده جماح،فإذا دق تطاير.وبروق:نبت ضعيف.

أألحلم عن ذبان بكر بن وائل ... ويعلق من نفسي الأذى كل معلق

ألم أك قد قلدتكم طوق خزية ... وأنكلت عنكم فيكم كل ملصق

لعمرك ما استخلفت بكراً ليشغبوا ... علي، وما في حلفكم من معلق

ضممتكم ضماً إلي وأنتم ... شتات كفقع القاعة المتفرق

فأنتم على الأدنى أسود خفية ... وأنتم على الأعداء خزان سملق

شعره لما منعه قتيبة بن مسلم

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري قال: قال القحذمي: دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان أظنه قتيبة بن مسلم فمدحه وسأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني عنه، وأنشأ يقول:

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة ... ولا ملك ممن يعين على الرفد

ولا فاعل يرجوا المقلون فضله ولا قائل ينكا العدو على حقد
لو أن المنايا سامحت ذا حفيظة لأكر منه أو عجن عنه على عمد

شعره في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استنصر عليها بعضهم فلم ينصره في ذلك:

تعففت عن شتم العشيرة إنني وجدت أبي قد عف عن شمتها قبلي
حليماً إذا ما الحلم كان مروءة وأجهل أحياناً إذا التمسوا جهلي

خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد

أخبرني عمي قال: حدثني العتري عن مسعود بن بشر قال: كان ثابت قطنة بخراسان، فوليها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان، فأقام بها مدة، ثم كتب إلى عبد الملك: "إن خراج خراسان لا يفي بمطبخي"، وكان أمية يحمق، فرفع ثابت قطنة إلى البريد رقعة وقال: أوصل هذه معك، فلما أتى عبد الملك أوصل إليه كتاب أمية، ثم نثل كنانته بين يديه فقرأ ما فيها، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة، فقرأها ثم عزله عن خراسان.

صوت

طربت وهاج لي ذاك ادكاراً بكش وقد أطلت به الحصارا
وكنت ألذ بعض العيش حتى كبرت وصار لي همي شعارا
رأيت الغانيات كرهن وصلي وأبدين الصريمة لي جهارا

الشعر لكعب الأشقري، ويقال إنه لثابت قطنة، والصحيح أنه لكعب، والغناء للهذلي، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمر بن بانة، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لقفا النجار.

أخبار كعب الأشقري ونسبه

نسبه وبعض أخباره

هو كعب بن معدان الأشقري، والأشاقر : قبيلة من الأزد، وأمه من عبد القيس، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة، وأوفده المهلب إلى الحجاج، وأوفده الحجاج إلى

عبد الملك.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي عن قتادة قال: سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا وجرير، والأخطل، وكعب الأشقري.

أخبرني وكيع قال: حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال:حدثنا أبي قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي عن المتلمس قال: قلت للفرزدق: ياأبا فراس، أشعرت أنه نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له كعب؟ فقال الفرزدق: إي والذي خلق الشعر

شعره للحجاج عن وقعة الأزارقة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد، وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن العتبي واللفظ له وخبره أتم قال: أوفد المهلب بن أبي صفرة كعباً الأشقري ومعه مرة بن التليد الأزدي إلى الحجاج بخبر وقعة كانت له مع الأزارقة، فلما قدما عليه ودخلا داره بدر كعب بن معدان فأنشد الحجاج قوله:

يا حفص إني عداني عنكم السفر ... وقد سهرت فآذى عيني السهر

علقت يا كعب بعد الشيب غانية ... والشيب فيه عن الأهواء مزدجر

أممسك أنت منها بالذي ... عهدت أم حبلها إذ نأتك اليوم منبتر

ذكرت خوداً بأعلى الطف منزلها ... في غرفة دونها الأبواب والحجر

وقد تركت بشط الزابيين لها ... داراً بها يسعد البادون والحضر

واخترت داراً بها قوم أسر بهم ... ما زال فيهم لمن تختارهم خير

أبا سعيد فإني سرت منتجعاً ... وطالب الخير مرتاد ومنتظر

لولا المهلب ما زرنا بلادهم ... ما دامت الأرض فيها الماء والشجر

وما من الناس من حي علمتهم ... إلا يرى فيهم من سيبكم أثر

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرواة في الخبر، فتركت ذكرها لطولها ، يقول فيها:

فما يجاوز باب الجسر من أحدٍ ... قد عضت الحرب أهل المصر فانجحروا

كنا نهون قبل اليوم شأنهم ... حتى تفاقم أمر كان يحتقر

لما وهنا وقد حلوا بساحتنا ... واستنفر الناس تارات فما نفروا

نادى امرؤٌ لا خلاف في عشيرته ... عنه وليس به عن مثلها قصر

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلب في بلدٍ بلد،فقال:

خبوا كمينهم بالسفح إذ نزلوا بكازرون فما عزوا وما نصروا

باتت كتائبنا تردى مسومة حول المهلب حتى نور القمر

هناك ولوا خزايا بعد ما هزموا وحال دونهم الأنهار والجدر

تأبى علينا حزازات النفوس فما نبقي عليهم ولا يبقون إن قدروا

فضحك الحجاج وقال له:إنك لمنصف يا كعب،ثم قال الحجاج:أخطيب أنت أم شاعر؟فقال :شاعر وخطيب.فقال له: كيف كانت حالكم مع عدوكم؟قال:كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم،فعفوهم تأنيس منهم،فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم،قال:فكيف كان بنو المهلب؟قال:حماة للحريم نهاراً،وفرسانٌ بالليل أيقاظاً،قال:فأين السماع من العيان؟قال:السماع دون العيان،قال:صفهم رجلاً رجلاً،قال:المغيرة فارسهم وسيدهم، نار ذاكية،وصعدة عالية،وكفى بيزيد فارساً شجاعاً،ليث غاب،وبحر جم العباب،وجوادهم قبيصة،ليث المغار،وحامي الذمار،ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك،فكيف لا يفر من الموت الحاضر،والأسد الخادر،وعبد الملك سم نافع،وسيف قاطع،وحبيب الموت الذعاف،إنما هو طود شامخ،وفخر باذخ،وأبو عيينة البطل الهمام،والسيف الحسام،وكفاك بالمفضل نجدة،ليث هدار،وبحر موار،ومحمد ليث غاب ،وحسام ضراب،قال:فأيهم أفضل؟قال:هم كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفاها،قال :فكيف جماعة الناس؟قال:على أحسن حال،أدركوا ما رجوا،وأمنوا مما خافوا،وأرضاهم العدل،وأغناهم النفل،قال:فكيف رضاهم عن المهلب؟قال:أحسن رضا،وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد،ولا يعدم منهم بر الولد؟قال:فكيف فاتكم قطري؟قال:كدناه فتحول عن منزله وظن أنه قد كادنا ،قال:فهلا تبعتموه!قال:حال الليل بيننا وبينه،فكان التحرز-إلى أن يقع العيان،ويعلم امرؤٌ ما يصنع-أحزم،وكان الحد عندنا آثر من الفل،فقال له المهلب:كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم،وحمله على فرس،وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى.

شعره في المهلب وولده

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال:حدثني أبو عمروبندار الكرجي قال:حدثنا أبو غسان التميمي عن أبي عبيدة قال:كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء:تشبهوني مرة بالأسد،ومرة بالبازي،ومرة بالصقر،ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده!

براك الله حين براك بحراً وفجّر منك أنهاراً غزارا

بنوك السابقون إلى المعالي إذا ما أعظم الناس الخطارا

كأنهم نجوم حول بدر دراري تكمل فاستدارا

ملوك ينزلون بكل ثغر إذا ما الهام يوم الروع طارا

رزان في الأمور ترى عليهم من الشيخ الشمائل والنجارا

نجوم يهتدى بهم إذا ما أخو الظلماء في الغمرات حارا

وهذه الأبيات من القصيدة التي أولها:

طربت وهاج لي ذاك ادكارا

التي فيها الغناء.

تهاجيه وزياد الأعجم

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال:حدثنا غسان بن ذكوان الأهوازي قال:ذكر العتبي أن زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقري،واتصل الهجاء بينهما،ثم غلبه زياد،وكان سبب ذلك أن شراً وقع بين الأزد وبين عبد القيس،وحرباً سكنها المهلب وأصلح بينهم،وتحمل ما أحدثه كل فريق على الآخر،وأدى دياته،فقال كعب يهجو عبد القيس:

إني وإن كنت فرع الأزد قد علموا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالي

فهم أبو مالك بالمجد شرفني ودنس العبد عبد القيس سربالي

قال:فبلغ قوله زيادا الأعجم فغضب وقال: يا عجباً للعبد بن العبد بن الحيتان والسرطان ، يقول هذا في عبد القيس، وهو يعلم موضعي فيهم! والله لأدعنه وقومه غرضاً لكل لسان، ثم قال يهجوه:

نبئت أشقر تهجونا فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

قوم من الحسب الأدنى بمنزلة كالفقع بالقاع لا أصل ولا ورق

إن الأشاقر قد أضحوا بمنزلة لو يرهنون بنعلي عبدنا غلقوا

قال: وقال فيه أيضا :

هل تسمع الأزد ما يقال لها في ساحة الدار أم بها صمم؟

اختتن القوم بعد ما هرموا واستعربوا ضلة وهم عجم

قال: فشكاه كعب إلى المهلب وأنشده هذين البيتين، وقال: والله ما عنى بهما غيرك، ولقد عم بالهجاء قومك، فقال المهلب: أنت أسمعتنا هذا وأطلقت لسانه فينا به، وقد كنت غنيا عن هجاء عبد القيس وفيهم مثل زياد، فاكفف عن ذكره، فإنك أنت بدأته، ثم دعا بزياد فعاتبه، فقال: أيها الأمير، اسمع ما قال في وفي قومي فإن كنت ظلمته فانتصر، وإلا فالحجة عليه، ولا حجة على امرىء انتصر لنفسه وحسبه وعشيرته، وأنشده قول كعب فيهم:

لعل عبيد القيس تحسب أنها ... كتغلب في يوم الحفيظة أو بكر

يضعضع عبد القيس في الناس منصب ... دنيء وأحساب جبرن على كسر

إذا شاع أمر الناس وأنشقت العصا ... فإن لكيزاً لا تريش ولا تبري

فقال المهلب: قد قلت له أيضاً، قال: لا والله ما انتصرت، ولولاك ما قصرت وأي انتصار في قولي له :

يأيها الجاهل الجاري ليدركني ... أقصر فإنك إن أدركت مصروع

يا كعب لاتك كالعنز التي بحثت ... عن حتفها وجناب الأرض مربوع

وقولي :

لئن نصبت لي الروقين معترضاً ... لأرمينك رمياً غير ترفيع

إن المآثر والأحساب أورثني ... منها المجاجيع ذكراً غير موضوع

هجاؤه عبد القيس

يعني مجاعة بن مرة الحنفي، ومجاعة بن عمرو بن عبد القيس، فأقسم عليهما المهلب أن يصطلحا، فاصطلحا وتكافا، ومما هجا كعب الأشقري عبد القيس به قوله:

ثوى عامين في الجيف اللواتي ... كطرحة على باب الفصيل

أحب إلي من ظل وكن ... لعبد القيس في أصل الفسيل

إذا ثار الفساء بهم تغنوا ... ألم تربع على الدمن المثول

تظل لها ضبابات علينا ... موانع من مبيت أو مقيل

هجاؤه ربيعة واليمن

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب للنضر بن حديد: كانت ربيعة واليمن متحالفة، فكان المهلب وابنه يزيد ينزلان هاتين القبيلتين في محلتهما، فقال كعب الأشقري ليزيد:

لا ترجون هنائياً لصالحة ... واجعلهم وهداداً أسوة الحمر
حيان مالهما في الأزد مأثرة ... غير النواكة والإفراط في الهذر
واجعل لكيزاً وراء الناس كلهم ... أهل الفساء وأهل النتن والقذر
قوم علينا ضباب من فسائهم ... حتى ترانا له ميداً من السكر
أبلغ يزيد بأنا ليس ينفعنا ... عيش رغيد ولا شيء من العطر
حتى تحل لكيزا فوق مدرجة ... من الرياح على الأحياء من مضر
ليأخذوا لنزار حظ سبتها ... كما أخذنا بحظ الحلف والصهر

شعره في المهلب أمام رسول الحجاج

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويضعفه، ويعجزه في تأخيره أمرهم ومطاولتهم ، فقال المهلب لرسوله: قل له: إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرها كما أرى، فإن أمكنتني الفرصة انتهزتها، وإن لم تمكني توقفت ، فأنا أدبر ذلك بما يصلحه، وإن أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان خطأ فعلي، فابعث من رأيت مكاني، وكتب من فوره بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تعارض المهلب فيما يراه ولا تعجله، ودعه يدبر أمره، وقام الأشقري إلى المهلب فأنشده بحضرة رسول الحجاج:

إن ابن يوسف غره من غزوكم ... خفض المقام بجانب الأمصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا ... ضاقت عليه رحيبة الأقطار
من أرض سابور الجنود، وخيلنا ... مثل القداح بريتها بشفار
من كل خنذيذ يرى بلبانه ... وقع الظباة مع القنا الخطار
ورأى معاودة الرباع غنيمة ... أزمان كان محالف الإقتار

فدع الحروب لشيبها وشبابها ... وعليك كل خريدة معطار

فبلغت أبياته الحجاج، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقري إليه، فأعلم المهلب كعباً بذلك، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهبه منه، فقدم كعب على عبد الملك ، واستنشده فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجاج، وكتب إليه يقسم عليه أن يعفو عنه ويعرض عما بلغه من شعره، فلما وصل إليه ودخل

عليه قال: إيه يا كعب.

ورأى معاودة الرباع غنيمة فقال له: أيها الأمير، والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها، وما يوردناه المهلب من خطرها، أن أنجو منها وأكون حجاماً أو حائكاً، فقال له الحجاج: أولى لك، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحق بصاحبك، ورده من وقته.

هروبه إلى عمان

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب النضر بن حديد: لما عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم، مدحه كعب الأشقري، ونال من يزيد وثلبه، ثم بلغته ولاية يزيد على خراسان، فهرب إلى عمان على طريق الطبسين وقال:

وإني تارك مرواً ورائي ... إلى الطبسين معتام عمانا

لآوي معقلاً فيها وحرزاً ... فكنا أهل ثروتها زمانا

فأقام بعمان مدة ثم اجتواها ، وساءت حاله بها، فكتب إلى المهلب معتذراً:

بئس التبدل من مرو وساكنها ... أرض عمان وسكنى تحت أطواد

يضحي السحاب مطيراً دون منصفها ... كأن أجبالها علت بفرصاد

يا لهف نفسي على أمر خطلت به ... وما شفيت به غمري وأحقادي

أفنيت خمسين عاماً في مديحكم ... ثم اغتررت بقول الظالم العادي

أبلغ يزيد قرين الجنود مألكه ... بان كعباً أسير بين أصفاد

فإن عفوت فبيت الجود بيتكم ... والدهر طوران من غي وإرشاد

وإن مننت بصفح أو سمحت به ... نزعت نحوك أطنابي وأوتادي

وذكر المدائني أن يزيد بن المهلب حبسه ودس إليه ابن أخ له فقتله.

شعره في مقتل بني الأهتم

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب النضر أيضاً أن الحجاج كتب إلى يزيد بن المهلب يأمره بقتل بني الأهتم، فكتب إليه يزيد: إن بني الأهتم أصحاب مقال وليسوا بأصحاب فعال، فلا تقدر أن نحدث فيهم ضرراً ، وفي قتلهم عاروسبة؛ واستوهبهم منه ، فتغافل عنهم، ثم انضموا إلى المفضل بن المهلب، فكتب إليه الحجاج يأمره بقتلهم، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه، فأعفاهم ، ثم ولي قتيبة بن مسلم، فخرجوا إليه والتقوا معه، وذكروا

بني المهلب فعابوهم، فقبلهم قتيبة واحتوى عليهم، فكانوا يغرون الجند عليه ويحملونهم على سوء الطاعة، فكتب يشكوهم إلى الحجاج، فكتب إليه يأمره بقتلهم، فقتلهم جميعاً، فقال كعب الأشقري في ذلك:

قل للأهاتم من يعود بفضله ... بعد المفضل والأغر يزيد

ردا صحائف حتفكم بمعاذر ... رجعت أشائم طيركم بسعود

ردا على الحجاج فيكم أمره ... فجزيتم غحسانه بجحود

فاليوم فاعتبروا فعال أخيكم ... إن القياس لجاهل ورشيد

شعره في عمرو بن عمير

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: ولى يزيد بن المهلب رجلاً من اليحمد يقال له عمرو بن عمير الزم، فلقيه كعب الأشقري فقال له: أنت شيخ من الأذد يوليك الزم. ويولي ربيعة الأعمال السنية، وأنشده:

لقد فازت ربيعة بالمعالي ... وفاز اليحمدي بعهد زم

فإن تك راضياً منهم بهذا ... فزادك ربنا غما بغم

إذا الأزدي وضح عارضاه ... وكانت أمه من حي جرم

فثم حماقة لا شك فيها ... مقابلة فمن خال وعم

فرد اليحمدي عهد يزيد عليه، فحلف لا يستعمله سنة، فلما أجحفت به المئونة قال لكعب:

لوكنت خليتني يا كعب متكئاً ... في دور زم لما أقفرت من علف

ومن نبيذ ومن لحم أعل به ... لكن شعرك أمر كان من حرفي

إن الشقي بمرو من أقام بها ... يقارع الشوق من بيع ومن حلف

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: قال كعب الأشقري يهجو زياداً الأعجم:

وأقلف صلى بعد ما ناك أمه ... يرى ذاك في دين المجوس حلالاً

فقال له زياد: يا بن النمامة أهي أخبرتك أني أقلف؟ فغلبه زياد.

والقصيدة التي أولها:

طربت وهاج لي ذاك ادكارا

شعر له فيه غناء

وفيه الغناء المذكور بذكره خبر كعب الأشقري، يمدح بها المهلب بن أبي صفرة ويذكر قتاله الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء:

غرضن بمجلسي وكرهن وصلي ... أوان كسيت من شمط عذارا

زرين علي حين بدا مشيبي ... وصارت ساحتي للهم دارا

أتاني والحديث له نماء ... مقالة جائر أحفى وجارا

سلوا أهل الأباطح من قريش ... عن العز المؤبد اين صارا

ومن يحمي الثغور إذا استحرت ... حروب لا ينون لها غرارا

لقومي الأزد في الغمرات أمضى ... وأوفى ذمة وأعز جارا

هم قادوا الجياد على وجاها ... من الأمصار يقذفن المهارا

بكل مفازة وبكل سهب ... بسابس لا يرون لها منارا

إلى كرمان يحملن المنايا ... بكل ثنية يوقدن نارا

شوازب لم يصبن الثار حتى ... رددناها مكلمة مرارا

ويشجرن العوالي السمر حتى ... ترى فيها عن الأسل ازورارا

غداة تركن مصرع عبد رب ... يثرن عليه من رهج عصارا

ويوم الزحف بالأهواز ظلنا ... نروي منهم الأسل الحرارا

فقرت أعين كانت حديثاً ... ولم يك نومها إلا غرارا

صنائعنا الشوابغ والمذاكى ... ومن بالمصر يحتلب العشار

فهن يبحن كل حمى عزيز ... ويحمين الحقائق والذمارا

طوالات المتون يصن إلا ... إذا سار المهلب حيث سارا

فلولا الشيخ بالمصرين ينفي ... عدوهم لقد تركوا الديارا

ولكن قارع الأبطال حتى ... أصابوا الأمن واجتنبوا الفرارا

إذا وهنوا وحل بهم عظيم ... يدق العظم كان لهم جبارا

ومبهمة يحيد الناس عنها ... تشب الموت شد لها الإزارا

شهاب تنجلي الظلماء عنه ... يرى في كل مبهمة منارا

بل الرحمن جارك إذ وهنا بدفعك عن محارمنا اختيارا

براك الله حين براك بحراً وفجر منك أنهاراً غزارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدمة فيما سلف من أخبار كعب وشعره.

شعره في المهلب وولده

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثني العمري عن العتبي قال: قال عبد الملك بن مروان: يا معشر الشعراء، تشبهوننا بالأسد الأبخر، والجبل الوعر، والملح الأجاج؟ ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده:

لقد خاب أقوام سروا ظلم الدجى يؤمون عمراً ذا الشعير وذا البر

يؤمون من نال الغنى بعد شيبه وقاسي وليداً ما يقاسي ذوو الفقر

فقل للجيم حيا صميماً نفيتم بخيلكم بالرغم منه وبالصغر

فلو كنتم حياً صميماً نفيتم بخيلكم بالرغم منه وبالصغر

ولكنكم يا آل بكر بن وائل يسودكم من كان في المال ذا وفر

هو المانع الكلب النباح وضيفه خميص الحشا يرعى النجوم التي تسري

هجاؤه لأخيه وخبر ذلك

قال: وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا تباعد وعداوة، وكانت أمه سوداء فقال يهجوه:

إن السواد الذي سربلت تعرفه ميراث جدك عن آبائه النوب

أشبهت خالك خال اللؤم مؤتسياً بهديه سالكاً في شر أسلوب

مقتله

قال المدائني في خبره: وكان ابن أخي كعب هذا عدواً له يسعى عليه، فلما سأل مجزأة بن زياد بن المهلب أباه في كعب فخلاه، دس إليه زياد بن المهلب ابن أخيه الشاعر، وجعل له ملاً على قتله، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، وذلك في فتنة يزيد بن المهلب وهو بعمان يومئذ، وكان لكعب أخ غير أخيه الذي قتله ابنه، فلما قتل يزيد بن المهلب فرق مسلمة بن عبد الملك أعماله على عمال شتى فولي البصرة وعمان عبد الرحمن بن سليمان الكلبي، فاستخلف عبد الرحمن على عمان محمد بن جابر الراسبي، فأخبر أخو كعب

الباقي ابن أخيه الذي قتل كعباً، فقدمه إلى محمد بن جابر، وطلب القود منه بكعب، فقيل له: قتل أخوك بالأمس، وتقتل قاتله وهو ابن أخيك اليوم! وقد مضى أخوك وانقضى، فتبقى فرداً كقرن الأعضب ! فقال: نعم إن أخي كعباً كان سيدنا وعظيمنا ووجهنا، فقتله هذا، وليس فيه خير، ولا في بقائه عز، ولا هو خلف من كعب فأنا أقتله به، فلا خير في بقائه بعد كعب، فقدمه محمد بن جابر فضرب عنقه والله أعلم.

مدحه لقتيبة بن مسلم

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي ولقيط وغيرهما، قالوا: حاصر يزيد بن المهلب مدينة خوارزم في أيام ولايته، فلم يقدر على فتحها، واستصعب عليه، ثم عزل وولي قتيبة بن مسلم، فزحف إليها، فحاصرها ففتحها، فقال كعب الأشقري يمدحه ويهجو يزيد بن المهلب بقوله:

رمتك فيل بما فيها وما ظلمت ... من بعد ما رامها الفجفاجة الصلف

قيس صريح وبعض الناس يجمعهم ... قرى وريف ومنسوب ومقترف

منهم شناس ومرداذاء نعرفه ... وفسخراء، قبور حشوها القلف

لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا ... فهم ثقال على أكتافها عنف

قال: الفيل الذي ذكره هو حصن خوارزم يقال له والكهندر: الحصن العتيق، والفجفاجة: الكثير الكلام. وشناس: اسم أبي صفرة، فغيره، وتسمى ظالماً، ومرداذاء: أبو أبي صفرة، وسموه بسراق لما تعربوا، وفسخراء: جده، وهم قوم من الخوز من أهل عمان، نزلوا الأزد، ثم ادعوا أنهم صليبة صرحاء منهم،

صوت

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا ... وقفت يوماً إلى الليل حابسا

فجئنا بهيت لا نرى غير منزل ... قليل به الآثار إلا الروامسا

يدورون بي في ظل كل كنيسة ... فينسونني قومي وأهوى الكنائسا

البيت الأول من الشعر للعباس بن مرداس السلمي، وبيت العباس مصراعه الثاني:

توهمت منه رحرحان فراكسا

وغيره يزيد بن معاوية فقال مكان هذا المصراع:

وقفت به يوماً إلى الليل حابسا

والبيت الثاني للعباس بن مرداس، والثالث ليزيد بن معاوية، ذكر بعض الرواة أنه قاله على هذا الترتيب وأمر بديحا أن يغني فيه، ففعل؛ و لم يأت ذلك من جهة يوثق بها، والصحيح أن الغناء لمالك، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامي ويحيى المكي، وهذا صوت زعموا أن مالكاً صنعه على لحن سمعه من الرهبان.

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أحمد المكي، عن أبيه، عن سياط، أن مالكاً دخل مع الوليد بن يزيد ديراً، فسمع لحناً من بعض الرهبان، فاستحسنه، فصنع عليه.

ليس رسم على الدفين ببالي

فلما غناه الوليد قال له: الأول أحسن فعد إليه. اللحن الثاني الذي لمالك، ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعمرو، وأوله:

در در الشباب والشعر الأس ... ود والضامرات تحت الرحال

والخناذيذ كالقداح من الشو ... حط يحملن شكة الأبطال

أخبار العباس بن مرداس ونسبه

نسبه

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ويكنىأبا الهيثم، وإياه يعني أخوه سراقة بقوله يرثيه:

أعين ألا أبكي أبا الهيثم ... وأذري الدموع ولا تسأمي

وهي أبيات تذكر في أخباره، وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديد العارضة والبيان، سيداً في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أعطى المؤلفة قلوبهم فضل عليه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع؛ والله أعلم.

خبره مع صنم كان لهم

أخبرني محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر، عن قبيصة، عن عمرو والخزاعي عن العباس بن مرداس بن أبي عامر أنه قال: كان لأبي صنم اسمه ضمار ، فلما حضره الموت أوصاني به وبعبادته والقيام عليه، فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت،

وجعلت آتيه في كل يوم وليلة مرة، فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً في جوف الليل راعني، فوثبت إلى ضمار، فغذا الصوت في جوفه يقول:

قل للقبائل من سليم كلها ... هلك الأنيس وعاش أهل المسجد

إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدي

أودى الضمار وكان يعبد مرة ... قبل الكتاب إلى النبي محمد

قال: فكتمت الناس ذلك، فلم أحدث به أحداً حتى انقضت غزوة الأحزاب، فبينا أنا في إبلي في طرف العقيق وأنا نائم، إذ سمعت صوتاً شديداً، فرفعت رأسي فإذا أنا برجل على حيالي بعمامة يقول: إن النور الذي وقع بين الأثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء ، في ديار بني أخي العنقاء ، فأجابه طائف عن شماله لا أبصره فقال: بشر الجن وأجناسها، أن وضعت المطي أحلاسها ، وكفت السماء أحراسها، وأن يغص السوق أنفاسها ، قال: فوثبت مذعوراً وعرفت أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم مصطفى، فركبت فرسي وسرت حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلمت، وانصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار.

خروجه إلى النبي وإسلامه

وقال أبو عبيدة:

ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً وتابعت بين الأخشبين المباركا
نبي أتانا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفرقان أول شافع وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تلافى عرا الإسلام بعد انفصامها فأحكمها حتى أقام المناسكا
رأيت يا خير البرية كلها توسطت في القربى من المجد مالكا
سبقتهم بالمجد والجود والعلا وبالغاية القصوى تفوت السنابكا

فأنت المصفى من قريش إذا سمت غلاصمها تبغي القروم الفواركا

قال: فقدم عباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حيث أراد المسير إلىمكة عام الفتح، فواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قديداً ، وقال: القني أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قديداً وهو ذاهب، لقيه عباس في ألف من بني سليم، ففي ذلك يقول عباس بن مرداس:

بلغ عباد الله أن محمداً رسول الإله راشد أين يمما
دعا قومه واستنصر الله ربه فأصبح قد وافى الإله وأنعما
عشية واعدنا قديداً محمداً يؤم بنا أمراً من الله محكما
حلفت يميناً برة لمحمد فأوفيته ألفاً من الخيل معلما
سرايا يراها الله وهو أميرها يؤم بها في الدين من كان أظلما
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا وخيلاً كدفاع الأتي عرمرما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم وحتى صبحنا الخيل أهل يلملما

وهي قصيدة طويلة.

زوجته تؤنبه على إسلامه

قال: ولما عرف راعي العباس بن مرداس زوجته بنت الضحاك بن سفيان خبره وإسلامه قوضت بيتها، وارتحلت إلى قومها، وقالت تؤنبه:

ألم ينه عباس بن مرداس أنني رأيت الورى مخصوصة بالفجائع
أتاهم من النصار كل سميذع من القوم يحمي قومه في الوقائع

بكل شديد الوقع عضب، يقوده إلى الموت هام المقربات البرائع
لعمري لئن تابعت دين محمد وفارقت إخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفس ذلا بعزة غداة اختلاف المرهفات القواطع
وقوم هم الرأس المقدم في الوغى وأهل الحجا فينا وأهل الدسائع
سيوفهم عز الذليل وخيلهم سهام الأعادي في الأمور الفظائع

شعره حين فضل غيره عليه في الغنائم

فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأخبرني عمر بن إسمعيل بن أبي غيلان الثقفي قال: حدثنا داود بن عمرو الضبي قال: حدثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق، وحدثنيه محمد بن جرير قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق وقد دخل حديث بعضهم في حديث بعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم غنائم هوزان ، فأكثر العطايا لأهل مكة، وأجزال القسم لهم ولغيرهم ممن خرج إلى حنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزوى كثيراً من القسم عن أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضل فيها عيينة والأقرع على العباس، فجاءه العباس فأنشده:

وكانت نهاباً تلافيتها بكري على المهر في الأجرع
وإيقاظي الحي أن يرقدوا إذا هجع القوم لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبي د بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تدرإ فلم أعط شيئاً ولم أمنع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه فقال له: أنت القائل: "أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينه"؟ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر، وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرك بأيهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقطعوا عني لسانه، وأمر بأن يعطوه من الشاء والنعم ما يرضيه ليمسك، فأعطي، قال: فوجدت الأنصار في أنفسها، وقالوا: نحن أصحاب موطن وشدة، فآثر

قومه علينا، وقسم قسماً لم يقسمه لنا، وما نراه فعل هذا إلا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم في منزلهم فجمعهم، وقال: من كان ها هنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار، قد بلغتني مقالة قلتموها، وموجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم قليلاً فكثركم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم أعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عيينة أنه قال: ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها؟ قالوا: بلى. قال: أفلا تجيبون يا معشر الأنصار؟ قالوا: لله ولرسوله علينا المن والفضل، جئتنا يارسول الله ونحن في الظلمات، فأخرجنا الله بك إلى النور، وجئتنا يا رسول الله ونحن على شفا حفرة من النار، فأنقذنا الله، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلة قليلون فأعزنا الله بك، فرضينا الله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا. فقال صلى الله عليه وسلم: أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا، فقلتم: جئتنا طريداً فآويناك، ومخذولاً فنصرناك، وعائلاً فأغنيناك، ومكذباً فصدقناك، وقبلنا منك ما رده عليك الناس، لقد صدقتم. فقال الأنصار: لله ولرسوله علينا المن والفضل ، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم، وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا معشر الأنصار وجدتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرت بها ناساً أتألفهم على الإسلام ليسلموا، ووكلتكم إلى الإسلام، أو لا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده لو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار، ثم بكى القوم ثانية حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حظا وقسماً، وتفرق القوم راضين، وكانوا بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد اغتباطاً من المال.

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أشراف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على الإسلام، فأعطى كل رجل من هؤلاء النفر وهم: أبو سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحرث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى كل واحد من مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤي وسعيد بن يربوع، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقل، وأعطى العباس بن مرداس أبا عر، فتسخطها وقال الأبيات المذكورة، فأعطاه حتى رضي.

كتب عبد الملك لابن الزبير يتوعده

حدثنا وكيع قال:حدثنا الكراني قال:حدثنا عطاء بن مصعب،عن عاصم بن الحدثان قال:كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتاباً يتوعده فيه وكتب فيه:

إني لعند الحرب تحمل شكتي إلى الروع جرداء السيالة ضامر

والشعر للعباس بن مرادس.فقال ابن الزبير :أبا لشعر يقوى عليّ؟والله لا أجيبه إلا بشعر هذا الرجل؛فكتب إليه:

إذا فرس العوالي لم يخالج همومي غير نصر واقتراب

وإنا والسوابح يوم جمع وما يتلو الرسول من الكتاب

هزمنا الجمع جمع بني قسي وحكت بركها ببني رئاب

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العباس برسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره له،وفيها يقول:

بذي لجب رسول الله فيه كتيبته تعرض للضراب

ولو أدركن صرم بني هلالٍ لآم نساؤهم والنقع كابي

خبر قتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة:وكان هريم بن مرادس مجاوراً في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر،فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد،وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرادس،فقال يحض عامراً على الطلب بثأر جاره،فقال:

إذا كان باغٍ منك نال ظلامةً فإن شفاء البغي سيفك فافصل

ونبئت أن قد عوضوك أباعراً وذلك للجيران غزل بمغزل

فخذها فليست للغزيزبنصرةٍ وفيها متاع لا مرىء متدلل

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة،وتحدث الناس أنه وعده أن يوليه الشأم إذا بايعه.قال:فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأرهريم،ثم إن أبا حليس النصري لقي خويلداً قاتل هريم فقتله،فقال بنو نصر:بؤ بدم فلان النصري-رجل كانت خزاعة قتلته-فقال أبو الحليس:لا،بل هو بؤ بدم هريم بن مرادس،وبلغ العباس،فقال يمدحه بقوله:

أتاني من الأنباء أن ابن مالك كفى ثائراً من قومه من تغببا

ويلقاك ما بين الخميس خويلدٌ أرى عجباً بل قتله كان أعجبا

فدى لك أمي إذ ظفرت بقتله وأقسم أبغي عنك أماً ولا أبا

فمثلك أدى نصرة القوم عنوةً ومثلك أعيا ذا السلاح المجربا

خروجه لحرب بني نصر

قال أبو عبيدة:أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سليم،فبلغ ذلك العباس بن مرداس، فخرج إليهم في جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثر فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سليم، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم، وأخذت بنو نصر فرساً للعباس عائرة يقال لها زرة ، فانطلق بها عطية بن سفيان النصري وهو يؤمئذ رئيس القوم فقال في ذلك العباس:

أبى قومنا إلا الفرار ومن تكن ... هوازن مولاه من الناس يظلم
أغار علينا جمعهم بين ظالم ... وبين ابن عم كاذب الود أيهم
كلاب وما تفعل كلاب فإنها ... وكعب سراة البيت ما لم تهدم
فإن كان هذا صنعكم فتجردوا ... لألفين منا حاسر وملأم
وحرب إذا المرء السمين تمرست ... بأعطافه بالسيف لم يترمرم
ولم أحتسب سفيان حتى لقيته ... على مأقط إذ بيننا عطر منشم
فقلت وقد صاح النساء خلالهم ... لخيلي شدي إنهم قوم لهذم
فما كان تهليل لدن أن رميتهم ... بزرة ركضاً حاسراً غير ملجم
إذا هي صدت نحرها عن رماحهم ... أقدمها حتى تنعل بالدم
ومازال منهم رائغ عن سبيلها ... وآخر يهوي لليدين وللفم
لدن غدوة حتى استبيحوا عشية ... وذلوا فكانوا لحمة المتلحم
فآبوا بها عرفاً وألقيت كلكلي ... على بطل شاكي السلاح مكلم
ولن يمنع الأقوام إلا مشايح ... يطارد في الأرض الفضاء ويرتمي

قال: ثم إن العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر وكانوا ثلاثين رجلاً فأطلقهم، وظن أنهم سيثيبونه بفعله، وأن سفيان سيرد عليه فرسه زرة، فلم يفعلوا، فقال في ذلك:

أزرة خير أم ثلاثون منكم ... طليقاً رددناه إليكم مسلما

قال: وجعل العباس يهجو بني نصر، فبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعده في ذلك، فلقيه عباس في المواسم، فقال له سفيان: والله لتنتهين أو لأصرمنك، فقال عباس:

أتوعدني بالصرم إن قلت اوفني ... فأوف وزد في الصرم لهزمة النتن

وقال العباس أيضا فيه:

ألا من مبلغ سفيان عني ... وظني أن سيلغه الرسول

ومولاه عطية أن قيلا خلا مني وأن قد بات قيل
سئمتم ربكم وكفرتموه وذلكم بأرضكم جميل
ألا توفي كما أوفى شبيب فحل له الولاية والشمول
أبوه كان خيركم وفاء وخيركم إذا حمد الجميل
ألام على الهجاء وكل يوم تلاقيني من الجيران غول
سأجعلها لأجمعكم شعارا وقد يمضي اللسان بما يقول

وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخباره بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غزاة غزاها بني زبيد باليمن.

حربه مع بني زبيد

قال أبو عمرو وأبو عبيدة: جمع العباس بن مرداس بن أبي عامر - وكان يقال للعباس: مقطع الأوتاد جمعا من بني سليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبح بني زبيد بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عدداً كثيراً، وغنم حتى ملأ يديه، فقال في ذلك:

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وقفت به يوماً إلى الليل حابسا

يقول فيها:

فدع ذا ولكن هل أتاك مقادنا لأعدائنا نزجي الثقال الكوادسا
سمونا لهم تسعاً وعشرين ليلة نجيز من الأعراض وحشاً بسابسا
فلم أر مثل الحي حياً مصبحا ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا صدور المذاكى والرماح المداعسا
وأحصننا منهم فما يبلغوننا فوارس منا يحبسون المحابسا
وجرد كأن الأسد فوق متونها من القوم مرءوسا كميا ورائسا
وكنت أمام القوم أول ضارب وطاعنت إذ كان الطعان مخالسا
ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ضياع بأكناف الأراك عرائسا

فأجابه عمرو بن معد يكرب عن من هذه القصيدة بقصيدة أولها:

لمن طلل بالخيف أصبح دراسا تبدل آراما وعينا كوانسا

وهي طويلة، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها.

شعره في جلاء بني النضير

وجواب خوات له

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا أبو غزية عن فليح بن سليمان قال: قال العباس يذكر جلاء بني النضير ويبكيهم بقوله:

لو أن قطين الدار لم يتحملوا وجدت خلال الدار ملهى وملعبا

فإنك عمري هل رأيت ظعائنا سلكن على ركن الشظاة فميثنا

عليهن عين من ظباء تبالة أوانس يصبين الحليم المجربا

إذا جاء باغي الخير قلن بشاشة له بوجوه كالدنانير: مرحبا

وأهلاً فلا ممنوع خير طلبته ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا

فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم سلام ولا مولى حيي بن أخطبا

فقال خوات بن جبير يجيب العباس:

اتبكي على قتلى يهود وقد ترى من الشجو لو تبكي أحق وأقربا

فهلا على قتلى ببطن أوارة بكيت وما تبكي من الشجو مغضبا

إذا السلم دارت في الصديق رددتها وفي اليدين صداداً وفي الحرب ثعلبا

وإنك لما أن كلفت بمدحة لمن كان ميناً مدحه وتكذبا

وجئت بأمر كنت أهلاً لمثله ولم تلف فيهم قائلاً لك مرحبا

فهلا إلى قوم ملوك مدحتهم بنوا من ذرا المجد المقدم منصبا

إلى معشر سادوا الملوك وكرموا ولم يلف فيهم طالب الحق مجدباً

أولئك أولى من يهود بمدحة تراهم وفيهم عزة المجد ترتبا

فقال عباس بن مرداس يجيبه:

هجوت صريح الكاهنين وفيكم لهم نعم كانت من الدهر ترتبا

أولئك أحرى إن بكيت عليهم وقومك لو أدوا من الحق موجبا
من الشكر إن الشكر خير مغبة وأوافق فعلا للذي كان أصوبا
فصرت كمن أمسى يقطع رأسه ليبلغ عزاً كان فيه مركبا
فبك بني هارون وأذكر فعالهم وقتلهم للجوع إذ كنت مسغبا

قال الزبير: فحدثني محمد بن الحسن عن محرز بن جعفر قال: التقى عباس بن مرداس وخوات بن خبير يوماً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال خوات: يا عباس أأنت الذي رثيت اليهود، وقد كان منهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان! فقال عباس: إنهم كانوا أخلائي في الجاهلية، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرمونني، ومثلي يشكر ما صنع إليه من الجميل، وكان بينهما قول حتى تجاذبا، فقال له خوات: أما والله لئن استقبلت غرب شبابي، وشبا أنيابي، وخشن جوابي، لتكرهن عتابي. فقال عباس: والله يا خوات، لئن استقبلت عني وفني وذكاء سني، لتفرن مني، إياي تتوعد يا خوات، يا عاني السوآت! والله لقد استقبلك اللؤم فردعك ، واستدبرك فكسعك ، وعلاك فوضعك، فما أنت بمهجوم عليك من ناحية إلا عن فضل لؤم؛ إياي ثكلتك أمك تروم؟ وعلي تقوم؟ والله ما نصبت سوقك، ولأظهرن عليك بعد؛ فقال عمر لهما: إما أن تسكتا وإما أن أوجعكما ضرباً، فصمتا وكفا، أخبرني بذلك علي بن نصر قال: حدثني الحسن بن محمد بن جرير، وحدثني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك. وللعباس مع خوات مناقصات أخر في هذا المعنى، كرهت الإطالة بذكرها.

رثاه أخوه بشعر

قال أبو عبيدة: وكان العباس وسراقة وحزن وعمرو بنو مرداس كلهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وكلهم كان شاعراً، وعباس أشعرهم، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم، ومات في الإسلام، فقال أخوه سراقة يرثيه:

أعين ألا أبكي أبا الهيثم وأذري الدموع ولا تسأمي
وأثني عليه بآلائه بقول امرىء موجع مؤلم
فما كنت بائعه بامرىء أراه ببدو ولا موسم
أشد على رجل ظالم وأدهى لداهية ميثم

وقالت أخته عمرة ترثيه:

لتبك ابن مرداس على ما عراهم عشيرته إذ حم أمس زوالها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم فكان إليه فصلها وجدالها

ومعضلة للحاملين كفيتها إذا أنهلت هوج الرياح طلالها

وقد روى العباس بن مرداس عن النبي صلى الله عليه وسلم، ونقل عنه الحديث.

دعاء النبي عليه السلام لأمته

حدثنا الحسين بن الطيب الشجاعي البلخي بالكوفة قال: حدثنا أيوب بن محمد الطلحي قال: حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي قال: حدثنا عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن جده عباس بن مرداس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة قال: فأجيب لهم بالمغفرة إلا ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض، قال: فإني آخذ للمظلوم من الظالم، قال: أي رب إن شئت أعطيت للمظلوم من الجنة، وغفرت للظالم، فلم يجب في حينه، فلما أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء، فأجيب لهم بما سأل، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أو تبسم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي! إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها أو تبسم، فقال: إن إبليس لما علم أن الله غفر لأمتي جعل يحثو التراب على رأسه، ويدعو بالويل والثبور، فضحكت من جزعه. تمت أخبار العباس .

صوت

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعراقاً وعيدانا

أرجوك من بعده إذ بان سيدنا عنا ولولاك لاستسلمت إذ بانا

فأنت أكرم من يمشي على قدم وأنضر الناس عند المحل أغصانا

لو مج عود على قوم عصارته لمج عودك فينا المسك والبانا

الشعر لحماد عجرد، والغناء لحكم الوادي، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها.

أخبار حماد عجرد ونسبه

نسبه

هو حماد بن يحيى بن عمر بن كليب، ويكنىأبا عمر ، مولى بني عامر بن صعصعة وذكر ابن النطاح أنه مولى بني سراة، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عقيل، وأصله ومنشؤه بالكوفة، وكان يبري النبل، وقيل: بل أبوه كان نبالاً، و لم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

وقال صالح بن سليمان: كان عم لحماد عجرد يقال له مؤنس بن كليب، وكانت له هيئة وابن عمه عمارة بن حمزة بن كليب انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً، فكانوا بها، وحماد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس، وكان خليعاً ماجناً، متهماً في دينه، مرمياً بالزندقة.
كان أبوه مولى لبني هند

وهجاء بشار له

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: قال أبو دعامة: حدثني عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء قال: كان يحيى أبو حماد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة، وكان وكيلاً لها في ضيعتها بالسواد ، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر، فجر عبد الملك ولاء موالي أمه فصاروا مواليه. قال: ولما كان والد حماد عجرد بالسواد في ضيعتها نبطه بشار لما هجاه بقوله:

وأشدد يديك بحماد أبي عمر فإنه نبطي من زنابير

قال: وإنما لقبه بعجرد عمرو بن سندي، مولى ثقيف لقوله فيه:

سبحت بغلة ركبت عليها عجباً منك خيبة للمسير
زعمت أنها تراه كبيراً حملها عجرد الزنا والفجور
إن دهراً ركبت فيه على بغ ل وأوقفته بباب الأمير
لجدير ألا نرى فيه خيراً لصغير منا ولا لكبير
ما أمرؤ ينتقيك يا عقده الكل ب لأسراره بجد بصير
لاولا مجلس أجنك للذات يا عجرد الخنا بستير

يعني بهذا القول محمد بن أبي العباس السفاح، وكان عجرد في ندمائه، فبلغ هذا الشعرأبا جعفر، فقال لمحمد: مالي ولعجرد يدخل عليك؟ لا يبلغني أنك أذنت له، فقال: وعجرد مأخوذ من المعجرد، وهو العريان في اللغة، يقال: تعجرد الرجل إذا تعرى فهو يتعجرد تعجرداً: وعجردت الرجل أعجرده عجردة إذا عريته.
الحمادون الثلاثة أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدثني الثقفي عن إبراهيم بن عمر العامري قال: كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون: حماد عجرد وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حماد عجرد.
أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة إجازة عن التوزي : أن حماداً لقب بعجرد لأن أعرابياً مر به في يوم شديد البرد وهو عريان يلعب مع الصبيان فقال له: تعجردت يا غلام؛ فسمي عجرداً.

قال أبو خليفة: المتعجرد: المتعري؛ والعجرد أيضاً: الذهب.

سبب مهاجاة بشار أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عباد بن الممزق، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: كان السبب في مهاجاة حماد عجرد بشاراً أن حماداً كان نديماً لنافع بن عقبة، فسأله بشار تنجز حاجة له من نافع، فأبطأ عنها، فقال بشارفيه:

مواعيد حماد سماء مخيلة ... تكشف عن رعد ولكن ستبرق

إذا جئته يوماً أحال على غد ... كما وعد الكمون ما ليس يصدق

وفي نافع عني جفاء، وإنني ... لأطرق أحياناً، وذو اللب يطرق

وللنقرى قوم فلو كنت منهم ... دعيت ولكن دوني الباب مغلق

أبا عمر خلفت خلفك حاجتي ... وحاجة غيري بين عينيك تبرق

وما زلت أستأنيك حتى حسرتني ... بوعد كجاري الآل يخفى ويخفق

قال: فغضب حماد وأنشد نافعاً الشعر، فمنعه من صلة بشار، فقال بشار:

أبا عمر ما في طلابيك حاجة ... ولا في الذي منيتنا ثم أصحرا

وعدت فلم تصدق وقلت غداً غداً ... كما وعد الكمون شربا مؤخرا

كان من كبار الزنادقة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني أبو إسحاق الطلحي قال: حدثني أبو سهبل قال: حدثني أبو نواس قال: كنت أتوهم أن حماد عجرد إنما رمي بالزندقة لجونه في شعره، حتى حبست في حبس الزنادقة، فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرءون به في صلاتهم، قال: وكان له صاحب يقال له حريث على مذهبه، وله يقول بشار حين مات حماد عجرد على سبيل التعزية له:

بكى حريث فوقره بتعزية ... مات ابن نهيا وقد كانا شريكين

تفاوضا حين شابا في نسائهما ... وحللا كل شيء بين رجلين

أمسى حريث بما سدى له غيراً ... كراكب اثنين يرجو قوة اثنين

حتى إذا أخذا في غير وجههما ... تفرقا وهوى بين الطريقين

يعني أنه كان يقول بقول الثنوية في عبادة اثنين، فتفرقا وبقي بينهما حائراً، قال: وفي حماد يقول بشار أيضا وينسبه إلى أنه ابن نهيا

يا بن نهيا رأس علي ثقيل واحتمال الرؤوس خطب جليل

ادع غيري إلى عبادة الاثني ن فإني بواحد مشغول

يابن نهيا برئت منك إلى الل ه جهارا، وذاك مني قليل

قال: فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار في الناس، وجعل فيها مكان "فإني بواحد مشغول": "فإني عن واحد مشغول" ليصحح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشار، فاضطرب منها وتغير وجزع وقال: أشاط ابن الزانية بدمي ، والله ما قلت إلا فإني بواحد مشغول فغيرها حتى شهرني في الناس بما يهلكني

هجاء بشار له

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني صالح بن سليمان الخثعمي قال: قيل لعبد الله بن ياسين : إن بشاراً المرعث هجا حماداً فنبطه، فقال عبد الله: قد رأيت جد حماد، وكان يسمى كليباً، وكانت صناعته صناعة لا يكون فيها نبطي، كان يبري النبال ويريشها، وكان يقال له: كليب النبال، مولى بني عامر بن صعصعة.

هجاء بشار له ولصديقه سليم أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني أحمد بن خلاد قال: كان بشار صديقاً لسليم بن سالم مولى بني سعد، وكان المنصور أيام استتر بالبصرة نزل على سليم بن سالم، فولاه أبو جعفر حين أفضى المر إليه السوس وجنديسابور، فانضم إليه حماد عجرد، فأفسده على بشار، وكان له صديقاً، فقال بشار يهجوهما:

أمسى سليم بأرض السوس مرتفقاً في خزها بعد غربال وأمداد

ليس النعيم وإن كنا نزن به إلا نعيم سليم ثم حماد

نيكا وناكا ولم يشعر بذا أحد في غفلة من نبي الرحمة الهادي

فنشب الشر بين حماد وبشار دخل بينه وبين بشار رجل بصري أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن عمر بن شبة، عن أبي أيوب الزبالي ، قال: كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاق منهما ورضاً بأن ينقل إلى كل واحٍ منهما وعنه الشعر، فدخل يوماً إلى بشار فقال له: إيهٍ يا فلان، و ما قال ابن الزانية في ؟فأنشده:

إن تاه بشار عليكم فقد أمكنت بشاراً من التيه

فقال بشار: بأي شيء ويحك؟فقال:

وذاك إذ سميته بآسمه ولم يكن حر يسميه

فقال: سخنت عينه ، فبأي شيء كنت أعرف؟ إيهٍ، فقال:

فصار إنساناً بذكري له ما يبتغي من بعد ذكريه؟

فقال: ما صنع شيئاً، إيهٍ ويحك؟ فقال:

لم أهج بشاراً ولكنني هجوت نفسي بهجائيه

فقال: على هذا المعنى دار، وحوله حام ، إيهٍ أيضاً، وأي شيء قال؟ فأنشده:

أنت ابن برد مثل بر د في النذالة والرذاله

من كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلاأبا له

فقال: جود ابن الزانية، وتمام الأبيات الأول:

لم آت شيئاً قط فيما مضى ولست فيما عشت آتيه

أسوأ لي في الناس أحدوثة من خطأ أخطأته فيه

فاصبح اليوم بسبي له أعظم شأناً من مواليه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة، عن خلاد الأرقط قال: أنشد بشاراً راويته قول عجرد فيه:

دعيت إلى برد وأنت لغيره فهبك ابن برد نكت أمك من برد؟

فقال بشار لراويته: ها هنا أحد؟ قال: لا، فقال: أحسن والله ما شاء ابن الزانية.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني محمد بن يزيد المهلبي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عيينة قال: قال حماد عجرد لما أنشد قول بشار فيه:

يابن نهيا رأس علي ثقيل واحتمال الرأسين أمر جليل

فادع غيري إلى عبادة ربي ن فإني بواحد مشغول

والله ما أبالي بهذا من قوله، وإنما يغيظني منه تجاهله بالزندقة، يوهم الناس إنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجهال أنه لا يعرفها، لأن هذا قول تقوله العامة لا حقيقة له، وهو والله أعلم بالزندقة من ماني .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد بن عمار وحبيب بن نصر المهلبي، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو أيوب الزبالي قال: قال بشار لراوية حماد: ما هجاني به اليوم حماد؟ فأنشده:

ألا من مبلغ عني الذي والده برد

فقال: صدق ابن الفاعلة، فما يكون؟فقال:

إذا ما نسب الناس فلا قبل ولا بعد

فقال: كذب ابن الفاعلة، وأين هذه العرصات من عقيل؟ فما يكون؟ فقال:

وأعمى قلطبان ما على قاذفه حد

فقال: كذب ابن الفاعلة، بل عليه ثمانون جلدة، هيه، فقال:

وأعمى يشبه القرد إذا ما عمي القرد

فقال: والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبهني بقرد، حسبك حسبك، ثم صفق بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه.

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ فذكر مثله، وقال فيه: لما قال حماد عجرد في بشار:

شبيه الوجه بالقرد إذا ما عمي القرد

بكى بشار، فقال له قائل: أتبكي من هجاء حماد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفه، قال: وتمام هذه الأبيات:

ولو ينكه في صلد صفا لا نصدع الصلد

دني لم يرح يوماً إلى مجد ولم يغد

ولم يحضر مع الحضا ر في خير ولم يبد

ولم يخش له ذم ولم يرج له حمد

جرى بالنحس مذكان ولم يجر له سعد

هو الكلب إذا ما ما ت لم يوجد له فقد

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني خلاد الأرقط قال: أشاع بشار في الناس أن حماد عجرد كان ينشد شعراً ورجل بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه، فقال حماد: علام اجتمعوا؟ فوالله لما أقول أحسن مما يقول.

قال: وكان بشار يقول: لماسمعت هذا من حماد مقته عليه.

هجاء بشار له أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني أبو إسحاق الطلحي قال: حدثني أبو سهيل عبد الله بن ياسين أن بشاراً قال: في حماد عجرد وسهيل بن سالم، وكان سهيل من أشراف أهل البصرة، وكان من عمال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حماد وسهيل نديمين:

ليس النعيم وإن كنا نزن به إلا نعيم سهيل ثم حماد

ناكا ونيكا إلا لاح شبيهما في غفلة عن نبي الرحمة الهادي

فهدين طوراً وفهادين آونة ما كان قبلهما فهد بفهاد

سبحانك الله لو شئت امتسختهما قردين فاعتلجا في بيت قراد

قال: يعني بقوله ما كان قبلهما فهد بفهاد أي لم يكن الفهد فهاداً، كما تقول: لم يكن زيد بظريف، و لم يكن زيد ظريفاً، قال ابن ياسين: وفيه يقول بشار أيضاً:

مالمت حماداً على فسقه يلومه الجاهل و المائق

وما هما من أيره واسته؟ ملكه إياهما الخالق

ما بات إلا فوقه فاسق ينيكه أو تحته فاسق

هجاؤه لبشار أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أنشدني ابن أبي سعد لحماد عجرد في بشار قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه:

نهاره أخبث من ليله ويومه أخبث من أمسه

وليس بالمقلع عن غيه حتى يوارى في ثرى رمسه

قال: وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه:

لو طليت جلدته عنبراً لأفسدت جلدته العنبرا

أو طليت مسكاً ذكياً إذا تحول المسك عليه خرا

قال ابن أبي سعد: وقد بالغ بشار في هجاء حماد، ولكن حكم الناس عليه لحماد بهذه الأبيات

اتصاله بالربيع

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني أحمد بن إسحاق قال: حدثني عثمان بن سفيان العطار قال: اتصل حماد عجرد بالربيع يؤدب ولده، فكتب إليه بشار رقعة، فأوصلت إلى الربيع، فطرده لما قرأها، وفيها مكتوب:

ياأبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم

إن حماد عجرد إن رأى غفلة هجم

بين فخذيه حربة في غلاف من الأدم

إن خلا البيت ساعة مجمج الميم بالقلم

فلما قرأها الربيع قال: صيرني حماد دريئة الشعراء، أخرجوا عني حماداً، فأخرج.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عباد بن الممزق أن حماد عجرد كان يؤدب ولد العباس بن محمد الهاشمي، فكتب إليه بشار بهذه الأبيات المذكورة، فقال العباس: مالي ولبشار؟ أخرجوا عني حماداً، فأخرج.

هجاؤه لبشار

أخبرني يحيى بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزبيري قال: لما أخرج العباس بن محمد حماداً عن خدمته، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشاراً:

لقد صار بشار بصيراً بدبره ... وناظره بين الأنام ضرير

له مقلة عمياء واست بصيرة ... إلى الأير من تحت الثياب تشير

على وده أن الحمير تنيكه ... وأن جميع العالمين حمير

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد فعل مثل هذا بعينه حماد عجرد بقطرب

شعره في قطرب

أخبرني عمي عن عبد الله بن المعتز قال: حدثني أبو حفص الأعمى المؤدب، عن الزبالي قال: اتخذ قطرب النحوي مؤدباً لبعض ولد المهدي، وكان حماد عجرد يطمع في أن يجعل هو مؤدبه، فلم يتم له ذلك، لتهتكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار، فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالملقى على الرضف ، فجعل يقول ويقعد بقطرب في الناس، ثم أخذ رقعة فكتب فيها:

قل للإمام جزاك الله صالحة ... لا تجمع الدهر بين السخل والذيب

السخل غر وهم الذئب فرصته ... والذئب يعلم ما في السخل من طيب

فلما قرأ هذين البيتين قال: انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطياً، ثم قال : انفوه عن الدار، فأخرج عنها، وجيء بمؤدب غيره، ووكل به تسعون خادماً يتناوبون، يحفظون الصبي، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى عيسى بن إدريس العجلي بن أبي دلف فأقام معه بالكرج إلى أن مات.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني قال: لما قال حماد عجرد في بشار:

ويا أقبح من قرد ... إذا ما عمي القرد

قال بشار: لا إله إلا الله، قد والله كنت أخاف أن يأتي به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقت به خوفاً من أن يسمع فأهجى به، حتى وقع عليه النبطي ابن الزانية.

كان أبو حنيفة صديقاً له

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدثني العجلي قال: حدثني أبو دهمان قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحماد عجرد، فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه، فبلغ فيه ما بلغ، ورفض حماداً وبسط لسانه فيه، فجعل حماد يلاطفه حتى يكف عن ذكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حماد بهذه الأبيات:

إن كان نسكك لا يتم ... بغير شتمي وانتقاصي

أو لم تكن إلا به ... ترجو النجاة من القصاص

فاقعد وقم بي كيف شئ ... ت مع الأداني والأقاصي

فلطالما زكيتني ... وأنا المقيم على المعاصي

ايام تأخذها وتع ... طي في أباريق الرصاص

قال: فأمسك أبو حنيفة رحمة الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه.

كان يحيى بن زياد صديقاً له

وقد أخبرني بهذه الخبر محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال: كان حماد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد، وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يجتمع عليه مثلهما، ثم إن يحيى بن زياد أظهر تورعاً وقراءة ونزوعاً عما كان عليه، وهجر حماداً وأشباهه، فكان إذا ذكر عنده ثلبه وذكر تهتكه ومجونه، فبلغ ذلك حماداً، فكتب إليه:

هل تذكرن دلجي إلي ... ك على المضمرة القلاص

أيام تعطيني وتأ ... خذ من اباريق الرصاص

إن كان نسك لا يتم ... بغير شتمي وانتقاضي

أو كنت لست بغير ذا ... ك تناك منزلة الخلاص

فعليك فاشتم آمناً ... كل الأمان من القصاص

واقعد وقم بي ما بدا ... لك في الأداني والأقاصي

فلطالما زكيتني ... وأنا المقيم على المعاصي

أيام أنت إذا ذكر ... ت مناضل عني مناصي

وأنا وأنت على ارتكا ... ب الموبقات من الحراص

وبنا مواطن ما ينا في البر آهلة العراص

فاتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد، فنسب حماداً إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام، فقال حماد فيه:

لا مؤمن يعرف إيمانه وليس يحيى بالفتى الكافر

منافق ظاهره ناسك مخالف الباطن للظاهر

شعره لصديق انقطع عن مجلسه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو قال: كان لحماد عجرد إخوان ينادمونه، فانقطع عنه الشراب، فقطعوه، فقال لبعضهم:

لست بغضبان ولكنني أعرف ما شأنك يا صاح

أأن فقدت الراح جانبتني ما كان حبيك على الراح

قد كنت من قبل وأنت الذي يعنيك إمسائي وإصباحي

وما أرى فعلك إلا وقد أفسدني من بعد إصلاحي

أنت من الناس وإن عبتهم دونكها مني بإفصاح

كان من ندماء الوليد بن يزيد

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني ميمون بن هارون عن أبي محلم أن الوليد بن يزيد أمر شراعة بن الزندبوذ أن يسمي له جماعة ينادمهم من ظرفاء اهل الكوفة، فسمى له مطيع بن إياس وحماد عجرد والمطيعي المغني، فكتب في إشخاصهم إليه، فأشخصوا، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قتل، ثم عادوا إلى أوطانهم.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال: تزوج حماد عجرد امرأة، فدخلنا إليه صبيحة بنائه بها نهنئه ونسأله عن خبره، فقال لنا: كنت البارحة جالساً مع أصحابي أشرب، وأنا منتظر لامرأتي أن يؤتى بها، حتى قيل لي: قد دخلت، فقمت إليها فوالله ما لبثتها حتى افتضضتها، وكتبت من وقتي إلى أصحابي:

قد فتحت الحصن بعد امتناع بمشيح فاتح للقلاع

ظفرت كفي بتفريق شمل جاءنا تفريقه باجتماع

فغذا شعبي وشعب حبيبي إنما يلتام بعد انصداع

اجتماعه بوجوه البصرة

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي عن القاسم بن محمد الأنباري، قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الحميد، قال: اجتمع عمي سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل، ومعهم حماد عجرد، وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان، ونازل على عقبة بن سلم وقد أمن، وحضر الغداء، فقيل له: سهم بن عبد الحميد يصلي الضحى، فانتظر، وأطال سهم الصلاة، فقال حماد:

ألا أيهذا القانت المجتهد ... صلاتك للرحمن أم لي تسجد؟

أما والذي نادى من الطور عبده ... لمن غير ما بر تقوم وتقعد

قيت الله إذ كنت والياً ... بصنعاء تبري من وليت وتجرد

ويشهد لي أني بذلك صادق ... حريث ويحيى لي بذلك يشهد

وعند أبي صفوان فيك شهادة ... وبكر، وبكر مسلم متهجد

فإن قلت زدني في الشهود فإنه ... سيشهد لي أيضا بذاك محمد

قال: فلما سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً، فقال له: قبحك الله يا زنديق، فعلت بي هذا كله لشرهك في تقديم أكل وتأخيره هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطعمه الله تعالى، فقدمت المائدة

شعر للسكوني يعتذر إليه به

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق الموصلي، عن محمد بن الفضل السكوني قال: لقيت حماد عجرد بواسط وهو يمشي وأنا راكب، فقلت له: انطلق بنا إلى المنزل، فإني الساعة فارغ لنتحدث، وحبست عليه الدابة، فقطعني شغل عرض لي لم أقدر على تركه، فمضيت وأنسيته، فلما بلغت المنزل خفت شره، فكتبت إليه:

أبا عمر أغفر هديت فإنني ... قد اذنبت ذنباً مخطئاً غير عامد

فلا تجدن فيه علي فإنني ... أقر بإجرامي ولست بعائد

وهبه لنا تفديك نفسي فإنني ... أرى نعمة إن كنت لست بواجد

وعد منك بالفضل الذي أنت أهله ... فإنك ذو فضل طريف وتالد

فكتب إلي مع رسولي:

محمد يابن الفضل يا ذا المحامد ... ويا بهجة النادي وزين المشاهد

حقك ما أذنبت منذ عرفتني ... على خطأ يوماً ولا عمد عامد

ولو كان، ما ألفيتني متسرعا إليك به يوماً تسرع واجد

أي لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعاً إليك بالمكافأة :

ولو كان ذو فضل يسمى لفضله بغير اسمه سميت أم القلائد

قال: فبينا رقعته في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسوله برقعة فيها:

قد غفرنا الذنب يا بن ال فضل والذنب عظيم

ومسيء أنت يا بن الأ فضل في ذاك مليم

حين تخشاني على الذن ب كما يخشى الليئم

ليس لي إن كان ماخف ت من الأمر حريم

أنا والله ولا أف خر للغيظ كظوم

ولأصحابي ولاء ربه بر رحيم

وبما يرضيهم عني ويرضيني عليم

مديحه لجلة من أبناء ملوك فارس

اخبرني يحيى بن علي، عن أبيه عن إسحاق قال: خرج حماد عجرد مع بعض الأمراء إلى فارس، وبها جلة من أبناء الملوك، فعاشر قوماً من رؤسائها، فأحمد معاشرتهم، وسر بمعرفتهم، فقال فيهم:

رب يوم بفساء ليس عندي بذميم

قد قرعت العيش فيه مع ندمان كريم

من بني صيهون في البي ت المعلى والصميم

في جنان بين أنها ر وتعريش كروم

نتعاطى قهوة تش خص يقظان الهموم

بنت عشر تترك المك ثر منها كالأميم

فبها دأباً أحيي ويحييني نديمي

في إناء كسروي مستخف للحليم

شربة تعدل منه شربتي أم حكيم

عندنا دهقانة حسانة ذات هميم

جمعت ما شئت من حس ... ن ومن دل رخيم
في اعتدال من قوام ... وصفاء من أديم
وبنان كالمداري ... وثنايا كالنجوم
لم أنل منها سوى غم ... زة كف أو شميم
غير أن أقرض منها ... عكنة الكشح الهضيم
وبلى ألطم منها ... خدها لطم رحيم
وبنفسي ذاك يا أس ... ود من خد لطيم

يعني الأسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى.

حريث بن أبي الصلت يعيبه بالبخل

وشعر له في ذلك

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه عن أبي النضر قال: كان حريث بن أبي الصلت الحنفي صديقاً لحماد عجرد، وكان يعابثه بالشعر، ويعيبه بالبخل، وفيه يقول:

حريث أبو الفضل ذو خبرة ... بما يصلح المعد الفاسده
تخوف تخمة أضيافه ... فعودهم أكلة واحده

قوله في رجل حبق في مجلسه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة، عن ابن عائشة قال: ضرط رجل في مجلس فيه حماد عجرد ومطيع بن إياس، فتجلد ، ثم ضرط أخرى متعمداً، ثم ثلث، ليظنوا أن ذلك كله تعمد، فقال له حماد: حسبك يا أخي فلو ضرطت ألفاً لعلم بأن المخلف الأول مفلت

شعر له في قريش حين صلى به

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ ثال: حدثني معاذ بن عيسى مولى بني تيم قال: كان سليمان بن الفرات على كسكر ، ولاه أبو جعفر المنصور، وكان قريش مولى صاحب المصلى بواسط في ضياع صالح وهو سندي فحدثني معاذ بن عيسى قال: كنا في دار قريش، فحضرت الصلاة، فتقدم قريش فصلى بنا وحماد عجرد إلى جنبي، فقال لي حماد حين سلم: اسمع ما قلت، وأنشدني:

قد لقيت العام جهداً | من هنات وهنات
من هموم تعتريني | وبلايا مطبقات
وجوى شيب رأسي | وحنى مني قناتي
وغدوي ورواحي | نحو سلم بن الفرات
وائتمامي بالقمارى | قريش في صلاتي

خبره مع غلام أمرد

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري قال: حدثني أبو يعقوب الخريمي قال: كنت في مجلس فيه حماد عجرد، ومعنا غلام أمرد، فوضع حماد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه، فلما كان الليل اختلفت مواضع نومنا، فقمت فنمت في موضع الغلام، قال: ودب حماد إلى يظنني الغلام، فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على عيني العوراء لأعلمه أني أبو يعقوب قال: فنتر يده ومضى في شأنه وهو يقول: "وفديناه بذبح عظيم".

شعره في جوهر

أخبرني عمي قال: حدثني مصعب قال: كان حماد عجرد ومطيع بن إياس يختلفان إلى جوهر جارية أبي عون نافع بن عون بن المقعد، وكان حماد يحبها ويجن بها، وفيها يقول:

إني لأهوى جوهراً | ويحب قلبي قلبها
وأحب من حبي لها | من ودها وأحبها
وأحب جارية لها | تخفي وتكتم ذنبها
وأحب جيراناً لها | وابن الخبيثة ربها

رثاؤه للأسود بن خلف

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكراني قال: حدثني أبيض بن عمرو قال: كان حماد عجرد يعاشر الأسود بن خلف ولا يكادان يفترقان، فمات الأسود قبله، فقال يرثيه وفي هذا الشعر غناء: صوت

قلت لحنانة دلوح | تسح من وابل سفوح
جادت علينا لها رباب | بواكف هاطل نضوح

أمي الضريح الذي أسمي ثم استهلي على الضريح
على صدى أسود الموارى في اللحد والترب والصفيح
فأسقيه ريا وأوطنيه ثم اغتدي نحوه وروحي
اغدي بسيقاي فاصبحيه ثم اغبقيه مع الصبوح
ليس من العدل أن تشحي على امرىء ليس بالشحيح

الغناء ليونس الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنسه.

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر

أخبرني عمي قال: أنشدنا الكراني قال: أنشد مصعب لحماد عجرد يهجوأبا عون مولى جوهر، وكان يقين عليها، وكان حماد عجرد يميل إليها، فإذا جاءهم ثقل، ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها، فيضر ذلك بأبي عون، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته، فحجبها عنه، فقال فيه:

إن أبا عون ولن يرعوي ما رقصت رمضاؤها جندبا
ليس يرى كسباً إذا لم يكن من كسب شفري جوهر طيبا
فسلط الله على ما حوى مئزرها الأفعى أو العقربا
ينسب بالكشخ ولا يشتهي بغير ذاك الإسم أن ينسبا

وقال فيه أيضاً:

إن تكن أغلقت دوني باباً فلقد فتحت للشكخ بابا

وقال فيه أيضاً:

قد تخرطمت علينا لأنا لم نكن نأتيك نبغي الصوابا
إنما تكرم من كان منا لسنان الحقوا منها قرابا

وقال فيه أيضاً:

يا نافع ابن الفاجرة يا سيد المؤاجرة
يا حلف كل داعر وزوج كل عاهره
ما أمة تملكها أو حرة بطاهره

تجارة أحدثتها في الكشخ غير بائره
لو دخلت عفيفة بيتك صارت فاجره
حتى متى ترتع في ال خسران يا بن الخاسره
تجمع في بيتك بي ن العرس والبرابره

وقال يهجوه:

أنت إنسان تسمى داره دار الزواني
قد جرى ذلك بالكر خ على كل لسان
لك في دار حر يز ني وفي دار حران

وقال فيه:

تفرح إن نيكت، وإن لم تنك بت حزين القلب مستعبرا
أسكرك القوم فساهلتهم وكنت سهلاً قبل أن تسكرا

وقال فيه:

قل للشقي الجد غير الأسعد أتحب أنك فقحه ابن المقعد؟
لو لم يجد شيئاً يسكنها به يوماً لسكنها بزت المسجد

وقال فيه:

أبا عون لقد صف ر زوارك أذنيكا؟
وعيناك ترى ذاك فأعمى الله عينيكا

هجا بشاراً ببيت من الشعر

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: لما قال حماد عجرد في بشار:

نسبت إلى برد وأنت لغيره وهبك لبرد نكت أمك من برد؟

قال بشار: تهيأ له علي في هذا البيت خمسة معان من الهجاء، قوله "نسبت إلى برد" معنى؛ ثم قوله: وأنت لغيره معنى آخر، ثم قوله: فهبك لبرد معنى ثالث، وقوله: نكت أمك شتم مفرد، واستخفاف مجدد، وهو معنى رابع، ثم ختمها بقوله: من برد؟ ولقد طلب جرير في هجائه للفرزدق تكثير المعاني، ونحا هذا النحو، فما تهيأ له أكثر من ثلاثة معان في بيت، وهو قوله:

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل

فلم يدرك أكثر من هذا.

هجاؤه له أيضاً أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: ما زال بشار يهجو حماداً ولا يرفث في هجائه إياه حتى قال حماد:

من كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلاأبا له

أنت ابن برد مثل بر د في النذالة والرذالة

زحرتك من حجر استها في الحشن خارئة غزالة

من حيث يخرج جعر من تتة مدنسة مذالة

أعمى كست عينيه من وذح استها وكست قذاله

خنزيرة بظراء من تتة البداهة والعلاله

رسحاء خضراء المغا بن ريحها ريح الإهاله

عذراء حبلى يا لقو مي للمجانة والضلاله

مرقت فصارت قحبة بجعالة وبلا جعاله

ولقد أقلتك يا بن بر د فاجترأت فلا إقاله

فلما بلغت هذه الأبيات بشاراً أطرق طويلاً، ثم قال: جزى الله ابن نهيا خيراً، فقيل له: علام تجزيه الخير؟ أعلى ما تسمع؟ فقال: نعم، والله لقد كنت أرد على شيطاني أشياء من هجائه إبقاء على المودة، ولقد أطلق من لساني ما كان مقيداً عنه، وأهدفني عورة ممكنة منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أم حماد في هجائه إياه، ويذكر أباه أقبح ذكر، حتى ماتت أم حماد، فقال فيها يخاطب جاراً لحماد:

أبا حامد إن كنت تزني فأسعد وبك حراً ولت به أم عجرد

حراً كان للعزاب سهلاً ولم يكن أبياً على ذي الزوجة المتودد

أصيب زناة القوم لما توجهت به أم حماد إلى المضجع الردي

لقد كان للأدنى وللجار والعدا وللقاعد المعتر والمتزيد

راوية بشار ينشده شعراً لحماد

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم قال: قال يحيى بن الجون العبدي راوية بشار: أنشدت بشاراً يوماً قول حماد:

ألا قل لعبد الله إنك واحد ومثلك في هذا الزمان كثير
قطعت إخائي ظالماً وهجرتني وليس أخي من في الإخاء يجور
أديم لأهل الود ودي، وإنني لمن رام هجري ظالماً لهجور
ولو أن بعضي رابني لقطعته وإني بقطع الرائبين جدير
فلا تحسبن منحي لك الود خالصاً لعز ولا أني إليك فقير
ودونك حظي منك لست أريده طوال الليالي ما أقام ثبير

فقال بشار: ما قال حماد شعراً قط هو أشد علي من هذا، قلت: كيف ذاك ولم يهجك فيه؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع. قال: لأن هذا شعر جيد ومثله يروى، وأنا أنفس عليه أن تقول شعراً جيداً.

إعجاب محمد بن النطاح بشعره

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجم قال: حدثني علي بن مهدي قال: حدثني محمد بن النطاح قال: كنت شديد الحب لشعر حماد عجرد، فأنشدت يوماً أخي بكر بن النطاح قوله في بشار:

أسأت في ردي على ابن استها إساءة لم تبق إحساناً
فصار إنساناً بذكري له ولم يكن من قبل إنسانا
قرعت سني ندماً سادما لو كان يغني ندمي الآنا
ياضيعة الشعر ويا سوءتا لي ولأزماني أزمانا
من بعد شتمي القرد لا والذي أنزل توارة وقرآنا
ما أحد من بعد شتمي له أنذل مني، كان من كانا

قال: فقال لي: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لحماد عجرد في بشار، فأنشأ يتمثل بقول الشاعر:

ما يضر البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلام بحجر

ثم قال: يا أخي، إنس هذا الشعر فنسيانه أزين بك، والخرس كان أستر على قائله.

هجاه بشار أكثر مما هجاه هو

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني هرون بن يحيى قال: حدثني علي بن مهدي قال: أجمع العلماء بالبصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار شيء جيد إلا أربعين بيتاً معدودة، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد، قال: وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه، وكانا يجتمعان عليها، فسقط حماد عجرد وتمتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه، وبقي بشار على حاله لم يسقط، وعرف مذهبه في الزندقة فقتل به.

مجاشع بن مسعدة يهجو حماداً

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي أن مجاشع بن مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حماد عجرد وهو صبي حينئذ ليرتفع بهجائه حماداً، فترك حماداً وشبب بأمه، فقال:

راعتك أم مجاشع ... بالصد بعد وصالها

واستبدلت بك والبلا ... ء عليك في استبدالها

جنية من بربر ... مشهورة بجمالها

فحرامها أشهى لنا ... ولها من استحلالها

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة، فبعث إلى حماد بصلة، وسأله الصفح عن أخيه، ونال أخاه بكل مكروه، وقال له: ثكلتك أمك، أتتعرض لحماد وهو يناقف بشاراً ويقاومه، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر، ولئن تعرضت له ليهتكنك وسائر أهلك، وليفضحنا فضيحة لا نغسلها أبداً عنا.

شعره في جارية

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثني أبو علي بن عمار قال: كان حماد عجرد عند أبي عمرو بن العلاء، وكانت لأبي عمرو جارية يقال لها منيعة، وكانت رسحاء عظيمة البطن، وكانت تسخر بحماد، فقال حماد لأبي عمرو: أغن عني جاريتك فإنها حمقاء، وقد استغلقت لي، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد:

لو تأتى لك التحول حتى ... تجعلي خلفك اللطيف أماما

ويكون القدام ذو الخلقة الجز ... لة خلقاً مؤثلاً مستكاما

لإذاً كنت يا منيعة خير ... الناس خلفاً وخيرهم قداما

شعره في محمد بن طلحة

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال: حدثني الحسن بن عمارة قال: نزل حماد عجرد على محمد بن طلحة، فأبطأ عليه بالطعام، فاشتد جوعه، فقال فيه حماد:

زرت أمرأ في بيته مرة ... له حياء وله خيرا

يكره أن يتخم أضيافه ... إن أذى التخمة محذور

ويشتهي أن يؤجروا عنده ... بالصوم والصالح مأجور

قال: فلما سمعها محمد قال له: عليك لعنة الله، أي شيء حملك على هجائي، وإنما انتظرت أن يفرغ لك من الطعام؟ قال: الجوع وحياتك حملني عليه، وإن زدت في الإبطاء زدت في القول، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة.

رده على حفص بن أبي وزة

حين طعن على مرقش

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزهر قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حفص بن أبي وزة صديقاً لحماد عجرد، وكان حفص مرمياً بالزندقة، وكان أعمش أفطس أغضف مقبح الوجه، فاجتمعوا يوماً على شراب، وجعلوا يتحدثون ويتناشدون، فأخذ حفص بن أبي وزة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه، فقال له حماد:

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل ... وأنف كثيل العود عما تتبع

تتبع لحناً في كلام مرقش ... ووجهك مبني على اللحن أجمع

فأذناك إقواء وأنفك مكفأ ... وعيناك إيطاء فأنت المرقع

شعره في جبة لبعض الكتاب

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أبو دعامة عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال: رأى حماد عجرد على بعض الكتاب جبة خز دكناء فكتب إليه:

إنني عاشق لجبتك الك ... ناء عشقاً قد هاج لي أطرابي،

فبحق الأمير إلا أتتني ... في سراج مقرونة بالجواب

ولك الله والأمانة أن أج ... علها أشهرا أمير ثيابي،

فوجه إليه بها. وقال للرسول: قل له وأي شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك؟ وأي شيء علي من الضرر في غير ذلك من فعلك، لو جعلت مكان هذا مدحاً لكان أحسن، ولكنك رذلت لنا شعرك فاحتملناك.

مرض فلم يعده مطيع بن إياس فقال

أخبرني أحمد بن العباس العسكري والحسن بن علي الخفاف، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن علي بن منصور قال: مرض حماد عجرد فلم يعده مطيع بن إياس، فكتب إليه:

كفاك عيادتي من كان يرجو ... ثواب الله في صلة المريض

فإن تحدث لك الأيام سقماً ... يحول جريضه دون القريض

يكن طول التأوه منك عندي ... بمنزلة الطنين من البعوض

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: زم أبو دعامة أن التيحان بن أبي التيحان قال: كنت عند حماد عجرد فأتاه والبة بن الحباب ، فقال له: ما صنعت في حاجتي؟ فقال: ما صنعت شيئاً، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى علي:

عثمان ما كانت عدا ... تك بالعدات الكاذبه

فعلام ياذا المكرما ... ت وذا الغيوث الصائبه

أخرت وهي يسيرة ... في الرزء حاجة والبه؟

فأبوا أسامة حقه ... أحد الحقوق الواجبه

فاستحي من ترداده ... في حاجة متقاربه

ليست بكاذبة ، ولو ... والله كانت كاذبه

فقضيتها أحمدت غب ... قضائها في العاقبة

إني وما رأيي بعا ... دم عاتب أو عاتبه

لأرى لمثلك كلما ... نابت عليه نائبه

ألا يرد يد أمرىء ... بسطت إليه خائبه

قال: فلقيت والبة بعد ذلك فقلت له: ماصنعت؟ فقال: قضى حاجتي وزاد.

خبره مع المفضل بن بلال

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن الزبالي قال: بلغ حماد عجرد أن المفضل بن بلال أعان بشاراً عليه وقدمه وقرظه، فقالفيه.

عجباً للمفضل بن بلال ... ما له يأبا الزبير ومالي

عربي لا شك فيه ولا مر ... ية ما باله وبال الموالي

قال: وأبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بن الزبير، وكان قبيس ويونس بن أبي فروة كاتب عيسى بن موسى صديقين له، وكانوا جميعاً زنادقة، وفي يونس يقول حماد عجرد وقد قدم من غيبة كان غابها:

كيف بعدي كنت يا يو ... نس لازلت بخير

وبغير الخير لازا ... ل قبيس بن الزبير

أنت مطبوع على ما ... شئت من خير ومير

وهو إنسان شبيه ... بكسير وعوير

رغمه أهون عند الناس ... من ضرطة عير

خبره مع سعاد الجارية

اخبرني علي بن سليمان الأخفش ووكيع قالا: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثني إسحاق الموصلي عن السكوني فقال: ذكر محمد بن سنان أن حماد عجرد حضر جارية مغنية يقال لها سعاد وكان مولاها ظريفاً ومعه مطيع بن إياس، فقال مطيع:

قبليني سعاد بالله قبله ... واسأليني لها فديتك نحله

فورب السماء لو قلت لي ... صل لوجهي جعلته الدهر قبله

فقالت لحماد: اكفنيه يا عم، فقال حماد:

إن لي صاحباً سواك وفيا ... لا ملولاً لنا كما أنت مله

لا يباع التقبيل بيعاً ولا يش ... رى فلا تجعل التعشق عله

فقال مطيع: يا حماد، هذا هجاء: وقد تعديت وتعرضت، ولم تأمرك بهذا؛ فقالت الجارية وكانت بارعة ظريفة أجل؛ ما أردنا هذا كله، فقال حماد:

أنا والله أشتهي مثلها من ... ك بنحل، والنحل في ذاك حله

فأجيبي وأنعمي وخذي البذ ... ل وأطفي بقبلة منك غله

فرضي مطيع ، وخجلت الجارية: وقالت اكفياني شركما اليوم، وخذا فيما جئتما له.

خبره مع غلام بعث به إليه مطيع

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني، عن مصعب الزبيري عن أبي يعقوب الخريمي قال: أهدى مطيع بن إياس إلى حماد عجرد غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ.

شعر له ولمطيع في بنت دهقان

أخبرني وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: ذكر محمد بن سنان أن مطيع بن إياس خرج هو وحماد عجرد ويحيى بن زياد في سفر، فلما نزلوا في بعض القرى عرفوا، ففرغ لهم منزل، وأتوا بطعام وشراب وغناء، فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار، إذ أشرفت بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق، فقال مطيع لحماد: ما عندك؟ فقال حماد: خذ فيما شئت فقال مطيع:

ألا يا بأبي الناظ ... ر من بينهم نحوي

فقال حماد عجرد:

ألا يا ليت فوق الحق ... و منها لاصقاً حقوي

فقال مطيع:

وأن البضع يا حما ... د منها شوبك المروي

فقال يحيى بن زياد:

ويا سقياً لسطح أش ... رقت من بينهم حذوي

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه: أن حماد عجرد قال في جوهر جارية أبي عون: قال: وفيه غناء : صوت

إني أحبك فاعلمي ... إن لم تكوني تعلمينا

حباً أقل قليله ... كجميع حب العالمينا

شعره في وداع أبي خالد الأحول

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حماد عجرد صديقاً لأبي خالد الأحول أبي أحمد بن أبي خالد، فأراد الخروج إلى واسط، وأراد وداع أبي خالد، فلما جاءه لذلك حجبه الغلام وقال له: هو مشغول في هذا الوقت، فكتب إليه يقول :

عليك السلام أبا خالد ... وما للوداع ذكرت السلاما

ولكن تحية مستطرب ... يحبك حب الغوي المداما

أردت الشخوص إلى واسط ... ولست أطيل هناك المقاما

فإن كنت مكتفياً بالكتا ب دون اللمام تركت اللماما
وإلا فأوص هداك الملي ك بوابكم بي وأوص الغلاما
فإن جئت أدخلت في الداخلي ن إما قعوداً وإما قياما
فإن لم أكن منك أهلاً لذاك فلا لوم لست أحب الملاما
لأني أذم إليك الأنا م أخزاهم الله طراً أناما
فإني وجدتهم كلهم يميتون حمداً ويحيون ذاما
سوى عصبة لست أعنيهم كرام فإني أحب الكراما
وأقلل عديدهم إن عددت فما أكثر الأرذلين اللئاما

ممازحته لمطيع بن إياس

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: قال ابن عبد الأعلى الشيباني: حضر حماد عجرد ومطيع بن إياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العباس، فتمازحا، فقال حماد:

يا مطيع يا مطيع أنت إنسان رقيع
وعن الخير بطيء وإلى الشر سريع

فقال مطيع:

إن حماداً لئيم سفلة الأصل عديم
لا تراه الدهر إلا يهن العير يهيم

فقال له حماد: ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراهتي لتمادي الشر ولحاج الهجا لقلت لك قولاً يبقى، ولكني لا أفسد مودتك، ولا أكافئك إلا بالمديح، ثم قال:

كل شيء لي فداء لمطيع بن إياس
رجل مستملح في كل لين وشماس
عدل روحي بين جن بي وعيني براسي
غرس الله له في كبدي أحلى غراس
لست دهري لمطيع ب ن إياس ذا تناس
ذاك إنسان له فض ل على كل أناس

فإذا ما الكأس دارت واحتساها من أحاسي
كان ذكرانا مطيعاً عندها ريحان كاسي

هجاؤه عيسى بن عمرو

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا التوزي قال: كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقاً لحماد عجرد ، وكان يواصله أيام خدمته للربيع، فلما طرده الربيع واختلت حاله جفاه عيسى، وإنما كان يصله لحوائج يسأل له الربيع فيها، فقال حماد عجرد فيه:

أوصل الناس إذا كانت له حاجة عيسى وأقضاهم لحق
ولعيسى إن أتى في حاجة ملق ينسى به كل ملق
فإن استغنى فما يعدله نخوة كسرى على بعض السوق
إن تكن كنت بعيسى واثقاً فبهذا الخلق من عيسى فثق

وله يهجوه أيضاً قال العنزي: وأنشدني بعض أصحابنا لحماد في عيسى بن عمر أيضاً:

كم من أخ لك لست تنكره ما دمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته يلقاك بالترحيب والبشر
يطري الوفاء وذا الوفاء ويل حى الغدر مجتهداً وذا الغدر
فإذا عدا والدهر ذو غير دهر عليك عدا مع الدهر
فارفض بإجمال مودة من يقلي المقل ويعشق المثري
وعليك من حالاه واحدة في العسر إما كنت واليسر
لا تخلطنهم بغيرهم من يخلط العقيان بالصفر

هجا حشيشاً الكوفي

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني ابن أبي فنن قال: حدثني العتابي، وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر قال: قال العتابي: وحديث ابن طاهر أتم، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة يقال له حشيش وكانت أمه حارثية، فمدحه حماد عجرد فلم يثبه، وتهاون به، فقال يهجوه:

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشقاء
قسمت ألوية بي ن رجال ونساء

ظفرت أخت بني الحار ث منها بلواء

حادث في الأرض يرتا ع له أهل السماء

قال: فعرضت أسماء العمال على المنصور فكان فيها اسم حشيش، فقال: أهو الذي يقول فيه الشاعر:

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشقاء؟

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرض لهذا الشاعر، و لم يستعمله، قال: وقال حماد فيه أيضاً يخاطب سعيد بن الأسود ويعاتبه على صحبة حشيش وعشرته:

صرت بعدي يا سعيد من أخلاء حشيش

أتلوطت أم استخ لفت بعدي أن لأيش

حلقي استه أو سع من است بحيش

ثم بغاء علىذا أبلغ الناس لفيش

يا بني الأشعث ما عي شكم عندي بعيش

حين لا يوجد منكم غيره قائد جيش

قال: وكان بحيش هذا رجلاً من أهل البصرة لم يكن بينه وبين حماد شيء، فلما بلغه هذا الشعر وفد من البصرة إلى حماد قاصداً، وقال له: يا هذا، مالي ولك، وما ذنبي إليك؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا بحيش، أما وجدت أحداً أوسع دبراً مني يتمثل به؟ فضحك ثم قال: هذه بلية صبتها عليك القافية ، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله.

هجا أبا عون

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون. قال: كان حماد عجرد يعاشرأبا عون جد ابن أبي عون العابد؛ وكان يتزل الكرخ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدث الناس أنه يهوى جارية يقال لها جوهر، فحجبه وجفاه واطرحه، فقال يهجوأبا عون:

أبا عون لحاك الل ه يا عرة إنساناً

فقد اصبحت في الناس إذا سميت كشخانا

بنيت اليوم في الكشح لأهل الكرخ بنيانا

وشرفت لهم في ذا لنا أبواباً وحيطانا

وألفيت على ذاك من الفساق أعوانا
ومجانا ولن تعد م من يمجن مجانا
فأخزى الله من كنت أخاه كان من كانا
ولا زلت ولا زال بأخلاقك خزيانا
وعريانا كما أصبح ت من دينك عريانا

وقال فيه أيضاً:

إن أبا عون ولا أقول فيه كذبا
غاو أتى مدينة فسن فيها عجبا
إخوانه قد جعلوا أم بنيه مركبا
واتخذوا جوهرة مبولة وملعبا
إن نكتها أرضيته أو لم تنكها غضبا
أحبهم إليه من أدخل فيها ذنبا
ومن إذا ما لم ينك جر إليها جلبا

هجاؤه غيلان جد عبد الصمد بن المعذل

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا اللابي عن مهدي بن سابق قال: استعمل محمد بن أبي العباس وهو يلي البصرة غيلان جد عبد الصمد بن المعذل على بعض أعشار البصرة، وظهر منه على خيانة، فعزله، وأخذ ما خانه فيه، فقال حماد عجرد يهجوه:

ظهر الأمير عليك يا غيلان إذ خنته إن الأمير معان
أمع الدمامة قد جمعت خيانة! قبح الدميم الفاجر الخوان

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال: أنشد بشار قول حماد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بشر: صوت

أخي كف عن لومي فإنك لا تدري بما فعل الحب المبرح في صدري
أخي أنت تلحاني وقلبك فارغ وقلبي مشغول الجوانح بالفكر
أخي إن دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قلب أبي بشر

دوائي ودائي عند من لو رأيته يقلب عينيه لأقصرت عن زجري

فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري

ولكن بلائي منك أنك ناصح وأنك لا تدري بأنك لا تدري

فطرب بشار ثم قال: ويلكم، أحسن والله! من هذا؟ قالوا: حماد عجرد؛ قال: أوه، وكلتموني والله بقية يومي بها طويل، والله لا أطعم بقية يومي طعاماً ولأصوم غما بما يقول النبطي ابن الزانية مثل هذا.

في الأول والثاني، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه لحماد عجرد:

خليلي ر يفي أبدا يمنيني غداً فغدا

وبعد غد وبعد غد كذا لا ينقضي ابدا

له جمر على كبدي إذا حركته اتقدا

شعره في يحيى بن زياد

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الزبالي قال: كان المهدي سأل أباه أن يولي يحيى بن زياد عملاً، فلم يجبه، وقال: هو خليع متخرق في النفقة ماجن، فقال: إنه قد تاب و أناب، وتضمن عنه ما يحب، فولاه بعض أعمال الأهواز، فقصده حماد عجرد إليها، وقال فيه:

فمن كان يسأل أين الفعال فعندي شفاء لذا الباحث

محل الندى وفعال النهى وبيت العلا في بني الحارث

حللن بيحيى فحالفنه حياء من الباعث الوارث

فلا تعدلن إلى غيره لعاجل أمر ولا رائث

فإن لديه بلا منة عطاء المرحل والماكث

قال: وقال فيه ايضاً:

يحيى امرؤ زينه ربه بفعله الأقدم والأحدث

إن قال لم يكذب، وإن ود لم يقطع، وإن عاهد لم ينكث

أصبح في أخلاقه كلها موكلا بالأسهل الأدمث

طبيعة منه عليها جرى في خلق ليس بمستحدث

ورثه ذاك أبوه فيا طيب نثا الوارث والمورث

فوصله يحيى بصلة سنية وحمله وكساه، واقام عنده مدة ثم انصرف.

شعره في عيسى بن عمرو

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن النضر بن عمرو قال: ولي عيسى بن عمرو إمارة البصرة من قبل محمد بن أبي العباس السفاح لما خرج عنها عليلاً، فقال له حماد عجرد:

قل لعيسى الأمير عيسى بن عمرو ... ذي المساعي العظام في قحطان
والبناء العالي الذي طال حتى ... قصرت دونه يدا كل بان
يا بن عمرو عمرو المكارم والتق ... وى وعمرو الندى وعمرو الطعان
لك جار بالمصر لم يجعل الل ... ه له منك حرمة الجيران
لا يصلي ولا يصوم ولا يق ... رأ حرفاً من محكم القرآن
إنما معدن الزناة من السف ... لة في بيته ومأوى الزواني
وهو خدن الصبيان وهو ابن سبعي ... ن، فماذا يهوى من الصبيان؟
طهر المصر منه يأيها المو ... لى المسمى بالعدل والإحسان
وتقرب بذاك فيه إلى الل ... ه تفز منه فوز أهل الجنان
يابن برد إخسأ إليك فمثل ال ... كلب في الناس أنت لا الإنسان
ولعمري لأنت شر من الكل ... ب وأولى منه بكل هوان

هجا يقطيناً بشعر

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني محمد بن صالح الجبلي قال: كان حماد عجرد قد مدح يقطيناً فلم يثبه، فقال يهجوه:

متى أرى فيما أرى دولة ... يعز فيها ناصر الدين
ميمونة مجدها ربها ... بصادق النية ميمون
ترد يقطيناً وأشياعه ... منها إلى أبزار يقطين

قال: وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخراسان حائكاً.

قال: ومر يوماً بيونس بن فروة الذي كان الربيع يزعم أنه ابنه، فلم يهش له كما عوده، فقال يهجوه:

أما ابن فروة يونس فكأنه من كبره ابن للإمام القائم

وقال فيه:

ولقد رضيت بعصبة آخيتهم وإخاؤهم لك بالمعرة لازم

فعلمت حين جعلتهم لك دخلة أني لعرضي في إخائك ظالم

شعره في ولد لبشار

أخبرني عمي قال: حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال: حدثني أبو معاذ النميري أن بشاراً ولد له ابن، فلما ولد قال فيه حماد عجرد:

سائل أمامة يآبن بر د من أبو هذا الغلام؟

أمن الحلال أتت به أم من مقارفة الحرام

فلتخبرنك أنه بين العراقي والشآمي

والآخر الرومي والنبطي أيضا وابن حام

أجعلت عرسك شقوة غرضاً لأسهم كل رام

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني مسعود بن بشر قال: مر حماد عجرد بقصر شيرين، فاستظل من الحر بين سدرتين كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغني في شعر مطيع بن إياس:

أسعداني يا نخلتي، حلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال شعراً حين سمع بيتي مطيع فقال حماد عجرد:

جعل الله سدرتي قصر شيري ن فداء لنخلتي حلوان

جئت مستسعداً فلم يسعداني ومطيع بكت له النخلتان

استجازه محمد بن أبي العباس وعداً

أخبرني يحيى بن علي إجازة عن أبيه، عن إسحاق، عن محمد بن الفضل السكوني قال: كان محمد بن أبي العباس قد وعد حماد عجرد أن يحمله على بغل، ثم تشاغل عنه، فكتب إليه حماد:

طلبت البذل ممن خ لقت كفاه للبذل

ومن ينفي عن الممح ل بالجود أذى المحل

ألا يآبن أبي العبا س يا ذا النائل الجزل

أما تذكر يا مولا ي ميعادك في البغل؟

وذاك الرجس في الدار جليس لأبي سهل

يريك الحزم في الإخلا ف للميعاد والمطل

شعره في عثمان بن شيبة

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثنا سليمان المديني قال: كان عثمان بن شيبة مبخلاً، وكان حماد عجرد يهجوه، فجاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد فقال له:

أعني من غناك ببيت شعر على فقري لعثمان بن شيبة

فقال له حماد :

فإنك إن رضيت به خليلا ملأت يديك من فقر وخيبة

فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عرفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه، فصنت وجهي عنه.

هجاؤه مطيع بن إياس

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا ابن إسحاق عن أبيه قال: كان حماد عجرد يهوى غلاماً من أهل البصرة من موالي العتيك يقال له: أبو بشر الحلو ابن الحلال أحسبه من موالي المهلب وكان موصوفاً بالجمال، فاندس له مطيع بن إياس، ولم يزل يحتال عليه حتى وطئه، فغضب حماد عجرد من ذلك، ونشب بينهما بسببه هجاء، فقال فيه حماد:

يا مطيع النذل أنت ال يوم مخذول جهول

لا يغرنك غرور ذو أفانين ملول

ليس يحلو الفعل منه وهو يحلو ما يقول

ملذاني مع الري ح إذا مالت يميل

وجواد بالمواعي د وبالبذل بخيل

ليس يرضيه من الجع ل كثير أو قليل

ذاك ما اخترت خليلا بئس والله الخليل

إنما يكفيك أن يأ تيك في السر رسول
ساخراً منك يمني ك أماني تطول

وقال في مطيع أيضاً وقد لج الهجاء بينهما:

عجبت للمدعي في الناس منزلة وليس يصلح للدنيا وللدين
لو أبصروا فيك وجه الرأي ما تركوا حتى يشدوك كرهاً شد مجنون
ما نال قط مطيع فضل منزلة إلا بأن صرت أهجوه ويهجوني
ولو تركت مطيعاً لا أجاوبه لكان ما فيه م الآفات يكفيني
يختار قرب الفحول المرد معتمداً جهلاً ويترك قرب الخرد العين

مدحه وتعزيته داود بن إسماعيل

ابن علي بن عبد الله بن العباس

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبيه عن إسحاق قال: قال حماد عجرد في داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزيه عن ابن مات له ويستجيزه:

إن أرجى الأنام عندي وأولا هم بمدحي ونصرتي داود
إن يعش لي أبو سليمان لا أح فل ما كادني به من يكيد
هدركني فقدي أباك فقد ش د بك اليوم ركني المهدود
قائل فاعل أبي وفي متلف مخلف مفيد مبيد
وفتى السن في كمال ابن خمسي ن دهاء وإربة بل يزيد
مخلط مزيل أريب أديب راتق فاتق قريب بعيد
وهو الذائد المدافع عني وعزيز ممنع من يذود

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الملك بن شيبان قال: ولى أبو جعفر المنصور محمد بن أبي العباس السفاح البصرة، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنين منهم حماد عجرد، وحكم الوادي ودحمان، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشرب الشراب وعاث ، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبي العباس كثير الطيب، يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه فتسود، فلقبوه أبا الدبس ،وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة:

صرنا من الربح إلى الوكس　　اذ ولي المصر أبو الدبس
ما شئت من لؤم على نفسه　　وجنسه من أكرم الجنس

كان ماجناً زنديقاً

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي قال: كان أبو جعفر المنصور يبغض محمد بن أبي العباس ويحب عيبه، فولاه البصرة بعقب مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقدمها، وأصحبه المنصور قوماً يعاب بصحبتهم مجاناً زنادقة: منهم حماد عجرد، وحماد بن يحيى، ونظراء لهم، ليغض منه ويرتفع ابنه المهدي عند الناس، وكان محمد بن أبي العباس محمقاً، فكان يغلف لحيته إذا ركب بأواق من الغالي، فتسيل على ثيابه فيصير شهرة، فلقبه أهل البصرةأبا الدبس؛ قال ولما أقام بالبصرة مدة قال لأصحابه: قد عزمت على أن أعترض أهل البصرة بالسيف في يوم الجمعة، فأقتل كل من وجدت، لأنهم خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاءوا إلى أمه سلمة بنت أيوب بن سلمة المخزومية فأعلموها بذلك، وقالوا: والله لئن هم بها ليقتلن ولنقتلن معه، فإنما نحن في أهل البصرة أكلة رأس، فخرجت إليه وكشفت عن ثدييها وأقسمت عليه بحقها حتى كف عما كان عزم عليه.

أدبه محمد بن أبي العباس

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني أبي عن إسحاق الموصلي قال: كان حماد عجرد في ناحية محمد بن أبي العباس السفاح، وهو الذي أدبه، وكان محمد يهوى زينب بنت سليمان بن علي، وكان قد قدم البصرة أميراً عليها من قبل عمه أبي جعفر، فخطبها، فلم يزوجوه لشيء كان في عقله، وكان حماد وحكم الوادي ينادمانه، فقال محمد لحماد: قل فيها شعراً، فقال حماد فيها على لسان محمد بن أبي العباس، وغنى فيه حكم الوادي: صوت

زينب ما ذنبي وماذا الذي　　غضبتم منه ولم تغضبوا
والله ما أعرف لي عندكم　　ذنباً ففيم الهجر يا زينب؟
أن كنت قد أغضبتكم ضلة　　فاستعتبوني إنني أعتب
عودوا على جهلي بأحلامكم　　إني وإن لم أذنب المذنب

الغناء لحكم في هذه الأبيات خفيف ثقيل، القول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيه هزج يقال: إنه لخليد بن عبيد الوادي، ويقال لعريب.

نسيب ابن أبي العباس بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال: حدثني عمرو بن بانة قال: كان لمحمد بن أبي العباس السفاح شعر في زينب وغنى فيه حكم الوادي: صوت

قولا لزينب لو رأي ... ت تشوفي لك واشترافي
وتلفتي كيما أرا ... ك وكان شخصك غير خاف
وشممت ريحك ساطعاً ... كالبيت جمر للطواف
فتركتني وكأنما ... قلبي يغرز بالأشافي

خطبته لها

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال: حدثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائني قال: خطب محمد بن أبي العباس زينب بنت سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء إلا أنه قال فيه: فقال محمد بن أبي العباس فيها، وذكر البيات كلها ونسبها إلى محمد و لم يذكر حماداً.

قال أبو الفرج مؤلف هذا الكتاب: هذا فيما أراه غلط من رواته، لما سمعوا ذكر زينب ولحن حكم، نسبوه إلى محمد بن أبي العباس، وقد ذكر هذا الشعر بعينه إسحاق الموصلي في كتابه، ونسبه إلى ابن رهيمة وهو من زيانب يونس الكاتب المشهورة، معروف ومنها فيه يقول:

فذكرت ذاك ليونس ... فذكرته لأخ مصاف

وذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخنصر، وأن لحن حكم من الثقيل الأول بالبنصر، قال محمد بن يحيى: ولمحمد بن أبي العباس في زينب أشعار كثيرة مما غنى فيها المغنون، منها: صوت

زينب ما لي عنك من صبر ... وليس لي منك سوى الهجر
وجهك والله وإن شفني ... أحسن من شمس ومن بدر
لو أبصر العاذل منك الذي ... ابصرته أسرع بالعذر

الغناء في هذه الأبيات لحكم خفيف رمل بالوسطى

غنى دحمان في شعر قيس بن الخطيم

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال: دخل دحمان المغني مولى بني مخزوم وهو المعروف بدحمان الأشقر على محمد بن أبي العباس وعنده حكم الوادي،

فأحضر محمد عشرة آلاف درهم وقال: من سبق منكما إلى صوت يطربني فهذه له؛ فابتدأ دحمان فغنى في شعر قيس بن الخطيم:

حوراء ممكورة منعمة كأنما شف وجهها ترف

فلم يهش له، فغنى حكم في شعر محمد في زينب:

زينب مالي عنك من صبر وليس لي منك سوى الهجر

قال: فطرب وضرب برجله وقال له: خذها، وأمر لدحمان بخمسة آلاف درهم، قال: ومن شعره فيها الذي غنى فيه حكم أيضاً: صوت

أحببت من لا ينصف ورجوت من لا يسعف

نسب تليد بيننا وودادنا مستطرف

بالله أحلف جاهداً ومصدق من يحلف

إني لأكتم حبها جهدي لما أتخوف

والحب ينطق إن سكت بما أجن ويعرف

الغناء في هذه الأبيات لحكم الوادي، ولحنه ثقيل أول

شعر لابن أبي العباس غنى فيه

فال: ومن شعر محمد فيها الذي غنى فيه حكم: صوت

أسعد الصب يا حكم وأعنه على الألم

وأدر في غنائه نغما تشبه النعم

أجميل بأن ترى نائما وهو لم ينم

لائمي في هواي زي نب أنصف ولا تلم

لبس الجسم حلة في هواها من السقم

غناه حكم، ولحنه هزج.

سكر حماد مع حكم الوادي عنده

وقد أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: قال بريه الهاشمي حدثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حماد وحكم الوادي يغنيه، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سكر وسكروا، فكان محمد

أول من أفاق منهم، فقام إلى جماعتهم ينبههم رجلاً رجلاً، فلم يجد فيهم فضلاً سوى حماد عجرد وحكم الوادي، فانتبها، وابتدءوا يشربون، فقال عجرد على لسانه، وغنى فيه حكم:

أسعد الصب يا حكم ... وأعنه على الألم

أجميل بأن ترى ... نائماً وهو لم ينم

هكذا ذكر هذا الخبر الحسن، و لم يزد على هذين البيتين شيئاً.

ابن أبي العباس يشبب بزينب

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنشدني أبو خليفة وأبو ذكوان والغلابي لمحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي:

يا قمر المربد قد هجت لي ... شوقا فما أنفك بالمربد

أراقب الفرقد من حبكم ... كأنني وكلت بالفرقد

أهيم ليلي ونهاري بكم ... كأنني منكم على موعد

علقتها ريا الشوى طفلة ... قريبة المولد من مولدي

جدي إذا ما نسبت جدها ... في الحسب الثاقب والمحتد

والله ما أنساك في خلوتي ... يا نور عيني ولا مشهدي

كان محمد نهاية في الشدة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحارث بن أبي أسامة قال: حدثني المدائني قال: كان محمد بن أبي العباس نهاية في الشدة، فعاتبه يوماً المهدي، فغمز محمد ركابه، حتى انضغطت رجل المهدي في الركاب، ثم لم تخرج حتى رد محمد الركاب بيده، فأخرجها المهدي حينئذ.

حماد يمدح ابن أبي العباس

أخبرني محمد قال: حدثنا أبو ذكوان قال: حدثنا العتبي قال: كان محمد بن أبي العباس شديداً قوياً جواداً ممدحاً، وكان يلوي العمود ثم يلقيه إلى أخته ريطة فترده، وفيه يقول حماد عجرد:

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعراقا وعيدانا

فأنت أكرم من يمشي على قدم ... وأنضر الناس عند المحل أغصانا

لو مج عود على قوم عصارته ... لمج عودك فينا المسك والبانا

خبر عزل ابن أبي العباس عن البصرة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن قال: لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج عن البصرة لما عزله المنصور عنها قال:

أيا وقفة البين ماذا شببت ... من النار في كبد المغرم !
رميت جوانحه إذ رميت ... بقوس مسددة الأسهم

وقفنا لزينب يوم الوداع ... على مثل جمر الغضى المضرم
فمن صرف دمع جرى للفراق ... لممتزج بعده بالدم

شبب حماد بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد قال: حدثنا الفضل بن الحباب قال: حدثنا أبو عثمان المازني قال: قال حماد عجرد يشبب بزينب بنت سليمان على لسان محمد بن أبي العباس:

ألا من لقلب مستهام معذب ... بحب غزال في الحجال مربب
يراه فلا يسطيع رداً لطرفه ... إليه حذار الكاشح المترقب
ولولا مليك نافذ فيه حكمه ... لأدنى وصالاً ذاهباً كل مذهب
تغبرت خلف اللهو بعد صراوة ... فبحت بما ألقاه من حب زينب

قال: فبلغ الشعر محمد بن سليمان، فنذر دمه، و لم يقدر عليه لمكانه من محمد.

رثى حماد ابن أبي العباس بشعر

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن قال: مات محمد بن أبي العباس في أول سنة خمسين ومائة، فقال حماد يرثيه بقوله:

صرت للدهر خاشعاً مستكينا ... بعد ما كنت قد قهرت الدهورا
حين أودى الأمير ذاك الذي كن ... ت به حيث كنت أدعى أميرا
كنت إذ كان لي أجير به الده ... ر فقد صرت بعده مستجيرا
يا سمي النبي يابن أبي ... العباس حققت عندي المحذورا
سلبتني الهموم إذ سلبتني ... ك سروري فلست أرجو سرورا

ليتني مت حين موتك لا بل ... ليتني كنت قبلك المقبورا
أنت ظللتني الغمام بنعما ... ك ووطأت لي وطاءً وثيرا
لم تدع إذ مضيت فينا نظيرا ... مثل ما لم يدع أبوك نظيرا

خبر موت ابن أبي العباس

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: كان خصيب الطبيب نصرانياً نبيلاً، فسقى محمد بن أبي العباس شربة دواء وهو على البصرة، فمرض منها، وحمل إلى بغداد فمات بها، واتهم خصيب فحبس حتى مات، وسئل عن علته وما به فقال: قال جالينوس: إن مثل هذا لا يعيش صاحبه، فقيل: له إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت قط إلى خطئه أحوج مني اليوم، وفي خصيب يقول ابن قنبر:

ولقد قلت لأهلي ... إذ أتوني بخصيب
ليس والله خصيب ... للذي بي بطبيب
إنما يعرف ما بي ... من به مثل الذي بي

تنصله لأخي زينب بشعر

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن شيبان وابن داحة، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني أبي عن إسحاق قال: لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقوله في أخته زينب من الشعر، فعلم أنه لا مقام له معه بالبصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمان بن علي، وقال فيه:

من مقر بالذنب لم يوجب اللـ ... ـه عليه بسيء إقرارا
ليس إلا بفضل حلمك يعتد ... بلاء، وما يعد اعتذترا
يا بن بنت النبي أحمد لا أجـ ... ـعل إلا إليك منك الفرارا
غير أني جعلت قبر أبي ... أيوب لي من حوادث الدهر جارا
وحري من استجار بذاك الـ ... ـقبر أن يأمن الردى والعثارا
لم أجد لي من العباد مجيراً ... فاستجرت التراب والأحجارا
لست أعتاض منك في بغية ... العزة قحطان كلها ونزارا

فأنا اليوم جار من ليس في الأر ... ض مجير أعز منه جوارا
يا بن بيت النبي يا خير من ... حطت إليه الغوارب الأكوارا
إن أكن مذنبا فأنت ابن من كا ... ن لمن كان مذنبا غفارا
فاعف عني فقد قدرت وخير ال ... عفو ما قلت كن فكان اقتدارا
لو يطيل الأعمار جار لعز ... كان جاري يطول الأعمارا

اعتذر إلى محمد بن سليمان بشعر

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني علي الصباح قال: كان محمد بن سليمان قد طلب حماد عجرد بسبب نسبيه بأخته زينب، و لم يكن يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي العباس، فلما هلك محمد جد ابن سليمان في طلبه، وخافه حماد خوفاً شديداً، فكتب إليه:

يا بن عم النبي وابن النبي ... لعلي إذا أنتمي وعلي
أنت بدر الدجى المضيء إذا أظ ... لم واسود كل بدر مضي
وحيا الناس في المحول إذا لم ... يجد غيث الربيع والوسمي
إن مولاك قد أساء ومن أع ... تب من ذنبه فغير مسي
ثم قد جاء تائبا فاقبل التو ... بة منه يا بن الوصي الرضي

هجاؤه محمد بن سليمان

قال ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن علي فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلن قبر أبي من دمه، فهرب حماد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرضي أو تهجو محمد بن سليمان، فقال يهجوه:

قل لوجه الخصي ذي العار إني ... سوف أهدي لزينب الأشعارا
قد لعمري فررت من شد الخو ... ف وأنكرت صاحبي نهارا
وظننت القبور تمنع جارا ... فاستجرت التراب والأحجارا
كنت عند استجارتي بأبي اي ... وب أبغي ضلالة وخسارا
لم يجرني ولم أجد فيه حظا ... أضرم الله ذلك القبر نارا

قال: وقال فيه:

له حزم برغوث وحلم مكاتب وغلمة سنور بليل تولول

وقال أيضا يهجوه وقال فيه يهجوه:

يا ابن سليمان يا محمد يا من يشتري المكرمات بالسمن

إن فخرت هاشم بمكرمة فخرت بالشحم منك والعكن

لؤمك باد لمن يراك إذا أقبلت في العارضين والذقن

ليتك إذ كنت ضيقا نكرا لم تدع من هاشم ولم تكن

جداك جدان لم تعب بهما لكنما العيب منك في البدن

قال: فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال: والله لا يفلتني أبداً، وإنما يزداد حتفاً بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبدا.

وقد اختلف في وفاة حماد.

خبر مقتله

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو داحة وعبد الملك بن شيبان أن حماداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتراً، وبلغ محمداً خبره، فأرسل مولى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة.

شعر له وهو يحتضر وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن أحمد بن خلاد أن حماداً نزل بالأهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستتراً من محمد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البصرة، فمر بشيرزاذان في طريقه، فمرض بها، فاضطر إلى المقام بها بسبب علته، فاشتد مرضه، فمات هناك ودفن على تلعة ، وكان بشار بلغه أن حماداً عليل لما به، ثم نعي إليه قبل موته، فقال بشار:

لو عاش حماد لهونا به لكنه صار إلى النار

فبلغ هذا البيت حماداً قبل أن يموت وهو في السياق ، فقال يرد عليه:

نبئت بشاراً نعاني ولل موت براني الخالق الباري

يالبتني مت ولم أهجه نعم ولو صرت إلى النار

وأي خزي هو أخزى من أن يقال لي يا سب بشار

قال: فلما قتل المهدي بشاراً بالبطيحة اتفق أن حمل إلى منزله ميتاً، فدفن مع حماد على تلك التلعة، فمر بهما أبو هشام الباهلي الشاعر البصري الذي كان يهاجي بشاراً، فوقف على قبريهما وقال:

قد تبع الأعمى قفا عجرد ... فأصبحا جارين في دار

قالت بقاع الأرض لا مرحبا ... بقرب حماد وبشار

تجاورا بعد تنائيهما ... ما أبغض الجار إلى الجار

صارا جميعاً في يدي مالك ... في النار والكافر في النار

صوت

هل قلبك اليوم عن شنباء منصرف ... وأنت ما عشت مجنون بها كلف

ما تذكر الدهر إلا صدعت كبداً ... جرى عليك وأذرت دمعة تكف

ذكر أبو عمرو الشيباني أن الشعر لحريث بن عتاب الطائي، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسماعيل بن بشار النساء، والصحيح أنه لحريث، والغناء لغريض ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لمالك.

أخبار حريث ونسبه

نسبه

حريث بن عناب "بالنون" بن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عنين بن نائل بن أسودان، وهو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور من الشعراء، لأنه كان بدوياً مقلا غير متصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء، ولا يعدو شعره أمر ما يخصه.

يشبب بحبى بنت الأسود

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، عن أبيه، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأولين قوله:

يدوم ودي لمن دامت مودته ... وأصرف النفس أحيانا فتنصرف

يا ويح كل محب خلة أبداً ... على الخيانة إن الخائن الظرف

كأنها ريشة في أرض بلقعة ... من حيثما واجهتها الريح تنصرف

ينسي الخليلين طول النأي بينهما وتلتقي طرف شتى فتأتلف

قال أبو عمرو، قال حريث هذه القصيدة في أمرأة يقال لها حبى بنت الأسود من بني بحتر بن عتود، وكان يهواها ويتحدث إليها، ثم خطبها، فوعده أهلها ان يزوجوه ووعدته ألا تجيب إلى تزويج إلا به، فخطبها رجل من بني ثعل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حريثاً، وقد خيرت بينهما فاختارت الثعلي، فتزوجها، فطفق حريث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بني بحتر وبني ثعل، فقال يهجو بني ثعل:

بني ثعل أهل الخنا ما حديثكم لكم منطق غاو وللناس منطق

كأنكم معزى قواصع جرة من العي أو طير بخفان ينعق

ديافية قلف كأن خطيبهم سراة الضحى في سلحه يتمطق

قال أبو عمرو: و لم يزل حريث يهجو بني بحتر وبني ثعل من أجل حبى، فبينا هو ذات يوم بخيبر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفنائه ينشد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثعل وبني بحتر ابني عتود، وبخيبر يومئذ رجل من بني جشم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر يقال له أوفى بن حجر بن أسيد بن يحيى بن ثرملة بن ثرغل بن خيثم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش ، فمر أوفى هذا بحريث بن عناب وهو ينشد شعراً هجا به بني بحتر، فسمعه أوفى ينشد قوله:

وإن أحق الناس طرا إهانة عتود يباريه فرير وثعلب

العتود: التيس الهرم. والفرير: ولد الظبية. ويباريه: يفعل فعله. فدنا نه أوفى وقال: إني رجل أصم لا أكاد أسمع، فتقرب إلي، فقال له: ومن أنت؟ فقال: أنا رجل من قيس، وأنا أهاجي هذا الحي من بني ثعل وبني بحتر، وأحب أن أروي ما قيل فيهم من الهجاء، فأدنوه منه، وكانت معه هراوة وقد اشتمل عليها، فلما تمكن من ابن عتاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفه فحطمه، وسقط على وجهه ووثب القرشي على أوفى فأخذه، فوثب بنو أخته فانتزعوه من القرشي، وكاد أن يقع بينهم شر، وأفلت أوفى ودوري ابن عتاب حتى صلح واستوى أنفه، فقال أوفى في ذلك:

لاقى ابن عناب بخيبر ماجدا يزع اللئام وينصر الأحسابا

فضربته بهراوتي فتركته كالحلس منعفر الجبين مصابا

قال:ثم لحق أوفى بقومه، فلما كان بعد ذلك بمدة اهمه رجل من قريش بأنه سرق عبداً له وباعه بخيبر، فلم يزل القريشي يطلبه حتى أخذه وأقام عليه البينة، فحبس في سجن المدينة، وجعلت للقرشي يده، فبعث ابن عناب إلى عشيرته بني نبهان، فأبوا أن يعاونوه، وأقبل عرفاء بني بحتر إلى المدينة يريدون أن يؤدوا صدقات قومهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرض، وسعد بن عمرو بن لأم، ومنصور بن الوليد بن حارثة، وجبار بن أنيف، فلقوا

القرشي وانتسبوا له، وقالوا: نحن نعطيك العوض من عبدك ونرضيك، و لم يزالوا به حتى قبل وخلى سبيله، فقال حريث يمدحهم ويهجو قومه الأدنين من بني نبهان:

لما رأيت العبد نبهان تاركي ... بلماعه فيها الحوادث تخطر
نصرت بمنصور وبابني معرض ... وسعد وجبار بل الله ينصر
وذو العرش أعطاني المودة منهم ... وثبت ساقي بعدما كدت أعثر

إذا ركب الناس الطريق رأيتهم ... لهم خابط أعمى وآخر مبصر
لكل بني عمرو بن غوث رباعه ... وخيرهم في الشر والخير بحتر

مر بنسوة فضحكن منه فقال شعراً

وقال أبو عمرو: مر ابن عناب بعدما أسن بنسوة من بني قليع وهو يتوكأ على عصاً فضحكن منه، فوقف عليهن وأنشأ يقول:

هزئت نساء بني قليع أن رأت ... خلق القميص على العصا يتركع
وجعلنني هزؤاً ولو يعرفنني ... لعلمن أني عند ضيمي أروع

خبر إغارته على قوم من بني أسد

قال أبو عمرو: وكان حريث بن عناب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم، فطلبه السلطان، فهرب من نواحي المدينة وخيبر إلى جبلين في بلاد طيىء يقال لهما: مرى والشموس حتى غزم عنه قومه ما طلب، ثم عاود وقال في ذلك:

إذا الدين أودى بالفساد فقل له ... يدعنا وركناً من معد نصادمه
ببيض خفاف مرهفلت قواطع ... لداود فيها أثره وخواتمه
وزرق كستها ريشها مضرحية ... أثيت خوافي ريشها وقوادمه
إذا ما خرجنا خرت الأكم ... سجداًلعز علا حيزومه وعلاجمه
إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب ... تحرك يقظان التراب ونائمه
وتفزع منا الإنس والجن كلها ... ويشرب مهجور المياه وعائمه
ستمنع مرى والشموس أخاهما ... إذا حكم السلطان حكماً يضاجمه

يميل فيه. ويروى: يصاحمه، وقال أبو عمرو: يصاحمه: يزاحمه. والأصحم منه مأخوذ.

الجزء الخامس عشر

صوت

هل في آدكار الحبيب من حرج ... أم هل لهم الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى رحيلنا حرما ... يوم حللنا بالنخل من أمج
يوم يقول الرسول قد أذنت ... فائت على غير رقبة فلج
أقبلت أسعى إلى رحالهم ... في نفحة من نسيمها الأرج

الشعر لجعفر بن الزبير ،والغناء للغريض، خفيف ثقيل أول، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لدحمان في هذه الطريقة والمجرى. وذكره يونس بغير طريقة وقال: فيه لحنان: لابن سريج والغريض. وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل بالوسطى.

أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وأم جعفر بن الزبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو، من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

أخبرني الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني مصعب بن عثمان قال: أخبرني جدك عبد الله بن مصعب عن أبي عثمان بن مصعب، عن شعيب بن جعفر بن الزبيرقال: فرض سليمان بن عبد الملك للناس في خلافته، وعرض الفرض. قال: وكان ابن حزم في ذلك محسناً يعلم الله، إنه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم بذلك.

قال شعيب بن جعفر بن الزبير: فقال لي سليمان بن عبد الملك: من أنت؟ قلت: شعيب بن جعفر بن الزبير. فقال: ما فعل جعفر؟ فقال له عمر بن عبد العزيز: ياأمير المؤمنين على الكبر والعيال. فقال: قل له يحضر الباب فقال لجعفر، احضر الباب. فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير، فرفع معه رقعة وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز، فيها قوله:

يا عمر بن عمر بن الخطاب ... إن وقوفي من وراء الأبواب
يعدل عندي حطم بعض الأنياب

قال: فلما قرأها عمر عذره عند سليمان، فأمر له سليمان بألف دينار في دينه، وألف دينار معونةً على عياله، وبرقيق من البيض والسودان، وكثير من طعام الجاري ، وأن يدان من الصدقة بألفي دينار. قال: فلما جاء ذلك

إلى أبي قال: أعطيته من غير مسألة؟ فقيل: نعم. قال: الحمد لله، ما أسخى هذا الفتى! ما كان أبوه سخياً ولا ابن سخي. ولكن هذا كأنه من آل حرب. ثم قال:

فما كنت ديانا فقد دنت إذا بدت صكوك أمير المؤمنين تدور

بوصل أولي الأرحام قبل سؤالهم وذلك أمر في الكرام كثير

قال بعض من روى هذا الخبر عن الزبير: الناس لاينظرون في عيب أنفسهم، وما كان لجعفر أن يعيب أحداً بالبخل؛ وما رئي في الناس أحد أبخل منهم أهل البيت ولامن عبد الله بن الزبير خاصة، وماكان فيهم جواد غير مصعب.

قال الزبير: حدثني عمي، قال: كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة أدان من أراد من قريش منه ، وكتب بذلك صكاً عليه، فيستعبدهم به، ويختلفون إليه، ويديرونه ، فإذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه ، حتى كان هارون الرشيد، فكلمه عبد الله بن مصعب في صكوك بقيت من ذلك على غير واحد من قريش؛ فأمر بها فخرقت عنهم، فذلك قول ابن الزبير:

فما كنت دياناً فقد دنت إذ بدت صكوك أمير المؤمنين تدور

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب قال: شهد جعفر بن الزبير مع أخيه عبد الله حربة، واستعمله عبد الله على المدينة، وقاتل يوم قتل عبد الله بن الزبير، حتى جمد الدم على يده؛ وفي ذلك يقول جعفر:

لعمرك إني يوم أجلت ركائبي لاطيب نفسا بالجلاد لدى الركن

ضنين بمن خلفي شحيح بطاعتي طراد رجال لامطاردة الحصن

-الحصن: جمع حصان، يقول: هذا طراد القتال لاطراد الخيل في الميادين-

غداة تحامتنا تجيب وغافق وهمدان تبكي من مطاردة الضبن

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب بن عثمان؛ أن جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عروة معاتبة، فقال في ذلك:

لا تلحيني يابن أمي فإنني عدو لمن عاديت ياعرو جاهد

وفارقت إخواني الذين تتابعوا وفارقت عبد الله والموت عاند

ولولا يمين لاأزال أبرها لقد جمعتنا بالفناء المقاعد

قال الزبير: انشدتني عمتي أسماء بنت مصعب بن ثابت، لجعفر بن الزبير، وأنشدنيه غيرها يرثي ابناً له :

أهاجك بين من حبيب قد احتمل نعم ففؤادي هائم العقل محتبل

وقالوا صحيرات اليمام وقدموا أوائلهم من آخر الليل في الثقل
مررن على ماء العشيرة والهوى على ملل يالهف نفسي على ملل
فتى السن كهل الحلم يهتز للندى أمر من الدفلى وأحلى من العسل

في هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر، نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج، ونسبه الهشامي إلى الأبجر، قال: ويقال إنه لابن سهيل.

فأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني-وخبره أتم-قال: اصطحب قوم في سفر، ومعهم رجل يغني، وشيخ عليه أثر النسك والعبادة، فكانوا يشتهون أن يغنيهم الفتى ويستحيون من الشيخ إلى أن بلغوا إلى صحيرات اليمام، فقال له المغني: أيها الشيخ إن علي يمينا أن أنشد شعرا إذا انتهيت إلى هذا الموضع، وإني أهابك وأستحي منك؛ فإن رأيت أن تأذن لي في إنشاده أو تتقدم حتى أوفي بيميني ثم نلحق بك فافعل. قال: وما علي من إنشادك؟! أنشد ما بدا لك. فاندفع يغني:

وقالوا صحيرات اليمام وقدموا أوائلهم من آخر الليل في الثقل
وردن على ماء العشيرة والهوى على ملل يالهف نفسي على ملل

فجعل الشيخ يبكي أحر بكاء وأشجاه، فقالوا له: مالك ياعم تبكي؟ فقال: لاجزيتم خيراً؛ هذا معكم طول هذا الطريق وأنتم تبخلون علي به اتفرج به ويقطع عني طريقي؛ وأتذكر أيام شبابي. فقالوا: لاوالله ماكان يمنعنا منه غير هيبتك. قال: فأنتم إذا معذورون. ثم أقبل عليه؛ فقال: عد فديتك إلى ماكنت عليه. فلم يزل يغنيهم طول سفرهم حتى افترقوا.

قال: الزبير: وأخبرني مصعب بن عثمان أن أم عروة بنت جعفر بن الزبير أنشدته لأبيها جعفر وكان يرقصها بذلك:

ياحبذا عروة في الدمالج أحب كل داخل وخارج

قال: وأخبرتني أن أخاها صالح بن جعفرغزا أرض الروم، فقال فيه جعفر:

قدراح يوم السبت حين راحوا مع الجمال والتقى صلاح
من كل حي نفر سماح بيض الوجوه عرب صحاح
وفزعوا وأخذ السلاح وهم إذا ما كره الشياح
مصاعب يكرهها الجراح

قال: الزبير: ولجعفر شعر كثير قد نحل عمر بن أبي ربيعة ودخل في شعره. فأما الأبيات التي ذكرت فيها الغناء

فمن الناس من يرويها لعمر بن أبي ربيعة، ومنهم من يرويها للأحوص وللعرجي؛ وقد أنشدنيها جماعة من أصحابنا لجعفر بن الزبير. وأخبرني بذلك الحرمي، والطوسي، وحبيب بن نصر المهلبي، وذكر الأبيات. وأخبرنيه عمي عن ابن أبي سعد عن سعيد بن عمرو عن أم عروة بنت جعفر مثله. قال ابن أبي سعد : قال الخزامي الناس يروونها للعرجي، وأم عروة أصدق.

أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبيري قال:حدثني سعيد بن عمرو الزبيري قال: تزوج جعفر بن الزبير امرأةً من خزاعة وفيها يقول:

هل في ادكار الحبيب من حرج

الأبيات وزاد فيها بيتين وهما:

تسفر عن واضح إذا سفرت ليس بذي آمة ولا سمج

وسقط البيت الآخر من الأصل.

قال الزبير في رواية الطوسي: حدثني مصعب بن عثمان وعمي مصعب قالا: كان جماعة من قريش منتحين عن المدينة، فصدر عن المدينة بدوي فسألوه: هل كان لمدينة خبر؟ قال: نعم مات أبو الناس. قالوا: وأنى ذلك؟ قال: شهده أهل المدينة جميعاً؛ وبكي عليه من كل دار. فقال القوم: هذا جعفر بن الزبير، فجاءهم الخبر بعد أن جعفر بن الزبير مات.

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني إبراهيم بن معاوية عن أبي محمد الأنصاري، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه؛ قال: أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني إبراهيم بن معاوية عن أبي محمد الأنصاري، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه؛ قال: لما تزوج الحجاج وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك، فقال: إني لأرجو أن لايجمع الله بينهما، ولقد دعا داع بذلك فابتهل، وعسى الله ، فإن أباها لم يزوج إلا الدراهم. فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد إلى الحجاج، وكتب إليه يغلظ له ويقصر به، ويذكر تجاوزه قدره، ويقسم بالله لئن هو مسها ليقطعن أحب اعضائه إليه، ويأمره بتسويغ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها.

ففعل، فما بقي أحد فيه خير إلا سره ذلك.

وقال جعفر بن الزبير وكان شاعراً في هذه القصة:

وجدت أمير المؤمنين ابن يوسف حميا من الأمر الذي جئت تتكف

ونبئت أن قد قال لما نكحتها وجاءت به رسل تخب وتوجف

ستعلم أني قد أنفت لما جرى ومثلك منه عمرك الله يؤنف

ولولا انتكاس الدهر ما نال مثلها رجاؤك إذ لم يرج ذلك يوسف

أبنت المصفى ذي الجناحين تبتغي لقد رمت خطبا قدره ليس يوصف
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

عروضه من الطويل. الشعر فيما ذكر ابن إسحاق صاحب المغازي لمضاض بن عمروالجرهمي. وقال غيره: بل هو لحارث بن عمر بن مضاض.

أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبة عن أبي غسان محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد. وقال عبد العزيز بن عمران : هو عمر بن الحارث بن مضاض. والغناء ليحيى المكي، رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم الموصلي ما خوري بالبنصر. وفيه لأهل مكة لحن قديم ذكره إبراهيم و لم يجنسه.

ذكر خبر مضاض بن عمرو

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي. وكان جده مضاض قد زوج ابنته رعلة، إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، فولدت له إثنى عشر رجلاً أكبرهم قيذار ونابت. وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمره بذلك لأنه لما بنى مكة وأنزلها ابنه قدم عليه قدمة من قدماته، فسمع كلام العرب وقد كانت طائفة من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل، فأعجبته لغتهم واستحسنها فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوج إليهم، فتزوج بنت مضاض بن عمرو، وكان سيدهم.

فأخبرنا محمد بن جرير، قال: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق. وأخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا إسحاق بن أحمد الخزاعي قال حدثنا محمد بن عبد الله الأزرقي قال: حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد بن إسحاق. ورواية إسحاق بن احمد أتم. وقد جمعتها:

أن نابت بن إسماعيل ولي البيت بعد أبيه ثم توفي،فولى مكانه جده لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي، فضم ولد نابت بن إسماعيل إليه، ونزلت جرهم مع ملكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكة، ونزلت قطوراء مع ملكهم السميدع أجياد، أسفل مكة . وكان هذان البطنان خرجا سيارةً من اليمين ، وكذلك كانوا لايخرجون إلا مع ملك يملكونه عليهم، فلما رأوا مكة رأوا بلداً طيباً، وماءً وشجراً، فنزلا ورضي كل واحد منهما بصاحبه و لم ينازعه، فكان مضاض يعشر من جاء مكة من أعلاها، وكان السميدع يعشر من جاءها من أسفلها ومن كداء لايدخل أحدهما على صاحبه في أمره، ثم إن جرهماً وقطوراء بغى كل واحد منهما على صاحبه، فتنافسوا في الملك حتى نشبت الحرب بينهم؛ وكانت ولاية البيت إلى مضاض دون السميدع، فخرج مضاض من بطن قعيقعان مع كتيبته في سلاح شاك يتقعقع-فيقال: ماسميت قعيقعان إلا بذلك-وخرج السميدع من شعب أجياد، في الخيل الجياد والرجال-ويقال: ماسميت أجياداً إلا بذلك- حتى التقوا بفاضح، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وفضحت قطوراء- ويقال: ماسمي فاضحاً إلا بذلك-ثم تداعى القوم إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعباً بأعلى

مكة، وهو الذي يقال له الآن شعب بن عامر فاصطلحوا هناك، وسلموا الأمر إلى مضاض؛ فلما اجتمع له أمرمكة، وصار ملكها دون السميدع نحر للناس فطبخوا هناك الجزر، فأكلوا، وسمي ذلك الموضع المطابخ.
فيقال: إن هذا أول بغي بمكة، فقال مضاض بن عمر في تلك الحرب :

نحن قتلنا سيد الحي عنوة فأصبح منها وهو حيران موجع

- يعني أن الحي أصبح حيران موجعا-

وما كان يبغي أن يكون سواؤنا بها ملكاً حتى أتانا السميدع
فذاق وبالاً حين حاول ملكنا وحاول منا غصة تتجرع
ونحن عمرنا البيت كنا ولاته نضارب عنه من أتانا وندفع
وما كان يبغي ذاك في الناس غيرنا ولم يك حي قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكا في الدهور التي مضت ورثنا ملوكاً لاترام فتوضع

قال عثمان بن ساج في خبره: وحدثني بعض أهل العلم أن سيلاً جاء فدخل البيت فانهدم، فأعادته جرهم على بناء إبراهيم، بناه لهم رجل منهم يقال له أبو الجدرة وأسمه عمر الجارود، وسمي بنوه الجدرة. قال: ثم استخف جرهم بحق البيت، وارتكبوا فيه أموراً عظاماً، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة، وكان للبيت خزانة، وهي بئر في بطنه، يلقى فيها الحلي والمتاع الذي يهدى له، وهو يومئذ لاسقف عليه، فتواعد عليه خمسة من جرهم أن يسرقوا كل مافيه، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس، فجعل الله عز وجل أعلاه أسفله، وسقط منكساً فهلك، وفر الأربعة الآخرون.
قالوا: ودخل إساف ونائلة البيت ففجرا فيه، فمسخهما الله حجرين، فأخرجا من البيت. وقيل إنه لم يفجر بها في البيت، ولكنه قبلها في البيت.
وذكر عثمان بن ساج عن أبي الزناد، أنه إساف بن سهيل، وأنها نائلة بنت عمرو بن ذئب. وقال غيره: إنها نائلة بنت ذئب. فأخرجا من الكعبة، ونصبا ليعتبر بهما من رآهما، ويزدجر الناس عن مثل ما راتكبا، فلما غلبت خزاعة على مكة ونسي حديثهما، وحولهما عمرو بن لحي بن كلاب بعد ذلك؛ فجعلهما تجاه الكعبة يذبح عندهما عند موضع زمزم.
قالوا: فلما كثر بغي جرهم بمكة قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض فقال: يا قوم احذروا البغي، فإنه لا بقاء لأهله، وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم و لم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا، حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم فتفرقوا في البلاد، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله، ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرماته، أو خائفاً، أو رغب في جواره، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوفت أن تخرجوا منه خرج ذل وصغار، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن، والطير

تأمن فيه.

فقال قائل منهم يقال له مجدع: ومن الذي يخرجنا منه؟ ألسنا أعز العرب وأكثرهم مالاً وسلاحاً؟فقال مضاض: إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون؛ فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق! قالوا: وقد كانت العماليق بغت في الحرم، فسلط الله عز وجل عليهم الذر فأخرجهم منه، ثم رموا بالجدب من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رؤوسهم، ثم أرسل عليهم الطوفان- قال: والطوفان: الموت- قال: فلما رأى مضاض بن عمرو بغيهم ومقامهم عليه، عمد إلى كنوز الكعبة، وهي غزالان من ذهب، وأسياف قلعية ، فحفرلها ليلا في موضع زمزم ، ودفنها.

فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مأرب، ومعهم طريقة الكاهنة، حين خافوا سيل العرم، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الزد بين الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فقالت لهم طريقة لما قاربوا مكة:وحق ما أقول ، وما علمني ما أقول إلا الحكيم المحكم، رب جميع الأمم، من عرب وعجم. قالوا لها: ما شانك ياطريقة؟ قالت:خذوا البعير الشدقم ، فخضبوه بالدم، تكن لكم أرض جرهم، جيران بيته المحرم. فلما انتهوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم عمرو ابنه ثعلبة، فقال لهم: ياقوم، إنا قد خرجنا من بلادنا فلم نزل بلدةً إلا أفسح أهلها لنا،وتزحزحوا عنا، فنقيم معهم حتى نرسل رواداً فيرتادوا لنا بلدا يحملنا، فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح، نرسل روادنا إلى الشأم وإلى الشرق، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به، وأرجوا أن يكون مقامنا معكم يسيراً، فأبت ذلك جرهم إباءً شديداً، واستكبروا في أنفسهم، وقالوا: لا والله؛ ما نحب أن تنزلوا فتضيفوا علينا مرابعنا ومواردنا، فارحلوا عنا حيث أحببتم، فلا حاجة لنا بجواركم. فأرسل إليهم: إنه لابد من المقام بهذا البلد حولاً، حتى ترجع إلي رسلي التي أرسلت، فإن أنزلتموني طوعاً نزلت وحمدتكم وآسيتكم في الرعي والماء، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً ، و لم تشربوا إلا رنقا ، وإن قاتلتموني قاتلتكم، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال، و لم أترك منكم أحداً يترل الحرم أبداً! فأبت جرهم أن تنزله طوعاً وتعبت لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم فيها الصبر، ومنعوا النصر ، ثم انهزمت جرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد. وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم و لم يعنهم في ذلك، وقال: قد كنت أحذركم هذا. ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنونى وما حوله، فبقايا جرهم به إلى اليوم ، وفني الباقون؛ أفناهم السيف في تلك الحروب.

قالوا: فلما حازت خزاعة أمر مكة وصاروا وأهلها جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلو حرب جرهم وخزاعة، فلم يدخلوا في ذلك، فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة أمر عظيم، أرسل إلى خزاعة يستأذنها، ومت إليهم برأيه وتوريعه قومه عن القتال ، وسوء العشرة في الحرم، واعتزاله الحرب، فأبت خزاعة أن يقروهم ونفوهم عن الحرم كله، وقال عمرو بن لحي لقومه: من وجد منكم جرهميا قد قارب الحرم فدمه هدر ! فترعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث بن

مضاض بن عمرو، من قنون تريد مكة، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة، فمضى على الجبال نحو أجياد، حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر الإبل في بطن واديمكة، فأبصرالإبل تنحر وتؤكل ولا سبيل له إليها، فخاف إن هبط الوادي أن يقتل، فولى منصرفا إلى أهله وانشأ يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطا فجنوبه إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجود العواثر
وأبدلنا ربي بها دار غربة بها الذئب يعوي والعدو المخامر
أقول إذا نام الخلي ولم أنم أذا العرش لايبعد سهيل وعامر
قد ابدلت منهم أوجها لاأريدها وحمير قد بدلتها واليحابر
فإن تمل الدنيا علينا بكلها ويصبح شر بيننا وتشاجر
فنحن ولاة البيت من بعد نابت نمشي به والخير إذ ذاك ظاهر

وأنكح جدي خير شخص علمته فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
وأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك ياللناس تجري المقادر
فصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تبكي لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
وياليت شعري من بأجياد بعدنا أقام بمفضى سيله والظواهر
فبطن منى أمس كأن لم يكن به مضاض ومن حيى عدي عمائر
فهل فرج آت بشيء نحبه وهل جزع منجيك مما تحاذر

قالوا: وقال أيضاً:

ياأيها الحي سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا
إنا كما أنتم كنا فغيرنا دهر بصرف كما صرنا تصيرونا
أزجوا المطي وأرخوا من أزمتها قبل الممات وقضوا ما تقضونا
قد مال دهر علينا ثم أهلكنا بالبغي فيه فقد صرنا أفانينا
كنا زماناً ملوك الناس قبلكم نأوي بلاداً حراماً كان مسكونا

قال الأزرقي: فحدثني محمد بن يحيى قال: حدثني عبد العزيز بن عمران قال: وخرج أبو سلمة بن عبد أسد المخزومي قبيل الإسلام في نفر من قريش يريدون اليمن فأصابهم عطش شديد ببعض الطريق، وأمسوا على غير الطريق، فتشاوروا جميعاً، فقال لهم أبو سلمة: إني أرى ناقتي تنازعني شقاً ؛ أفلا أرسلها وأتبعها؟ قالوا: فافعل. فأرسل ناقته وتبعها فأضحوا على ماء وحاضر ، فاستقوا وسقوا، فإنهم لعلى ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال: من القوم؟ قالوا: من قريش. فرجع إلى شجرة أمام الماء فتكلم عندها بشيء ثم رجع إلينا، فقال: أينطلق معي أحدكم إلى رجل ندعوه . قال أبو سلمة: فانطلقت معه فوقف بي تحت شجرة، فإذا وكر معلق فصوت: يا أبت! فزعزع شيخ رأسه ، فأجابه فقال: هذا الرجل. فقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من قريش. قال: من أيها؟ قلت: من بني مخزوم بن يقظة. قال: من أيهم؟ قلت: أنا أبو سلمة بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة. قال: أيهات منك ! أنا ويقظة سن ، أتدري من يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

قلت: لا.قال: أنا قائلها، أنا عمروبن الحارث بن مضاض الجرهمي. أتدري لم سمى أجياد أجياداً؟ قلت:لا.قال: جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقطوراء؛ أتدري لم سمي قبعقا،؟ قلت:لا. قال:لتقعقع السلاح علىظهورنا لما طلعنا عليهم منه.

أخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء؛قال حدثنا الزبيربن بكار قال: حدثني إبراهيم بن المنذرالحزامي؛ قال حدثنا عبد العزيز بن عمران؛ قال حدثني راشد بن حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال أبو سلمة بن عوف : وخرجت في نفر من قريش يريدون اليمن. وذكر الخبر مثل حديث الأزرقي. والله أعلم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن يحيى قال: حدثنا غسان بن عبد العزيز بن عبد الحميد أن ربيعة بن أمية بن خلف كان قد أدمن الشراب، وشرب في شهر رمضان، فضربه عمر رضي الله عنه وغربه إلى ذي المروة، فلم يزل بها حتى توفي واستخلف عثمان رضي الله عنه؛ فقيل له: قد توفي عمر واستخلف عثمان فلو دخلت المدينة ماردك أحد. قال:لا والله لاأدخل المدينة فتقول قريش قد غربه رجل من بني عدي بن كعب. فلحق بالروم وتنصر، فكان قيصر يحبوه ويكرمه، فأعقب بها.

قال غسان: حدثني أبي قال: قدم رسول يزيد بن معاوية على معاوية من بلاد الروم؛ فقال له معاوية: هل كان للناس خبر؟ قال: بينا نحن محاصرون مدينة كذا وكذا إذ سمعنا رجلا فصيح اللسان مشرفاً من بين شرفتين من شرف الحصن، وهو ينشد:

كأن لم يكن بن الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فقال معاوية: ويحك، ذاك الربيع بن أمية يتغنى بشعر عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال؛ حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: قال لي أبي: مر بالدواب تسرج سحراً حتى نغدو إلى ابن جامع نستقبله بالياسرية بسحرة لا تأخذنا الشمس قال: فأمرت بذلك. وركبنا في السحر فأصبحنا دون الياسرية، وقد طلعت علينا الشمس. قال: فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضب وعلى رأسه ولحيته خرق الخضاب، وغذا بقدر تطبخ في الشمس؛ فلما نظر إلينا رحب بنا، وقام إلينا فسلم علينا، ثم دعا الماء فغسل رأسه ولحيته، ثم دعا بالغداء فأتي بغدائه، فغرف لنا من تلك القدر التي في الشمس، فتقززت وبشعت من ذلك الطعام الذي طبخ، فأشار إلي أبي: بأن كل. فأكلنا حتى فرغنا من غدائنا، فلما غسلنا أيدينا نادى ابن جامع: يا غلام هات شرابنا! فأتي بنبيذ في زكرة قد كانت الزكرة في الشمس ، فكرهت ذلك، فأشار إلي أبي، أن لاتمتنع، ثم أتوا بقدح جيشاني ملء الكف، فصب النبيذ فيه وهويشبه ماء قد أغلي بالنار، ثم غنى ابن جامع فقال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثر

ثم غنى للعرجي :

لو أن سلمى رأتنا لايراع لنا لما هبطنا جميعا أبطن السوق

وكشرنا وكبول القين تتكؤنا كالأسد تكثر عن أنيابها الروق

ثم تغنى:

أجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتي وصبري

ثم أمر بالرحيل. وقد غنى هذه الثلاثة الأصوات. فقال لي أبي: يابني بشعت لما رأيت من طعام ابن جامع وشرابه؛ فعلي عتق ما أملك إن لم يكن شرب الدم مع هذا طيباً. ثم قال: أسمعت بني غناءً قط أحسن من هذا؟ فقلت: لا والله ما سمعت. قال: ثم خرج ابن جامع حتى نزل بباب أميرالمؤمنين الرشيد ليلاً، واجتمع المغنون على الباب، وخرج الرسول إليهم فأذن لهم؛ والرشيد خلف الستارة، فغنوا إلى السحر؛ فأعطاهم ألف دينار إلا ابن جامع فلم يعطه شيئاً، وانصرفوا متوجهين له، وعرضوا عليه جميعاً فلم يقبل، وانصرفوا، فلما كان في الليلة الثانية دعوا فغنوا ساعة، ثم كشفت الستارة، وغنى جامع صوتا عرض فيه بحاله وهو:

تقول أقم فينا فقيراً وما الذي ترى فيه ليلي أن أقيم فقيرا

ذريني أمت ياليل أو أكسب الغنى فإني أرى غير الغني حقيرا

يدفع في النادي ويرفض قوله وإن كان بالرأي السديد جديرا

ويلزم ما يجني سواه وإن يطف بذنب يكن منه الصغير كبيرا

قالوا: فأعجب الرشيد ذلك الشعر واللحن فيه، وأمال رأسه نحوه كالمستدعي له. وغناه أيضا:

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي واخلفني منها الذي كنت آمل

فما كل ما يخشى الفتى نازل به ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

ووالله مافرطت في وجه حيلة ولكن ما قد قدر الله نازل

وقد يسلم الإنسان من حيث يتقي ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافل

ثم أمر بالانصراف فانصرفوا، فلما بلغوا الستر صاح به الخادم: ياقرشي مكانك. فوقف مكانه فخرج إليه بخلع وسبعة آلاف دينار، وأمر إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن ينصرف.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر الكلبي عن أبيه: أن الناس بيناهم في ليلة مقمررة في المسجد الحرام، إذ بصروا بشخص قد أقبل كأن قامته رمح، فهربوا من بين يديه وهابوه؛ فأقبل حتى طاف بالبيت الحرام سبعا ثم وقف فتمثل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

قال: فأتاه رجل من أهل مكة؛ فوقف بعيداً منه ثم قال: سألتك بالذي خلقك أجني أنت أم إنسي ؟ فقال:بل إنسي، انا امرأة من جرهم، كنا سكان هذه الأرض وأهلها، فأزالناعنها هذا الزمان الذي يبلي كل جديد ويغيره ثم انصرفت خارجة عن المسجد حتى غابت عنهم، ورجعوا إلى مواضعهم.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي عن جدي قال: قال لي يحيى بن خالد يوماً: أخبرك برؤيا رأيتها؟ قلت: خيراً رأيت. قال: رأيت كأني خرجت من داري راكباً، ثم التفت يميناً وشمالاً فلم أر معي أحداً، حتى صرت إلى الجسر، فإذا بصائح يصيح من ذلك الجانب:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته بقوله:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

فانصرفت إلى الرشيد فغنيته الصوت، وخبرته الخبر، فعجب منه. وما مضت الأيام حتى أوقع بهم

شافني الزائرات قصر نفيس مثقلات الأعجاز قب البطون

يتربعنه الربيع وينزل ن إذا صفن منزل الماجشون

يتربعنه: يترلنه في أيام الربيع. قال لمترل القوم في أيام الربيع: متربعهم. قال الشاعر:

أمن آل ليلى بالملا متربع كما لاح وشم في الذراع مرجع

والماجشون: رجل من أهل المدينة يروى عنه الحديث. والماجشون لقب به سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب- عليهم السلام-وهو اسم لون من الصبغ أصفر تخالطه حمرة، وكذلك كان لونه. ويقال: إنها ما لقبت أحداً قط بلقب إلا لصق به.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب الزبيري، قال: حدثني ابن الماجشون، قال: نظرت سكينة إلى أبي، فقالت: كأن هذا الرجل الماجشون-وهو صبغ أصفر تخالطه حمرة-فلقب بذلك.

قال عبد العزيز: ونظرت إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت فيه غلظة، فقالت: هذا الرجل في قريش كالشيرج في الأدهان! فكان ذلك الرجل يسمى: فلان شيرج حتى مات.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لإبراهيم الموصلي. خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر، وفيه لبصبص جارية ابن نفيس التي قيل هذا الشعر فيها: رمل. وذكر حبش أن لها فيه أيضاً ثقيل أول بالوسطى.

ذكر أخبار بصبص جارية ابن نفيس

كانت بصبص هذه جارية مولدة من مولدات المدينة، حلوة الوجه، حسنة الغناء، قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين، وكان يحيى بن نفيس مولاها-وقيل نفيس بن محمد، والأول أصح- صاحب قيان يغشاه الأشراف، ويسمعون غناء جواريه، وله في ذلك قصص نذكرها بعد، وكانت بصبص هذه أنفسهن وأشدهن تقدما.

وذكر ابن خرداذبه: ان المهدي اشتراها وهو ولي والعهد سراً من أبيه بسبعة عشر ألف دينار، فولدت منه علية بنت المهدي.

وذكر غيره أن ابن خرداذبة غلط في هذا، وأن الذي صح أن المهدي اشترى بهذه الجملة جاريةً غيرها، وولدت علية.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: ان ابن القداح حدثه قال: كانت مكنونة جارية المروانية-وليست من آل مروان بن الحكم؛ وهي زوجة الحسين بن عبد الله بن العباس-أحسن جارية بالمدينة وجها، وكانت رسحاء ، وكان بعض من يمازحها يعبث بها، ويصيح: طست طست ! وكانت حسنة الصدر والبطن، وكانت توضح بهما ، وتقول: ولكن هذا! فاشتريت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبت عليه، حتى كانت الخيزران تقول: ما ملك أمةً أغلظ علي منها. واستتر أمرها على المنصور حتى مات. وولدت من المهدي علية بنت المهدي.

والذي قال ابن خرداذبه غير مردود إذا كان هذا صحيحاً.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن غرير بن طلحة قال: اتعد محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، وعبد الله بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن مصعب الزبيري، وأبو بكر بن

محمد بن عثمان الربعي، ويحيى بن عقبة، أن يأتوا بصبص جارية ابن نفيس، فعجل محمد بن يحيى، وكان من أصحاب عيسى بن موسى، ليخرج إلى الكوفة، فقال عبد الله بن مصعب.

أرائح أنت أبا جعفر ... من قبل أن تسمع من بصبصا
هيهات أن تسمع منها إذا ... جاوزت العيس بك الأعوصا
فخذ عليها مجلسي لذة ... ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله يمينا ومن ... يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعة ... بايعتها ثم شققت العصا

قال: وفيها غناء لبصبص.

قال: فاشتراها أبو غسان مولى منيرة للمهدي بسبعة عشر ألف دينار.

قال حماد: وحدثني أبي عن الزبير أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا الشعر أبا جعفر المنصور لما حج فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحج، لاأبا جعفر محمد بن يحيى بن زيد.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن سلام قال: حدثني موسى بن مهران قال: كانت بالمدينة قينة لآل نفيس بن محمد يقال لها بصبص، وكان مولاها صاحب قصر نفيس الذي يقول فيه الشاعر:

شاقني الزائرات قصر نفيس ... مثقلات الأعجاز قب البطون

قال: وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها، فيسمع منها، وكان يأتيها فتيان من قريش فيسمعون منها، فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور منصرفا من الحج ومر بالمدينة يذكر بصبص:

أراحل أنت أبا جعفر ... من قبل أن تسمع من بصبصا

وذكر الأبيات، فبلغت أبا جعفر، فغضب فدعا به؛ فقال: أما إنكم يا آل الزبير قديماً ما قادتكم النساء، وشققتم معهن العصا، حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنيات؛ فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم.

قال: ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أن عبد الله بن مصعب قد اصطبح مع بصبص وهي تغنيه بشعره:

إذا تمززت صراحيةً ... كثل ريح المسك أو أطيب
ثم تغنى لي بأهزاجه ... زيد أخو الأنصار أو أشعب
حسبت أني مالك جالس ... حفت به الأملاك والموكب
فلا أبالي وإله الورى ... أشرق العالم أم غربوا

الغناء لزيد الأنصاري، هزج مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي وغيره، وذكر غيره أنه لأشعب. فقال أبو جعفر: العالم لايبالون كيف أصبحت وكيف أمسيت.

ثم قال أبو جعفر: ولكن الذي يعجبني أن يحدو بي الحادي الليلة بشعر طريف العنبري، فهو آلف في سمعي من غناء بصبص، وأحرى أن يختاره أهل العقل. قال: فدعا فلاناً الحادي- قد ذكره وسقط اسمه-وكان إذا حدا وضعت الإبل رؤوسها لصوته وانقادت انقياداً عجيباً ، فسأله المنصور: ما بلغ من حسن حدائه؟ قال: تعطش الإبل ثلاثا أو قال خمسا وتدني من الماء، ثم أحدو فتتبع كلها صوتي، ولا تقرب الماء. فحفظ الشعر، وكان :

إني وإن كان ابن عمي كاشحا ... لمزاحم من دونه وورائه

وممدة نصري وإن كان أمراً ... متزحزحاً في أرضه وسمائه

وأكون مأوى سره وأصونه ... حتى يحق علي يوم أدائه

وإذا أتى من غيبه بطريفة ... لم أطلع: ماذا وراء خبائه

وإذا تحيفت الحوادث ماله ... قرنت صحيحتنا إلى جربائه

وإذا تريش في غناه وفرته ... وإذا تصعلك كنت من قرنائه

وإذا غدا يوماً ليركب مركباً ... صعباً قعدت له على سيسائه

فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحث على المروءة وأشبه باهل الأدب من غناءبصبص. قال: فحدا به ليلةً، فلما أصبح قال: ياربيع أعطه درهما. فقال له: يا أمير المؤمنين؛ حدوت بهشام بن عبد الملك، فأمر لي بعشرين ألف درهم وتأمر أنت بدرهم! قال: إنا لله! ذكرت مالم نحب أن تذكره؛ ووصفت ان رجلاً ظالماً أهذ مال الله من غير حله؛ وانفقه في غير حقه ياربيع، اشدد، يديك به حتى يرد المال. فبكى الحادي، وقال: يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السنون وقضيت به الديون، وتمزقته النفقات؛ ولا والذي أكرمك بالخلافة ما بقي عندي منه شيء. فلم يزل أهله وخاصته يسألونه حتى كف عنه، وشرط عليه أن يحدو به ذاهباً وراجعاً، ولا يأخذ منه شيئا.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني القاسم بن زيد المديني؛ قال: اجتمع ذات يوم عند بصبص جارية ابن نفيس عبد الله بن مصعب الزبيري ومحمد ابن عيسى الجعفري، في أشراف من أهل المدينة، فتذاكروا مزبداً المديني صاحب النوادر وبخله، فقالت بصبص: أنا اخذ لكم منه درهما.

فقال لها مولاها: أنت حرة لئن فعلت إن لم أشترلك مخنقة بمائة ألف دينار وإن لم أشترلك ثوب وشي بما شئت؛ وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر لك فيه بدنة لم تقتب و لم تركب. فقالت:جيء به وارفع عني الغيرة.

فقال: أنت حرة أن لو رفع برجليك لأعنته على ذلك. فقال عبد الله بن مصعب: فصليت الغداة في مسجد

المدينة، فإذا أنا به، فقلت: أبا إسحاق، أما تحب أن ترى بصبص جارية ابن نفيس؟ فقال: امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً علي فيها، وإن لم أكن أساله أن يرينيهامنذ سنة فما يفعل. فقلت له: اليوم إذا صليت العصر فوافني ههنا.

قال: امرأته طالق إن برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر. قال: فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر، ودخلت المسجد فوجدته فيه، فأخذت بيده وأتيتهم به، فأكلوا وشربوا، وتساكر القوم وتناوموا، فأقبلت بصبص على مزبد، فقالت: أبا إسحاق، كأن في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة:

لقد حثوا الجمال ليه ربوا منا فلم يئلو

فقال: زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ! قال: فغنته ساعةً ثم مكثت ساعةً فقالت: أبا إسحاق كأن في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبي فتقرصني قرصات، وأغنيك.

قالت وقد أبثثتها وجدي فبحت به قد كنت قدماً تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس غداً، وبأي أرض تموت! فغنته ثم قال: برح الخفاء ، أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني شق التين وأغنيك هزجاً:

أنا أبصرت بالليل غلاماً حسن الدل

كغصن البان قد أص بح مسقيا من الطل

لم يذكر صانعه، وهو هزج على ماذكر.

فقال: أنت نبية مرسلة! فغنته ثم قالت: أبا إسحاق، أرأيت أسقط من هؤلاء! يدعونك ويخرجونني إليك ولايشترون ريحاناً بدرهم، أي أبا إسحاق؛ هلم درهما نشتري به ريحاناً! فوثب وصاح: واحرباه ، أي زانية ، أخطات استك الحفرة ، انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى إليك! وعطعط القوم بها ، وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه، ثم خرجوا فلم يعد إليها، وعاود القوم مجلسهم، فكان أكثر شغلعم فيه حيدث مزبد معها والضحك منه.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: أنشدني الزبير بن بكار، قال: أنشدني غرير بن طلحة لابن أبي الزوائد- وهو ابن ذي الزوائد- في بصبص:

بصبص أنت الشمس مزدانةً فإن تبذلت فأنت الهلال

سبحانك اللهم ما هكذا فيما مضى كان يكون الجمال

إذا دعت بالعود في مشهد وعاونت يمنى يديها الشمال

غنت غناءً يستفز الفتى حذقاً وزان الحذق منها الدلال

قال هارون: قال الزبير: وأنشدني غرير أيضاً لنفسه يهجو مولاها:

ياويح بصبص من يحيى لقد رزقت وجها قبيحاً وأنفاً من جعاميس

يمج من فيه في فيها إذا هجعت ريقاً خبيثاً كأرواح الكرابيس

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال: هوي محمد بن عيسى الجعفري بصبص جارية ابن نفيس، فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له: لقد شغلتني هذه عن صنعتي وكل أمري، وقد وجدت مس السلو فاذهب بنا حتى أكاشفها بذلك فأستريح. فأتياها فلما غنت لهما قال لها محمدبن عيسى: أتغنين:

وكنت أحبكم فسلوت عنكم عليكم في دياركم السلام

فقالت: لاولكني أغني:

تحمل أهلها عنها فبانوا على آثار من ذهب العفاء

فاستحيا وازداد بها كلفاً، ولها عشقاً، فأطرق ساعةً ثم قال: أتغنين:

وأخضع بالعتبي إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذي أتنصل

قالت: نعم وأغني أحسن منه:

فإن تقبلوا بالود نقبل بمثله وننزلكم منا بأقرب منزل

قال: فتقاطعا في بيتين، وتواصلا في بيتين. وفي هذه الأبيات الأربعة غناء كان محمد قريضي ، وذكاء، وغيرهما ممن شاهدنا من الحذاق يغنونه في الابتداءين لحنين من الثقيل الأول، وفي الجوابين لحنين من خفيف الثقيل، ولا أعرف صانعهما.

أخبرني عمي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني أبو أيوب المديني عن مصعب قال: حضر أبو السائب المخزومي مجلساً في بصبص جارية يحيى بن نفيس، فغنت:

قلبي حبيس عليك موقوف والعين عبرى والدمع مذروف

والنفس في حسرة بغصتها قد شف أرجاءها التساويف

إن كنت بالحسن قد وصفت لنا فإنني بالهوى لموصوف

يا حسرتا حسرة أموت بها إن لم يكن لي لديك معروف

قال: فطرب أبو السائب ونعر ، وقال: لاعرف الله قدره إن لم أعرف لك معروفك. ثم أخذ قناعها عن رأسها وجعله على رأسه وجعل يلطم ويبكي، ويقول لها: بأبي والله أنت، إني لأرجو أن تكوني عند الله أفضل من

الشهداء، لما تولينا من السرور، وجعل يصيح، واغوثاه! يا لله لما يلقى العاشقون.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني عمرو بن عبد الله قال: حدثناالحسين بن يحيى عن عثمان بن محمد الليثي قال: كنت يوماً في مجلس ابن نفيس، فخرجت إلينا جاريته بصبص، وكان في القوم فتى يحبها، فسألته حاجة، فقام ليأتيها بها، فنسي أن يلبس نعله، ومشى حافيا؛ فقالت: يافلان،نسيت نعلك. فلبسها وقال: أنا والله كما قال الأول:

وحبك ينسيني عن الشيء في يدي ... ويشغلني عن كل شيء أحاوله

فأجابته فقالت:

وبي مثل ما تشكوه مني وإنني ... لاشفق من حب أراك تزاوله

يشتاق قلبي إلى مليكة لو ... أمست قريبا ممن يطالبها

ما أحسن الجيد من مليكة وال ... لبات إذ زانها ترائبها

ياليتني ليلةً إذا هجع ال ... ناس ونام الكلاب صاحبها

في ليلة لايرى بها أحد. ... يسعى علينا إلا كواكبها

الشعر لأحيحة بن الجلاح، والغناء لابن سريج. رمل بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لحن لمالك من رواية يونس.

ذكر أحيحة بن الجلاح

ونسبه وخبره والسبب الذي من أجله قال الشعر هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. ويكنى أحيحةأبا عمرو.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيزقال: ركب الوليد بن عبد الملك إلى المساجد، فأتى مشجد العصبة ، فلما صلى قال للأحوص: يا أحوص أين الزوراء التي قال فيها صاحبكم:

إني أقيم على الزوراء أعمرها ... إن الكريم على الإخوان ذو المال

لها ثلاث بئار في جوانبها ... في كلها عقب تسقى بأقبال

استغن او مت ولا يغررك ذو نشب ... من ابن عم ولا عم ولا خال

قال الزبير؛ العقب الذي في أول المال عند مدخل الماء، والطلب الذي في آخره . قال: فأشار له الأحوص إليها وقال: هاهي تلك، لو طولت لأشقرك هذا لجال عليها ، فقال الوليد: إن أبا عمرو كان يراه غنياً بها، فعجب الناس يومئذ لعناية الوليد بالعلم، حتى علم أن كنية أحيحة أبو عمرو.

وفي بعض هذا الشعر غناء، وهو:

استغن أو مت ولايغررك ذو نشب من ابن عم ولا عم ولا خال

يلوون مالهم عن حق أقربهم وعن عشيرتهم؛ والحق للوالي

غناه الهذلي رملا بالوسطى من رواية الهشامي وعمرو بن بانة وأما السبب في قول أحيحة هذا الشعر فإن أحمد بن عبيد المكتب ذكر أن محمد بن يزيد الكلبي حدثه، وحدثه أيضاً هشام بن محمد عن الشرقي بن القطامي قال هشام: وحدثني به أبي أيضاً.

قال: وحدثني رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر، قال: وحدثني عبد الرحمن بن سليمان الأنصاري، قالوا جميعاً: أقبل تبع الأخير وهو أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميري، من اليمين سائراً يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل، فمر بالمدينة فخلف بها ابناً له، ومضى حتى قدم الشأم ثم سار من الشأم حتى قدم العراق فنزل بالمشقر ، فقتل ابنه غيلة بالمدينة، فبلغه وهو بالمشقر مقتل ابنه، فكر راجعاً إلى المدينة وهو يقول:

ياذا معاهر ماتزال ترود رمد بعينك عادها أم عود

منع الرقاد فما أغمص ساعة نبط بيثرب آمنون قعود

لاتستقي بيديك إن لم تلقها حربا كأن أشاءها مجرود

ثم أقبل حتى دخل المدينة وهو مجمع على إخرابها وقطع نخلها، واستئصال أهلها، وسبي الذرية؛ فنزل بسفح أحد فاحتفر بها بئراً-فهي البئر التي يقال لها إلى اليوم بئرالملك-ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه فكان فيمن أرسل إليه زيد بن ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف، وابن عمه زيد بن أمية بن زيد، وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد -وكانوا يسمون الأزياد- وأحيحة بن الجلاح؛ فلما جاء رسوله قال الأزدياد: إنما أرسل إلينا ليملكنا على أهل يثرب. فقال أحيحة: والله ما دعاكم لخير! وقال:

ليت حظي من أبي كرب أن يرد خيره خبله

فذهبت مثلاً. وكان يقال: إن مع أحيحة تابعاً من الجن يعلمه الخبر لكثرة صوابه؛ لأنه كان لايظن شيئاً فيخبربه قومه إلا كان كما يقول. فخرجوا إليه، وخرج أحيحة ومعه قينة له، وخباء، فضرب الخباء وجعل فيه القينة والخمر، ثم خرج حتى استأذن على تبع، فأذن له، واجلسه معه على زربية تحته ، وتحدث معه وسأله عن أمواله بالمدينة؛ فجعل يخبره عنها، وجعل تبع كلما أخبره عن شيء منها يقول: كل ذلك على هذه الزربية. يريد بذلك تبع قتل أحيحة، ففطن أحيحة أنه يريد قتله فخرج من عنده فدخل خباءه، فشرب الخمر، وقرض أبياتاً، وأمر القينة أن تغنيه بها، وجعل تبع عليه حرسا، وكانت قينته تدعى مليكة فقال:

يشتاق قلبي إلى مليكة لو أمست قريباً ممن يطالبها

الأبيات. وزاد فيها مماليس فيه غناء:

لتبكني قينة ومزهرها ولتبكني قهرة وشاربها

ولتبكني ناقة اذا رحلت وغاب في سردح مناكبها

ولتبكني عصبة إذا جمعت لم يعلم الناس ما عواقبها

فلم تزل القينة تغنيه بذلك يومه وعامة ليلته ؛ فلما نام الحراس قال لها: إني ذاهب إلى أهلي فشدي عليك الخباء، فإذا جاء رسول الملك فقولي له: هو نائم؛ فإذا أبوا إلا أن يوقظوني فقولي: قد رجع إلى أهله وأرسلني إلى الملك برسالة. فإن ذهبوا بك إليه فقولي له: يقول لك أحيحة: اغدر بقينة أودع.ثم انطلق فتحصن في أطمه الضحيان، وأرسل تبع من جوف الليل إلى الأزياد فقتلهم على فقارة من فقار تلك الحرة. وأرسل إلى أحيحة ليقلته، فخرجت إليهم القينة، فقالت: هو راقد. فانصرفوا وترددوا عليها مراراً؛ كل ذلك تقول: هو راقد. ثم عادوا فقالوا: لتوقظنه أو لندخلن عليك. قالت: فإنه قد رجع إلى أهله، وأرسلني إلى الملك برسالة. فذهبوا بها إلى الملك، فلما دخلت عليه سألها عنه، فأخبرته خبره، وقالت: يقول لكاغدر بقينة أودع. فذهبت كلمة أحيحة هذه مثلاً؛ فجرد له كتيبة من خيله، ثم أرسلهم في طلبه فوجدوه قد تحصن في أطمه، فحاصروه ثلاثاً؛ يقاتلهم بالنهار ويرميهم بالنبل والحجارة، ويرمي إليهم بالليل بالتمر، فلما مضت الثلاث رجعوا إلى تبع فقالوا: بعثتنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار، ويضيفنا بالليل! فتركه؛ وأمرهم أن يحرقوا نخله. وشبت الحرب بين أهل المدينة: أوسها وخزرجها ويهودها، وبين تبع، وتحصنوا في الآطام. فخرج رجل من أصحاب تبع حتى جاء بني عدي بن النجار؛ وهم متحصنون في أطمهم، الذي كان في قبلة مسجدهم، فدخل حديقة من حدائقهم، فرقي عذقا منها يجدها ، فاطلع إليه رجل من بني عدي بن النجار من الأطم يقال له أحمر أو صخر بن سليمان من بني سلمة، فنزل إليه فضربه بمنجل حتى قتله ثم ألقاه في بئر! وقال: جاءنا يجد نخلنا ، إنما النخل لمن أبره ظن فأرسلها مثلاً. فلما انتهى ذلك إلى تبع زاده حنقاً وجرد إلى بني النجار جريدة من خيله ؛ فقاتلهم بنو النجار ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بني معاوية بن مالك بن النجار، وجاء بعض تلك الخيول إلى بني عدي وهم متحصنون في أطمهم الذي في قلبة مسجدهم، فراموا بني عدي بالنبل، فجعلت نبلهم تقع في جدار الأطم، فكان على أطمهم مثل الشعر من النبل، فسمي ذلك الأطم الأشعر-و لم تزل بقيا النبل فيه حتى جاء الله عزوجل بالإسلام- وجاء بعض جنوده إلى بني الحارث بن الخزرج، فجذموا نخلهم من أنصافها، فسميت تلك النخل جذمان ، وجدعوا هم فرساً لتبع، فكان تبع يقول: لقد صنع بي أهل يثرب شيئاً ما صنعه بي أحد؛ قتلوا ابني وصاحبي، وجدعوا فرسي! قالوا: فبينا تبع يريد إخراب المدينة، وقتل المقاتلة، وسبي الذرية، وقطع الأموال أتاه حبران من اليهود فقالا، أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة، وإنا نجد اسمها كثيراً في كتابنا، وأنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد، يخرج من هذا الحرم من نحو البيت الذي بمكة، تكون داره وقراره، ويتبعه أكثر أهلها. فأعجبه ماسمع منهما، وكف عن

الذي أراد بالمدينة وأهلها، وصدق الحبرين بما حدثاه، وانصرف تبع عما كان أراد بها، وكف عن حربهم، وآمنهم حتى دخلوا عسكره، ودخل جنده المدينة؛ فقال عمرو بن مالك بن النجار، يذكر شأن تبع، ويمدح عمرو بن طلة:

أصحا أم انتحى ذكره ... أم قضى من لذة وطره
بعدما ولى الشباب وما ... ذكره الشباب أو عصره
إنها حرب يمانية ... مثلها آتى الفتى عبره
سائلي عمران أو أسدا ... إذا أتت تعدو مع الزهره
فيلق فيه أبوكرب ... سبع أبدانه ذفره
ثم قالوا من يؤم بنا ... أبنو عوف أم النجرة
يا بني النجار إن لنا ... فيكم ذحلاً وإن تره
فتلقتهم مسايفة ... مدها كالغبية النثره

-الغبية :السحابة التي فيها مطر وبرق برعد-.

فيهم عمرو بن طلة لا ... هم فامنح قومه عمره
سيد سامي الملوك ومن ... يدع عمرا لاتجذ قدره

وقال في ذلك رجل من اليهود:

تكلفني من تكاليفها ... نخيل الأساويف والمصنعة
نخيلاً حمتها بنو مالك ... جنود أبي كرب المقطعه

وقال أحيحة يرثي الأزياد الذين قتلهم تبع:

ألا يالهف نفسي أي لهف ... على أهل الفقارة أي لهف

مضوا قصد السبيل وخلفوني ... إلى خلف من الأبرام خلف
سدى لايكتفون ولا أراهم ... يطيعون أمراً إن كان يكفي

قالوا: فلما كف تبع عن أهل المدينة اختلطوا بعسكره فبايعوه وخالطوهم. ثم إن تبعاً استوبأ بئره التي حفرها ، وشكا بطنه عن مائها؛ فدخلت عليه امرأة من بني زريق يقال لها فكهة بنت زيد بن كلدة بن عامر بن زريق، وكانت ذات جلد وشرف في قومها، فشكا إليها وبأبئره، فانطلقت فأخذت قربا وحمارين حتى استقت له من

ماء رومة، فشربه فأعجبه، وقال: زيديني من هذا الماء. فكانت تختلف إليه في كل يوم بماء رومة، فلما حان رحيله دعاها، فقال لها: يا فكهة، إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء شيء ، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا. فلما خرج تبع نقلت ما تركوه من ازوادهم ومتاعهم؛ فيقال إنه لم تزل فكهة أكثر بني زريق مالاً حتى جاء الإسلام.

قال: وخرج تبع يريد اليمن ومعه الحبران اللذان نهياه عن المدينة، فقال حين شخص من منزله: هذه قباء الأرض. فسميت قباء . ومر بالجرف فقال؛ هذا جرف الأرض. فسمي الجرف؛ وهو أرفعها. ومر بالعرضة وتسمي السليل فقال: هذه عرضة الأرض. ثم انحدر في العقيق فقال: هذا عقيق الأرض. فسمي القيق. ثم خرج يسير حتى نزل البقيع، فنزل على غدير ماء يقال له براجم، فشرب منه شربة فدخلت في حلقه علقة فاشتكى منها. فقال فيما ذكر أبو مسكين قوله:

ولقد شربت على براجم شربة كادت بباقية الحياة تذيع

ثم مضى حتى إذا كان بحمدان جاءه نفر من هذيل فقالوا له: اجعل لنا جعلا وندلك على بيت مال فيه كنوز من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضة ، ليست لأهله منعة ولا شرف. فجعل لهم على ذلك جعلا، فقالوا له: هو البيت الذي تحجه العرب بمكة. وأرادوا بذلك هلاكه. فتوجه نحوه فأخذته ظلمة منعته من السير،فدعا الحبرين فسألهما، فقالا: هذا لماأجمعت عليه في هذا البيت؛ والله مانعه منك، ولن تصل إليه،فاحذر أن يصيبك ما أصاب من انتهك حرمات الله؛ وإنما أراد القوم الذين أمروك به هلاكك؛ لأنه لم يرمه أحد قط بشر إلاأهلكه الله، فأكرمه وطف به، واحلق رأسك عنده، فترك الذي كان أجمع عليه، وأمر بالهذليين فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم خرج يسير حتى أتى مكة فنزل بالشعب من الأبطح، وطاف بالبيت، وحلق رأسه،وكساه الخصف .

قال هشام: وحدثني ابن لجرير بن البجلي عن جعفر بن محمد عن أبيه. قال هشام: وحدثني أبي عن صالح عن ابن عباس قال: لما أقبل تبع يريد هدم البيت وصرف وجوه العرب إلى اليمن، بات صحيحا فأصبح وقد سالت عيناه على خديه، فبعث إلى السحرة والكهان والمنجمين، فقال: مالي، فوالله لقد بت ليلتي ما أجد شيئا، وقد صرت إلى ماترون. فقالوا: حدث نفسك بخير. ففعل فارتد بصيراً، وكسا البيت الخصف.

هذه رواية جعفر بن محمد عن أبيه. وفي رواية ابن عباس: فأتي في المنام فقيل له: أكسه أحسن من هذا. فكساه الوصائل-قال: وهي برود العصب ، سميت الوصائل لأنها كانت يوصل بعضها ببعض-قال: فأقام بمكة ستة أيام يطعم الطعام، وينحر في كل يوم ألف بعير، ثم سار إلى اليمن وهو يقول:

ونحرنا بالشعب ستةآلا ف ترى الناس نحوهن ورودا

وكسونا البيت الذي حرم الل ه ملاءً معضدا وبرودا؟

وأقمنا به من الشهر ستا وجعلنا له به إقليدا

ثم أبنا منه نؤم سهيلًا قد رفعنا لواءنا المعقودا

قال: وهود تبع وأهل اليمن بذينك الحبرين.

أخبرني محمد بن مزيد قال: أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني أبو البختري عن أبي إسحاق، قال: أخبرني أيوب بن عبد الرحمن:

أن رجلاً من بني مازن بن النجار يقال له كعب بن عمرو، تزوج امرأةً من بني سالم بن عوف فكان يختلف إليها، فقعد له رهط من بني جحجبى بمرصد، فضربوه حتى قتلوه أو كادوا، فأدركه القوافل فاسنقذوه؛ فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معه بنو النجار وخرج أحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عوف، فالتقوا بالرحابة ، فاقتلوا قتالاً شديداً، فقتل أخا عاصم يومئذ أحيحة بن الجلاح، وكان يكنى أبا وحوحة، فأصابه في صحابه حين انهزموا، وطلب عاصم أحيحة حتى انتهى إلى البيوت، فأدركه عاصم عند باب داره فزجه بالرمح، ودخل أحيحة الباب، ووقع الرمح في الباب، ورجع عاصم وأصحابه فمكث أياماً. ثم إن عاصماً طلب أحيحة ليلاً ليقتله في داره، فبلغ ذلك أحيحة، وقيل له إن عاصماً قد رئي البارحة عند الضحيان والغابة -وهي أرض لأحيحة، والضحيان: أطم له-وكان أحيحة إذ ذاك سيد قومه من الأوس، وكان رجلاً صنعاً للمال ، شحيحاً عليه، يبيع بيع الربا بالمدينة، حتى كاد يحيط بأموالهم، وكان له تسع وتسعون بعيراً كلها ينضحعليها، وكان له بالجرف أصوار من نخل قل يوم يمر به إلا يطلع فيه، وكان له أطمان: أطم في قومه يقال له المستظل، وهو الذي تحصن فيه حين قاتل تبعاً أسعد أبا كرب الحميري، وأطمه الضحيان بالعصبة في أرضه التي يقال لها الغابة بناه بحجارة سود وبنى عليه نبرةً بيضاء مثل الفضة، ثم جعل عليها مثلها، يراها الراكب من مسيرة يوم أو نحوه، وكانت الآطام هي عزهم ومنعتهم وحصونهم التي يتحرزون فيها من عدوهم. ويزعمون أنه لما بناه أشرف هو غلام له، ثم قال: لقد بنيت حصناً حصيناً مابنى مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم، ولقد عرفت موضع حجر منه لو نزع لوقع جميعا! فقال غلامه: أنا أعرفه. فقال: فأرينه يابني. قال: هو هذا. وصرف إليه رأسه، فلما رأى أحيحة أنه قد عرفه دفعه من رأس الأطم فوقع على رأسه فمات، وإنما قتله إرادة ألا يرعف ذلك الحجر أحد. ولما بناه قال:

بنيت بعد مستظل ضاحياً بنيته بعصبة من ماليا

والسر مما يتبع القواصيا أخشى ركيبا أو رجيلا عاديا

وكان أحيحة إذا أمس جلس بحذاء حصنه الضحيان، ثم أرسل كلاباً له تنبح دونه على من يأتيه ممن لايعرف، حذراً أن يأتيه عدو يصيب منه غرة؛ فأقبل عاصم بن عمرو يريده في مجلسه ذلك ليقتله بأخيه، وقد أخذ معه تمراً، فلما نجته الكلاب حين دنا منه ألقى لها التمر فوقفت، فلما راها أحيحة قد سكنت حذر فقام فدخل حصنه، ورماه عاصم بسهم فأحرزه من الباب ، فوقع السهم بالباب، فلما سمع أحيحة وقع السهم صرخ في قومه، فخرج عاصم بن عمرو، فأعجزهم حتى أتى قومه. ثم إن أحيحة جمع لبني النجار، فاراد أن يغترهم

فواعدهم وقومه لذلك ، وكانت عن أحيحة سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش إحدى نساء بني عدي بن النجار، له منها عمرو بن أحيحة، وهي أم عبد المطلب بن هاشم، خلف عليها هاشم بعد أحيحة، وكانت امرأةً شريفة لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها، إذا كرهت من رجل شيئاً تركته.

فزعم ابن إسحاق أنه حدثه أيوب بن عبد الرحمن ، وهو أحد رهطها، قال: حدثني شيخ منا أن أحيحة لما أجمع بالغارة علىقومها ومعها ابنها عمرو بن أحيحة، وهو يومئذ فطيم أو دون الفطيم، وهو مع أحيحة في حصنه عمدت إلى ابنها فربطته بخيط، حتى إذا أوجعت الصبي تركته فبات يبكي، وهي تحمله؛ وبات أحيحة معها ساهراً، يقول: ويحك مالابني؟ فتقول: والله ما أدري ماله. حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبي فنام وذكروا أنها ربطت رأس ذكره، فلما هدأ الصبي قالت: وارأساه! فقال: أحيحة: هذا والله مالقيت من سهر هذه الليلة. فبات يعصب لها رأسها ويقول: ليس بك بأس. حتى إذا لم يبق من الليل إلا أقله قالت له: قم فنم، فإني أجدني صالحة قد ذهب عني ماكنت أجده. وإنما فعلت به ذلك ليثقل رأسه، وليشتد نومه على طول السهر فلما نام قامت وأخذت حبلاً شديداً وأوثقته برأس الحصن، ثم تدلت منه وانطلقت إلى قومها، فأنذرهم وأخبرهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك، فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا. فأقبل أحيحة في قومه فوجد القوم على حذرقد استعدوا، فلم يكن بينهم كبير قتال؛ ثم رجع أحيحة فرجعوا عنه،وقد فقدها أحيحة حين أصبح؛ فلما رأى القوم على حذر قال: هذا عمل سلمى! خدعتني حتى بلغت ما أرادت. وسماها قومها المتدلية؛ لتدليها من رأس الحصن. فقال في ذلك أحيحة وذكر ما صنعت به سلمى:

تفهم أيها الرجل الجهول ... ولا يذهب بك الرأي الوبيل
فإن الجهل محمله خفيف ... وإن الحلم محمله ثقيل

وفيها يقول:

لعمر أبيك ما يغني مقامي ... من الفتيان رائحة جهول
نؤوم ما يقلص مستقلاً ... على الغابات مضجعه ثقيل
إذا باتت أعصبها فنامت ... علي مكانها الحمى الشمول
لعل عصابها يبغيك حرباً ... ويأتيها بعورتك الدليل
وقد أعدت للحدثان عقلاً ... لوآن المرء تنفعه العقول

وقال فيها وفيما صنعت به:

أخلق الربع من سعاد فأمسى ... ربعه مخلقا كدرس الملاة
بالياً بعد حاضر ذي أنيس ... من سليمى إذ تغتدي كالمهاة

وهي قصيدة طويلة، يقال إن في هذين البيتين منها غناء.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين: أن قيس بن زهير بن جذيمة أتى أحيحة بن الجلاح لما وقع الشر بينه وبين بني عامر؛ وخرج إلى المدينة ليتجهز، بعث إليهم حين قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة، فقال قيس لأحيحة: يا أبا عمرو، نبئت أن عندك درعاً ليس بيثرب درع مثلها؛ فإن كانت فضلاً فبعنيها، أو فهبها لي. فقال: يا أخا بني عبس، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه ، ولولا أني أكره أن أستليم إلى بني عامر لوهبتها لك، ولحملتك على سوابق خيلي، ولكن اشترها يا أبا أيوب ، فإن البيع مرتخص وغال. فأرسلها مثلاً. فقال له قيس: فما تكره من استلامتك إلى بني عامر؟ قال: كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول:

إذا ما أردت العز في آل يثرب ... فناد بصوت يا أحيحة تمنع

رأيت أبا عمرو أحيحة جاره ... يبيت قرير العين غير مروع

ومن يأته من خائف ينس خوفه ... ومن ياته من جائع الجوف يشبع

فضائل كانت للجلاح قديمة ... وأكرم بفخر من خصالك الأربع

فقال قيس: وماعليك بعد ذلك من لوم. فلها عنه ثم عاوده فساومه، فغضب أحيحة وقال له: بت عندي. فبات عنده، فلما شرب تغنى أحيحة وقيس يسمع:

ألا يا قيس لاتسمن درعي ... فما مثلي يساوم بالدرع

فلولا خلة لأبي جوي ... وأني لست عنها بالنزوع

لأبت بمثلها عشر وطرف ... لحوق الإطل جياش تليع

ولكن سم ما أحببت فيها ... فليس بمنكر غبن البيوع

فما هبة الدروع أخا بغيض ... ولا الخيل السوابق بالبديع

وقال: فأمسك بعد ذلك عن مساومته: أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أخي أحمد بن علي عن عافية بن شبيب، قال: حدثني أبو جعفر الأسدي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة، عن عمر بن شبة عن إسحاق قال:

دعاني الفضل بن الربيع يوماً فأتيته، فإذا عنده شيخ حجازي حسن الوجه والهيئة، فقال لي: أتعرف هذا؟ قلت:لا.قال: هذا ابن أنيسة بنت معبد، فسله عما أحببت من غناء جده. فقلت: يا أخا أهل الحجاز، غناء جدك؟ قال:صوتا. ثم غناني:

ما أحسن الجيد من مليكة وال ... لبات إذ زانها ترائبها

قال: فغناه أحسن غناء في الأرض، و لم آخذه منه اتكالاً على قدرتي عليه. واضطرب الأمر على الفضل وصار إلى التغيب، وشخص الشيخ إلى المدينة، فبقيت أنشد الشعر وأسأل عنه مشايخ المغنين، وعجائز المغنيات، فلاأجد أحداً يعرفه، حتى قدمت البصرة، وكنت آتي جزيرتها في القيظ فأبيت بها ثم أبكر بالغداة إلى مترلي فإني لداخل يوماً إذا بامرأتين نبيلتين ، قد قدمنا فأخذتا بالجام حماري، فقلت لهما: مه! قال أبو زيد في خبره: فقالت إحداهما: كيف عشقك اليوم ل ما أحسن الجيد من مليكة وشغفك به، فقد بلغني أنك كنت تطلبه من كل أحد؟ وقد كنت رأيتك في مجلس الفضل وقد استخفك الطرب لهذا الصوت حتى صفقت. قال: فقلت لها: أشد والله ما كنت عشقاً له، وقد ألهبت بذكرك آياه في قلبي جمراً، ولقد طلبته ببغداد كلها فلم أجد أحداً يسمعنيه. قالت: أفتحب أن أغنيك إياه. قلت: نعم. فغنته والله أحسن مما سمعته قديما بصوت خافض، فترلت إليها فقبلت يديها ورجليها وقلت: جعلني الله فداك، لوشئت لصرت معي إلى مترلي. قالت: أصنع ماذا؟ قلت: أغنيك وتغنيني يومنا إلى الليل. قالت: أنت والله أطفس من أن تفعل ذاك، وإنما هو عرض، ولكني أغنيك حتى تأخذه. فقلت: بأبي أنت وأمي، وجعلني الله فداك من أنت؟ قالت: أنا وهبة جارية محمد بن عمران القروي، التي يقول فيها فروح الرفاء الطلحي:

يا وهب لم يبق لي شيء أسربه	إلاالجلوس فتسقيني وأسقيك
وتمزجين بريق منك لي قدحا	كأن فيه رضاب المسك من فيك
ياأطيب الناس ريقاً غير مختبر	إلا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة	ثني ولاتجعليها بيضه الديك
ما نلت منك سوى شيء أسر به	ولست أبصر شيئا من مساويك
قالت ملكت ولم تملك فقلت لها	ماكل مالكة تزري بمملوك

قال أبو زيد خاصة: قال إسحاق: وأنشدتنيه وغنتني فيه بصوت مليح قد صنعته فيه، ثم صارت إلي بعد ذلك، وكانت من أحسن الناس غناء، وأحسنهم رواية. فما كانت تفوق فيه من صنعتها سائر الناس صوتها، وهو:

لابد من سكرة على طرب	لعل روحاً يدال من كرب
فعاطنيها صفراء صافيةً	تضحك من لؤلؤ على ذهب

قال: ولها فيه عمل فاضل. ومن صنعتها قوله:

الكأس بعد الكأس قد	تصبي لك الرجل الحليما
وتقرب النسب البعي	د وتبسط الوجه الشتيما

قال: ومما برزت فيه من صنعتها:

هاتها سكريةً كشعاع ال شمس لاقرقفاً ولا خندريسا

في ربي يخلع الولي عليها ما يحيى به الحليس الجليسا

فلنوارها نسيم إذا ما حركته الرياح رد النفوسا

أمسى لسلامة الزرقاء في كبدي صدع مقيم طوال الدهر والأبد

لايستطيع صناع القوم يشعبه وكيف يشعب صدع الحب في الكبد

إلا بوصل التي من حبها انصدعت تلك الصدوع من أسقام والكمد

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفي، أحمد بني زهرة من قريش. ولحنه من خفيف الثقيل الأول بلبنصر.

سلامة الزرقاء

وسلامة الزرقاء هذه جارية ابن رامين، وكانت إحدى القينات المحسنات.

ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، ذكر أن أبا أيوب المديني حثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال: كان محمد بن الأشعث القرشي ثم الزهري كاتباً، وكان من فتيان أهل الكوفة وظرفائهم وأدبائهم، وكان يقول الشعر ويتغنى فيه. فمن ذلك قوله في زرقاء جارية ابن رامين، وكان يألفها:

أمسى لسلامة الزرقاء كبدي

وذكر الأبيات: شعر محمد بن الأشعث في سلامة:

قال: ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حج وأخرج جواريه كلهن-هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم. وهذا الشعر الثاني لإسماعيل بن عمار الأسدي، وقد ذكرت أخباره في موضع آخر.

أية حال يابن رامين حال المحبين المساكين

تركتهم موتى ولم يتلفوا قد جرعوا منك الأمرين

-ويروي: تركتهم موتى وما موتوا، وجدته بخط حماد .-

وسرت في ركب على طية ركبب تهام ويمانين

ياراعي الذود لقد رعتهم ويلك من روع المحبين

فرقت جمعاً لايرى مثلهم بين دروب الروم والصين

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها، عن ابن المكي وغيره.

قال: ودخل ابن الأشعث يوماً على ابن رامين فخرجت إليه الزرقاء، فبينما هو يلقي عليها إذبصر بوصيفة من وصائفهم فأعجبته، فقال شعراً في وقته، وتغنى فيه، فأخذته منه الزرقاء، وهو قوله:

قل لأختي التي أحب رضاها　　أنت لي فاعلميه ركن شديد

إن لي حاجةً إليك فقولي:　　بين أذني وعاتقي ماتريد

يعني قولي: ماتريد في عنقي حتى أفعله. ففطنت الزرقاء للذي أراد، فوهبت له الوصيفة، فخرج بها.

الغناء فيه رمل بالوسطى. ذكر عمرو بن بانة أنه لابن سريج، وقد وهم في ذلك، بل الغناء لمحمد بن الأشعث لايشك فيه.

قال هارون: وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: وحدثني أبو عبد الله الأسك أمير المغنين أن محمد بن الأشعث الزهري، وهشام بن محمد بن أبي عثمان السلمي، اجتمعا عند ابن رامين، وكان هشام قد أنفق في منزله مالاً عظيماً، وكان يقال لأبيه بسياردرم ، وتفسيره بالعربية: الكثير الدراهم، فقال محمد بن الأشعث: يا هشام قل ما تشاء. قال:

قل أختي التي أحب رضاها　　انت لي فاعلميه ركن شديد

وأشار بذلك إلى سلامة الزرقاء. قالت وقد سمعت: فقل. فقال:

إن لي حاجة إليك فقولي　　بين أذني وعاتقي ماتريد

ففطنت الزرقاء للذي أراد، فقالت: بين أذني وعاتقي ما تريد، فما هو؟ قال: وصيفتك هذه فإنها قد أعجبتني. قالت: هي لك. فأخذها فما رد ذلك ابن رامين ولا تكلم فيه.

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمد بن الأشعث.

قال هارون: وحدثني أبو أيوب عن أحمد بن إبراهيم قال: ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميمي ، أن محمد بن الأشعث كان ملازماً لابن رامين ولجاريته سلامة الزرقاء، فشهر بذلك ، وكان رجلاً قصافاً فلامه قومه في فعله فلم يحفل بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم، حتى رأى بعض ما كره في منزل ابن رامين، فمال إلى سحيقة جارية زريق بن منيح، مولى عيسى بن موسى. وكان زريق شيخاً سخياً كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشراف الكوفة من كل حي، وكان الغالب على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفار العجلي، كغلبة محمد بن الأشعث على منزل ابن رامين، فتواصلا على ملازمة بيت زريق. ففي ذلك يقول محمد بن الأشعث:

يابن رامين بحت بالتصريح　　في هواي سحيقة ابن منيح

قينة عفة ومولى كريم　　ونديم من اللباب الصريح

ربعي مهذب أريحي　　يشتري الحمد بالفعال الربيح

نحن منه في كل ماتشتهي الأن فس من لذة وعيش نجيح
عند قرم من هاشم في ذراها وعناء من الغزال المليح
في سرور وفي نعيم مقيم قد أمنا من كل أمر قبيح
فاسل عنا كما سلوناك إني غير سال عن ذات نفس وروحي
حافظ منك كل ما كنت قد َض يعت مما عصيت فيه نصيحي
فالقلى ما حييت مني لك الده ر بود لمنيتي ممنوح
يابن رامين فالزمن مسجد الح ي وطول الصلاة والتسبيح

قال عمرو بن نوفل: فلم يدع ابن رامين شريفاً بالكوفة إلا تحمل به على ابن الأشعث وأن يرضى عنه، ويعاود زيارته، فلم يفعل، حتى تحمل عليه بالحجواني، وهو محمد بن بشربن حجوان الأسدي، وكان يومئذ على الكوفة، فكلمه فرضي عنه ورجع إلى زيارته، ولم يقطع منزل زريق. وقال في سحيقة:

سحيقة أنت واحدة القيان فمالك مشبه فيهن ثان

فضلت على القيان بفضل حذق فحزت على المدى قصب الرهان
سجدن لك القيان مكفرات كما سجد المجوس لمرزبان
ولا سيما إذا غنيت صوتا وحركت المثالث والمثاني
شربت الخمر حتى خلت أني أبو قابوس أو عبد المدان
فإعمال اليسار على الملاوي ومن يمناك ترجمة البيان

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن حماد عن أبيه قال: كان روح بن حاتم المهلبي كثير الغشيان لمنزل ابن رامين، وكان يختلف إلى الزرقاء جارية ابن رامين، وكان يهواها محمد بن جميل وتهواه، فقال لها: إن روح بن حاتم قد ثقل علينا. قالت: فما أصنع . قد غمر مولاي ببره! فقال: احتالي له. فبات عندهم روح ليلة، فأخذت سراويله وهو نائم فغسلته، فلما أصبح سأل عنه فقالت: غسلناه. ففطن أنه أحدث فيه فاحتيج إلى غسله، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها، وخلا وجهها لابن جميل.

قال هارون: واخبرني حماد عن أبيه قال: ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين، مولى عبد الملك بن بشربن مروان. وجواريه سعدة، وربيحة، وسلامة الزرقاء. وفيهن يقول إسماعيل بن عمار الأسدي وأنشدناه الحرمي عن الزبير عن عمه، وروايته أتم:

هل من شفاء لقلب لج محزون صبا، وصب إلى ريم ابن رامين

إلى ربيحة إن الله فضلها ... بحسنها وسماع ذي أفانين

نعم شفاؤك منها أن تقول لها ... قتلتني يوم دير اللج فاحييني

أنت الطبيب لداء قد تلبس بي ... من الجوى فانفثي في في وارقيني

نفسي تأبى لكم إلا طواعية ... وأنت تحمين أنفاً أن تطيعيني

فتلك قسمة ضيزي قد سمعت بها ... وأنت تتلينها ما ذاك في الدين

ما عائذ الله لي إلف ولا وطن ... ولا ابن رامين، لولا ما يمنيني

يارب مالابن رامينن له بقر ... عين وليس لنا غير البراذين

لوشئت أعطيته مالاً على قدر ... يرضى به منك غير الخرد العين

لعائذ الله بيت مامررت به ... إلا وجئت على قلبي بسكين

ياسعدة القينة البيضاء، أنت لنا ... أنس لأنك في دار ابن رامين

لاتحسبن بياض الجص يؤنسني ... وأنت كنت كمثل الخزفي اللين

لولا ربيحة ما استأنست ما عمدت ... نفسي إليك ولو مثلت في طين

لم أنس صعدة والزرقاء يومهما ... باللج شرقية فوق الدكاكين

تغنيان ابن رامين ضحاءهما ... بالمسجحي وتشبيب المحبين

فما دعوت به من عيش مملكة ... ولم نعش يومنا عيش المساكين

أذاك أنعم أم يوم ظللت به ... منعم العيش في بستان سورين

يشوي لنا الشيخ سورين دواجنه ... بالجردناج وسحاج الشقابين

نسقي شراباً لعمران يعتقه ... يمسي الأصحاء منه كالمجانين

يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبد الله-

إذا ذكرنا صلاةً بعدما فرطت ... قمنا غليها بلا عقل ولا دين

نمشي إليها بطاءً لاحراك بنا ... كأن أرجلنا تقلعن من طين

نمشي وأرجلنا عوج مطارحها ... مشي الإوز التي تأتي من الصين

أو مشي عميان دبر لادليل لهم ... إلا العصي، إلى عيد السعانين

وقال فيه أيضاً:

لابن رامين خرد كمها الرم ل حسان وليس لي غير بغل

رب فضلته علي ولوشئ ت لفضلتني عليه بفضل

قال حماد: وأخبرني أبي قال: حدثني السكوني، أن جعفر بن سليمان اشترى ربيحة بمائة ألف درهم، واشترى صالح بن علي سعدة بتسعين ألف درهم، واشترى معن بن زائدة الزرقاء.

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا خطأ، الزرقاء اشتراها جعفر بن سليمانه، ولعل معنا اشترى غيرها.

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني، عن عبد الملك بن ثوبان قال: قال إسماعيل بن عمار: كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريتيه: الزرقاء وسعدة، وكانت سعدة أظرف من الزرقاء، فأعجبت بها وعلمت ذلك مني، وكانت سعدة كاتبة، فكتبت إليها أشكو ما ألقى بها، فوعدتني فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم:

يارب إن ابن رامين له بقر عين وليس لنا غير البراذين

وذكر الأبيات الماضية. قال: فجاءني الخادم وقال: مازالت تقرأ رقعتك وتضحك من قولك:

فإن تجودي بذاك الشيء أحي به وإن بخلت به عني فزنيني

وكتبت إلي: حاشاك من أن أزنيك، ولكني أسير إليك فأغنيك وألهيك وأرضيك. وصارت إلي فأرضتني بعد ذلك.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، عن الحسين بن محمد الحراني، وأخبرني الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه: أن جعفر بن سليمان اشترى الزرقاء صاحبة ابن رامين بثمانين ألف درهم، وسترها عن أبيه- وأبوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور، وقد تحرك في تلك الأيام عبد الله بن علي-فهجم عليهما يوماً سليمان بن علي فأخفيا العود تحت السرير ودخل، فقال له: ويحك نحن على هذه الحال نتوقع الصيلم وأنت تشتري جاريةً بثمانين ألف درهم! وأظهر له غضباً عليه وتسخطاً لما فعل، فغمز خادماً كان على رأسه فأخرجها إلى سليمان، فأكبت على رأسه فقبلته، ودعت له، وكانت عاقلةً مقبولةً متكلمة، فأعجبه مارأى منها، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك.

قال: ولما مضت لها مدة عند جعفر سألها يوماً: هل ظفر منك أحد ممن كان يهواك بخلوة أو قبلة؟ فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة أو يكون قد بلغه، فقالت: لاوالله إلا يزيد بن عون العبادي الصيرفي؛ فإنه قبلني قبلة وقذف في في لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم. فلم يزل جعفر يحتال له ويطلبه حتى وقع في يده، فضربه بالسياط حتى مات.

قال هارون: وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال. حدثني أبو عوف الدوسي، عن عبد الرحمن بن مقرن قال:

كتبت إلى ابن رامين أستأذنه في إتيانه، فكتب إلي: قد سبقك روح بن حاتم، فإن كنت لا تحتشم منه فرح. فرحت، فكنا كأننا فرسا رهلان، والتقينا فعانقني وقال لي: أنى تريد ؟ قلت: حيث أردت. قال: فالحمد الله. فدخلنا فخرجت الزرقاء في إزار ورداء قوهيين موردين، كأن الشمس طالعة من بين رأسها وكتفيها ،فغنتنا ساعة ثم جاء الخادم الذي يأذن لها ، وكان الإذن عليها دون مولاها، فقام دون الباب وهي تغني، حتى إذا قطعت نظرت إليه فقالت: من ؟ فقال: يزيد بن عون العبادي الصيرفي، الملقب الماجن، على الباب. فقالت: أدخله. فلما استقبلها كفر ثم أقعى بين يديها. قال: فوجدت والله له ورأيت أثر ذلك، وتنوقت تنوقا خلاف ما كانت تفعل بنا. فأدخل يده في ثوبه فأخرج لؤلؤتين وقال: انظري يا زرقاء جعلت فداك! ثم حلف أنه نقد فيهما بالأمس أربعين ألف درهم. فقالت: فما أصنع بذلك؟ قال: أردت أن تعلمي. فغنت صوتا ثم قالت: يا ماجن هبهما لي ويحك. قال: إن شئت والله فعلت: قالت: قد شئت. قال: واليمين التي حلفت بها لازمة لي إن أخذتها إلا بشفتيك من شفتي قال: فذهب روح يتسرع إليه، فقلت له: ألك في بيت القوم حاجة؟ قال: نعم. فقلت: إنما يتكسبون مما ترى. وقام ابن رامين فقال: ضع لي ياغلام ماء. ثم خرج عنا فقالت: هاتهما. فمشى على ركبتيه وكفيه وهما بين شفتيه. فقال:هاك. فلما ذهبت بشفتيها جعل يصد عنها يمينا وشمالاً ليستكثر منها، فغمزت جارية على رأسها فخرجت كأنها تيرد حاجة،ثم عطفت عليه، فلما دنا منها وذهب ليزوغ دفعت منكبيه وأمسكتهما حتى أخذت الزرقاء اللؤلؤتين بشفتيها من فمه، وشرح جبينها حياءً منا. ثم تجلدت علينا فأقبلت عليه فقالت له: المغبون في استه عود فقال: أما أنا فما أبالي، لايزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفمي أبداً ماحييت.

قال هارون: وحدثني ابن النطاح عن المدائني، عن علي بن أبي سليمان، عن أبي عبد الله القرشي، عن أبي زاهر بن أبي الصباح، قال: أتيت منزل ابن رامين مع رجل من قريش، فأخرج الزرقاء، وسعدة، فقام القرشي ليبول وترك مطرفه ، فلبسته سعدة وخرجت، فرجع القرشي وعليها المطرف قد خاطته فصار درعاً ، فقالت: أرأيتم أسرع من هذا؟ صار المطرف درعاً! فقال القرشي: هو لك. قال: وعلي طيلسان مثنى، فأردت أن أبول فلففته وقمت، فقالت سعدة: دع طيلسانك. فقلت: لاأدعه، أخاف أن يتحول مطرفاً.

وحدثني قبيصة بن معاوية قال: قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: شربت زرقاء ابن رامين دواءً فأهدى لها ابن المقفع ألف دراجة على جمل قراسي .

قال هارون: وحدثني حماد عن أبيه: أن محمد بن جميل كان يتعشق الزرقاء، وكان أبو جميل يغدو كل يوم يسأل من يقدم عن ابنه محمد، إلى أن مر به صديق له يكنى أبا ياسر، فسأله عنه فقال له أبو ياسر: تركته أعظم الناس قدراً، يعامل الخليفة كل يوم في خراجه، فيحتاج إليه ولده، وصاحب شرطته، وصاحب حرسه، وخدمه. فقال

له: ياأخي: فكيف بهذه الجارية التي قد شهر بها؟ فقال له الرجل: لاتهتم بها، قد مازحه أمير المؤمنين فيها، وخاطبه بشعر قيل فيه. قال:وما هو؟ قال:

وابن جميل فاعلموا عاجلاً ... لابد موقوف على مسطبه

يوقف في زرقاء مشهورة ... تجيد ضرب العود والعرطبه

فقال جميل: والله مابي من هذا الأمر إلا أني أتخوف أن يكون قد شهر بها هذه الشهرة و لم ينكها.

قال هارون: وأحسب هذه القصة لزرقاء الزراد ، لا زرقاء ابن رامين.

قال هارون: وحدثني أبو أيوب قال: حدثني محمد بن سلام، قال: اجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة، وروح بن حاتم، وابن المقفع، فلما تغنت الزرقاء وسعدة، بعث معن إليها بدرة فصبت بين يديها، فبعث روح إليها أخرى فصبت بين يديها، و لم يكن عند ابن المقفع دراهم فبعث فجاء بصك ضيعته وقال: هذه عهدة ضيعتي خذيها، فأما الدراهم فما عندي منها شيء.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا فضل اليزيدي قال: حدثني إسحاق الموصلي قال: قال سليمان الخشاب: دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته وهي وصيفة، حين شال نهودها ثوبها عن صدرها، لها شارب كأنه خط بمسك، يلحظه الطرف ويقصر عنه الوصف، وابن الأشعث الكوفي يلقي عليها، والغناء له:

أية حال يا ابن رامين ... حال المحبين المساكين

تركتها موتى وما موتوا ... قد جرعوا منك الأمرين

وسرت في ركب على طية ... ركب تهام ويمانين

يا راعي الذود لقد رعتنا ... ويلك من روع المحبين

فرقت جمعاً لايرى مثلهم ... فجعتهم بالربرب العين

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني هارون بن محمد الزيات قال: قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل: كان ابن رامين مولى الزرقاء أجل مقين بالكوفة وأكبرهم، ورامين أبوه مولى بشر بن مروان.

قال هارون: فحدثني سليمان المديني قال: قال حماد بن إسحاق قال أبي: قال معاذ بن الطبيب: أتيت ابن رامين وعنده جواريه: الزرقاء وصواحباتها، وعندهن فتى حسن الوجه نظيف الثياب، عطر الريح، يلقى عليهن، فسألت عنه فقيل لي: هذا محمد بن الأشعث بن فجوة الزهري. فمضيت به إلى منزلي وسألته المقام ففعل، وأتيته بطعام وشراب وغنيته أصواتاً من غناء أهل الحجاز، فسألني أن ألقيها عليه، فقلت: نعم وكرامةً وحباً، على أن تلقي علي أصواتاً من صنعتك ألتذ بها، وأقطع طريقي بروايتها، وأطرف أهل بلدي بها، ففعلت وفعل، فكان مما أخذته عنه من صنعته:

صاح إني عاد لي ماذهبا ... من هوى هاج لقلبي طربا

أذكرتني الشوق سلامة أن لم أكن قضيت منها أربا

وإذا ما لام فيها لائم زاد في قلبي لحبي عجبا

من ذوات الدل لو دب على جلدها الذر لأبدى ندبا

الغناء لمحمد بن الأشعث، ثقيل أول عن الهشامي. وفيه ليونس خفيف ثقيل بالسبابة، في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر أحمد بن عبيد أن فيه لحناً من الثقيل الثاني لايدري لمن هو؟ قال: ومنها.

لذكر الحبيب النازح المتعتب طربت ومن يعرض له الشوق يطرب

لحنه رمل: وقال منها:

خليلي عوجا ساعةً ثم سلما على زينب سقياً ورعياً لزينب

لحنه رمل. وقال منها:

رحبت بلادك يا أمامه وسلمت ما سجعت حمامه

وسقى ديارك كلما حنت إلى الشقيا غمامه

إني وإن أقصيتني سفهاً أحب لك الكرامة

وأرى أمورك طاعةً مفروضةً حتى القيامه

لحنه خفيف رمل.قال: ومنها :

ما بالمغاني من أحد إلا حمامات فرد

أضحت خلاءً درساً للريح فيها مطرد

عهدي بها فيما مضى ينتابها بيض خرد

فاستبدلت وحشاً بهم والورق تدعو والصرد

لحنه هزج. قال: ومنها:

ليت من طير نومي رد في عيني المناما

أوشفى جسماً سقيماً زاده الهجر سقاما

نظرت عيني إليها نظرةً هاجت غراما

تركت قلبي حزيناً بهواها مستهاما

لحنه رمل.

قال ابن الطبيب: وأخذت منه مع هذه أصواتا كثيرة، ورأيت الناس بعد ذلك ينسبونها إلى قدماء المغنين.

مصير الزرقاء وبيحة إلى جعفر ومحمد بن سليمان: قال هارون: وحدثني حماد بن إسحاق عن ابيه قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن سليمان: أن الزرقاء صاحبة ابن رامين صارت إلى ابيه، وكان يقال لها أم عثمان. وأن ربيحة جارية ابن رامين صارت إلى محمد بن سليمان، وكانت حظية عنده. قال إسماعيل: فأتى سليمان بن علي ابنه جعفر فأخرج إليه الزرقاء، فقال لها سليمان: غنيني. قالت: اي شيء تحب؟ قال: غنيني:

إذا ما أم عبد الل ... ه لم تحلل بواديه

ولم تشف سقيماهي ... ج الحزن دواعيه

فقالت: فديتك، قدترك الناس هذا منذ زمان. ثم غنته إياه.

قال إسماعيل: قد مات سليمان منذ ثلاث وسبعين سنة، وينبغي أن يكون رأى الزرقاء قبل موته بسنتين أوثلاث.

قال: وقالت هي: قد ترك الناس هذا منذ زمان. فهذا من أقدم ما يكون من الغناء.

قال هارون: وقال شراعة بن الزندبود:

قالوا شراعة عنين فقلت لهم ... الله يعلم أني غير عنين

فإن ابيتم وقلتم مثل قولهم ... فأقحموني في دار ابن رامين

ثم انظروا كيف طعني عند معتركي ... في حر من كنت أرميها وترميني

فال هارون: وحدثني أبو أيوب المديني، عن احمد بن إبراهيم قال: قال بعض المدنيين: أتيت منزل ابن رامين، فوجدته عنده جارية قد رفع ثديها قميصا، لها شارب أخضر ممتد على شفتيتها امتدادالطراز، كانما خطت طرقها وحاجباها بقلم، لايخلقها في ضرب من ضروب حسنها وصف واصلا، فسألت عن اسمها فقيل: هذه الزرقاء.

نسبة الصوت الذي في الخبر

إذا ما أم عبد الل ... ه لم تحلل بواديه

ولم تشف سقيما ه ... يج الحزن دواعيه

غزال راعة القنا ... ص تحميه صواصيه

عرفت الربع بالإكلي ... ل عفته سوافيه

بجو ناعم الحوذا ... ، ملتف روابيه

وما ذكرى حبيباو ... قليلا ما أواتيه

كذي الخمر تمناها وقد أسرف ساقيه

ذكر الزبير بن بكار ان الشعر لعدي بن نوفلن وقيل إنه للنعمان بن بشير النصاري وذاك أصح.

وقد أخرجت أخبار النعمان فيه مفردة في موضع آخر، ذكرت القصيدة بأسرها. ورواها ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني للنعمانن و لم يذكر انها لعدي غير الزبير بن بكار.

والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمعبد، خفيف رمل بالوسطى. وذكر إسحاق أن فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر، يمان . وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، في الأول والثاني والرابع والخامس.

نسب عدي بن نوفل وخبره

هو عدي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وامه آمنة بنت جابر بن سفيان، اخت تأبط شرا.

وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه استعمله، أو عثمان بن عفان رضي الله عنه- فيما أخبرنا به الطوسي عن الزبير بن بكار-على حضرموت.

داره وما قيل فيها من الشعر:

قال الزبير: ودار عدي بن نوفل بين المسجد والسوق معروفة ، وفيها يقول إسماعيل بن يسارالنسائي :

إن ممشاك نحو دار عدي كان للقلب شقوة وفتونا

إذ تراءات على البلاط فلما واجهتها كالشمس تعشي العيونا

قال هارون قف فيا ليت أني كنت طاوعت ساعة هارونا

وقد قيل إن هذه البيات لعمر بن أبي ربيعة .

قال الزبير: كان تحت عدي بن نوفل أم عبد الله بنت أبي الختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، فغاب مدة وكتب إليها أن تشخص إليه، فلم تفعل، فكتب إليها قوله:

إذا ما أم عبد الل ه لم تحلل بواديه

وذكر البيتين فقط، فقال لها أخوها الأسود بن أبي البختري، وهما لأب وأم، وأمها عاتكة بنت أميةبن الحارث بن أسد بن عبد العزى: قد بلغ الأمر هذا من ابن عمك. فاشخص إليه .

أعيني جودا ولا تجمدا ألا بكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجري الجميل ألا نبكيان الفتى السيدا

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد، ترثي أخاها صخرا، والغناء لإبراهيم الموصلي، ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيه لابن سريج خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو، والهشامي، وحبش.

نسب الخنساء وخبرها

وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. واسمها تماضر.

والخنساء لقب غلب عليها ، وفيها يقول دريد بن الصمة، وكان خطبها فردته، وكان رآها تمنأ بعيرا:

حيوا تماضر وأربعوا صحبي وقفوا فإن وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تبل من الحب

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام: لما خطبها دريد بعثت خادما لها وقالت: انظري إليه إذا بال، فإن كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها ففيه بقية، وإن كان بوله يسبح على وجهها فلا بقية فيه. فرجعت إليها وأخبرتها، فقالت: لابقية في هذا. فأرسلت إليه: ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح، وأتزوج شيخا! فقال:

وقاك الله يا ابنة آل عمرو من الفتيان أشباهي ونفسي

وقالت إنني شيخ كبير وما نبأتها أني ابن أمس

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي إذا ما ليلة طرقتبنحس

تريد شرنبث القدمين شثنا يباشر بالعشية كل كرس

فقالت الخنساء تجيبه:

معاذ الله ينكحني حبركى يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أصبحت في جشم هديا إذا أصبحت في دنس وفقر

وهذا الشعر ترثي به أخاها صخرا وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الأثل.

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، وأضفت إليه رواية الأثرم عن أبي عبيدة قال: غزا صخر بن عمرو، وأنس بن عباس الرعلي في بني سليم، بني أسد بن خزيمة ،-قال أبو عبيدة: وزعم السلمي أن هذا اليوم يقال له يوم الكلاب ويم ذي الأثل-في بني عوف وبني خفاف، وكانا متساندين، وعلى بني خفاف صخر بن عمرو الشريدي، وعلى بني عوف أنس بن عباس. قال: فأصابوا في بني أسد بن خزيمة غنائم وسبيا، وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة . قال: وأصابت صخرا يومئذ طعنة، طعنه رجل يقال له ربيعة بن ثور، ويكنى أبا ثور، فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاندمل عليه حتى شق عنه بعد سنين، وكان سبب

موته.

قال أبو عبيدة: وقال غيره: بل ورد هو وبلعاء بن قيس الكناني. قال: وكانا أجمل رجلين في العرب. قال: فشربا عند يهودي خمار كان بالمدينة. قال:فحسدهما لما رأى من جمالهما وهيأتهما، وقال: إني لآحسد العرب أن يكون فيهم مثل هذين! فسقاهما شربة جويا منها . قال: فمر بصخر طبيب بعد ما طال مرضه، فأراهما به،فقال: أشق عنك فتفيق. قال: فعمد إلى شفار فجعل يحميها قم يشق بها عنه، فلم ينشب أن مات.

قال أبو عبيدة: واما أبو بلال بن سهم فإنه قال: اكتسح صخر أموال بني أسد وسبى نساءهم، فأتاهم الصريح فتبعوه فتلاحقوا بذات الأثل، فاقتتلوا قتالا شديدا، فطعن ربيعة بن ثور السدي صخرا في جنبه، وفات القوم فلم يقعص وجوي منها، ومرض قريبا من حول، حتى مله اهله. قال: فسمع صخر امرأة وهي تسأل سلمى امرأة صخر: كيف بعلك؟ فقالت سلمى:لاحي فيرجى، ولاميت فينعى، لقينا منه الأمرين! قال: وزعم آخر أن التي قالت هذه المقالة بديلة الأسدية التي كان سباها من بني أسد فاتخذها لنفسه. فأنشد هذا البيت:

ألا تلكم عرسي بديلة أوجست فراقي وملت مضجعي ومكاني

وأما أبو بلال بن سهم فزعم أن صخرا حين سمع مقالة سلمى امرأته قال:

أرى أم صخر لاتمل عيادتي وملت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد نبهت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان

وللموت خير من حياة كأنها محلة يعسوب برأس سنان

وأي امرىء ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا في شقا وهوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اللبد في جنبه في موضع الطعنة، قالوا له: لو قطعتها لرجونا ان تبرأ. فقال: شأنكم. فأشفق عليه بعضهم فنهاهم، فأبى وقال: الموت أهون علي مما أنا فيه! فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه.

قال: وسمع صخر أخته الخنساء تقول: كيف كان صبره؟ فقال صخر في ذلك:

أجارتنا إن الخطوب تنوب على الناس، كل المخطئين تصيب

فإن تسأليني هل صبرت فإنني صبور على ريب الزمان صليب

كأني وقد أدنوا إلي شفارهم من الصبر دامي الصفحتين ركوب

أجارتنا لست الغداة بظاعن ولكن مقيم ما اقام عسيب

عن أبي عبيدة: عسيب: جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة، فقبره هناك معلم.

وقال أبو عبيدة: فمات فدفن هناك، فقبره قريب من عسيب.

فقالت الخنساء ترثيه:

ألاما لعينك أم ما لها لقد أخضل الدمع سربالها

ابعد ابن عمرو من آل الشري د حلت به الأرض أثقالها

فإن تك مرة أودت به فقد كان يكثرتقتالها

سأحمل نفسي على خطة فإما عليها وإما لها

فإن تصبر النفس تلق السرور وإن تجزع النفس أشقى لها

غنى فيه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر.

قال السلمي: ليست هذه في صخر، هذه إنما رثت بها معاوية اخاها، وبنو مرة قتلته. ولكنها قالت في صخر:

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

تبكي لصخر، هي العبرى وقد ثكلت ودونه من جديد الترب أستار

لابد من ميتة في صرفها غير والدهر في صرفه حول وأطوار

يا صخر وراد ماء قد تناذره أهل الموارد ما في ورده عار

مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة له سلاحان أنياب وأظفار

فما عجول على بو تطيف به لها حنينان إصغار وإكبار

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

لاتسمن الدهر في أرض وإن رتعت فإنما هي تحنان وتسجار

يوما بأوجد مني يوم فارقني صخر وللدهر إحلاء وإمرار

فإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في راسه نار

-غنى في هذين البيتين الأولين ابن سريج، من رواية يونس-:

لم ترأه جارة يمشي بساحتها لربية حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما في البيت يأكله لكنه بارز بالصحن مهمار

مثل الرديني لم تنفد شبيبته كأنه تحت طي البرد أسوار

في جوف رمس مقيم قد تضمنه في رمسه مقمطرات وأحجار

طلق البدين بفعل الخير ذو فجر ضخم الدسيعة بالخيرات أمار

ورفقة حار هاديهم بمهلكة كأن ظلمتها في الطخية القار

عروضه ثان من البسيط.

العوار والعائر: وجع، وهو مثل الرمد. وذرفت: قطرت قطرا متتبعا لايبلغ أن يكون سيلا. والعبرى، يقال امرأة عبرى وعابر. والعبرة : سخنة العين . والوله : ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع على الولد. حول وأطور، أي تحول وتقلب وتصرف. قد تناذره، أي أنذر بعضهم بعضا هوله وصعوبته. ويروى: تبادره وقولها مافي ورده عار أرادت ما في ترك ورده عار، أي لايعير أحد إن عجز عنه من صعوبة ورده .

العجول: الثكول. والبو: أن ينحر ولد الناقةويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من أمه فترأمه. إحلاء وإمرار، يقال: ماأحلى ولاأمر. أي ما أتى بحلوة ولامرة . والمعنى أن الدهر يأتي بالمشقة والمحبة . كأنه علم في رأسه نار أي إنه مشهور. والعلم: الجبل، وجمعه أعلام. كأنه تحت طي البردأسوار، أي من لطافة بطنه وهيفه شبيه أسوار من ذهب.والرديني: الرمح منسوب إلى ردينة: امرأة كانت تقوم الرماح. أي هو معصوب البدن ليسبمهيج منحل. وهذا كله من انفاخ الجلد والسمن والاسترخاء. وقال أبو عمرو: مقمطرات: صخور عظام.والأحجار صغار .ذو فجر: يتفجر بالمعروف. والدسيعة: العطاء. الطخية، من الطخاء، وهو الغيم الرقيق الذي يواري النجوم فيتحير الهادي .

وقالت الخنساء أيضا ترثي صخرا:

بكت عيني وعاودها قذاها بعوار فما تقضي كراها

على صخر وأي فتى كصخر إذا ما الناب لم ترأم طلاها

-الطلا:الولد،أي لم تعطف عليه من الجدب-

فتى الفتيان ما بلغوا مداها ولايكدي إذا بلغت كداها

لئن جزعت بنو عمرو عليه لقد رزئت بنو عمرو فتاها

-غنى في هذه الأبيات ابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر حبش أن لهأيضافيه خفيف رمل بالبنصر-

ترى الشم الجحاجح من سليم وقد بلت مدامعها لحاها

-إذا وصف السيد بالشمم فإنه لايدنو لدناءة، ولايضع لها أنفه-

وخيل قد كففت بجول حيل فدارت بين كبشيها رحاها

-وجول خيل: جولان. ويقال: قطعة خيل تجول، أي تذهب وتجيء-

ترفع فضل سابغة دلاص على خيفانة خفق حشاها

وتسعى حين تشتجر العوالي بكأس الموت ساعة مصطلاها

محافظة ومحمية إذا ما نبا بالقوم من جزع لظاها

فتتركها قد اشتجرت بطعن تضمنه، إذا اختلفت، كلاها

هنالك لو نزلت بال صخر قرى الأضياف سخنا من ذراها

فمن للضيف إن هبت شمال مزعزعة يجاوبها صداها

وألجأ بردها الأشوال حدبا إلى الحجرات بارزة كلاها

أمطعمكم وحاملكم تركتهم لدى غبراء منهدم رجاها

ليبك عليك قومك للمعالي وللهيجاء إنك ما فتاها

وقد فوزت طلعة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها

وقال خفاف بن عمير يرثي صخرا ومعاوية ابني عمرو، ورجالا منهم أصيبوا:

تطاول همه ببراق سعر لذكراهم وأي أوان ذكر

كأن النار تخرجها ثيابي وتدخل بعد نوم الناس صدري

لباتت تضرب الأمثال عندي على ناب شريت بها وبكر

وتنسى من أفارق غير قال وأصبر عنهم من آل عمرو

وهل تدرين أن مارب خرق رزئتمبرأ بقصاص وتر

أخى ثقة إذا الضراء نابت وأهل حباء أضياف ونحر

كصخر للسرية غادروه بذرة أو معاوية بن عمرو

وميت بالجناب أثل عرشي كصخر أو كعمرو أو كبشر

وآخر بالنواصف من هدام فقد أودى ورب أبيك صبري

فلم أرمثلهم حيا لقاحا أقاموا بين قاصية وحجر

أشد على صروف الدهر إذا وآمرمنهم فيها بصبر

وأكرم، حين ضن الناس، خيما وأحمد شيمة ونشيل قدر
إذا الحسناء لم ترحض يديها ولم يقصر لها بصر بستر
قروا أضيافهم ربحا ببح تجيء يعبقري الودق سمر
رماح مثقف حملت نصالا يلحن كأنهن نجوم فجر
جلاها الصيقلون فأخلصوها مواضي كلها يفري ببتر
هم الأيسار إن قحطت جمادى بكل صبير سارية وقطر
يصدون المغيرة عن هواها بطعن يفلق الهامات شزر
تعلم أن خير الناس طرالولدانغداة الريح غبر
وأرملة ومعتر مسيف عديم المال، عجزة أم صخر

ومما رثت به الخنساء صخرا وغني فيه:

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق لأيديهم من المجد ثم مضى مصعدا
يحمله القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي إلى بيته يرى أفضل المجد أن يحمدا
وإن ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

ونذكر الآن ها هنا خبر مقتل معاوية بن عمرو أخيهما، إذكانت أخبارهما وأخبارها يدعوبعضها إلى بعض.

قال أبو عبيدة: حدثني أبو بلال بن سهم بن عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور قال: غزامعاوية بن عمرو أخو خنساء، بني سعد بن ذبيان وبني فزارة، ومع خفاف بن عمير بن الحارث، وأمه ندبة سوداء، وإليها ينسب، فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المريان. قال ابن الكلبي: وحرملة هو حرملة بن الأسعر بن إياس بن مريطة بن ضمرة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

قال أبو عبيدة فاستطرد له أحدهما ثم وقف، وشد عليه الآخر فقتله، فما تنادوا: قتل معاوية! قال خفاف: قتلني الله إن رمت حتى أثاربه! فشد على مالك بن حمار الشمخي، وكان سيد بني شمخ بن فزارة، فقتله -أقال: وهو مالك بن حمارين حزن بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن مازن بن فزارة -فقال خفاف في ذلك:

فإن تك خيلي قد أصيب صممها فعمدا على عين تيممت مالكا

يعني مالك بن حمار الشمخي.

قال أبو عبيدة: فأجمل أبو بلال الحديث.

قال: وأما غيره فذكر أن معاوية وافى عكاظ في موسم من مواسم العرب، فبينا هو يمشي بسوق عكاظ، إذ لقي أسماء المرية، وكانت جميلة، رغم انها كانت بغيا، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت: أما علمت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة؟! فقال: أما والله لأقار عنه عنك. قالت: شأنك وشأنه. فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له، فقال هاشم: فلعمري لا يريم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده. قال: فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ، خرج معاوية بن عمرو غازيا يريد بني مرة وبني فزارة، في فرسان أصحابه من بني سليم، حتى إذا كان بمكان يدعى الجوزة- والشك من أبي عبيدة-دومت عليه طير وسنح له ظبي، فتطير منهما ورجع في أصحابه، وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال: ما منعه من الإقدام إلا الجبن! قال: فلما كانت السنة المقبلة غزاهم، حتى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطير فرجع، ومضى أصحابه وتخلف في تسعة عشر فارسا منهم لايريدون قتالا،إنما تخلف عن عظم الجيش راجعا إلى بلاده ، فوردوا ماء وإذا عليه بيت شعر، فصاحوابأهله فخرجت إليهم امرأة فقالوا ما أنت ممن أنت؟قالت: امرأة من جهينة، أحلاف لبني سهم بن مرة بن غطفان. فوردوا الماء يسقون، فانسلت فأتت هاشم بن حرملة، فأخبرته أنهم غير بعيد، وعرفته عددهم وقالت: لاأرى إلا معاوية في القوم. فقال: بالكاع، أمعاوية في تسعة عشر رجلا، شبهت أو أبطلت.

قالت: بل قلت الحق، ولئن شئت لأصفنهم لك رجلا رجلا. قال: هاتي.

قالت: رأيت فيهم شابا عظيم الجمة، جبهته قد خرجت من تحت مغفره، صبيح الوجه، عظيم البطن، على فرس غراء. قال: نعم هذه صفته. يعني معاوية وفرسه الشماء.

قالت: ورأيت رجلا شديد الأدمة شاعرا ينشدهم. قال: ذلك خفاف بن عمير.

قالت: ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم، إذا نادوه رفعوا أصواتهم. قال: ذلك عباس الأصم.

قالت:ورأيت رجلا طويلا يكنونه أبا حبيب، ورأيتهم أشد شيء له توفيرا. قال: ذاك نبيشة بن حبيب.

قالت: ورأيت شابا جميلا له وفرة حسنة. قال: ذاك العباس بن مرداس السلمي.

قالت: ورأيت شيخا له ضفيرتان، فسمعته يقول لمعاوية:بأبي أنت أطلت الوقوف! قال: ذاك عبد العزى زوج الخنساء أخت معاوية.

وقواد خيل نحو اخرى كانها ... سعال وعقبان عليها زبانيه

بلينا وما تبلى تعار وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هيه

فأقسمت لاينفك دمعي وعولتي ... عليك بحز ما دعا الله داعيه

وقالت الخنساء في كلمة اخرى ترثيه أيضا:

إلا ما لعينيك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها

أبعد ابن عمرو من آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

وأقسمت آسى على هالك ... وأسأل نائحة مالها

سأحمل نفسي على آلة ... فإنا عليها وإما لها

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

ورجراجة فوقها بيضها ... عليها المضاعف زفنا لها

ككر فئة الغيث ذات الصبي ... ر ترمي السحاب ويرمي لها

وقافية مثل حد السنا ... ن تبقى ويهلك من قالها

نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها

فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

فزال الكواكب من فقده ... وجللت الشمس أجلالها

وداهية جرها جارم ... تبيل الحواصن أحبالها

كفاها ابن عمرو ولم يستعن ... ولو كان غيرك ادنى لها

وليس بأولى ولكنه ... سيكفي العشيرة ما عالها

بمعترك ضيق بينه ... تجر المنية اذيالها

وبيض منعت غداة الصبا ... ح تكشف للروع اذيالها

ومعملة سقتها قاعدا ... فأعلمت بالسيف أغفالها

وناجية كأتان الثمي ... ل غادرت بالخل أوصالها

إلى ملك لا إلى سوقة ... وذلك ما كان إعمالها

وتمنح خيلك أرض العدو وتنبذ بالغزو اطفالها

ونوح بعثت كمثلالإرا خ آنست العين أسبالها

التفسير عن أبي عبيدة: قوله حلت به الأر، قال بعضهم: حلت من الحلية أي زينت به الأرض موتاها، حين دفن بها. وقال بعضهم: حلت من حللت الشيء. والمعنى القت مراسيها، كانه ثقلا عليها. قال: اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر، كما قال جرير:

أستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

قال: جواب أبعد في آسى أي أبعد ابن عمرو آسى وأسأل نائحة مالها.

وقال أبو عبيدة: هذا البيت لمية بنت ضرار بن عمرو الضبية ترثي أخاها . قال أبو الحسن الأثرم: سمعتأبا عمرو الشيباني يقول: أمور الناس جارية على أذلالها، أي على مسالكها، واحدها ذل . آلة: حالة. تقول: فإما أن اموت وإما أن انجو. ولو قالت علىألة لم تنج؛ لأن الألة هي الحربة.

هممت بنفسن قال أبو عبيدة: هذا توعد. قال الأصمعي:"كل الهموم". قال الأثرم: كأنها أرادت أن تقتل نفسها .

أبو عبيدة؛ التكدس: التتابع، يتبع بعضها بعضا، أي يغزو ويجاهد في الغزو، كما تتوقل الوعول في الجبال، عن ابي عبدة. قال الأصمعي: التكدس: أن تحرك مناكبها إذا مشت وكانها تنصب إلى بين يديها، وإنما وصفتهابهذا. تقول: لاتسرع إلى الحرب، ولكن تمشي إليها رويدا. وهذا أثبت له من أن يلقاها وهو يركضز ويقالك جاء فلان يتكدس، وهي مشية من مشي الغلاظ القصارز وقال أبو زياد الكلابي: الكداس :عطاس الضأن.

قالالسلمي: التكدس: تكدس الأوعال، وهو القحم. والتكدس هو أن يومي بنفسه رميا شديدا في جريه.

نهين النفوس، تريد غداة الكريهة. وقولها:"أبقى لها"لأنها إذا تذامرت وغشيت القتال كان أسلم لها غ من الانهزام. كقول بشر بن أبي خازم:

ولا ينجى من الغمراتإلا براكاء القتال أو الفرار

قال بعضهم: أبقى لها في الذكر وحسن القول. والرجراجة: التي تتمخض من كثرها. وقال الأصمعي: الكرفئة، وجمعها كرفيء: قطع من السحاب بعضها فوق بعضز وقوله: ترمي السحاب أي تنضم إليه وتتصل به.ويرمي لها، أي ينضم إليها السحاب حتى يستوي. مثل حد السنان، لآنها ماضية. سهلتها: جئت بها سهلة. وجللت الشمس، أي كسفت الشمس وصار عليها مثل الجل. تبيل الحواصن، وهي الحوامل من النساء، اولادها من شدة الفزع. أي ما كان وليها ولادنا إليها، ولكنه يكفي القريب والبعيد. ما عالها ، قالأبو عمرو:عالها: غلبها. وقال أبو عبيدة: يقال إنه ليعولني ما عالك، أي يغمني ما مك. ويقال: افعل كذا وكذا ولا يعللك أن تاتي غيره، أي لا يعجزك. ويقال: قد يعولك ان تفعل كذا، أي قد دنا لك أن تفعل ذاك. وانشد:

ضربا كما تكدس الوعول يعول أن أنبطها يعول

أي قد دنا ذلك. ويقال: عال كذا وكذا منك، أي دنا منك. ويروى: "وليس بأدنى ولكنه". وقولها معملة : إبل. وقولها: قاعدا، اي على فرسك. قال النابغة:

قعودا على آل الوجيه ولا حق

والأغفال: مالاسمة عليها، واحدها غفل. والأتان: الصخرة. والثميل:بقية الماء في الصخرة. والخل: الطريق في الرمل. يقول: أعيت فتركتها هنالك. ويروى:

غادرت بالنخل أوصالها

قال الأصمعي: ناجية: سريهة. ويروى: إلى ملك وإلى شأيء. تقول: تقود خيلك إلى ملكأو عدو. ويروى: ما كان إكلالها. ماصلة . الإراخ: بقر الوحش. تقول: خرجت من بيوتهن كما خرجت هذه البقر من كنسها فرحا بالمطر. ومثله في الفرح بالمطر لابن الأحمر قوله:

مارية لؤلؤان اللون أوردها طل وبنس عنها فرقد خصر

أي قوى أنفسها المطر، لما رأته. ومثله:

ألاهلك امرؤ قامت عليه بجنب عنيزة البقي الهجود

أي لم يقرن في البيوت فتسترهن البيوت، بل هن ظواهر. وإنما شبه اجتماع هؤلاء النساءباجتماع العين وخروجهن للمطر. قال: وبقر الوحش تفرح بالمطر.

وقال دريد يرثي أخا الخنساء، لما قتلته بنو مرة:

ألا بكرت تلوم بغير قدر فقد أحفيتني ودخلت ستري

فإن لم تتركي عذلي سفاها تلمك علي نفسك أي عصر

أسرك أن يكون الدهر هذا علي بشره يغدوويسري

وألا ترزئي نفسا ومالا يضرك هلكه في طول عمري

فقد كذبتك نفسك فاكذبيها فإن جزع وإن إجمال صبر

وإن الرزء يوم وقفت أدعو فلم أسمع معاوية بن عمرو

رأيت مكانه فعرضت بذءا وأي مقيل رزء يا ابن بكر

إلى ارم وأحجار وصير وأغصان من السلمات سمر

-صير، الواحدة صيرة، وهي حظيرة الغنم. وقوله: وأغصان من السلمات، أي ألقيت على قبره-

وبنيان القبور اتى عليها طوال الدهر من سنة وشهر

ولو اسمعته لسرى حثيثا سريع السعي أو لأناك يجري

بشكة حازم لاعيب فيه إذا لبس الكماة جلود نمر

-أي كان الوانهم الوان النمور، سواد وبياض من السلاح. عن أبي عبيدة-

فإما تمس في جدث مقيما بمسهكة من الأرواح قفر

فعز علي هلكك يا ابن عمرو ومالي عنك من عزم وصبر

قال أبو الحسن الأثرم: فلما دخل الشهر الحرام-فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي بلال بن سهم-من السنة المقبلة، خرج صخر بن عمرو حتى أتى بني مرة بن عوف بن ذبيان، فوقف على ابني حرملة، فإذا أحدهما به طعنة في عضده- قال: لم يسمه أبو بلال بن سهم. فأما خفاف بن عمير فزعم في كلمته تلك أن المطعون هاشم-فقال: أيكما قتل أخي معاوية؟ فسكتا فلم يحيرا إليه شيئا ، فقال الصحيح للجريح: مالك لاتجبه؟ فقال: وقفت لهفطعني هذه الطعنة في عضدي، وشد أخي عليه فقتله، فأينا قتلت أدركت ثأرك، إلا أنا لم نسلب أخاك. قال: فما فعلت فرسه الشماء؟ قال: هاهي تلك خذها. فردها عليه فأخذها ورجع، فلما أتى صخر قومه قالوا له: اهجهم. قال: إن ما بيننا أجل من القذع، ولو لم أكفف نفسي إلا رغبة عن الخنا لفعلت.

شعره في ذلك

وقال صخر في ذلك:

وعاذلة هبت بليل تلومني الألاتلوميني كفى اللوم مابيا

-قال: اراد تباكره باللوم، و لم يرد الليل نفسه، إنما أراد عجلتها عليه باللوم، كما قال النمر بن تولب العكلي:

بكرت باللوم تلحانا

وقال غيره: تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم، والأضياف، والنظر في الحمالات وامور قومه، لأنه قوامهم -

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالي إذ أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي وأن ليس إهداء الخنا من شماليا

أي شمائلي. ويروى: منفعاليا -

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة وحييت رمسا عندلية ثاويا

إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية فحياك رب الناس عني معاويا

وهون وجدي أنني لم أقل له كذبت ولم أبخل عليه بما ليا

فنعم الفتى ادى ابن صرمة بزه إذا الفحل اضحى أحدب الظهر عاريا

قال أبو عبيدةك ثم زاد فيها بيتا بعد ان اوقع بهم، فقال:

وذي إخوة قطعت أقران بينهم كما تركوني واحدا لاأخاليا

قال أبو عبيدة: فلما كان في العام المقبل غزاهم وهو على فرسه الشماء، فقال: إني أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غرة الشماء، فيتاهبوا. قال: فحمم غرتها . قال: فلما أشرفت على أدنى الحي رأوها. فقالت فتاة منهم: هذه والله الشماء! فنظروا فقالوا: الشماء غراء وهذه بهيم! فلم يشعروا إلا والخيل دوائس ، فاقتتلوا فقتل صخر دريدا، وأصحاب بني مرة فقال:

ولقد قتلتكم ثناء موحدا وتركت مرة مثل أمس المدبر

قال الأثرم: مثنى وثناء لاينونان. قال ابن عنمة الضبي:

يباعون بالنغران مثنى وموحدا

لاينونان لأنهما مما صرف عن جهته، والوجه أن يقول: اثنتيت اثنتين. وكذلك ثلاث ورباع. قال صخرالغي :

منت لك أن تلاقيني المنايا احاد أحاد في الشهر الحلال

قال: ولا تجاوز العرب الرباع، غير أن الكميت قال

فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا

ولقد دفعت إلى دريد بطعنة نجلاي تزغل مثل عط المنحر

تزغل: تخرج الدم قطعا قطعا. قال: والزغلة: الدفعة الواحدة من الدم والبول. قال:

فأزغلت في الحلق إزغالة

وقال صخر أيضا فيمن قتل من بني مرة:

قتلت الخالدين به وبشرا وعمرا يوم حوزة وابن بشر

ومن شمخ قتلت رجال صدق ومن بدر فقد أوفيت نذري

ومرة قد صبحناها المنايا فرؤينا الأسنة، غير فخر

ومن أفناء ثعلبة بن سعد قتلت وما أبيئهم بوتر

ولكنا نريد هلاك قوم فنقتلهم ونشربهم بكسر

وقال صخر أيضا:

ألا لاأرى مستعتب الدر معتبا ولا آخذ منه الرضا إن تغضبا

وذي إخوة قطعت أقران بينهم إذا ما النفوس صرن حسى ولغبا
أقول لرمس بين أجراع بيشة سقاك الغوادي الوابل المتحلبا
لنعم الفتى ادى ابن صرمة بزه إذا الفحل أمسى عاري الظهر أحدبا

قال أبو عبيدة: ثم إن هاشم بن حرملة خرج غازيا، فلما كان ببلاد جشم بن بكر بن هوازن نزل منزلا وأخذ صفنا وخلا لحاجته بين شجر، ورأى غفلته قيس بن الأصور الجشمي فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية! لا وألت نفس إن وأل! فلما قعد على حاجته تقتر له بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه أرسل إليه معبلة فقتله.

فقالت الخنساء في ذلك-قال ابن الكلبي: وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم-:

فدى للفارس الجشمي نفسي وأفديه بمن لي من حميم
أفديه بجل بني سليم بظاعنهم بوالأنس المقيم
كما من هاشم أقررت عيني وكانت لاتنام ولاتنيم

قال أبو عبيدة: وكان هاشم بن حرملة بن صرمة بن مرة أسود العرب وأشدهم، وله يقول الشاعر:

أحيا أباه هاشم بن حرمله يوم الهباتين ويم اليعمله
يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له إذ الملوك حوله مغربله
وسيفه للوالدات مثكله

حدثني علي بن سليمان الخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: حدثنا الكسروي عن الأصمعي قال: مررت بأعرابي وهو يخضد شجرة وقد اعجبته سماحتها، وهو يرتجز ويقول:

لوكنت إنسانا لكنت حاتما أو الغلام الجشمي هاشما

قلت: من هاشم هذا؟ قال: أولاتعرفه؟ قالت:لا.قال:هو الذي يقول:

وعاذلة هبت بليل تلومني كأني إذا انفقت مالي أضيمها
دعيني فإن الجود لن يتلف الفتى ولن يخلد النفس اللئيمة لومها
وتذكر أخلاق الفتى، وعظامه مفرقة في القبر باد رميمها
سلي كل قيس هل أباري خيارها ويعرض عني وغدها ولئيمها
وتذكر فتيانيتي وتكرمي إذا ذم فتيانيها وكريمها

قلت:لاأعرفه. قال:لاعرفت،هوالذي يقول فيه الشاعر:

أحيا أباه هاشم بن حرمله يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

ترى الملوك حوله مغربلة

تأبد الربع من سلمى بأحفار وأقفرت من سليمى دمنة الدار

وقد تحل بها سلمى تحدثني تساقط الحلي حاجاتي وأسراري

الشعر للأخطل، والغناء لهمر الوادي، هزج بالسبابة في مجرى الوسطي، وفيهما رمل بالبنصر يقال إنه لابن جامع ويقال إنه لغيره، وفيهما خفيف رمل بالوسطى، ذكر الهشامي أنه لحكم. وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أول بالوسطى.

ومما يغني فيه من هذه القصيدة:

وشارب مربح بالكأس نادمني لابالحصور ولا فيها بسار

نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

لما أتوها بمصباح ومبزلهم سمت إليهم سمو البجل الضاري

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي. وذكر غيره أنها للدلال. ومنها:

قرد تغنيه ذبان الرياض كما غنى الغواة بصنج عند إسوار

كأنه من ندى القراص مغتمر بالورس أو خارج من بيت عطار

غناه ابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الول، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر الهشامي أن لملك فيه ثقيلا أولا. ووافقه يونس في نسبته إلى مالك، ولحكم في قوله:

فرد تغنيه دبان الرياض كما

وبعده قوله:

صهباء قد عنست من طول ما حبست في مخدع بين جنات وأنهار

خفيف ثقيل بالبنصر. ومنها:

لسكنتني قريش في ظلالهم ومولتني قريش بعد إقتار

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

ليونس فيها لحن من كتابه و لم يجنسه.

وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيد بن معاوية لما منع من قطع لسانه حين هجاالأنصار، وكان يزيد هوالذي أمره بهجائهم. فقيل: إن السبب في ذلك كان تشبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية، وقيل بل حمي

لعبد الرحمن بن الحكم.

أخبرني الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو يحيى الزهري قال: حدثني ابن أبي زريق قال: شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية فقال:

رمل هل تذكرين يوم غزال ... إذ قطعنا مسيرنا بالتمني

إذ تقولين عمرك الله هل شي ... ء وإن جل سوف يسليك عني

أم هل اطمعت منكم بابن حسا ... ن كما قد أراك أطمعت مني

قال: قبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب، فدخل على معاوية فقال: يا امير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج من اهل يثرب، يتهكم بأعراضنا ويشبب بنسائنا؟ قال: ومنهو؟ قال عبد الرحمن بن حسان، وأنشده ماقال، فقال: يايزيد ليست العقوبة من أحد أقبح منها من ذوي القدرة، ولكن امهل حتى يقدم وفد الأنصار ثم ذكرني. قال: فلما قدموا أذكره به ، فلما دخلوا عليه قال: ياعبد الرحمن، ألم يبلغني أنك تشبب برملة بنت أمير المؤمنين؟قال: بلى، ولوعلمت أن احد أشرف به شعري أشرف منها لذكرته. قال: وأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختا؟ قال: نعم. قال: وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعا فيكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك: أن يشبب بهما جميعا، فأرسل إلى كعب بن جعيل فقال: اهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين ؛ ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر. قال: ومن هو؟ قال: الأخطل. قال: فدعا به فقال: اهج النصار. قال: أفرق من أمير المؤمنين! فقال: لاتخف شيئا؛ أنا لك بذلك. قال: فهجاهم فقال:

وإذا نسبت ابن الفريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمار

لعن الإله من اليهود عصابة ... بالجزع بين صليصل وصرار

قوم إذا هدر العصير رأيتهم ... حمرا عيونهم من المصطار

خلوا المكارم لستم من اهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجار

إن الفوارس يعلمون ظهوركم ... أولاد كل مقبح أكار

ذهب قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم النصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامته، وقال: ياأمير المؤمنين: أترى لؤما؟ قال: لابل أرى كرما وخيرا، ماذاك؟ قال: زعم الخطل ان اللؤم تحت عمائمنا. قال: أوفعل؟ قال: نعم. قال:لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتي به سأل الرسول ليدخل إلى يزيد أولا، فأدخله عليه، فقال: هذا الذي كنت أخاف. قال: لاتخف شيئا. ودخل على معاوية فقال: علام أرسل إلي هذا الرجل وهو يرمي من وراء جمرتنا؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال النعمان بن بشير. قال: لاتقبل قوله عليه وهو يدعي لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن ثبت شيئا أخذته به له. فدعاه بالبينة فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل:

وإني غداة استعبرت أم مالك لراض منالسلطان أن يتهددا

ولولا يزيد ابنم الملوك وسعيه تجللت حدبارا من الشر أنكدا

فكم انقذتني من خطوب حباله وخرساء بو يرمى بها الفيل بلدا

ودافع عني يوج جلق غمرة وهما ينسيني السلاف المبردا

وبات نجيا في دمشق لحية إذا عم لم ينم السليم فاقصدا

قحافته طورا وطورا إذا رأى من الوجه إقبالا أح وأجهدا

واطفات عني نار نعمان بعدما أعد لمر فاجر وتجردا

ولما رأى النعمان دوني ابن حرة طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا احمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال: شبب عبد الرحمن بن حسان باخت معاوية، فغضب يزيد فدخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين،اقتل عبد الرحمن بن حسان. قال: و لم؟ قال: شبب بعمتي. قال: وما قال؟ قال قال:

طال ليلي وبت كالمجزون ومللت الثواء في جيرون

قال معاوية: يابني وما علينا من طول ليله وحزنه أبعده الله؟ قال: إنه يقول:

فلذاك اغتربت بالشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون

قال: يابني وما علينا من ظن اهله؟ قال: إنه يقول:

هي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

قال:صدق يابني. قال: غنه يقول:

وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

قال: صدق يابني هي هكذا. قال: إنه يقول:

ثم خاصرتها إلى القبة الخض راء تمشي في مرمر مسنون

خاصرتها: اخذت بخصرها وأخذت بخصري. قال: ولا كل هذا يابني! ثم ضحك وقال: أنشدني ما قال أيضا. فانشده قوله:

قبة من مراجل نصبوها عند حد الشتاء في قبطون

عن يساري إذا دخلت من البا ب وإن كنت خارجا فيميني

تجعل الند والألوة والعو د صلاء لها على الكانون

وقباب قد أشرجت وبيوت نطقت بالريحان والزرجون

قال: يابني، ليس يجب القتل في هذا، والعقوبة دون القتل، ولكنا نكفه بالصلة له والتجاوز.

هي زهراء مثل لؤلؤة الغو اص ميزت من جوهر مكنون

وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

نسخت من كتاب ابن النطاح: وذكر ابن النطاح: وذكر الهيثم بن عدي عن ابن دأب قال: حدثنا شعيب بن صفوان أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبب بابنة معاوية، ويذكرها في شعره، فقال الناس لمعاوية: لو جعلته نكالا؟ فقال: لا،ولكن أداويه بغير ذلك. فأذن له وكان يدخل عليه في أخريات الناس، ثم أجلسه على سريره معه، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال: ابنتي الأخرى عاتبة عليك. قال: في أي شيء؟ قالك في مدحتك أختها وتركك إياها. قال:فلها العتبى وكرامة، انا ذاكرها وممتدحها . فلما فعل وبلغ ذلك الناس قالوا: قد كنا نرى أن نسيب بن حسان بابنة معاوية لي،ء فإذا هو عن رأي معاوية وامره. وعلم من كان يعرف أن ليس له بنت أخرى، أنه إنما خدعه ليشبب بها، ولا أصل لها فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية.

وقد قيل في حمل يزيد بن معاوية الأخطل على هجاء النصار: إنه فعل ذلك تعصبا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أمية، أخي مروان بن الحكم في مهاجاته عبد الرحمن، وغضبا له، لما ساتعلاه ابن حسان في الهجاء.

خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة قال: أخبرني أبو الخطاب الأنصاري قال:

كان عبد الرحمن بن حسان خليلا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص مخالطا له، فقيل له: إن ابن حسان يخلفك في أهلك. فراسل امرأة ابن حسان فأخبرت بذلك زوجها وقالت: أرسل إلي: إني أحبك حبا أراه قاتلي! فأرسل ابن حسان إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصله وقال للرسول: إذهب إليها وقل لها: إن امرأتي تزور أهليها اليوم فزوريني حتى نخلو. فزارته فقعد معها ساعة قم قال لها: قد والله جاءت امرأتي. فأدخلها بيتا إلى جنبه وأمر امراته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم: إنك ذكرت حبك إياي وقد وقع ذلك في قلبي، وإن ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضيعته فهلم فتهيأ ثن أقبل. فإنه لقاعد معها إذ قالت له: قد جاء ابن حسان فادخل هذا البيت فإنه لايشعر بك. فأدخلته البيت الذي فيه امرأته، فلما رآها أيقن بالسوأة ووقع الشر بينهما وهجا كل واحد منهما صاحبه.

قال أقبو عبيدة: هذه رواية أبي الخطاب الأنصاري، وأما قريش فإنهم يزعمون أن مرأة ابن حسان كانت تحب عبد الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبى ذلك، حفظا لما بينه وبين زوجها، وبلغ ذلك ابن حسان فراسل امرأة ابن

الحكم حتى فضحها، وبلغ ذلك ابن الحكم وقيل له: إنك إذا أتيت ضيعتك أرسلت إلى ابن حسان فكان معها، فأمر ابن الحكم أهله فقال: عالجوا سفرة حتى أطالع مالي بمكان كذا وكذا. فخرج وبعثت امراته إلى ابن حسان فجاء كما كان يفعل، ورجع ابن الحكم حين ظن أن ابن حسان قد صار عندها، فاستفتح فقالت: ابن الحكم والله! وخبأته خلفها في بيت، ودخل عبد الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسان: غنه قد وقعت لك في قلبي مقة ، فأقبلي إلي الساعة، فتهيأت وأقبلت حتى دخلت عليه، فوضعت ثيابها وزوجها ينظر فقال لها: قد كنت أكثرت الإرسال إلي فما شأنك؟ قالت: إني والله هالكة من حبك. قال: وزوجها يسمع، وإنما أراد أن يعلمه أنها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها. وزعم انها هي التي قالت لابن الحكم إن ابن حسان يخلفك في أهلك. فلما فرغ من كلامه وأسمعه زوجها قال لها: قد جاءت امراتي. وأدخلها البيت الذي فيه ابن حسان، فلما جمعهما في مكان واحد خرج عنهما، فخرجا وطلق امرأته.

أخبرني ابن دريد قال: اخبرني الرياشي قال: حدثنا ابن بكير عن هشام بن الكلي عن خالد بن سعيد عن ابيه قال: رأيت مروان بن الحكم يطوف بالبيت ويقول: اللهم أذهب عني الشعر! وأخوه عبد الرحمن يقول: اللهم اني أسألك ما استعاد منه! فذهب الشعر عن مروان، وقاله عبد الرحمن.

وأما هشام بن الكلبي فإنه حدث عن خالد وإسحاق ابنى سعيد بن العاصي، أن سبب التهاجي بينهما آنهما خرجا إلى الصيد بأكلب لهما في غمارة مروان، فقال ابن الحكم لابن حسان:

ازجر كلابك انها قلطية ... بقع ومثل كلابكم لم تصطد

فرد عليه ابن حسان:

من كان ياكل من فريسة صيده ... فالتمر يغنينا عن المتصيد

إنا اناس ريقون وأمكمك ... كلابكم في الولغ والمتر

حزناكم للضب تحتر شونه ... والريف، نمنعكم بكل مهند

ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضا، فقال عبد الرحمن بن الحكم في قصيدة:

ومثل أمك أم العبد قد ضربت ... عندي ولي بفناتي مزهر جرم

وانت عند ذناباهاتعاونها ... على القدور تحسى حائر البرم

فنقضها عبد الرحمن بن حسان عليه بقصيدته التي يقول فيها:

ياأيها الراكب المزجي مطيه ... إذا عرضت فسائل عن بني الحكم

القائلين إذا لاقوا عدوهم ... فروا فكروا على النسوان والنعم

كم من أمين نصيح الجيب قال لكم ... ألا نهيتم أخاكم يابني الحكم

عن رجل لابغيض في عشيرته ولا ذليل قصير الباع معتصم

وقال ابن حسان:

صار الذليل عزيزا والعزيزبه ذل وصار فروع الناس أذنابا

إني لملمس حتى يبين لكم فيكم متى كنتم للناس أربابا

فارقوا على ظلعكم ثم انظروا وسلوا عنا وعنكم قديم العلم نسابا

فسوف يضحك أو تعتاده ذكر يابؤس للدهر للإنسان ريابا

ولهما نقائض كثيرة لامعنى لذكر جميعها ههنا.

قال دماذ: وحدثني أبو عبيدة عن أبي الخطاب قال:

لما كثر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاوية يومئذ وهو الخليفة، إلى سعيد بن العاص وهوعامله على المدينة، أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط. قال: وكان ابن حسان صديقا لسعيد، وما مدح أحدا قط غيره، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما، ثم ولي مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط و لم يضرب أخاه، فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بلشأم، وكان كبيرا مكينا عند معاوية:

ليت شعري أغائب أنت بالشا م خليلي أم راقد نعمان

أية ما يكن فقد يرجع الغا ثب يوما ويوقظ الوسنان

إن عمرا وعامرا أوينا وحراما قدما على العهد كانوا

أفهم ما نعوك أم قلة المتاب أم أنت عاتب غضبان

أم جفاءأم أعوزتك القراطي س أم أمري به عليك هوان

يوم أنبئت أن ساقي رضت واتاكم بذلك الركبان

ثم قالوا إن ابن عمك في بل وى أمور أتى بها الحدثان

فتئط الأرحام والود والصح بة فيما اتى به الحدثان

إنما الرمح فاعلمن قناة أو كبعض العيدان لولا السنان

وهي قصيدة طويلة-فدخل النعمان على معاوية فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت سعيدا أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة فلم يفعل، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان و لم يضرب أخاه. قال: فتريد ماذا؟ قال: أنت تكتب إليه بمثل ما كتبت إلى سعيد. فكتب إلى معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة، وبعث إلى ابن حسان بحلة، فلما قدم الكتاب على مروان بعث إلى ابن حسان: إني مخرجك، وإنما أنا مثل والدك، وما كان ماكان مني إليك إلا على سبيل التأديب لك.واعتذر إليه، فقال حسان: مابدا له في هذا إلا لشيء قد جاءه. وأبى

أن يقب منه، فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجهه إليه بالحلة فرمى بها في الحش . فقيل له: حلة أمير المؤمنين وترمي بها في الحش؟ قال: نعم وما أصنع بها! وجاءه قومه فاخبروه الخبر فقال: قد علمت أن لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث. قال الرسول لمروان: ما تصنع بهذا، قد أبى أن يعفو فهلم أخاك. فبعث مروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يضربه خمسين فإنه ضعيف. فطلبوا إليه فأجابهم، فأخرجه فضربه خمسين، فلقي ابن حسان بعض من كان لايهوى ما ترك من ذلك، فقال له: أضربك مائة ويضربه خمسين، بئس ما صنعت إذ وهبتها له. قال: إنه عبد وإنما ضربه ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر! فحمل هذا الكلام حتى شاع بالمدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه، فاتى أخاه مروان فخبره الخبر وقال: فضحتني، لاحاجة لي فيما تركت فهلم فاقتص. فضرب ابن الحكم خمسين أخرى، فقال عبد الرحمن يهجو ابن الحكم:

دع ذا وعد قريض شعرك في امرىء ... يهذي ونشد شعره كالفاخر

عثمان عمكم ولستم مثله ... وبنو أمية منكم كالآمر

وبنو أبيه سخيفة أحلامهم ... فحش النفوس لدى الجليس الزائر

أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر

هم ينظرون إذا مددت إليهم ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

خزر العيون منكسي أذقانهم ... نظر الدليل إلى العزيز القاهر

فقال ابن الحكم:

لقد أبقى بنو مروان حزنا ... مبينا عاره لبني سواد

أطاف به صبيح من مشيد ... ونادى دعوة: يابني سعاد

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لاحياة لمن تنادي

قال أبو عبيدة: قاعتن أبو واسع أحد بني الاسعر من بني أسد بن خزيمة، لابن حسان دون ابن الحكم، فهجاه وعيره بضرب ابن المعطل أباه حسان على رأسه، وعيرهم بأكل الخصى، فقال:

إن ابن المعطل من شليم ... أذل قيادة رأسك بالخطام

عمدت إلى الخصى فأكلت منها ... لقد أخطأت فاكهة الطعام

وما للجار حين يحل فيكم ... لديكم يا بني النجار حام

يظل الجار مفترشا يديه ... مخافتكم لدى ملث الظلام

وينظر نظرة في مذروية ... وأخرى في استه والطرف سام

قال:فلما عم بني النجار بالهجاء ولا ذنب لهم دعوا الله عز وجل عليه، فخرج من المدينة يريد أهله فعرض له الأسد فقضقضه ، فقال ابن حسان في ذلك:

أبلغ بني الأسعر إن جئتم ما بال أبناء بني واسع

والليث يعلوه بأنيابه معتفراً في دمه الناقع

إذ تركوه وهو يدعوهم بالنسب الداني وبالشاسع

لايرفع الرحمن مصروعكم ولا يوهي قوة الصارع

فقالت له امرأته: مادعا أحد قبلك للأسد بخير قط. قال: ولا نصر أحدا كما نصرني.

وقال ابن الكلبي: كان الأخطل ومسكين الدرامي صديقين لابن الحكم، فاستعان بهما على ابن حسان، فهجاء الأخطل، وقال له مسكين: ما كنت لأهجوا أحدا أو أعذر إليه. فكتب إليه مسكين بقصيدته اللامية يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة، فقال في أولها:

ألا إن الشباب ثياب لبس وما الأموال إلا كالظلال

فإن يبل الشباب فكل شيء سمعت به سوى الرحمن بال

وهي طويلة جدا، يفخر فيها بمآثر بني تميم. فأجابه ابن حسان فقال:

أتاني عنك يا مسكين قول بذلت النصف فيه غير آل

دعوت إلى التناضل غير فحم ولا غمر بطير لدى النضال

وهي أطول من قصيدة مسكين. ثم انقطع التناضل بينهما.

قال دماد: فحدثني أبو عبيدة قال: حدثني أبو حية النميري قال: الفرزدق قال: كنا في ضيافة معاوية، ومعنا كعب بن جعيل التغلبي، فحدثني أن يزيد بن معاوية قال له: إن ابن حسان فضح عبد الرحمن بن الحكم وغلبه، وفضحنا، فأهج الأنصار. قال: فقلت له: أرادي أنت في الشرك، أأهجو قوما نصروا رسول الله" وآله وآووه؟ ولكني أدلك على غلام منا نصراني لايبالي أن يهجوهم، كان لسانه لسان ثور.

قال: من هو؟ قالت: الأخطل. فدعاه وأمره بهجائهم، فقال: على أن تمنعني؟ قال: نعم.

قال أبو عبيدة: إن معاوية دس إلى كعب وأمره بهجائهم، فدله على الأخطل، فقال الأخطل قصيدته التي هجا فيها الأنصار، وقد مضت ومضى خبرها وخبر النعمان بن بشير.

وزاد أبو عبيدة عن روينا ذلك عنه: أن النعمان بن بشير رد على الخطل فقال :

أبلغ قبائل تغلب ابنة وائل من بالفرات وجانب الثرثار

فاللؤم بين أنوف تغلب بين كالرقم فوق ذراع كل حمار

قال: فخافه الأخطل أن يهجوه، فقال فيه:

عذرت بني الفريعة أن هجوني فما بالي وبال بني بشير

أفيحج من بني النجار شأن شديد القصرين من السحور

و لم يرد على هذين البيتين شيئا في ذكره.

قال أبو عبيدة في خبره أيضا: إن الأنصار لما استعدوا عليه معاوية قال لهم: لكم لسانه إلا أن يكون ابني يزيد قد أجاره. ودس إلى يزيد من وقته: إني قد قلت للقوم كيت وكيت فأجره. فأجاره، فقال يزيد بن معاوية في إجارته إياه:

دعا الأخطل الملهوف بالشر دعوة فأي مجيب كنت لما دعانيا

ففرج عنه مشهد القوم مشهدي وألسنة الواشين عنه لسانيا

كان لي ياشقير حبك حينا كاد يقضي علي لما التقينا

يعلم الله أنكم لو نأيتم أو قربتم أحب شيء إلينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك، ولحنها ثاني ثقيل بالوسطى، وجعلت مكان"ياشقير". وفي هذا الشعر للهذلي خفيف ثقيل أول مطلق بالوسطى. وزعم عمرو بن بانة أنه للأبجر. وقال الهشامي: لحن الأبجر ثقيل أول بالبنصر. وفيه للدارمي وابن فروخ خفيف ثقيل، ولحن الدارمي فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار حبابة

كانت حبابة مولدة من موالدات المدينة، لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة، وقيل ابن مينا. وهو خرجها وأدبها. وقيل: كانت لآل لاحق المكيين. وكانت حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء، طيبة الصوت ضاربة بالعود. وأخذت الغناء عن ابن سريج، وابن محرز، ومالك، ومعيد، وعم جميلة وعزة الميلاء. وكانت تسمى العالية ، فسماها يزيد لما اشتراها حبابة. وقيل: إنما كانت لرجل يعرف بابن مينا.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال:حدثني حاتم بن قبصة قال:

وكانت حبابة لرجل يدعى ابن مينا، فأدخلت على يزيد بن عبد الملك في إزارٍله ذنبان، وبيدها دف ترمي به وتتلقاه، وتتغنى:

ماأحسن الجيد من مليكة واللبات إذ زانها ترائبها

ياليتني ليلة إذا هجع الناس ونام الكلاب صاحبها

في ليلة لايرى بها أحد يسعى علينا إلا كوكبها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية، فلما كان بعد ماولى يزيد اشتراها.

وروى حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير المديني، ورواه الزبير بن بكار عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال: قال لي يزيد بن عبد الملك: ما تقر عيني بما اوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري، وحبابة جارية لاحق المكية. فأرسل فاشتريتا له، فلما اجتمعنا عنده قال: أنا الآن كما قال القائل :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما فر عينا بالإياب المسافر

قال إسحاق: وحدثني أبو أيوب عن عباية قال: كانت حبابة لآل رمانة، ومنهم ابتيعت ليزيد.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني الزبير بن بكارقال: أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافنه عن شيخ من أهل ذي خشب قال: خرجنا نريد ذا خشب ونحن مشاة، فإذا قبة جارية، وإذا هي تغني:

سلكوا بطن محيص ثم ولوا راحيعينا

أورثوني حين ولوا طول حزن وانينا

قال: فسرنا معها حتى أتينا ذا خشب، فخرج رجل معها، فسألناه، وإذا هي حبابة جارية يزيد، فلما صارت إلى يزيد أخبرته بنا، فكتب إلى والي المدينة يعطي كل واحد منا ألف درهم ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق عن المدائني. وروى هذا الخبر حماد بن إسحاق عن ابيه عن المدائني، وخبره أتم: أن حبابة كانت تسمى العالية، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة، فقدم يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان فتزوج سعدة بنت عبد الله بن عثمان، على عشرين ألف دينار، وربيحة بنت محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال:لأحجرن عليه.

فبلغ يزيد قول سليمان فاستقال مولى حبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رجل من أهل إفريقية، فلما ولى يزيد اشترتها سعدة امرأته وعلمت أنه لابد طالبها ومشتريها، فلما حصلت عندها قالت له: هل بقي عليك من الدنياشيء لم تنله؟ فقال: نعم، العالية. فقالت: هذه هي، وهي لك. فسماها حبابة، وعظم قدر سعدة عنده. ويقال إنها أخذت عليها قبل أن تهبها له أن توطئ لابنها عنده في ولاية العهد وتحضرها ما تحب إذا حضرت .

وقيل إن أم الحجاج أم الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له، وأخذت عليها ذلك، فوفت لها بذلك. هكذا ذكرالزبير فيما أخبرنا به الحسن بن علي عن هارون بن محمد، عنه عن عمه. قال: ومن زعم أن سعدة اشترتها فقد أخطأ.

قال المدائني: ثم خطب يزيد إلى أخيها خالد بنت أخ له، فقال: أما يكفيه أن سعدة عنده حتى يخطب إلى بنات أخي؟ وبلغ يزيد فغضب، فقدم عليه خالد يسترضيه، فبينا هو في فسطاطه إذ أتته جارية لحبابة في خدمها فقالت له: أم داود تقرأ عليك السلام وتقول لك: قد كلمت أمير المؤمنين فرضي عنك. فالتفت فقال: من أم داود؟ فأخبره من معه أنها حبابة، وذكر لد قدرها وكانها من يزيد. فرفع رأسه إلى الجارية فقال: قولي لها: إن الرضا عني بسبب لست به. فشكت ذاك إلى يزيد بغضب، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشيء حتى اتاه رسول حبابة به فيمن معه من الأعوان، فاقتلعوا فساطه وقلعوا اطنابه، حتى سقط عليه وعلى أصحابه، فقال: ويلكم ما هذا؟ قالوا: رسل حبابة، هذا ماصنعت بنفسك. فقال: مالها أخزاها الله، ما أشبه رضاها بغضبها! قال إسحاق: وحدثني محمد بن سلام عن يونس بن حبيب، إن يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة، وكان اسمها العالية، بأربعة آلاف دينار، فلما خرج بها قال الحراث بن خالد فيها:

ظعن الأمير بأحسن الخلق ... وغدوا بلبك مطلع الشرق

مرت على قرن يقادبها ... تعدو امام براذن زرق

فظللت كالمقمور مهجته ... هذا الجنون وليس بالعشق

ياظبية عبق العبير بها ... عبق الدهان بجانب الحق

وغنته حبابة في الشعر، وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته، فقال لها: غنيني به. فغنته بأجادت وأطربته، فقال إسحاق: ولعمري إنه من جيد غنائها.

قال أبو الفرج الأصبهاني: هذا غلط ممن رواه في ابيات الحارث بن خالد؛ لأنه قالها في عائشة بنت طلحة، لما تزوجها مصعب بن الزبير وخرج بها . وفي ابياته يقول:

في البيت ذي الحسب الرفيع ومن ... اهل التقى والبر والصدق

وقد شرح ذلك في اخبار عائشة بنت طلحة.

قال إسحاق: واخبرني الزبيري ان يزيد اشتراها وهو امير، فلما أراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها:

قد سل جسمي وقد أودى به سقم ... من أجل حي جلواعن بلدة الحرم

يحن قلبي إليها حين أذكرها ... وما تذكرت شوقاً آب من أمم

إلا حينيناً إليها إنها رشأ ... كالشمس رود ثقال سهلة الشيم

فضلها الله رب الناس إذ خلقت ... على النساء من اهل الحزم والكم

وقال فيها الشعراء فأكثروا، وغنى في أشعارهم المغنون من اهل مكة والمدينة، وبلغ ذلك يزيد فاستشنعة، فقال: هذا قبل رحلتنا وقد هممنا، فكيف لو ارتحلنا؟! وتذكر القوم شدة الفراق، وبلغه أيضاً أن سليمان قد تكلم في

ذلك، فردها، و لم تزل في قلبه حتى ملك، فاشترتها سعدة امرأته العثمانية، ووهبتها له.

أخبرني ابن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: حدثني أبو ذفافة المنهال بن عبد الملك، عن مروان بن بشر بن أبي سارة مولى الوليد بن يزيد، قال: أول ما ارتفعت به منزلة حبابة عن يزيد انه أقبل يوماً إلى البيت الذيهي فيه، فقام من وراء الستر فسمعها ترنم وتغني وتقول:

كان لي يايزيد حبك حينا كاد يقضى علي لما التقينا

-والشعر كان ياشقير -فرفع الستر فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار، فعلم أنها لم تعلم به و لم يكنذاك لمكانه، فألقى نفسه عليها وحركت منه.

قال المدائني: غلبت حبابة غعلى يزيد، وتبنى بها عمر بن هبيرة فعلت منزلته، حتى كان يدخل على يزيد في أي وقت شاء، وحسد ناس من بني أمية مسلمة بن عبد الملك على ولايته، وقدحوا فيه عند يزيد، وقالوا: إن مسلمة إن اقتطع الخراج لم يحسن ياأمير المؤمنين ان تفتشه أو تكشفه عن شيء، لسنه وحقه ، وقد علمت أن امير المؤمنين لم يدخل أحداً من اهل بيته في الخراج. فوقر ذلك في قلب يزيد ، وعزم على عزله، وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة، فعلمت له في ذلك. وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوة، وكانا يتنازعان ويتحاسدان، فقيل للقعقاع لقد: نزل ابن هبيرة من امير المؤمنين منزلة، إنه لصاحب العراق غداً. فقال ومن يطيق ابن هبيرة؟! حبابة بالليل، وهداياه بالنهار، مع أنه وإن بلغ فإنه رمل من بني سكين . فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها.

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث بهذا الحديث، فحفظته و لم أحفظ إسناده. وحدثنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني احمد بن زيهر قال: حدثنا مصعب الزبيري، عن مصعب بن عثمان. وقد جمعت روايتيهماقالا: أراد يزيد بن عبد الملك ان يشبه بعمر بن عبد العزيز وقال: بماذا صار عمر أزجى لربه جل وعز مني؟ فشق ذلك على حبابة؟فأرسلت إلى الأحوص.

هكذا في رواية وكيع، واما عمر بن شبة فإنه ذكر ان مسلمة أقبل على يزيد يلومه في الإلحاح على الغناءوالشرب، وقال له: إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله، وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في الأمور، والوفود ببابك، وأصحاب الظلامات يصيحون، وأنت غافل عنهم. فقال: صدقت والله وأعتبه وهم يترك الشرب، و لم يدخل على حبابة أياماً، فدست حبابة إلى الحوص أن يقول أبياناً في ذلك وقالت له: إن ردته عن رأيه فلك ألف دينار. فدخل الأحوص إلى يزيد، فاستأذن في الإنشاد، فأذن له.

قال إسحاق في خبره: فقال الأحوص:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا

وإني وإن فندت في طلب الغنى لأعلم أني لست في الحب أوحدا

إذا أنت لم تعشق ولم تر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

فما العيش إلا ما تلد وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفتدا

الغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، وفيه رمل للغريض. ويقال إنه لحبابة.

قال : وكث جمعة لايرى حبابة ولا يدعو بها، فلما كان يوم الجمعة قالت لبعض جواريها: إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني. فلما أراد الخروج أعلمتها، فتلقته والعود في يدها، فغنت البيت الأول، فغطى وجهه وقال: مه لاتفعلي. ثم غنت:

وما العيش إلا ما تلد وتشتهي

فعدل إليها وقال: صدقت والله، فقبح الله، فقبح الله من لامني فيك، ياغلام مر مسلمة أن يصلي بالناس. وأقام معها يشرب وتغنيه، وعاد إلى حاله .

وقال عمر بن شبة في حديثه: فقال يزيد: صدقت والله، فعلى مسلمة لعنة الله! وعاود ما كان فيه، ثم قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص. فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها، واولها قوله:

يا موقد النار بالعلياء من إضم اوقد فقد هجت شوقاً غير منصرم

وهي طويلة. فقال له يزيد: ارفع حوائجك. فكتب إليه في نحو من أربعين ألف درهم من دين وغيره، فامر له بها.

وقال مصعب في خبره: بل استأذن الحوص على يزيد، فاذن له، فاستاذن في الإنشاد، فقال: ليس هذا وقتك. فلم يزل به حتى أذن له. فأنشده البيات، فلما سمعها وثب حتى دخل حبابة وهو يتمثل:

وما العيش إلا ما تلد وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فقالت له: ماردك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أبيات انشدنيها الحوص، فسلي ماشئت. قالت: الف دينار تعطيها الحوص. فاعطاه الف دينار.

يا موقد النار بالعلياء من إضم اوقد فقد هجت شوقاً غير منصرم

يا موقد النار اوقدها فإن لها سنا يهيج فؤاد العاشق السدم

الشعر لأحوص، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالوسطى، عن يونس وإسحاق وعمرو. وذكر حبش أن فيه خفيف ثقيل آخر لابن جامع.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني علي بن القاسم بن بشير قال: لما غلب يزيد بن عبد الملك اهله وأبى ان يسمع منهم كلموا مولى له خراسانياً ذا قدر عندهم، وكانت فيه لكنة، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما قد ألح عليه من السماع للغناء والشراب، فقال له يزيد: فإني احضرك هذا المر الذي تنهى عنه،

فإن نهيتني عنه بعد ما تبلوه وتحضره انتهيتن وإني مخبر جوارى انك عم من عومتي، فإياك أن تتكلم فيعلمن اني كاذب، وانك لست بعمي. ثم ادخله عليهن فغنين، والشيخ يسمع ولا يقول شيئاً، حتى غنين:

وقد كنت آتيكم بعلة غيركم فأفنيت علاتي فكيف أقول

فطرب الشيخ وقال: لافيف، جعلني الله فداكن! يريد: لاكيف. فعلمن انه ليس عمه، وقمن إليه بعيد افهن ليضربنه بها، حتى حجز هن يزيد عنه. ثم قال له بعدما انقضى امرهن: ما تقول الان ادع هذا أم لا؟ قالك لاتدعه! أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني خالد بن يزيد بن بحر الخزاعي الأسلمي، عن محمد بن سلمة، عن أبيه عن حماد الرواية قال: كانت حبابة فائقة في الجمال والحسن، وكان يزيد لها عاشقاً، فقال لها يوماً: قد استخلفتك على ما ورد علي. ونصبت لذلك مولاي فلاناً فاستخلفيه لأقيم معك أياماً واستمع بك. قالت: فإني قد عزلتهز فغضب عليها وقال: قد استعملته وتعزلينه؟ وخرج من عندها مغضباً، فلما ارتفع النهار وطال عليه هجرها دعا خصياً له وقال: انطلق فانظر أي شيء تصنع حبابة؟ فانطلق الخادم ثم أتاه، فقال: رأيتها مؤتزرة بإزار خلوقي قد جعلت له ذنبين وهي تلعب بلعبها. فقال: ويحك احتل لها حتى تمر بها علي. فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة، ثم استلب لعبة من لعبها وخرج، فجعلت تحضر في أثره، فمرت بيزيد فوثب وهو يقول: قد عزلته! وهي تقول: قد استعملته! فعزل مولاه وولاه وهو لا يدري. فمكث معها خالياً أياماً حتى دخل عليه أخوه مسلمة فلامه، وقال: ضيعت حوائج الناس واحتجت عنهم، أترى هذا مستقيماً لك؟! وهي تسمع مقالته، فغنت لما خرج:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا

فذكرت الأبيات. فطربو قال: قا تلك الله أبيت إلا أن ترديني إليك. وعاد إلى ما كان عليه.

أخبرني إسماعيل قال: حدثني عمي قال: حدثني إسحاق قال: حدثني الهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان قال: قال مسلمة ليزيد: تركت الظهور وشهود الجمعة الجامعة، وقعدت في منزلك مع هذه الإماء! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص: قل في ذلك شعراً فقال:

وما العيش إلا ما تلد وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا

وإني وإن اغرقت في طلب الصبا لأعلم اني لست في الحب اوحدا

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكن حجزاً من يابس الصخر جلمدا

قال: فغنتنا يزيد فيه، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال: صدقتما صدقتما! فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به.

قال: وطرب يزيد فقال: هاتيا. فغنتاه من هذه القصيدة:

وعهدي بها صفراء رودا كأنما نضا عرق منها على اللون مجسدا
مهفهفة العلى وأسفل خلقها جرى لحمه ما دون أن يتخددا
من المدمجات اللحم جدلاً كانها عنان صناع مدمج الفتل محصدا
كأن ذكي المسك باد وقد بدت وريح خزامي طلة تنفح الندى

فطرب يزيد واخذ فيه من الشراب قدره الذي كان يطرب منه ويسره، ولم تره اظهر شيئاً مما كان يفعله عند طربه فغنتهك

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا فقد غلب المحزون ان يتجلدا
نظرت رجاء بالموقر ان ارى أكاريس يحتلون خاخا فمنشدا
فأوفيت في نشز من الأرض يافع وقد تسعف الأيفاع من كان مقصدا

فلما غنته بهذا طرب طربه الذي تعهده، وجعل يدور ويصيح: الدخن بالنوى، والسمك في بيطار جنان . وشق حلته وقال لهاك أتأذنين ان أطير؟ قالت: وإلى من تدع الناس؟ قال: إليك .

قال: وغنته سلامة من هذه القصيدةك

فقلت الا ياليت أسماء أصقبت وهل قول ليت جامع ما تبددا
وإني لهواها وأهوى لقاءها كما يشتهي الصادي الشراب المبردا
علاقة حيب لج في سنن الصبا فأبلى وما يزداد إلا تجددا
سهوب وأعلام تخال سرابها إذا استن في القيظ الملاء المعضدا

قال: وغنته حبابة منها أيضاً:

كريم قريش حين ينسب والذي اقرت له بالملك كهلاً وامردا
وليس عطاء كان منه بمانع وإن جل من إضعاف أضعافه غدا
أهان تلاد المال في الحمد إنه إمام هدى يجري على ما تعودا
تردى بمجد من أبيه وأمه وقد اورثا بنيان مجد مشيدا

فقال لها يزيد: ويحك يا حبابة، ومن ومن قريش هذا؟ قالت: انت. قال: ومن يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يا امير المؤمنين. وقالت سلامة: فليسمع أمير المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها. ثم اندفعت فغنته:

ولو كان بذل الجود والمال مخلدا من الناس غنساناً لكنت المخلدا
فأقسم لا أنفك ما عشت شاكرا لنعماك ما طار الحمام وغردا

أخبرني إسماعيل قال: حدثنا عمر بن شبة قال: علي بن الجعد قال: حدثني أبو يعقوب الخريمي، عن أبي بكر بن عياش: أن حبابة وسلامة اختلفتا في صوت معبد:

ألا حي الديار بسعد إني أحب لحسب فاطمة الديارا

فبعث يزيد إلى معبد فاتى به، فسأل: لم بعث إليه؟ فأخبر، فقال: لأيتهما المترلة عن امير المؤمنين؟ فقيل: لحبابة. فلما عرضتا عليه الصوت قضى لحبابة، فقالت سلامة: والله ما قضى إلا للمترلة، وإنه ليعلم أن الصواب ما غنيت، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لن له علي حقاً. قال: قد أذنت. فكان ما وصلته به أكثر من حبابةز

ألا حي الديار بسعد إني أحب لحب فاطمة الديارا

إذا ما حل اهلك يا سليمى بدارة صلصل شحطوا مزارا

الشعر لجرير، والغناء لابن محرز، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

أخبرني احمد بن عبد العزيز لجوهري قالك حدثنا عمر بن شبة قال: نزل الفرزدق على الحوص حين قدم المدينة فقال له الحوص: ما تشتهي؟ قالك شراء وطلاء وغناء .

قال: ذلك لك. ومضى به إلى قينة بالمدينة فغنته:

ألا حي الديار بسعد إني أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يا اهل الحجاز واملحها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ فقال: لا واللهز قال: هو لجرير، يهجوك به. فقال: ويل ابن المراغة ما كان احوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، واحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره.

وقد روى صالح بن حسان ان الصوت الذي اختلفت فيه حبابة وسلامة هو:

وترى لها دلا إذا نطقت به تركت بنات فؤاده صعرا

ذكر ذلك حماد عن ابيه عن الهيثم بن عدي: أنهما اختلفتا في هذا الصوت بين يدي يزيد، فقال لهما: من أين جاء اختلافكما، والصوت لمعبد ومنه اخذتماه؟ فاقلت هذه: هكذا أخذته، وقالت الخرى: هكذا أخذته. فقال يزيد: قد اختلفتما ومعبد حي بعد؟ فكتب إلى عامله بالمدينة يامره بحمله غليه.

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عياش.

قال صالح بن حسان:فلما دخل معبد غليه لم يساله عن الصوت، ولكنه امره أن يغني، فغناه فقال:

فيا عز إن واش وشى بي عندكم فلا تكرميه أن تقولي له مهلا

فاستحسنه وطرب ثم قال: إن هاتين اختلفتا في صوت لك فاقض بينهما. فقال لحبابة: غني. فغنت، وقال لسلامة: غني فغنت، وقال: الصواب ما قالت حبابة. فقالت سلامة: والله يا ابن الفاعلة إنك لتعلم أن الصواب قا قلت، ولكنك سالت أيتهما آثر عند امير المؤمنين فقيل لك حبابة، فاتبعت هواه ورضاه! فضحك يزيد وطرب، واخذ وسادة فصيرها على رأسه، وقام يدور في الدار ويرقص ويصيح:السمك الطري اربعة أرطال، عند بيطار حبان جتى دار الدار كلها ثم رجع فجلس مجلسه وقال شعراً، وامر معبداً ان يغني فيه، فغنى فيه وهو:

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

إن سار صحبي لم املك تذكركم او عرسوا فهموم النفس والسهر

فاستحسنه وطرب. هكذا ذكر إسحاق في الخبر. وغيره يذكر ان الصنعة فيه لحبابة، ويزعم ابن خرداذبه ان الصنعة فيه ليزيد. وليس كما ذكر، وإنما اراد ان يوالي بين الخلفاء في الصنعة، فذكره على غير تحصيل، والصحيح انه لمعبد.

قال معبد: فسر يزيد لما غنيته في هذين البيتين، وكساني ووصلني، ثم لما انصرم مجلسه انصرفت إلى مترلي الذي انزلته، فإذا ألطاف سلامة قد سبقت ألطاف حبابة، وبعثت إلي: إني قد عذرتك فيما فعلت، ولكن كان الحق أولى بك. فلم ازل في ألطافهما جميعاً جتى أذم لي يزيد، فرجعت إلى المدينة.

فيا عز إن واش وشى بي عندكم

ألم يأن لي ياقلب أن أترك الجهلا وان يحدث الشب الملم لي العقلا

على حين صار الرأس من كأنما علت فوقه نذافة العطب الغزلا

فيا عز إن واش بي عندكم فلا تكرميه أن تقولي له مهلا

كما لووش واش بودك عندنا لقنا تزحزح لا قريباً ولا سهلا

فأهلاً وسهً بالذي شد وصلنا ولا مرحباً بالقائل اصرم لها حبلا

الشعر لكثير، والغناء لحنين، ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر ابن المكي وعمرو والهشامي أنه لمعبد. وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج، وليس بصحيح.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير قال: حدثني ظبية قالت: أنشدت حبابة يوما يزيد بن عبد الملك:

لعمرك إنني لأحب سلعاً لرؤيتها ومن بجنوب سلع

ثم تنفست تنفساً شديداً فقال لها: مالك، أنت في ذمة أبي، لئن شئت لأنقلنه إليك حجراً حجراً. قال: وما أصنع به، ليس إياه أردت، إنما أردت صاحبه. وربما قالت: ساكنة.

لعمرك غنني لأحب سلعا لرؤيتها ومن بجنوب سلع

تقر بقربها عيني وإني لأخشى أن تكون تريد فجعي
حلفت برب مكة والهدايا وأيدي السابحات غداة جمع
لأنت على التنائي فاعلميه احب إلي من بصري وسمعي

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى، مما لايشك فيه من غنائه.

قال الزبير: وحدثني ظبية ان يزيد قال لحبابة وسلامة: أيتكما غنتني ما في نفسي فلها حكمها. فغنت سلامة فلم تصب ما في نفسه، وغنته حبابة:

خلق من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا

فأصابت ما في نفسه فقال: احتكمي. فقالت: سلامة، تهبها لي ومالها. قال: اطلبي غيرها.فأبت، فقال:أنت أولى بها ومالها. فلقيت سلامة من ذلك أمراً عظيماً، فقالت لها حبابة: لاترين إلا خيراً! فجاء يزيد فسألها أن تبيعه إياها بحكمها، فقالت: أشهدك انها حرة، واخطبها إلي الان حتى ازوجك مولاتي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق عن المدائني بنحو هذه القصة. وقال فيها: فجزعت سلامة، فقالت لها: لاتجزعي فإنما ألاعبه.

حلق من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا
هرئت أن رأت مشيبي عرسي لاتلومي ذوائبي أن تشيبا

الشعر لابن قيس الرقيات، والغناء لابن سريج، ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

قال حماد بن إسحاق : حدثني أبي عن المدائني، وايوب بن عباية قالا: كانت سلامة المتقدمة منهما في الغناء، وكانت حبابة تنظر إليها بتلك العين، فلما حظيت عند يزيد ترفعت عليها فقالت لها سلامة: ويحك أين تاديب الغناء وحق التعليم؟ انسيت قول جميلة لك: خذي أحكام ما أطارحك إياه من سلامة؟! فلن تزالي بخير ما بقيت لك وكان أمركما مؤتلفاً. قالت: صدقت يا خليلتي، والله لا عدت إلى شيء تكرهينه. فماعادت بعد ذلك لها إلى مكروه. وماتت حبابة وعاشة سلامة بعدها دهراً.

قال المدائني: فرأى يزيد يوماً حبابة جالسةً فقال: مالك؟ فقالت: أنتظر سلامة. قال: تحبين أن أهبها لك؟ قالت: لا والله، ما أحب أن تهب لي أختي.

قال المدائني: وكانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال لها: اطير؟ فتقول له: فإلى من تدع الناس؟ فيقول إليك. والله تعالى أعلم.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أيوب بن عباية، أن البيذق النصاري القارئ كان يعرف حبابة ويدخل عليها بالحجاز، فلما صارت إلى يزيد بن عبد الملك وارتفع أمرها عنده، خرج إليها يتعرض

لمعروفها ويستميحها، فذكرته ليزيد واخبرته بحسن صوته. قال: فدعاني يزيد ليلة فدخلت عليه وهو على فرش مشرفة قد ذهب فيها إلى قريب من ثدييه، وإذا حبابة على فرش أخر مرتفعة، وهي تدونه، فسلمت فرد السلام، وقالت حبابة: يا أمير المؤمنين، هذا أبي. وأشارت إلي بالجلوس، فجلست وقالت لي حبابة: اقرأيا أبت. فقرأت فنظرت إلى دموعه تنحدر، ثم قالت: إيه ياأبت حدث أمير المؤمنين، وأشارت إلي أن غنه. فاندفعت في صوت ابن سريج:

من لصب مفند هائم القلب مقصد

فطرب والله يزيد فحذفني بمدهن فيه فصوص من ياقوت وزبرجد، فضرب صدري، فأشارت إلي حبابة: أن خذه. فأخذته فأدخلته كمي، فقال: يا حبابة ألا ترين ما صنع بنا أبوك، أخذ مدهننا فأدخله في كمه؟ فقالت: يا أمير المؤمنين ما أحوجه والله إليه! ثم خرجت من عنده فأمر لي بمائة دينار.

من لصب مفند هائم القلب مقصد

انت زودته الضنى بئس زاد المزود

ولو اني لا أرتجي ك لقد خف عودي

ثاويا تحت تربة رهن رمس بفدفد

غير أني أعلل الن فس باليوم أوغد

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان. وذكر الزبير بن بكار انه لجعفر بن الزبير، والغناء لابن سريج، خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وقال حماد: حدثني أبي عن مخلد بن خداش وغيره، أن حبابة غنت يزيد صوتاً لابن سريج، وهو قوله:

ما أحسن الجيد من مليكة وال لبات إذ زانها ترائبها

فطرب يزيد وقال: هل رأيت أحداً أطرب مني؟ قلت: نعم، ابن الطيار معاوية بن عبد الله بن جعفر، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحاك فحمل إليه، فلما قدم أرسلت إليه حبابة: إنما بعث إليك لكذا وكذا- واخبرته- فإذا دخلت عليه فلا تظهرن طرباً حتى أغنيه الصوت الذي غنيته. فقال:سواة على كبر سني؟ فدعا به يزدي وهو على طنفسة خز، ووضع لمعاوية مثلها، فجاءوا بجامين فيهما مسك فوضعت إحداهما بين يدي يزيد والأخرى بين يدي معاوية، فقال: فلم أدر كيف أصنع. فقلت: انظر كيف يصنع فاصنع مثله. فكان يقلبه فيفوح ريحه وأفعل مثل ذلك، فدعا بحبابة فغنت، فلما غنت ذلك الصوت أخذ معاوية الوسادة فوضعها على رأسه وقام يدور وينادي: الدخن بالنوى يعني اللوبيا. قال: فامر له بصلات عدة دفعات إلى أن خرج، فكان مبلغها ثمانية آلاف دينار.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: اخبرني الزبير بن أبي بكر، عن ظبية: أن حبابة غنت يوماً بين يدي يزيد فطرب ثم قال لها: هل رأيت قط اطرب مني؟ قالت: نعم، مولاي الذي باعني. فغاظه ذلك فكتب في حمله مقيداً، فلما عرف خبره أمر بإدخاله إليه، فأدخل يرسف في قيده، وامرها فغنت بغتةً:

تشط غداً دار جيراننا ... وللدار بعد غد أبعد

فوثب حتى القى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته، وجعل يصيح: الحريق يا أولاد الزنا! فضحك يزيد وقال: اعمري إن هذا لأطرب الناس! فأمر بحل قيوده، ووصله بألف دينار، ووصلته حبابة، ورده إلى المدينة.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال إسحاق: كان يزيد بن عبد الملك قبل ان تفضي إليه الخلافة، تختلف إليه مغنية طاعنة في السن تدعى أم عوف، وكانت محسنة، فكان يختار عليها:

متى أجر خائفاً تسرح مطيته ... وإن أخف آمنا تنبوبه الدار

سيروا إلي وأرخوا من أعنتكم ... إني لكل امرئ من وتره جار

فذكرها يزيد يوماً لحبابة، وقد كانت أخذت عنها فلم تقدر أن تطعن عليها إلا بالسن، فغنت:

أبى القلب إلا أم عوف وحبها ... عجوزاً ومن يحيي عجوزاً يفند

فضحك وقال: لمن هذا الغناء؟ فقالت: لمالك. فكان إذا جلس معها للشرب يقول: غنيني صوت مالك في أم عوف.

أخبرني احمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال: حدثني أبو غانم الزدي قال: نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام، ومعه حبابة فقال: زعموا انه لاتصفو لأحد عيشة يوماً إلى الليل إلا يكدرها شيء عليه، وسأجرب ذلك. ثم قال لمن معه: إذا كان غداً فلا تخبروني بيء ولا تأتوني بكتاب. وخلا هو وحبابة فأتيا بما يأكلان، فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت، فأقام لايدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وانتنت، وهو يشمها ويرشفها، فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه ، وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك! حتى اذن لهم في غسلها ودفنها، وامر فأخرجت في نطع، وخرج معها لايتكلم حتى جلس على قبرها، فلما دفنت قال: أصبحت والله كما قال كثير:

فإن يسل عنك القلب أو يدع الصبا ... فبالبأس يسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل راعني فهو قائل ... من أجلك: هذا هامة اليوم أو غد

فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها.

أخبرني أحمد قال: حدثني عمر قال: حدثني إسحاق الموصلي قال: حدثني الفضل بن الربيع عن، أبيه عن إبراهيم

بن جبلة بن مخرمة عن أبيه أن مسلمة بن عبد الملك قال: ماتت حبابة فجزع عليها يزيد، فجعلت أوسيه واعزيه، وهو ضارب بذقنه على صدره ما يكلمني حتى دفنها ورجع، فلما بلغ إلى بابه التفت إلي وقال:

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبا فباليأس تسلو عنك لابالتجلد

ثم دخل بيته فمكث أربعين يوماً ثم هلك.

قال: وجزع عليها في بعض أيامه فقال: انبشوها حتى أنظر غليها. فقيل: تصير حديثاً!! فرجع فلم ينبشها.

وقد روى المدائني أنه اشتاق غليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها، فقال: لابد من أن تنبش. فنبشت وكشف له عن وجهها وقد تغير تغيراً قبيحا فقيل له: يا امير المؤمنين، اتق الله، ألا ترى كيف قد صارت؟ فقال: ما رأيتها قط أحسن منها اليوم، أخرجوها. فجاءه مسلمة ووجوه أهله، فلم يزالوابه حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها، وانصرف فكمد كمداً شديداً حتى مات، فدفن إلى جانبها.

قال إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله الشفافي عن العباس بن محمد، ان يزيد بن عبد الملك أراد الصلاة على حبابة، فكلمه مسلمة في ان لايخرج وقال: أنا أكفيك الصلاة عليها. فتخلف يزيد ومضى مسلمة، حتى إذا مض الناس انصرف مسلمة وأمر من صلى عليها.

وروى الزبير، عن مصعب بن عثمان، عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: خرجت مع ابي إلى الشأم في زمن يزيد بن عبد الملك، فلما ماتت حبابة وأخرجت لم يستطع يزيد الركوب من الجزع ولا المشي، فحمل على منبر على رقاب الرجال، فلما دفنت قال: لم أصل عليها، انبشوا عنها. فقال له مسلمة: نشدتك الله يا أمير المؤمنين، إنما هي أمة من الإماء، وقد واراها الثرى! فلم يأذن للناس بعد حبابة إلا مرة واحدة. قال: فوالله ما استتم دخول الناس حتى قال الحاجب: أجيزوا رحمكم الله. و لم ينشب يزيد أن مات كمداً.

أخبرني احمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق قال حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي، قال: لما ماتت حبابة جزع عليها يزيد جزعاً شديداً، فضم جويرية لها كانت تخدمها إليه، فكانت تحدثه وتؤنسه، فبينا هو يوماً يدور في قصره إذ قال لها: هذا الموضع الذي كنا فيه. فتمثلت:

كفى حزناً للهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد يموت. ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات.

أيدعونني شيخاً وقد عشت حقبةً وهن من الأزواج نحوي نوازع

وما شاب رأسي من سنين تابعت علي ولكن شيبته الوقائع

الشعر لأبي الطفيل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيلأول بالوسطى، عن عمرو وغيره.

أخبار أبي الطفيل ونسبه

هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جدي بن يعد بن ليث بن بكربن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار.

وله صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية عنه. وعمر بعده عمراً طويلا؛ وكان مع أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وروى عنه أيضاً، وكان من وجوه سيعته، وله منه محل خاص يستغني بشهرته عن ذكره، ثم خرج طالباً بدم الحسين بن علي عليهما السلام، مع المختار بن أبي عبيد، وكان معه حتى قتل وأفلت هو، وعمر أيضاً بعد ذلك.

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن يويف بن أسوار الجمحي بمكة، قال: حدثنا يزيد بن ابي حكيم قال: حدثني يزيد بن مليل، عن أبي الطفيل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته، ويستلم الركن بمحجنه.

أخبرناه محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا أبو عاصم عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل بمثله، وزاد فيه: ثم يقبل المحجن.

حدثني أبو عبيد الله الصيرفي قال: حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال: حدثنا أبو نعيم عن بسام الصيرفي عن ابي الطفيل قال: سمعت علياً عليه السلام يخطب فقال: سلوني قبل أن تفقدوني. فقام إليه ابن الكواء، فقال: ما "الذاريات ذروا"؟ قال: الرياح. قال"فالجاريات يسرا"؟ قال: السفن. قال: "فالحاملات وقراً"؟ قال: السحاب. قال"فالمقسمات أمراً"؟ قال: الملائكة. قال: فمن "الذين بدلوا نعمة الله كفراً"؟ قال: الأفجران من قريش: بنو امية وبنو مخزوم. قال: فما كان ذو القرنين، أنبياً أم ملكاً؟ قال: كان عبداً مؤمناً- أو قال صالحاً - أحب الله وأحبه، ضرب ضربةً على قرنه الأيمن فمات، ثم بعث وضرب ضربة على قرنع الأيسر فمات. وفيكم مثله.

وكتب إلي إسماعيل بن محمد المري الكوفي يذكر أن أبا نعيم حدثه بذلك عن بسام. وذكر مثله أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: بلغني أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زنيم: أنشدني أفضل شعر قالته كنانة. فانشده قصيدة أبي الطفيل:

أيدعونني شيخاً وقد عشت برهةً ... وهن من الزواج نحوي نوازع

فقال له بشر: صدقت هذا أشعر شعرائكم. قال: وقال له الحجاج أيضاً: أنشدني قول شاعركم: أيدعونني شيخاً فأنشده إياه فقال: قالتله الله منافقاً، ما اشعره! حدثني أحمد بن عيسى العجلي الكوفي، المعروف بابن أبي موسى، قال: حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم قال: حدثني أبي قال حدثني عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال: سمعت ابن حذيم الناجي يقول: لما استقام لمعاوية أمره لم يكن شيء أحب إليه من لقاء أبي الطفيل عامرو بن العاص ونفر معه، فقال لهم معاوية: اما تعرفون هذا؟ هذا خليل ابي الحسن. ثم قال: يا أبا الطفيل ما بلغ من حبك لعلي؟ قال حيب أم موسى لموسى. قال: فما بلغ من بكائك عليه؟ قال: بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب ، وإلى

الله أشكو التقصير.

قال معاوية: إن أصحابي هؤلاء لو سئلوا عني ما قالوا: إذاً والله ما نقول الباطل. قال لهم معاوية: لا والله ولا الحق تقولون. ثم قال معاوية: وهو الذي يقول:

إلى رجب السبعين تعترفونني ... مع السيف في حواء جم عديدها

رجوف كمتن الطود فيها معاشر ... كغلب السباع نمرها وأسودها

كهول وشبان وسادات معشر ... على الخيل فرسان قليل صدودها

كأن شعاع الشمس تحت لوائها ... إذا طلعت اعشى العيون حديدها

يمورون مور الريح إما ذهلتم ... وزالت باكفال الرجال لبودها

شعارهم سيما النبي، وراية ... بها انتقم الرحمن ممن بكيدها

تخطفهم إياكم عند ذكرهم ... كخطف ضواري الطير طيراً تصيدها

فقال معاوية لجلسائه: أعرفتموه؟ قالوا: نعم، هذا أفحش شاعر وألام جليس. فقال معاوية: يا أبا الطفيل أتعرفهم؟ فقال: ما أعرفهم بخير، ولا أبعدهم من شر. قال: وقام خزيمة الأسدي فأجابه فقال:

إلى رجب أو غرة الشهر بعده ... نصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانون الفاً دين عثمان دينهم ... كتائب فيها جبرئيل يقودها

فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففي النار سقياه هناك صديدها

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، قال: لما رجع محمد بن الحنيفة من الشام حبسه ابن الزبير في سجن عارم، فخرج إليه جيش من الكوفة عليهم أبو الطفيل عامر بن وائلة، حتى أتوا سجن عارم فكسروه وأخرجوه، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب: أن يسير نساء كل من خرج لذلك. فأخرج مصعب نساءهم وأخرج فيهن أم الطفيل امرأة أبي الطفيل، وابناً له صغيراً يقال له يحيى، فقال أبو الطفيل في ذلك:

إن يك سيرها مصعب ... فإني إلى مصعب مذنب

أقود الكتيبة مستلماً ... كاني أخو عرة أجرب

علي دلاص تخيرتها ... وفي الكف ذو رونق مقضب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن فطربن خليفة قال: سمعت أبا الطفيل يقول: لم يبق من الشيعة غيري. ثم تمثل:

وخلفت سهماً في الكنانة وجداً ... سيرمى به أو يكسر السهم كاسره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو عاصم قال: حدثني أبو عاصم قال: حدثني شيخ من بني تيم اللات قال: كان أبو الطفيل مع المختار في القصر، فرمى بنفسه قبلأن يؤخذ وقال:

ولما رأيت الباب قد حيل دونه تكسرت باسم الله فيمن تكسرا

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا احمد بن عبد الله بن شداد الشابي قال: حدثني المفضل بن غسان قال: حدثني عيسى بن واضح، عن سليم بن مسلم المكي، عن ابن جريج عن عطاء قال: دخل عبد اله بن صفوان على عبد الله بن الزبير، وهو يومئذ بمكة، فقال: أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيام جائحة لا أبك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس، وعبيد الله أخوه يطعم الناس، فما بقيالك؟ فأحفظه ذلك فأرسل صاحب شرطته عبد الله بن مطيع فقال له: انطلق إلى ابني عباس فقل لهما: أعمدتما إلى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتماها، بددا عني جمعكما ومن ضوى إليكما من ضلال أهل العراق، وإلا فعلت وفعلت! فقال ابن عباس: قل لابن الزبير: يقول لك ابن عباس: ثكلتك أمك، والله ما يأتينا من الناس غير رجلين: طالب فقه أو طالب فضل، فأي هذين تمنع؟ فأنشأ أبو الطفيل عامر بن واثلة يقول:

لادر در الليالي كيف تضحكنا منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيام من غير يا ابن الزبير عن الدنيا يسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيقبسنا علماً ويكسبنا أجراً ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مترعةً جفانه مطعما ضيفاً ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما ننال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كشفت به عمايات باقينا وماضينا
ورهطه عصمة في ديننا ولهم فضل علينا وحق واجب فينا
ولست فاعلمه أولى منهم رحماً يا ابن الزبير ولا أولى به دينا
ففيم تمنعهم عنا وتمنعنا منهم، وتؤذيهم فينا وتؤذينا
لن يؤتى الله من أخزى ببغضهم في الدين عزاً ولا في الأرض تمكينا

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني بعض أصحابنا: أن أبا الطفيل عامر بن واثلة دعي في مادبة، فغنت فيها قينة قوله يرثي ابنه:

خلى طفيل علي الهم وانشعبا وهد ذلك ركني هدة عجبا

فبكى حتى كاد يموت.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي عن طلحة بن عبد الله الطلحي، عن أحمد بن إبراهيم: أن أبا الطفيل دعي إلى وليمة فغنت قينة عندهم:

خلى علي طفيل الهم وانشعبا ... وهد ذلك ركني هدة عجبا

وابني سمية لا انساهما أبداً ... فيمن نسيت وكل كان لي وصبا

فجعل ينشج ويقول: هاه هاه طفيل! ويبكي حتى سقط على وجهه ميتاً.

وأخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد عن ابيه بخبر أبي الطفيل هذا، فذكر مثل ما مضى، وزاد في الأبيات:

فاملك عزاءك إن رزء بليت به ... فلن يرد بكاء المرء ما ذهبا

وليس يشفي حزيناً من تذكره ... إلا البكاء إذا ما ناح وانتحبا

فإذ سلكت سبيلاً كنت سالكها ... ولا محالة ان يأتي الذي كتبا

فما لبطنك من ري ولا شبع ... ولا ظللت بباقي العيش مرتغبا

وقال حماد بن إسحاق حدثني ابي قال: حدثني أبو عبد الله الجمحي عن أبيه قال: بينا فتية من قريش بطن محسر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار، إذا أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها ، وهو يخطر في مشيته، فسلم ثم جلس، فقال له القوم: يا أبا عبد المنعم، لو غنيتنا؟ قال: نعم وكرامة اغتنيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب رايته، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان سيد قومه وشاعرهم. قالوا: ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فدتك أنفسنا؟ قال: ذلك أبو الطفيل عامر بن واثلة، ثم اندفع فغنى:

أيدعونني سيخاً وقد عشت حقبة ... وهن من الزواج نحوي نوازع

فطرب القوم وقالوا: ما سمعنا قط غناء أحسن من هذا.

وهذا الخبر يدل على ان فيه لحناً قديماً ولكنه ليس يعرف

لمن الدار اقفرت بمعان ... بين شاطي اليرموك فالصمان

فالقريات من بلاس فداري ... ا فسكاء فالقصور الدواني

ذاك مغنى لآل جفنة في الده ... ر وحق تصرف الأزمان

صلوات المسيح في ذلك الدي ... ر دعاء القسيس والرهبان

الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لحنين بن لوع، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.
وهذا الصوت من صدور الغاني ومختارها، وكان إسحاق يقدمه ويفضله. ووجدت في بعض كتبه بخطة قال: الصيحة التي في لحن حنين:

لمن الدار أقفرت بمعان

أخرجت من الصدر، ثم من الحلق، قم من الأنف، ثم من الجبهة، ثم نبرت فأخرجت من القحف، ثم نونت مردودة إلى النف، ثم قطعت.
وفي هذه الأبيات وأبيات غيرها من القصيدة الحان لجماعة اشتركوا فيها، واختلف أيضاً مؤلفو الأغاني في ترتيبها ونسبة بعضها مع بعض إلى صاحبها الذي صنعها، فذكرت ها هنا على ذلك وشرح ما قالوه فيها. فمنها:

قد عفا جاسم إلى بيت رأس — فالحواني فجانب الجولان
فحمى جاسم فأبنية الص — فر مغنى قنابل وهجان
فالقريات من بلاس فداريا — فسكاء فالقصور الدواني
قد دنا الفصح فالولائد ينظم — ن سراعاً أكلة المرجان
يتبارين في الدعاء إلى الل — ه وكل الذعاء للشيطان
ذاك مغنى لآل جفنة في الده — ر وحق تصرف الزمان
صلوات المسيح في ذلك الدي — ر دعاء القسيس والرهبان
قد أراني هناك حق مكين — عند ذي التاج مقعدي ومكاني

ذكر عمرو بن بانة ان لابن محرز في الأول من هذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل أول بالبنصر وذكر علي بن يحيى أن لابن سريج في الرابع والخامس رملا بالوسطى، وأن لمعبد فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيف ثقيل، ولمحمد بن إسحاق بن برثع ثقيل أول في الرابع والثامن.
وذكر الهشامي ان في الأول لمالك خفيف ثقيل، وواقفه حبش. وذكر حبش أن لمعبد في الأول والثاني والرابع ثقيلاً أول بالبنصر.

أخبار حسان وجبلة بن الأيهم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال: حدثني يوسف بن الماجشون عن أبيه قال: قال حسان بن ثابت: أتيت جبلة بن الأيهم الغساني وقد مدحته، فأذن لي فجلست بين يديه، وعن يمينه رجل له ضفيرتنان، وعن يساره رجل لا أعرفه، فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أما هذا فأعرفه، وهو النابغة ، وأما هذا فلا أعرفه. قال: فهو علقمة بن عبدة، فإن

شئت استنشدتهما وسمعت منهما، ثم إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت. قلت: فذاك. قال: فأنشده النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال: فذهب نصفي. ثم قال لعلقمة: أنشد. فأنشد:

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فذهب نصفي الآخر فقال لي: أنت أعلم، الآن إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت. فتشددت ثم قلت: لابل، أنشد. قال: هات. فأنشدته:

لله در عصابة نادمتها يوماً بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم كأساً تصفق بالرحيق السلسل

يغشون حتى ما تهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل

بيض الوجه كريمة أحسابهم شم النوف من الطراز الأول

فقال لي: انه، ادنه، لعمري ما أنت بدونهما. ثم أمر لي بثلثمائة دينار، وعشرة أقمصة لها جيب واحد، وقال: هذا لك عندنا في كل عام.

وقد ذكر ابو عمرو الشيباني هذه القصة لحسان ووصفها وقال: إنما فضله عمرو بن الحارث الأعرج، ومدحه بالقصيدة اللامية. واتى بالقصة اتم من هذه الرواية.

قال أبو عمرو: قال حسان بن ثابت: قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول علي غليه، فقلت للحاجب بعد مدة: إن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم. فأذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه، وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريعة، قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية، ولا أحتاج إلى الشعر، فإني أخاف عليك هذين السبعين: النابغة وعلقمة، أن يفضحاك، وفضيحتك فضيحتي، وانت والله لاتحسن أن تقول:

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

فأبيت وقلت: لابد منه. فقال: ذاك إلى عميك. فقلت لهما: بحق الملك إلا قدمتماني عليكما. فقالا: قد فعلنا. فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريعة. فأنشأت:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الحواني فالبضيع فحومل

فقال: فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول: هذا وابيك الشعر، لا ماتعللآني به منذ اليوم! هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح، أحسنت يا ابن الفريعة، هات له ياغلام ألف دينار مرجوحة وهي التي في كل دينار عشرة دنانير. فأعطيت ذلك ثم قال: لك علي في كل سنة مثلها.

ثم أقبل على النابغة فقال: قم يا زياد فهات الثناء المسجوع. فقام النابغة فقال: ألا انعم صباحاً أيها الملك المبارك، السماء غطاؤك، والأرض وطاؤك، ووالداي فداؤك، والعرب وقاؤك، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك، والمداره سمارك ، والمقاول إخوانك ، والعقل شعارك، والحلم دثارك، والسكينة مهادك، والوقار غشاؤك، والبروسادك، والصدق رداؤك، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك، والحمية بطانتك، والعلاء علايتك ، وأكرم الأحياء أحياؤك ، واشرف الأجداد أجدادك، وخير الآباء آباؤك، وأفضل الأعمام اعمامك، وأسرى الأخوال أخوالك، واعف النساء حلائلك، وأفخر الشبان أبناؤك، وأطهر الأمهات أمهاتك، واعلى النيان بنيانك، واعذب المياه أمواهك، وافيح الدارات داراتك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك، قد حالف الإضريج عاتقيك ، ولاءم المسك مسكك وجاور العنبر ترائبك، وصاحب النعيم جسدك. العسجد آنيتك، واللجين صحافك، والعصب مناديلك ، والحواري طعامك ، والشهد إدامك، واللذات غذاؤك ، والخرطوم شرابك ، والأبكار مستراحك، والأشراف مناصفك ، والخير بفنائك، والشر بساحة اعدائك، والنصر منوط بلوائك، والخذلان مع ألوية حسادك، والبر فعلك. قد طحطح عدوكغضبك ، وهزم مغايبهم مشهدك ؛ وسار في الناس عدلك، وشسع بالنصر ذكرك وسكن قوارع الأعداء ظفرك. الذهب عطاؤك، والدواة رمزك ، والأوراق لحظك وإطراقك، وألف دينار مرجوحة إنماؤك .

أيفاخرك المنذر اللخمي، فوالله قفاك خير من وجهه، ولشمالك خير من يمينه، ولأخمصك خيرمن رأسه ، ولخطاؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه، ولأمك خير من أبيه، ولخدمك خير من قومه. فهب لي أسارى قومي، واسترهن بذلك شكري ؛ فإنك من أشراف قحطان، وأنا من سروات عدنان.

فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه وقال: بمثل هذا فليثن على الملوك، ومثل ابن الفريعة فليمدحهم! وأطلق له أسرى قومه.

وذكر ابن الكلبي، هذه القصة نحو هذا وقال: فقال له عمرو: اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعراً فإنه أسير . فقال:

ونبئت أن أبا منذر	يساميك للحدث الأكبر
قذالك أحسن من وجهه	وامك خير من المنذر
ويسراك أجود من كفه ال	يمين فقولا له أخر

وقد ذكر المدائني أن هذه الأبيات والسجع الذي قبلها لحسان، وهذا أصح.

قال أبو عمرو الشيباني: لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جفنة، كتب إلى عمرو رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له عمر فخرج غليه في خمسمائة من اهل بيته، من عك وغسان، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه، فسر عمر رضوان الله عليه، وأمر الناس باستقباله، وبعث إليه بأنزال ، وامر جبلة مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحرير، وركبوا الخيول معقودة أذنابها، وألبسوها قلائد الذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية- وهي جدته- ودخل المدينة، فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا تبرجت وخرجت تنظر إليه وإلى زيه، فلما انتهى إلى عمر رحب به والطفه وادنى مجلسه، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم، إذ وطىء إزاره رجل من بني فزارة فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري، فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه، فبعث إلى جبلة فأتاه فقال: ما هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إنه تعمد حل إزاري، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف! فقال له عمر: قد أقررت فإما أن رضي الرجل وإما أن قيده منك. قال جبلة: ماذا تصنع بي؟ قال: آمر بهشم أنفك كما فعلت. قال: وكيف ذاك ياأمير المؤمنين، وهو سوقة وأنا ملك؟ قال: إن الإسلام جمعك وإياه، فلست تفضله بشيء إلا بالتقى والعافية!! قال جبلة: قد ظننت يا أمير المؤمنين أني اكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية. قال عمر: دع عنك هذا فإنك إن لم ترضى الرجل أقدته منك. قال: إذا أتنصر. قال: إن تنصرت ضربت عنقك، لآنك قد أسلمت، فإن ارتددت قتلتك. فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال: أنا ناظر في هذا ليلتي هذه. وقد اجتمع بباب عمر من حي هذا وحي هذا خلق كثير، حتى كادت تكون بينهم فتنة، فلما أمسوا أذن له عمر في الانصراف، حتى إذا نام الناس وهدءوا تحمل جبلة بخيله ورواحله إلى الشأم، فأصبحت مكة وهي منهم بلاقع، فلما انتهى إلى الشأم تحمل في خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية، فدخل إلى هرقل، فتنصر هو وقومه، فسر هرقل بذلك جداً وظن أنه فتح من الفتوح عظيم، وأقطعه حيث شاء، وأجرى عليه من النزل ما شاء، وجعله من محدثيه وسماره. هكذا ذكر أبو عمرو.

وذكر ابن الكلبي أن الفزاري لما وطئ إزار جبلة لطم جبلة كما لطمه، فوثبت غسان فهشموا أنفه واتو به عمر، ثم ذكر باقي الخبر نحو ما ذكرناه.

وذكر الزبير بن بكار فيما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدثه عن أبيه: أن جبلة قدم على عمر رضي الله عنه في ألف من أهل بيته فأسلم. قال: وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام، فسب المديني فرد عليه، فلطمه جبلة فلطمه المديني، فوثب عليه أصحابه فقال: دعوه حتى أسأل صاحبه وأنظر ما عنده. فجاء إلى عمر فأخبره فقال: إنك فعلت به فعلاً ففعل بك مثله. قال: أو ليس عندك من الأمر إلا ما أرى. قال: لافما الأمر عندك يا جبلة؟ قال: من سبنا ضربناه، ومن ضربنا قتلناه. قال: إنما أنزل القرآن بالقصاص. فغضب وخرج بمن معه ودخل أرض الروم فتنصر، ثم ندم وقال:

تنصرت الأشراف من عار لطمة

وذكر الأبيات، وزاد فيها بعد:

وميا ليت لي بالشأم أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع و البصر

أدين بما دانوا به من شريعة وقد يحبس العود الضجور على الدبر

وذكر باقي خبره فيما وجه به إلى حسان مثله، وزاد فيه: أن معاوية لما ولي بعث إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، ووعده إقطاع الغوطة بأسرها، فأبى و لم يقبل.

ثم إن عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الله جل وعز إلى الإسلام، ووجه إليه رجلاً من أصحابه، وهو جثامة بن مساحق الكناني، فلما انتهى إليه الرجل بكتاب عمر أجاب إلى كل شيء سوى الإسلام فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل: هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا؟ قال: لا. قال: فالقه. قال الرجل: فتوجهت إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر بباب هرقل مثله، فلما أدخلت عليه إذا هو في بهو عظيم، وفيه من التصاوير مالا أحسن وصفه، وإذا هو جالس على سرير من قوارير، قوائمه أربعة أسد من ذهب، وإذا هو رجل أصهب سبال وعثنون، وقد امر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس، فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح، فما رأيت أحسن منه. فلما سلمت رد السلام ورحب بي، وألطفني ولامني على تركي النزول عنده، ثم أقعدني على شيء لم أثبته، فإذا هو كرسي من ذهب، فانحدرت عنه فقال: مالك؟ فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا. فقال جبلة أيضا مثل ثولي في النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكرته، وصلى عليه. ثم قال: يا هذا إنك إذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ماجلست عليه. ثم سألني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر، ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجهه، فقلت: ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام؟ قال: أبعد الذي قد كان؟ قلت: قد ارتد الأشعث بن قيس.
ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع إلى الإسلام. فتحدثنا مليا ثم أومأ إلى غلام على رأسه فولي يحضر، فما كان إلا هنيهة حتى أقبلت الأخونة يحملها الرجال فوضعت، وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي فاستعفيت منه، فوضع أمامي خوان خلنج وجامات قوارير ، وأديرت الخمر فاستعفيت منها، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب به خمساً عدداً. ثم أومأ إلى غلام فولي يحضر، فما شعرت إلا بعشر جوار يتكسرن في الحلي، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم سمعت وسوسة من ورائي، فإذا أنا بعشر أفضل من الأول عليهن الوشي والحلي، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، وأقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة، مؤدب، وفي يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خلطا وانعم سحقهما، وفي اليسرى جام فيه ماء ورد، فألقت الطائر في ماء الورد، فتمعك بين جناحيه وظهر بطنه ، ثم اخرجته فألقته في جام المسك والعنبر، فتمعك فيها حتى لم يدع فيها شيئاً، ثم نفرته فطار فسقط على تاج جبلة، ثم رفرف ونفض ريشه فما بقي عليه شيء إلا سقط على رأس جبلة، ثم قال للجواري: أطربني. فخفقن بعيد انهن يغنين:

لله در عصابة نادمتها يوماً بجلق في الزمان الأول
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم النوف من الطراز الول
يغشون حتى ما تهر كلابهم لايسألون عن الواد المقبل

فاستهل واستبشر وطرب ثم قال: زدني. فاندفعن يغنين:

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصمان
فحمى جاسم فأبنيه الصفر مغنى قنابل وهجان
فالقريات من بلاس فداريا فسكاء فالقصور الدواني
ذاك مغنى لآل جفنة في الد ار وحق تعاقب الأزمان
قد دنا الفصح فالولائد ينظم ن سراعاً أكلة المرجان
لم يعللن بالمغافير والصم غ ولانقف حنظل الشريان
قد أراني هناك حقا مكيناً عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فقال: أتعرف هذه المنازل؟ قلت: لا. قال: هذه منازلنا في ملكنا بأكتاف دمشق، وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: أما إنه مضرور البصر كبير السن. قال: يا جارية هاتي. فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب من الديباج، فقال: ادفع هذا إلى حسان وأقرئه مني السلام.

ثم أرادني على مثلها، فأبيت فبكى، ثم قال لجواريه: أبكينني. فوضعن عيدانهن وأنشأن يقلن:

تنصرت الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكفني فيها لجاج ونخوة وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قال لي عمر

ويالينتي أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويالليت لي بالشأم أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم بكى وبكيت معه حتى رأيت دموعه تحول على لحيته كانها اللؤلؤ، ثم سلمت عليه وانصرفت، فلما قدمت على عمر سألني عن هرقل وجبلة، فقصصت عليه القصة من أولها غلى آخرها، فقال: أو رأيت جبلة يشرب الخمر؟ قلت: نعم. قال: أبعده الله، تعجل فانية اشتراها باقية، فلما ربحت تجارته، فهل سرح معك شيئاً؟ قلت: سرح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج. فقال: هاتها. وبعث إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا

فسلم، وقال: يا أمير المؤمنين، إني لأجد لأرواح آل جفنة. فقال عمر رضي الله عنه: قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم أنفه، وأتاك بمعونة. فانصرف عنه وهو يقول:

إن ابن جفنة من بقية معشر — لم يغذهم آباؤهم باللوم

لم ينسني بالشأم إذ هو ربها — كلا ولا متنصراً بالروم

يعطى الجزيل ولا يراه عنده — إلا كبعض عطية المذموم

وأتيته يوماً فقرب مجلسي — وسقىفرواني من الخرطوم

فقال له رجل مجلس عمر: أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم؟! فقال: ممن الرجل؟ قال: مزني. قال: أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة. وقال: ما كان خليلي ليخل بي، فما قال لك؟ قال: قال إن وجدته حيا فادفعها إليه، وإن ودته ميتاً فاطرح الثياب على قبره، وابتع بهذه الدنانير بدنا فانحرها على قبره. فقال حسان: ليتك وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي؟ أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: قال لي عبد الرحمن بن عبد الله الزبيري: قال الرسول الذي بعث به إلى جبلة. ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجامين والطائر الذي تمعك فيهما، وذكر قول حسان:

إن ابن جفنة من بقية معشر

ولم يذكر غير ذلك. هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر.

وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: قال عبد الله بن سعدة الفزاري: وجهني معاوية إلى ملك الروم، فدخلت عليه، فإذا عنده رجل على سرير من ذهب دون مجلسه، فكلمني بالعربية فقلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا رجل غلب عليه الشقاء، أنا جبلة بن الأيهم، إذا صرت إلى مترلي فألقني. فلما انصرف وانصرفت أتيته في داره فألفيته على شرابه، وعنده قينتان تغنيانه بشعر حسان بن ثابت:

قد عفا جاسم إلى بيت رأس — فالحواني فجانب الجولان

وذكر الأبيات. فلما فرغتا من غنائهما أقبل علي ثم قال: ما فعل حسان بن ثابت؟ قلت: شيخ كبير قد عمي. فدعا بألف دينار فدفعها إلي، وأمرني أن أدفعها إليه ثم قال: أترى صاحبك يفي لي إن خرجت إليه؟ قال: قلت قل ما شئت أرعضه عليه. قال: يعطيني الثنية فإنها كانت منازلنا، وعشرين قرية من الغوطة منها داریاوسكاء، ويفرض لجماعتنا ويحسن جوائزنا. قال: قلت أبلغه. فلما قدمت على معاوية قال: وددت أنك أجبته إلى ما سأل فأجزته له. وكتب إليه معاوية يعطيه ذلك، فوجده قد مات.

قال: وقدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيت حسان فقلت: يا أبا الوليد، صديقك جبلة يقرأ عليك السلام. فقال: هات ما معك. قلت: وما علمك أن معي شيئاً، قال: ما أرسل إلي بالسلام قط إلا ومعه شيء. قال: فدفعت إليه المال.

أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم قال: حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه، عن أهل المدينة قالوا: بعث جبلة إلى حسان بخمسمائة دينار وكسى وقال للرسول: إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره. فجاء فوجده حياً، فأخبره فقال: لوددت أنك وجدتني ميتاً.

تنصرت الأشراف من عار لطمة وكا كان فيها لو صبرت لهاضرر

الأبيات الخمسة.

الشعر لجبلة بن الأيهم، والغناء لعريب نصب خفيف، وبسيط رملي بالوسطى. ومنها:

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللوم

الأبيات الأربعة الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لعيرب، هزيج بالبنصر.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عمر يوسف بن محمد قال: حدثني عمر إسماعيل بن أبي محمد قال: قال الواقدي: حدثني محمد بن صالح قال: كان حسان بن ثابت يغدو على جبلة بن الأيهم سنة ويقيم سنة في اهاه، فقال: لو وفدت على الحارث بن أبي شمر الغساني، فإن قرابة ورحماً بصاحبي، وهو أبذل الناس للمعروف، وقد يئس مني أن أفد عليه، لما يعرف من انقطاعي إلى جبلة.

قال: فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة، حتى قدمت على الحارث وقد هيأت له مديحاً، فقال: لي حاجبه، وكن لي ناصحاً: إن الملك قد سر بقدومك عليه، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة، فإياك أن تقع فيه فإنه إنما يختبرك، وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك؛ وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه فلا تبتديء بذكره، وإن سألك عنه فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعبه، امسح ذكره مسحاً، وجاوزه إلى غيره، فإن صاحبك- يعني جبلة- أشد إغضاء عن هذا من هذا ، أي أشد تغافلاً وأقل حفلاً به، وذلك أن صاحبك أعقل من هذا وأبين، وليس لهذا بيان، فإذا دخلت عليه فسوف يدعوك إلى الطعام، وهو رجل يثقل عليه أن يؤكل طعامه ولا يبالي الدرهم والدينار، ويثقل عليه أن يشرب شرابه أيضاً؛ فإذا وضع طعامه فلا تضع يدك حتى يدعوك، وإذا دعاك فأصب من طعامه بعض الإصابة. قال: فشكرت لحاجبه ما أمرني به.

قال: ثم دخلت عليه فسألني عن البلاد وعن الناس، وعن رجال يهود، وكيف ما بيننا من تلك الحروب. فكل ذلك أخبره حتى انتهى إلى ذكر جبلة، فقال: كيف تجد جبلة، فقد انقطعت إليه وتركتنا؟ فقلت: إن جبلة منك وانت منه. فلم أجر إلى مدح ولا عيب، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال: الغداء. فأتى بالغداء ووضع الطعام، فوضع يده فأكل أكلاً شديداً، وإذا رجل جبار، فقال بعد ساعة: ادن فأصب من هذا .فدنوت فخططت تخطيطاً، فأتي بطعام كثير، ثم رفع الطعام وجاء وصفاء كثير عددهم، معهم الأباريق فيها ألوان الأشرابة. ومعهم مناديل اللين فقاموا على رؤوسنا، ودعا أصحاب برابط من الروم فأجلسهم وشرب فألهوه، وقام الساقي على رأسي فقال: اشرب. فأبيت حتى قال هو: اشرب. فشربت، فلما أخذ فينا الشراب أنشدته شعراً فأعجبه ولد به، فأقمت عنده

أياماً فقال لي حاجبه: إن له صديقاً هو أخف الناس عليه، وهو جاء، فإذا هو جاء جفاك وخلص به وقد ذكر قدومه، فاستأذنة قبل أن يقدم عليه، فإنه قبيح أن يجفوك بعد الأكرام، والإذن اليوم أحسن. قلت: ومن هو؟ قال: نابغة بني ذبيان. فقلت للحارث: إن رأى الملك أن يأذن لي في الانصراف إلى أهلي فعل. قال: قد أذنت لك وأمرت لك بخمسمائة دينار وكسى وحملان . فقبضتها وقدم النابغة وخرجت إلى اهلي.

ألاإن ليلى العامرية أصبحت — على النأي مني ذنب غيري تتقم
وما ذاك من شيء أكون اجتر منه — إليها فتجزبني به حيث أعلم
ولكن إنساناً إذا مل صاحباً — وحاول صوماً لم يزل يتجرم
وما زال بي ما يحدث النأي والذي — أعالج حتى كدت بالعيش أبرم
وما زال بي الكتمان حتى كأنني — برجع جواب السائلي عنك أعجم
لأسلم من قول الوشاة وتسلمي — سلمت وهل حي من الناس يسلم

عروضه من الطويل. الشعر لنصيب، ومن الناس من يروي الثلاثة الأبيات الأول للمجنون. والغناء لبديح مولىعبد الله بن جعفر رحمهماالله.

وفي الأبيات الأول منها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحبش. وذكره حماد بن إسحاق و لم يجنسه. وفيه لابن سريج هزج خفيف بالبنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الأخيرين. وفيه لمعبد في البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

خبر بديح في هذا الصوت وغيره

بديح مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال له بديح المليح. وله صنعة يسيرة وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر، ونشيط، وطويس، وهذه الطبقة. وقد روى بديح الحديث عن عبد الله بن جعفر.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: حدثنا أبو عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء، عن عيسى بن عمر بن موسى، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال:

لما قدم يحيى بن الحكم المدينة دخل إليه عبد الله بن جعفر في جماعة فقال له يحيى: جئتني بأوباش من أوباش خبثة ؟ فقال عبد الله: سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها أنت خبثة ؟! أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: قال دواد بن جميل حدثني من سمع هذا الحديث من ابن العتبي يذكره عن أبيه قال: دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار؟ قال: لست صاحب هزل، والجد مع علتي أحجى بي. قال: وما علتك يا أمير المؤمنين؟ قال: هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه، فبلغ مني. قال: فإن بديحا مولاي أرقى الناس منه. فوجه إليه عبد الملك

فلما مضر الرسول سقط في يدي ابن جعفر وقال: كذبة قبيحة عند خليفة. فما كان باسرع من أن طلع بديح فقال: كيف رقيتك من عرق النسا. قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين. قال: فسري عن عبد اللهللأن بديحاً كان صاحب فكاهة يعرف بها؛ فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر، وجدت والله خفا ، يا غلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجها بالليل فلا نذعر بديحا. فلما جاءت الجارية قال بديح: يا أمير المؤمنين، أمراته الطلاق إن كتبتها حتى تجعل حبائي. فأمر له بأربعة آلاف درهم فلما صارالمال بين يديه قال: وامرأته الطلاق إن كتبتها أو يصير المال إلى مترلي. فأمر به فحمل إلى مترله، فلما أحرزه قال: ياأمير المؤمنين، امرأته الطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت على النأي مني ذنب غيري تنقم

وذكر الأبيات وزارد فيها:

وما زلت أستصفي لك الود أبتغي محاسنة حتى كأني مجرم

قال: ويلك ما تقول؟ قال امرأته الطلاق إن كان رقاك إلا بما قال: فاكتمها علي. قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر؟! فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبه قال: حدثني الأصمعي عن المنتجع النبهاني، عن أبيه بهذا الخبر مثل الذي قبله. وزاد في الشعر:

فلا تصر ميني حين لالي مرجع ورائي ولا لي عنكم متقدم

وقال فيه: فسكن ما كان يجده عبد الملك، وأمر لبديح بأربعة آلاف درهم، فقال ابن جعفر لبديح: ما سمعت هذا الغناء منك مذ ملكتك! فقال: هذا من نتف سائب خاثر.

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر قال حدثني القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن نافع- أراه نافع الخير مولى ابن جعفر- بهذا الخبر مثله، وزارد فيه أن بديحا رفع صوته يغنيه به لما قال له أن يكتب الرقية. وزاد فيه: فجعل عبد الملك يقول: مهلاً يابديح. فقال: إنما رقيتك كما علمت يا امير المؤمنين.

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو سلمة الغفاري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: كان ابن جعفر يحب أن يسمع عبد الملك غناء بديح، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبد الملك ركبته فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إن لي مولى كانت أمه بربرية، وكنت ترقى من هذه العلة، وقد أخذ ذلك عنها. قال: فادع به. فدعي بديح، فجعل يتفل على ركبة عبد الملك ويهمهم، ثم قال: قم يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك. فقام عبد الملك لايجد شيئاً، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين مولاك لابد له من صلة. قال: حتى تكتب رقيته ثم أمر جاريةً له فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم. قال: كيف تكون ويلك رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: فاكتبيها على مافيها. فأملى عليها:

ديار سليمى بين عيقة فالمهدي سقيت، وإن لم تنطقي، سبل الرعد

ثم قال له ابن جعفر: لو سمعته منه. قال: أو يجيد؟ قال:نعم. قال: هات. فما برح والله حتى أفرغها في مسامعه.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ قال:كنا عند أبي نعيم الفضل بن دكين فجاءه رجل فقال: يا أبا نعيم، إن الناس يزعمون أنك رافضي. قال: فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه وهو يبكي وقال: يا هذا أصبحت فيكم كما قال نصيب:

وما زال بي الكتمان حتى كأنني نرجع جواب السائلي عنك أعجم

لأسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي من الناس يسلم

ياغراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

إن للخير وللشر مدى لكلا ذينك وقت وأجل

كل بؤس ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكل

والعطيات خساس بينهم وسواء قبر مثر ومقل

الشعر لعبد الله بن الزبعري السهمي، يقوله في غزاة أحد، وهو يومئذ مشرك. والغناء لابن سريج خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو على مذهب إسحاق. وفيه لحن لابن مسجح من رواية حماد عن ابيه في كتاب ابن مسجح.

نسب ابن الزبعري وأخباره

وقصة غزوة أحد

هو عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن زار.

وهو أحد شعراء قريش المعدودين. وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش في شعره، ثم أسلم بعد ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم إسلامه وأمنه يوم الفتح.

وهذه الأبيات يقولها ابن الزبعري في غزوةأحد.

حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حيان ، وعاصم بن عمرو بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمروبن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث، فقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت من الحديث عن يوم احد. قالوا: لما أصيبت قريش، أو من قاله منهم يوم

بدر من كفار قريش، من أصحاب القليب، فرجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك ثأراً ممن أصيب منا. فعلوا، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، وكل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وكان في الأسارى فقال: يار رسول الله، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامنن علي صلى الله عليك فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقال صفوان بن أمية: يا أباعزة، إنك امرؤ شاعر فاخرج معنا فأعنا بنفسك. فقال: إن محمداً قد من علي، فلا أريدأن أظاهر عليه. فقال: بلى فأعنا بنفسك، ولك الله إن رجعت أن أعينك، وإن أصبت أن جعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر. فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة، وخرج مسافع بن عبدة بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا جبير بن مطعمغلاماً يقال له وحشي، وكان حبشياً ثقذف بحربة له قذف الحبشة، قلما يخطيء بها، فقال:اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت عم محمد بعمى طعيمة بن عدي فأنت عتيق. وخرجت قريش بحدها وأحابيشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا بالظعن التماس الحفيظة، ولئلا يفروا. وخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس، معههند بنت عتبة بن ربيعة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة-وقيل ببرة من قول أبي جعفر- بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية، وهي أم عبد الله بن صفوان. وخرج عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الداربسلافة بنت سعد بن شهيل ، وهي أم بني طلحة: مسافع، والجلاس، وكلاب، قتلوا يومئذ وأبوهم. وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزة بن عمير، وهي أم مصعب بن عمير. وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة.

وكانت هند بنت عتبة بين ربيعة إذا مرت بوحشي أو مربها قالت: إيه أبا دسمة اشتف . فنزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلواحيث نزلوا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين: إني قد رأيت بقراً تذبح فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلما،ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، وهي المدينة ، فإن رأيتم أت تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا فيها قاتلناهم.

ونزلت قريش مترلها من أحد يوم الأربعاء، فأقاموا به ذلك اليوم ويم الخميس ويموم الجمعة، وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد، فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال. وكان رأي عبد الله بن أبي سول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يرى رأيه في ذلك: أن لايخرج إليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة، فقال رجال من المسامين، ممن أكرم الله جل ثناؤه بالشهادة يوم وأحد وغيرهم ممن فاته بدر وحضوره: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اخرج بنا إلى أعدائنا لايرون أنا جبنا عنهم وضعفنا. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة، ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا، ولا يدخلها علينا إلا أصبنا منهم، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل برسول الله صلة الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء العدو، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة، حين فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة. وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، أحد بني النجار فصلى علية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس: وقالوا أستكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يكن ذلك لنا! فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا: يا رسول الله اسكرهناك و لم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك. فقال عليه السلام: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل قال: فخرج رسول الله صلى الله عيه وسلم في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشرط، بين أحد والمدينة، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس، وقال أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس. فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه، من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أحد بني سلمة يقول: ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم.فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لانرى أنه يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عز وجل عنكم.

وقال محمد بن عمر الواقدي: انخزل عبد الله بن أبي عن رسول الله صلى الله عيه وسلم من الشيخين بثثمائة، فبقي رسول الله صالى الله عليه وسلم في سبعمائة، وكان المشركون في ثلاثة آلاف، والخيل مائتا فارس، والظعن خمس عشرة امرأة.

قال: وكان في المشركين سبعمائة دارع، و لم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي. فادلج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيخين حتى طلع الحمراء، وهما أطمان كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدثان، فلذلك سميا الشيخين، وهما في طرف المدينة.

قال: وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقاتلة بعد المعزب، فأجاز من أجاز، ورد من رد. قال: وكان فيمن

ردزيد بن ثابت، وأبو عمرو أسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وعرابة بن أوس. قال: وهو عرابة الذي قال فيه الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

قال: ورد أبا سعيد الخدري، وأجاز سمرة بن جندب، ورافع بن خديج. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استصغر رافعاً، فقام على خفين له فيهما رقاع، وتطاول على أطراف أصابعه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أجازه.

قال محمد بن جرير: فحدثني الحاث قال: حدثنا ابن سعد قال: أخبرني محمد بن عمر قال: كانت أم سمرة تحت مري بن سنان بن ثعلبة . عم أبي سعيد الخدري، وكان ربيه ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر، رد سمرة بن جندب، واجاز رافع بن خديج، فقال سمرة لربيبه مري بن سنان: أجاز رافعاً وردني وأنا أصرعه! فقال يا رسول الله: رددت ابني واجزت رافع بن خديج وابني يصرعه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرافع وسمرة: اصطرعا. فصرع سمرة رافعاً، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشهدها مع المسلمين، وكان دليل النبي صلى الله عليه وسلم أبو خيثمة الحارثي.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بني حارثة، فذب فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف فاسته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-وكان يحب الفأل ولا يعتاف- لصاحب السيف: شم سيفك فإني أرى السيوف ستستل اليوم! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:"من رجل يخرج بنا على القوم من كثب من طريق لايمر بنا عليهم؟"، فقال أبوخيثمة، أخو بني حارثة بن الحارث: انا يا رسول الله. فقدمه فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم، حتى سلكبه في مال المربع بن قيظي، وكان رجلاً منا فقاً ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يحثي التراب في وجوههم ويقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي. قال: وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده قم قال: لو أني أعلم أني لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك! فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم"لاتفعلوا فهذا الأعمى البصر الأعمى القلب!" وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فضربه بالقوس في رأسه فشجه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه حتى نزل السعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتلن أحد أحداً حتى نأمره بالقتال. وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمعة من قناة للمسلمين، فقال رجل من المسلمين حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال: أترعى زروع بني قيلة

ولما نضارب! وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سبعمائة رجل، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فارس قد جنبوا خيولهم، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف، وهو يومئذ معلم بثياب بيض، والرماة خمسمون رجلاً، وقال: انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فأثبت بمكانك لا تؤتين من قبلك. وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين.

قال محمد بن جرير: فحدثنا هارون بن إسحاق قال: حدثنا مصعب بن المقدام قال: حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال: لما كان يوم أحد ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً بإزاء الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم: لاتبرحوا مكانكم وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا.

فلما لقي القوم هزم المشركين، حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخيلهن فجعلوا يقولون: الغنيمة الغنيمة!! فقال عبد الله: مهلاً أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبو فانطلقوا، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأصيب من المسلمين سبعون رجلاً.

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال:

أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحداً، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الناس فاجتمعوا، وأمر الزبير على الخيل، ومعه يومئذ المقداد الكندي، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية رجلاً من قريش يقال له مصعب بن عمير، وخرج حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بالجيش، وبعث حمزة بين يديه. وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين، ومعه عكرمة بن أبي جهل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير، وقال: استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أوذنك. وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر، فقال: لاتبرحن حتى أوذنكم. وأقبل أبو سفيان يحمل الآت والعزى، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل، فحمل على خالد بن الوليد فهزمه الله تعالى ومن معه، فقال جل وعز:"ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه" إلى قوله تبارك اسمه وتعالى"من بعدما أراكم ما تحبون" وإن الله تعالى وعد المؤمنين النصر وأنه معهم. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناساً من الناس فكانوا من ورائهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كونوا ها هنا، فردوا وجه من فرمنا وكونوا حرساً لنا من قبل ظهورنا. وإنه عليه السلام لما هزم القوم هو وأصحابه قال الذين كانوا جعلوا من ورائهم بعضهم لبعض-ورأوا النساء مصعدات في الجبل، ورأو الغنائم-: انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدركوا الغنائم قبل أن تسبقوا إليها. وقالت طائفة أخرى: بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا. فقال ابن مسعود: ما شعرت أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ.

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن الفضل قال حدثنا أسباط عن السدي قال: لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد إلى المشركين أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لهم:لاتبرحوا مكانكم إن رأيتم قد هزمناهم، فإنا لانزال غالبين ما ثبتم مكانكم. وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير. ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معاشر أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله عز وجل تعجلنا بسيوفكم إلى النار، وتعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقالم إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله عز وجل بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة! فضربه علي فقطع رجله فبدت عورته فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عم. فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لعلي وأصحابه: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته، فاستحييت منه. ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فهزموا أبا سفيان، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع ، فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتبهونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم: لانترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله، ثم حمل فقتل الرماة، وحمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم.

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقالم إليه رجال، فأمسكه بينهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال: وما حقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به في العدو حتى ينحني . فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله. فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلم على رأسه بعصابة له حمراء علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أخذ عصابته تلك فعصب بها رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفين.

قال محمد بن إسحاق: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن. وقد أرسل أبو سفيان رسولاً فقال: يا معشر الأوس والخزرج، خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم، فإنه لاحاجة بنا إلى قتالكم. فردوه بما يكره.
وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن أبا عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية، أحد

بني ضبيعة وقد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاماً من الأوس، منهم عثمان بن حنيف-وبعض الناس يقول: كانوا خمسة عشر- فكان يعد قريشاً أن لو قد لقي محمداً لم يختلف عليه منهم رجلان. فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عمر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر.

قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق. فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شر! ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم راضخهم بالحجارة . وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وغنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فسنكفيكموه، فهموا به وتوعدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك الذي أراد أبو سفيان. فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها، وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال، ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:

إن تقبلوا نعانق ونفوس النمارق

أو تدبروا تفارق فراق غير وامق

وتقول:

إيهاً بني عبد الدار أيها حماة الأدبار

ضرباً بكل بتار

واقتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس، وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب عليهما السلام في رجال من المسلمين، فأنزل الله نصره، وصدقهم وعده، فحسوهم بالسيف حتى كشفوهم، وكانت الهزيمة.

وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن جده قال قال الزبير: والله لقد رأيتني أنظر إلى هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذا مالت الرماة إلى الكر حتى كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من ادبارنا وصرخ صارخ: ألا إن محمد قد قتل: فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو إليه أحد من القوم.

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش فلا ذوابها، وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة جشي، فكان آخر من أخذه منهم، فقاتل حتى قطعت يداه، فبرك عليه وأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول: اللهم قد أعذرت! فقال حسان بن ثابت في قطع يد صواب حين تقادفوا بالشعر:

فخرتم باللواء وشر فخر لواء حين رد إلى صواب
جعلتم فخركم فيها لعبد من الأم من وطي عفر التراب
ظننتم والسفيه له ظنون وما إن ذاك من أمر الصواب
بأن جلادنا يوم التقينا بمكة بيعكم حمر العياب
أقر العين إن عصبت يداه وما أن يعصبان على خضاب

قال محمد بن جرير: وحدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حبان بن علي عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه عن جده قال:

لما قتل أصحاب الأولوية يوم أحد-قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام- أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم. فحمل علي ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله بن الجمحي، ثم أبصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعلي؛ احمل. فحمل علي ففرق جمعهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل عليه السلام: يار رسول الله إن هذه للمواساة . فقال رسول الله صالى الله عليه وسلم"هو مني وأنا منه"، فقال جبريل عليه السلام:وانا منكم! قال: فسمعوا صوتاً:

لاسيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

فلما أتي المسلمون من خلفهم انكشفوا، وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً: وثلث جريح، وثلث منهزم وقد جهدته الحرب حتى ما يدري ما يصنع. وأصيبت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى، وسقت شفته، وكلم في وجنته وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قمئة بالسيف على شقه الأيمن، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص.

قال محمد بن جرير: وحدثنا ابن يسار قال حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن انس بن مالك قال: لما كان يوم أحد كسرت رباعية رسول الله صلى الله عله وسلم وشج، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله تعالى!". فأنزل الله عز وجل: "ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم". الآية. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشية القوم: من رجل يشري لي نفسه؟.

قال محمد: فحدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن قال: فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار- وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن زياد بن السكن- فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ثم رجلا، يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد بن عمارة بن زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئة حتى أجهضوهم عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدنوه مني. فأدنوه منه فوسده

قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وترس من دون النبي صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثرت فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال سعد: فلقد رأيته يناولني ويقول: فداكأبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما فيه نصل فيقول: ارم به! وعن محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قنادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده، واصيبت يومئذ عين قنادة حتى وقعت على وجنته.

وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قنادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما. وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لؤلؤة حتى قتل، وكان الذي أصابه ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى قريش فقال: قد قتلت محمداً! فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء علي بن طالب عليه السلام. وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى قتل أرطاة بن شر حبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني، وكان يكنى أبا نيار، فقال له حمزة : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور- وكانت أمه ختانة بمكة مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي- فلما التقيا ضربه حمزة عليه السلام فقتله، فقال وحشي غلام جبير بن مطعم: إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق شيئاً يمر به ، مثل الجمل الأورق، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور. فضربه فلما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا ما رضيت دفعتها عليه فوقعت عليه في لبته حتى خرجت من بين رجليه، وأقبل نحوي فغلب فوقع، فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر، و لم يكن لي بشيء حاجة غيره. وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أحد بني عمرو بن عوف، مسافع بن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة، كلاهما يشعره سهما فيأتي أمهفيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً يقول حين رماني: خذها إليك وأنا ابن أبي الأقلح! فتقول: أقلحي؟! فنذرت لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر. وكان عاصم قد عاهد الله عز وجل أن لايمس مشركاً ولا يمسه.

عن ابن إسحاق قال حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع، أخو بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم ههنا؟ فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كراماً على مامات عليه. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل. وبه سمي أنس بن مالك.

عن ابن إسحاق قال: حدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين

ضربة وطعنة، فما عرفته إلا أخته، عرفته بحسن بنانه.
عن ابن إسحاق قال: كان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس: قتل رسول الله -كما حدثني ابن شهاب الزهري- كعب بن مالك أخو بني سلمة. قال: عرفت عينيه تزهران تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأشار إلي عليه السلام: أن أنصت. فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به، ونهض نحو الشعب معه أبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة، في رهط من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.

فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب، أدركه أبي خلف وهو يقول: يا محمد لانجوت إن نجوت!فقال القوم: يار سول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارثبن الصمة. قال: يقول بعض الناس فيما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطايرالشعراء من ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ بها عن فرسهمراراً . وكان أبي بن خلف- كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمنبن عوف-يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول: يامحمد، إن عندي العود اعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى. فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في حلقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدمقال: قتلني والله محمد! قالوا: ذهب والله فؤادك، والله ما بك بأس. قال: إنه كان بمكة قال لي : أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلمإلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب منه وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول:" اشتد غضب الله عز وجل على من دمى وجه نبيه".
قال محمد بن إسحاق: حدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول: والله ماحرصت على قتل رجل قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله"
قال حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني صالح بن كيسان قال: خرجت هند والنسوة اللواتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدعن الآذان والآنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدماً وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشيا غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة عليه السلام، فأخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال حدثني صالح بن كيسان أنه حدث أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان: يا ابن الفريعة، لو سمعت ما تقترل هند ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسان: والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وإني على رأس فارع-يعني أطمه- فقلت: والله، إن هذه لسلاح ما هي بسلاح العرب، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ولا أدري، أسمعني بعض قولها أكفكموها. قال: فأنشده عمر بعض ما قالت، فقال حسان يهجو هنداً:

أشرت لكاع وكان عادتها ... لؤماً إذا أشرت من الكفر

لعن الإله وزوجها معها ... هند الهنود طويلة البظر

أخرجت مرقصة إلى أحد ... في القوم مقتبةً غلى بكر

بكر ثقال لاحراك به ... لاعن معاتبة ولا زجر

وعصاك استك تتقين بها ... دقي العجابة منك بالفهر

قرحت عجيزتها ومشرجها ... من دأبها نصا على الفتر

ظلت تداويها زميلتها ... بالماء تنضحه والسدر

أخرجت ثائرة مبادرةً ... بأبيك فاتك يوم ذي بدر

وبعمك المستوه في ردع ... واخيك منعفرين في الجفر

ونسيت فاحشة أتيت بها ... ياهند ويحك سيئة الذكر

فرجعت صاغرة بلا ترة ... منا ظفرت بها ولا نصر

زعم الولائد أنها ولدت ... ولداً صغيراً كان من عهر

قال محمد بن جرير: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال:حدثنا مصعب بن المقدام قال حدثنا إسرائيل، وحدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي عن إسرائيل قال حدثنا ابن إسحاق عن البراء قال:

ثم إن أبا سفيان أشرف علينا فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتجيبوه! مرتين، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:لاتجيبوه! . ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا! فلم يملك عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه أن قال: كذبت ياعدوا الله، قد أبقى الله لك ما يخزيك. فقال: أعل هبل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه. قالوا ما تقول؟ قال: قولوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبوسفيان:

يوم بيوم بدر، والحرب سجال، أما إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها و لم تسؤني.
لما أجاب عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيانك هلم يا عمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ايته فانظر ما شأنه؟ فجاءه فقال له سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر؛ لقول ابن قمئة لهم: إني قتلت محمداً. ثم نادى أبو سفيان فقال: إنه قد كان مثل والله ما رضيت ولا سخطت، ولا أمرت ولا نهيت، وقد كان الحليس بن زبان، أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قد مر بأبي سفيان بن حرب وهو يضرب في شدق حمزة عليه السلام وهو يقول: ذق عقق ! فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه كما ترون لحما ! فقال اكتمها عليفإنها كانت زلة قال: فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: ان موعدكم بدر، العام المقبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لرجل من أصحابه: قل: نعم، هي بيننا وبينك موعد.
خروج علي بن أبي طالب في أثر المشركين: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد جبنوا متطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ما يصنعون، فلما جنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: أي ذلك كان فأخفه حتى يأتيني. قال علي: فلما رايتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح، ما أستطيع أن أكتم الذي أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بي من الفرح، إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة،وفرغ الناس لقتلاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-كما حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعه المازني أخي بني النجار.
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع-وسعد أخو بني الحارث بن الخزرج-أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ " . فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يار رسول الله ما فعل. فنظر فوجده جريحاً في القتلى به رمق. قال: فقلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن انظر له افي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فأنا في الأموات. أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله خير ما جزى نبياً عن امته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن لاربيع يقول: لاعذر لكم عند الله جل وعز إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. ثم لم أبرح حتى مات رحمه الله، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته.
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، فوجده ببطن الوادي قد يقر بطنه عن كبده، ومثل به فجدع أنفه وأذناه.

وعن ابن إسحاق قالك فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى بحمزة ما رأى: "لولا أن تحزن صفية أو تكون سنةً من بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع ومواصل الطير، ولئن أنا أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم". فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على ما فعل بعمه قالوا: والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط.

وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس. قال ابن حميدة قال سلمة، وحدثني محمد بن إسحاق قال: فحدثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس: أن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين" إلى آخر السورة. فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر، ونهى عن المثلة.

قال ابن إسحاق فيما بلغني: خرجت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة وكان أخاها لأمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير: القها فأرجعها لاترى ما بأخيها. فلقيها الزبير فقال: يا أمه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن ترجعي. فقالت: و لم، فقد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله جل وعز قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى؟ فلما جاء الزبير رسول الله صلى اله عليه وسلم فأخبره بذلك قال: خل سبيلها. فأتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدفن.

قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد، رجع حسيل بن جابر-وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان-وثابت بن وفش بن زعورا في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما تنتظر، فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار ، إنما نحن هامة اليوم أوغد ، أفلا تأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا شهادةً معه. فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس، و لم يعلم أحد بهما. فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه و لم يعرفوه، فقال حذيفة: أبي! قالوا: والله إن عرفناه وصدقوا. قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً قال حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أتي لاندري من أين هو، يقال له قزمان، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكره:" إنه من أهل النار" فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس، فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بني ظفر، قال:فجعل رجال من المسلمين يقولون: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان، فأبشر. قال:

بم أبشر؟ فوالله أن قاتلت إلا على حساب قومي، لولا ذلك ما قاتلت. فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقطع رواهشه فتزفه الدم فمات، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: إني رسول الله حقا.

وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة قال:

كان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم أحد، وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس. فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري فقال: يارسول الله، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي: يا بني، إنه لاينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة بلا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي، فتخلف على أخواتك. فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو، وانهم خرجوا في طلبهم فيظنون أن بهم قوة، وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

عن محمد بن إسحاق: قال فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً. قال: فشهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا واخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل. فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت إيسر جرحاً منه، فكنت إذا غلب عليه حملته عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهينا إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثاً: الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي، وكان خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخفون عليه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددت أن الله قد أعفاك منهم. ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب بالروحاء ومن معه، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أصبنا جد أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم، لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم! فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم، شيء لم أر مثله قط. قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعناالكرة لنستأصل شأفتهم . قال: فإني أنهاك عن ذلك، فوالله لقد

حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر.

قال: وماذا قلت؟ قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

فظلت عدواً أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت ويل بن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

إني نذير لأهل السيل ضاحيةً ... لكل ذي إربه منهم ومعقول

من جيش أحمد لاوخش تنابلة ... وليس يوص ما أنذرت بالقيل

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ومر به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: فلم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا جئتموه فأخبروه أن قد أجمعنا السير إليهوإلى أصحابه، لنستأصل شأفتهم. فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه:" حسبنا الله ونعم الوكيل".

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

براني حب من لا أستطيع ... ومن هو للذي أهوى منوع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

الشعر لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والغناء للهذلي، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، منرواية إسحاق. وفيه ثقيل أول على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وفيه لابن سريج رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه.

ذكر عمرو بن معد يكرب وأخباره

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد، وهو منبه.

هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه.

وذكر عمر بن شبة عن أبي عبيدة أنه عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن زبيد بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعب بن قحطان.

ويكنى أبا ثور، وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم فيما ذكر، وهي معدودة من المنجبات.

أخبرنا محمد بن دريد قال: أخبرنا أو حاتم عن أبي عبيدة قال: عمرو بن معد يكرب فارس اليمن، وهومقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس.

وروى علي بن محمد المدائني عن زيد بن قحيف الكلابي قال: سمعت أشياخنا يزعمون أن عمرو بن معد يكرب كان يقال له مائق بني زبيد، فبلغهم أن خثعم تريدهم، فتأهبوا لهم، وجمع معد يكرب بني زبيد، فدخل عمرو على أخته فقال: أشبعني إني غداً لكتيبة . قال: فجاء معد يكرب فأخبرته ابنته فقال: هذا المائق يقول ذاك؟ قالت: نعم. قال: فسليه ما يشبعه. فسألته فقال: فسليه ما يشبعه. فسألته فقال: فرق من ذرة، وعتر رباعية. قال: وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصوع . فصنع له ذلك.

وذبح العتر وهيأ له الطعام. قال: فجلس عليه فسلته جميعاً. وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم، وجاء عمرو فرمى بنفسه. ثم رفع رأسه فإذا لواء أبيه قائم، فوضع رأسه فإذا لواء أبيه قد زال، فقام كأنه سرحةمحرقة، فتلقى أباه وقد انهزموا فقال: انزل عنها، فاليوم ظلم . فقال له: إليك يا مائق! فقال له بنو زبيد: خله أيها الرجل وما يريد، فإن قتل كفيت مؤقته، وإن ظهر فهو لك. فألقى إليه سلاحه فركب، ثم رمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم، ثم كر عليهم وفعل ذلك مراراً، وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا، فقيل له يومئذ: فارس زبيد.

قال أبو عمرو الشيباني: كان من حديث عمرو بن معد يكرب بن ريعة بن عبد الله بز زبيد بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك- وهو مذحج- بن أددين زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أنه قال لقيس بن مكشوح المرادي، وهو ابن أخت عمرو، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز، يقال له نبي، فانطلق بنا حتى نعلم علمه، وبادرفروة لايغلبك على الأمر. فأبى قيس ذلك وسفه رأيه وعصاه، فركب عمرو متوجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: خالفتني ياقيس! وقال عمرو في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعا ... ء أمراً بينا رشده

أمرتك باتقاء اللل ... ه تأتيه وتتعده

فكنت كذي الحمير غ ... رة من أيوه وتده

قال أبو عبيدة: حدثنا غير واحد من مذحج قالوا: قدم علينا وفد مذحج، مع فروة بن مسيك المرادي، على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلموا وبعث فروة صدقات من أسلم منهم وقال له: ادع الناس وتألفهم، فإذاوجدت الغفلة فاهبلها واغز.

فال أبو عمرو الشيباني: وإنما رحل فروة مفارقاً لملوك كندة مباعداً لهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كانتقبل الإسلام بين مراد وهمدانوقعة أصابت فيها همدان من مراد حتى أثختوهم، في يوم يقال له يوم الرزم ،

وكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك بن حريم الساعر الهمداني بن مسروق بن الأجدع، ففضحهميومئذ وفي ذلك يقول فروة بن مسيك المرادي:

فإن نغلب فغلابون قدماً وإن نهزم فغير مهزمينا

فلما توجه فروة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نساها

يممت راحلتي أمام محمد أرجو فواضلها وحسن ثراها

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فيما بلغنا: هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم ؟ قال: يا رسول الله، من ذا الذي يصيب قومه مثل الذي أصاب قومي ولا يسوءه. فقال له: أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً! واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها.

قال أبو عبيدة: فلم يلبث عمرو أن ارتد عن الإسلام، فقال حين ارتد:

وجدنا ملك فروة شر ملك حمار ساف منخره بقذر

وإنك لو رأيت أبا عمر ملأت بديك من غدر وختر

قال أبو عبيدة: فلما ارتد عمرو مع من ارتد عن الإسلام من مذحج، استجاش فروة النبي صال الله عليه وسلم، فوجه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد، وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلي بن أبي طالب أميركم وهو على الناس. ووجه علياً عليه السلام فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن، فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض، فلم يزل جعفر وزبيد وأود بنو سعد العشيرة بعدها قليلة.

وفي هذا الوجه وقعت الصمصامة إلى آل سعيد، وكان سبب وقوعها إليهم أن ريحانة بنت معد يكرب سبيت يومئذ، ففداها خالد، وأثابه عمرو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد، فوجد سعيد جريحاً يوم عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حصر وقد ذهب السيف والغمد، ثم وجد الغمد، فلما قام معاوية جاءه إعرابي بالسيف بغير غمد، وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفي! فجحد الأعرابي مقالته، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفي أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه. فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه، فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار، فأخذه سعيد منه وأثابه، فلم يزل عنده حتى أصعد المهدي من البصرة، فلما كان بواسط بعث إلى سعيد فيه، فقال: إنه للسبيل. فقال: خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد. فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه.

وذكر ابن النطاح أن المدائني حكى عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوكيريد المدينة، فأدركه عمرو بن معد يكرب الزبيدي في رجال من زبيد، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله

صلى الله عليه وسلم، فأمسك حت أوذن به، فلما تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير قال: حياك الله إلهك، أبيت اللعن! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنلعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. فآمن بالله يؤمنك يوم الفزع الأكبر". فقال عمرو بن معد يكرب: وما الفزع الأكبر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنه فزع ليس كما تحسب وتظن، إنه يصاح بالناس صيحة لايبقى حي إلا مات، إلا ماشاء الله من ذلك، ثم يصاح بالناس صيحة لايبقى ميت إلا نشر، ثم تلج تلك الأرض بدوي تنهد منه الأرض، وتخر منه الجبال، وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديد ما شاء الله في ذلك، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صارلها لسان في السماء، ترمي بمثل رؤوس الجبال من شرر النار، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه. أين أنت يا عمرو قال: إني أسمع أمراً عظيماً! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمروأسلم تسلم. فأسلم وبايع لقومه على الإسلام، وذلك منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك، وكانتفي رجب من سنة تسع .

وقال أبو هارون السكسكي البصري: حدثني أبو عمرو المديني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نظر إلى عمرو قال: الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمراً تعجباً من عظم خلقه.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة عن خالد بن خداش عن أبي نميلة قال: أخبرني رميح عن أبيه قال: رأيت عمرو بن معد يكرب في خلافة معاوية شيخاً أعظم ما يكون من الرجال، أجش الصوت، إذا التفت التفت بجميع جسده. وهذا خطأ من الراوية.

والصحيح أنه مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه، ودفن بروذة بين قم والري. ومن الناس من يقول إنه قتل في وقعة نهاوند، قبره في ظاهرها موضع يعرف بقبد يشجان ، وانه دفن هناك يومئذ هو والنعمان بن مقرن.

وروى أيضاً من وجه ليس بالموثوق به، أنه أدرك خلافة عثمان رضي الله عنه، روى ذلك ابن النطاح عن مروان بن ضرار عن أبي إياس البصري، عن أبيه، عن جويرية الهذلي في حيث طويل قال:

رأيت عمرو بن معد يكرب وأنا في مسجد الكوفة في خلافة عثمان، حين وجهه إلى الري، كأنه يعير مهنوء.

وقال ابن الكلبي: حدثني أسعر، عن عمرو بن جرير الجعفي قال: سمعت خالد بن قطن يقول: خرج عمرو بن معد يكرب في خلافة عثمان رضي الله عنه إلى الري ودستبي ، فضربه الفالج في طريقه فمات بروذة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: أخبرني خالد بن خداش قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لعمرو بن معد يكرب في ألفين، فقال له: يا أمير المؤمنين ألف ههنا وأومأ إلى شق بطنه الأيمن، وألف ههنا وأومأ إلى شق بطنه الأيسر- فما يكون ها هنا؟ وأومأ إلى وسط بطنه.

فضحك عمرو رضوان الله عليه وزاده خمسمائة.

قال علي بن محمد : قال أبو اليقظان: قال عمرو بن معد يكرب: لو سرت بظعية وحدي على مياه معد كلها

ماخفت أن أغلب عليها، ما لم يلقني حراها أو عبداها . فأما الحران فعامر بن الطفيل وعيبة بن الحارث بن شهاب، واما العبدان فأسود بني عبس، يعني عنترة والسليك بن السلكة، وكلهم قد لقيت. فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت، و؟أما عتيبة فأول الخيل إذا غارت، وآخرها إذا آبت. وأما عنترة فقليل الكبوة شديد الكلب . وأما السليك فبعيد الغارة، كالليث الضاري. قالوا: فما تقول في العباس بن مرادس؟ قال: أقول فيه ما قال في:

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئوا زبيداً فقد أودى بنجدتها عمرو

وقام مغضباً وعلم أنهم أرادوا توبيخه بالعباس.

قال علي: وقال أبو اليقظان: أحسب في اللفظ غلطاً وأنه إنما قال: هجينا مضر؛ لأن عنترة استرق والعباس لم يسترق قط.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمدبن جناب عن عيسى بن يونس، عن إسماعيل ،عن قيس :أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إني قد أمددتك بألفي رجل عمرو بن معد يكرب، وطليحة بن خويلد-وهو طليحة الأسدي-فشاورهما في الحرب ولا توهما شيئاً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أحمد بن جناب قال حدثناعيسى بن يونس،عن إسماعيل، عن قيس قال: شهدت القادسية وكان سعد على الناس، فجاء رستم فجعل يمر بنا وعمرو بن معد يكرب الزبيدي يمر على الصفوف يحض الناس ويقول: يا معشر المهاجرين، كونوا أسداًا أغنى شأنه ، فإنماالفارسي تيسبعد أن يلقي نيزكه .

قال: وكان مع رستم أسوار لاتسقط له نشابة. فقال له: يا أبا ثور، اتق ذاك! فإنا لنقول له ذلك إذ رماه رميةً فأصاب فرسه، وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه، وسلبه سواري ذهب كانا عليه، وقباء ديباج.

قال أبو زيد : فذكر أبو عبيدة أن عمراً حمل يومئذ على رجل فقتله ثم صاح: يا معشر بني زبيد، دونكم فإن القوم يموتون! وقال علي بن محمد المدائني: واخبرنا محمد بن الفضل وعبد ربه بن نافع، عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: حضر عمرو الناس وهم يقاتلون، فرماه رجل من العجم بنشابة فوقعت في كتفه، وكانت عليه درع حصينة فلم تنفذ، وحمل على العلج فعانقه فسقطا إلى الأرض، فقتله عمرو وسلبه، ورجع بسلبه وهو يقول:

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون أضربهم ضرب غلام مجنون

يال زبيد إنهم يموتون

قال أبو عبيدة: وقال في ذلك عمرو بن معد يكرب:

ألم بسلمى قبل أن تظعنا إن لنا من حبها ديدنا

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

شككت بالرمح حياز يمه والخيل تعدو زيما بيننا

عنى فيه الغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر. وفيه رمل بالبنصر يقال إنه امعبد. ويقال إنه من منحول يحيى المكي.

قال أبو عبيدة في رواية أبي ويد عمر بن شبة: شهد عمرو بن معد يكرب القادسية وهو ابن مائة وست سنين. وقال بعضهم: بل ابن مائة وعشر. وقال: ولما قتل العلج عبر نهر القادسية هو وقيس بن مكشوح المرادي، ومالك بن الحارث الأشتر.

قال: فحدثني يونس أن عمرو بن معد يكرب كان آخرهم، وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها، فأتي بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأخلد به إلى الأرض، فأفعى الفرس فرده، وأتى بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل و لم يقع فقال: هذا على كل حال أقوى من تلك، وقال لأصحابه: إني حامل وعايبر الجسر، فإن أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي، وقد عقر بي القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت. وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد قتلت وجردت. ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم: يا بني زبيد، تدعون صاحبكمواللهٰ مانرى أن تدركوه حياً. فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه، وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها، وإن الفارس ليضرب الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده. فلما غشيناه رمى الأعجمي بنفسه وخلى فرسه، فركبه عمرو وقال: أنا أبو ثور، كدتم واللهٰ تفقدونني! قالوا: أين فرسك؟ قال رمي بنشابة فشب فصرعني وعار .

وروى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن أبي عيسى الخياط. ورواه علي بن محمد أيضاً عن مرة عن أبي إسماعيل الهمذاني عن طلحة بن مصرف. فذكرا مثل هذا.

قال الواقدي: وحدثني أسامة بن زيد، عن أبان بن صالح قال: قال عمرو بن معد يكرب يوم القادسية: ألزموا خراطيم الفيلة السيوف، فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها. ثم شدعلى رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجذم عرقوبيه فسقط، وحمل رستم على فرس وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار، فحازه المسلمون، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله.

قال علي بن محمد المدائني: حدثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال: لما ضرب عمرو الفيل وسقط رستم، سقط على رستم خرج كان على ظهر الفيل فيه أربعونألف دينار،فمات رستم من ذلك، وانهزم المشركون.

وقال الواقدي: حدثني ابن أبي سبرة، عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزبير قال:حدثنا نيار بن مكرم الأسلمي ، قال: شهدت القادسية فرأيت يوماً اشتد فيه القتال بيننا وبين الفرس، ورأيت رجلاً يفعل يومئذ بالعدو أفاعيل، يقاتلفارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مقوده في حقوه فيقاتل، فقلت: من هذا جزاه اللهٰ خيراً؟

قالوا: هذا عمر بن معد يكرب.

أخبرني محمد ين الحسن بن دريد قال: أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن خالد بن سعيد، عن أبي محمد المرهبي قال: كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير، فسمعته يحدث قال: قد عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياماً ثم قال: والله مالي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط- يعني عمرو بن معد يكرب- أسرج لي يا غلام. فأسرج له فرساً أنثى من خيله، فلما قربها إليه قال له: ويحك أرأيتني ركبت أنثى في الجاهلية فأركبها في الإسلام؟ فأسرج له حصاناً فركبه، وأقبل إلى محلة بني زبيد فسأل عن محلة عمرو فأرشد إليها، فوقف ببابه ونادى: أي أبا ثور، اخرج إلينا. فخرج إليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر، فقال: انعم صباحاً أيا مالك. فقال: أوليس قد أبدلنا الله تعالى بهذا: السلام عليكم؟ قال: دعنا مما لانعرف، انزل فإن عندي كبشاً ساحا . فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ثم كشط عنه وعضاه ، وألقاه في قدر جماع ، وطبخة حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها فأكفأ القدر عليها، فقعدا فأكلاه، ثم قال له: أي الشراب أحب إليك: اللبن أم ماكنا نتنادم عليه في الجاهلية؟ قال: أوليس قد حرمها الله جل وعز علينا في الإسلام؟ قال: أنت أكبرسناً أم أنا؟ قال: أنت. قال: فأنت أقدم إسلاماً أما أنا؟ قال: أنت. قال: فإني قد قرأت مابين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا أنه قال: "فهل أنتم منتهون" فقلنا: لا. فسكت وسكتنا! فقال له: أنت أكبر سناً وأقدم إسلاماً. فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان، ويذكران أيام الجاهلية، حتى مسيا، فلما أراد عيينة الانصراف. قال عمرو: لئن تنصرف أبو ملك بغير حباء إنه لوصمة علي. فأمر بناقة له أرحبية كأنها جبيرة لجين ، فارتحلها وحمله عليها، ثم قال: يا غلام هات المزود. فجاء بمزود فيه أربعة ألاف درهم، فوضعها بين يديه، فقال: أما المال فوالله لاقبلته. قال: والله إنه لمن جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلم يقبله عيينه وانصرف وهو يقول:

جزيت أبا ثور جزاء كرامة فنعم الفتى المزدار والمتضيف

قريت فأكرمت القرى وأفدتنا نخيلة علم لم يكن قط يعرف
وقلت :حلال أن تدير مدامة كلون انعقاق البرق والليل مسدف
وقدمت فيها حجة عربية ترد إلى الإنصاف من ليس ينصف
وأنت لنا والله ذي العرش قدوة إذا صدنا عن شربها المتكلف
تقول: أبو ثور أحل حرامها وقول أبي ثور أسد وأعرف

وقال علي بن محمد: حدثني عبد الله بن محمد الثقفي عن أبيه، والهذلي عن الشعبي قال: جاءت زيادة من عند عمر بعد القادسية فقال عمرو بن معد يكرب لطليحة: أما ترى أن هذه الزعانف تزاد ولا نزاد، انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه. فقال: هيهات، وكلا والله لا ألقاه في هذا أبداً ، فلقد لقيني في بعض فجاج مكة فقال:

ياطليحة، أقتلت عكاشة ؟! فتوعدني وعيداً ظننت أنه قالتلي، ولا آمنه. قال عمرو: لكني ألقاه. قال: أنت وذاك. فخرج إلى المدينة فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يغدي الناس وقد جفن لعشرة عشرة، فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا وتمضوا، و لم يقم عمرو، فأقعد معه تكملة عشرة فأكلوا ونهضوا و لم يقم عمرو، فأقعده مع عشرة حتىأكل مع ثلاثين ثم قام، فقال: يا أمير المؤمنين إنه كانت لي ما كل في الجاهلية منعني منها الإسلام، وقد صررت في بطن صرتين وتركت بينهما هواء فسده. قال: عليك حجارة من حجارة الحرة فسده به يا عمرو، إنه بلغني أنك تقول إن لي سيفاً يقال له الصمصامة، وعندي سيف أسميه المصمم، وإني إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك.

وذكر ابن الكلبي ومحمد بن كناسة أن جبيلة بن سويد بن ربيعة بن رباب، لقي عمرو بن معد يكرب وهو يسوق ظعناً له فقال عمرو لأصحابه: قفوا حتى آتيكم بهذه الظعن. فقرب نحوه حتى إذا دنا منه قال: خل سبيل الظعن. قال: فلم إذا ولدتني؟ ثم شد على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه، فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما وراءك؟ قال: كأني رأيت منيتي في سنانه.

وبنو كنانة يذكرون أن ربيعة بين مكدم الفراسي، طعن عمرو بن معد يكرب فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه. وأنه لقيه مرة أخرى فضربه فوقعت الضربة في قربوس السرج فقطعه حتى عض السيف بكاثبة الفرس، فسالمه عمرو وانصرف.

قال المدائني: حدثني مسلمة بن محارب، عن دواد بن أبي هند قال: حمل عمرو بن معد يكرب حمالة ، فأتى مجاشع بن سمعود يسأله فيها.

وقال خالد بن خداش: حدثني أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال: بلغني أن عمراً أتى مجاشع بن مسعود فقال له: أسألك حملان مثلي، وسلاح مثلي. قال: إن شئت أعطيتك ذاك من مالي. ثم أعطاه حكمه. وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم، وفرس جواد عتيق، وسيفصارم، وجارية نفيسة، فمر ببني حنظلة فقالوا له: يا أبا ثور، كيف رأيت صاحبك؟ فقال: لله بنو مجاشع ما أشد في الحرب لقاءها، واجزل في اللزبات عطاءها ، وأحسن في المكرمات ثناءها، لقد قاتلتها فما أقللتها ، وسألتها فما أبخلتها، وهاجيتها فما أفحمتها!!.

وقال أبو المنهال عيينة بن المنهال: سمعت أبي يحدث قال: جاء رجل وعمرو بن معد يكرب واقف بالكناسة على فرس له، فقال: لأنظرن ما بقي من قوة أبي ثور. فأدخل يده بين ساقيه وبين السرج، وفطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه، فجعل الرجل يعدو مع الفرس لايقدرأن ينزع يده، حتى إذا بلغ منه قال: يا ابن أخي، مالك؟ قال: يدي تحت ساقك! فخلى عنه، وقال: يا ابن أخي، إن في عمك لبقية!! وكان عمرو مع ما ذكرنا من محله مشهوراً بالكذب: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي المبرد و لم يتجاوزه.

وذكر ابن النطاح هذا الخبر بعينه عن محمد بن سلام، وخبر المبرد أتم قال: كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار، ويتحدثون ويتذكرون أيام الناس، فوقف عمرو إلى جانب خالدين الصقعب

النهدي، فأقبل عليه يحدثه ويقول: أغرت على بني نهد فخرجوا إلي مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم، فطعنته طعنة فوقع، وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه ! فقال له الرجل: يا أبا ثور إن مقتولك الذي تحدثه. فقال: اللهم غفراً إنما أنت محدث فاسمع، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المعدية.

قال محمد بن سلام: وقال يونس: أبت العرب إلا ان عمراً كان يكذب. قال: وقلت لخلف الأحمر وكان مولى الأشعريين، وكان يتعصب لليمانية، أكان عمرو يكذب؟ قال: كان يكذب باللسان، ويصدق بالفعال.

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة : أن سعداً كتب إلى عمر ضي الله عنه يثني على عمرو بن معد يكرب، فسأله عمر عن سعد فقال: هولنا كالأب أعرابي في نمرته ، أسد في تامورته ، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفرد في السرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة فقال عمر رضوان الله عليه: لشد ما تقارضتما الثناء .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقدي عن بكير بن مسمار عن زياد مولى سعد قال: سمعت سعداً يقول وبلغه أن عمرو بن معد يكرب وقع في الخمر، وأنه قد دله. فقال: لقد كان له موطن صالح يوم القادسية، عظيم الغناء، شديد النكاية للعدو. فقيل له: فقيس بن مكشوح؟ فقال: هذا أبذل لنفسه من قيس، وإن قيساً لشجاع.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة.

ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبي خاصة: حدثني أسعر بن عمرو بن جرير، عن خالد بن قطن قال: حدثني من شهد موت عمرو بن معد يكرب، والرواية قريبة، وحكايتا عمر بن شبة وابن قتيبة عن أنفسهما و لم يتجاوزاها، قالا: كانت مغازي العرب إذ ذاك الري ودستبى ، فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذي دون روذة، فتغدى القوم ثم ناموا، وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترىء أحد أن يدعوه وإن أبطأ، فقالم الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو، فلما أبطأ صحنا به: يا أبا ثور. فلم يجبنا وسمعنا علزا شديداً، ومراساً في الموضع الذي دخله، وقصدناه فإذا به محمرةعيناه، مائلاً شدقه مفلوجاً، فحملناه على فرس وأمرنا غلاماً شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله، فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق.

فقالت امرأته الجعفية ترثيه:

لقد غادر الركب الذين تحملوا بروذة شخصاً لاضعيفاً و لا غمرا

فقل لزبيد بل لمذحج كلها فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا

فإن تجزعوا لايغن ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا

والبيات العينية التي فيها الغناء، وبها افتتح ذكر عمرو ، يقولها في أخته ريحانة بنت معد يكرب لما سباهاالصمة بن بكر، وكان اغار على بني زبيد في قيس فاستاق أموالهم وسبى ريحانة، وانهزمت زبيد بين يديه، وتبعه عمرو

وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب، ثم رجع عبد الله واتبعه عمرو.

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أن عمراً اتبعه يناشده أن يخلي عنها، فلم يفعل، فلما يئس منها ولى وهي تناديه بأعلى صوتها: ياعمرو! فلم يقدر على انتزاعها، وقال:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

سباها الصمة الجشمي غصباً ... كأن بياض غرتها صديع

وحالت دونها فرسان قيس ... نكشف عن سواعدها الذروع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

وزاد الناس في هذا الشعر وغنى فيه:

وكيف أحب من لا أستطيع ... ومن هو للذي أهوى منوع

ومن قد لامني فيه صديقي ... وأهلي ثم كلا لاأطيع

ومن لو أظهر البغضاء نحوي ... أتانى قابض الموت السريع

فدى لهم معاً عمي وخالي ... وشرخ شبابهم إن لم يطيعوا

وقد أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي: وأما قصة ريحانة فإن عمرو بن معد يكرب تزوج امرأة من مراد، وذهب مغيراً قبل أن يدخل بها، فلما قدمأخبر أنه قد ظهر بها وضح-وهو داء تحذره العرب- فطلقها وتزوجها رجل آخر من بني مازن بن ربيعة، وبلغ ذلكعمراً وأن الذي قيل فيها باطل، فأخذ يشب بها، فقال قصيدته وهي طويلة:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

وكان عبد الله بن معد يكرب، اخو عمرو، رئيس بني زبيد، فجلس مع بني مازن في شرب منهم . فتغنى عنده حبشي عبد للمخزم، احد بني مازن، في امرأة من بني زبيد، فلطمه عبد الله وقال له: اما كفاك أن تشرب معنا حتى تشبب بالنساء؟ فنادى الحبشي: يا آل بني مازن! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه، وكان الحبشي عبداً للمخزم، فرئس عمرو مكان اخيه، وكان عمرو غزا هو وأبي المرادي فأصابوا غنائم، فادعى ابي أنه قد كان مسانداً، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً، وكره أبي أن يكون بينهما شر، لحداثة قتل أبيه، فأمسك عنه. وبلغ عمراً أنه توعده، فقال عمرو في ذلك قصيدة له أولها:

أعاذل شكتي بدني ورمحي ... وكل مقلص سلس القياد

أعاذل إنما أفنى شبابي ... وأقرح عاتقي ثقل النجاد

تمناني ليلقاني أبي وددت وأينما مني ودادي
ولو لاقيتني ومعي سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد
أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وتمام هذه الأبيات:

تمناني وسابغتي دلاص كان قتيرها حدق الجراد
وسيفي كان من عهد ابن صد تخيره الفتى من قوم عاد
ورمحي العنبري تخال فيه سناناً مثل مقباس الزناد
وعجلزة يزل اللبد عنها أمر سراتها حلق الجياد
إذا ضربت سمعت لها أزيزاً كوقع القطر في الأدم الجلاد
إذاً لوجدت خالك غير نكس ولا متعلما قتل الوحاد
يقلب للأمور شر نبثات بأظفار مغارزها حداد

لابن سريج في الأول والثاني ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن محرز في السادس والخامس ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، وفي الرابع والخامس والسادس لحن للهذلي من رواية يونس.

وهذا البيت الخامس كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نظر إلى ابن ملجم تمثل به أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان بن بشر قال عن حمزة الزيات قال: كان علي عليه السلام إذا نظر إلى ابن ملجم قال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

حدثني العباس بن علي بن العباس، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني قال: كان علي بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابن ملجم قال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

حدثني محمد بن الحسن الأشناني قال: حدثنا فطر بن خليفة عن ابي الطفيل عامر بن واثلة ، والأصبغ بن نباتة قال: قال علي عليه السلام: ما يحبس أشقاها ؟ والذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا.

بايعه، ثم قال: ما يحبس أشقاها؟ فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا. ثم تمثل بهذين البيتين:

اشدد حيا زيمك للموت فإن الموت يأتيك
ولاتجزع من القتل إذا حل بواديك

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

قال: وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا: إن أخاك قتله رجل من سفيه وهو سكران، ونحن يدك وعضدك، فنسألك الرحم وإلا أخذت الدية ما أحببت! فهم عمرو بذلك. وقال:

إحدى يدي أصابتني ولم ترد

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كبشة، وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب، فغضبت، فلما وافى الناس من الموسم قالت شعراً تعير عمراً:

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لاتعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكراً ... وأترك في بيت بصعدةمظلم

ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبرلمطعم

فإن أنتم لم تقبلوا واتديتم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

أيقتل عبد الله سيد قومه ... بنو مازن أن سب راعى المخزم

فقال عمرو قصيدة له عند ذلك يقول فيها:

أرقت وأمسيت لا أرقد ... وساورني الموجع الأسود

وبت لذكري بني مازن ... كأني مرتفق أرمد

فيه لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى، نسبه يحيى المكي إلى ابن محرز، وذكر الهشامي أنه منحول.

ثم أكب على بني مازن وهم غارون فقتلهم، وقال في ذلك شعراً:

خذوا حققاً مخطمة صفايا ... وكيدي يا مخزم أن أكيدا

قتلتم سادتي وتركتموني ... على أكتافكم عبثاً جديدا

فمن يأبى من الأقوام نصرا ... ويتركنا فإنا لن نريدا

وأرادت بنو مازن أن ترد عليهم الدية لما آذنهم بحرب، فأبى عمرو، وكانت بنو مازن من اعداء مذحج، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمها دون عمرو، وكان عمرو قد هم بالكف عنهم حين قتل من قتل منهم، فركبت كبشة في نساء من قومها وتركت عمراً أخاها وعيرته فأحمته، فأكب عليهم أيضاً بالقتل، فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا، فلحقت بنو مازن بصاحبهم بتميم، ولحقت ناشرة بني أسد، وهم رهط الصقعب بن الصحصح، ولحقت فالج بسليم بن منصور. وفالج وناشرة ابنا أ نمار بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة، وأمهما هند بنت عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. فقال كابية بن حرقوص بن مازن:

ياليلتي ما ليلتي بالبلدة ردت علي نجومها فارتدت
من كان أسرع في تفرق فالج فلبونه جربت معاً وأغدت
هلا كنا شرة الذي ضيعتم كالغصن في غلوائه المتنبت

وقال عمرو في ذلك:

تمنت مازن جهلاً خلاطي فذاقت مازن طعم الخلاط
أطلت فراطكم عاماً فعاماً ودين المذحجي إلى رفراط
أطلت فراطكم حتى إذا ما قتلت سراتكم كانت قطاط
غدرتم غدرة وغدرت أخرى فما إن بيننا أبداً يعاط

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي قال المدائني: حدثني رجل من قريش قال: كنا عند فلان القرشي فجاءه رجل بجارة فعنته:

بالله ياظبي بني الحارث هل من وفى بالعهد كالناكث

وغنته أيضاً بغناء ابن سريج:

يا طول ليلي وبت لم أنم وسادى الهم مبطن سقمي

فأعجبته واستام مولاها، فاشتط عليه فأبى شراءها، وأعجبت الجارية بالفتى، فلما امتنع مولاها من البيعإلا بشطط قال القرشي: فلا حاجة لنا في جارتك. فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتهاتغني وتقول:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع

قال: فقال الفتى القرشي: أفأنا لاأستطيع شراءك، والله لأشترينك بما بلغت.

قالت الجارية: فذاك أردت. قال القرشي: إذا لأجبتك. وابتاعها من ساعته. والله أعلم.

بالله ياظبي بني الحارث هل من وفى بالعهد كالناكث
لاتخدعني بالمنى باطلا وأنت بي تلعب كالعابث

عروضه من السريع، الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، رمل بالبنصر، وفيه لسياط خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه لإبراهيم الموصلي لحن من رواية بدل. ومنها:

يا طول ليلي وبت لم أنم وسادي الهم مبطن سقمي
إذ قمت ليلاً على البلاط فأب صرت ربيباً فليت لم أقم
فقلت عوجي تخبري خبراً وأنت منه كصاحب الحلم

قالت بل أخشى العيون إذ حضرت حولى وقلي مباشر الألم

عروضه من المنسرح . والشعر والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

مناظر محمد بن العباس الصولي وعلي بن الهيثم في حضرة المأمون وذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أبي قال: كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه، فناظر بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم جونقاً في الإمامة، فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر، فلجت المناظرة بينهما إلى أن نبط محمد عليا فقال له علي: إنما تكلمت بلسان غيرك، ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت! فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه من سوء الأدب بحضرته، ونهض عن فرشه ونهض الجلساء فخرجوا، وأراد محمد الآنصراف فمنعه علي بن صالح صاحب المصلى، وهو إذ ذاك يحجب المأمون، وقال: أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت، ثم تنصرف بغير إذن، اجلس حتى تعرف رأيه فيك. وامر بأن يجلس.

قال: ومكث المأمون ساعة فجلس على سريره، وأمر بالجلساء فردوا إليه، فدخل إليه علي بن صالح فعرفه ما كان من قول علي بن محمد في الانصراف، وما كان من منعه إياه، فقال: دعه ينصرف إلى لعنة الله. فانصرف، وقال المأمون لجلسائه: أتدرون لم دخلت إلى النساء في هذا الوقت؟ قالوا: لا.قال: إنه لما كان من امر هذاالجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب، وله بنا حرمة، فدخلت إلى النساء فعابثتهن حتى سكن غضبي.

قال: وما مضى محمد عن وجهه إلا إلى طاهر، فسأله الركوب إلى المأمون، وأن يستوهبه جرمه، فقال طاهر: ليس هذا من أوقاتي، وقد كتب إلي خليفتي في الدار انه قد دعا بالجلساء. فقال: أكره أن أبيت ليلة وأمير المؤمنين علي ساخط. فلم يزل به حتى ركب طاهر معه، فأذن له فدخل ومجير الخادم واقف على رأس المأمون، فلما بصر المأمون بطاهر أخذ منديلاً فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثاً، إلى أن وصل إليه وحرك شفتيه بشيء أنكره طاهر، ثم دنا فسلم، فرد السلام وأمره بالجلوس فجلس في موضعه، فسأله عن مجيئه في غير وقته، فعرفهالخبر واستوهبه ذنب محمد، فوهبه له وانصرف؛ وعرف محمداً ذلك. ثم دعا بهارون بن خنعويه، وكان شيخاً خراسانيا داهية ثقة عنده، فذكر له فعل المأمون وقال له: الق كاتب مجير والطف له، واضمن له عشرةآلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون ففعل ذلك ولطف له، فعرفه أنه لما رأى طاهراً دمعت عيماه وترحم على محمد الأمين، ومسح دمعه بالمنديل، فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمد بن أبي خالد الأحول- وكان طاهرلا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون، وكلهم يركب إليه-فقال له: جئتك لتوليني خراسان وتحتال لي فيها. وكان أحمد يتولى فض الخرائط بين يدي المامون، وغسان بن عباد يتولى إ ذاك خراسان، فقال له أحمد: هلا أقمت بمنزلك وبعثت إلي حتى أصير إليك ولا يشهر الخبر فيما تريده بما ليس من عادتك، لأن المأمون يعلم أنك لاتركب إلى أحد من اصحابه، وسيبلغه هذا فينكره، فاتصرف وأغض عن هذا الأمر وأمهلني مدة حتى أحتال لك. ولبث مدة، وزور ابن أبي خالد كتاباً عن غسان بن عباد إلى المأمون، يذكر فيه أنه عليل وانه لا يامن على نفسه، ويسأل أن

يستخلف غيره على خراسان، وجعله في خريطة وفضها بين يدي المأمون، في خرائط وردت عليه، فلما قرأ على المأمون الكتاب اغتم به وقال له: ما ترى؟ فقال: لعل هذه علة عارضة تزول، وسيرد بعد هذا غيره فيرى حينئذ أمير المؤمنين رأيه. ثم امسك أياماً وكتب كتاباً آخر ودسه في الخرائط، يذكر فيه انه تناهى في العلة إلى مالايرجو معه نفسه، فلما قرأه المأمون قلق وقال: يا أحمد، إنه لا مدفع لأمر خراسان فما ترى؟ فقال: هذا رأي إن أشرت فيه بما أرى فلم أصب لم أستقبله، وأمير المؤمنين أعلم بخدمه ومن يصلح بخراسان منهم. قال: فجعل المأمون يسمي رجالاً ويطعن أحمد على واحد واحد منهم، إلى أن قال: فما ترى في الأعور؟ قال: إن كان عند أحد قيام بهذا الأمر ونهوض فيه فعنده. فدعا به المامون فعقد له على خراسان، وأمره أن يعسكر، فعسكر بباب خراسان. ثم تعقب الرأي فعلم أنه قد أخطأ، فتوقف عن أمضائه وخشي أن يوحش طاهراً بنقضه، فمضى شهر تام وطاهر مقيم بمعسكره. ثم إن المأمون في السحر من ليلة أحد وثلاثين يوماً من عقده له، عقد اللواء لطاهر ظاهراً، وأمر بإحضار مخارق المغني، فأحضر وقد صلى المأمون الغداة مع طلوع الفجر، فقال: يا مخارق، أتغني.

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

وكيف تريد أن تدعى حكيماً ... وأنت لكل ماتهوى تبوع

قال: نعم.قال: هاته. فغماه فقال: ما صنعت شيئاً، فهل تعرف من يقوله أحسن مما تقوله؟ قال نعم، علويه الأعسر. فأمر بإحضاره فكأنه كان وراء الستر، فأمره أن يغنيه، فغناه واحتفل فقال : ما صنعت شيئاًأتعرف من يقوله أحسن مما تقوله؟ قال: نعم عمرو بن بانة شيخنا. فامر بإحضاره فدخل في مقدار دخول علويه، فأمر بأن يغنيه الصوت، فغناه فأحسن فقال: أحسنت ماشئت ، هكذا ينبغي أن يقال. ثم قال: يا غلام اسقني رطلاً واسق صاحبيه رطلاً رطلاً. ثم دعا له بعشرة آلاف درهم، وخلعة ثلاثة أثواب، ثم أمره بإعادته، فأعاده فرد القول الذي قاله، وأمر له بمثل ما أمر، حتى فعل ذلك عشراً، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوباً، ودخل المؤذنون فأذنوه بالظهر، فعقد إصبعه الوسطى بإبهامه وقال: برق يمان، برق يمان. وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرف من بحضرته من الجلساء. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، قد أنعمت علي واحسنت إلي، فإن رأيت أن تأذن لي في مقاسمة أخوى ما وصل إلي فقد حضراه؟ فقال: ما احسن ما استمحت لهما، بل نعطيهما نحن ولا نلحقهما بك. وأمر لكل واحد بمثل نصف جائزة عمرو، وبكر إلى طاهر فرحله، فلما ثنى عنان دابته منصرفاً دنا منه حميد الطوسي فقال: اطرح على ذنبه تراباً. فقال: اخسأ يا كلب! ونفذ طاهر لوجهه، وقدم غسان بن عباد فسأله عن علته وسببها، فحلف له أنه لم يكن عليلاً، ولا كتب بشيء في هذا. فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بابن أبي خالد، وأمسك على ذلك. فلما كان بعد مدة من مقدم طاهر إلى خراسان قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة، فقال له عون بن محاشع بن مسعدة صاحب البريد: لم تدع في هذه الجمعة لأمير المؤمنين؟ فقال: سهو وقع فلا تكتب به. وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية، وقال لعون: لاتكتب به، وفعله في الجمعة الثالثة فقال له

عون: إن كتب التجار لاتنقطع من بغداد، وإن اتصل هذا الخبر بأمير المؤمنين من غيرنا لم آمن أن يكون سبب زوال نعمتي. فقال: اكتب بما أحببت. فكتب إلى المأمون بالخبر، فلما وصل كتابه دعا بأحمد بن أبي خالد وقال: إنه لم يذهب علي احتيالك علي في أمر طاهر، وتمويهك له، وانا أعطى الله عهداً لئن لم تشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي وتصلح ما أفسدته علي من أمر ملكي لأبيدن غضراءك فشخص أحمد وجعل يتلوم في الطريق ، ويقول لأصحاب البرد : اكتبوا بخبر علة أجدها. فلما وصل الري لقيته الأخبار ووافاه رسل طلحة بن طاهر بوفاة طاهر، فأغذ السير حتى قدم خراسان، فلقيه طلحة على حد غفله فقال له أحمد: لاتكلمين ولا تريني وجهك فإن أباك عرضني للعطب وزوال النعمة، مع احتيالي له وسعي كان في محبته. فقال له: أبي قد مضى لسبيله ولو ادركته لما خرج عن طاعتك، وأما أنا فأحلف لك بكل ما تسكن به نفسك وأبذل كل ما عندي من مال وغيره، فاضمن له عني حسن الطاعة، وضبط الناحية، والإخلاص في النصيحة. فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون، وأشار بتقليده، فأنفذ المأمون إليه اللواء والخلع والعهد، وانصرف أحمد إلى مدينة السلام.

أخبرني وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد لالملك الزيات قال: حدثني حماد بن غسحاق عن ابيه قال: مدح ابن هرمة رجلاً من قريش فلم يثبه، فقال له ابن عم له: لا تفعل، فإنه شاعر مفوه. فلم يقبل منه، فقال فيه الن هرمة:

فهلا إذا عجزت عن المعالي ... وعما يفعل الرجل القريع

أخذت برأي عمرووحين ذكى ... وشب لناره الشرف الرفيع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

ومما قاله عمرو بن معد يكرب في ريحانة أخته، وغني فيه، قوله:

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا ... إذ فارقتك وأمست دارها غربا

ما زلت أحبس يوم البين راحلتي ... حتى استمروا وأذرت دمعها سربا

حتى ترفع بالحزان يركضها ... مثل المهاة مرته الريح فاضطربا

والغانيات يقتلن الرجال إذا ... ضرجن بالزعفران الريط والنقبا

من كل آنسة لم يغذها عدم ... ولا تشد لشيء صوتها صخبا

إن الغواني قد أهلكنني وأرى ... حبالهن ضعيفات القوى كذبا

غنى في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيل من رواية حماد، وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضاً.

وقال الأصمعي: هذا الشعر لسهل بن الحنظلية الغنوي ثم الضبيني ثم الجابري، وهو جابر بن ضبينة.

قال أبو الفرج الأصبهاني: وسهل بن الحنظلية أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلمن وقد روى عنه حديثاً كثيراً.

فذكر الأصمعي أن السبب في قوله هذا الشعر أنه اجتمع ناس من العرب بعكاظ، منهم قرة بن هبيرة القشيري، في سنين تتابعت على الناس، فتواعدوا وتوافقوا أن لا يتغوروا حتى يخصب الناس ثم قالوا: ابعثوا إلى المنتشر بن وهب الباهلي ثم الوائلي فليشهد أمرنا، ولنخله معنا. فأتاهم فأعلموه ما صنعوه، قال: فما يأكل قومي إلى ذاك؟ فقال له ابن جارم الضبي : إنك لهناك يا أخا باهلة؟ قال: أما أنا فالغسل والنساء علي حرام حتى آكل من قمع إبلك . فتفرقوا و لم يكن إلا ذلك. وقال ابن جارم للمنتشر عند قوله: استك أضيق من ذاك! فاغار المنتشر على ابن جارم، فلما رآه ابن جارم رمى بنفسه في وجار ضبع، وأطرد المنتشر إله ورعاءها، فقال سهل في ذلك:

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا

في قصيدة طويلة له حسنة. وقال في ذلك أعشى باهلة:

فدى لك نفسي إذ تركت ابن جارم أجب السنام بعد ما كان مصعبا

وقال المخبل في ذلك:

إن قشيراً من لقاح ابن جارم كغاسلة حيضاً وليست بطاهر

وأنبأ تماني أن قرة آمن فناك أباه من مجير وخافر

فلا توكلوها الباهلي وتقعدوا لدى غرض أرميكم بالنواقر

إذا هي حلت بالذهاب وذي حسى وراحت خفاف الوطء حوس الخواطر

أخبرنا أحمد بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل، قال حدثني فعنب بن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال: أخبرني من شهد الأشعث بن قيس وعمرو بن معد يكربوقد تنازعا في شيء، فقال عمرو للأشعث: نحن قتلناأباك ونكنا أمك! فقال سعد: قوما أف لكما! فقال الأشعث لعمرو: والله لأضرطنك. فقال: كلا إنها عزوز موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجلي: فأخذت بيد الأشعث فنترته فوقع على وجهه، ثم أخذت بيد عمرو فجذبته فما تحلحل والله، لكانما حركت أسطوانة القصر.

وقال أبو عبيدة: قدم عمرو بن معد يكرب والأجلح بن وقاص الفهمي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأتياه وبين يديه مال يوزن، فقال: متى قدمتما؟ قالا: يوم الخميس. قال: فما حبسكما؟ قالا: شغلنا بالمنول يوم قدمنا، ثم كانت الجمعة، ثم غدونا عليك اليوم. فلما فرغ من وزن المال نحاه، ثم أقبل عليهما فقال: هيه! فقالعمرو: يا أمير المؤمنين، هذا الأجلح بين وقاص، شديد المرة، بعيد الفرة، وشيك الكرة، والله ما رأيت مثله من الرجال صارعاً ومصروعاً، والله لكأنه لايموت! فقال عمر للأجاح بن وقاص، وأقبل عليه: هيه. قال: وانا

أعرف الغضب في وجهه، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ الناس صالحون كثير نسلهم، دارة أرزاقهم، خصب نباتهم، أجرياء على عدوهم، جبان عدوهم عنهم، صالحون بصلاح إمامهم، والله ما رأينا ملك من تقدمك، فنستمتع الله بك.

فقال: ما منعك أن تقول في صاحبك مثل الذي قال فيك؟ منعني ما رأيت في وجهك. قال: قد أصبت أما لوقلت له مثل الذي قال لك لأوجعتكما عقوبة، فإن تركتك لنفسك فسوف أتركه لك، والله لوددت لو سلمت لكم حالكم هذه أبدا، اما إنه سيأتي عليك يوم تعضه وينهشك، وتمره وينبحك، ولست له يومئذ وليس لك، فإن لم يكن بعهدكم فما أقربه منكم .

قال أبو عبيدة: حدثنا يونس وأبو الخطاب قالا: لما كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجاناً ومناطق ورقابا فبلغت مالا عظيماً، فعزل سعد الخمس ثم فض البقية، فأصاب الفارس ستةآلاف، والرجل ألفان، فبقي مال دثر . فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل، فكتب إليه أن رد على المسلمين الخمس، واعط من لحق بك ممن لم يشهدالواقعة. ففعل فأجراهممجرى من شهد، وكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه أن فض ما بقي على حملة القرآن. فأتاه عمرو بن معدي يكربفقال: ما معك من كتاب الله تعالى؟ فقال: إني أسلمت باليمن، ثم غزوت فشغلت عنحفظ القرآن. قال:مالك في هذا المال نصيب.

قال: وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي، صاحل جبانة بشر فقال: مامعك من كتاب الله ؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم. فضحك القوم منه و لم يعطه شيئاً، فقال عمرو في ذلك:

إذا قتلنا و لا يبكي لنا أحد ... قالت قريش ألا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نفذ ... و لا سوية إذ تعطى الدنانير

وقال بشر بن ربيعة:

أنخت بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص علي أمير

وسعد أمير شره دون خيره ... وخير أمير بالعراق جرير

وعند أمير المؤمنين نوافل ... وعند المثنى فضة وحرير

تذكر هداك الله توقع سيوفنا ... بباب قديس والمكرعسير

عشية ود القوم لو أن بعضهم ... يعار جناحي طائر فيطير

إذا ما فرغنا من قراع كتيبة ... دلفنا لأخرى كالجبال تسير

ترى القوم فيها واجمين كأنهم ... جمال بأحمال لهن زفير

فكتب سعد إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردا عليه، وبالقصيدتين، فكتب أن أعطهماعلى بلائهما. فأعطى كل واحد منهما ألفي درهم.

قال: وحدثني أبو حفص السلمي قال: كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلي : إن في جندك عمرو بن معد يكرب، وطلحة بن خويلد الأسدي، فإذا حضر الناس فأدنهما وشاورهما وابعثما في الطلائع، وإذا وضعت الحرب أوزارها فضعهما حيث وضعا أنفسهما. يعني بذلك ارتدادهما، وكان عمرو ارتد وطليحة تنبأ.

قال: وحدثنا أبو حفص السلمي قال: عرض سلمان بن ربيعة جنده بأرمينية، فجعل لا يقبل إلا عتيقاً، فمر به عمرو بن معد يكرب بفرس غليظ، فقال سلمان: هذا هجين: فقال عمرو: والهجين يعرف الجهين! فبلغ عمر رضى الله تعالى عنه قوله فكتب إليه: أما فإنك القاتل لأميرك ما قلت، وإنه بلغني أعندك سيفاً تسميه الصمصامة، وعندي سيف أسميه مصمما ، وأقسم لئن وضعته بين أذنيك لأقلنه حتى يبلغ قحفك ، وكتب إلى سلمان يلومه في حلمه عنه.

قال: وزعموا أن عمراً شهد فتح اليرموك، وفتح القادسية، وفتح نهاوند مع النعمان بن مقرن المزني، وكتب عمر إلى النعمان: إن في جندك رجلين: عمرو بن معد يكرب، وطليحة بن خويلد الأسدي من بني قعين، فأحضرهما الحرب وشاورهما في الأمر، ولا تولهما عملاً. والسلام.

خليلي هبا طالما قد رقدتما أجدكما الاتقضيان كراكما

سأبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي لوعة إن بكاكما

ويروي: ذي عولة.

الشعر لقس بن ساعدة الإيادي، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي في خبر أنا ذاكره هاهنا.

وذكر يعقوب بن السكيت أنه لعيسى بن قدامة الأسدي .

وذكر العتبي أنه لرجل من بني عامر بن صعصعة، يقال له الحسن بن الحارث. والغناء لهاشم بن سليمان، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

هو قس بن ساعدة بن عمرو - وقيل مكان عمرو شمر - بن عدي بن مالك بن أيدعان بن النمر بن واثلة بن الطمثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفص بن دعمي بن إياد. خطب العرب وساعرها، وحليمها وحكيمها في عصره.

يقال: إنه أول من علا على شرف وخطب عليه. وأول من قال في كلامه: أما بعد، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا.

وأدركه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه بعكاظ فكان يأثر عنه كلاماً سمعه منه، وسئل عنه فقال: يحشر أمه واحدة.

وقد سمعت خبره من جهات عدة، إلا أنه لم يحضرني وقت كتبت هذا الخبر غيره، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً، فهو من اتمها.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال: حدثني عمر بن عبد الرحمن بن

حفص النسائي قال: حدثني عبد الله بن محمد قال: حدثني الحسن بن علد الله قال: حدثني محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما قدم وفد إياد على النبي صالى الله عليه وسلم قال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا: مات يارسول الله. قال:" كاني أنظر إليه بوسق عكاظ على جمل له أورق وهويتكل بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه". فقال رجل من القوم: أنا أحفظه يا رسول الله قال: كيف سمعته يقول؟ قال سمعته يقول: أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج، وسماء ذات أبراج، بحار تزخر، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام، وبر وآثام، ومطعم ومشرب، وملبس ومركب. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا. وإله قس بن ساعدة ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن خالفه. ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولي ... ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لامحا ... لة حيث صار القوم صائر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" يرحم الله قسا، إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحدة .
فقال رجل يا رسول الله: لقد رأيت من قس عجباً. قال: وما رأيت؟ قال: بينا أنا بجبل يال له سمعان في يوم شديد الحر، إذا أنا بقس بن ساعدة تحت ظل شجرة عند عين ماء، وعنده سباع، كلما زأر سبع منها على صاحبه ضربه بيده وقال: كف حتى يشرب الذي ورد قبلك. قال: ففرقت ، فقال: لاتخف. وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد، فقلتله: ماهذا القبران؟ قال هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا، فتخذت بينهما مسجداً أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحق بهما. ثم ذكر أيامهما فبكى، ثم أنشأ يقول:

خليلي هبا طالما قد رقدتما ... أجدكما الانقضيان كراكما
ألم تعلما أني بسمعان مفرد ... ومالي فيه من حبيب سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحاً ... طوال الليالي أو يجيب صداما
كأنكما والموت أقرب غاية ... بجسمي في قبريكما قد أتاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية ... لجدت بنفسي أن تكون فداكما

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"يرحم الله قساً".
أما الحكاية عن يعقوب بن السكيت أن الشعر لعيسى بن قدامة الأسدي فأخبرني بها علي بن سليمان الأخفش، عن السكوني قال: قال يعقوب بن السكيت: قال عيسلى بن قدامة الأسدي، وكان قدم قاسان ، وكان له

نديمان فماتا، وكان يجيء فيجلس عند القبرين، وهما براوند ، في موضع يقال له خزاق، فيشرب ويصب على القبرين حتى يقضي وطره، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب:

خليلي هبا طالما قدرقدتما أجدكما لاتقضيان كراكما
ألم تعلما مالي براوند هذه ولا بخزاق من نديم سوامكا
مقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالي أو يجيب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذي يسقي العقار سقاكما
تحمل من يهوى القفول وغادروا أخالكما أشجاه ما قد شجاكما
فأي أخ يجفر أخاً بعد موته فلست الذي من بعد موت جفاكما
أصب على قبريكما من مدامة فإلا تذوقا أرو منها ثراكما
أناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مجاباً صوته من دعاكما
أمن طول نوم لاتجيبان داعياً خليلي ما هذا الذي قد دهاكما
قضيت بأني لامحالة هالك وأني سعيروني الذي قد عراكما
سأبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي عولة إن بكاكما

وأخبرني ابن عمار أبو العباس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء، عن أحمد بن يحيى اللاذري قال: حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي قال: بلغني أن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج إلى الديلم، وكانوا يتنادمون لايخالطون غيرهم، فإنهم لعلى ذلك إذ مات أحدهم فدفنه صاحباه، وكانا يشربان عند قبره،فإذا بلغه الكأس هراقاها على قبره وبكيا. ثم إن الثاني مات فدفنه الباقي إلى جانب صاحبه، وكان يجلس عند قبريهما فيشرب ويصب الكأس على الذي يليه ثم على الآخر وبكي، وقال فيهما:

نديمي هبا طالما قد رقدتما

وذكر بعض الأبيات التي تقدم ذكرها. وقال مكان براوند هذه: بقزوين، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه. قال ابن عمار: فقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء.

وذكرالعتبي عن أبيه أن الشعر للحزين بن الحارث، أحد بني عامر بن صعصعة، وكان أحد نديميه من بني أسد والآخر من بني حنيفة، فلما مات أحدهما كان يشرب ويصب على قبره ويقول.

لاتصرف هامة من كأسها واسقه الخمر وإن كان قبر
كان حراً فهوى فيمن هوى كل عود ذي شعوب ينكسر

قال: ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد:

خليلي هبا طالما قد رقدتما

الأبيات: قال: ثم قالت له كاهنة: إنك لاتموت حتى تنهشك حية في شجرة بوادي كذا وكذا. فورد ذلك الوادي في سفر له وسأل عنه فعرفه، وقد كان خط في أصل شجرة ، ومد رجله عليها، فنهشته حية فأنشأ يقول:

خليلي هذا حيث رمسي فعرجا ... علي فإني نازل فمعرس

لبست رداء العيش أحوى أجرهال ... عيشات حتى لم يكن فيه ملبس

تركت خبائي حيث أرسى عماده ... علي، وهذا مرمسي حيث أرمس

أحتفي الذي لابد أنك قاتلي ... هلم فما في غابر العيش منفس

أبعد نديمي اللذين بعاقل ... بكيتهما حولاً مدى أتوجس

ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

هوهاشم بن سليمان مولى بني أمية، ويكنى أبا العباس، وكان موسى الهادي يسميه أبا الغريض. وهو حسن الصنعة عزيزها، وفيه يقول الشاعر:

يا وحشتي بعدك ياهاشم ... غبت فشجوى بك لي دائم

اللهو واللذة ياهاشم ... مالم تكن حاضره مأتم

أخبرني علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن عبيد الله بن خرداذبه قال: كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحه، ويلقبه أبا الغريض.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال: بلغني أن هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغناه:

لويرسل الأزل الظبا ... ء ترود ليس لهن قائد

لتيممتك تدلها ... رياك للسبل الموارد

وإذا الرياح تنكرت ... نكبا هواجرها صوارد

فالناس سائلة إلي ... ك فصادرا تغني وواردا

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي، يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناء لهاشم بن سليمان، خفيف ثقيل أول بالبنصر.

فطرب موسى، وكان بين يديه كانون كبير ضخم عليه فحم، فقال له: سلني ما شئت. قال: تملأ لي هذا الكانون. فأمر له بذلك، وفرغ الكانون فوسع ست بدور ، فدفعها إليه.

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بي أبي سعد، عن أبي توبة، عن هاشم بن سليمان قال: أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعة منا، فقال: ياهاشم غنني:

أبهار قد هيجت لي أوجاعا

فإن أصبت مرادي فيه فلك حاجة مقضية. فغنيته فقال: قد أصبت واحسنت سل حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين تأمر أن يملأ هذا الكانون دراهم. قال: وبين يديه كانون عظيم، فأمر به فملئ فوسع ثلاثين ألف درهم، فلما حصلتها قال: يا ناقص الهمة، والله لو سألتني أن أملأه دنانير لفعلت. فقلت: أقلني يا أمير المؤمنين فقال: لاسبيل إلى ذلك فلم يسعدك الجد به.

أبهار قد هيجت لي أوجاعا ... وتركتني عبداً لكم مطواعا

بحديثك الحسن الذي لو كلمت ... وحش الفلاة به لجئن سراعا

وإذا مررت على البهار منضدا ... في الشوق هيج لي إليك نزاعا

والله لو علم البهار بأنها ... أضحت سمية لصار ذراعا

الغناء لهاشم، ثاني ثقيل بالبنصرعن عمرو، وفيه ثقيل أول بالبنصر، ينسب إلى إبراهيم الموصلي، وإلى يحيى المكي، وإلى إسحاق.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا قال: كنا في منزل محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان عالماً بالغناء والفقه جميعاً، وقد كان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه، ووصفه أحمد بن يوسف بالعلم بالغناء فقال المأمون: ما أعجب ما اجتمع فيه: العلم بالفقه، والغناء! فكتبت إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن يتحول إلينا وكان في جوارنا، وعندنا يومئذ محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان، وذكاء وصغير غلاما أحمد بن يوسف الكاتب، فكتب إلينا إسحاق: جعلت فداءكم، قد أخذت دواءً، فإذا خرجت منه حملت قدري وصرت إليكم. وكتب في أسفل كتابه:

أنا شماطيط الذي حدثت به ... متى أنبه للغداء أنتبه

ثم أدور حوله وأحتبه ... حتى يقال شره ولست به

ثم جاءنا ومعه بديح غلامه، فتغدينا وشربنا، فغنى ذكاء غلام أحمد بن يوسف:

أبهار قد هيجت لي أوجاعا

فسأله إسحاق أن يعيده فأعاده مراراً، ثم قال له: ممن أخذت هذا؟ فقال: من معاذ بن الطبيب. قال: والصنعة فيه له. فقال له إسحاق: أحب أن تلقيه على بديح. ففعل. فلما صليت العشاء انصرف ذكاء، وقعد أبو جعفر يشرب-يعني مولاه -وعنده قوم، وتخلف صغير فغنانا، فقال له إسحاق: أنت والله ياغلام ماخوري. وسكر محمد بن إسماعيل في آخر النهار فغنانا:

دعوني أغص إذا ما بدت وأملك طرفي فلا أنظر

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن: آجرك الله في ابن عمك! أي قد سكر فأقدم على الغناء بحضرتي.

هبوني أغض إذا ما بدت وأملك طرفي فلا أنظر

فكيف احتيالي إذا ما الدموع نطقن فبحن بما أضمر

أيا من سروري به شقوة ومن صفو عيشي به أكدر

أمني تخاف انتشار الحديث وحظي في ستره أوفر

ولو لم أصنه لبقيا عليك نظرت لنفسي كما تنظر

الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء للزبير بن دحمان، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو في الأبيات الثلاثة الأول. وفيها لعمرو بن بانة ماخوري. وفي:

أيا من سروري به شقوة

لسليم هزج. وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى حسين بن محرز، وإلى عباس منار.

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

عروضه من الرجز. الشعر لرشيد بن رميض العنزي يقوله في الحطم، وهو شريح بن ضبيعة، وأمه هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد، والغناء ليزيد حوراء، خفيف ثقيل أول بالبنصر، وفيه خفيف رمل يقال إنه لأحمد المكي.

قال أبو عبيدة: كان شريح بن ضبيعة غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة، فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة، أسر فيها فرعان بن مهدي بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس، وأخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ومات فرعان في أيديهم عطشا، وهلك منهم ناس كثير بالعطش. وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً . حتى نجوا ووردوا الماء. فقال فيه رشيد:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم ليس براعي إبل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم نام الحداة وابن هند لم ينم

باتت بقاسيها غلام كالزلم خدلمج الساقين خفاق القدم

قد لفها الليل بسواق حطم

فلقب يومئذ الحطم لقول رشيدٍ هذا فيه.

وأدرك الحطم الإسلام فأسلم، ثم ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عبد الله بن سعد الزهري قال أخبرنا عمي يعقوب قال: أخبرني سيف قال: خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين، وكان من حديث البحرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدوا ففاءت عبد القيس منهم، وأما بكر فتمت على ردتها. وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن المعلى.

فذكر سيف عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن أبي الحسن قال: قدم الجارود بن المعلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرتاداً، وقال: أسلم يا جارود. فقال: إن لي دنيا. فقال له النبي صالى الله عليه وسلم:" إن دينك يا جارود ليس بشيء، وليس بدين." فقال له الجارود: فإن أنا أسلمت فما كان من تبعة في الإسلام فعليك؟ قال: نعم . فأسام وأقام بالمدينة حتى فقه.

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن أبي إسحاق قال: اجتمعت ربيعة بالبحيرن، فقالوا: ردوا الملك في آل المنذر، فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمى الغرور، ثم أسلم بعد ذلك وقال: لست بالغرور ولكني المغرور.

حدثنا محمد بن جرير قال: حدثنا عبد الله بن سعد قال: أخبرني عمي قال أخبرنا سيف عن إسماعيل بن مسلم عن عمير بن فلان العبدي قال: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الحطم بن ضبيعة، في بني قيس بن ثعلبة ومن اتبعه من بكر بن وائل على الردة، ومن تأشب إليه من غير المتدين ممن لم يزل كافراً، حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط و من كان بهما من الزط والسيابجة، وبعث بعثاً إلى دارين فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينهم وبينه، وكانوا مخالفين له يمدون المنذر و المسلمين، وأرسل إلى الغرور بن سويد بن المنذر بن أخي النعمان بن المنذر، فقال له: اثبت فإني إن ظفرت ملكتك البحرين، حتى تكون كالنعمان بالحيرة. وبعث إلى رواثا وقيل إلى جؤاثا، فحاصهم وألح عليهم، فاشتد الحصار على المحصورين من المسلمين، وفيهم رجل من صالحي المسلمين يقال له عبد الله بن حذف، أحد بني أبي بكر بن كلاب، فاشتد عليه وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكون، فقال عبد الله بن حذف:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً	وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام	قعود في جؤاثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج	شعاع الشمس يعشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا	وجدنا النصر للمتوكلينا

حدثني محمد بن جرير قال كتب إلى السري بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن الصقعب بن عطية بن بلال، عن سهم بن منجاب، عن منجاب ابن راشد قال:

بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين، فتلاحق به من لم يرتد من المسلمين ، وسلك

بنا الدهناء حتى إذا كنا في بحبوحتها أراد الله عز وجل أن يرينا آية، فنزل العلاء وأمر الناس بالنزول ، فنفرت الإبل في جوف الليل، فما بقي بعير ولا زاد ولا مزاد ولا بناء-يعني الخيم قبل أن يحطوا-فما علمت جمعاً هجم عليه من الغم ما هجم علينا، وأوصى بعضنا إلى بعض، ونادى منادي العلاء: اجتمعوا. فاجتمعنا إليه فقال: ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم؟ فقال الناس: وكيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحم شمسه حتى نصير حديثاً. فقال: أيها الناس، لاتراعوا، أستم مسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ أستم أنصار الله؟ قالوا: بلى قال: فأبشروا، فوالله لايخذل الله تبارك وتعالى من كان في مثل حالكم. ونادى المنادي بصلاة الصبح حين طلع الفجر، فصلى بنا ومنا المتيمم ومنا من لم يزل على طهوره، فلما قضى صلاته جثا لركبتيه، وجثا الناس معه، فنصب في الدعاء ونصبوا فلمع لهم سراب فأقبل على الدعاء، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد: ماء. فقام وقام الناس فمشينا حتى نزلنا عليه فشربنا واغتسلنا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه وأناخت إلينا، فقام كل رجل إلى ظهره فأخذه، فما فقدنا سلكا ، فأروياها العلل بعد النهل وتروحنا. وكان أبو هريرة رفيقي، فلما غبنا عن ذلك المكان قال لي: كيف علمك بموضع ذلك الماء؟ فقلت: أنا أهدى الناس بهذه البلاد. قال: فكر معي حتى تقيمني عليه. فكررت به فأنخت على ذلك المكان بعينه، فإذا هو لا غدير به، ولا أثر للماء، فقلت له: والله لولا أني لا أرى الغدير لأخبرتك أن هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك . فنظر أبو هريرة فإذا إداوة مملوءة فقال: يا سهم، هذا والله المكان ولهذا رجعت ورجعت بك. وملأت إداوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادي فقلت: إن كان منا من المن وكانت آية عرفتها، وإن كان غياثاً عرفته. فإذا من من المن وحمدت الله جل وعز. ثم سرنا حتى نزلنا هجر فأرسل العلاء إلى الجارود ورجل آخر: أن انضما في عبد القيس حتى تنزلا على الحطم مما يليكما. وخرج هو فيمن معه وفيمن قد عليه حتى ينزل مما يلي هجر. وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمي، ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهراً. فبينا الناس ليلة كذلك إذسمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة، فكأنها ضوضاء هزيمة فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبد الله بن حذف: أنا آتيكم بخبر القوم-وكانت أمه عجيلة-فخرج حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له: من أنت؟ فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه! فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال لا أضيعن الليلة بين اللهازم، علام أقتل وحولي عساكر من عجل وتيم اللات وعنزة وقيس، أيتلاعب بي الحطم ونزاع القبائل وأنتم شهود! فتخلصه وقال: والله إني لأظنك بئس ابن الأخت لأخوالك الليلة.

قال: دعني من هذا وأطعمني، فقد مت جوعاً. فقرب إليه طعاماً فأكل. ثم قال: زودني واحملني وجوزني انطلق إلى طيبي. ويقول ذلك لرجل قد علب عليه الشراب، ففعل وحمله على بعير وزوده وجوزه. وخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين، فأخبرهم أن القوم سكارى، فخرج القوم عليهم حتى اقتحموا عسكرهم فوضعوا فيهم السيوف حيث شاءوا، واقتحمو الخندق هرابا، فمترد، وناج، ودهش، ومقتول، ومأسور. واستولى المسلمون

على مافي العسكر، و لم يفلت رجل إلا بما عليه. فاما أبجر فأفلت، وأما الحطم فإنه بعل ودهش وطار فؤاده ، فقام إلى فرسه والمسلمون خلالهم يجرسونهم ليركبه، فلما وضع رجله في الركاب انقطع، فمر به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم، والحطم يستغيث ويقول: ألا رجلك أعقلك. فأعطاه رجله يعقلها فنفحها فأطنها من الفخذ وتركه، فقال: أجهز علي. فقال: إني لأحب أن لاتموت حتى أمضك. وكان مع عفيف عدة من ولد أبيه فأصيبوا ليلتئذ، وجعل الحطم يقول ذلك لمن لا يعرفه حتى مر به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفه، فمال عليه فقتله ، فلما رأى فخذه نادرة فال: واسوأتاه! لو عرفت الذي به لم أحركه. وخرج المسلمون، بعد ما أحرزوا الخندق، على القوم يطلبونهم، فاتبعوهم فلحق قيس بن عاصم أبجر، وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس، فلما خشي أن يفوته طعنه في العرقوب فقطع العصب وسلم النسا. فقال عفيف بن المنذر في ذلك:

فإن يرقأ العرقوب لا يرقأ النسا ... وما كل من تلقى بذلك عالم

ألم ترأنا قد فللنا حماتهم ... بأسرة عمرو والرباب الأكارم

وأسر عفيف بن المنذر، الغرور بن اخي النعمان بن المنذر، فلمته الرباب فيه وكان ابن أختهم وسالوه أن يجيره، فجاء به إلى العلاء قال: إني أجرته. قال: ومن هو؟ قال: الغرور. قال العلاء: انت غررت هؤلاء؟ قال: أيها الملك أني لست بالغرور، ولكني المغرور. قال: أسلم. فأسلم وبقي بهجر. وكان الغرور اسمه، ليس بلقب. وقل العفيف أيضاً المنذر بن سويد أخا الغرور لأمه، وكان له يومئذ بلاء عظيم فأصبح العلاء يقسم الأنفال، ونفل رجالاً من أهل البلاء قياباً، فكان فيمن نفل عفيف بن المنذر، وقيس بن عاصم، وثمامة بن أثال. فأما ثمامة فنفلثياباً فيها خميصة ذات أعلام ، وكان الحطم يباهي فيها. وباع الباقي، وهرب الفل إلى دارين فركبوا إليها السفن، فجمعهم الله عز وجل بها، وندب العلاء الناس إلى دارين، وخطبهم فقال: إن الله عز وجل قد جمع لكم أحزاب السيطان، وشذاذ الحرب في هذا اليوم ، وقد أراكم من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا إلى عدوكم ثم استعرضوا البحر إليهم، فإن الله جل وعز قد جمعهم به. فقالوا: نفعل ولا نهاب والله بعد الدهناء هولاً ما بقينا! فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر فاقتحموا على الخيل، هم والحمولة والإبل وابغال، الراكب والرجل ، ودعا ودعوا، وكان دعاؤه و دعائهم: با أرحم الراحمين، ياكريم يا حليم، يا صمد يا حي يا محيي الموتى، يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت يا ربنا فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر. ووصل المسلمون إليها فما تركوا من المشركين بها مخبراً ، وسبوا الذراري، واستاقوا الأموال، فبلغ من ذلك نفل الفارس من المسلمين ستة آلاف، والراجل ألفين. فلما فرغوا رجعوا عودهم على بدئهم، وفي ذلك يقول عفيف:

ألم تر أن الله ذلل بحره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا ... بأعجب من شق البحار الأوائل

وأقفل العلاء الناس إلا من أحب المقام، فاختار ثمامة بن أثال الذي نفله العلاء خميصة الحطم حين نزل على ماء لبني قيس بن ثعلبة، فلما رأوه عرفوا الخميصة فبعثوا أليه رجلاً فسألوه: أهو الذي قتل الحطم؟ فقال: لا، ولوددت أني قتلته. قال: فأني لك حلته؟ قال: نفلتها. قالوا: وهل ينفل إلا القاتل. قال: إنها لم تكن عليه إنما كانت في رحله. قالوا: كذبت. فقتلوه، وكان بهجر راهب فأسلم فقيل له: ما دعاك إلى الإسلام فقال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها إن انا لم افعل: فيض في الرمال، وتمهيد أثباج البحور، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء من السحر. قالوا: وما هو؟ قال: " اللهم إنك أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع ليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، والحي الذي لايموت، وخالق مايرى ومالا يرى، وكل يوم أنت في شأن، وعلمت اللهم كل شيء بغير تعليم" . فعلمت أن القوم لم يعاونوا بالملائكة إلا وهم على امر الله جل وعز فلقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا من ذلك الهجري بعد.

يا خليلي من ملام دعاني وألما الغداة بالأظعان

لاتلوما في آل زينب إن ال قلب رهن بآل زينب عان

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض، خفيف رمل بالبنصر. وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى، أخت قدامة بن موسى الجمحي.

أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، قال: حدثني قدامة بن موسى قال: خرجت بأختي زينب بنت موسى إلى العمرة، فلما كنت بسرف لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم علي، فقلت: إني أراك متوجها يا أبا الخطاب؟ قال: ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال ، فأردت الحديث معها. قلت: أما علمت أنها أختي؟ قال:لا والله. واستحيا وثنى عنق فرسه راجعاً إلى مكة.

أخبرني حرمي قال حدثني الزبير: قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال: نسب ابن أبي ربيعة بزينب بنت موسى الجمحي، أخت قدامة بن موسى، فقال:

يا خليلي من ملام دعاني

وذكر البيتين وبعدهما:

لم تدع للنساء عندي نصياً غير ما قلت مازحاً بلساني

فقال له ابن أبي عتيق: أما قلبك فمغيب عنا، وأما لسانك فشاهد عليك.

أخبرني الحرمي قال: حدثني الزبير قال: قال عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد العزيز الزهري: لما نسب عمر بن أبي ربيعة بزينب قال:

لم تدع لنساء عندي نصيباً غير ما قلت مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق: رضيت لهما بالمودة، وللنساء بالدهفشة .

قال: والدهفشة: التجميش والخديعة بالشيء اليسير.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: أخبرني مثل ذلك عبد الملك بن عبد العزيز، عن يوسف بن الماجشون قال: فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي فأنكره، فقيل لابن أبي عيتق: لأبو وداعة قد اعترض لعمر بن أبي ربيعة دون زينب بنت موسى الجمحي وقال: لا أقر له أن يذكر في الشعر امرأة من بينر هصيص. فقال ابن ابي عتيق: لا تلوموا أبا وداعة أن ينعظ من سمر قند على أهل عدن.

قال عبد الملك: وفيها يقول أيضاً عمر:

طال عن آل زينب الإعراض للتعزي وما بنا الإبغاض

ووليداً قد كان علقها القل ب إلى أن علا الرءوس البياض

حبلها عندنا متين وحبلي عندها واهن القوى أنقاض

غناه ابن محرز رمل بالبنصر عن حبش. وفيها يقول أيضاً:

أيها الكاشح المعير بالصر م ترحزح فما بها الهجران

لامطاع في آل زينب فارجع أو تكلم حتى يمل اللسان

فاجعل الليل موعداً حين يمسي ويعفي حديثنا الكتمان

كيف صبري عن بعض نفسي وهل يص بر عن بعض نفسه إنسان

ولقد أشهد المحدث عند ال قصر فيه تعفف وبيان

في زمان من المعيشة لذ قد مضى عصره وهذا زمان

عروضه من الخفيف، غناه ابن سريج، ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية، ووافقته دنانير.

وذكر يونس أن فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين، و لم يجنسهما. وأول لحن عباد: لا مطاع في آل زينب، وأول لحن ابن محرز: ولقد أشهد المحدث.

قال: وفيها يقول أيضاً:

أحدث نفسي والأحاديث جمة وأكبر همي والأحاديث زينب

إذا طلعت شمس النهار ذكرتها وأحدث ذكراها إذا الشمس تغرب

ذكر حماد عن أبيه أن فيه للهذلي لحناً لم ينسبه.

يا نصب عيني لا أرى حيث التفت سواك شيا

إني لميت إن صدد ت وإن وصلت رجعت حيا

الشعر لعلي بن أديم الجعفي الكوفي، والغناء لعمرو بن بانة، رمل بالوسطى.

ذكر علي بن أديم وخبره

هو رجل من تجار أهل الكوفة كان يبيع البز، وكان متأدباً صالح الشعر، يهوى جارية يقال لها منهلة، واستهيم بها مدة ثم بيعت فمات أسفاً عليها. وله حديث طويل معها في كتاب مفرد مشهور، صنعه أهل الكوفة لهما، فيه ذكر قصصهما وقتاً وقتاً، وما قال فيها من الأشعار. وأمرهما متعالم عند العامة، وليس مما يصلح الإطالة به.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: قال دعبل بن علي: كان بالكوفة رجل يقال له علي بن أديم، وكان يهوى جاريةً لبعض أهلها، فتعاظم أمره وبيعت الجارية فمات جزعاً عليها، وبلغها خبره فماتت.

قال: وحدثني بعض أهل الكوفة أنه علقها وهي صبيةً تختلف إلى كتاب، فكان يجئ إلى ذلك المؤدب فيجلس عنده لينظر إليها، فلما أن بلغت باعها مواليها لبعض الهاشميين، فمات جزعاً عليها. قال: وأنشدني له أيضاً.

صاحوا الرحيل وحثني صحبي قالوا الرواح فطيروا لبي

واشتقت شوقاً كاد يقتلني والنفس مشرفة على نحب

لم يلق عند البين ذو كلف يوماً كما لاقيت من كرب

لا صبر لي عند الفراق على فقد الحبيب ولوعة الحب

الشعر لعلي بن أديم الكوفي الجعفي، والغناء لحكم الوادي. وذكر حبش أن لإبراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً . والله أعلم.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العمري قال: حدثني دعبل بن علي قال: كان بالكوفة رجل من بني أسد يقال له علي بن أديم، فهوي جارية لبعض نساء بني عبس، فباعتها لرجل من بني هاشم، فخرج بها عن الكوفة، فمات علي بن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثة أيام من خروجها، وبلغها خبره فماتت بعده ، فعمل أهل الكوفة لهما أخباراً هي مشهورة عندهم.

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو بكر العمري قال حدثنا أبو صالح الأزدي قال: حدثنا محمد بن الحسين الكوفي قال: حدثنا محمد بن سماعة قال: آخر من مات من العشق علي بن أديم الجعفي، مر بمكتب في بني عبس بالكوفة، فرأى فيه جارية تسمى منهلة، عليها ثياب سواد، فاستهيم بها وأعجبته، وكلف بها وقال فيها:

إني لما يعتادني من حب لابسة السواد
في فتنة وبلية ما إن يطيقهما فؤادي
فبقيت لادنيا أصب ت وفاتني طلب المعاد

وسأل عنها فإذا لها مالكة عبسية، وكان ابن أديم خزازا ، فتحمل أبوه بجماعة من التجار على مولاها لتبيعها فأبت، وخرج إلى أم جعفر ورفع إليها قصته يسألها فيها المعونة على الجارية، فخرج له توقيع بما أحب، وأقام يتنجز تمام أمره. فينا هو ذات يوم على باب أم جعفر إذ خرجت امرأة من دارها فقالت: أين العاشق؟ فأشاروا إليه فقالت: انت عاشق وبينك وبين من تحب القناطر والجسور، والمياه والأنهار، مع مالا يؤمن من حدوث الحوادث، فكيف تصبر على هذا، إنك لجسور صبور! فخامر قلبه هذا القول وجزع، فبادر فاكترى بغلاً إلى الكوفة، على الدخول، فمات يوم دخول الكوفة.

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد، مولى ثقيف. وكان أبوه صاحب ديوان ووجهاً من وجوه الكتاب، وينسب إلى أمه بانة بنت روح القحطبية . وكان مغنياً محسناً، وشاعراً صالح الشعر، وصنعته صنعة متوسطة، النادر منها ليس بالكثير ، وكان يقعده عن اللحاق بالمتقدم في الصنعة أنه كان مرتجلاً، والمرتجل من المحدثين لا يلحق الضراب. وعلى ذلك فما فيه مطعن، ولا يقصر جيد صنعته عن صنعة غيره من طبقته وإن كانت قليلة، وروايته أحسن رواية.

وكتابه في الأغاني أصل من الأصول، وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدي في الغناء وتجنيسه، ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصباً شديداً، ويواجهه بذلك وينصر إبراهيم بن المهدي عليه. وكان تياهاً معجباً شديد الذهاب بنفسه، وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم، على ما كان به من الوضح. وفيه يقول الشاعر:

أقول لعمرو وقد مر بي فسلم تسلمية جافية
لئن فضلوك بفضل الغناء لقد فضل الله بالعافية

وقال ابن حمدون: كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ الغناء عنه، حتى كان من يسمعه لو توارى عن عينه عمرو ثم غنيى لم يشكك في أنه هو الذي أخذ عنه، لحسن حكايته، وكان محظوظاً ممن يعلمه، ما علم أحداً قط إلا خرج نادراً مبرزاً.

فأخبرني جحظة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال: قال لي عمرو بن بانه: علمت عشرة غلمان كلهم تبينت فيهم الثقافة والحذق، وعلمت أنه يتقدم، احدهم أنت، وتمرة، وما تبينت قط من أحد خلاف ذلك فعلمته.

وقال محمد بن الحسن الكاتب: حدثني أبو حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية قال: سمعت عمرو بن بانة يقول لإسحاق في كلام جرى بينهما: ليس مثلي يقاس بمثلك، لأنك تعلمت الغناء تكسباً، وتعلمته تطرباً، وكنت

و لم يذكر غير هذا.

وقال محمد بن الحسن: حدثني أبو الحسين العاصمي قال:

دخلت أنا وصديق لي على عمرو بن بانة في يوم صائف، فصاد فناه جالساً في ظل طويل ممتع ، فدعاني إلى مشاركته فيه، وجعل يغنينا يومه كله لحنه:

نقابك فاتن لاتفتنينا ونشرك طيب لاتحرمينا

وخاتمك اليماني غير شك ختمت به رقاب العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة، هزج خفيف بالبنصر.

قال: فما طربت لغناء قط طربي له، ولا سمعت أشجى ولا أكثر نغماً، ولا أحسن من غنائه .

وأخبرني جحظة قال: حدثني أبو حشيشة قال: كنت يوماً عند عمرو بن بانة، فزاره خادم كان يحبه فأقام عنده، فطلب عمرو في الدنيا كلها من يضرب عليه فلم يجد أحداً، فقال له جعفر الطبال: إن أنا غنيتك اليوم على عود يضرب به عليك، أي شيء لي عندك؟ قال: مائة درهم ودستيجة نبيذ. وكان جعفر متقدماً نادراً طيباً، وكان نذل الهمة ، فقال: أسمعني مخرج صوتك. ففعل فسوى عليه طلبه كما يسوي الوتر، واتكأ عليه بركبته فأوقع عليه . و لم يزل عمرو يغني بقية يومه على غيقاعه لا ينكر من شيئاً حتى انقضى يومنا ودفع إليه ائة درهم، وأحضر الدستيجة فلم يكن له من يحملها فحملها جعفر على عنقه، وغطاها بطيلسانة وانصرفنا.

قال أبو حشيشة: فحدثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بزيع، وكان صديق إبراهيم بن المهدي، فحدثني أن أبراهيم بن المهدي قال له: يا جعفر حذق فلانة جاريتي ضرب الطبل، ولك مائة دينار أعجل لك منها خمسين. قال: نعم. فعجلت له الخمسون وعلمها، فلما حذقت طالب إبراهيم بتتمة المائة فلم يعطه، فاستعدى عليه أحمد بن أبي دواد الحسني خليفته فأعداه، ووكل إبراهيم وكيلاً، فلما تقدم مع الوكيل إلى القاضي أراد الوكيل أن يكسر حجة جعفر فقال: أصلح اله القاضي، سله من أين له هذا الذي يدعي؟ وما سببه؟ فقال جعفر: أصلح الله القاضي أنا رجل طبال، وشارطني إبراهيم على مائة دينار على أن أحذق جاريته فلانة، وعجل لي بخمسين ديناراً ومنعني الباقي بعد أن رضي حذقها، فيحضر القاضي الجارية وطبلها، وأحضر أنا طبلي، وسمعنا القاضي، فإن كانت مثلي قضى لي عليه، وإلا حذقتها فيه حتى يرضى القاضي. فقال له القاضي: قم عليك وعليها لعنة الله، وعلى من يرضى بذلك منك ومنها. فأخذ الأعوان بيده فأقاموه.

وقال علي بن محمد الهشامي : حدثني جدي ابن حمدون قال: كنت عند عمرو بن بانة يوماً ففتح باب داره فإذا بخادم ابيض شيخ قد دخل يقود بغلاً له عليه مزادة، فلما رآه عمرو صرخ:لا إله إلا الله، ما أعجب أمرك يا دنيا! فقلت له: مالك؟ قال: ياأبا عبد الله ، هذا الخادم رزق غلام علوية المغني، الذي يقول فيه الحسين بن الضحاك الشاعر:

ياليت رزقاً كان من رزقي ياليته حظي من الخلق

قد صار إلى ما ترى. ثم غناني لحناً له في هذا الشعر، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت.

ياليست رزقاً كان من رزقي ... ياليته حظي من الخلق

يا شادناً ملكته رقي ... فلست أرجو راحة العتق

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعمرو بن بانة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى.

وقال علي بن محمد الهشامي: حدثني جدي-يعني ابن حمدون-قال: كنا عند المتوكل ومعنا عمرو بن بانة، في آخر يوم من شعبان فقال له عمرو: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، تامر لي بمترل فإنه لا مترل لي يسعني. فأمر المتوكل عبيد الله بن يحيى بأن يبتاع له مترلاً يختاره. قال: وهجم الصوم وشغل عبيد الله، وانقطع عمرو عنا، فلما أهل شوال دعا بنا المتوكل فكان أول صوت غناه عمرو في شعر هذا:

ملاك ربي الأعياد تخلقها ... في طول عمر ياسيد الناس

دفعت عن منزل أمرت به ... فإنني عنه مباعد خاس

فمر بتسليمه إلي على ... رغم عدوي بحرمة الكاس

أعوذ بالله والخليفة أن ... يرجع ما قلته على راسي

لحن عمرو في هذا الموضع هزج بالبنصر.

فدعا المتوكل بعبيد الله بن يحيى فقال له: لم دافعت عمراً بابتياع المترل الذي كنت أمرتك بابتياعه؟ فاعتل بدخول الصوم وتشعب الأشغال. فتقدم إليه أن لا يؤخر ابتياع ذلك إليه، فابتاع له الدور التي في دور سر من رأى، بحضرة المعلى بن أيوب. وفيها توفي عمرو.

أخبرني محمد بن إبراهيم قريص قال: سمعت أحمد بن أبي العلاء يحدث أستاذي-يعني محمد بن دواد بن الجراح قال: جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم، وأخرج بدرة دراهم سبقاً لمن تقدم منهم وأحسن، فحضره مخارق، وعلويه، وعمرو بن بانة، ومحمد بن الحارث بن بسخنر، فغنى فلم يصنع شيئاً، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيله، وامتدت الأعين إلى مخارق وعمرو، فبدأ مخارق فغنى:

إني امرؤمن خيرهم ... عمي وخالي من جذام

فما فهنهه عمرو مع انقطاع نفسه حتى غنى:

يا ربع سلامة بالمنحنى ... بخيف سلع جادك الوابل

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً فبكى طرباً وقال: أحسنت والله واستحققت، فإن أعطيته وإلا فخذه من مالي، يا حبيبي عني أخذت هذا الصوت، وقد والله زدت علي فيه وأحسنت غاية الإحسان، ولا يزال صوتي عليك أبداً.فقال له عبد الله: من حكمت له بالسبق فقد حصل. وأمر له بالبدرة فحملت إلى عمرو.

ثم حدثنا بعد ذلك أن إسحاق لقي عمرو بن راشد الخناق فقال له: قد بلغني خبر المجلس الذي جمع عبد الله فيه المغنين يمتحنهم، ولو شاء لكان في راحة من ذلك. قلت: وكيف؟ قال: أما مخارق فأحسن القوم غناء إذا اتفق له أن يحسن، وقلما يتفق له ذلك. وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل، وأملحهم إشارة بأطراف وجهه في الغناء، وليس له غير ذلك. وأما عمرو بن بانة فأعلم القوم وأرقاهم. وأما علويه فمن أدخله ابن الزانية مع هؤلاء؟.

إني أمرؤمن خيرهم عمي وخالي من جذام
خود كضوء البدر أو أضوا لدى الليل التمام
يجري وشاحاها على نحر نقي كالرخام

والغناء لابن جامع، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

يا خليلي من بني شيبان أنا لا شك ميت فابكياني
إن روحي لم يبق منها سوى شي ويسير معلق بلساني

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وإبراهيم.

وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبد الله، وزائدة بن معن بن زائدة الشيباني، وكان صديقاً وخاصاً بهما.

ثم إن يزيد بن معن غضب لمولاة لهم يقال لها سعدى، وكان أبو العتاهية يشبب بها، فضربه مائة سوط، فهجاه وهجا إخوته، ثم أصلح بينهم مندل بن علي العبدي، وهو مولى أبي العتاهية، فعاد إلى ما كان عليه لهم.

فأخبرني وكيع قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه. وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قالا: قول أبي العتاهية:

يا خليلي من بني شيبان

يخاطب به عبد الله ويزيد ابني معن بن زائدة، او قال عبد الله وزائدة.

أخبرني ابن عمار قال: حدثني زيد بن موسى بن حماد. وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني محمد بن سعيد. قال حدثني أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية قال: كان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة ، لها حسن وجمال ودمائه، وكان ممن يهواها أيضاً عبد الله بن معن بن زائدة أبو الفضل؛ وكانت مولاة لهم يقال لها سعدى، وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها:

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن النيك أشهى من السحق
أفقن فإن الخبز بالأدم يشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبر في الحلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق

وهل يصلح المراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق

قال وقال فيه أيضاً:

قلت لقلب إذ طوى وصل سعدى لهواه البعيدة الأنساب

أنت مقل الذي يفر من القط ر حذار الندى إلى الميزاب

قال محمد بن محمد في خبره: فغضب عبد الله بن معن لسعدى ، فضرب أبا العتاهية مائة فقال:

جلدتني بكفها بنت معن بن زائدة

جلدتني بكفها بأبي أنت جالده

جلدتني وبالغت ومائة غير واحده

اجلدي اجلدي اجلدي إنما أنت والده

بين عبد الله بن معن وأبي العتاهية أخبرني وكيع قال: حدثني أبو أيوب المديني قال:

احتال عبد الله بن معن فضرب أبا العتاهية ضرباً غير مبرح، إشفاقاً مما يغنى به، فقال:

اجلدي اجلدي اجلدي إنما أنت والده

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني مهدي قال: تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن يعرض لمولاته سعدى، فقال أبو العتاهية قوله:

ألا قل لابن معن والذي في الود قد حالا

لقد بلغت ماقال فما باليت ما قالا

ولو كان من الأسد لما راع ولا هالا

فصغ ماكنت حليت به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

ولو مد إلى أذني ه كفيه لما نالا

قصير الطول والطول فلاشب ولا طالا

أرى قومك أبطالا وقد أصبحت بطالا

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسن بن علي الرازي قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال: كنا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي:

إذا كلمته ذات دل لحاجة فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل

وأن عبد الملك بن سليمان بن عمير قال: تركني والله وإن السعلة لتعرض لي في الخلاء فاذكر قوله فأتركها. قال: فقلت له: هذا عبد الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية:

فصغ ما كنت حليت ... به سيفك خلخالا

وما تصنع بالسيف ... إذا لم تك قتالا

قال: فقال عبد الله: ما لبست السيف قط فلمحني إنسان إلا قلت إنه يحفظ شعر أبي العتاهية في، فينظر إلي بسببه. فقال ابن الأعرابي: اعجبوا إليه لعنة الله يهجو مولاه ! وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان.

وقال محمد بن موسى في خبره: وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن:

لاتكثرا يا صاحبي رحلي ... في شتم من أكثر من عذلي

سبحان من خص ابن معن بما ... أرى به من قلة العقل

قال ابن معن وجلا نفسه ... علي من الجلوة يا أهلي

أنا فتاة الحي من وائل ... في الشرف الباذخ والنبل

ما في بني شيبان أهل الحجى ... جارية واحدة مثلي

ياليتني أبصرت دلالة ... تدلني اليوم على فحل

والهفتا اليوم على أمرد ... يلصق مني القطرط بالحجل

أتيته يوماً فصافحته ... فقال دع كفي وخذ رجلي

يكنى أبا الفضل فيا من رأى ... جارية تكنى أبا الفضل

قد نقطت في خدها نقطةً ... مخافة العين من الكحل

إن زرتموها قال حجابها ... نحن عن الزوار في شغل

مولاتنا خالية عندها ... بعل ولا إذن على البعل

قولا لعبد الله لاتجهلن ... وأنت رأس النوك والجهل

أتجلد الناس وأنت امرؤ ... تجلد في الدبر وفي القبل

تبذل ما يمنع أهل الندى ... هذا لعمري منتهى البذل

ما ينبغي للناس أن ينسبوا ... من كان ذا جود إلى البخل

وقال في ضربه إياه:

ضربتني بكفها بنت معن ... أوجعت كفها وما أوجعتني

ولعمري لو لا أذى كفها إذ ضربتني بالسوط ما تركتني

أخبرني ابن عمار قال حدثني محمد بن موسى. وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني جبلة بن محمد قالا: لما اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن غضب من ذلك أخوه يزيد بن معن، فهجاه أبو العتاهية فقال:

بني معن ويهدمه يزيد كذاك الله يفعل ما يريد

فمعن كان للحساد غما وهذا قد يسر به الحسود

يزيد يزيد في منع وبخل وينقص في النوال ولا يزيد

أخبرني محمد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال: لما هجا أبو العتاهية بني معن فمضوا إلى مندل وحيان ابني علي العتربين الفقيهين، وكانا من سادات أهل الكوفة، وهما من بني عمرو بن عمرو، بطن من يقدم بن عنزة ، فقالوا لهما: نحن بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا مالو أتى من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه. فأحضر أبا العتاهية و لم يكن يمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن، وضمنا عنه خلوص النية، وعنهما ألا يتتبعاه بسوء وكانا ممن لايمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء، وجعل الناس يعذلون أبا العتاهية فيما فرط منه، ولامه آخرون على صلحه لهم، فقال:

ما لعذالي ومالي أمروني بالضلال

عذلوني في اغتفاري لابن معن واحتمالي

أنا منه كنت أكبى زندةً في كل حال

كل ما قد كان منه فلقبح من فعال

إنما كانت يميني صرمت جهلاً شمالي

ماله بل نفسه لي وله نفسي ومالي

قل لمن يعجب من حس ن رجوعي وانتقالي

قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرجال

رب وصل بعد صد وقلى بعد وصال

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال: كان أبو العباس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية، و لم يعن أخويه عليه، فمات فرثاه فقال:

حزنت لموت زائدة بن معن حقيق أن يطول عليه حزني

فتى الفتيان زائدة المصفى أبو العباس كا، أخي وخدني

فتى قومي وأي فتى توارت به الأكفان تحت ثرى ولبن
ألا ياقبر زائدة بن معن دعوتك كي تجيب فلم تجبني
سل الأيام عن أركان قومي أصبت بهن ركناً بعد ركن
فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهناً وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
فإن خفيت كانت لعينيك قرةً وإن تبد يوماً لم يعممك عارها
من الخفرات البيض لم تر شقوةً وفي الحسب المكنون صاف نجارها

الشعر لكثير، والغناء لمعبد في الأول الثاني، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطىعن إسحاق.

وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سريج. وللغريض في الرابع والثالث ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وحبش.

وذكر الهشامي أن الأول والثاني رملاً لابن سريج بالوسطى.

ذكر عمرو وحبش أن فيه رملاً لابن جامع بالبنصر.

وفي الأبيات خفيف ثقيل يقال إنه لمعبد، ويقال إنه للغريض، وأحسبه للغريض.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة هكذا موقوفاً لم يتجاوز. وأخبرني أن كثير بن عبن الرحمن كان غالياً في التشيع. وأخبر عن قطام صاحبة ابن ملجم في قدمة قدمها الكوفة فأراد الدخول عليها ليوبخها، فقيل له: لاتردها فإن جواباً. فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرعه فقالت: من هذا؟ فقال: كثير بن عبد الرحمن الشاعر. فقالت لبنات عم لها: تنحين حتى يدخل الرجل. فولجن البيت وأذنت له، فدخل وتنحت من بين يديه، فرآها وقد ولت فقال لها: أنت قطام؟ قالت: نعم. قال: صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قالت: صاحبة عبد الرحمن بن ملجم. قال: أليس فيك قتل علي بن أبي طالب؟ قالت: بل مات بأجله. قال: أما والله لقد كنت أحب أن أراك، فلما رأيتك نبت عيني عنك، فما احلوليت في خلدي. قالت: والله إنك لقصير القامة، عظيم الهامة، قبيح المنظر، وإنك لكما قال الأول: تسمع بالمعبدي خير من أن تراه . فقال:

رأت رجلاً أودى السفار بوجهه فلم يبق إلا منظر وجناجن
فإن أك معروق العظام فإنني إذا وزن الأقوام بالقوم وازن
وإني لما استودعتني من أمانة إذا ضاعت الأسرار لسر دافن

فقالت: أنت لله أبوك كثير عزة؟ قال: نعم. قالت: الحمد لله الذي قصر بك فصرت لاتعرف إلا بامرأة! فقال: الأمر كذلك، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذكري، وقرب من الخليفة مجلسي، وأنا لكما قلت:

فإن خفيف كان لعينك قرةً وإن تبد يوماً لم يعمك عارها

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وغرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل اللدن نارها

فقالت: با لله ما رأيت شاعراً قط أنقص عقلاً منك، ولا أضعف وصفاً، أين أنت من سيدك امرىء القيس حيث يقول:

ألم تريا ني كلما جئت طارقا وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فخرج وهو يقول:

الحق أبلج لايخيل سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب

هاك فاشربها خليلي في مدى الليل الطويل

قهوةً في ظل كرم سبيت من نهر بيل

في لسان المرء منها مثل طعم الزنجبيل

قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل

أنت دعها وارج أخرى من رحيق السلسبيل

تعطش اليوم وتسقى في غد نعت الظلول

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، والغناء لإبراهيم الموصلي، هزج بالبنصر عن حبش. ولإبراهيم بن المهدي في الخامس والسادس والأول خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر، وقيل لعبد الرحيم .

ذكر ادم بن عبد العزيز وأخباره

آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وأمه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضاً.

وهو أحد من من عليه أبو العباس السفاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم.

وكان آدم في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب، ثم نسك بعد ما عمر، ومات على طريقة محمود.

وأخبرني الحسين بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي، عن الزبير بين بكار عن عمه: أن المهدي أنشد هذه الأبيات وعنى فيها بحضرته:

أنت دعها وارج أخرى من رحيق السلسبيل

فسئل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عرو بن عبد العزيز، فدعا به فقال له: ويلك تزندقت؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ومتى رأيت قرشياً تزندق؟ والمحنة في هذا إليك ، ولكنه طرب غلبني، وشعر طفح على قلبي في حال الحداثة فنطقت به. فخلى سبيله.

قال: وكان المهدي يحبه ويكرمه، لظرفه وطيب نفسه.

وروي هذا الخبر عن مصعب الزبيري وإسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: كان آدم بن عبد العزيز يشرب الخمر ويفرط في المجون، وكان شاعراً، فأخذه المهدي فضربه ثلثمائة سوط على أن يقر بالزندقة، فقال: والله ما أشركت با لله طرفة عين، ومتى رأيت قرشياً تزندق؟ قال: فأين قولك:

اسقني واسق غصينا ... لا تبع بالنقد دينا

اسقنيها مزة الطعـ ... ـم تريك الشين زينا

في هذين البيتين لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم هزج بالبنصر-.

قال: فقال لئن كنت ذاك فما هو مما يشهد على قاتله بالزندقة. قال: فأين قولك:

اسقني واسق خليلي ... في مدى الليل الطويل

قهوة صهباء صرفاً ... سبيت من نهر بيل

لونها أصفر صاف ... وهي كالمسك الفنيل

في لسان المرء منها ... مثل طعم الزنجبيل

ريحها ينفسح منها ... ساطعاً من رأس ميل

من ينل منها ثلاثاً ... ينس منهاج السبيل

فمتى ما نال خمساً ... تركته كالقتيل

ليس يدري حين ذاكم ... ما دبير من قبيل

إن سمعي عن كلام ال ... لائمي فيها الثقيل

لشديد الوفر، إني ... غير مطواع ذليل

قل لمن يلحاك فيها ... من فقيه أو نبيل

أنت دعها وارج أخرى ... من رحيق السلسبيل

نعطش اليوم ونسقى ... في غد نعت الطلول

فقال: كنت فتى من فتيان قريش، أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل المجون، والله ما كفرت با لله قط، ولا شككت فيه. فخلى سبيله ورق له.

قال مصعب: وهو الذي يقول:

اسقني يا معاوية سبعة أو ثمانية

اسقنيها وغنني قبل أخذ الزبانيه

اسقنيها مدامةً مزة الطعم صافية

ثم من لامنا علي-ها فذاك ابن زانيه فيه خفيف رمل بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكي، وإلى حكم الوادي.

قال: وآدم الذي يقول:

أقول وراعني إيوان كسرى برأس معان أو أدروسفان

وأبصرت البغال مربطات به من بعد أزمنة حسان

يعز على ابي ساسان كسرى بموقفكن في هذا المكان

شربت على تذكر عيش كسرى شراباً لونه كالزعفران

ورحت كأنني كسرى إذا ما علاه التاج يوم المهرجان

قال وهو الذي يقول:

أحبك حبين لي واحد وآخر انك أهل لذاك

فأما الذي هو حيب الطباع فشيء خصصت به عن سواك

وأما الذي هو حب الجمال فلست أرى ذاك حتى أراك

ولست أمن بهذا عليك لك المن في ذا وهذا وذاك

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني عمي عن فليح بن سليمان قال: مررنا يوماً مع خالصة في موكبها، فوقفت على آدم بن عبد العزيز فقالت: يا أخي طلبت منا حاجةً فرفعناها لك إلى السيدة وأمرت بها وهي في الديوان، فساء ظنك بها فقعدت عن تنجزها. قال: فموه لها عذراً اعتذر به فوقفت عن الموكب حتى مضت، ثم قلت له: أخملت نفسك، والله ما أحسب أنه حبسك عنها إلا الشراب، أنت ترى الناس يركضون خلفها وهي ترف عليك لحاجتك . فقال: والله هو ذاك، إذا أصبحت فكل كسرةً ولو بملح، وافتح دنك فإن كان حامضاً دبغ معدتك، وإن كان حلواً خرطك ، وإن كان مدركاً فهو الذي أردت. قلت: لا بارك الله عليك. ومضيت، ثم أقلع بعد ذلك وتاب. فاستأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب: ارفعوا الشراب فإن هذا

قد تاب وأحسبه يكره أن يراه. فرفع وأذن له، فلما دخل قال: "إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون". قال يعقوب: هو الذي وجدت، ولكننا ظننا أن يثقل عليك لتركك الشراب. قال: إي والله، إنه ليثقل علي ذاك. قال: فهل قلت في ذلك شيءاً منذ تركته؟ قال قتل:

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر ... ليجزيه يوماً بذلك قادر

شربت فلما قيل ليس ينازع ... نزعت وثوبي من أذى اللوم طاهر

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أبو هفان عن إسحاق قال: كان مع المهدي رجل من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار، وكانت له لحية عظيمة، فذهب يوماً ليركب فوقعت لحيته تحت قدمه في الركاب فذهب عامتها، فقال آدم بن عبد العزيز قوله:

قد استوجب في الحكم ... سليمان بن مختار

بما طول من لحي ... ته جزا بمنشار

أو السيف أو الحلق ... أو التحريق بالنار

فقد صار بها أشه ... ر من رابة بيطار

فقال: ثم أنشدها عمر بن بزيغ المهدي فضحك، وسارت الأبيات، فقال أسيد بن أسيد، وكان وافر اللحية: ينبغي لأمير المؤمنين أن يكف هذا الماجن عن الناس. فبلغت آدم بن عبد العزيز فقال:

لحية تمت وطالت ... لأسيد بن أسيد

كشراع من عباء ... قطعت حبل الوريد

يعجب الناظر منها ... من قريب وبعيد

هي إن زادت قليلاً ... قطعت حبل الوريد

وقال: وكان المهدي يدني آدم ويحبه ويقربه، وهو الذي قال لعبد الله بن علي لما أمر بقتله في بني أمية بنهر أبي فطرس : إن أبي لم يكن كابائهم، وقد علمت مذهبه فيكم. فقال: صدقت، وأطلقه. وكان طيب النفس متصوفا، ومات على توبة ومذهب جميل.

ألا ياصاح للعجب ... دعوتك ثم لم تجب

إلى القينات والذا ... ت والصهباء والطرب

ومنهن التي تبلت ... فؤادك ثم لم تتب

الشعر ليزيد بن معاوية، يقوله للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. والغناء لسائب خاثر، خفيف رمل الوسطى عن حبش.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني المادائني قال: قدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه، فقال له ليلةً: ألا أوليك خراسان؟ قال: بل وسجستان. فعقد له في ليلته فقال:

اسقني شربةً فرو عظامي ثم عد واسق مثلها ابن زياد

موضع السر والأمانة مني وعلى ثغر مغنمي وجعادي

قال: ولما رجع في خلافة أبيه جلس بالمدينة على شراب، فاستأذن عليه عبد الله بن العباس، والحسين بن علي، فأمر بشرابه فرفع وقيل له: إن ابن عباس إن وجد ريح شرابك عرفه. فحجبه وأذن للحسين، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال: لله در طيبك هذا ما أطيبه، وما كنت أحسب أحداً يتقدما في صنعة الطيب، فما هذا يا ابن معاوية؟ فقال: يا أبا عبد الله، هذا طيب يصنع لنا بلشأم. ثم دعا بقدح فشربه، ثم دعا بقدح آخر فقال: اسق أبا عبد الله ياغلام. فقال الحسين: عليك شرابك أيها المرء، لا عين عليك مني. فشرب وقال:

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب

إلى القينات واللذا ت والصهباء والطرب

وباطية مكللة عليها سادة العرب

وفيهن التي تبلت فؤادك ثم لم تتب

فوثب الحسين عليه السلام وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية!.

أأن نادى هديلاً يوم فلج مع الإشراق في فنن حمام

ظللت كأن دمعك در سلك وهي خيطاً وأسلمه النظام

تموت تشوقاً طوراً وتحيا وأنت جدير أنك مستهام

كأنك من تذكر أم عمرو وحبل وصالها خلق رمام

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فإن يكن النكاح أحل انثى فإن نكاحها مطراً حرام

ولاغفر إلا له لمنكحيها ذنوبهم وإن صلوا أو ساموا

فطلقها فلست لها بكفء وإلا عض مفرقك الحسام

الشعر للأحوص، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاد الأنصاري قال: حدثني أبو

عبد الله بن سعد الأنصاري قال: قدم الأحواص البصرة فخطب إلى رجل من تميم ابنته، وذكر له نسبه، فقال: هات لي شاهداً واحداً يشهد أنك ابن حمي الدبر وأزوجك. فجاءه بمن شهد له على ذلك، فزوجه إياها، وشرطت عليه ألا يمنعها من أحد من أهلها، فخرج إلى المدينة وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم، فقالت له: اعدل بي إلى أختي. ففعل، فذبحت لهم وأكرمتهم، وكانت من أحسن الناس، وكان زوجها في إبله، فقالت زوجة الأحوص له: أقم حتى يأتي. فلما أمسوا راح مع إبله ورعائه، وراحت غنمه فراح من ذلك أمر كثير . وكان يمسي مطراً، فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه، وكان قبيحاً دميماً ، فقالت له زوجته: قم إلى سلفك وسلم عليه. فقال وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه:

سلام الله يامطر عليها ... وليس عليك يامطر السلام

وذكر الأبيات وأشار إلى مطر بإصبعه، فوثب إليه مطر وبنوه، وكاد الأمر يتفاقم حتى حجز بينهم .

قال الزبير: قال محمد بن ثابت: أبو عبد الله بن سعد الذي حدث بهذا الحديث، امه بنت الأحوص، وأمها التميمية أخت زوجة مطر.

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد عن أبيه، أن امرأة الأحوص التي تزوجها، إحدى بني سعد بن زيد مناه بن تيمم. وذكر باقي القصيدة، وهو قوله:

كأنك من تذكر أم عمرو ... وحبل وصالها خلق رمام

صريع مدامة علبت عليه ... تموت لها المفاصل والعظام

وأني من بلادك أم عمرو ... سقى داراً تحل بها الغمام

تحل النعف من أحد وأدنى ... مساكنها الشبيكة أو سنام

فلو لم ينكحوا إلا كفيا ... لكان كفيها الملك الهمام

أخبرني الحسين قال: قال حماد: قرأت على أبي: حدثنا ابن كناسة قال: مر بنا أشعب ونحن جماعة في المجلس، فأتى جار لنا صاحب جوار يقال له أبان بن سليمان، وعليه رداء خلق، قد بدا منه ظهره وبه آثار، فسلم علينا فرددنا عليه السلام، فلما مضى قال بعض القوم: مدني مجلود! فأراه سمعها أو سمعها رجل يمشي معه فأخبره، فلما انصرف وانتهى إلى المجلس قال:

سلام الله يا مطر عليها ... وليس عليك يا مطر السلام

فقلت للقوم: أنتم والله مطر.

ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة، خبر له آخر شبيه به مع ابن حزم.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا محمد بن فضالة، عن جميع بن يعقوب قال: خطب أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم،

بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، إلى أخيها معمر بن عبد الله فزوجه إياها، فقال الأحوص أبياناً وقال لفتى من بني عمرو بن عرف: أنشدها معمر بن عبد الله في مجلسه ولك هذه الجبة. فقال الفتى: نعم. فجاءه وهو في مجلسه فقال:

يا معمر يا ابن زيد حين تنكحها وتستبد بأمر الغي والرشد

فقال: كان ذلك الرجل غائباً. فقال الفتى:

أما تذكرت صيفيا فتحفظه أو عاصماً أو قتيل الشعب من أحد

قال: ما فعلت ولا تذكرت. فقال الفتى:

أكنت تجهل حزماً حين تنكحها أم خفت،لا زلت فيها جائع الكبد

قال معمر: لم أجهل حزماً. فقال الفتى:

أبعد صهر بني الخطاب تجعلهم صهراً وبعد بني العوام من أسد

فقال معمر: قد كان ذلك. فقال الفتى:

هبها سليلة خيل غير مقرفة مظلومة حبست للعير في الجدد

قال: نعم أعانها الله وصبرها. فقال الفتى:

فكل ما نالنا من عار منكحها شوى إذا فارقته وهي لم تلد

قال: نعم إلى الله عز وجل في ذلك الرغبة.

قال الزبير: أما قوله صهر بني الخطاب فإن جميلة بنت أبي الأقلح كانت عند عمر بن الخطاب، فولدت له عاصم بن عمرو. وأما صهر بني العلوم فإن نهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبي عقبة، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، فولدت له أبا بكر ومحمداً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير قال: حدثني مصعب قال: قال الهدير: كرهت أم جعفر أصواتاً من الغناء القديم، فأرسلت لها رسولاً يلقيها في البحر، ثم غنتها جارية بعد ذلك:

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقالت: هذا أرسلوا به رسولاً مفرداً إلى دهلك ليلقيه في البحر خاصة. قال: والذي حمل أم جعفر على هذا التطير على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات، أيام محاربته المأمون فمنها قوله:

كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

ومنها قوله:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

ومنها قوله:

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

ومنها قوله:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرأهون من بعض

مضى الحديث.

وكنا كند ماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معاً

الشعر لمتمم بن نويرة، يرثي أخاه مالكاً. والغناء لسياط.

ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله

هو متمم بن نويرة بن عمرو بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بنن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار. ويكنى متمم بن نوبرة أبا نهشل.

ويكنى أخوه مالك أبا المغوار. وكان مالك يقال له فارس ذي الخمار، قيل له ذلك بفرس كان عنده يقال له ذو الخمار، وفيه يقول وقد أحمده في بعض وقائعه:

جزاني دوائي ذو الحمار وصنعتي بما بات أطواء بني الأصاغر

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان مالك بن نويرة شريفاً فارساً، وكان فيه خيلاء وتقدم، وكان ذا لمة كبيرة، وكان يقال له الجفول .

وكان مالك قتل في الردة، قتله خالد بن الوليد بالبطاح في خلافة أبي بكر، وكان مقيماً بالبطاح، فلما تنبأت سجاح اتبعها ثم أظهر أنه مسلم، فضرب خالد عنقه صبراً، فطعن عليه في ذلك جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب، وأبو قتادة الأنصاري، لأنه تزوج امرأة مالك بعده، وقد كان يقال إنه يهواها في الجاهلية واتهم لذلك أنه قتله مسلماً ليتزوج امرأته بعده.

حدثنا بالسبب في مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبري قال:

كتب إلي السري بن يحيى، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمي، عن سيف بن عمر، عن الصقعب بن عطية عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عماله على بني تميم، فكان مالك بن نويرة عامله على بني يربوع. قال: ولما تنبأت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان وسارت من الجزيرة، راسلت مالك بن نويرة ودعته إلى الموادعة، فأجابها وقناها عن غزوها، وحملها على أحياء من بني تميم، فأجابته وقالت: نعم فسأنك بمن رأيت، وإنما أنا امرأة من بني يربوع، وإن كان ملك فهو ملككم. فلما تزوجها مسيلمة الكذاب ودخل بها

انصرفت إلى الجزيرة وصالحتهأن يحمل عليها النصف من غلات اليمامة، فارعوى حينئذ مالك بن نويرة وندم وتحير في أمره، فلحق بالبطاح، و لم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما بقي من أمر مالك بن نويرة ومن تأشب إليه بالبطاح، فهو على حاله متحير ما يدري ما يصنع.

وقال سيف: فحدثني سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا: لما أراد خالد بن الوليد المسير خرج من ظفر وقد استبرأ أسداً وغطفان وطيئاً ، فسار يريد البطاح دون الحزن، عليها مالك بن نويرة وقد تردد عليه أمره وقد ترددت الأنصار على خالد وتخلفت عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا؛ فقد عهد إلينا إن نحن فرغنا من البراخة واستبرأنا بلاد القوم، أن يكتب إلينا بما نعمل. فقال خالد: إن يكن عهد إليكم هذا فقد عهد إلي أن أمضي، وأنا الأمير وإلي تنتهي الأخبار، ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ثم رأيت فرصةً إن أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها. وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونعمل به. وهذا مالك بن نويرة بحيالنا، وأنا قاصد له بمن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان، ولست أكرههم . ومضى خالد وبرمت الأنصار وتذامروا وقالوا: لئن أصاب القوم خيراً إنه لخير حرمتموه، ولئن أصابتهم مصيبة ليجتنبكم الناس. فأجمعوا على اللحاق بخالد، وجردوا إليه رسولاً، فأقام عليهم حتى لحقوا به، ثم سار حتى لحق البطاح فلم يجد به أحداً.

قال السري عن سعيب، عن سيف عن خزيمة بن شجرة العقفاني عن عثمان بن سويد، عن سويد بن المنعبة الرياحي قال: قدم خالد بن الوليد البطاح فلم يجد عليه أحداً، ووجد مالك بن نويرة قد فرقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع، فبعث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام ، فمن أجاب فسالموه ومن لم يجب وامتنع فاقتلوه. وكان فيما أوصاهم أبو بكر: إذا نزلتم منزلاً فأذنوا وأقيموا، فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة. ولا كلمة. فجادته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، ومن بني عاصم ، وبيد، وعرين ، وجعفر، واختلفت السيرة فيهم، وفيهم أبو قنادة. وكان ممن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا. فلما اختلفوا فيهم أمر بحبسهم، في ليلة باردة لايقوم لها شيء، وجعلت تزدادبرداً، فأمر خالد منادياً فنادى: دافئوا أسراكم. وكان في لغة كنانة إذا قالوا: دافأنا الرجل وأدفئوه، فذلك معنى اقتلوه من الدفء. فظن القوم أنه يريد القتل فقتلوهم . فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، فسمع خالد الواعية ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وقد اختلف القوم فيهم فقال أبو قتادة: هذا عملك.

فزيره خالد فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر بن الخطاب فيه، فلم يرضى إلا بأن يرجع إليه، فرجع إليه فلم يزل معه حتى قدم المدينة، وقد كان تزوج خالد أم تميم بنت المنهال وتركها لينقضي طهرها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايره، فقال عمر لأبي بكر: إن في سيف خالدرهقاً، وحق عليه أن تقيده . وأكثر عليه في ذلك. وكان أبو بكر لايقيد من عماله ولا من زوعته ، فقال: هبه ياعمر تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد. وودى مالكاً، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل وأخبره خبره فعذره.

وقبل منه، وعنفه بالتزوج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك.

فذكر سيف عن هشام بن عروة عن ابيه قال: شهد قوم من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء فتلوا. وقدم أخوه متمم ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم، فكتب له برد السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله وقال: إن في سيفه لرهقاً! فقال له: لا ياعمر، لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين.

حدثنا محمد بن إسحاق قال: كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة عن عثمان عن سويد قال: كان مالك من أكثر الناس شعراً، وإن أهل العسكر أثفوا القدور بروءسهم ، فما منها رأس إلا وصلت النار إلى بشرته، ما خلا مالكاً فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره،ووقى الشعر البشرة من حر النار أن تبلغ منه ذلك.

قال: وأنشد متمم عمر بن الخطاب، ذكر خمسه- يعني قوله:

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

فقال: أكذاك كان يا متمم؟ قال: أما ما أعني فنعم.

أخبرني اليزيدي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب. وحدثنيه أحمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: أن مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شعراً، وأن خالداً لما قتله أمر برأسه فجعل أثفية لقدر، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النار إلى شواته.

أخبرني محمد بن جرير قال: حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ماذا نقموا، وإذا لم تسمعوا، وإذا لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغارة واقتلوا وحرقوا. فكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصاري، واسمه الحارث بن ربعي أخو بني سلمة، وقد كانعاهد الله أنه لا يشهد حرباً بعدها أبداً. وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح. قال: فقلنا لهم: إنا المسلمون فقالوا: ونحن المسلمون. قلنا : فما بال السلاح معكم؟ فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح. ففعلوا ثم صلينا وصلوا. وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجعه: ما إخال صاحبكم-يعني النبي صلى الله عليه وسلم- إلا وقد كان يقول كذا وكذا. فقال خالد: أو ما تعده صاحباً؟! ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه، وقال: عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته.

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له، وعليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة قد غرز فيها أسهماً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال: أقتلت أمرأً مسلماً ثم نزوتعلى امرأته، والله لأرجمك باحجارك ! ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأي غمر فيه، حتى دخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه، فعذره أبو بكر وتجاوز له عما كان في حربه تلك.

فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمر جالس في المسجد الحرام، فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة . فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته. وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي. ضرار قاتل مالك وقال محمد بن جرير: قال ابن الكلبي: الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور.

وهكذا روى أبو زيد عمر بن شبة عن أصحابه، وأبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قدم مالك بن نويرة على النيب صالى الله عليه وسلم فيمن قدم من أمثاله من العرب، فولاه صدقات قومه بني يربوع، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم اضطرب فيها فلم يحمد أمره، وفرق ما في يده من إبل الصدقة، فكلمه الأقرع بن حابس المجاشعي، والقعقاع بن معبد بن زرارة الدرامي فقال له: إن لهذا الأمر قائماً وطالباً، فلا تعجل بتفرقة ما في يدك. فقال:

أراني الله بالنعم المندى ببرقة رحرحان وقد أراني

تمشى يا بن عوذة في تميم وصاحبك الأقيرع تلحياني

حميت جميعها بالسيف صلتاً ولم ترعش يداي ولا بناني

يعني أم القعقاع، وهي معاذة بنت ضرار بن عمرو. وقال أيضاً:

وقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء من الغد

فإن قام بالأمر المخوف قائم منعنا وقلنا الدين دين محمد

قال ابن سلام : فمن لا يعذر خالداً يقول: إنه قال لخاد: ويهذا أمرك صاحبك- يعني النبي صلى الله عليه وسلم- وانه أراد بهذه القرشية. ومن يعذر خالداً يقول: إنه أراد انتفاء من النبوة، ويحتج بشعريه المذكورين آنفاً. ويذكر خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجهه إلا ابن جلندى قال له: يا أبا سليمان، إن رأت عينك مالكاً فلا تزايله أو تقتله.

قال محمد بن سلام: وسمعني يوماً يونس وأنا أراد التميمية في خالد وأعذره، فقال لي: يا أباعبد الله، أما سمعت بساقي أن تميم؟ يعني زوجة مالك التي تزوجها خالد لما قتله-وكان يقال إنه لم ير أحسن من ساقيها. قال وأحسن ما سمعت من عذر خالد قول متمم بان أخاه لم يستشهد. ففيه دليل على غدر خالد.

أخبرنا اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثني محمد بن الحكم البجلي عن الأنصاري قال: صلى متمم بن نويرة مع أبي بكر الصبح، ثم أنشده قوله:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت تحت الإزار قتلت يا ابن الأزور

أدعوته بالله ثم قتلته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر: والله ما دعوته ولا قتلته. فقال:

لايضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر

ولنعم حشو الدرع أنت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنور

قال: ثم بكى حتى سالت عينه، ثم انخرط على سية قوسه متكئاً . يعني مغشياً عليه.

أخبرني اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني محمد بن صخر بن خلخلة قال: ذكر متمم بن نويرة أخاه في المدينة فقيل له: إنك لتذكر اخاك، فما كانت صفته، او صفه لنا؟ فقال: كان يركب الجمل الثفا في الليلة الباردة، يرتوي لأهله بين المزادتين المضرجتين ، عليه الشملة الفلوت ، يقود الفرس الجرور ، ثم يصبح ضاحكاً.

أخبرني اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن زهير، عن الزبير بن حبيب بن بدر الطائي وغيره: ان المنهال: رجلاً من بني يربوع، مر على أشلاء مالك بن نويرة لما قتله خالد، فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه، فقيه يقول متمم:

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

غناه عمرو بن أبي الكنات، ثقيل أول بالوسطى عن حبش.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا الحسن بن محمد البصري، قال: حدثنا الحسن بن إسماعيل القضاعي قال حدثني أحمد بن عمار العبدي ، وكان من العلم بموضع قال: حدثني أبي عن جدي قال: صليت مع عمر بن الخطاب الصبح، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متنكباً قوساً ، وبيده هرواة، فقال: من هذا؟ فقال: متمم بن نويرة. فاستنشده قوله في أخيه، فأنشده:

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهال تحت ثيابه فتى غير مبطان العشيات أروعا

حتى بلغ إلى قوله:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل بن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معاً

فقال عمر: هذا والله التابين، و لوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك. فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته-وكان قتل باليمامة شهيداً، وأمير الجيش خالد بن الوليد- فقال عمر: ما عزاني أحد عن اخي بمثل ما عزاني به متمم.

قال: وكان عمر يقول: ما هبت الصبا من نحو اليمامة إلا خيل إلي أني أشم ريح أخي زيد .

قال: وقيل لمتمم: ما بلغ من وجدك على أخيك؟ فقال أصبت بإحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة، فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو أحمد الزبير قال: حدثنا عبد الله بن لاحق، عن ابن أبي مليكة قال: مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشي خارج مكة ، فحمل فدفن بمكة، فقدمت عائشة فوقفت على قبره وقالت متمثلة:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

أما والله لو حضرتك لدفنت حيث مت، ولو شهدتك مازرتك.

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن سملم بن قنيبة: أن متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك. فقال: يا أمير المؤمنين أما والله إني مع ذلك لأركب الجمل الثفال، وأعتقل الرمح الشطون ، وألبس الشملة الفلوت. ولقد أسترني بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفديني منهم ، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، وحدثهم فأعجبهم حديثه، فأطلقوني له بغير فداء.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني النوقلي عن أبيه وأهله قالوا: لما أنشد بن نويرة عمر بن الخطاب قوله يرثي أخاه مالكاً:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معاً

قال له عمر: هل كان مالك يحبك مثل محبتك إياه، أم هل كان مثلك؟ فقال: وأين أنا من مالك، وهل أبلغ مالكاً، والله يا أمير المؤمنين لقد أسرني حي من العرب فشدوني وثاقاً بالقد، وألقوني بفنائهم، فبلغه خبري فأقبل على رحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إلي أرعض عني، ونظر القوم إليه فعدل إليهم وعرفت ما أراد، فسلم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم، فوالله إن زال كذلك حتى ملأهم سروراً، وحضر غداؤهم فسأله ليتغدى معهم فنزل وأكل، ثم نظر إلي وقال: إنه لقبيح بنا أن نأكل ورجل ملقى بين أيدينا لا يأكل معنا! وأمسك يده عن الطعام. فلما رأى ذلك القوم نهضوا وصبوا الماء على قدى حتى لان وخلوني، ثم

جاءوا فأجلسوني معهم على الغداء، فلما أكلنا قال لهم: أما ترون تحرم هذا بنا وأكله معنا، إنه لقبيح بكم أن تردوه إلى القد، فخلوا سبيلي فكان كما وصفت. وما كذبت في شيء من صفته إلا أني وصفته خميص البطن، وكان ذا بطن.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن نصر العتيقي قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي، عن أبيه عن مروان بن موسى. ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن علي بن حمزة العلوي، عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه: أن عمر بن الخطاب قال لمتمم بن نويرة: إنكم أهل بيت قد تفانيتم، فلو تزوجت عسى أن ترزق ولداً يكون فيه بقية منكم. فتزوج امرأة بالمدينة فلم ترضى أخلاقه لشدة حزنه على أخيه، وقلة حفله بها، فكانت تماظه وتؤذيه، فطلقها وقال:

أقول لهند حين لم أرض فعلها ... أهذا دلال الحب أم فعل فارك

أم الصرم ما تبغي، وكل مفارق ... يسير علينا فقده بعد مالك

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أحمد بن معاوية، عن سلمويه بن أبي صالح ، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبي عمرو الرازي قال: بينا طلحة والزبير يسيران بين مكة والمدينة إذ عرض لهما أعرابي، فوقفا ليمضي فوقف فتعجلا ليسبقاه فتعجل، فقالا: ما أثقلك يا أعرابي تعجلنا لنسبقك فتعجلت ، فوقفنا لتمضي فوقفت؟ فقال: لا إله إلا الله مفني أغدر الناس ، أغدر بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ هباني خفت الضلال فأحببت أن أستدل بكما؛ أو خفت الوحشة فأحببت أن أستأنس بكما. فقال طلحة: من أنت؟ قال: أنا متمم بن نويرة. فقال طلحة: واسوأتاه، لقد مللنا غير مملول.

هات بعض ما ذكرت في أخيك من البكاء. فزوجوه أم خالد، فبينا هو واضع رأسه على فخذها إذ بكى فقالت: لا إله إلا الله، أما تنسى أخاك. فأنشأ يقول:

أقول لها لما نهتني عن البكا ... أفي مالك تلحينني أم خالد

فإن كان إخواني أصيبوا وأخطأت ... بني أمك اليوم الحتوف الرواصد

فكل بني أم سيمون ليلةً ... ولم يبق من أعيانهم غير واحد

أما معنى قول متمم: وكنا كندماني جذيمة حقبة فإنه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس بن عدثان الأسدي .

وكان الخبر في ذلك ما اخبرنا به علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري، عن محمد بن حبيب. وذكر ابن الكلبي عن أبيه والشرقي وغيره من الواة أن جذيمة الأبرش-وأصله من الأزد، وكان أول من ملك قضاعة

بالحيرة، وأول من حدا النعال، وأدلج من الملوك، ورفع له الشمع -قال يوماً لجلسائه: قد ذكر لي عن غلام من لخم، مقيم في أخواله من إياد، له ظرف ولب، فلو بعثت إليه يكون في ندماني، ووليته كأسي والقيام بمجلسي، وكان الرأي. فقالوا: الرأي ما رأى الملك، فليبعث إليه. ففعل فلما قدم فعل به ما أراد له، فمكث كذلك مدة كويلةً ثم أشرفت عليه يوماً رقاش ابنة الملك، أخت جذيمة، فلم تزل تراسله حتى اتصل بينهما، ثم قالت له: ياعدي، إذا سقيت القوم فامزج لهم واسق الملك صرفاً، فإذا أخذت منه الخمر فاخطبني إليه فإنه يزوجك، وأشهد القوم عليه إن هو فعل. ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوجه، وانصرف الغلام بالخبر إليها فقالت: عرش بأهلك ففعل فلما أصبح غدا مضرجاً بالخلوق، فقال له جذيمة: ما هذه الآثار يا عدي؟ قال آثار العرس. قال: أي عرس؟ قال: عرس رقاس. قال: فنخر وأكب على الأرض، ورفع عدي جراميزه، فأسرع جذيمة في طلبه فلم يحسسه ، وقيل إنه قتله وكتب إلى أخته:

حَدّثيني رَقاشِ لاتَكذبيني ... أبحُرٌ زنيتِ أم بهجينِ

أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ ... أم بذُونٍ فأنت أهلٌ لدونِ

قالت: بل زوجتني أمرأً عربياً. فنقلها جذيمة وحصنها في قصره، واشتملت على حمل فولدت منه غلاماً وسمته عمراً وربته، فلما ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة مثله ، ثم أرته خاله فأعجب به، وألفيت عليه منه محبة ومودة، حتى إذا وصف خرج الغلمان خرج الغلمان يجتنون الكمأة في سنة قد أكمات، فخرج معهم، وقد خرج جذيمة فبسط له في روضة، فكان الغلمان إذا أصابوا الكمأة أكلوها، وإذا أصابها عمرو خبأها، ثم أقبلوا يتعادون وهو معهم يقدمهم ويقول:

هذا جنايَ وخياره فيه ... إذا كلُّ جانٍ يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة وحباه وقرب من قبله، وحل منه بكل مكان. ثم إن الجن استطارته، فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع له بخبر، فكف عنه. ثم أقيل رجلان يقال لأحدهما عيقيل والآخر مالك، ابنا فالج، وهما يريدان الملك بهدية، فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو، فنصبت قدراً وأصلحت طعاماً، فبينما هما يأكلان إذا أقبل رجل أشعث أغبر، قد طالت أظفاره وساءت حاله، حتى جلس مزجر الكلب، فمد يده فناولته شيئاً فأكاه، ثم مد يده فقالت: إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً فأرسلتها مثلاً. ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكات دنها، فقال عمرو بن عدي:

صَددتِ الكأسَ عنا ام عمرو ... وكان المأس مَجراها اليمينا

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو ... بصاحبِك الذي لا تَصبَحينا

غناه معبد فيما ذكر عن إسحاق في كتابه الكبير. وقد زعم بعض الرواة أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب .
وأخبرنا اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد التوشجاني قال: حدثنا حفص بن عمرو، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش ، أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب في ربيعة بن نصر اللخمي.

رجع الحديث إلى سياقه

فقال: الرجلان: ومن أنت؟ فقال: إن تنكراني أو تنكرا نيبي، فإنني عمرو وعدي أبي ، فقاما إليه فلثماه، وغسلا رأسه وقلما أظفاره، وقصرا من لمته، وألبساه من طرائف قيابهما وقالا: ما كنا لنهدي إلى الملك هدية أنفس عنده ولا هو عليها أحسن صفدا من ابن أخته، فقد رده الله عز وجل إليه. فخرجا حتى إذا دفعا إلى باب الملك بشراه به، فصرفه إلى أمه، فألبسته ثياباً من ثياب الملوك، وجعلت في عنقه طوقاً كانت تلبسه إيادوهو صغير، وأمرته بالدخول على خاله، فلما رآه قال: شب عمرو عن الطوق فأرسلها مثلاً. وقال للرجلين اللذين قدما به: احكما فلكما حكمكما. قالا: منادمتك مابقيت وبقينا. قال: ذلك لكما. فهما نديما جذيمة اللذان ذكرهما متمم، وضربت بهما الشعراء المثل. قال أبو خراش الهذلي:

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

قال ابن حبيب في خبره : وكان جذيمة من أفضل الملوك رأيا، وأبعدهم مغاراً، واشدهم نكاية، وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق، وكانت منازله مابين الأنبار وبقة وهيت وعين التمر، وأطراف البر والقطقطانة والحيرة فقصد في جموعه عمرو بن الظرب حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العاملي، من عاملة العماليق ، فجمع عمرو جموعه ولقيه، فقتله جذيمة وفض جموعه، فتفلوا وملكوا عليهم ابنته الزباء، وكانت من أحزم الناس، فخافت أن تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقاً في حصن كان لها على شاطئ الفرات، وسكرت الفرات في وقت قلة الماء، وبنت أزجا من الآجر والكلس، متصلا بذلك النفق، وجعلت نفقاً آخر في البرية متصلاً بمدينة لأختها، ثم أجرت الماء عليه، فكانت إذا خافت عدوا دخلت النفق. فلما اجتمع لها أمرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرة بأبيها، فقالت لها أختها وكانت ذات رأي وحزم: إنك إن غزوت جذيمة فإنه امرؤ له ما يصده، فإن ظفرت أصبت ثأرك، وإن ظفر بك فلا بقية لك، والحرب سجال، ولا تدرين كيف تكون ألك أم عليك، ولكن ابعثي إليك فأعلميه أنك قد رغبت في أن تتزوجيه وتجمعي ملكك إلى ملكه، وسليه أن يجيبك إلى ذلك، لأنهإن اغتر ففعل ظفرت به بلا مخاطرة. فكتبت الزباء في ذلك إلى جذيمة تقول له: إنها قد رغبت في صلة لدها ببلده، وإنها في ضعف من سلطانها، وقلة ضبط لمملكتها، وإنها لم تجد كفئاً غيره، وتسأله الإقبال عليها وجمع ملكها إلى ملكه. فلما وصل ذلك إليه استخفه وطمع فيه، فشاور أصحابه فكل صوب رأيه في قصدها وإجابتها، إلا قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم، فقال: هذا رأي فاتر، فإن

كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك فتقع في حبالها وقد وترتها في أبيها. فلم يوافق جذيمة ما قال وقال لهك أنت أمرؤ رأيك في الكن لا في الضح . ورحل فقال له قصير في طريقة: انصرف ودمك في وجهك. فقال جذيمة: ببقة قضي الأمر فأرسلها مثلاً. ومضى حتى إذا شارف مدينتها قال لقصير: ما الرأي؟ قال: ببقة تركت الرأي. قال: فما ظنك بالزباء؟ قال: القول وداف، والحزم عيرانة لا تخاف . واستقبله رسلها بالهدايا والألطاف فقال: يا قصير، كيف ترى؟ خطر يسير في خطب كبير ، وستلقاك الخيول، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة، وإن أخذت في جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون. فلقيته الخيول فأحاطت به، فقال له قصير: اركب العصا فإنها لا تدرك ولا تسبق - يعني فرساً له كانت تجنب - قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك. فلم يفعل، فجال قصير في ظهرها فمرت به تعدو في أول أصحاب جذيمة. ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيراً على فرسه العصا في أول القوم، فقال: لحازم من يجري العصا في أول القوم. فذكر أبو عبيدة والأصمعي أنها لم تكن تقف، حتى جرت ثلاثين ميلاً، ثم وقفت فبالت هناك فبني على ذلك الموضع برج يسمى العصا- وأخذ جذيمة فأدخل على الزباء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها، فإذا هي قد ضفرت الشعر عليه، فقالت: يا جذيم أذات عروس ترى؟ قال: بل أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر. ثم قال: بلغ المدى، وجف الثرى، وأمر غدر أرى. قالت: والله ما ذلك من عدم مواس ، ولا قلة أواس ، ولكنها شيمة ما أناس . ثم قالت لجواريها: خذن بعضد سيدكن. ففعلن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه، وأمرت برواهشه فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه، وقالت له: يا جذيم لا يضعن من دمك شيء فإني أريده للخبل فقال ها: وما يحزنك من دم اضاعه أهله. وإنما كان بعض الكهان قال لها: إن نقط من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره. فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف، فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة رخام ومات.

قال: والعرب تتحدث في أن دماء الملوك شفاء من الخبل. قال المتلمس :

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخبل

قال: وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتها، ومضى قصير إلى عمرو بن عبد الحر التنوخي فقال اطلب بدم ابن عمك وإلا سبتك به العرب. فلم يحفل بذلك فخرج قصير إلى عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة فقال: هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بثأر خالك؟ فجعل ذلك له، فأتى القادة والأعلام فقال لهم: أنتم القادة والرؤساء، وعندنا الأموال والكنوز. فانصرف إليه منهم بشر كثير، فالتقى بعمرو التنوخي فلما صافوا القتال تابعه التوخي ومالك بن عمرو بن عدي، فقال له قصير: انظر ما وعدتني في الزباء. فقال: وكيف وهي أمنع من عقاب الجو؟ فقال: أما إذا أبيت فإني جادع أنفي وأذني، ومحتال لقتالها، فأعني وخلاك ذم. فقال له عمرو: وأنت أبصر. فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت: من أنت؟ قال: انا قصير، لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد أنصح لخدمته مني ولا أغش لك حتى جدع عمرو بن عدي أنفي وأذني،

فعرفت أني لن اكون مع احد أثقل عليه منك. فقالت: اي قصير نقبل ذلك منك، ونصر لك في بضاعتنا. وأعطته مالا للتجارة، فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منه بأمر عدي ما ظن أنه يرضيها، وانصرف إليها به، فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته، و لم يزل حتى أنست به فقال لها: إنه ليس من ملك ولا ملكة إلا وقد ينبغي له أن يتخذ نفقا يهرب إليه عند حدوث حادثة يخافها. فقالت: اما أني قد فعلت واتخذت نفقاً تحت سريري هذا، يخرج إلى نفق تحت سرير أختي. وأرته إياه، فأظهر لها سروراً بذلك، وخرج في تجارته كما كان يفعل، وعرف عمرو بن عدي ما فعله، فركب عمرو في ألفي دارع على ألف بعير في الجوالق حتى إذا صاروا إليها تقدم قصير يسبق الإبل ودخل على الزباء فقال لها: اصعدي في حائط مدينتك فانظري إلى مالك، وتقدمي إلى بوابك فلا يعرض لشيء من أعكامنا ، فإني قد جئت بمال صامت. وقد كانت امنته فلم تكن تتهمه ولا تخافه، فصعدت كما أمرها فلما نظرت إلى ثقل مشي الجمال قالت- وقيل مصنوع منسوب إليها-:

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلاً يحملن أم حديداً

أم صرفناً بارداً شديدا ... أم الرجال جثما قعودا

فلما دخل آخر الجمال نخس البواب عكماً من الأعكام بمنخسة معه، فأصابت خاصرة رجل فضرط، فقال البواب: شر والله عكمتم به في الجوالقات . فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف، فانصرفت راجعة فاستقلها عمرو بن عدي فضربها فقتلها، وقيل بل مصت خاتمها وقالت: بيدي لا بيد عمرو، وخرجت المدينة وسبيت الذراري، وغنم عمرو كل شيء كان لها ولأبيها وأختها، وقال الشعراء في ذلك تذكر ما كان من قصير في مشورته على جذيمة، وفي حدعه انفه، فأكثروا. قال عدي بن زيد:

ألا يأيها المثري المرجى ... ألم تسمع بخطب الولينا

دعا بالبقة الأمراء يوما ... جذيمة ينتحي عصبا ثبينا

فطاوع أمرهم وعصى قصيراً ... وكان يقول لو سمع اليقينا

وهي طويلة. وقال المتلمس يذكر جدع قصير أنفه:

ومن حذر الأيام ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

وفي هذا المعنى أشعار كثيرة يطول ذكرها.

وكان جذيمة الملك شاعراً، وإنما قيل له الوضاح لبرص كان به، وكان يعظم أن يسمى بذلك، فجعل مكانه الأبرش والوضاح. وهو الذي يقول:

والملك كان لذي نوا ... س حولة تردي يحابر

بالسابغات وبالقنا ... والبيض تبرق والمغافر

أزمان لا ملك يجي ... ر ولا ذمام لمن يجاور

أودى بهم غير الزما ن فمنجد منهم وغائر

وهو الذي يقول:

ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات

في شباب أنا رابئهم هم لذي العورة صمات

ليست شعري ما أطاف بهم نحن أدلجنا وهم باتوا

ثم ابنا غانمين وكم كرناس قبلنا ماتوا

فيه غناء يقال إنه ليمان، ويقال إنه لمعبد، و لم يصح.

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

الشعر لحزين بن سليمان الديلي، والغناء لإسحاق، ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش، وفيه لعريب رمل عمله على لحن ابن سريج.

أخبار الحزين ونسبه

ذكر الواقدي أنه من كنانة وأنه صليبة ، وأن الحزين لقب غلب عليه، وان اسمه عمرو بن وهيب بن مالك - ويكنى أبا الشعثاء - بن حريث بن جابر بن بحير - وهو راعي الشمس الأكبر - بن يعمر بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة، عن الواقدي.

قال: وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أن الحزين مولى، وانه الحزين بن سليمان، ويكنى سليمان أبا الشعثاء، ويكنى الحزين أبا الحكم. من شعراء الدولة الأموية حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته. وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً، يرضيه اليسير، ويتكسب بالشر وهجاء الناس، وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح، ولا كان يريم الحجاز حتى مات.

وهذا الشعر يقوله الحزين في عبد الله بن عبد الملك بن مروان. وكان عبد الله من فتيان بني أمية وظرفائهم، وكان حسن الوجه حسن المذهب، وأمه أم ولد. وزوجة عبد الله رملة بنت عبد الله - وعبد الله هذا هو عبد الحجر بن عبد المدان بن الديان بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو. وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي - تزوجها لما كان يقال إنها ناتق في ولادها ، فمات عنها و لم تلد له، فخلفه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له

محمداً وإبراهيم وموسى، وبنات.

أخبرني بذلك عمر بن عبد الله بن جميل العتكي، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، ويحيى بن علي بن يحيى، قالوا: حدثنا عمر بن شبة عن ابن رواحة وعغيره. وأخبرني به الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني الزبير قال: حدثني عمي أن عبد الله بن عبد الملك حج؛ فقال له أبوه: سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة، وهو ذرب اللسان، فإياك أن تحتجب عنه، وأرضه. وصفته أنه أشعر ذو بطن عظيم الأنف. فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له: إياك أن ترده. فلم يأت الحزين حتى قام فدخل لينام، فقال له الحاجب: قد ارتفع. فلما ولى ذكر ملحقه فقال: ارجع، فاستأذن له فأدخله، فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه، وفي يده قضيب خيزران، وقف ساكتاً، فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له: السلام رحمك الله أولا. فقال: عليك السلاو وحيا الله وجهك أيها الأمير، إني قد كنت مدحتك بشعر، فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلني عنه فأنسيت ما كنت قلته، وقد قلت في مقامي هذا بيتين. فقال: ما هما؟ قال:

في كفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين تبتسم

فأجازه فقال: أخدمني أصلحك الله، فإنه لا خادم لي. فقال: اختر أحد هذين الغلامين، فأخذ أحدهما فقال له عبد الله: أعلينا ترذل ، خذ الأكبر.

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام، التي أولها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

وهو غلظ ممن رواه فيها. وليس هذان البيتان مما مدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد.

حدثني محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال: حدثني محمد بن عمر العدني قال: حدثني سفيان بن عيينه عن الزهري قال: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين.

حدثني محمد قال حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا جرير بن المغيرة قال: كان علي بن الحسين يبخل، فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة.

حدثني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن معرس قال حدثنا محمد بن ميمون قال حدثنا سفيان عن ابن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به ويقول: إن صدقة الليل تطفىء غضب الرب.

حدثني أبو عبد الله الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسين المصري قال: حدثنا أحمد بن سليمان قال حدثنا ابن عائشة قال: حدثنا سعد بن عامر، عن جويرية بن أسماء، عن نافع قال: "قال علي بن الحسين: ما أكلت بقرابتي

من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط."

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثني عبد الله بن احمد بن حنبل قال: حدثني إسحاق بن موسى الأنصاري قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يدرون من أين عيشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل.

وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها، فحدثني بها أحمد بن محمد بن الجعد، ومحمد بن يحيى قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدثنا ابن عائشة قال: حج هشام بن عبد الملك في خلافة الولي أخيه، ومعه رؤساء أهل الشام، فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس، فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل علي بن الحسين وهو احسن الناس وجهاً، وأنظفهم ثوباً، وأطيبهم رائحة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم وأخلوا له الحجر ليستلمه، هيبة وإجلالاً له، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه، فقال رجل لهشام: من هذا أصلح الله الأمير؟ قال: لا أعرفه، وكان به عارفاً، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه. فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضراً: أنا أعرفه، فسلني يا شامي. قال: ومن هو؟ قال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أوله نعم

من يعرف الله يعرف أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فحبسه هشام فقال الفرزدق:

أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوي منيبها

يقلب أساً لم يكن رأس سيدٍ ... وعيناً له حولاء باد عيوبها

فبعث إليه هشام فأخرجه، ووجه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال: اعذر أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به. فردها وقال: ما قلت ما كان إلا لله، وما كنت لأرزأ عليه شيئاً. فقال له علي: قد رأى الله مكانك فشكرك، ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه. فأقسم عليه فقبلها.

ومن الناس أيضاً من يروي هذه الأبيات لدواد بن سلم في قثم بن العباس، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد فيه؛ فهي في روايته:

كم صارخ بك من راج وراجيةٍ يرجوك ياقثم الخيرات يا قثم
أي العمائر ليست في رقابهم لأولية هذا أوله نعم
في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

وممن ذكر لنا ذلك الصولي عن الغلابي عن مهدي بن سابق، أن دواد بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول في شعره في علي بن الحسين عليه السلام.

وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلاً من العرب يقال له دواد وقف لقثم فناداه وقال:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
كم صارخ بك من راجٍ وراجيةٍ في الناس يا قثم الخيرات يا قثم

فأمر له بجائزة سنية.

والصحيح أنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك. وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الأبيات وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة، تنبىء عن نفسها، وهي:

الله يعلم أن قد جبت ذا يمنٍ ثم العراقين لا يثنيني السأم
ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها كذاك تسري على الأهوال بي القدم
ثم المواسم قد أو طنتها زمناً وحيث تحلق عند الجمرة اللمم
قالوا دمشق ينبيك الخبير بها ثم ائت مصر فثم النائل الغمم
لما وقفت عليها في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم

في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع، في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم
ترى رءوس بني مروان خاضعةً يمشون حول ركابيه وما ظلموا
إن هش هشواله واستبشروا جذلا وإن هم آنسوا إعراضه وجموا
كلتا يديه ربيع عند ذي خلفٍ بحريفيض وهادي عارض هزم

ومن الناس من يقول: إن الحزين قالها في عبد العزيز بن مروان، لذكره دمشق ومصر. وقد كان ثم عبد الله بن عبد الملك أيضاً في مصر، والحزين بها.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد العزيز بن عمران الزهري قال: وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك، وفي الرقيق أخوان، فقال عبد الله للحزين. أي الرقيقأعجب إليك؟ قال: ليختر لي الأمير. قال عبد الله: قد رضيت لك هذا - لأحمدهما - فإني رايته حسن الصلاح. قال الحزين: لا حاجة لي به فأعطني أخاه. فأعطاه إياه. قال: والغلامان مزاحم مولى عمر بن العزيز، وتميم أبو محمد بن تميم، وهو الذي اختاره الحزين. قال: فقال في عبد الله يمدحه:

الله يعلم أن ذا يمن

وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل.

أخبرني وكيع عن محمد بن علي بن حمزة العلوي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان على المدينة طائف يقال له صفوان، مولى لآل مخرمة بن نوفل، فجاء الحزين الديلي إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حماره، وذهب إلى العقيق فشرب، وأقبل على الحمار وقد سكر، فجاء به الحمار حتى وقف به على باب المسجد كما كان صاحبه عوده إياه، فمر به صفوان فأخذه فحبسه وحبس الحمار، فأصبح والحمار محبوس معه. فأنشأ يقول:

أيا أهل المدينة خبروني ... بأي جريرة حبس الحمار

فما للعير من جرم إليكم ... وما بالعير إن ظلم انتصار

فردوا الحمار على صاحبه، وضربوا الحزين الحد، فأقبل إلى مولى صفوان وهو في المسجد فقال:

نشدتك بالبيت الذي طيف حوله ... وزمزم والبيت الحرام المحجب

لزانيةٍ صفوان أم لعفيفةٍ ... لأعلم ما يتى وما أتجنب

فقال مولاه: هو لزانية. فخرج وهو ينادي: إن صفوان ابن الزانية! فتعلق به صفوان فقال: هذا مولاك يشهد أنك ابن زانية. فخلى عنه.

وقال محمد بن علي بن حمزة: وأخبرني الرياشي أن ابن عم للحزين استشاره في امرأة يتزوجها، فقال له: إن لها إخوةً مشائيم وقد ردوا عنها غير واحد، وأخشى أن يردوك فتطلق عليك ألسناً كانت عنك خرساً. فخطبها و لم يقبل منه فردوه، فقال الحزين:

نهيتك عن أمرٍ فلم تقبل النهى ... وحذرتك اليوم الغواة الأشائما

فصرت إلى ما لم أكن منه آمنا ... وأشمت أعدائي وأنطقت لائما

وما بهم من رغبةٍ عنك قل لهم ... فإن تسألوني تسألوا بي عالما

وأخبرني عيسى بن الحسن قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني عمر بن سلام مولى عمر بن الجعاب : أن الحزين الديلي خرج مع ابن لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، إلى منتزه لهم، فسكر الحزين وانصرف فبات في الطريق وسلب ثيابه، فأرسل إلى سهيل بخبره الخبر ويستمنحه فلم يمنحه، وبلغ الخبر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه، وعوضه ثمن ثيابه، فقال الحزين في ذلك:

هلا سهيلاً أشبهت أو بعض أعما ... مك يا ذا الخلائق الشكسه

ضيعت ندمانك الكريم ولم تش ... فق عليه من ليلةٍ نحسه

ثم تعاللت إذ أتاك له ... صبحاً رسول بعلة طفسه

لكن سفيان لم يكن وكلاً ... لما أتتنا صلاته سلسه

سما به أروع ونفس فتى ... أروع ليست كنفسك الدنسة

حدثنا الصولي قال: حدثنا ثعلب قال حدثني عبد الله بن شبيب قال: مر الحزين الديلي على مجلس لبني كعب بن خزاعة وهو سكران، فضحكوا عليه، فوقف عليهم وقال:

لا بارك الله في كعب ومجلسهم ... ماذا تجمع من لؤم ومن ضرع

لا يدرسون كتاب الله بينهم ... ولا يصومون من حرص على الشبع

فوثب إليه مشايخهم فاعتذروا منه، وسألوه الكف وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله، فأجابهم وانصرف أخبرني الحرمي قال: حدثنا عمرو بن أبي بكر المؤملي قال: حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: كان الحزين قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين درهمين في كل شهر، منهم ابن أبي عتيق، فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمار أعجف، قال: وكثير مع ابن أبي عتيق، فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين: من هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة. قال: وكان قصيراً دميماً، فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت؟ قال: لا لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكن أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين. ودعا له بهما، فأصغى ثم قال: لا بد لي من هجائه ببيت. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين؟ ودعا له بهما فأخذهما وقال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أو أشتري منك بدرهمين آخرين؟ فقال له كثير: ائذن له، وما عسى أن يقول في؟ فأذن له ابن أبي عتيق فقال:

قصير القميص فاحش عند بيته ... يعض القراد باسته وهو قائم

فوثب كثير إليه فوكزه فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال الكثير: قبحك الله أتأذن له وتبسط إليه يدك. قال كثير: وأنا ظننته يبلغ في هذا كله في بيت واحد!.

ولكثير مع الحزين أخبار أخر قد ذكرت في أخبار كثير.

أخبرني الحرمي قال: حدثني عمي عن الضحاك بن عثمان قال: حدثني ابن عروة بن أذينة قال: كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ، وكان كثيراً ما يأتيه، وكان بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها، فبيعت وأخرجت عن المدينة، فأتى الحزين أبي وهو كئيب حزين كاتمه، فقال له أبي: مالك يا أبا حكيم؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير:

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى ... بغى سقماً إني إذاً لسقيم

سألت حكيماً أين شطت بها النوى ... فخبرني ما لا أحب حكيم

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا.

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني مصعب قال: مر الحزين على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث، وعليه أطمار، فقال له: يا ابن أبي الشعثاء، إلى أين أصبحت غادياً؟ قال: أمتع الله بك، نزل عبد الله بن عبد الملك الحرة يريد الحج، وقد كنت وفدت إليه بمصر فأحسن إلي. قال: أفما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب؟ قال: قد استعرت من أهل المدينة فلم يعرني أحد منهم غير هذه الثياب. فدعا جعفر غلاماً فقال: ائتني بجبة صوف، وقميص ورداء. فجاء بذلك فقال: أبل وأخلق. فلما ولى الحزين قال جلساء جعفر له: ما صنعت؟! إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فبيعها، ويفسد بثمنها. قال: ما أبالي إذا مافأته بثيابه ما صنع بها. فسمع الحزين قولهم وما رد عليهم، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه. فلما أصبح الحزين أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشدة:

وما زال ينمو جعفر بن محمد ... إلى المجد حتى عبهلته عواذله

وقلن له هل من طريف وتالد ... من المال إلا أنت في الحق باذله

يحاولنه عن شيمةٍ قد علمنها ... وفي نفسه أمر كريم يحاوله

ثم قال له: بأبي أنت وأمي، سمعت ما قالوا وما رددت عليهم.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لؤي يلقب أبا بعرة، وكان استعمل على سعايات فلم يصنع إليه خيراً ، وكان قد صحب قبله عمرو بن مساحق وسعد بن نوفل فأحمدهما ، فقال له:

صحبتك عاماً بعد سعد بن نوفل ... وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمراً

وجادا كما قصرت في طلب العلا ... فحزت به ذما وحازا به شكرا

قال: وأبو بعرة هذا هو الذي كان يعبث بجارية لابن أبي عتيق، فشكته إليه فقال لها: عديه فإذا جاءك فأدخليه إلي. ففعلت فأدخلته عليه، وهو وشيخ من نظراته جالسان في حجلة ، فلما رآهما قال: أقسم بالله ما اجتمعتما إلا على ريبة. فقال له ابن أبي عتيق استر علينا ستر الله عليك.

قال: وآل أبي بعرة هم موالي آل أبي سمير. قال: فلما ولي المهدي باعوا ولاءهم منه.

قال الزبير: وأنشدني عمي تمام الأبيات التي هجا بها أبا بعرة - وسماه لي فقال: وكان اسمه عيسى - وهي:

أولاك الجعاد البيض من آل مالك وأنتم بنوقين لحقتم به نزرا

- نصب نزار على الحال، كأنه قال: لحقتم به نزراً قليلاً من الرجال-

نسوق بيعورا أميراً كأنما نسوق به في كل مجمعة وبرا

فإن يكن البيعور ذم رفيقه قراه فقد كانت إمارته نكرا

ومتبع البيعور يرجو نواله فقد زاده البيعور في فقره فقرا

أخبرني الحرمي قال: حدثني الزبير قال: حدثني صالح، عن عامر بن صالح قال: مدح الحزين عمرو بن الزبير فلم يعطه شيئاً.

وأخبرني بهذا الخبر عمي تاما واللفظ له، ولم يذكر الزبير منه إلآ يسيراً، قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام منزله، فامتدحه وسأله حاجةً، فقال له: ليس إلى ما تطلب سبيل، ولا نقدر أن نملأ الناس معاذير، وما كل من سألنا حاجةً استحق أن نقضيها، ولرب مستحق لها قد منعناه حاجته. فقال الحزين: أفمن المستحقين أنا؟ قال: لا والله، وكيف تكون مستحقاً لشيء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمهم، وترميهم بالمعضلات، إنما المستحق من كف أذاه، وبذل نداه، ووقم أعداه .

فقال له الحزين: افمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تبعدني لا أم لك من هذه المنزلة وأفضل منها! فوثب الحزين من عنده وأنشأ يقول:

حلفت وما صبرت على يمينٍ ولو أدعى إلى أيمان صبر

برب الراقصان بشعث قوم يوافون الجمار لصبح عشر

لو أن اللؤم كان مع الثريا لكان حليفه عمرو بن عمرو

ولو أني عرفت بأن عمراً حليف اللؤم ماضيعت شعري

فقال العمري: وحدثني لقيط أن الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم، وجاءه فشكا إليه عمراً، فوصله وأحسن إليه. قال:

إذا لم يكن للمرء فضل يزينه سوى ما ادعى يوماً فليس له فضل

وتلقى الفتى ضخماً جميلاً رواؤه يروعك في النادي وليس له عقل

وآخر تنبو العين عنه مهذب يجود إذا ما الضخم نهنه البخل
فيا راجياً عمرو بن عمرو وسيبه أتعرف عمراً أم أتاه بك الجهل
فإن كنت ذا جهل فقد يخطىء الفتى وإن كنت ذا حزم إذا حارت النبل
جهلت ابن عمرو فالتمس سيب غيره ودونك مرمى ليس في جده هزل
عليك ابن مروان الغر محمداً تجده كريماً لا يطيش له نبل

قال لقيط: فلما أنشد الحزين محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم، وقال له: اكفف يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمك. فقال: لا والله ولا بحمر النعم وسودها، لو أعطيتها ما كففت عنه، لأنه ما علمت كثير الشر، قليل الخير، متسلط على صديقه، فظ على أهله. وخير ابن عمرو بالثريا معلق.

فقال له محمد بن مروان : هذا شعر. فقال: بعد ساعة يصير شعراً، ولو شئت لعجلته. ثم قال:

شر ابن عمرو حاضر لصديقه وخير ابن عمرو بالثريا مغلق
ووجه ابن عمرو باسر إن طلبته نوالاً إذا جاد الكريم الموفق
فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدت كتائب هيجاء المنية تبرق
فلا زال عمروللبلايا درية تباكره حتى يموت وتطرق
يهز هرير الكلب عمرو إذا رأى طعاماً فما ينفك يبكي ويشهق

قال: فزجوه محمد عنه، وقال له: أف لك، قد أكثرت الهجاء وأبلغت في الشتيمة.

قال العمري: وحدثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي، قال: قال الحزين الديلي يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير:

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجدٍ ولكنه كز اليدين بخيل
ينام عن التقوى ويوقظه الخنا فيخبط أثناء الظلام يجول
فلا خير في عمروو لجار ولا له ذمام ولكن للثام وصول

مواعيد عمرو ترهات ووجهه على كل ماقد قلت فيه دليل
جبان وفحاش لئيم مذمم واكذب خلق الله حين يقول
كلام ابن عمرو صوفة وسط بلقع وكف ابن عمرو في الرخاء تطول
وغن حزبته الحازبات تشنجت يداه ورمح في الهياج كليل

فبلغ شعره عمراً فقال: ما له لعنه الله ولعن من ولده، لقد هجاني بنية صادقة ولسان صنع ذلق، وما عداني إلى غيري. قال: فلقي الحزين عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأيات فقال له: ويحك، بعضها كان يكفيك، فقد بنيتها و لم تقم أودها، وداخلتها وجعلت معانيها في أكمتها. قال الحزين: ذلك والله أرغب للناس فيها. فقال له عروة: خير الناس من حلم عن الجهال، وما أراه إلا قد حلم عنك. فقال الحزين: حلم والله عني شاء أو أبى ، برغمه وصغره .

لقي شبان من ولد الزبير الحزين، فتناولوه بألسنتهم، وهموا بضربه، فحال بينهم وبينه ابن لمصعب بن الزبير ، فقال الحزين يهجوهم ويهجو جماعةً من بني أسد بن عبد العزى، سوى بني مصعب الذين منعوهم منه، قال:

لحا الله حيا من قريش تحالفوا ... على البخل بالمعروف والجود بالنكر

فصاروا لخلق الله في اللؤم غاية ... بهم تضرب الأمثال في النثر والشعر

فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعبا ... حميدت ولكن أنت منقبض البشر

بني أسدٍ، سادت قريش بجودها ... معداً وسادتكم معد يد الدهر

تجود قريش بالندى ورضيتم ... بني أسد باللؤم والذل والغدر

أعمرو بن عمرو، لست ممن تعده ... قريش إذا ما كاثروا الناس بالفخر

أبت لك يا عمرو بن عمرو دناءة ... وخلق لئيم أن تريش وأن تبري

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن الضحاكالحزامي قال: حدثني أبي قال: كان الحزين سفيهاً نذلاً يمدح بالترر إذا أعطيه، ويهجو على مثله إذا منع، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يقره، فقال يهجوه بقوله:

سيروا فقد جن الظلام عليكم ... فباست الذي يرجو القى عند عاصم

ظللنا عليه وهو كالتيس طاعماً ... نشد على أكبادنا بالعمائم

ومالي من ذنب إليه علمته ... سوى أنني قد جئته غير صائم

فقيل له: إن عاصماً كثيراً ما تسمي به قريش. فقال: أما والله لأبيننه لهم فقال:

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم ب ... ن عمرو وسرت عنسي فخاب سراها

فقد صادفت كز اليدين مبخلا ... جباناً إذا ما الحرب شب لظاها

بخيلاً بما في رحله غير أنه ... إذا ما خلت عرس الخليل أتاها

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن ابيه قال: قال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة قوله:

هلال بن يحيى غزة لا خفا بها على الناس في عسر الزمان ولا اليسر
وسعد بن إبراهيم ظفر موسخ فهل يستريح الناس من وسخ الظفر

يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وكان ولي قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك، فلم يعط الحزين شيئاً فهجاه. وقال فيه أيضاً:

أتيت هلالاً أرتجي فضل سيبه فأفلتني مما أحب هلال
هلال بن يحيى غرة لا خفابها لكل أناس غرة وهلال
ألم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا وكرات قيس يوم دير الجماجم
تحرض يا بن القين قيساً ليجعلوا لقومك يوماً مثل يوم الأراقم
بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

الشعر لجرير، والغناء لابن محرز، ثقيل أول بالبنصر.

وهذه الأ بيات يقولها جرير يهجو الفرزدق، ويعيره بضربةٍ ضربها بسيفه رجلاً من الروم، فحضره سليمان بن عبد الملك فلم يصنع شيئاً.

فحدثنا بخبره في ذلك محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا صالح بن سليمان، عن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي، وكان شيخاً كبيراً، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان، ثم كان من أصحاب المنصور، قال: كنت حاضراً سليمان بن عبد الملك.

وأخبرنا علي بن سليمان الأخفش واليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة، وعن قنادة عن أبي عبيدة في كتاب النقائض، عن رؤبة بن العجاج قال: حج سليمان بن عبد الملك ومعه الشعراء، وحججت معهم فمر بالمدينة منصرفاً فأتي بأسرى من الروم نحو من أربعمائة ، فقعد سليمان وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام، وعليه ثوبانمصران ، وهو أقربهم منه مجلساً، فأدنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة ، فقال لعبد الله بن الحسن: قم فاضرب عنقه. فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع إليه حرسي سيفاً كليلاً، فضربه فأبان عنقه وذراعه، واطن ساعده وبعض الغل. فقال له سليمان: اجلس فوالله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك .

وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوهوإلى الناس فيقتلونهم، حتى دفع إلى جرير رجلاً، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض، فضربه فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فدست إليه القيسية سيفاً كليلاً، فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان وضحك الناس معه.

هذه رواية أبي عبيدة عن رؤبة.

وأما سليمان بن أبي شيخ فإنه ذكر في خبره أن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً وقال له: اقتله به. فقال: لا بل أضربه بسيف مجاشع، واخترط سيفه فضربه به لم يغن شيئاً، فقال له سليمان: أما والله لقد بقي عليك عارها وسنارها! فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها، ومنها الصوت المذكور، وأولها قوله:

ألا حي ربع المنزل المتقادم وما حل مذ حلت به أم سالم

وهي طويلة. فقال الفرزدق:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً عن كليب أو أباً مثل دارم
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحياناً مناط التمائم
ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحناً لابن محرز، ولم يجنسه.

وقال يعرض بسليمان ويعيره بنبو سيف ورقاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر - وبتو عبس أخوال سليمان - قال:

فإن يك سيف خان أو قدر أتى بتعجيل نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

وروي هذا الخبر عن عوانة بن الحكمن قال فيه: إن الفرزدق قال لسليمان: أيا أمير المؤمنين، هب لي هذا الأسير. فوهبه له فاعتقه، وقال الأبيات التي تقدم ذكرها، ثم أقبل على رواته وأصحابه فقال: كأني بابن المراغة وقد بلغه خبري فقال:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابنه ظالم
ضربت به عند الإمام بأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

قال: فما لبثنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها هذان البيتان، فعجبنا من فطنة الفرزدق.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا محمد بن عيسى بن حمزة العلوي، قال: حدثنا أبو عثمان المازني قال: زعم جهم بن خلف أن رؤية بن العجاج حدثه. فذكر هذه القصيدة وزاد فيها.

قال: واستوهب الفرزدق الأسير فوهبه له سليمان، فأعتقه وكساه، وقال قصيدته التي يقول فيها:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

قال: وقال في ذلك:

تباشر يربوع بنبوة ضربةٍ ضربت بها بين الطلا والحراقد

ولو شئت قد السيف ما ين عنقه إلى علق بين الحجابين جامد
فإن ينب سيف أوتر اخت منية لميقات نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

قال: وقال في ذلك:

أيضحك الناس أن أضحكت سيدهم خليفة الله يستقى به المطر
فما نبا السيف عن جبن ولا دهش عند الإمام ولكن أحر القدر

ولو ضربت به عمراً مقلده لخر جثمانه ما فوقه شعر
وما يقدم نفساً قبل ميتتها جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

فأما يوم الجونين الذي ذكره جرير، فهو اليوم الذي أغار فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب على بني كلاب، وهو يوم الرغام .

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي، عن السكري عن ابن حبيب، ودماذ عن أبي عبيدة عن إبراهيم بن سعدان عن أبيه: أن عتيبة بن الحارث بن شهاب أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائف من بني كلاب يوم الجونين فاطرد إبلهم، وكان أنس بن العباس الأسم، اخو بني رعلٍ من بني سليم، مجاوراً في بني كلاب، وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بني رعل عهد: لا يسفك دم ولا يؤكل مال. فلما سمع الكلابيون الدعوى: يال ثعلبة! يال عبيد! يال جعفر ! عرفوهم، قالوا لأنس بن العباس: قد عرفنا ما بين بني رعل وبني ثعلبة بن يربوع، فادركهم فاحسبهم علينا حتى نلحق. فخرج أنس في آثارهم حتى أدركهم، فلما دنا منهم قال عتيبة بن الحارث لأخيه حنظلة: أغن عنا هذا الفارس فاستقبله حنظلة فقال له أنس: إنما أنا أخوكم وعقيدكم، وكنت في هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي فيما أغرتم عليه، وهو معكم. فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له: حياك الله، وهلم فوال إبلك ، أي اعزلها.

قال: والله ما أعرفها، وبنو أخي وأهل بيتي معي وقد أمرتهم بالركوب في أثري، وهم أعرف بها مني. فطلع فوارس بني كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث في فوارس فقال لهم أنس: إنما هم بني وبنو أخي . وإنما يربثهم لتلحق فوارس بني كلاب. فلحقوا فحمل الحوثره بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سلمة أخو بني ضبارى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مزنة أخو بني عاصم بن عبيد، فأسراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صبراً، وهزم الكلابيون ومضى بنو ثعلبة بالإبل وفيها إبل أنس، فلم تقر أنساً نفسه حتى اتبعهم رجاء أن يصيب منهم غرة وهم يسيرون في شجراء . فتخلف عتيبة لقضاء حاجته، وامسك برأس فرسه فلم يشعر إلا بأنس قد مر في آثارهم، فتقدم حتى وثب عليه فأسره، فأتى به عتيبة أصحابه فقال بنو عبيدة: قد

عرفنا أن لأم بن سلمة وابن مزنة قد أسرا الحوثرة فدفعاه إليك فضربت عنقه؛ فأعقبهما في أنس بن عباس، فمنقتلته خير من أنس. فأبى عتيبة أن يفعل ذلك حتى افتدى أنس نفسه بمائتي بعير.

فقال العباس بن مرداس يعير عتيبة بن الحارث بفعله:

كثر الضجاج وما سمعت بغادر كعتيبة بن الحارث بن شهاب

جللت حنظلة المخانة والخنا ودنست آخر هذه الأحقاب

وأسرتم أنساً فما حاولتم بإسار جاركم بني الميقات

- الميقاب: التي تلد الحمقى. والوقب: الأحمق-.

باست التي ولدتك واست معاشر تركوك تمرسهم من الأحساب

فقال عتيبة بن الحارث:

غدرتم غدرة وغدرت أخرى فليس إلى توافينا سبيل

كأنكم غداة بني كلابتفاقد تم علي لكم دليل

قوله: تفاقدتم، دعاء عليهم أن يفقد بعضهم بعضاً.

وبالعفر دار من جميلة هيجت سوالف حب في فؤادك منصب

وكنت إذا ناءت بها غربة النوى شديد القوى لم تدرما قول مشغب

كريمة حر الوجه لم تدع هالكاً من القوم هلكا في غدٍ غي معقب

أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشا بروق الثنايا ذات خلق مشرعب

العفر : منازل لقيس بالعالية. سوالف: مواض. يقول: هيجت حبا قد كان ثم انقطع. ومنصب: ذو نصب. ونأت وناءت وبانت بمعنى واحد، أي بعدت. ومشغب عليك وخلاف في حبها. ويروى: مشعب أي متعدد يصرفك عنها. وقوله: لم تدع هالكاً أي لم تندب هالكاً هلك فلم يخلف غيره و لم يعقب. ومعنى ذلك أنها في عددٍ وقوم يخلف بعضهم بعضاً في المكارم، لا كمن إذا مات سيد قومها أو كريم منهم لم يقم أحد منهم مقامه. والمشرعب: الجسيم الطويل. والشرعبي: الطويل.

الشعر لطفيل الغنوي، والغناء لجميلة ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. وذكره حماد عن أبيه لها و لم يجنسه.

وروى إسحاق عن ابيه عن سياط عن يونس أن هذا أحسن صوت صنعته جميلة.

نسب الطفيل الغنوي وأخباره

قال ابن الكبي: هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضبيس بن خليف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غنم بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان.

ووافقه ابن حبيب في النسب إلا في خلف بن ضبيس فإنه لم يذكر خلفاً وقال: هو طفيل بن عوف بن ضبيس.

قال أبو عبيدة: اسم غني عمرو ، واسم أعصر منبه، وإنما سمي أعصر لقوله:

قالت عميرة ما لرأسك بعدما ... فقد الشباب أتعى بلون منكر

أعمير إن أباك غير راسه ... مر الليالي واختلاف الأعصر

فسمي بذلك.

وطفيل شاعر جاهلي من الفحول المعدودين، ويكنى أبا قران، يقال إنه من أقدم شعراء قيس. وهو من أوصف العرب للخيل.

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دلف الخزاعي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب الأنصاري قال: قال لي عمي: إن رجلاً من العرب سمع الناس يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبصر بها، فقال: كان يقال إن طفيلاً ركب الخيل ووليها لأهله، وإن أبا دواد الأيادي ملكها لنفسه ووليها لغيره، كان يليها للملوك، وان النابغة الجعدي لما أسلم الناس وآمنوا اجتمعوا وتحدثوا ووصفوا الخيل، فسمع ما قالوه فأضافه إلى ما كان سمع وعرف قبل ذلك في صفة الخيل. وكان هؤلاء نعات الخيل.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن، قال حدثني عمي قال: كان طفيل أكبر من النابغة: وليس في قيس فحل أقدم منه.

قال: وكان معاوية يقول: خلوا لي طفيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء.

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: كان طفيل الغنوي يسمى طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية، قال: حدثني الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: كان أهل الجاهلية يسمون طفيلاً الغنوي المحبر؛ لحسن وصفه الخيل .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال: قال أبو عبيدة: طفيل الغنوي، والنابغة الجعدي، وأبو دواد الإبادي، أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها.

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا العمري عن لقيط قال: قتيبة بن مسلم للأعرابي من غني قدم عليه من خراسان: أي بيت قالته العرب أعف؟ قال: قول طفيل الغنوي:

ولا أكون وكاء الزاد أحبسه ... لقد علمت بأن الزاد مأكول

قال: فأي بيت قالته العرب في الحرب أجود؟ قال: قول طفيل:

بحي إذا قيل اركبوا لم يقل لهم عوارير يخشون الردى أين نركب

قال: فأي بيت قالته العرب في الصبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوي:

ومن خير ما فينا من الأ مر أننا متى ما نوافي موطن الصبر نصبر

قال: فقال قتيبة: ما تركت لأخوانك من بالهلة؟ قال: قول صاحبهم:

وإنا أناس ما تزال سوامنا تنور نيرآن العدو مناسمه

وليس لنا حي نضاف إليهم ولكن لنا عود شديد شكائمه

حرام وإن صليته ودهنته تأوده ما كان في السيف قائمه

وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيل في وقعة أوقعها قومه بطيىء، وحرب كانت بينه وبينهم.

وذكر أبو عمرو الشيباني والطوسي فيما رواه عن الأصمعي وابي عبيدة: أن رجلاً من غني يقال له قيس الندامى ، وفد على بعض الملوك، وكان قيس شيداً جواداً، فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب فقال: لأضعن تاجي على أكرم رجل من العرب، فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما شاء، ونادمه مدة، ثم أذن له في الانصراف إلى بلده، فلما قرب من بلاد طيىء خرجوا إليه وهم لا يعرفونه، فلقوه برمان فقتلوه، فلما علموا أنه قيس ندموا لأ ياديه كانت فيهم، فدفنوه وبنوا عليه بيتاً.

ثم إن طفيلاً جمع جموعاً من قيس فأغار على طيىء فاستاق من مواشيهم ما شاء، وقتل منهم قتلى كثيرة. وكانت هذه الوقعة بين القنان وشرقي سلمى ، فذلك قول طفيل في هذه القصيدة:

فذوقوا كما ذقنا غادة محجرٍ من الغيظ في أكبادنا والتحوب

فبالقتل قتل والسوام بمثله وبالشل شل الغائط المتصوب

أخبرني علي بن الحسن بن علي قال: حدثنا الحارث بن محمد، عن المدائني، عن سلمة بن محارب قال: لما مات محمد بن يوسف جزع عليه الحجاج جزعاً شديداً، ودخل الناس عليه يعزونه ويسلونه، وهو لا يسلو ولا يزداد إلا جزعاً وتفجعاً، وكان فيمن دخل عليه رجل كان الحجاج قتل ابنه يو الزاوية، فلما رأى جزعه وقة ثباته للمصيبة شمت به وسر لما ظهر له منه، وتمثل بقول طفيل:

فذوقوا كما ذقنا غداة محجرٍ من الغيظ في أكبادنا والتحوب

وفي هذه القصيدة يقول طفيل:

ترى العين ما تهوى وفيها زيادة من اليمن إذا تبدو وملهى لملعب

وبيت تهب الريح في حجراته بأرض فضاء بابه لم يحجب

سماوته أسمال بردٍ محبرٍ وصهوته من اتحمي معصب

أخبرني عيسى بن الحسين بن الوراق قال: حدثنا الرياشي عن العتبي عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لولده وأهله: أي بيت ضربته العرب على عصابة ووصفته أشرف جواء، وأهلاً وبناء؟ فقالوا فأكثروا، وتكلم من حضر فأطلوا، فقال عبد الملك: اكرم بيت وصفته العرب بيت طفيلٍ الذي يقول فيه:

وبيت تهب الريح في حجراته ... بأرض فضاء بابه لم يحجب

سماوته أسمال بردٍ محبرٍ ... وصهوته من أتحمي معصب

وأطنابه أرسان جردٍ كأنها ... صدور القنا من بادىء ومعقب

نصبت على قومٍ تدر رماحهم ... عروق الأعادي من غريرٍ وأشيب

وقال أبو عمرو الشيباني: كانت فزارة لقبت بني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة، ثم ادركتهم عني فاستنقذتهم، فلما قتلت طيىء قيس الندامى، وقتلت بنو عبس هريم بن سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشةٍ بن عبيد بن سعد بن كعب بن جلان بن غنم بن غني، وكان فارسا حسيباً قد ساد ورأس، قتله ابن هدم العبسي طريد الملك، فقال له الملك ،: كيف قتلته؟ قال: حملت عليه في الكبة، وطعنته في السبة، حتى خرج الرمح من اللبة . وقتل أسماء بن واقد بن رفيد بن رياح بن يربوع بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان، وهو من النجوم، وحصن بن يربوع بن طريف وأمهم جندع بنت عمرو بن الأغر بن مالك بن سعد بن عوف. فاستغاثت غني ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم، فقال طفيل في ذلك يمن عليهم بما كان منهم في نصرهم، ويرثي القتلى، قال:

تأوبني هم من الليل منصب ... رجاء من الأ خبار ما لا أكذب

تتابعن حتى لم تكن لي ريبة ... ولم يك عما خبروا متعقب

وكان هريم من سنان خليفةً ... وحصن ومن أسماء لما تغيبوا

ومن قيس الثاوي برمان بيته ... ويوم حقيل فا آخر معجب

أشم طويل الساعدين كأنه ... فنيق هجان في يديه مركب

وبالسهب ميمون النقيبة قوله ... لملتمس المعروف أهل ومرحب

كواكب دجنٍ كلما انقض كوكب ... بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

الغناء لسليم أخي بابويه، ثاني ثقيل عن الهشامي. وهي قصيدة طويلة، وذكرت منها هذه الأبيات من أجل الغناء الذي فيها. ومن مختار مرثيته فيها قوله:

لعمري لقد خلى ابن جندع ثلمةً ... ومن أين إن لم يرأب الله ترأب

نداماي أمسوا قد تخليت عنهم ... فكيف ألد الخمر أم كيف أشرب

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

فديت من بات يغنيني وبت أسقيه ويسقيني

ثم اصطبحنا قهوة عتقت من عهد سابور وشيرين

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القرعة، ولحنه فيه رمل أول بالبنصر، لا نعرف له صنعة غيره.

نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف

وأخباره

نسب محمد بن حمزة وتلقيبه وجه القرعة هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور، ويكنى أبا جعفر، ويلقب وجه القرعة.

وهو أحد المغنين الحذاق الضراب الرواة. وقد أخذ عن إبراهيم الموصلي وطبقته، وكان حسن الأداء طيب الصوت، لا علة فيه، إلا أنه كان إذا غنى الهزج خاصةً خرج بسبب لا يعرف ، إلا لآفة تعرض للحس في جنسٍ من الأجناس فلا يصح له بتةً.

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمي حدثه عن أبيه، أنه شهد إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند عمه هارون بن عيسى، وعنده محمد بن الحسن بن مصعب، قال: فأتانا محمد بن حمزة وجه القرعة، فسر به عمي . وكان شرس الخلق أبي النفس، فكان إذا سئل الغناء أباه، فإذا أمسك عنه كان هو المبتدىء به، فأمسكنا عنه حتى طلب العود فأتي به فغنى، وقال:

مربي سرب ظباء رائحات من قباء

قال: وكان يحسنه ويجيده، فجعل إسحاق يشرب ويستعيده حتى شرب ثلاثة أرطال ثم قال: أحسنت يا غلام، هذا الغناء لي وانت تتقدمني فيه، ولا يخلق الغناء ما دام مثلك ينشأ فيه .

قال: وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه قال: كنا في البستان المعروف ببستان خالص النصراني ببغداد،ومعنا محمد بن حمزة وجه القرعة، فيغنينا قوله:

يا دار أقفر رسمها بين المحصب والحجون

يا بشر إني فاعلمي والله مجتهداً يميني

فإذا برجل راكب على حمار يؤمنا وهو يصيح: أحسنت يا أبا جعفر، أحسنت والله! فقلنا: اصعد إلينا كائناً من كنت. فصعد وقال: لو منعتموني من الصعود لما امتنعت. ثم سفر اللثام عن وجهه فإذا هو مخارق، قال: يا أبا جعفر أعد علي صوتك. فأعاده فشرب رطلاً من شرابنا وقال: لو لا أني مدعو الخليفة لأ قمت عندكم

واستمعت هذا الغناء الذي هو أحسن من الزهر، غب المطر.

منها:

مر بي سرب ظباء رائحاتٍ من قباء

زمراً نحو المصلى يتمشين حذائي

فتجاسرت والقي ت سرابيل الحياء

وقديماً كان لهوي وقتوني بالنساء

الغناء لإسحاق مما لا يشك فيه من صنعته، ولحنه من ثقيلٍ أول مطلقٍ في مجرى الوسطى وذكر محمد بن أحمد المكي أنه لجده يحيى. وذكر حبش أن فيه لا بن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

يا بشر إني فاعلمي والله مجتهداً يميني

ما إن صرمت حبالكم فصلي حبالي أو ذريني

استبدلوا طلب الحجا زوسرة البلد الأمين

بحدائقٍ محفوفةٍ بالبيت من عنبٍ وتين

يا دار أقفر رسمها بين المحصب والحجون

أقوت وغير آيها طول التقادم والسنين

الشعر للحارث بن خالد، والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأول، رمل بالوسطى، ولا بن سريج في الخامس والسادس والأول والثاني ثقيل أول بالبنصر.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني الفضل بن المغني، عن محمد بن جبر قال: دخلنا على إسحاق بن إبراهيم الموصلي نعوده من علةٍ كان وجدها، فصادفنا عنده مخارفاً، وعلوية، وأحمد بن المكي وهم يتحدثون، فاتصل الحديث بينهم، وعرض إسحاق عليهم أن يقيموا عنده ليتفرج بهم، ويخرج إليهم ستارته يغنون من ورائها، ففعلوا وجاء محمد بن حمزة وجه القرعة على بقية ذلك فاحتبسه إسحاق معهم، ووضع النبيذ وغنوا، فغنى أو علوية صوتاً من الغناء القديم، فخالفه محمد فيه وفي صانعه، وطال مراؤهما في ذلك، وإسحاق ساكت، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمدٍ وراجعه علوية، فقال له إسحاق: حسبك، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسه منه. ثم غنى أحمد بن يحيى المكي قوله:

قل للجمانة لا تعجل بإسراج

فقال محمد: هذا اللحن لمعبد ولا يعرف له هزج غيره. فقال أحمد: أما على ما شرط أبو محمد آنفاً من أنه ليس في الجماعة أدرى بما يخرج من رأسه منك فلا معارض لك. فقال له إسحاق: يا أبا جعفر، ما عنيتك والله فيما

قلت، ولكن قد قال إنه لا يعرف لمعبدٍ هزج غير هذا، وكلنا نعلم إنه لمعبد، فأكذبه أنت بهزج آخر له مما لا يشك فيه. فقال أحمد: ما أعرف.

قال محمد بن الحسن: وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه:

أن محمداً دخل معه على إسحاق الموصلي مهنءاً له بالسلامة من علة كان فيها، فدعا بعود فأمر به إسحاق فدفع إلى محمد، فغنى أصواتاً للقدماء وأصواتاً لإبراهيم، وأصواتاً لإسحاق، في إيقاعات مختلفة، فوجه إسحاق خادماً بين يديه إلى جواري أبيه، فخرجن حتى سمعنه من وراء حجاب، ثم ودعه وانصرف، فقال إسحاق للجواري: ما عنكن في هذا الفتى؟ فقلن: ذكرنا و الله أباك فيما غناه. فقال: صدقتن. ثم أقبل علينا فقال: هو مغن محسن، ولكنه لا يصلح للمطارحة لكثرة زوائده، ومثله إذا طارح جسر الذي يأخذ عنه فلم ينتفع له، ولكنه ناهيك به من مغن مطرب.

قال إسحاق: وحدثت أنه صار إلى مخارقٍ عائداً، فصادف عنده المغنين جميعاً، فلما طلع تغامزوا عليه، فسلم على مخارقٍ وسأله به، فأقبل عليه مخارق ثم قال له: يا أبا جعفر، إن جواريك اللواتي في ملكي قد تركن الدرس من مدة، فأحب أن تدخل إليهن وتأخذ عليهن وتصلح من غنائهن. ثم صاح بالخدم فسعوا بين يديه إلى حجرة الجواري، ففعل ما سأله مخارق، ثم خرج فأعلمه أنه قد أتى ما احبه، والتفت إلى المغنين فقال: قد رأيت غمزكم، فهل فيكم أحد رضي أبو المهنا أعزه الله حذقه وأدبه وأمانته، ورضيه لحواريه غيري؟ ثم ولى فكأنما ألقمهم حجراً، فما أجابه أحد.

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عري رسمها ... خالقاً كما ضمن الوحي سلامها

فاقنع بما قسم الإ له فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامها

عروضه من الكامل. عفت: درست. ومنى: موضع في بلاد بني عامر، وليس منى مكة. تأبد: توحش والغول والرجام: جبلان بالحمى. والريان: وادٍ. مدافعه: مجاري الماء فيه. وعري رسمها، اي ترك وارتحل عنه. يقول: عري من أهله. وسلامها: صخورها، واحدتها سلمة.

الشعر للبيد بن ربيعة العامري، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن محرز خفيف رملٍ أول بالوسطى عن حبش، وذكر الهشامي إن فيه رملاً آخر للهذلي في الثالث والأول.

نسب لبيد وأخباره

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

وكان يقال لأ بيه ربيع المقترين لجوده وسخائه. وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه.
وعمه أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، سمي بذلك لقول أوس بن حجر فيه:

فلا عب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وأم لبيد تامرة بنت زنباع العبسية، إحدى بنات جذيمة بن رواحة.
ولبيد أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين ممن أدرك الإسلام، وهو من أشراف الشعراء المجيدين الفرسان القاء المعمرين، يقال إنه عمر مائة وخمساً وأربعين سنة.
أخبرني بخبره في عمره أحمد بن عبد العزيزي الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم.
وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن علي بن الصباح، عن ابن الكلبي، وعن علي بن المسور عن الأصمعي، وعن رجالٍ ذكرهم، منهم أبو اليقظان وابن دأب، وابن جعدبة، والوقاصي.
أن لبيد بن ربيعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب بعد وفاة أخيه أربد وعامر بن الطفيل، فأسلم وهاجر وحسن إسلامه، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فأقام بها. ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية، فكان عمره مائةً وخمساً وأربعين سنة، منها تسعون سنةً في الجاهلية، وبقيتها في الإسلام.
قال عمر بن شبة في خبره: فحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم أن لبيداً قال حين بلغ سبعاً وسبعين سنة:

قامت تشكى إلي النفس مجهشةً وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تزادي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال:

كأني وقد جاوزت عشرين حجةً خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ مائةً وعشراً قال:

أليس في مائةٍ قد عاشها رجل وفي تكامل عشرٍ بعدها عمر

فلما جاوزها قال:

ولقد سئمت من الحاة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

غلب الرجال وكان غير مغلبٍ دهر طويل دائم ممدود
يوماً أرى يأتي علي وليلة وكلاهما بعد المضاء يعود

وأراه يأتي مثل يوم لقيته لم ينتقص وضعفت وهو يزيد

أخبرني محمد بن دريد قال حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثنا الأصمعي قال: وفد عامل بن مالكٍ ملاعب الأسنة، وكان يكنى أبا البراء، في رهطٍ من بني جعفر، ومعه لبيد بن ربيعة، ومالك بن جعفر، وعامر بن مالكٍ عم لبيد، على النعمان، فوجدوا عنده الربيع بن زيادٍ العبسي وأمه فاطمة بنت الخرشب، وكان الربيع نديماً للنعمان مع رجلٍ من تجار الشام يقال له زرجون بن توفيل ، وكان حريفاً للنعمان يبايعه ، وكان أديباً حسن الحديث والندام، فاستخفه النعمان، وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسي: متطبب كان له، وإلى الربيع بن زياد فخلا بهم، فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم، فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيع فطعن فيهم وذكر معايبهم، وكانت بنو جعفر له أعداء ، فلم يزل بالنعمان حتى صده عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً، وقد كان يكرمهم ويقربهم، فخرجوا غضاباً ولبيد متخلف في رحالهم يحفظ متاعهم، ويغدوا بإبلهم كل صباحٍ يرعاها، فأتاهم ذات ليلةٍ وهم يتذكرون أمر الربيع، فسألهم عنه فكتموه، فقال: والله لا حفظت لكم متاعاً، ولا سرحت لكم بعيراً أو تخبروني فيم أنتم؟ وكانت أم لبيدٍ يتيمةً في حجر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه. فقال لبيد: هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم بقول ممض لا يلتفت إليه النعمان أبداً؟ فقالوا: وهل عندك شيء؟ قال: نعم.

قالوا: فإنا نبلوك. قال: وما ذاك؟ قالوا: تشتم هذه البقلة - وقدامهم بقلة دقيقة القضبان، قليلة الورق، لاصقة بالأرض، تدعى التربة - فقال: هذه التربة التي لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً، ولا وتسر جاراً، عودها ضئيل، وفرعها كليل، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعى، وأقصرها فرعاً، وأشدها شاسع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، فالقوا بي أخا عبس، أرده عنكم بتعس، وأتركه من أمره في لبس. قالوا: نصبح ونرى فيك رأينا فقال عامر: انظروا إلى غلامكم هذا - يعني لبيداً - فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء، إنما هو يتكلم بما جاء على لسانه، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبه. فرمقوه فوجدوه وقد ركب رحلاً وهو يكدم وسطه حتى أصبح، فقالوا: أنت والله صاحبه. فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته، وألبسوه حلة ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان، فوجدوه يتغدى ومعه الربيع بن زيادٍ، وهما يأكلان لا ثلث لهما، والدار والمجالس مملوءة من الوفود، فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه، وقد كان أمرهم تقارب، فذكروا الذي قدموا له من حاجتهم، فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم، فقال لبيد في ذلك:

أكل يومٍ هامتي مقزعه يا رب هيجاهي خير من دعه

نحن بني أم البنين الأربعة سيوف حزوجفان مترعه

نحن خيار عامر بن صعصعة الضاربون الهام تحت الخيضعة

والمطعمون الجفنة المدعدعه مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

إن استه من برص ملمعه وإنه يدخل فيها إصبعه

يدخلها حتى يواري أشجعه كأنه يطلب شيئاً ضيعه

فرفع النعمان يده من الطعام وقال: خبثت والله علي طعامي يا غلام؛ وما رأيت كاليوم. فأقبل الربيع على النعمان فقال: كذب والله ابن الفاعلة ، ولقد فعلت بأمه كذا. فقال له لبيد: مثلك فعل ذلك بربيبة أهلة والقريبة من أهله، وإن أمي من نساءٍ لم يكن فواعل ما ذكرت. وقضى النعمان حوائج الجعفريين، ومضى من وقته وصرفهم، ومضى الربيع بن زياد إلى منزله من وقته، فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه، وأمره بالا نصراف إلى أهله، فكتب إليه الربيع: إني قد عرفت أنه قد وقع في صدرك ما قال لبيد، وإني لست بارحاً حتى تبعث إلي من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال لبيد. فأرسل إليه: إنك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً، ولا قادراً على رد ما زلت به الألسن، فالحق بأهلك. فلحق بأهله ثم أرسل إلى النعمان بأبيات شعر قالها، وهي:

لئن رحلت جمال لا إلى سعةٍ ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا

بحيث لو وردت لخم بأجمعها لم يعدلوا ريشةً من ريش سمويلا

ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغسويلا

فاثبت بأرضك بعدي واخل متكئاً مع النطاسي طوراً وابن توفيلا

فأجابه النعمان بقوله:

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأباطيلا

فقد ذكرت بشيءٍ لست ناسيه ما جاورت مصر أهل الشام والنيلا

فما انتفاؤك منه بعد ما جزعت هوج المطي به نحو ابن سمويلا

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعةً فانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولا

قال: وقال لبيد يهجو الربيع بن زياد - ويزعمون أنها مصنوعة. قال:

ربيع لا يسقك نحوي سائق فتطلب الأ ذحال والحقائق

ويعلم المعيا به والسابق ما أنت إن ضم عليك المازق

إلا كشيءٍ عاقه العوائق إنك حاسٍ حسوةً فذائق

لا بد أن يغمز منك العاتق غمزاً ترى أنك منه ذارق

إنك شيخ خائن منافق بالمخزيات ظاهر مطابق

كان يخفي بعض شعره ثم أظهره وكان لبيد يقول الشعر ويقول: لا تظهروه، حتى قال:

عفت الديار محلها فمقامها

وذكر ما صنع الربيع بن زياد، وضمرة بن ضمرة . ومن حضرهم من وجوه الناس، فقال لهم لبيد حينئذٍ: أظهروها.

قال الأصمعي في تفسير قوله: الخيضعة، أصله الخضعة بغير ياء، يعني الجلبة والأصوات، فزاد فيها الياء. وقال في قوله بالمخزيات ظاهر مطابق: يقال طابق الدابة، إذا وضع يديه ثم رفعهما فوضع مكانهما رجليه، وكذلك إذا كان يطأ في شوك. والمأزق: المضيق. والنازق: الخفيف.

نسخت من كتاب مروي عن أبي الحكم قال: حدثني العلاء بن عبد الله الموقع قال: اجتمع عند الوليد بن عقبة سماره وهو أمير الكوفة وفيهم لبيد، فسأل لبيداً عما كان بينه وبين الربيع بن زيادٍ عند النعمان، فقال له لبيد: هذا كان من أمر الجاهلية وقد جاء الله بالإسلام. فقال له: عزمت عليك - وكانوا يرون لعزمة الأمير حقا - فجعل يحدثهم، فحسده رجل من غني فقال: ما علمنا بهذا. قال: أجل يا أبن أخي، لم يدرك أبوك مثل ذلك، وكان أبوك ممن لم يشهد تلك المشاهد فيحدثك.

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري قال: حدثني الهيثم عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال: لم يسمع من لبيد فخره في الإسلام غير يوم واحد، فإنه كان في رحبة غني مستلقياً على ظهره قد سجى نفسه بثوبه، إذا أقبل شاب من غني فقال: قبح الله طفيلاً حيث يقول:

جزى الله عنا جعفراً حيث أشرفت بنا نعلنا في الواطين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت

فذو المال موفور وكل معصبٍ إلى حجرات أدفأت وأظلت

وقالت هلموا الدار حتى تبينوا وتنجلي الغماء عما تجلت

ليت شعري ما الذي رأى من بني جعفرٍ حيث يقول هذا فيهم؟ قال: فكشف لبيد الثوب عن وجهه وقال: يا ابن أخي، إنك أدركت الناس وقد جعلت لهم شرطة يرعون بعضهم عن بعض، ودار رزق تخرج الخادم بجرابها فتأتي برزق أهلها، وبيت مال يأخذون منه أعطيتهم، ولو أدركت طفيلاً يوم يقول هذا لم تلمه. ثم استلقى وهو يقول: أستغفر الله. فلم يزل يقول: أستغفر الله؛ حتى قام.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد قال: قال مر لبيد بالكوفة على مجلس بني نهد وهو يتوكأ على محجن له فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب، فسأله فقال: الملك الضليل ذو القروح. فرجع فأخبرهم فقالوا: هذا امرؤ القيس. ثم رجع إليه فسأله: ثم من؟ فقال له: الغلام

المقتول من بني بكر. فرجع فأخبرهم فقالوا: هذا طرفة. ثم رجع فسأله ثم من؟ قال: ثم صاحب المحجن، يعنى نفسه أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو عبيدة قال:

لم يقل لبيد في الإسلام إلا سلام واحداً، وهو:

الحمد لله إذا لم ياتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

أخبرني أحمد قال: أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبي قال: حدثنا نصر بن دأب عن دواد بن أبي هند عن الشعبي قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة: أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام. فأرسل إلى الأغلب الراجز العجلي، فقال له: أنشدني. فقال:

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد طلبت هيناً موجودا

ثم أرسل إلى لبيدٍ فقال: أنشدني. فقال: إن شئت ما عفي عنه - يعني الجاهلية - فقال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفةٍ ثم أتى بها وقال: أيدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر. فكتب بذلك المغيرة إلى عمر، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائةٍ وجعلها في عطاء لبيد، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة، فكتب الأغلب: يا أمير المؤمنين أتنقص عطائي أن أطعتك؟! فرد عليه خمسمائة وأقر عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة.

قال أبو زيد: وأراد معاوية أن ينقصه من عطائه لما ولي الخلافة، وقال: هذان الفودان- يعني الألفين - فما بال العلاوة؟ يعني الخمسمائة. فقال له لبيد: إنما أنا هامة اليوم أو غد، فأعرني اسمها ، فلعلي لا أقبضها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان . فرق له وترك عطاءه على حاله، فمات و لم يقبضه.

وقال عمر بن شبة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم. وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا: كان لبيد من جوداء العرب ، وكان قد آلى في الجاهلية أن لا تهب صبا إلآ أطعم، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم، فهبت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال: إن أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ألا تهب صباً إلا أطعم، وهذا يوم من أيامه، وقد هبت صباً فأعينوه، وأنا أول من فعل. ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائة بكرة، وكتب إليه بأبياتٍ قالها:

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل

أشم الأنف أصيد عامري طويل الباع كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفري بحلفتيه على العلات و المال القليل

بنحر الكوم إذ سحبت عليه ذيول صباً تجاوب بالأصيل

فلما بلغت أبياته لبيداً قال لآبنته: أجيبيه، فلعمري لقد عشت برهةً وما أعيا بجواب شاعر. فقالت ابنته:

إذا هبت رياح أبي عقيلٍ ... دعونا عند هبتها الوليدا

أشم الأنف أروع عبشميا ... أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركباً ... عليها من بني حام قعودا

أبا وهبٍ جزاك الله خيراً ... نحرناها فأطعمنا الثريدا

فعد إن الكريم له معاد ... وظني يا ابن أروى أن تعودا

فقال لها لبيد: أحسنت لولا أنك استطعمته. فقالت: إن الملوك لا يستحيا من مسألتهم. فقال: وأنت يا بنية في هذه أشعر.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال: حدثني القاسم بن يعلي عن المفضل الضبي قال: قدم الفرزدق فمر بمسجد بني أقيصر، وعليه رجل ينشد قول لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

فسجد الفرزدق فقيل له: ما هذا يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرف سجدة الشعر.

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا يعقوب الثقفي، وابن عياش، وسمعر بن كدام، كلهم عن عبد الملك بن عمير قال:

أخبرني من أرسله القراء الأشراف - قال الهيثم: فقلت لابن عياش: من القراء الأشراف؟ قال: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وخالد بن عرفطة الزهري، ومسروق بن الأجدع الهمداني، وهانئ بن عروة المرادي - إلى ربيعة وهو في المسجد، وفي يده محجن فقلت: يا أبا عقيل، إخوانك يقرونك السلام ويقولون: أي العرب أشعر؟ قال: الملك الضليل ذو القروح. فردوني إليه وقالوا: ومن ذو القروح؟ قال: امرؤ القيس. فأعدوني إليه وقالوا: ثم من؟ قال: الغلام ابن ثمان عشرة سنة. فردوني إليه فقلت: ومن هو؟ فقال: طرفة. فردوني إليه فقلت: ثم من؟ قال: صاح المحجن حيث يقول:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

يعني نفسه. ثم قال: أستغفر الله.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشعبي قال: حدثنا عمر بن شبة عن ابن البواب قال: جلس المعتصم يوماً للشراب، فعناه عض المغنين قوله:

وبنو العباس لا بأتون لا وعلى ألسنهم خفت نعم

زينت أحلامهم أحسابها وكذاك الحلم زين للكرم

فقال: ما أعرف هذا الشعر، فلمن هو؟ قيل: للبيد. فقال: وما للبيد وبني العباس؟ قال المغني: إينما قال:

وبنو الديان لا يأتون

فجعلته وبنو العباس. فاستحسن فعله ووصله.

وكان يعجب بشعر لبيد فقال: من منكم يروي قوله:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع

فقال بعض الجلساء: أنا . فقال: أنشدنيها. فأنشد:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

وقد كنت في أكناف جار مضنةٍ ففارقني جار بأريد نافع

فبكى المعتصم حتى جرت دموعه، وترحم على المأمون، وقال: هكذا كان رحمة الله عليه! ثم اندفع وهو ينشد باقيها ويقول:

فلا جزع إن فرق الدهر بيننا فكل امرىء يوماً له الدهر فاجع

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وبعد بلا قع

ويمضون أرسالاً ونخلف بعدهم كما ضم إحدى الراحتين الأصابع

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

وما البر إلا مضمرات من التقى وما المال إلا عاريات ودائع

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راكع

فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه تقادم عهد القين والنصل قاطع

فلا تبعدن إن المنية موعد علينا فدانٍ للطلوع وطالع

أعاذل ما يدريك إلا تظنياً إذا رحل الفتيان من هو راجع

أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى وأي كريم لم تصبه القوارع

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

قال: فعجبنا والله من حسن ألفاظه، وصحة إنشاده، وجودة اختياره.

أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه. وحدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق قال : كان عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، فتفكر يوماً في نفسه فقال: والله ما ينبغي لمسلمٍ أن يكون آمناً في جوار كافر ورسول الله صلى الله عليه وسلم خائف. فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له: أحب أن تبرأ من جواري. قال: لعله رابك ريب. قال: لا، ولكن أحب أن تفعل. فقال: فاذهب بنا حتى أبرأ منك حيث أجرتك . فخرج معه إلى المسجد الحرام فلما وقف على جماعة قريش قال لهم: هذا ابن مظعونٍ قد كنت أجرته ثم سألني أن أبرأ منه، أكذاك يا عثمان؟ قال: نعم. قال: اشهدوا أني منه بريء.

قال: وجماعة يتحدثون من قريش معهم لبيد بن ربيعة ينشدهم، فجلس عثمان مع القوم فأنشدهم لبيد:

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل

فقال له عثمان: صدقت. فقال لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان: كذبت. فلم يدر القوم ما عنى. فأشار بعضهم إلى لبيد أن يعيد، فأعاد فصدقه في النصف الأول وكذبه في الآخر، لأن نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش، ما كان مثل هذا يكون في مجالسكم. فقالم أبي بن خلف أو ابنه فلطم وجه عثمان، فقال له قائل: لقد كنت في منعةٍ من هذا بالأمس. فقال له: ما أحوج عيني هذه الصحيحة إلى أن يصيبها ما أصاب الأخرى في الله.

أخبرني محمد بن الزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإشخاص الشعبي إليه، فأشخصه فألزمه ولده، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم، قال: فدعاني يوماً في علته التي مات فيها فغص بلقعةٍ وأنا بين يديه، فتساند طويلاً ثم قال: أصبحت كما قال الشاعر:

كأني وقد جاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عني عذار لجام

إذا ما رآني الناس قالوا ألم يكن ... شديد محال البطش غير كهام

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... وكيف يمن يرمى وليس برام

ولو أنني أرمى بسهم رأيته ... ولكنني أرمي بغير سهام

فقال الشعبي: فقالت: إنا لله، استلم الرجل والله للموت! فقلت: أصلحك الله، ولكن مثلك ما قال لبيد:

باتت تشكى إلي الموت مجهشةً ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

فإن تزادي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فعاش إلى أن بلغ تسعين سنة فقال :

كأني وقد جاوزت تسعين حجةً خلعت بها عن منكبي ردائيا

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين فقال:

أليس في مائةٍ قد عاشها رجل وفي تكامل عشرٍ بعدها عمر

فعاش إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة فقال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

غلب الرجال وكان غير مغلبٍ دهر جديد دائم ممدود

يوم أرى يأتي عليه وليلة وكلاهما بعد المضاء يعود

ففرح وساتبشر وقال: ما أرى بأساً، وقد وجدت خفاً . وأمر لي بأربعة الآف درهم، فقبضتها وخرجت، فما بلغت الباب حتى سمعت الواعية عليه.

وغنى في هذه الأبيات التي أولها:

غلب الرجال وكا غير مغلبٍ

عمر الوادي خفيف رملٍ مطلقٍ بالوسطى عن عمرو.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا هارون بن مسلم عن العمري عن الهيثم بن عدي عن حمادٍ الراوية قال: نظر النابغة الذبياني إلى لبيد بن ربيعة وهو صبي، مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر، فسأل عنه فنسب له، فقال له: يا غلام، إن عينيك لعينا شاعرٍ، أفتقرض من الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا عم. قال: فأنشدني شيئاً مما قلته. فأنشده قوله:

ألم تربع على الدمن الخوالي

فقال له: يا غلام، أنت أشعر بني عامر، زدني يا بني. فأنشده:

طلل لخولة بالرسيس قديم

فضرب بيديه إلى جنبيه وقال: أذهب فأنت أشعر من قيس كلها، أو قال: هوزان كلها.

وأخبرني بهذا الخبر عمي قال: حدثنا العمري عن لقيط عن أبيه، وحماد الرواية عن عبد الله بن قتادة المحاربي قال: كنت مع النابغة بباب النعمان بن المنذر، فقال لي النابغة: هل رأيت لبيد بن ربيعة فيمن حضر؟ قلت: نعم قال: أيهم أشعر؟ قلت: الفتى الذي رأيت من حاله كيت وكيت. فقال: اجلس بنا حتى يخرج إلينا. قال: فجلسنا فلما خرج قال له النابغة: إلي يا ابن أخي. فأتاه فقال: إنشدني. فأنشده قوله:

ألم تلمم على الدمن الخوالي لسلمى بالمذانب فالقفال

فقال له النابغة: أنت أشعر بني عامر، زدني. فأنشده:

طلل لخولة بالرسيس قديم فبعاقلٍ فلأنعمين رسوم

فقال له: أنت أشعر هوازن، زدني. فأنشده قوله:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فقال له النابغة: اذهب فأنت أشعر العرب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، أن لبيداً لما حضرته الوفاة قال لابن أخيه و لم يكن له ولد ذكر: يا بني، إن أباك لم يمت ولكنه فني. فإذا طعموا فقل لهم فليحضروا جنازة أخيهم. ثم أنشد قوله:

وإذا دفنت أباك فاج عل فوقه خشباً وطنيا

وسقائفا صما روا سيها يسددن الغصونا

ليقين حر الوجه سف ساف التراب ولن يقينا

قال: وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة.

وقد ذكر يونس أن لابن سريجٍ لحناً في أبياتٍ من قصيدة لبيدٍ هذه، و لم يجنسه.

أبني هل أبصرت أع مامي بني أم البنينا

وأبي الذي كان الأرا مل في الشتاء له قطينا

وأبا شريك والمنا زل في المضيق إذا لقينا

ما إن رأيت ولا سمع ت بمثلهم في العالمينا

فبقيت بعدهم وكن ت بطول صحبتهم ضنينا

دعني وما ملكت يمي ني إن سددت بها الشؤونا

وافعل بمالك ما بدا لك مستعاناً أو معينا

قال: وقال لابنتيه حين احتضر ، وفيه غناء:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فإن حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لا حليفه أضاع، ولا خان الصديق ولا غدر

إلى الحولثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى. وذكر الهشامي إنه لإسحاق. وذكر أحمد بن يحيى أنه لإبراهيم.

قال: فكانت ابنتاه تلبسان ثيابهما في كل يوم، ثم تأتيان مجلس بني جعفر بن كلاب فترثيانه ولا تعولان، فأقاما على ذلك حولاً ثم انصرفتا.

سألناه الجزيل فما تأبى فأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا فأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً ما دنوت إليه إلا تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

الشعر لزياد الأعجم، والغناء لشارية، خفيف رمل بالبنصر مطلق.

أخبار زياد الأعجم ونسبه

زياد بن سليمان ، مولى عبد القيس، أحد بني عامر بن الحارث، ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية .

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري. وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه عن ابن حبيب قال: هو زياد بن جابر بن عمرو، مولى عبد القيس. وكان يتزل إصطخر فغلبت العجمة على لسانه، فقيل له الأعجم.

وذكر ابن النطاح مثل ذلك في نسبه، وخالف في بلده، وذكر أن أصله ومولده ومنشأه بأصبهان ثم انتقل إلى خراسان، فلم يزل بها حتى مات.

وكان شاعراً جزل الشعر فصيح الألفاظ على لكنة لسانه، وجريه على لفظ أهل بلده.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثت عن المدائني أن زياداً الأعجم دعا غلاماً له ليرسله في حاجة، فأبطأ فلما جاءه قال له: منذ لدن دأوتك إلى أن قلت لبى ما كنت تسنأ؟ يريد منذ لدن دعوتك إلى أن قلت لبيك ماذا كنت تصنع.

فهذه ألفاظه كما ترى في نهاية القبح واللكنة.

وهو الذي يقول يرثي المغيرة بن المهلب بقوله:

قل للقوافل والغزي إذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح

إن المروءة والسماحة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادمٍ وذبائح

يا من بمهوى الشمس من حي إلى ما بين مطلع قرنها المتنازح
مات المغيرة عد طول تعرض للموت بين أسنةٍ وصفائح
والقتل ليس إلى القتال ولا أرى حيا يؤخر للشفيق الناصح

وهي طويلة. وهذا من نادر الكلام، ونقي المعاني، ومختار القصيد، وهي معدودة من مراثي الشعراء في عصر زياد ومقدمها.

لابن جامع في الأبيات الأربعة الأول غناء أوله نشيد كله، ثم تعود الصنعة إلى الثاني والثالث في طريقة الهزج بالوسطى.

وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن السكري عن محمد بن حبيب، أن من الناس من يروي هذه القصيدة لصلتان العبدي. وهذا قول شاذ، والصحيح أنها لزياد قد دونها الرواة، غير مدفوعٍ عنها.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال: رثى زياد الأعجم المغيرة بن المهلب فقال:

إن الشجاعة والسماحة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرفٍ سابح

فقال له يزيد بن المهلب: يا أبا أمامة، أفعقرت أنت عنده؟ قال: كنت على بنت الهمار . يريد الحمار.

أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال: كنت حاضراً في مجلس أبي العباس، فقلت وقدقرىء عليه شعر زيادٍ الأعجم، فقرئت عليه قصيدته:

قل للقوافل والغزي إذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح

قال: فقلت إنها من مختار الشعر، ولقد أنشدت لبعض المحدثين في نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة. ثم أنشدنا:

أيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكما تبكيان
اندبا الماجد الكريم أبا إس حاق رب المعروف والإحسان
واذهبا بي إن لم يكن لكما عق ر إلى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فق كا ن دمي من نداه لو تعلمان

أخبرني وكيع قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه قال: كان المهلب بن أبي صفرة بخراسان، فخرج إليه زياد الأعجم فمدحه، فأمر له بجائزة فأقام عنده أياماً. قال: فإنا ليعشيةٍ نشرب مع حبيب بن المهلب في دار له، وفيها حمامة، فقال زياد:

تغنى أنت في ذممي وعهدي وذمة والدي إن لم تطاري
وبيتك فاصلحيه ولا تخافي على صفرٍ مزغبة صغار
فإنك كلما غنيت صوتاً ذكرت أحبتي وذكرت داري
فإما يقتلوك طلبت ثاراً له نبأ لأنك في جواري

فقال حبيب: يا غلام، هات القوس. فقال له زياد: وما تصنع بها؟ قال: أرمي جارتك هذه. قال: والله لئن رميتها لاستعدين عليك الأمير. فأتى بالقوس فترع لها سهماً فقتلها، فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه الحديث وأنشده الشعر، فقال المهلب: علي بأبي بسطام، فأتي بحبيب فقال له: أعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار. فقال: أطال الله بقاء الأمير، إنما كنت ألعب. قال: أعطه كما آمرك. فأنشأ زياد يقول:

فلله عينا من رأى كقضيةٍ قضى لي بها قرم العراق المهلب
رماها حبيب بن المهلب رميةً فأثبتها بالسهم والسهم يغرب
فألزمه عقل الفتيل ابن حرةٍ وقال حبيب: إنما كنت ألعب
فقال :زياد لا يروع جاره وجارة جاري مثل جلدي وأقرب

قال: فحمل حبيب إليه ألف دينار على كره منه، فإنه ليشرب مع حبيب يوماً إذا عربد عليه حبيب، وقد كان حبيب ضغن عليه مما جرى، فأمر بشق قباء ديباج كان عليه، فقام فقال:

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ولكنما خرقت جلد المهلب

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره، وقال له: صدق زياد، ما خرقت إلا جلدي، تبعث هذا على أن يهجوني . ثم بعث إليه فأحضره، فأستل سخيمته من صدره وأمر له بمالٍ وصرفه.

وقد أخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً. قال أحمد بن الهيثم بن فراس، قال العمري عن الهيثم بن عدي قال: تهاجى قتادة بن مغرب اليشكري وزياد الأعجم بخراسان، وكان زياد يخرج وعليه قباء ديباج، تشبها بالأعجم، فمر به يزيد بن المهلب وهو على حاله تلك، فأمر به فقنع أسواطاً، ومزقت ثيابه وقال له: أبأهل الكفر والشرك تتشبه لا أم لك؟ فقال زياد:

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ولكنما خرقت جلد المهلب

وذكر باقي الخبر مثله وقال فيه: فدعا به المهلب فقال له: يا أبا أمامة، قلت شيئاً آخر؟ قال: لا والله أيها الأمير. قال: فلا تقل. وأعتبه وكساه وحمله، وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له: اعذر ابن أخيك يا أبا أمامة، فإنه لم يعرفك.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها زياد الأعجم في عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي.

أخبرني بخبره في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: أتى زياد العجم عمر بن عبيد الله بن معمرٍ بفارس، وقدم عليه عراك بن محمد الفقيه من مصر، فكان عراك يحدثه بحديث الفقهاء، فقال زياد:

يحدثنا أن القيامة قد أتت ... وجاء عراك يبتغي المال من مصر

فكم بين باب النوب إن كنت صادقاً ... وإيوان كسرى من فلاةٍ ومن قصر

وقال يمدح عمر بن عبيد الله:

سألناه الجزيل فما تأبى ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

وذكر الأبيات الثلاثة.

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا: اخبرني محمد بن زياد، عن ابن عائشة. وأخبرني هاشم بن محمد قال: حدثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة، وخبر ابن أبي الدنيا أتم. قال: كان زياد الأعجم صديقاً لعمر بن عبيد الله بن معمر قبل أن يلي، فقال له عمر: يا أبا أمامة، لو قد وليت لتركتك لا تحتاج إلى لأحد أبداً. فلما ولي فارس قصده، فلما لقيه أنشأ يقول:

أبلغ أبا حفصٍ رسالة ناصح ... أنت من زياد مستبيناً كلامها

فإنك مثل الشمس لا ستر دونها ... فكيف أبا حفص علي ظلامها

فقال له عمر: لا يكون عليك ظلامها أبداً. فقال زياد:

لقد كنت أدعو الله في السر أن أرى ... أمور معد في يديك نظامها

فقال له: قد رأيت ذلك. فقال:

فلما أتاني ما أردت تباشرت ... بناتي وقلن العام لا شك عامها

قال: فهو عامهن إن شاء الله تعالى. فقال:

فإني وأرضا أنت فيها ابن معمرٍ ... كمكة لم يطرب لأرض حمامها

قال: فهي كذلك يا زياد. فقال:

إذا أخترت أرضاً للمقام رضيتها ... لنفسي ولم يثقل علي مقامها

وكنت أمني النفس منك ابن معمر ... أماني أرجو أن يتم تمامها

قال: قد أتمها الله عليك. فقال:

فلا أك كالمجري إلى رأس غايةٍ ... يرجى سماء لم يصبه غمامها

قال: لست كذلك فسل حاجتك. قال: نجيبة ورحالتها ، وفرس رائع وسائسه، وبدرة وحاملها، وجارية وخادمها، وتخت ثيابٍ ووصيف يحمله. فقال: قد امرنا لك بجميع ما سألت، وهو لك علينا في كل عام. فخرج من عنده حتى قدم على عبد الله بن الحشرج وهو يسابور، فأنزله وألطفه ، فقال في ذلك:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

ملك أغر متوج ذو نائلٍ ... للمعتفين يمينه لم تشنج

يا خير من صعد المنابر بالتقى ... بعد النبي المصطفى المتحرج

لما أتيتك راجياً لنو الكم ... ألفيت باب نوالكم لم يرتج

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع، عن عبد الله بن محمد، عن عبيد الله بن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه: أتى زياد عبد الله بن عامر بن كريز. والخبر الأول أصح. وزاد في الشعر:

أخ لك لا تراه الدهر إلا ... على العلات بساماً جوادا

فقال له عمر: أحسنت يا أبا أمامة، ولك لكل بيتٍ ألف. قال: دعني أتمها مائة. قال: أما إنك لو كنت فعلت لفعلت، ولكن لك ما رزقت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا ابن عائشة قال: حدثني أبي قال: لما خرج ابن أرسل عبد الملك إلى عمر بن عبيد الله بن معمر ليقدم عليه، فلما كان بضمير، وهي من الشأم، مات بالطاعون، فقام عبد الملك على قبره وقال: أما والله لقد علمت قريش أن قد فقدت اليوم ناباً من أنيابها. وقال جد خلاد بن أبي عمرو الأعمى، وكانوا موالي أبي عمرو بن أمية: أهو اليوم ناب لما مات، وكان أمس ضرساً كليلة؟! أما والله لوددت أن السماء وقعت على الأرض فلم يعش بينهما أحد بعده! وسمعها عبد الملك فتغافل عنها.

قال: وقال الفرزدق يرثيه:

يا أيها الناس لا تبكوا على أحدٍ ... بعد الذي بضمير وافق القدرا

كانت يداه لنا سيفاً نصول به ... على العدو وغيثاً ينبت الشجرا

أما قريش أبا حفصٍ فقد رزئت ... بالشام إذا فارقتك البأس والظفرا

من يقتل الجوع من بعد الشهيد ومن ... بالسيف يقتل كبش القوم إذ عكرا

إن النوائح لم يعددن في عمرٍ ... ما كان فيه إذا المولى به افتخرا

إذا عددن فعالاً أو له حسباً ... ويوم هيجاء يعشى بأسه البصرا

كم من جبانٍ إلى الهيجا دنوت له ... يوم اللقاء ولولا أنت ما صبرا

أخبرنا أحمد حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا حميد عن سليمان بن قتة قال: بعث عمر بن عبد الله بن معمر إلى ابن عمر ، والقاسم بن محمد، بألف دينار، فأتيت عبد الله بن عمر وهو يغتسل في مستحم له، فأخرج يده فصببتها في يده، فقال: وصلت رحماً، وقد جاءتنا على حاجة. وأتيت القاسم فأبى أن يقبلها، فقالت لي امرأته: إن كان القاسم ابن عمه فأنا لا بنة عمه. فأعطيتها. قال: فكان عمر يبعث بهذه الثياب العمرية يقسمها بين أهل المدينة، فقال ابن عمر: جزى الله من اقتنى هذه الثياب بالمدينة خيراً. وقال لي عمر: لقد بلغني عن صاحبك شيء كرهته. قلت: وما ذاك؟ قال: يعطي المهاجرين ألفاً ألفاً، ويعطى الأنصار سبعمائة سبعمائة. فأخبرته فسوى بينهم .

أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو زيد قال: كانت لرجل جارية يهواها، فاحتاج إلى بيعها، فابتاعها منه عمر بن عبيد الله بن معمر، فلما قبض ثمنها أنشأت تقول:

هنيئاً لك المال الذي قد قبضته ... ولم يق في كفي غير التحسر

فإني لحزنٍ من فراقك موجع ... أناجي به قلباً طويل التفكر

فقال: لا ترحلي. ثم قال:

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ... يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري

عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال: قد شئت، خذ الجارية وثمنها. فأخذها وانصرف.

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن زياد قال: حدثني ابن عائشة قال: استبطأ زياد الأعجم عمر بن عبيد الله بن معمر في زيارته إياه فقال:

أصابت علينا جودك العين يا عمر ... فنحن لها نبغي التمائم والنشر

أصابتك عين في سماحك صلبة ... ويا رب عينٍ صلبة تفلق الحجر

سنرقيك بالأشعار حتى تملها ... فإن لم تفق يوماً رقيناك بالسور

فبلغته الأبيات فأرضاه وسرحه.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال حدثني العمري قال: حدثني من سمع حماداً الراوية يقول: امتدح زياد العجم عباد بن الحصين الحبطي وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القباع، وطلب حاجة فلم يقضها، فقال زياد:

سألت أبا جهضمٍ حاجةً ... وكنت أراه قريباً يسيرا

فلو أنني خفت منه الخلا ... ف والمنع لي لم أسله نقيرا

وكيف الرجاء لما عنده وقد خالط البخل منه الضميرا

أقلني أبا جهضمٍ حاجتي فإني امرؤ كان ظني غرورا

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن العمري، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: مر يزيد بن جناء الضبي بزياد الأعجم وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغرب، فأفحش فيه، فقال له يزيد بن حبناء: ألم يأن لك أن ترعوي وتترك تمزيق أعراض قومك، ويحك! حتى متى تتمادى في الضلال، كأنك بالموت قد صبحك أو مساك! فقال زياد فيه:

يحذرني الموت ابن حبناء والفتى إلى الموت يغدو جاهداً ويروح

وكل امرىءٍ لابد للموت صائر وإن عاش دهراً في البلاد يسيح

فقل ليزيد يا ابن حبناء لا تعظ أخاك وعظ نفساً فأنت جنوح

تركت التقى والدين دين محمدٍ لأهل التقى والمسلمين يلوح

وتابعت مراق العراقين سادراً وانت غليظ القصريين صحيح

فقال له يزيد بن عاصم الشني : قبحك الله أتهجو رجلاً وعظك وامرك بمعروف بمثل هذا الهجاء، هلا كففت إذ لم تقبل، أراه الله سيأتي على نفسك ثم لا تحبق فيك عتران ، اذهب ويحك فأته واعتذر إليه لعله يقبل عذرك.

فمشى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشفعوا إليه فيه، فقال: لا تثريب، لست واجداً عليه بعد يومي هذا.

أخبرني أحمد بن علي قال: سمعت جدي علي بن يحيى يحدث عن أبي الحسن عن رجل من جعفي قال: كنت جالساً عند المهلب إذ أقبل رجل طويل مضطرب، فلما رآه المهلب قال: اللهم إني أعوذ بك من شره! فجاء فقال: أصلح الله الأمير، اني قد مدحتك ببيت صفده مائة ألف درهم . فسكت المهلب، فاعاد القول فقال له: أنشده فأنشده:

فتى زاده السلطان في الخير رغبةً إذا غير السلطان كل خليل

فقال له المهلب: يا أبا أمامة، مائة ألف؟! فوالله ما هي عندنا ولكن ثلاثون ألفاً فيها عروض. وأمر له بها، فإذا هو زياد الأعجم.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني وأبو العيناء عن القحذمي قال: لقي الفرزدق زياداً الأعجم فقال له الفرزدق: لقد هممت أن أهجو عبد القيس، وأصف من فسوهم شيئاً. قال له زياد: كما أنت حتى أسمعك شيئاً. ثم قال: قل إن شئت أو أمسك. قال: هات. قال:

وما ترك الهاجون لي إن هجوته مصحا أراه في أديم الفرزدق

فإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فقال له الفرزدق: حسبك هلم نتتارك . قال: ذلك إليك. وما عاوده بشيء.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العتبي عن العباس بن هشام عن أبيه قال: حدثني خراش ، وكان عالماً راوية لأبي، ولمؤرج ، ولجابر بن كلثوم، قال: أقبل الفرزدق وزياد ينشد الناس في المربد وقد اجتمعوا حوله، فقال: من هذا؟ قيل: الأعجم. فأقبل نحوه فقيل له: هذا الفرزدق قد أقبل عليك. فقام فتلقاه وحيا كل واحدٍ منهما صاحبه، فقال له الفرزدق: ما زالت تنازعني نفسي إلى هجاء عبد القيس منذ دهر. قال زياد: وما يدعوك إلى ذلك؟ قال: لأني رأيت الأشقري هجاكم فلم يصنع شيئاً، وأنا أشعر منه، وقد عرفت الذي هيج بينك وبينه. قال: وما هو؟ قال إنكم اجتمعتم في قبة عبد الله بن الحشرج بخراسان، فقلت له قد قلت شيئاً فمن قال مثله فهو أشعر مني، ومن لم يقل مثله ومد إلي عنقه فإني أشعر منه. فقال لك: وما قلت؟ فقلت: قلت:

وقافيةٍ حذاء بت أحوكها ... إذا ما سهيل في السماء تلالا

فقال لك الأشقري:

وأقلف صلى بعد ما ناك أمه ... يرى ذاك في دين المجوس حلالا

فأقبلت على من حضر فقلت: يا لأم كعبٍ أخزاها الله تعالى، ما أثمها حين تخبر ابنها بقلفتي! فضحك الناس وغلبت عليه في المجلس.

فقال له زياد: يا أبا فراس، هب لي نفسك ساعةً ولا تعجل حتى يأتيك رسولي بهديتي ثم ترى رأيك. وظن الفرزدق أنه سيهدي إليه شيئاً يستكفه به، فكتب إليه:

وما ترك الهاجون لي إن أردته ... مصحا أراه في أديم الفرزدق

وما تركوا لحماً يدقون عظمه ... لآكله ألقوه للمتعرق

سأحطم ما أبقوا له من عظامه ... فأنكت عظم الساق منه وأنتقي

فإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فبعث إليه الفرزدق: لا أهجو قوماً أنت منهم أبداً.

قال أبو المنذر: زياد أهجى من كعبٍ الأشقري، وقد أوثر عليه في عدة قصائد. منها التي يقول فيها.

قبيلة خيرها شرها ... وأصدقها الكاذب الآثم

وضيفهم وسط أبياتهم ... وإن لم يكن صائماً صائم

وفيه يقول:

إذا عذب الله الرجال بشعرهم ... أمنت لكعبٍ أن يعذب بالشعر

وفيه يقول:

أتتك الأزد مصفرا لحاها تساقط من مناخرها الجواف

أخبرني وكيع قال: حدثني أحمد بن عمر بن بكير قال حدثنا الهيثم عن ابن عياش قال: دخل أبو قلابة الجرمي مسجد البصرة وإذا زياد الأعجم، فقال زياد: من هذا؟ قال: أبو قلابة الجرمي، فقام على رأسه فقال:

قم صاغراً ياكهل جرمٍ فإنما يقال لكهل الصدق قم غير صاغر

فإنك شيخ ميت ومورث قضاعة ميراث البسوس وقاشر

قضى الله خلق الناس صم خلقتم بقية خلق الله آخر آخر

فلم تسمعوا إلا بما كان قبلكم ولم تدركو إلا بدق الحوافر

فلو رد أهل الحق من مات منكم إلى حقه لم تدفنوا في المقابر

فقيل له: فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة؟ قال: في النواويس.

الجزء السادس عشر

أخبار شارية

قال أبو الفرج علي بن الحسين:

كانت شارية مولدة من موالدات البصرة، يقال إن أباها كان رجلاً من بني سامة بن لؤي المعروفين ببني ناجية ، وأنه حجدها، وكانت أمها أمة، فدخلت في الرق. وقيل بل سرقت فبيعت، فاشترتها امرأة من بني هاشم، فأدبتها، وعلمتها الغناء، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي، فأخذت غناءها كله أو أكثره عنه، وبذلك يحتج من يقدمها على عريب، ويقول: إن إبراهيم خرجها، وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه، وبمعرفة ما يأخذها به. و لم تكن هذه حال عريب، لأن المراكبي لم يكن يقارب إبراهيم في العلم، ولا يقاس به في بعضه ، فضلاً عن سائره.

أخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قريص : أن ابن المعتز دفع إليه كتابه الذي ألفه في أخبارها، وقال له أن يرويه عنه، فتسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب، وسمعته أنا عمن رويته عنه.

قال ابن المعتز: حدثني عيسى بن هارون المنصوري: أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية، من ولد جعفر بن سليمان. فحملتها لتبيعها ببغداد، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فأعطى بها ثلثمائة دينار، ثم استغلاها بذلك و لم يردها. فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعرضت عليه، فساوم بها. فقالت له مولاتها: قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار، وأنت أيها الأمير، أعزك الله، بها أحق. فقال: زنوا لها ما قالت. فوزن لها، ثم دعا بقيمته، فقال: خذي هذه الجارية ولا ترينيها سنة، وقولي للجواري يطرحن عليها، فلما كان بعد سنة أخرجت إليه، فنظر إليها وسمعها. فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه، وأراه إياها، وأسمعه غناءها. وقال: هذه جارية تباع، فبكم تأخذها لنفسك؟ قال إسحاق: آخذها بثلاثة آلاف دينار، وهي رخيصة بها. قال له إبراهيم: أتعرفها؟ قال: لا. قال: هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار، فلم تقبل. فبقي إسحاق متحيراً، يعجب من حالها وما انقلبت إليه.

وقال ابن المعتز: حدثني الهشامي عن محمد بن راشد: أن شارية كانت مولدة البصرة، وكانت لها أم منكرة، تدعي أنها بنت محمد بن زبد، من بني سامة بن لؤي.

قال ابن المعتز: وحدثني غيره، أنها من بني زهرة.

قال الهشامي: فجيء بها إلى بغداد، وعرضت على إبراهيم بن المهدي، فأعجب بها إعجاباً شديداً، فلم يزل يعطي بها، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم. فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: إنه لم يكن عند أبي درهم ولا دانق، فقال لي: ويحك! قد أعجبتني والله هذه الجارية إعجاباً شديداً، وليس عندنا شيء. فقلت له: نبيع ما نملكه حتى الخزف. ونجمع ثمنها. فقال لي: قد فكرت في شيء؛ اذهب إلى علي بن هشام، فأقرئه مني السلام، وقل له:

جعلني الله فداءك! قد عرضت علي جارية قد أخذت بمجامع قلبي، وليس عندي ثمنها، فأحب أن تفرضني عشرة آلاف درهم. فقلت له: إن ثمنها ثمانية آلاف درهم، فلم تكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم؟ فقال: إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم، لا بد أن نكسوها، وقيم لها ما تحتاج إليه.

فصرت إلى علي بن هشام، فأبلغته الرسالة، فدعا بوكيل له، وقال له، ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً، وقل له: أنا لا أصلك، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة . قال: فصرت إلى أبي بالدراهم، فلو طلعت عليه بالخلافة، لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم.

وكانت أمها خبيثة، فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتهي، ذهبت إلى عبد الوهاب بن علي، وذفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم.

قال ابن المعتز: وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخطيب، قال: ذكر يوسف بن إبراهيم المصري صاحب إبراهيم بن المهدي:

أن إبراهيم وجه به إلى عبد الوهاب بن علي، في حاجة كانت له، قال : فلقيته وانصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى اسقبلتني امرأة. فلما نظرت في وجهي سترت وجهها. فأخبرني شاكري أن المرأة هي أم شارية، جارية إبراهيم. فبادرت إلى إبراهيم، وقلت له: أدرك، فإني رأيت أم شارية في دار عبد الوهاب، وهي من تعلم، وما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها. فقال لي في جواب ذلك: أشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد أبنه هبة الله على مثل ذلك . وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دواد، وإحضار من قدرت عليه من الشهود المعدلين عنده، فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً. وأمر بإخراج شارية، فخرجت، فقال لها: اسفري، فجزعت من ذلك. فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريده بها، ففعلت.

فقال لها: تسمى. فقالت: أنا شارية أمنك. فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا. ثم قال: فإني أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، وأني قد تزوجتها، وأصدقتها عشرة آلاف درهم. يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي، أرضيت؟ قالت: نعم يا سيدي قد رضيت، والحمد لله على ما أنعم به علي. فأمرها بالدخول، وأطعم الشهود وطيبهم وأنصرفوا.

فما أحسبهم بلغوا دار بن أبي دواد، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي، فأقرأ عمه سلام المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترض علي طاعتك، وصيانتك عن كل ما يعرك ، إذا كنت عمي، وصنو أبي، وقد رفعت إلي امرأة من قريش قصة، ذكرت فيها أنها من بني زهرة صليبة ، وأنها أم شارية، وأحتجت بأنه لا تكون بنت أمراة من قريش أمة، فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية بنتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك، وسترها عند من تثق به من أهلك، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة؛ فإن ثبت ما قلته أمرت من جعلتها عنده بإطلاقها، وكان في ذلك الحظ لك في دينك ومروءتك؛ وإن لم يصح ذلك، أعيدت الجارية إلى مترلك، وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك ولا

يحسن فقال له إبراهيم: فديتك يا أبا إبراهيم، هب شارية بنت زهرة بن كلاب، أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها؟ فقال عبد الوهاب: لا. فقال إبراهيم: فأبلغ أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه السلامة، وأخبره أن شارية حرة، وأني قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول.

وقد كان الشهود بعد منصرفهم من عند إبراهيم صاروا إلى بن أبي دواد. فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره، فسألهم عنه، فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية، وتزوج إبراهيم إياها. فركب إلى المعتصم، فحدثه بالحديث معجباً له منه. فقال: ضل سعي عبد الوهاب. ودخل عبد الوهاب على المعتصم، فلما رآه يمشي في صحن الدار، سد المعتصم أنف نفسه، وقال: يا عبد الوهاب، أنا أشم رائحة صرف محرق، وأحسب أن عمي لم يقنعه ردك إلا وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها، فشممت رائحتها منك. فقال: الأمر على ماظن أمير المؤمنين وأقبح.

ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم، آبتاع إبراهيم منه بنته ميمونة شارية، بعشرة آلاف درهم، وستر ذلك عنها، فكان عتقه إياها وهي في ملك غيره، ثم أبتاعها من ميمونة، فحل له فرجها، فكان يطؤها على أنها أمته، وهي تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة. فلما توفي طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد زوجته في الثمن، فأظهرت خبرها. وسئلت ميمونة وهبة الله عن الخبر، فأخبرا به المعتصم. فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسماة دينار، فحولت إلى داره، فكانت في ملكه حتى توفي.

قال أبن المعتز: وقد قيل إن المعتصم أبتاعها بثلثمائة ألف درهم.

قال: وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم أقترض ثمن شارية من ابنته، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين، فرباها تربية الولد، حتى لقد ذكرت أنها كانت في حجره جالسة، وقد أعجب بصورت أخذته منه، إذا طمثت أول طمثها، فأحس بذلك، فدعا قيمة له، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام، فلفه عليها، فقال: أحمليها، فقد أقشعرت، وأحسب برد الحش قد آذاها .

قال: وحدثت شارية أنها كانت معه في حراقة قد توسط بها دجلة، في ليلة مقمرة، وهي تغني إذ أندفعت فغنت:

لقد حثوا الجمال ليه ربوا منا فم يئلوا

فقام إليها، فأمسك فاها، وقال: أنت والله أحسن من الغريض وحهاً وغناء، فما يؤمنني عليك؟ أمسكي.

قال: وحدث حمدون بن إسماعيل: أنه دخل على إبراهيم يوماً، فقال له: أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمعه قط؟ قال: نعم. فقال: هاتوا شارية، فخرجت، فأمرها أن تغني لحن إسحاق:

هل بالديار التي حييتها أحد؟

قال حمدون: فغنتني شيئاً لم أسمع مثله قط، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا. فقال: أتحب أن تسمعه أحسن من هذا؟ فقلت: لا يكون. فقال: بلى والله تقر بذاك. فقلت: على أسم الله. فغناه هو، فرأيت فضلاً عجيباً. فقلت: ما ظننت أن هذا يفضل ذاك هذا الفضل. قال: أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك؟ فقلت:

هذا الذي لا يكون: فقال: بلى والله. فقلت: فهات. قال: بحياتي ياشارية، قوليه وأحيلي حلقك فيه. فسمعت والله فضلاً بيناً، فأكثرت التعجب. فقال لي: يا أبا جعفر، ما أهون هذا على السامع! تدري بالله كم مرة رددت عليها موضعاً في هذا الصوت؟ قلت: لا. قال: فقل وأكثر. قلت: مائة مرة قال: أصعد ما بدالك. قلت ثلثمائة. قال: أكثر والله من ألف مرة، حتى قالته كذا.

قال: وكانت ريق تقول: إن شارية كانت إذا أضطربت في صوت، فغاية ماعنده من عقوبتها، أنه يقيمها تغنيه على رجليها، فإن لم تبلغ الذي يريد، ضربت ريق .

قال: ويقال إن شارية لم تضرب بالعود إلا في أيام المتوكل، لما اتصل الشر بينها وبين عريب، فصارت تقعد بها عند الضرب، فضربت هي بعد ذلك.

قال ابن المعتز: وحدث محمد بن سهل بن عبد الكريم، المعروف بسهل الأحول، وكان قاضي الكتاب في زمانه، وكان يكتب لإبراهيم، وكان شيخاً ثقة، قال: أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار، فامتنع من بيعها. فعاتبته على ذلك، فلم يجبني بشيء. ثم دعاني بعد أيام، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة. فأحضره الغلام سفوداً فيه ثلاث فراريج، فرمى إلي بواحدة، فأكلتها وأكل اثنتين، ثم شرب رطلاً وسقانيه، ثم أتي بسفود آخر، ففعل كما فعل، وشرب كما شرب وسقاني. ثم ضرب ستراً كان إلى جانبه، فسمعت حركة العيدان، ثم قال: يا شارية تغنى. فسمعت شيئاً ذهب بعقلي. فقال: يا سهل، هذه التي عاتبتني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار، لا والله، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار.

قال: وكانت شارية تقول: إن أباها من قريش، وإنها سرقت صغيرة، فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية وباعتها من إبراهيم بن المهدي. والله أعلم.

أخبرني عمي، قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: أمرني المعتز ذات يوم بالمقام عنده، فأقمت. فأمر فمدت الستارة، وخرج من كان يغني وفيهن شارية، و لم أكن سمعتها قبل ذلك. فاستحسنت ما سمعت منها، فقال لي أمير المؤمنين المعتز: يا عبد الله، كيف ما تسمع منها عندك ؟ فقلت: حظ العجب من هذا الغناء، أكثر من حظ الطرب. فاستحسن ذلك، وأخبرها به فاستحسنته.

قال ابن المعتز: واخبرني الهشامي، قال: قالت لي ريق: كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدي إبراهيم، وهو متكىء على مخدة ينظر إلينا، فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللعب، فأغلظت لها في الكلام بعض الغلظة. فاستوى إبراهيم جالساً، وقال: أرك تستخفين بها، فوالله لا احد يخلفك غيرها. وأومأ إلى حلقه بيده .

قال: وحدثني الهشامي، قال: حدثني عمرو بن بانة، قال: حضرت يوماً مجلس المعتصم، وضربت الستارة وخرجت الجواري، وكنت إلى جانب مخارق، فغنت شارية، فأحسنت جداً. فقلت لمخارق: هذه الجارية في حسن الغناء عللى ما تسمع، ووجهها وجه حسن، فكيف لم يتحرم بها إبراهيم بن المهدي؟ فقال لي: أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة منع إبراهيم بن المهدي من ذلك.

قال عبد الله بن المعتز: وحدثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى، عن ريق قالت: استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام، فنالته ضيقة.

قالت: فتحمل ذهابنا إليه على ضعف، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقعة، فجعلنا نرى جواري المعتصم وما عليهن من الجوهر والثياب الفاخرة، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنوا وغنينا، فطرب المعتصم على غنائنا، ورآنا أمثل من جواريه، فتحولت إلينا أنفسنا في التيه والصلف، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم.

قال: وحدثني أبو العبيس ، عن أبيه قال: كانت شارية أحسن الناس غناءً، منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق.

قال أبو العبيس: وحدثني ريق أن المعتصم أفتضها، وأنها كانت معها في تلك الليلة.

قال أبو العبيس: وحدثني طباع جارية الواثق: أن كان يسميها ستي. وكانت تعلم فريدة، فلم تبق في تعليمها غاية، إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الواثق، فحلفت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها، فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلا نقصت من نغمه. وكان المعتمد قد تعشق شرة جاريتها، وكانت أكمل الناس ملاحة وخفة روح، وعجز عن شرائها. فسأل أم المعتز أن تشتريها له، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار، وأهدتها إليه. ثم تزوجت بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغني، وكان يتعشقها. فقال عبد الله بن المعتز، وكان يتعشقها:

أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسي ... ألا رب تطليقٍ قريب من العرسِ

لئن صرت للبقال ياشر زوجة ... فلا عجب قد يريض الكلب في الشمس

وقال يعقوب بن بنان: كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف. فلما بلغة رحيل موسى بن بغا من الجبل يريده، بسبب قتله المعتز، أودع شارية جوهره. فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك. فلما أوقع موسى بصالح، استترت شارية عند هارون بن شعيب العكبري ، وكان أنظف خلق الله طعاماً، وأسراه مائدة، وأوسخه كل شيء بعدذلك؛ وكان له بسر من رأى منزل، فيه بستان كبير، وكانت شارية تسميه أبي، وتزوره إلى منزله. فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه، حتى الحصير الذي تقعد عليه.

قال: وكانت شارية من أكرم الناس، عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا، ثم أضاف في وقت، فاقترض منها على غير رهن، عشرة آلاف دينار، ومكثت عليه أكثر من سنة، ما أذكرته بها، ولا طالبته، حتى ردها ابتداء .

قال يعقوب بن بنان: وكان أهل سر من رأى متحازبين، فقوم مع شارية، وقوم مع عريب، لا يدخل أصحاب هذه مع هؤلاء، ولا أصحاب هذه في هؤلاء. فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عربياً، فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل، وعنده عريب وجواريها. فاتصل الخبر بشارية، فبعثت بجواريها إلى علي بن

الحسين بعد يوم أو يومين، وامرت إحداهن، وما أدري من هي: مهرجان، أو مطرب، أو قمرية، إلا أنها إحدى الثلاثة، أن تغني قوله:

لا تعودن بعدها فترى كيف أصنع

فلما سمع علي الغناء ضحك، وقال: لست أعود.

قال: وكان المعتمد قد وثق بشارية، فلم يكن إلا طعامها. فمكثت دهراً من الدهور تعد له في كل يوم جونتين ، وكان طعامه منهما في أيام المتوكل.

قال ابن المعتز: وحدثني أحمد بن نعيم عن ريق، قالت: كان مولاي إبراهيم يسمي شارية بنتي، ويسميني أختي. حدثني جحظة، قال: كنت عند المعتمد يوماً، فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي ولحنه:

يا طول علة قلبي المعتاد إلف الكرام وصحبة الأمجاد

فقال لها: أحسنت والله. فقالت: هذا غنائي وأنا عارية، فكيف لو كنت كاسة؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصية، فحمل ذلك إليها. فقال لي علي بن يحيى المنجم: اجعل انصرافك معي. ففعلت، فقال لي: هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية؟ قلت: لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام، فتصفحناها كلها؛ فلما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك.

يا طول علة قلبي المعتاد إلف الكرام وصحبة الأمجاد

مازلت آلف كل قرم ماجدٍ متقدم الآباء والأجداد

الشعر لإبراهيم بن المهدي، والغناء لعلويه، خفيف رمل لشارية بالبنصر، و لم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، قال: حدثني محمد بن مالك الخزاعي، قال: حدثتني ملح العطارة، وكانت من احسن الناس غناء، وإنما سنيت العطارة لكثرة استعمالها العطر المطيب، قالت: غنت شارية يوماً بين يدي المتوكل وأنا واقفة مع الجواري:

بالله قولوا لي لمن ذا الرشا المثقل الردف الهضيم الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا وأملح الناس إذا ما انتشى

وقد بنى برج حمام له أرسل فيه طائراً مرعشا

يا ليتني كنت حماماً له أو باشقاً يفعل بي ما يشا

لو لبس الوهي من رقةٍ أرجعه القوهي أو خدشا

وهو هزج ، فطرب المتوكل، وقال لشارية: لمن هذا الغناء؟ فقالت: أخلته من دار المأمون، ولا أدري لمن هو. فقلت له أنا: أعلم لمن هو. فقال: لمن هو يا ملح؟ فقلت: أقوله لك سراً. قال: أنا في دار النساء، وليس يحضرني إلا حرمي، فقوليه. فقلت: الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه وغنت فيه هذا اللحن. فأطرق طويلاً، ثم قال: لا يسمع هذا منك أحد.

أحبك يا سلمى على غير ربية وما خير حب لا تعف سرائره
أحبك حباً لا أعنف بعده محباً، ولكني إذا ليم عاذره
وقد مات حبي أول الحب انقضى ولومت أضحى الحب قد مات آخره
ولما تناهى الحب في القلب وارداً أقام وسدت فيه عنه مصادره

الشعر للحسين بن مطير الأسدي والغناء لإسحق: هزج بالبنصر.

أخبار الحسين بن مطير ونسبه

هو الحسين بن مطير بن مكمل، مولى لبني أسد بن خزيمة، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. وكان جده مكمل عبداً، فاعتقه مولاه. وقيل بل كاتبه، فسعى في مكاتبته حتى أداها وآعتق. وهو من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، شاعر متقدم في القصيد والرجز، فصيح، قد مدح بني أمية وبني العباس.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجراح، عن محمد بن الحسن بن الحرون: أنه كان من ساكني زبالة ، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية. وذلك بين في شعره.

ومما يدل على إدراكه دولة بني أمية، ومدحه إياهم، ما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة، قال: أخبرني أبي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن مرون بن أبي حفصة، قال: دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي، والحسين بن مطير الأسدي، في عدة من الشعراء، على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها ، وإذا رجل كلما أنشد ساعر شعراً، وقف الوليد على بيت بيت منه، وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعراء. فقالت: من هذا؟ قالوا: هذا حماد الراوية. فلما وقفت بين يدي الوليد لأنشده، قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة. فتهانف الشيخ، ثم قال: يا بن أخير، أنا رجل أكلم العامة، وأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عني الشعر كله، إلا شعر ابن مقبل فقلت: نعم، لابن مقبل. فأنشدته:

سل الدار من جنبي حبر فواهبٍ إلى ما رأى هضب القليب المضيح

ثم جزت. فقال: قف. ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول. فقال: يا بن أخير، أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال: تراءى الموضعان: إذا تقابلا.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، والحسن بن علي، ويحيى بن علي، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي، قال: حدثني أبي: أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن وقد مدحه، فلما دخل عليه انشده:

أتيتك إذ لم يبق غيرك جابر ... ولا واهب يعطي اللها والرغائبا

فقال له معن: يا أخا بني أسد، ليس هذا يمدح، إنما المدح قول نهار بن توسعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة، في مسمع بن مالك.

قلدته عرا الأمور نزار ... قبل أن تهلك السراة البحو

قال: وأول هذا الشعر:

اظعني من هراة قد مر فيها ... حجج مذ سكنتها وشهور

اظعني نحو مسمع تجديه ... نعم ذو المثنى ونعم المزور

سوف يكفيك إن نبت بك أرض ... بخراسان أو جفاك أمير

من بني الحسن عامل بن بريح ... لا قليل الندى ولا منزور

والذي يفزع الكماة إليه ... حين تدمى من الطعان النحور

فاصطنع يا بن مالك آل بكرٍ ... واجبر العظم إنه مكسور

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها، وأولها:

حديث ريا حبذا إدلالها

تسأل عن حالي وما سؤالها

عن امرىء قد شفه خيالها

وهيشفاء النفس لو تنا لها

سل سيوفاً محدثاً صقالها

صاب على أعدائه وبالها

وعند معن ذي الندى أمثالها

فاستحسنها وأجزل صلته.

أخبرني ابن عمار ويحيى بن علي، قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكرٍ الأصم قال: كنا في مجلس الأصمعي، فأنشده رجل لدعبل بن علي:

أين الشباب وأية سلكا

فاستحسنا قوله :

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال الأصمعي: هذا أخذه من قول الحسين بن مطير:

أين أهل القباب بالدهناء أين جيراننا على الأحساء

فارقونا والأرض ملبسة نو ر الأقاحي يجاد بالأنواء

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني محمد بن القاسم الدينوري، قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: قال المهدي للمفضل الضبي: أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدي. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله:

وقد تغدر الدنيا فيضحي فقيرها غنياً ويغنى بعد بؤسٍ فقيرها

فلا تقرب الأمر الحرام فإنه حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وكم قد رأينا من تغير عيشة وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

فقال له المفضل: مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا، قال: نسخت من كتاب المفضل بن سلمة: قال أبو عكرمة الضبي: قال المفضل الضبي: كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم، وعلي عشرة آلاف درهم ، إذ جاءني رسول المهدي، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقالت: ما بعث إلي في هذا الوقت إلا لسعاية ساع. وتخوفته، لخروجي - كان - مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فدخلت مترلي، فتطهرت وليست ثوبين نظيفين، وصرت إليه. فلما مثلت بين يديه سلمت ، فرد علي، وأمرني بالجلوس. فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، أي بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت: بيت الخنساء. وكان مستلقياً فاستوى جالساً، ثم قال: وأي بيت هو؟ قلت قولها:

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فأومأ إلى إسحاق بن بزيع ، ثم قال: قد قلت له ذلك فأباه. فقلت: الصواب ما قاله أمير المؤمنين. ثم قال: حدثني يا مفضل. قلت: أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين؟ قال: حديث النساء. حتى انتصف النهار، ثم قال لي: يا مفضل، أسهرني البارحة بيتا ابن مطير، وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الاول. ثم قال: ألهذين ثالث يا مفضل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فأنشدته قوله:

وكم قد رأينا من تغير عيشةٍ ... وأخرى صفا بعد ادرار غديرها

وكان المهدي رقيقاً فاستعبر، ثم قال: يا مفضل، كيف حالك؟ قلت: كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: اقض دينك، وأصلح شأنك، فقبضتها وانصرفت.

أخبرني يحيى بن علي، عن علي بن يحيى إجازة وحدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم عن عبد الله بن أبي سعد ، قال: حدثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع، أحد بني سواربن الحارث الأسدي، قال: أخبرني جدي موسى بن مجمع، قال: قال الحسين بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها:

إليك أمير المؤمنين تعفت ... بنا البيد هوجاء النجاء خبوب

ولو لم يكن قدامها ما تقاذفت ... جبال بها مغبرة وسهوب

فتى هو من غير التخلق ماجد ... ومن غير تأديب الرجال أديب

علا خلقه خلق الرجال وخلقه ... إذ ضاق أخلاق الرجال رحيب

إذا شاهد الفؤاد سار أمامهم ... جريء على ما يتقون وثوب

وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابةً ... بها يقهر الأعداء حين يغيب

يعف ويستحي إذا كان خالياً ... كما عف واستحيا بحيث رقيب

فلما أنشدها المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد.

وكان الحسين من الثعلبية ، وتلك داره بها. قال ابن أبي سعد: وأرانيها الشيخ.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد عن إسحق بن عيسى، قال: دخل الحسين بن مطير على المهدي، فأنشده قوله:

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم ... ما كان في الناس إلا أنت معبود

أضحت يمينك من جودٍ مصورة ... لا بل يمينك منها صور الجود

لو أن من نوره مثقال خردلة ... في السود طرا إذن لا بيضت السود

فأمر له لكل بيت بألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني أبي، قال: خرج المهدي يوماً، فلقيه الحسين بن مطير، فأنشده قوله:

أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود

فقال: كذبت يا فاسق، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد، بعد قولك في معن بن زائدة حيث تقول:

ألما بمعنٍ ثم قولا لقبره سقيت الغوادي مربعاً ثم مربعا

أخرجوه عني، فأخرجوه.

وتمام الأبيات:

أيا قبر معن كنت أول حفرةٍ من الأرض خطت للمكارم مضجعا

أيا قبر معنٍ كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود ميت ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه ممرعا

أبى ذكر معن أن تموت فعاله وإن كان قد لاقى حماما ومصرعا

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني علي بن عبيد الكوفي قال: حدثني الحسين بن أبي الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال: كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه، فقال لعبد الله بن ظاهر: يا أبا العباس، من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم؟ قال: أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلى عيناً. فقال له: على ذلك فقل، وتكلم أنت أيضاً يا أحمد بن يوسف. فقال عبد الله بن طاهر: أشعرهم الذي يقول:

أيا قبر معن كنت أول خطة من الأرض خطت للمكارم مضجعا

فقال أحمد بن سوف: بل أشعرهم الذي يقول:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

فقال: أبيت يا احمد إلا غزلاً! أين أنتم عن الذي يقول:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو خليفة عن التوزي، قال: قلت لأبي عبيدة: ما تقول في شعر الحسين بن مطير؟ فقال: والله لوددت أن الشعراء قاربته في قوله:

مخصرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

فصفر تراقيها، وحمر أكفها وسود نواصيها، وبيض خدودها

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير، قال: كان سبب قوله هذه الأبيات أن والياً ولي المدينة، فدخل عليه الحسين بن مطير، فقيل له: هذا من أشعر الناس. فأراد أن يختبره، وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت، وتتابع منها الرعد والبرق، وجاءت بمطر جود. فقال له: صف هذه السحابة. فقال:

مستضحك بلوامعٍ مستعبر بمدامعٍ لم تمرها الأقذاء

فله بلا حزن ولا بمسرة ضحك يراوح بينه وبكاء

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه فإذا تحلب فاضت الأطباء

وكأن بارقه حريق تلتقي ريح عليه وعرفج وألاء

لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبق في لجج السواحل ماء

إذا ما أم عبد الل ه لم تحلل بواديه

ولم تمس قرياً هي ج الحزن دواعيه

غزال راعه القنا ً تحميه صياصيه

وما ذكرى حبيباًو قليل ما أواتيه

كذى الخمر تمناها وقد أنزف ساقيه

عرفت الربع بالإكلي ل عفته سوافيه

بجو ناعم الحوذا ن ملتف روابيه

الشعر مختلط، بعضه للنعمان بن بشير الأنصاري، وبعضه ليزيد بن معاوية، فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول والبيت الخير، وباقيها ليزيد بن معاوية . ورواه من لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى. فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني؛ وجدت ذلك عنه في كتابه، وخالد بن كلثوم، نسخته من كتاب أبي سعيد السكري في مجموع شعر النعمان. وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه، فإنها متوالية ، قال:

فبحت اليوم بالأمر ال لذي قد كنت تخفيه

فإن أكتمه يوماً فإني سوف أبديه

وما زلت أفديه وأدنيه وأرقيه
وأسعى في هواه أ بداً حتى ألا قيه
فبات الريم مني ح ذراً زلت مراقبة

والغناء لمعبد: خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، و لم ينسبه إلى احد. وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى، عن الهشامي وحنين.

أخبار النعمان بن بشير ونسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. وأمه عمرة بنت رواحة، وأخت عبد الله بن رواحة، والتي يقول فيها قيس بن الخطيم:

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شاننا شانها
وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

وله صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولأبيه بشير بن سعد. وكان جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه آخر، ليشهد معه غزوة له فيما قيل، فاستصغرهما فردهما.

وأبوه بشير بن سعد أول من قالم يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه، ثم توالت الأنصار فبايعته. وشهد بشير بيعة العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، واستشهد يوم عين التمر مع خالد بن الوليد.

وكان النعمان عثمانياً، وشهد مع معاوية صفين، و لم يكن معه من الأنصار غيره، وكان كريماً عليه، رفيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده، وعمر إلى خلافة مروان بن الحكم، وكان يتولى حمص. فلما بويع لمروان، دعا إلى ابن الزبير، وخالف على مروان، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط. فلم يجبه أهل حمص إلى ذلك.

فهرب منهم، وتبعوه فأدركوه فقتلوه، وذلك في سنة خمس وستين.

ويقال إن النعمان بن بشير أول مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها. وقد قيل ذلك في عبد الله بن الزبير، إلا أن النعمان أول مولود ولد بعد مقدمه عليه السلام من النصار، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً.

حدثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء. قال حدثني أبو بكر بن أبي شبية، قال: حدثنا عباد بن العوام، عن الحصين، عن الشعبي، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت أمي عمرة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله فقال: ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتني أن أشهدك.

فقال: أعطيت كل ولدك مثل هذا؟ قال: لا فقال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير، وكان عثمانياً، وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي عليه السلام. فأبى النعمان أن ينفذها لهم. فكلموه وسألوه بالله، فأبى أن يفعل. وكان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن. وكان يقول: لا ترون على منبركم هذا أحداً بعدي يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فصعد المنبر يوماً فقال: يا أهل الكوفة.

فصاحوا : ننشدك الله والزيادة. فقال: اسكتوا. فلما أكثروا قال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ قالوا: لا. قال: مثل الضبع والضب والثعلب: فإن الضبع والثعلب أتيا الضب في وجاره، فناداياه: أبا الحسل. فقال: سميعا دعوتما. قالا: أتيناك لتحكم بيننا. قال: في بيته يؤتى الحكم. قالت الضبع: إني حللت عيبتي. قال: فعل الحرة فعلت. قالت: فلقطت ثمرة. قال: طيباًلقطت. قالت: فأكلها الثعلب. قال: لنفسه نظر. قالت: فلطمته. قال: بجرمه. قالت: فلطمني. قال: حر انتصر. قالت: فاقض بيننا. قال: قد فعلت. قال: حدث امرأة حديثين، فإن أبت فعشرة .

فقال عبد الله بن همام السلولي:

زيادتنا نعمان لا تحبسنها	خف الله فينا والكتاب الذي تتلو
فإنك قد حملت منا أمانة	بما عجزت عنه الصلاخمة البزل
فلا يك باب الشر تحسن فتحه	وباب الندى والخيرات له قفل
وقد نلت سلطاناً عظيماً فلا يكن	لغيرك جمات الندى ولك البخل
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه	فما باله عند الزيادة لا يحلو
وقبلك قد كانوا علينا أئمة	يهمهم تقويمنا وهم عصل
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا	ولكن حسن القول خالفه الفعل
يذمون دنياهم وهم يرضعونها	أفاويق حتى ما يدر لهم ثعل
فيا معشر الأنصار إني أخوكم	وإني لمعروفٍ أنى منكم أهل
ومن أجل إيواء النبي ونصره	يحبكم قلبي وغيركم الأصل

فقال النعمان بن بشير: لا عليه ألا يتقرب ، فوالله لا أجيزها ولا أنفذها أبداً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعي ، قال: حدثني شيخ قديم من اهل المدينة. وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو غسان، عن أبي

السائب المخزومي. وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسي قال: دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير، فقال: والله لقد أخفقت أذناي من الغناء، فأسمعوني. فقيل له: لو وجهت إلى عزة الميلاء، فإنها من قد عرفت. فقال: إي ورب الكعبة، وإنها لمعن تزيد النفس طيباً، والعقل شحذاً. ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبت صرت إليها. فقال له بعض القوم: إن النقلة تشتد عليها، لثقل بدنها، وما بالمدينة دابة تحملها. فقال النعمان بن بشير: وأين النجائب عليها الهوادج؟ فوجه إليها بنجب، فذكرت علة. فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه: أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا. فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها. فأذنت وأكرمت واعتذرت، فقبل النعمان عذرها، وقال لها: غني، فغنت:

أجد بعمرة غنيانها ... فتهجر أم شاننا شانها

وعمرة من سروات النسا ... ء تنفح بالمسك أردانها

قال: فأشير إليها أنها أمه، فأمسكت. فقال: غني، فوالله ما ذكرت إلا كرماً وطيباً، ولا تغني سائر اليوم غيره. فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف.

قال إسحاق: فتذكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي، فقال: ألا أزيدكم فيه طريفة؟ فقلنا: بلى، يا أبا عبد الرحمن. فقال: قال لقيط ونحن عند سعيد الزبيري ، قال عامر الشعبي: اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء، فصار إلى منزل عزة الميلاء، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له. فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها، فقال النعمان: لأقضين بينكما بقضية لا ترد علي، قد أحل الله له من النساء أربعاً: مثنى، وثلاث، ورباع، له مرتان بالنهار، ومرتان بالليل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال حدثني عمي، عن العباس بن هشام ، عن أبيه؛ وأخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبي . وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، قالوا: خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظاً؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص، فشكا إليه حاله. فكلم له النعمان اليمانية، وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له. فقالوا: نعم، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه. فقال: أعطه ديناراً، واجعلوا ذلك معجلاً. فقالوا له: أعطه إياه من بيت المال، واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه. ففعل النعمان ذلك، وكانوا عشرين ألفاً، فأعطاه عشرين ألف دينار، وارتجعا متهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان:

ولم أر للحاجات عند التماسها ... كنعمان نعمان الندى ابن بشير

إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن ... كمدلٍ إلى الأقوام حبل غرور

متى أكفر النعمان لا ألف شاكراً ... وما خير من لا يقتدي بشكور

فلو لا أخو الأنصار كنت كنازل ثوى ماثوى لم ينقلب بنقير

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلبي قالالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا يحيى الزبيري قال حدثني ابن أبي زريق، قال: شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية، فقال:

رمل هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمني

لإذ تقولين عمرك الله هل شيء وإن جل سوف يسليك عني

أم هل اطمعت منكم يا بن حسا ن كما قد أراك أطمعت مني

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج من أهل يثرب، يتهكم بأعراضنا، ويشبب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان. وأنشده ما قال. فقال: يا يزيد؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة، ولكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار، ثم أذكرني به. فلما قدموا أذكره به. فلما دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو عملت أن أحداً أشرف لشعري منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن اختها هند؟ قال: وإن لها لأختاً يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعاً، فيكذب نفسه. قال: فلم يرضى يزيد ما كان من معاوية في ذلك، فأرسل إلى كعب بن الجعيل، فقال: اهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: أهج الأنصار. فقال: أفرق من امير المؤمنين. قال: لا تخف شيئاً، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال:

وإذا نسبت ابن الفريعة خلته كالجحش بين حمارة وحمار

لعن الإله من اليهود عصابة بالجزع بين صليصل وصدار

قوم إذا هدر العصير رأيتهم حمرا عيونهم من المسطار

خلو المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار

إن الفوارس يعرفون ظهوركم أولاد كل مقبح أكار

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، وقال: يا امير المؤمنين، أترى لؤماً؟ قال: بل أرى كرماً وخيراً. فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم. قال لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتى به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولاً، فأدخله عليه. فقال له: هذا الذي كنت أخاف. قال: لا تخف شيئاً. ودخل إلى معاوية، فقال: علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا، ويرمي من وراء جمرتنا ؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا

تقبل قوله عليه، وهو المدعى لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن أثبت شيئاً أخذت به له. فدعاه بالبينة، فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل:

وإني غداة استعبرت أم مالك ... لراض من السلطان أن يتهددا
ولولا يزيد ابن الملوك وسعيه ... تجللت حد بارا من الشر أنكدا

فكم أنقذتني من خطوب حباله ... وخرساء لو يرمى بها الفيل بلدا
ودافع عني يوم جلق غمرة ... وهما ينسيني الشراب المبردا
وبات نجيا في دمشق لحيةٍ ... إذاا هم لم ينم السليم وأقصدا
يخافته طوراً، وطوراً إذا رأى ... من الوجه إقبالاً ألح وأجهدا
أبا خالد دافعت عني عظيمة ... وأدركت لحمي قبل أن يتبددا
وأطفأت عني نار نعمان بعدما ... أغذ لأمر فاجر وتجردا
ولما رأى النعمان دوني ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا

لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجعيل بهجاء الأنصار، قال له: أرادي أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوماً آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه؟! قال: أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك. قال: غلام منا خبيث الدين نصراني، فدله على الأخطل.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطاب، قال: لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي، وتفاحشا، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد، وما مدح أحداً غيره قط، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما. ثم ولي مروان. فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مئة سوط، ولم يضرب أخاه. فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام، وكان كبيراً أثيراً مكيناً عند معاوية:

ليت شعري أغائب ليس بالشا ... م خليلي أم راقد نعمان
أية ما يكن فقد يرجع الغا ... ئب يوماً ويوقظ الوسنان
إن عمراً وعامراً أبوينا ... وحراماً قدما على العهد كانوا
أفهم ما نعوك أم قلة الك ... تاب أم أنت عاتب غضبان
أم جفاء أم أعوزتك القراطي ... س أم امري به عليك هوان

يوم أنبئت أن ساقي رضت وأتتكم بذلك الركبان
ثم قالوا إن ابن عمك في بل وى أمور أتى بها الحدثان
فنسيت الأرحام والود والصح بة فيما أتت به الأزمان
إنما الرمح فاعلمن قناة أو كبعض العيدان لو لا السنان

وهي قصيدة طويلة. فدخل النعمان بن بشير على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مئة مئة، فلم يفعل، ثم وليت أخاه، فضرب ابن حسان و لم يضرب أخاه: قال. فتريد ماذا ؟ قال: أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به إلى سعيد. فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة. فضربه خمسين، وبعث إلى ابن حسان بحلة، وسأله أن يعفو عن خمسين. ففعل، وقال لأهل المدينة: إنما ضربني حد الحر مئة، وضربه حد العبد خمسين. فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم. فجاء إلى أخيه فأخبره، وقال: لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان. فبعث إليه مروان: لا حاجة لنا فيما تركت، فهلم فاقتص من صاحبك. فحضر فضربه مروان خمسين أخرى.

أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن الخحارث، قال: حدثنا المدائني، عن يعقوب بن دواد الثقفي ومعاوية بن محارب : أن معاوية تزوج امرأة من كلب، فقال لا مرأته ميسون أم يزيد بن معاوية: ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هذه . فأتتها فنظرت إليها، ثم رجعت فقالت: ما رأيت مثلها، ولقد رأيت خالاً تحت سرتها ليوضعن تحت مكاهفي حجرها رأس زوجها. فنطير من ذلك، فطلقها، فتزوجها حبيب بن مسلمة، ثم طلقها، فتزوجها النعمان بن بشير، فلما قتل وضعوا رأسه في حجرها.

قالوا: وكان النعمان بن بشير لما قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط، في خلافة مروان بن الحكم، أراد أن يهرب من حمص، وكان عاملاً عليها، فخالف ودعا لابن الزبير، فطلبه أهل حمص، فقتلوه واحتزوا رأسه. فقالت امرأته هذه الكلبية: ألقوا رأسه في حجري، فأنا أحق به. فألقوه في حجرها، فضمته إلى جسده، وكفنته ودفنته.

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، قال: حدثنا أبو عبيدة، فقال:

نظر معاوية إلى رجل في مجلسه، فراقه حسناً وشارة وجسماً، فاستنطقه فوجده سديداً. فقال له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين. قال: عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة، الكثر عددها، التي لا تمنع من دخل فيهم، ولا تبالي من خروج منهم. فغضب النعمان بن بشير، ووثب من بين يديه، وقال: أما والله أنك ما علمت لسيء المجالسة لجليسك، عاق بزورك ، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك فأقسم عليه إلا جلس فجلس. فضحكه معاوية طويلاً، ثم قال له: إن قوماً أولهم غسان وآخرهم النصار، لكرام.

وسأله عن حوائجه، فقضاها حتى رضى.

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطه: أخبرنا ابن حبيب، قال: قال خالد بن كلثوم.

خرج النعمان بن بشير في ركب من قومه وهو يومئذ حديث السن، حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حفي

، وحاضرهما بنو القين. فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلى، هدية . فبينا القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء، إذ قال بعضهم: يا نعمان هل قلت شعراً؟ قال: لا والله ما قلت، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سماك: لم تقل شعراً قط؟ قال: لا. قال: فأقسم عليك لتربطن إلى هذه الرحة، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم، أو تقول شعراً. فقال عند ذلك، وهو أول شعر قاله:

يا خليلي ودعا دار ليلى ... ليس مثلي يحل دار الهوان

إن قينية تحل محبا ... وحفيراً فجنبتي ترفلان

لا تؤاتيك في المغيب إذا ما ... حال من دونها فروع قنان

إن ليلى ولو كلفت بليلى ... عاقها عنك عائق غيروان

قال: وضرب الدهر على ذلك، وأتى عليه زمن طويل. ثم أن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك، وهو أمير على حمص، فلما رأها عرفها فأنشأ يقول:

فإن أناسا زرتهم ثم حرموا ... عليك دخول البيت غير كرام

واحسن صلتها، ورفدها طول مقامها، إلى أن رحلت عنه.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود، عن أبيه، عن مشيخة من النصار، قال: حضرت وفود النصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو درة - وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان- فقالوا له: استاذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، فاستأذن لهم. فقال لهم عمرو: ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين؟ اردد القوم إلى أنسابهم. فقال معاوية: إني أخاف من ذلك الشنعة. فقال: هي كلمة تقولها، إن مضت عضتهم ونقصتهم، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار. فنظر معاوية إلى عمرو نظراً منكراً، فقال له: باعدت جداً. فقال: اخرج فقل: من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها، فلم يدخل أحد. فقال له معاوية: أخرج فقل: من كان ههنا من الأنصار فليدخل. فخرج فقالها، فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير وهو يقول:

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا ... أثقل به نسباً على الكفار

إن الذين ثووا ببدر منكم ... يوم القليب هم وقود النار

فقال معاوية لعمرو: قد كنا أغنياء عن هذا .

والنعمان بن بشير: هو من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً، جده شالعر، وأبوه شاعر، وعمه شاعر، وهو شاعر،

وألاده وأولاد أولاده شعراء.

فأما جده سعد بن الحصين فهو القاتل.

إن كنت سائلة والحق معتبة فالأزد نسبتنا والماء غسان

شم الأنوف لهم عز ومكرمة كانت لهم من جبال الطود أركان

وعمه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد، القائل:

إذا لم أزل إلا لآكل أكلة فلا رفعت كفي إلي طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة ولا جوعة إن جعتها بغرام

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول :

لعمرة بالبطحاء بين معرفٍ وبين المطاف مسكن ومحاضر

لعمري لحي بين دار مزاحم وبين الجثا لا يجشم السير حاضر

وحي حلال لا يروع سربهم لهم من وراء القاصيات زوافر

أحق بها من فتية وركائب يقطع عنها الليل عوج ضوامر

تقول وتذري الدمع عن حر وجهها لعلك نفسي قبل نفسك باكر

أباح لها بطريق فارس غائطا لها من ذرا الجولان بقل وزاهر

فقربتها للرحل وهي كأنها ظليم نعامٍ بالسماوة نافر

فأوردتها ماء فما شربت به سوى أنه قد بل منها المشافر

فباتت سراها ليلة ثم عرست بيثرب والأعراب بادٍ وحاضر

قال خالد بن كلثوم: ودخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الخطل الأنصار، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

معاوي إلا تعطنا الحق تعترف لحى الزد مشدوداً عليها العمائم

أيشتمنا عبد الأراقم ضلة وماذا الذي تجدى عليك الأراقم

فمالي ثأر غير قطع لسانه فدونك من يرضيه عنك الدراهم

وأرع رويداً لا تسمتا دنية لعلك في غب الحوادث نادم

متى تلق منا عصبة خزرجية أو الأوس يوماً تخترمك المخارم

وتلقك خيل كالقطا مسبطرة سماطيط أرسال عليها الشكائم

يسومها العمران عمرو بن عامر وعمران حتى تستباح المحارم
ويبدو من الخود الغريرة حجلها وتبيض من هول السيوف المقادم
فتطلب شعب الصدع بعد انفتاقه فتعيا به فالآن والأمر سالم
وإلا فبزي لامة تبعيه مواريث آباني وأبيض صارم
وأجرد خوار العنان كأنه بدومة موشي الذراعين صائم
وأسمر خطي كن كعوبه نوى القسب فيها الهذمي ضبارم
فإن كنت لم تشهد ببدر وقيعة أذلت قريشاً والأنوف رواغم
فسائل بناحي لؤي بن غالب وأنت بما تخفي من الأمر عالم
ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليلك عما ناب قومك نائم
ضربناكم حتى تفرق جمعكم وطارت أكف منكم وجماجم
وعاذت على البيت الحرام عوانس وأنت على خوفٍ عليك تمائم
وعضت قريش بالأنامل بغضة ومن قبل ما عضت علينا الأباهم
فكنا لها في كل أمر تكيده مكان الشجا والأمر فيه تفاقم
فما إن رمى رام فأوهى صفاتنا ولا ضامنا يوماً من الدهر ضائم
وإني لأغضي عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً إليك السلالم
أصانع فيها عبد شمس وانني لتلك التي في النفس مني أكاتم
فلا تشتمنا يا بن حرب فإنما ترقي إلى تلك الأمور الأشائم
فما أنت والأمر الذي لست أهله ولكن ولي الحق والأمر هاشم
إليهم يصير الأمر بعد شتاته فمن لك بالأمر الذي هو لازم
بهم شرع الله الهدى واهتدى بهم ومنهم له هادٍ إمام وخاتم

قال: فلما بلغت هذه الأبيات معاوية، أمر بدفع الأخطل إليه، ليقطع لسانه. فاستجار ببزيد بن معاوية، فمنع منه وأرضوا النعمان، حتى رضى وكف عنه.

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد، و لم يضرب أخاه، حين تهاجيا وتقاذفا، كب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه، فدخل إلى معاوية وأنشأ يقول:

يا بن أبي سفيان ما مثلنا جار عليه ملك أو امير
اذكر بنا مقدم أفراسنا بالحنو إذ أنت إلينا فقير
واذكر غداة الساعدي الذي آثركم بالأمر فيها بشير
واحذر عليهم مثل بدر فقد مر بكم يوم ببدر عسير
إن ابن حسان له ثائر فأعطه الحق تصح الصدور
ومثل أيام لنا شتتت ملكاً لكم أمرك فيها صغير
أما ترى الأزد وأشياعها نحوك خزراً كاظمات تزير

يطوف حولي منهم معشر إن صلت صالوا وهم لي نصير
يأبى لنا الضيم فلا يعتلي عز منيع وعديد كثير
وعنصر في حر جر ثومة عادية تنتقل عنها الصخور

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي، قال: حدثني العمري، عن الهيثم بن عدي قال: حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النعمان بن بشير، فخرج إليهم سعد أبو درة، وكان حاجب معاوية، ثم حجب عبد الملك بن مروان، فقال: استأذن لنا. فدخل، فقال لمعاوية: الأنصار بالباب. فقال له عمرو بن العاص: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً؟ أردهم إلى نسبهم. فقال معاوية: إن علينا في ذلك شناعة. قال: وما في ذلك؟ إنما هي كلمة مكان كلمة، ولا مرد لها. فقال له معاوية: اخرج فناد من بالباب من ولد عمرو بن عامر فيدخل. فخرج فنادى بذلك، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار. فقال له: أخرج فناد من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فنادى ذلك، فوثب النعمان بن بشير، فأنشأ يقول:

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخيره الإله لقومنا أثقل به نسباً على الكفار
إن الذين ثووا ببدر منكم يوم القليب هم وقود النار

وقام مغضباً وانصرف. فبعث معاوية فرده، فترضاه وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار.
ومن مختار شعر النعمان قوله، رواها خالد بن كلثوم، واخترت منها:

إذا ذكرت أم الحويرث أخضلت دموعي على السربال أربعة سكبا
كأني لما فرقت بيننا النوى أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا

وكنا كماء العين والجفن لا ترى ... لواش بغى نقض الهوى بيننا إربا
فأمسى الوشاة غيروا ود بيننا ... فلا صلة ترعى لدي ولا قربى
جرى بيننا سعي الوشاة فأصبحت ... جنيت لها ذنبا ولم أذنب كأني
فإن تصرميني تصرمي بي واصلا لدي ... الود معراضا إذا ما التوى صعبا
عزفاً إذا خاف الهوان عن الهوى ... ويأبى فلا يعطي مودته غصبا
فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت كلفني نصبا

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى، وأولها:

أهيج دمعك رسم الطلل ... عفا غير مطردٍ كالخلل
نعم فاستهل لعرفانه ... يسح ويهمى بفيض سبل
ديار الألوف وأترابها ... وأنت من الحب كالمخبل
ليالي تسبي قلوب الرجا ... ل تحت الخدور بحسن الغزل
من الناهضات بأعجازهن ... حين يقوم جزيل الكفل
كأن الرضاب وصوب السحا ... ب بات يشاب بذوب العسل
من الليل خالط أنيابها ... بعيد الكرى واختلاف العلل

أخذ هذا المعنى جميل منه، فقال:

وكأن طارقها على علل الكرى ... والنجم وهنا قد دنا لتغور
يشتم ريح مدامةٍ معلولة ... بسحيق مسك في ذكي العنبر

وفي هذه القصيدة يقول النعمان:

وأورع شرف حازم ... صروم وصولٍ حبال الخلل
كريم البلاء صبور اللقا ... ء وصافي الثناء قليل العذل
عظيم الرماد طويل العما ... د واري الزناد بعيد القفل
أقمت له ولأصحابه ... عمود السرى بذمولٍ رمل
مداخلةٍ سرحة جسرةٍ ... على الأين دوسرة كالجمل

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير، ابنه عبد الله بن النعمان، وهو القائل:

ماذا رجاؤك غائبا من لا يسرك شاهدا
وإذا دنوت يزيده منك الدنو تباعدا

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر، وهو القاتل في قصيدة طويلة:

وشاد أبونا الشيخ عمر بن عامر بأعلى ذرا العلياء ركنا نأثلا
وخط حياض المجد مترعة لنا ملاء فعل الصفو منها وأنهلا
وأشرع فيها الناس بعد، فما لهم من المجد إلا سؤره حين أفضلا

وفي غيرنا مجد من الناس كلهم فأما كمثل العشر من مجدنا فلا

وله أشعار كثيرة لم أحب الإطالة بذكرها.

ومنهم شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر مجيد، وهو القاتل من قصيدة طويلة، يعاتب بني أمية عند اختلاف أمرهم في أيام الوليد بن يزيد وبعده، أولها:

يا قلب صبرا جميلا لا تمت حزنا قد كنت من أن ترى جلد القوى قمنا

يقول فيها:

بل أيها الراكب المزجي مطيته لقيت حيث توجهت الثنا الحسنا
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها قولا ينفر عن نوامها الوسنا
إن الخلافة أمر كان يعظمه خيار أولكم قدما واولنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم وقد وعظتم فما أحسنتم الأذنا
أغريتم بكم جهلا عدوكم في غير فائدة فاستو سقوا سننا
لما سفكتم بأيديكم دماءكم بغيا وغشيتم أبوابكم درنا

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد، أخو النعمان، شاعر مكثر، وهو القاتل في قصيدة طويلة:

أشاقتك أظعان الحدوج البواكر كنخل النجير الشامخات المواقر
على كل فتلاء الذراعين جسرة وأعيس نضاخ المهد عذافر
نعم فاستدرت عبرة العين لوعة وما أنت عن ذكرى سليمى بصابر
ولم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة من الدهر إلا وقفةً بالمشاعر
ألا رب ليل قد سريت سواده إلى ردح الأعجاز غر المحاجر

ليالي يدعوني الصبا فأجيبه أجر إزاري عاصيا أمر زاجري

وإذ لمتي مثل الجناح أثيثة أمشي الهوينى لا يروع طائري

فأصبحت قد ودعت كم بغيره مخافة ربي يوم تبلى سرائري

وبنت النعمان بن بشير، واسمها حميدة، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر، فكانت تهجو أزواجها.

وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومي، وقيل بل كانت تحت المهاجر بن عبد الله بن خالد، فقالت فيه:

كهول دمشق وشبانها أحب إلي من الجاليه

صماحهم كصماح التيو س أعيا على المسك والغاليه

وقمل يدب دبيب الجراد أكاريس أعيا على الفاليه

فطلقها. فتزوجها روح بن زنباع، فهجته، وقالت تخاطب أخاها الذي زوجها من روح، وتقول:

أضل الله حلمك من غلام متى كانت مناكحنا جذام

أترضى بالأكارع والذنابى وقد كنا يقر لنا السنام

وقالت تهجو روحاً.

بكى الخز من روح وأنكر جلده وعجت عجيجا من جذام المطارف

وقال العباء نحن كنا ثيابهم وأكسية كدرية وقطائف

فطلقها روح، وقال: سلط الله عليك بعلاً يشرب الخمر ويقيتها في حجرك. فتزوجت بعده الفيض بن أبي عقيل الثقفي، وكان يسكر ويقيء في حجرها.

وفاضت العين بماء ثجاج لو كان نعمان قتيل الأعلاج

مستوي الشخص صحيح الأوداج ما نلت ما تلت بختل الدراج

فأخرجها الحجاج من العراق، وردها إلى الشأم.

نفرت قلوصي من حجارة حرةٍ بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب

لولا السفار وبعد خرقٍ مهمهٍ لتركتها تجو على العرقوب

يقال إن الشعر لحسان بن ثابت الأنصاري، ويقال: إنه لضرار بن الخطاب الفهري.

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال: الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق، أحد بني فهر بن مالك. ومن الناس من يرويها لمكرز بن حفص بن الأحنف الفهري ، وعمرو بن شقيق أولى بها.

والغناء لمالك: خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

خبر مقتل ربيعة بن مكدم ونسبه

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، أحد فرسان مضر المعدودين، وشجعانهم المشهورين، قتله نبيشة بن حبيب السلمى في يوم الكديد.

وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد، إجازة عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة؛ ونسخته أيضاً من رواية الأصمعي وحماد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم، فجمعتها ههنا.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: وقع تدارؤ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم بن منصور، ثم إنهم ودوهما. ثم ضرب الدهر ضربانه، فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازياً، فلقى ظعنا من بني كنانة بالكديد، في نفر من قومه، وبصر بهم نفر من بني فراس بن مالك، فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس، والحارث بن مكدم أبو الفارعة، وقال بعضهم أبو الفرعة، أخو ربيعة بن مكدم، قال: وهو مجدور يومئذ يحمل في محفة، فلما رآهم أبو الفارعة، قال: هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم. فقال أخوه ربيعة بن مكدم: أنا أذهب حتى أعلم القوم، فآتيكم بخبرهم. فتوجه نحوهم، فلما ولى، قال بعض الظعن: هرب ربيعة. فقالت أخته أم عزة بنت مكدم: أين تنتهي نفرة الفتى؟ فعطف وقد سمع قول النساء، فقال:

لقد علمن أنني غير فرق لأطعنن طعنة وأعتنق

أعمل فيهم حين تحمر الحدق عضبا حساما وسنانا يأتلق

قال: ثم انطلق يعدو به فرسه، فحمل عليه بعض القوم، فاستطرد له في طريق الظعت. وانفرد به رجل من القوم، فقتله ربيعة. ثم رماه نبيشة أو طعنه، فلحق بالظعن يستدمي، حتى أتى إلى امه أم سيار، فقال: اجعلي على يدي عصابة وهو يرتجز ويقول:

شدي علي العصب أم سيار

لقد رزيت فارسا كالدينار

يطعن بالرمح أمام الأدبار

إنا بنو ثعلبة بن مالك مرزأ أخيارنا كذلك

من بين مقتول وبين هالك ولا يكون الرزء إلا ذلك

قال أبو عبيدة: وشدت أمه عليه عصابة. فاستسقاها ماء، فقالت: إنك إن شربت الماء مت، فكر على القوم. فكر راجعاً يشد على القوم ويذبهم، وتزفه الدم حتى اثخن، فقال للطعن: اوضعن ركابكن خلفي، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي، فإني لما بي، وسوف أقف دونكن لهم على العقبة، وأعتمد على رمحي، فلن يقدموا عليكن لمكاني. ففعلن ذلك، فنجو إلى مأمنهن.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلاً ولا يمتاً حمى ظعائن غيره. قال: وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة. قال: فاعتمد على رمحه، وهو واقف لهن على متن فرسه، حتى بلغن مأمنهن، وما تقدم القوم عليه.

فقال: نبيشة بن حبيب: إنه لمائل العنق، وما أظنه إلا قد مات. فأمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه. فرماها فقمصت وزالت، فمال عنها ينتاً. قال: ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة. فانصرفوا عنه، وقد فاتهم الظعن قال أبو عبيدة: ولحقوا يومئذ أبا الفرعة الحارث بن مكدم، فقتلوه، وألقوا على ربيعة أحجاراً.

فمر به رجل من بني الحارث بن فهر، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة. فقال يرثيه ويعتذر أي يكون عقر ناقته على قبره، وحض على قتلته، وعير من فر وأسلمه من قومه:

نفرت قلوص من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب

لاتنفري يا ناق منه فإنه سباء خمر مسعر لحروب

لولا السفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبو على العرقوب

فر الفوارس عن ربيعة بعدما نجاهم من غمة المكروب

يدعو علياً حين أسلم ظهره فلقد دعوت هناك غير مجيب

لله در بني علي إنهم لم يحمشوا غزواً كولغ الذيب

نعم الفتى أدى نبيشة بزه يوم الكديد، نبيشة بن حبيب

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب

قال أبو عبيدة: ويقال إن الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس، أحد بني محارب بن فهر.

وقال آخر: هو حسان بن ثابت. وقال الأثرم: انشدني أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت:

وسقى الغوادي قبره بذنوب

واحتج به في قول الله عز وجل: " ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم" . فسألته لمن هذا البيت، فقال: لمكرز بن حفص بن الأحنف، أحد بني عامر بن لؤي، رجل من قريش الظواهر؛ و لم يسمه ههنا.

وقال عبد الله بن جذل الطعان واسمه بلعاء:

لأطلبن بربيعة بن مكدم حتى أنال عصية بن معيص

يقال إن عصية من بني سليم، وهو عصية بن معيص بن عامر بن لؤي

وتقاد كل طمرةٍ ممحوصةٍ ومقلص عبل الشوى ممحوص

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدم. وقال أبو عبيدة: زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت، يحض على قتلته.

و لأصرفن سوى حذيفة مدحتي لفتى الشتاء وفارس الأجراف

مأوى الضريك إذا الرياح تناوحت ضخم الدسيعة مخلفٍ متلاف

من لا يزال يكب كل ثقيلة كوماء غير مسائل منزاف

رحب المباءة والجناب موطأ مأوى لكل معتق يسواف

فسقى الغوادي قبك ابن مكدم من صوب كل مجلجل وكاف

أبلغ بني بكر وخص فوارسا لحقوا الملامة دون كل لحاف

أسلمتم جذل الطعان أخاكم بين الكديد وقلة الأعراف

الأعراف: رمل، قال الأثرم: الأعراف كل ما ارتفع، ومنه قول الله تعالى:" ونادى أصحاب الأعراف".

حتى هوى متزايلا أو صاله للحد بين جنادل وقفاف

لله در بني علي إن هم لم يثأروا عوفا وحي خفاف

قال الأثرم: وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه، فقال:

تذكر ليلى حسنها وصفاءها

وقال ابن جذل الطعان في ذلك أيضاً:

ألا لله در بني فراس لقد أورثتم حزناً وجيعا

غداة ثوى ربيعة في مكر تمج عروقه علقاً نجيعا

فلن أنسى ربيعة إذ تع7الى بكاء الظعن تدعو يا ربيعا

وقال كعب بن زهير، وامه من بني أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة، يرثي ربيعة بن مكدم، ويحض على بني سليم، ويعير بني كنانة بالدماء التي أدوها إلى بني سليم، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتل فيهم ولا دية:

بان الشباب وكل إلفٍ بائن ظعن الشباب مع الخليط الظاعن

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا وأراك ذابث ولست بدائن

غضي ملا مك إن بي من لومكم داء أظن مما طلي أو فاتني

أبلغ كنانة غثها وسمينها الباذلين رباعها بالقاطن

أن المذلة أن تطل دماؤكم ودماء عوفٍ ضامن في العاهي

أموالكم عوض لهم بدمائهخم ودماؤكم كلف لهم بظعائن

طلبوا فأدرك وترهم مولاهم وأبت محاملكم إباء الحارن

شدوا المآزر فاثأ روابأخيكم إن الحفائظ نعم ربح الثامن

كيف الحياة ربيعة بن مكدم يغدى عليك بمزهر أو قائن

وهو التريكة بالعراء وحارث فقع القراقر بالمكان الواتن

كم غادروا لك من أرامل عيل جزر الضباع ومن ضريكٍ واكن

وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة:

ما بال عينيك منها الدمع مهراق سحا ولا عازب لا لا ولا راقي

أبكي على هالك أو دى وأورثني بعد التفرق حزناً بعده باقي

لو كان يرجع ميتاً وجد ذي رحمٍ أبقى أخي سالماً وجدي وإشفاقي

أو كان يفدى لكان الأهل كلهم وما أثمر من مال له واقي
لكن سهام المنايا من نصبن له لم ينجه طب ذي طب ولا راقي
فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى الذي كل حي مثله لاقي
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة وما سريت من الساري على ساقي
أبكى لذكرته عبرى مفجعة ما إن يجف لها من ذكره ماقي

وقال عبد الله يرثيه:

خلى علي ربيعة بن مكدم حزناً يكاد له الفؤاد يزول
فإذا ذكرت ربيعة بن مكدم ظلت لذكراه الدموع تسيل
نعم الفتى حيا وفارس بهمة يردي بشكته أقب ذعول
سقت الغوادي بالكديد رمة والناس إما هالك وقتيل
فإذا لقيت ربيعة بن مكدم فعلى ربيعة من نداه قبول
كيف العزاء ولا تزال خريدة تبكي ربيعة غادة عطبول
يأبى لي الله المذلة إنما يعطى المذلة عاجز تنبيل

وقال عبد الله أيضاً يرثيه:

نادى الظعائن يا ربيعة بعد ما لم يبق غير حشاشة وفواق
فأجابها والرمح في حيزومه أنفا بطعن كالشعيب دفاق
يا ريط إن ربيعة بن مكدم وربيع قومك آذنا بفراق
ولئن هلكت لرب فارس بهمة فرجت كربته وضيق خناق

وقال أيضاً يتوعد بني سليم:

ولست لحاضرٍ إن لم أزركم كتائب من كنانة كالصريم
على قب الأياطل مضمرات أضر بنيها علك الشكيم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني الطلحي، قال: أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجمحى ومحمد بن الحسن بن زبالة في مجلس واحد، قالا: مر حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكناني ، بثنية كعب، ويقال: بثنية غزال، فقلصت به راحلته، فقال :

نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبو على العرقوب

فبلغ شعره بني كنانة، فقالوا: والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق.

أخبرني محمد بن الحسين بن دريد، قال: حدثنا السجستاني، قال: حدثنا أبو عبيدة، قال: خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم، حتى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال له الأخرم، وهو يريد الغارة على بني كنانة، رفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة. فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صح به أن خل عن الظعينة وانج بنفسك، وهو لا يعرفه. فانتهى إليه الرجل، فصاح به، وألح عليه. فلما أتى ألقى الزمام وقال للظعينة:

سيري على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن

إن انثنائي دون قرني شائني وابلي بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فقتله، وأخذ فرسه، فأعطاه الظعينة. فبعث دريد فارساً آخر، لينظر ما صنع صاحبه، فرآه صريعاً. فصاح به، فتصامم عنه، فظن أنه لم يسمعه. فغشيه، فألقى الزمام إليها، ثم حمل على الفارس، فطعنه فصرعه، وهو يقول:

خل سبيل الحرة المنيعه إنك لاقٍ دونها ربيعة

في كفه خطية مطيعه أو لا، فخذها طعنة سريعه

فالطعن مني في الوغى شريعه

فلما أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا؟ فانتهى إليهما، فرآهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته، ويجرر رمحه. فقال له الفارس: خل عن الظعينة. فقال لها ربيعة: اقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ماذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بع الفارس

أرداهما عامل رمح يابس؟

ثم طعنه فصرعه، وانكسر رمحه. فارتاب دريد، وظن أنهم قد أخذوا الظعينة،

سيري على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن

إن انثنائي دون قرني شائني وابلي بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فقتله، وأخذ فرسه، فاعطاه الظعينة، فبعث دريد فارساً آخر، لينظر ما صنع صاحبه، فرآه صريعاً. فصاح به، فتصامم عنه، فظن أنه لم يسمعه. فغشيه، فألقى الزمام إليها، ثم حمل على الفارس، فطعنه فصرعه، وهو يقول:

خل سبيل الحرة المنيعة إنك لاقٍ دونها ربيعة

في كفه خطية مطيعه أو لا، فخذها طعنةً سريهه

فالطعن مني في الوغى شريعه

فلما أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا؟ فانتهى إليهما، فرآهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته، ويجرر رمحه. فقال له الفارس: خل عن الظعينة. فقال لها ربيعة: أقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ماذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بعد الفارس

أردهما عامل رمح يابس؟

ثم طعنه فصرعه، وانكسر رمحه. فارتاب دريد، وظن أنهم قد أخذوا الظعينة، وقتلوا الرجل. فلحق بهم، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحي، ووجد القوم قد قتلوا. فقال دريد: أيها الفارس، إن مثلك لا يقتل، وإن الخيل ثائرة بأصحابها، ولا رأى معك رمحاً، وأراك حديث السن، فدونك هذا الرمح، فإني راجع إلى أصحابي، فمثبط عنك. فأتى دريد أصحابه، وقال: إن فارس الظعينة قد حماها، وقتل فوارسكم، وانتزع رمحي، ولا طمع لكم فيه.

فانصرف القوم. وقال دريد في ذلك:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله حامي الظعينة فارساً لم يقتل

أردى فوارس لم يكونوا نهزة ثم استمر كأنه لم يفعل

متهلل تبدو أسرة وجهه مثل الحسام جلته كف الصقيل

يزجي ظعينته ويسحب رمحه متوجهاً بمناه نحو المنزل

وترى الفوارس من مخافة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدل

ياليت شعري من أبوه وامه ياصاح من يك مثله لم يجهل!

فقال ربيعة:

إن كان ينفعك اليقين فسائلي عني الظعينة يوم وادي الخرم

عل هي لأول من أتاها نهزة لولا طعان ربيعة بن مكدم

إذ قال لي أدنى الفوارس ميتة خل الظعينة طائعاً لا تندم

فصرفت راحلة الظعينة نحوه عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم

وهتكت بالرمح الطويل إهابه فهوى صريعاً لليدين وللفم

ومنحت آخر بعده جياشة نجلاء فاغرة كشدق الأضجم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

قال: فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم، ان أغاروا على بني جشم رهط دريد، فقتلوا وأسروا وغنموا، وأسروا دريد بن الصمة، فأخفى نسبه. فبينا هو عندهم محبوس، إذ جاء نسوة يتهادين إليه. فصرخت امرأة منهن، فقالت: هلكتم وأهلكتم، ماذا جر علينا قومنا؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة. ثم ألقت عليه ثوبها وقالت: يا آل فراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي. فسألوه من هو؟ فقال: أنا دريد بن الصمة، فمن صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكدم، قال: فما فعل؟ قالوا: قتله بنو سليم، قال: فمن الظعينة التي كانت معه؟ قالت المرأة: ريطة بنت جذل الطعان، وأنا هي، وأنا امرأته. فحبسه القوم، وآمروا أنفسهم، وقالوا: لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا. وقال بعضهم: والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذذي أسره.

وانبعثت المرأة في الليل، فقالت:

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمة وكل فتى يجزى بما كان قدما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شراً كان شراً مذمما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة بإعطائه الرمح السديد المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه وأهل بأن يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فو كان حياً لم يضق بثوابه دراعاً، غنياً كان أو كان معدوما
ففكوا دريداً من إسار مخارق ولا تجعلوا البؤس إلى الشر سلما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم، فأطلقوه، وكسته ريطة وجهزته، ولحق بقومه. ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثني محمد بن يعقوب بن أبي مريم العدوي البصري، قال: حدثني محمد بن عمر الأزدي، قال: حدثني أبو البلاد الغطفاني وقبيصة بن ميمون الصادري، قالا: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب الزبيدي: من أشجع من رأيت؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أحيل الناس، وعن أشجع الناس، وعن أجبن الناس. فقال له عمر: هات. فقال: أربعتالمدينة، فخرجت كأحسن ما رأيت، وكانت لي فرس شمقمقة طويلة سريعة الإبقاء ، تمطق الشيخ بالمرق، فركبتها، ثم آليت لا ألقي أحداً إلا قتلته. فخرجت وعلي مقدى ، فإذا أنا بفتى بين غرضين

فقلت:له: خذ حذرك، فإني قاتلك. فقال: والله ما أنصفتني يا أبا ثو، أنا كما ترى أعزل أميل عوارة- والعوارة: الذي لا ترس معه- فأنظرني حتى آخذ نبلي. فقلت: وما غناؤها عنك؟ قال: أمتنع بها. قلت: خذها. قال: لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنك لا تروعني حتى آخذها. فأثلجته، فقال: وإله قريش لا آخذها أبداً. فسلم والله مني وذهبت؛ فهذا أحيل الناس.

ثم مضيت حتى اشتمل علي الليل، فوالله إني لأسير في قمر زاهر ، كالنور الظاهر ، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة، وهو يقول:

يا لدينا يا لدينا ليتنا يعدى علينا

ثم يبلى مالدينا

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته، فيرمي بها في السماء، فلا تبلغ؟ الأرض حتى يظمها بمشقص من نبله. فصحت به: خذ حذرك ثكلتك أمك، فإني قاتلك. فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض. فقلت: إن هذا إلا استخفاف. فدنوت منه، وصحت به: ويلك: ما أجهلك! فما تحلحل ولا زال عن موضعه، فشككت الرمح في إهابه، فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة، فمضيت وتركته؛ فهذا أجبن الناس.

ثم مضيت فأصبحت بين دكادك هرشى إلى غزال ، فنظرت إلى أبيات، فعدلت إليها، فإذا فيها جوار ثلاث، كأنهن نجوم الثريا. فبكين حين رأينني، فقلت: ما يبكين؟ فقلن: لما ابتليتا به منك، ومن ورائنا أخت هي أجمل منا. فأشرفت من فدفد، فإذا لم أر شئاً قط أحسن من وجهه، وإذا بغلام يخصف نعله، عليه ذؤابة يسحبها. فلما نظر إلي وثب على الفرس مبادراً، ثم ركض، فسبقني إلى البيوت، فوجدهن قد ارتعن، فسمعته يقول لهن:

مهلاً نسياتس إذن لا ترتعن إن يمنع اليوم نساء تمنعن

أرخين أذيال المروط وارتعن

فلما دنوت منه، قال: أتطردني أم اطردك؟ قلت: أطردك. فركض وركضت في أثره، حتى إذا مكنت السنان في لفته- واللفتة أسفل من الكتف- اتكأت عليه، فإذا هو والله مع لبب فرسه، ثم استوى في سرجه. فقلت: أقلني. قال: اطرد. فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان في ماضغيه اعتمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض، والسنان ماض زالج. واستوى على فرسه، فقلت: أقلني. قال: اطرد. فطردته، حتى إذا مكنت السنان في متنه، اتكأت عليه وأنا أظن قد فرغت منه، فمال في ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض، ومضى السنان زالجاً. ثم استوى وقال: أبعد ثلاث؟ تريد ماذا؟ اطردني ثكلتك أمك. فوليت وأنا مرعوب منه. فلما غشيني ووجدت حسن السنان، التفت فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان، فكف عني واستزلني، فنزلت ونزل، فجز ناصيتي، وقال: أنطلق، فإني بك عن القتل. فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت؛ فذاك أشجع من رأيت وسألت عن الفتى، فقيل: ربيعة بن مكدم الفراسي، من بني كنانة.

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيه خلاف للأول. فقال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن موسى الهذلي، قال: حدثني سكين بن محمد، قال:

دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أبا ثور، من أين أقبلت؟ قال: من عند سيد بنب مخزوم، أعظمها هامة، وأمدها قامة، وأقلها ملامة، وأفضلها حلماً، وأقدمها سلماً، وأجرئها مقدما. قال: ومن هو؟ قال: سيف الله وسيف رسوله ، قال: وأي شيء صنعت عنده؟ قال: أتيته زائراً، فدعا لي بكعب وقوس وثور . فقال عمر: وأبيك إن في هذا لشبعا. قال: لي أو لك يا أمير المؤمنين؟ قال: لي ولك. قال له: فوالله إني لآكل الجذعة، وأشرب التبن من اللبن رثيئةو صرفا، فلم تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: أي أحياء قومك خير؟ قال: مذحج، وكل قد كان فيه خير، شداد فوارسها، فوارس أبطالها، أهل الريا والرياح قال عمر: وأين سعد العشيرة؟ قال: هم أشدنا شريساً، وأكثرنا خميسا ، وأكرمنا رئيسا، وهم الأوفياء البررة، المساعير الفجرة. قال عمر: يا أبا ثور ألك علم بالسلاح؟ قال: على الخبير سقطت، سل عما بدا لك. قال: أخبرني على النبل. قال: منايا تخطىء وتصيب. قال: فأخبرني عن الرمح قال: أخوك وربما خانك. قال: فأخبرني عن الترس. قال: ذاك مجن وعليه تدور الدوائر. قال: أخبرني عن الدرع. قال: مشغلة للفارس، متعبة للراجل. قال: أخبرني عن السيف. قال: عنه قارعتك لأمك الهبل، قال: لا، بل لأمك. قال عمرو: بل لأمك، فرفع عمر الدرة، فضرب بها عمراً، وكان عمرو محتبياً، فانحلت حبوته، فاستوى قائماً، وأنشأ يقول:

أتضربني كأنك ذو رعين ... بخير معيشة أو ذو نواس

فكم ملك قديم قد رأينا ... وعز ظاهر الجبروت قاسي

فأضحى أهله بادوا وأضحى ... ينقل من أناس في أناس

قال: صدقت يا أبا ثور، وقد هدم ذلك كله الإسلام، أقسمت عليك لما جلست. فجلس. فقال له عمر: هل كععت من فارس قط ممن لقيت؟ قال: العم يا أمير المؤمنين، اني لم أستحل الكذب في الجاهلية، فكيف أستحله في الإسلام؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي، خيل بني زبيد، أغيروا بنا على بني البكاء. فقالوا: بعيد علينا العفار. فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة، قال: فأتينا على قوم سراة. فقال عمر: ما علمك بأنهم سراة. قال: رأيت مزواد خيلهم كثيرة، وقدوراً مثفاة ، وقباب أدم، فعرفت أن القوم سراة. فتركت خيلي حجرة ، وجلست في موضع أتسمع كلامهم، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها، فجلست بين صواحب لها، ثم دعن وليدة من ولائدها، فقالت: اعي فلاناً. فدعت لها برجل من الحي، فقالت له: إن نفسي تحدثني أن خيلاً تغير على الحي، فكيف أنت إن زوجتك نفسي؟ فقال: أفعل وأصنع، وجعل يصف نفسه فيفرط. فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. وقالت لصواحباتها: ولا عند هذا هير أيضاً. ثن قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكدم. فدعته، فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إن أعجز العجز وصف المرء نفسه، ولكني إذا لقيت أعذرت، وحسب المرء غناء أن يعذر. فقالت له: قد زوجتك نفسي، فاحضر غداً مجلس الحي، ليعملوا ذلك. فانصرف من عندها، وانتظرت

حتى ذهب الليل، ولاح الفجر، فخرجت من مكمني، وركبت فرسي، وقلت لخيلي: أغيري، فأغارت، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهن، فكسفت عن خيمة المرأة، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن. فلما ملأت بصرها مني، أهوت إلي درعها فشقته وقالت: واثكلآه؟ والله ما أبكي على مال ولا تلاد، ولكن على أخت من وراء هذا الوز ، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط، فتهلك ضيعة، وأومأت بيدها إلى قوز رمل إلى جانبهم. فقلت:هذه غنيمة من وراء غنيمة. فدغت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع، فإذا أنا برجل جلد نجد، أهلب أغلب، يخصف نعله، وإلى جنبه فرسه وسلاحه. فلما رآني رمى بنعله، ثم استوى على فرسه، وأخذ رمحه، ومضى و لم يحفل بي. فطفقت أشجره بالرمح خفقاً ، وأقول له: يا هذا استأسر . فمضى ما يحفل بي، حتى أشرف على الوادي. فلما رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكياً، وانشأ يقول:

قد علمت إذ منحتني فاها أني سأحوي اليوم من حواها

بل ليت شعري اليوم من دهاها

فأجبته:

عمرو على طول الوجى دهاها بالخيل يحميها على وجاها

حتى إذا حل بها احتواها

فحمل علي وهو يقول:

أهون بنضر العيش في دار ندم أفيض دمعاً كلما فاض اسنجم

أنا ابن عبد الله محمود الشيم مؤتمن الغيب وفي بالذمم

أكرم من يمشي بساق وقدم كالليث إن هم بتقصام قصم

فحملت عليه وأنا أقول:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم أنا ابن ذي الإكليل قتال البهم

من يلقني يود كما أودت إرم أتركه لحماً على ظهر وضم

وحمل علي وهويقول؟:

هذا حمى قد غاب عنه ذائده الموت ورد والأنام وارده

وحمل علي فضربني، فرغتوأخطأني، فوقع سيفه في قربوس السرج، فقطعه وما تحته، حتى هجم على مسح الفرس. ثم ثنى بضربة أخرى، فرغت وأخطأني، فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس، وصرت راجلاً. فقلت: ويحك! من أنت؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يقدم علي إلا ثلاثة: الحارث

بن ظالم، للعجب والخيلاء؛ وعامر بن الطفيل للسن والتجربة؛ وربيعة بن مكدم للحداثة والغرة، فمن أنت ويلك؟ قال: بل الويل لك، فمن أنت؟ قلت: عمرو بن معد يكرب، قال: وأنا ربيعة بن مكدم. قلت: يا هذا، إني قد صرت راجلاً، فاختر مني إحدى ثلاث، إن شئت الجتلدنا بسفينا حتى يموت الأعجز، وإن شئت اصطرعنا، فأينا صرع صاحبه حكم فيه؛ وإن شئت سالمتك وسالمتني. قال: الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة، وما بي أيضاً على قومي هوان. قلت: فذاك لك. وأخذت بيده، حتى أتيت أصحابي، وقد حازوا نعمه، فقلت: هل تعلمون أني كععت عن فارس قط من الابطال إذا لقيته؟ قالوا: نعيذك من ذاك. قال: قلت: فانظروا هذا النعم الذي حزتموه، فخذوه مني غداً في بني زبيد، فإنه نعم هذا الفتى، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حي. فقالوا لحاك الله فارس قوم! أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتنا عنها. قال: قلت إنه لا بد لكم من ذلك، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدم. فقالوا: وإنه لهو؟ قلت: نعم. فردوها وسالمته، فأمن حربي وامنت حربه حتى هلك.

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن مكدم غناء، نسبته، وقد جمع شعرهما معاً في لحن واحد، وهو:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم — أنا ابن عبد الله قتال البهم

أكرم من يمشي بساق وقدم — من يلقني يود كما أودت إرم

أتركه لحماً على ظهر وضم — كالليث إن هم بتقصام قصم

مؤتمن الغيب وفي بالذمم

ذكر أحمد بن يحيى المكي: ان الغناء في هذا الشعر لحنين، خفيف ثقيل، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وذكر الهشامي أنه لابن سرجيس الملقب بقراريط.

حدثني قمرية العمرية جارية عمرو بن بانة، أنها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن، فقال لها: انظري أي صوت أخذت، فو الله لقدأخذته عن مخارق، فلما استوى لي قال لي مخارق: انظر أي صوت أخذت، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكي، فلما غنيته الرشيد أطرابه، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن الأحول، عن الطرسوسي، عن ابن الأعرابي، قال: أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهبان بن عادياء قاتل ربيعة بن مكدم، حيث يقول:

ولقد طعنت ربيعة بن مكدمٍ — يوم الكديد فخر غير موسد

في ناقع شرقت بما في جوفه — منه بأحمر كالعقيق المجسد

أدركت ما منيت نفسي خاليا — لله درك يا بنة التعمان!

إني لحلفك بالصليب مصدق — والصلب أصدق حلفة الرهبان

ولقد رددت على المغيرة ذهنه — إن الملوك بطيئة الإذعان

يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي والصدق خير مقالة الإنسان

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفي، يقوله في هند بنت النعمان بن المنذر، وقد خطبها فردته. وخبره في ذلك وغيره يذكرها هنا إن شاء الله. والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشامي وإبراهيم.

أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي، وهو ثقيف. ويكنى أبا عبد الله. وكان يكنى أبا عيسى، فغيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكناه أبا عبد الله. وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظويلم بن جعيل بن عمرو بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحزمتها، وذوي الرأي منها، والحيل الثاقبة، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي، وكان يقال: ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما.

وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد معه الحديبية وما بعدها. وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النجير . وشهد فتح اليمامة وفتوح الشام. وكان أعور، أصيبت عينه في يوم اليرموك، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. فلما أراد مراسلة رستم، لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل، فبعث به إليه، وكان السفير بينهما حتى وقعت الحرب.

وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدة ولا يات، إحداها البصرة. ففتح وهو إليها ميسان ودست ميسان وأبر قباذ. وقاتل الفرس بالمرغاب فهزمهم، ونهض إلى من كان يسوق الأهواز، فقاتلهم وهزمهم، وفتحها . وانحازوا إلى نهر تيرى ومناذر الكبرى، فزحف إليهم، فقاتلهم وهزمهم وفتحها. وخرج إلى المشرق مع النعمان بن المقرن، وكان المغيرة على مسيرته، وكان عمر قد عهد: إن هلك النعمان، فالأمير حذيفة، فإن هلك حذيفة، فالأمير المغيرة بن شعبة.

ولما فتحت نهاوند، سار المغيرة في جيش إلى همذان ففتحها.

وولاه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة، فقتل عمر وهو واليها. وولاه أيضاً إياها مهاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فكان عليها إلى أن مات بها.

وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة، ورتب الناس فيه. فاعطاهم على الديوان. ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه.

قال محمد بن سعد كاتب الواقدي: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن سعيد الثقفي، وبعد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفي وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب، ومحمد بن يعقوب بن

عتبة، عن أبيه وغيرهم، قالوا: قال المغيرة بن شعبة: كنا قوماً من العرب منمسكين بديننا، ونحن سدنة اللات، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم.

فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس، وأهدوا له هدايا. فاجمعت الخروج معهم. فاستشرت عمي عروة بن مسعود، فنهاني، وقال لي: ليس معك من بني أبيك أحد. فأبين إلا الخروج، وخرجت معهم، وليس معهم أحد من الحلاف غيري، حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر. فركب قارباً حتى حاذيت مجلسه، فنظر إلي فأنكرني، وأمر من يسائلني ما أنا ؟ وما أريد؟ فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا، حتى حاذيت مجلسه، فنظر إلي فأنكرني، وأمر من يسائلني ما أنا ؟ وما أريد؟ فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا، وقدومنا عليه. فأمر بنا أن نترل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة. ثم دعا بنا، فنظر إلى رأس بني مالك، فأدناه إليه، وأجلسه معه، ثم سأله: أكل القوم من بني مالك؟ فقال: نعم، إلا رجلاً واحداً من الأحلاف. فعرفه إياي، فكنت أهون القوم عليه. ووضعوا هداياهم بين يديه، فسر بها، وأمر بقبضها. وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصر بي، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له.

وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، و لم يعرض علي أحد منهم مواساة.

وخرجوا، وحملوا معهم خمراً، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم، ونفسي تأبى أن تدعني معهم. وقلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي، وازدرائه إياي. فأجمعت على قتلهم. فقلت: أنا أجد صداعاً، فوضعوا شرابهم ودعوني. فقلت: رأسي يصدع، ولكني أجلس وأسقيكم، فلم ينكروا شيئاً، وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح. فلما دبت الكأس فيهم، اشتهوا الشراب، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس، فيشربون ولا يدرون. فأهمدتهم الكأس، حتى ناموا ما يعقلون. فوثبت إيهم، فقتلتهم جميعاً، وأخذت جميع ما كان معهم.

فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه، وعلى ثياب السفر، فسلمت بسلام الإسلام. فنظر إلي أبو بكر بن أبي قحافة، وكان بي عارفاً، فقال: ابن أخي عروة؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله هداك إلى الإسلام. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أفمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك، فقتلتهم وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمسها، ويرى فيها رأيه، فانما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إسلامك فنقبله ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً، ولا نخمسها ، لأن هذا غدر، والغدر لا خير فيه. فأخذني ما قرب وما بعد، وقلت: يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة. قال: فإن الإسلام يجب ما كان قبله. وكان

قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً. فبلغ ذلك ثقفياً بالطائف، فتداعو للقتال، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمي عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.

قال المغيرة: وأقمت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اعتمر عمرة الحديبية، في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، فكانتأول سفرة خرجت معه فيها، وكنت أكون مع أبي بكر، وألزم النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يلزم.

وبعثت قريش عام الحديبة عروة بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه يكلمه، وجعل يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم على رأسه، مقنع في الحديد. فقلت لعروة، وهو يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكفف يدك قبل الأ تصل إليك.

فقال عروة: يا محمد، من هذا؟ ما أفظه وأغلظه! فقال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة. فقال عروة: يا عدو الله ما غسلت عني سوءتك إلا بالأمس، يا غدر.

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قال المغيرة بن شعبة: أول ما عرفني به العرب من الحزم والدهاء، أني كنت في ركب من قومي، في طريق لنا إلى الحيرة. فقالوالي: قد اشتهينا الخمر، وما معنا إلا درهم زائف. فقلت: هاتوه وهلموا زقين. فقالوا: وما يكفيك لدرهم زائف زق واحد؟ فقلت: أعطوني ما طلبت وخلاكم ذم، ففعلوا وهم يهزءون بي. فصببت في أحد الزقين شيئاً من ماء، ثم جئت إلى خمار، فقلت له: كل لي ملء هذا الزق. فملأه. فأخرجت الدرهم الزلف، فأعطيته إياه، فقال لي: ما هذا؟ ويحك! أمجنون أنت؟ فقلت: مالك؟ قال: إن ثمن هذا الزق عشرون درهماً جياداً، وهذا درهم زائف.

فقلت: أنا رجل بدوي، وظننت أن هذا يصلح كما ترى، فإن صلح، وإلا فخذ شرابك. فاكتال من ما كاله، وبقي في زقي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء، فأفرغته في الزق الآخر، وحملتهما على ظهري، وخرجت، وصببت في الزق الول ماء.

ودخلت إلى خمار آخر، فقلت: إني أريد ملء هذا الزق خمراً، فانظر إلى ما معي منه، فإن كان عندك مثله فأعطني. فنظر إليه، وإنما أردت ألا يستريب بي إذا رددت الخمر عليه. فلما رآه قال: عندي أجود منه. قلت: هات. فأخرج لي شراباً، فاكتلته في الزق الذي فيه الماء. ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لي مثل قول صاحبه.

فقلت: خذ خمرك. فأخذ ما كان كاله لي، وهو يرى أني خلطته بالشراب الذي أريته إياه. وخرجت فجعلته مع الخمر الأول.

و لم أزل أفعل ذلك بكل خمار في الحيرة، حتى ملأت زقي الأول وبعض الآخر. ثم رجعت إلى أصحابي، فوضعت الزقين بين أيديهم، ورددت درهمهم. فقالوا لي: ويحك! أي شيء صنعت؟ فحدثتهم، فجعلوا يعجبون وشاع لي

الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم.

قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوري، قال: حدثنا دواد بن خالد، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، قال: أول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة. خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر، فعجب الناس منه.

قال محمد: وأخبرني شهاب بن عباد، قال: حدثنا إبراهيم بن حميد الرواسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن المغيرة بن شعبة، قال:

كنت جالساً عند أبي بكر، إذ عرض عليه فرس له رجل من الأنصار: احملني عليها. فقال أبو بكر: لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غرلته ، أحب إلي من أن أحملك عليها. فقال له الأنصاري: أنا خير منك ومن أبيك. قال المغيرة: فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه، فقمت إليه، فأخذت برأسه، فركبته، وسقط على أنفه، فكأنما كان عزالي مزادة. فتوعدني الأنصار أن يستقيدوا مني، فبلغ ذلك أبا بكر. فقام فقال: أما بعد. فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أني مقيدهم من المغيرة. ووالله لأن أخرجهم من دارهم، أقرب إليهم من أن أقيدهم من وزعة الله الذين يزعون إليه.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن نصر المهلبي، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن سلام المحي، قال: ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر، وهي بدير هند ، منصرة عمياء، بنت تسعين سنة. فقالت له: من أنت؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة. قالت: أنت عامل هذه المدرة؟ تعني الكوفة. قال: نعم. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً إليك نفسك. قالت: أما والله لو كنت جئت تبغي جمالاً أو ديناً أو حسباً لزوجناك، ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب، فتقول: تزوجت بنت النعمان بن المنذر؛ وهذا والصليب أمر لا يكون أبداً، أو ما يكفيك فخراً أن تكون في ملك النعمان وبلاده، تدبرهما كما تريد! وبكت.

فقال لها: أي العرب كان أحب إلى أبيك. قالت: ربيعة. قال: فأين كان يجعل قيساً؟ قالت: ما كان يستعتبهم من طاعة . قال: فأين كان يجعل ثقفياً؟ قالت: رويداً لا تجعل. بينا أنا ذات يوم جالسة في خدر لي، إلى جنب أبي، إذ دخل عليه رجلان، أحدهما من هوازن، والآخر من بني مازن، كل واحد منهما يقول: إن ثقفياً منا، فأنشأ أبي يقول :

إن ثقيفاً لم يكن هوازنا ... ولم يناسب عامراً ومازنا

إلا قريباً فانشر المحاسنا

فخرج المغيرة وهو يقول:

أدركت ما منيت نفسي خاليا ... لله درك يا بنة النعمان!

وذكر الأبيات التي مضت، وذكرت الغناء فيها.

أخبرني محمد بن خلف، قال: أخبرنا الحارث بن محمد، قال أبو عبيدة: قال العلاء بن جرير العنبري: بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخفيف من منى وهو يومئذ مكفوف، إذ زفر زفرة، ثم أنشأ يقول:

وكأن حافرها بكل خميلةٍ صاع بكيل به شحيح معدم

عاري الأشاجع من ثقيفٍ أصله عبد ويزعم أنه من يقدم

3ال: والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فلما أتاه بها الرسول قال: من بعث بهذه؟ قال: المغيرة بن شعبة، سمع ما قلت. فقال: واسوءتاه! وقبلها.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي ، قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي، قال: أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة، فيهن ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبي وقاص، وهي أم ابنة حمزة بن المغيرة، وعائشة بنت جرير بن عبد الله.

وقال: أبو اليقظان: صلى المغيرة بالناس سنة أربعين، في العام الذي قتل فيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

فجعل يوم الأضحى يو عرفة، أظنه خاف أن يعزل، فبق ذلك. فقال الراجز:

سيري رويداً وابتغي المغيره كلفتها الإدلاج بالظهيره

ثال: وكان المغيرة مطلاقاً. فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، ولكني رجل مطلاق، فاعتددن.

وكان يقول: النساء أربع، والرجال أربعة: رجل مذكر وامرأة مؤنثة، فهو قوام عليها؛ ورجل مؤنث وامرأة مذكرة، فهي قوامة عليه؛ ورجل مذكر وامرأة مذكرة، فهما كالوعلين ينتطحان؛ ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة، فهما لا يأتبان بخير، ولا يفلحان.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعي قال: حدثنا أبو هلال عن مطير الوراق، قال: قال المغيرة بن شعبة: نكحت تسعاً وثمانين امرأة، أو قال: أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت امرأة منهن على حب؛ أمسكها لولها، ولحسبها، ولكذا ولكذا.

قال أبو زيد: وبلغني أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة، فقال: أنا أعلمكم بهن: تزوجت ثلاثاً وتسعين امرأة، منهن سبعون بكراً، فوجدت اليمانية كثوبك: أخذت بجانبه فاتبعك بقيته؛ ووجدت الربعية أمتك: أمرتها فأطاعتك؛ ووجدت المضرية قرناً ساورته، فغلبته أو غلبك.

حدثنا ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم قال: رأى المغيرة امرأة له تخلل بعد صلاة الصبح، فطلقها. فقالت: علام طلقني ؟ قيل: رآك تخللين، فظن أنك أكلت. فقالت: أبعده الله! والله ما أتخلل إلا من السواك .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني موسى بن إسمعيل قال: حدثناحماد بن سلمة، عن زيد بن أسلم: أن رجلاً جاء فنادى يستأذن لأبي عيسى، على أمير المؤمنين. فقال عمر: أيكم أبو عيسى؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا. فقال له عمر: هل لعيسى من أب؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله، وأبي عبدعبد الرحمن! فقال له رجل من القوم: أشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه بها. فقال له عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنا لا أدري ما يفعل بي فكناه أبا عبد الله.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: حدثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، قال: كان الجمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة؛ وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وحجر بن عدي، وكلهم كان أعور؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متواقفين بالكوفة بالكناسة، فطلع عليهم أعرابي. فقال لهم المغيرة: دعوني أحركه. قالوا: لا تفعل، فإن للأعراب جواباً يؤثر. قال: لا بد. قالوا: فأنت أعلم. قال له: يا أعرابي، هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعور زانيا. فوجم. ثم تجلد فقال: هل تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم، ذاك رجل لا يعرى قومه . قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنه حائك ابن حائك.

قال: فهل تعرف جرير بن عبد الله؟ قال: وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عرفت عشيرته. قالوا له: قبحك الله، فإنك شر جليس، فهل تحب أن نوقر لك بعيرك هذا مالا وتموت أكرم العرب؟ قال: فمن يبلغه أهلي إذن؟ فانصرفوا عنه وتركوه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني أبو سعيد السكري، قال: حدثنا محمد بن أبي السري- واسم أبي السري سهل بن سلام الأزدي- قال: حدثني هشام بن محمد قال: أخبرنا عوانة بن الحكم، قال: خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعي، بعد غب مطر، يسير بظهر الكوفة والحوف، فلقي ابن لسان الحمرة، أحد بني تيم الله بن ثعلبة وهو لا يعرف المغيرة. فقال له المغيرة: من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال: من السماوة. قال: فكيف تركت الأرض خلفك؟ قال: عريضة أريضة . قال: وكيف كان المطر؟ قال: عفى الأثر، وملأ الحفر. قال: ممن أنت؟ قال: من بكر بن وائل. قال: فكيف علمك بهم؟ قال: إن جهلتهم لم أعرف غيرهم. قال: فما تقول في بني شبيان؟قال: ساتنا وسادة غيرنا. قال: فما تقول في بني ذهل؟ قال: ساة نوكى. قال: فقيس بن ثعلبة؟ إن جاورتهم سرقوك، وإن ائتمنتهم خانوك: قال: فبنوتيم الله بن ثعلبة؟ قال: رعاء البقر ، وعراقيب الكلاب. قال: فما تقول في بني يشكر؟ قال: صريح تحسبه مولى." قال هشام: لأن في ألوانها حمرة". قال: فعجل؟ قال: أحلاس الخيل. قال: يطعمون الطعام، ويضربون الهام. قال: فعنزة! قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤما . قال: فضبيعة أضجم؟ قال: جدعاً وعقراً . قال: فأخبرني عن النساء. قال: النساء أربع: ربيع مربع، وجميع تجمع، وشيطان سمعمع، وغل لا يخلع . قال: فسر. قال: أما الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا

أقسمت عليها أبرتك؛ وأما التي هي جميعتجمع، فالمرأة تتزوجها ولها نشب، فتجمع نشبك إلى نشبها؛ وأما الشيطان السمعمع، فالكالحة في وجهك إذا دخلت، والمولومة في أثرك إذا خرجت؛ وأما الغل الذي لا يخلع، فبنت عمك السوداء القصيرة، الفوهاء الدميمة، التي قد نثرت بطنها، إن طلقتها ضاع ولدك، وإن أمسكتها فعلى جده أنفك. فقال له المغيرة: بلأ أنفك. ثم قالله: ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة؟ قال: أعور زناء. فقال الهيثم: فض الله فاك! ويلك! هذا الأمير المغيرة.

فقال: إنها كلمة والله تقال. فانطلق به المغيرة إلى مترله، وعنده يومئذ أربع نسوة، وستون أو سبعون أمة. قال له ويحك! هل يزني الحر وعنده مثل هؤلاء؟ ثم قال لهن المغيرة: ارمين إليه بحلاكن. ففعلن، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة.

أخبرني عبيد الله بن محمد، قال: حدثنا الخراز، عن المدائني، عن أبي مخنف، وأخبرني أحمد بن عيسى العجلي قال: حدثنا الحسن بن نصر، قال: حدثني أبي نصر بن مزاحم قال: حدثنا عمر بن سعد ، عن أبي مخنف عن رجاله: أن المغيرة بن شعبة جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: أكتب إلى معاوية فوله السام، ومره بأخذ البيعة لك، فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك. فقال علي عليه السلام. "ماكنت متخذ المفصلين عضدا". فانصرف المغيرة وتركه. فلما كان من غد جاءه، فقال: أني فكرت فيما أشرت به عليك أمس، فوجدته خطأ، ووجدت رأيك أصوب. فقال له علي: لم يخف علي ما أردت؛ قد نصحتني في الأولى، وغشيتني في الآخرة، ولكني والله لا آتي أمر اجد فيه فساداً لديني، طلباً لصلاح دنياي. فانصرف المغيرة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين، قال: حدثني محمد بن يونس الشيرازي، قال: حدثني محمد بن غسان الضبي، قال: حدثني زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجاج بن يوسف، قال: كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتى طمع فيه مصقلة. واستعلى عليه، فشتمه. فقدمه المغيرة إلى شريح، وهو القاضي يومئذ، فأقام عليه البينة، فضربه الحد. فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حياً، وخرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثم دخل الكوفة، فتلقاه قومه، وسلموا عليه. فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننا أنك تريد أن ترجم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتى وقف على قبره، ثم قال: والله لقد كنت ما علمت نافعاً لصديقك، ضائراً لعدوك، ما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كليب:

إن تحت الأحجار حزماً وعزما ... وخصيماً ألد ذا معلاق

حية في الوجار أريد لا ين ... فع منه السليم نفث الراقي

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي: أن مصقلة قال له: والله إني لأعرف شبهي في عروة ابنك. فأشهد عليه بذلك، وجلده الحد. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

أخبرني محمد بن عبد الله الرازي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب، قال: قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر، فتحفظه بعد وفاته، وتخلفه في اهله. فقال: عمر: بلى، إني لأحب ذاك؛ فاذهب إلى عائشة، فاذكر لها ذلك، وعد إلي بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر، فأجابته إلى ذلك، وقالت له: حباً وكرامة . ودخل إليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة، فرآها مهمومة. فقال لها: مالك يا أم المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر، وقالت: إن هذه جارية حدثة، وأردت لها ألين عيشاً من عمر. فقال لها: علي أن أكفيك. وخرج من عندها، فدخل على عمر، فقال: بالرفاء والبنين، قد بلغني ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله، وخطبتك ام كلثوم. فقال: قد كان ذاك. قال: إلا أنك، يا أمير المؤمنين، رجل شديد الخلق على أهلك، وهذه صبية حديثة السن، فلا تزال تنكر عليها الشيء، فتضربها فتصيح: يا أبتاه! فيغمك ذلك، وتتألم له عائشة، ويذكرون أبا بكر، فيبكون عليه، فتجدد لهم المصيبة به، مع قرب عهدها في كل يوم. فقال له: متى كنت عند عائشة ، واصدقني؟ فقال: آنفاً. فقال عمر: أشهد أنهم كرهوني، فتضمنت لهم أن تصرفني عما طلبت، وقد أعفيتهم. فعاد إلى عائشة، فأخبرها بالخبر، وأمسك عمر من معاودتها.

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال:حدثنا علي بن محمد بن سليمان الباقلاني، عن قتادة، عن غنيم بن قيس، قال:

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرقطاء، فلقيه أبو بكرة، فقال له: أين تريد؟ قال: أزور آل فلان . فأخذ بتلابيبه، وقال: إن الأمير يزار ولا يزور.

وحدثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه، أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز، قالا: حدثنا عمر بن شبة، فرواه عن جماعة من رجاله، بحكايات متفرقة.

قال عمر بن شبة: حدثني أبو بكر العيلمي، قال: أخبرنا هشام، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن، عن أبيه عن أبي بكرة.

قال عمر بن شبة: وحدثنا عمرو بن عاصم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة.

قال أبو زيد عمر بن شبة: وحدثنا علي بن محمد بن حباب بن موسى، عن مجالد، عن الشعبي.

قال: وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير.

قال أبو زيد عمر بن شبة: قال الواقدي: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكرة، عن أبيه، عن مالك بن لأوس

بن الحدثان.

قال: وحدثني محمد بن الجهم، عن علي بن أبي هاشم، عن إسماعيل بن أبي عبلة، عن عبد العوزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك: أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار غلإمارة وسط النهار، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: آتي حاجة. فيقول له: حاجة ماذا؟ إن الأمير يزار ولا يزور.

قال: وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة. قال: فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد، ورجل آخر، يقال له شبل بن معيد، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة. فضربت الريح باب المرأة ففتحته. فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها. فقال أبو بكرة: هذه بلية ابتليتم بها، فانظروا. فنظروا حتى أثبتوا. فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعزلنا. قال: وذهب ليصلي بالناس الظهر، فمنعه أبو بكرة، وقال له: لا والله لاتصلي بنا وقد فعلت ما فعلت. فقال الناس: دعوه فليصل، فإنه الأمير، واكتبوا بذلكم إلى عمر. فكتبوا إليه، فورد كتابه بأن يقدموا عليه جميعاً، المغيرة والشهود.

وقال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى: وبعث عمر بأبي موسى الأشعري على البصرة. وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة. قال: قال علي بن أبي هاشم في حديثه: إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين: تتركه يتجهز ثلاثاً، ثم يخرج. قال: فصلينا صلاة الغداة بظهر المربد، ودخلنا المسجد، فإذا هم يصلون: الرجال والنساء مختلطين. فدخل رجل على المغيرة، فقال له: إني رأيت أبا موسى في جاني المسجد، عليه برنس. فقال له المغيرة: ما جاء زائراً ولا تاجراً. فدخلنا عليه ومعه صحيفة ملء يده ، فلما رآنا قال: الأمير؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب. فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره. فقال له أبو موسى: مكانك، تجهز ثلاثاً.

وقال الآخرون: إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته. فقال له المغيرة: لقد علمت ما وجهت فيه، فألا تقدمت فصليت. فقال له أبو موسى: ما أنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء. فقال له المغيرة: فإني أحب أن أقيم ثلاثاً لأتجهز. فقال: قد عزم علي أمي المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا قراته عليك، حتى أرحلك إليه. قال: إن شئت شفعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين. قال: وكيف؟ قال: تؤجلني إلى الظهر، وتمسك الكتاب في يدك. قالوا: فقد رئى أبو موسى يمشي مقبلاً ومدبراً، وإن الكتاب لفي يده معلقاً بخيط. فتجهز المغيرة، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة، جارية عربية من سبي اليمامة، من بني حنيفة؛ ويقال إنها مولده الطائف، ومعها خادم لها. وسار المغيرة حين صلى الظهر، حتى قدم على عمر. وقال في حديث محمد بن عيد الله الأنصاري: فلما قدم على عمر. قال له: إنه قد شهد عليك بأمر إن كان حقاً لأن تكون مت قبل ذلك كا خيراً لك.

قال أبو زيد: وحدثني الحكم بن موسى، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن

عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري عن مصعب بن سعد: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس، ودعا المغيرة والشهود. فتقدم أبو بكرة. فقال له: أرأيته بين فخذيها، قال: نعم والله، لكأني أنظر إلى تشريم جدري بفخذيها. فقال له المغيرة: لقد ألطفت النظر. فقال له لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به؟ فقال له عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المرود في المكحلة.

فقال: نعم أشهد على ذلك. فقال له: اذهب عنك مغيرة، ذهب ربعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة. قال: لا، حتى تشهد أنه كان يلج فيه ولوج المرود في المكحلة. فقال: نعم حتى بلغ قذذه . فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب نصفك. ثم دعا الثالث، فقال: علام تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبي. فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: اذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك. قال: حتى مكث يبكي إلى المهاجرين، فبكوا. وبكى إلى أمهات المؤمنين، حتى بكين معه، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من اهل المدينة.

قال: ثم كتب إلى زياد، فقدم على عمر. فلما رآه جلس له في المسجد، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار. قال المغيرة: ومعي كلمة قد رفعتها لأكلم القوم. قال: فلما رآه عمر مقبلاً قال: إني لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو زيد: وحدثنا عفان، قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا عبد الكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهدي، قال: لما شهد عند عمر الشاهد الول على المغيرة، تغير لذلك لون عمر. ثم جاء آخر فشهد، فانكسر لذلك انكساراً شديداً. ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديم، فرفع عمر رأسه إليه، وقال له: ما عنك يا سلح العقاب وصاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر. قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى علي.

وقال آخرون: قال المغيرة: فقمت إلى زياد، فقلت له: لا مخبأ لعطر بعد عروس. ثم قلت: يا زيد، اذكر الله، واذكر موقف يوم القيامة؛ فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر ما رأيت، فلا يحملك شر منظر رأيته على ان تتجاوزه إلى مالن تر، فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها. قال: فترنقت عيناه، واحمر وجهه، وقال: يا أمير المؤمنين، أما أن أحق ما حق القوم فليس ذلك عندي، ولكني رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت نفساً حثيثاً وانبهاراً، ورأيته متبطنها. فقال له: أرأيته يدخله كالميل في المكحلة. فقال: لا.

وقال غير هؤلاء: إن زياداً قال له: رأيته رافعاً برجليها، ورأيت خصيتيه تترددان بين فخذيها، ورأيت حفزاً شديداً، وسمعت نفساً عالياً. فقال له: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. فقال عمر: الله أكبر. قم إليهم فاضربهم. فقام أبي بكرة، فضربه ثمانين، وضرب الباقين، وأعجبه قول زياد، ودرأ عن المغيرة الرجم. فقال أبو بكرة بعد أن ضرب: فإني أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا. فهم عمر بضربه، فقال له علي عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك. ونهاه عن ذلك.

قال: يعني أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين، فوجب بذلك الرجم على المغيرة.

قال: واستتاب عمر أبا بكرة. فقال: إنما تستتيبني لتقبل شهادتي. قال:أجل. قال: لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا. قال: فلما ضربوا الحد قال المغيرة: الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم. فقال له عمر: اسكت أخزى الله مكاناً رأوك فيه . قال: وأقام أبو بكرة على قوله، وكان يقول: والله ما أنسى رقط فخذيها. قال: وتاب الاثنان، فقبلت شهادتهما. قال: وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دعي إلى شهادة يقول: اطلب غيري، فإن زياداً قد أفسد علي شهادتي.

قال أبو زيد: وحدثني سليمان بن داود بن علي، قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال: لما ضرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذبحت، وجعلت جلدها على ظهره. قال: فكان أبي يقول: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

حدثنا ابن عمار والجوهري قالالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

كانت أم جميل بنت عمر، التي رمي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة، تختلف إلى المغيرة في حوائجها، فيقضيها لها.

قال: ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: نعم؛ هذه أم كلثوم بنت علي .

فقال: له عمر: أتتجاهل علي؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء.

حدثني أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن عباد، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره. وقال غيره: لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره.

أخبرني ابن عمار والجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا المائني، قال: قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصة:

لو ان اللؤم ينسب كان عبدا ... قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدين والإسلام لما ... بدت لك غدوة ذات النصيف

وراجعت الصبا وذكرت عهدا ... من القينات والغمر اللطيف

أخبرني الجوهري وابن عمار، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا المدائني عن هبد الله بن سلم الفهري قال: لما شخص المغيرة إلى عمر، رأى في طريقه جارية فأعجبته، فخطبها إلى أبيها. فقال له: أنت على هذه الحال؟ قال: وما عليك؟ إن أعف، فهو الذي تريد؛ وإن أقتل ترثني. فزوجه.

قال أبو زيد: قال الواقدي. تزوجها بالرقم . وهي امرأة من بني مرة. فلما قدم بها على عمر، قال: إنك لفارغ القلب، طويل الشبق.

وقال محمد بن سعد: أخبرني محمد بن عبد الله الأسدي، قال: حدثنا مسعر، عن زياد بن علاقة، قال: سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول: اسغفروا لأميركم هذا، فإنه كان يحب العافية .

قال: وكان المغيرة أصهب الشعر جداً، أكشف، يفرق رأسه قروناً أربعة، أقلص الشفتين، مهتوماً، ضخم الهامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين.

قال:وقال الواقدي، حدثني محمد بن موسى الثقفي، عن أبيه، قال: مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين، في خلافة معاوية، وهو ابن سبعين سنة. وكان رجلاً طوالاً أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك.

جنية ولها جن يعلمها ... رمى القوب بقوس ما لها وتر

إن كان ذا قدراً يعطيك نافلة ... منا ويحرمنا، ما أنصف القدر

الشعر لمحمد بن بشير الخارجي، والغناء لإبراهيم: هزج بالبنصر، عن الهشامي.

أخبار محمد بن بشير الخارجي ونسبه

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان بن عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان الخارجي، من بني خارجة بن عوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر. ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة، نسبا إلى أمهما جديلة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان؛ شاعر فصيح حجازي مطبوع، من شعراء الدولة الأموية. وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة القرشي، أحد بني أسد بن عبد العزى، وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، لأمهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشي؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى. وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومراثٍ مختارة، وهي عيون شعره، وكان يبدو في أكثر زمانه، ويقيم في بوادي المدينة، ولا يكاد يحضر مع الناس.

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني مصعب الزبيري. قال أحمد: وحدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي وعمي مصعب. وحدثني بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق، عن الزبير، عن سليمان بن عياش. وقد ذكرت كل ذلك في مواضعه.

قال ابن أبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزبير، عن سليمان بن عياش: كان الخارجي، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عدي بن عوف بن بكر، شاعراً فصيحاً، ويكنى أبا سليمان. فقدم البصرة في طلب ميراث له بها، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية؛ من خارجة عدوان. فأبت أن تتزوجه إلا أن يقيم معها بالبصرة، ويترك الحجاز، ويكون أمرها في الفرقة إليها، فأبى أن يفعل، وقال في ذلك:

أرق الحزين وعاده سهده ... لطوارق الهم التي ترده

وذكرت من لانت له كبدي ... فأبى فليس تلين لي كبده

ونأى فليس بنازل بلدي أبدا، وليس بمصلحي بلده
فصدعت حين أبى مودته صدع الزجاجة دائم أبده
وعرفت أن الطير قد صدقت يوم الكدانة شر ما تعده
فاصبر فإن لكل ذي أجل يوماً يجيء فينقضي عدده
ماذا تعاتب من زمانك إذ ظعن الحبيب وحل بي كمده

قالا: وخاطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك، فقال له: إنها امرأة برزة عاقلة، لا يفتات على مثلها بأمرها، وما عندها عنك من رغبة، ولكنها امرأة في خلقها شدة، ولها غيرة، وقد بلغني أن لك زوجتين، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما؛ فانظر في امرك، وشاور فيه: فإما أن أقمت بالبصرة معها، فعفت لك عن صاحبتيك، إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عشرة، وإن شئت فارقتهما وأخرجها معك. فصار إلى رحله مغموماً. وشاور ابن عم له يقال له وراد بن عمرو في ذلك، فقال له: إن في يحيى بن يعمر لرغبة، لثروته وكثرة ماله، وما ذكرته من جمال ابنته، وما نحب أن تفارق زوجتيك- وكانت إحداهما ابنة عمه، والأخرى من أشجع- فتقيم معها السنة بالبصرة، ونمضي نحن ، فإن رغبت فيها تمسكت بها، وأقمت بمكانك، وإن رغبت في العود إلى بلدك، كتبت إلينا فجئناك، حتى تنصرف معنا إلى بلدك.

ففكر ليله أجمع في ذلك، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز، وقال:

لئن أقمت بحيث الفيض في رجب حتى أهل به من قابلٍ رجبا
وراح في السفر وراد فهيجني إن الغريب إذا هيجته طربا
إن الغريب يهيج الحزن صبوته إذا المصاحب حياه وقد ركبا
قد قلت أمس لوارد وصاحبه عوجا على الخارجي اليوم واحتسبا
أبلغا أم سعد أن عانيها أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا
لما رأيت نجي القوم قلت لهم هل يعدون نجي القوم ما كتبا
وقلت إني متى أجلب شفاعتكم أندم وإن أشق الغي ما اجتلبا
وإن مثلي متى يسمع مقالتكم ويعرف العين يندم قبل أن يجبا
إني وما كبر الحجاج تحملهم بزل المطايا بجنبي نخلةٍ عصبا
وما أهل به الداعي وما وقفت عليا ربيعة ترمى بالحصى الحصبا

جهداً لمن ظن أني سوف أظعنها ... عن ربع غانية أخرى لقد كذبا
أأبتغي الحسن في أخرى وأتركها ... فذاك حين تركت الدين والحسبا
وما انقضى الهم من سعدى وما علقت ... مني الجائل حتى رمتها حقبا
وما خلوت بها يوماً فتعجبني ... إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا
بل أيها السائلي ماليس يدركه ... مهلاً فإنك قد كلفتني تعبا
كم من شفيع أتاني وهو يحسب لي ... حسباً فأقصره من دون ما حسبا
فإن يكن لهواها أو قرابتها ... حب قديم فما غابا ولا ذهبا
هما علي: فإن أرضيتها رضيا ... عني وإن غضبت في باطل غضبا
كائن ذهبت فرداني بكيدهما ... عما طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أصبح بمنزلة ... إلا أنازع من أسبابها سببا
ولمها خلةً لو كنت مسجحة ... أو كنت ترجع من عصريك ما ذهبا
أنت الظعينة لا ترمى برمتها ... ولا يفجعها ابن العم ما اصطحبا

اخبرني عيسى بن الحسن، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي قال: قدم أعراب من بني سليم أقحمتهم السنة إلى الروحاء، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الوحاء، فزوجه. فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة، ووليها يومئذٍ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجي على المولى. فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السلميين، وفرق بين المولى وزوجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه. فقال محمد بن بشير في ذلك:

شهدت غداة خصم بني سليم ... وجوهاً من قضائك غير سود

قضيت بسنة وحكمت عدلا ... ولم ترث الحكومة من بعيد
إذا غمز القنا وجدت لعمري ... قناتك حين تغمز خير عود
إذا عض الثقاف بها اشمأزت ... أبي النفس بائنة الصعود
حمى حدبا لحوم بنات قوم ... وهم تحت التراب أبو الوليد
وفي المئتين للمولى نكال ... وفي سلب الحواجب والخدود
إذا كا فأتهم ببنات كسرى ... فهل يجد الموالي من مزيد

فأي الحق أنصف للموالي من اصهار العبيد إلى العبيد

حدثني عمي ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: كان للخارجي عبد، وكان يتلطف له ويخدمه، حتى أعتقه وأعطاه مالاً، فعمل به، وربح فيه. ثم احتاج الخارجي بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته، فبعث إلى مولاه في ذلك، وقد كان المولى أثرى واتسعت حاله، فحلف له أنه لا يملك شيئاً، فقال الخارجي في ذلك:

يسعى لك المولى ذليلاً مدقعا ويخذلك المولى إذا اشتد كاهله

فأمسك عليك العبد أول وهلةٍ ولا تنفلت من راحتيك حبائله

وقال أيضاً:

إذا افتقر المولى سعى لك جاهدا لترض وإن نال الغنى عنك أدبرا

حدثني عيسى بن الحسين ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي، قال: كان محمد بن بشير الخارجي بين زوجتين له، فوجه غنماً إلى سحابة وقعت برجفان،وهو جبل يطل على مضيق يليل، فشقت غيبتها عليه. فقال لزوجتيه: لو تحولتما إلى غنمنا.

فقالتا له: بل تذهب، فتطلع إليها، وتصرفها إلى موضع قريب، حتى نوافيك فيه. فمضى وزودتاه وطبين، وقالتا له: اجمع لنا اللبن، ووعدتاه موضعاً من رجفان، يقال له ذو القشع. فانطلق، فصرف غنمه إلى ذلك الموضع، ثم انتظرهما، فأبطأتا عليه. وخالفته سحابة إليهما، فأقامتا، وقالتا: يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا. فجعل يصعد في الجبل وينزل يتبصرهما فلا يراهما. فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلنا ، فقال: أنزل فأتحدث إليهما، فإذا هو بامرأة مسنة، ومعها بنت لها شابة، فأعجبته، فقال لها: أتزوجينني ابنتك هذه؟ قالت: إن كنت كفؤاً. فانتسب لها، فقالت: أعرف النسب ولا أعرف الوجه، ولكن يأتي أبوها. فجاء أبوها فعرفه، فأخبرته امرأته بما طلب. فقال: نعم وزوجه إياها. فساق إليها قطعة من غنمه، ثم بنى بها، وانتظر، فلم ير زوجتيه تقدمان عليه، فارتحل إليهما بزوجته وبقية غنمه. فلما طلع عليهما وقف، فأخذ بيدها، ثم أنشأ يقول:

كأني موف للهلال عشية بأسفل ذات القشع منتظر القطر

وأنتن تلبسن الجديدة بعدما طردت بطي الوطبفي البلق والعفر

فكان الذي قلتن أعدد بضاعة لنناهد بيضاء الترائب والنحر

كأن سموط الدر منها معلق بجيداء في ضالٍ بوجرة أو سدر

تكون بلاغا ثم لست بمخبر إذا وديت لي ما وددتن من أمري

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني مصعب، قال: حدثني أحمد بن زهير؛ وحثني الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش، قالا: كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مزنية، وكان قومها قد جاوروهم، ثم جاء الربيع، وأخصبت بلاد مزينة، فارتحلوا، فقال محمد بن بشير:

لو بينت لك قبل يوم فراقها ... أن التفرق من عشية أو غد
لشكوت إذ علق الفؤاد بهائم ... علقٍ حبائل هائم لم يعهد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح ... صلت وأسود في النصيف معقد
بيضاء خالصة البياض كأنها ... قمر توسط ليل صيف مبرد
مرسومة بالحسن ذات حواسد ... إن الجمال مظنة للحسد
لم يطغها سرف الشباب ولم تضع ... عنها معاهدة النصيح المرشد
خود إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تقصد
وكأن طعم سلامفة مشمولةٍ ... تنصب في إثر السواك الأغيد
وترى مدانعها ترقرق مقلة ... حوراء ترغب عن سواد الإثمد

ماذا إذا برزت غداة رحيلها ... م الحسن تحت رقاق تلك الأبرد
ولدت بأسعد أنجم فمحلها ... ومسيرها أبدا بطلق الأسعد
لله يسعدها ويسقي دارها ... خضل الرباب سرى ولما يرعد

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني الزبير قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: صحب محمد بن بشير من قضاعة إلى مكة ، وكانت فيهم امرأة جميلة، فكان يسايرها ويحادثها. ثم خطبها إلى نفسها ، فقالت: لا سبيل إلى ذلك، لأنك لست لي بعشير ، ولا جاري في بلدي، ولا أنا ممن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه. فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انفض الحج، ففرق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما، فقال الخارجي في ذلك:

أستغفر الله ربي من مخدرة ... يوماً بدا لي منها الكشح والكتد
من رفقة صاحبونا في ندائهم ... كل حرام فما ذموا ولا حمدوا
حتى إذا البدن كانت في مناحرها ... يعلو المناسم منها مزبد جسد
وحلق القوم واعتموا عمائمهم ... واحتل كل حرام رأسه لبد

أقبلت أسألها ما بال رفقتها وما أبالي أغاب القوم أم شهدوا
فقربت لي واحلولت مقالتها وعوقتني وقالت بعض ما تجد
أني ينال حجازي بحاجته إحدى بني القين أدنى دارها برد

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا سليمان بن عياش، قال: خطب محمد بن بشير امرأة من قومه، فقالت له: طلق امرأتك حتى أتزوجك. فأبى وانصرف عنها، وقال في ذلك:

أأطلب الحسن في أخرى وأتركها فذاك حين تركت الدين والحسبا
هي الظعينة لا يرمى برمتها ولا يفجعها ابن العم ما اصطحبا
فما خلوت بها يوما فتعجبني إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا

حدثني عيى قال: حدثنا الزبير، قال: بلغني عن صالح بن قدمة بن إبراهيم أن محمد بن حاطب الجمحي، يروي شيئاً من أخبار الخارجي وأشعاره، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى، كان من الكتاب، وسألته أن يكتب لي ما عنده، فكان فيما كتب لنا، قال: زعم الخارجي، واسمه محمد بن بشير، وكنيته أبو سليمان، وهو رجل من عدوان، وكان يسكن الروحاء قال: بينا نحن بالروحاء في عام جدب قليل الأمطار، ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته ، وإذا بقطار ضخمكثير الثقل يهوي، قادم من المدينة، حتى نزلوا بجانب الروحاء الغربي، بيننا وبينهم الوادي، وإذا هم من الأنصار، وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.
فلبثنا أياماً، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي: أرسل إلي النساء يقلن: أما لكم في الحديث حاجة؟ فقلت لهن: فكيف برجا لكن؟ قلن: بلغنا أن لكم صاحباً يعرف بالخارجي، صاحب صيد، فإن أتاهم فحدثهم عن الصيد انطلقوا معه، وخلوتم فتحدثتم. قال: فقلت لسليمان: بئس لعمر الله ما أردت مني، أأذهب إلى القوم فأغرهم، وآثم وأتعب وتنالون أنتم حاجتكم دوني؟ ما هذا لي برأي.
قال لي سليمان: فأنظرني إذن، أرسل إلى النساء وأخبرهن بقولك. فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت. فقلن: قل له احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك، وعلينا أن نحتال لك المرة الأخرى.
قال الخارجي: فخرجت حتى أتيت القوم فحدثتهم، وذكرت لهم الصيد، فطارت إليه أنفسهم. فخرجت بهم، وأخذت لهم كلاباً وشباكاً، وتزودنا لثلاث. وانطلقت أحدثهم وألهيهم، فحدثتهم بالصدق حتى نفد. ثم حدثتهم بما يشبه الصدق حتى نفذ . ثم صرحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث، وجعلتلا أحدثهم حديثاً إلا قالوا: صدقت. وغبت بهم ثلاثاً ما أعلم أنا عاينا صيداً، فقلت في ذلك:

إني لأعجب مني كيف أفكههم أم كيف أخدع قوماً ما بهم حمق !
أظل في البيد أهيهم وأخبرهم أخبار قوم وما كانوا وما خلقوا
ولو صدقت لقلت القوم قد قدموا حين انطلقنا وآتي ساعة انطلقوا

أم كيف تحرم أيد لم تخن أحدا شيئاً وتظفر أيديهم وقد سرقوا
ونرتمي اليوم حتى لا يكون له شمس ويرمون حتى يبرق الأفق

يرمون أحور مخضوبا بغير دم دفعا وأنت وشاحا صيدك العلق
تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم صيد يرجى قليلاً ثم يعتنق
ما زلت أحدوهم حتى جعلتهم في أصل محنية ما إن بها طرق
ولو تركتهم فيها لمزقهم شيخا مزينة إن قالا انعقوا نعقوا
إن كنتم أبداً جاري صديقكم والدهر مختلف ألوانه طرق
فمتعوني فإني لا أرى أحدا إلا له أجل في الموت مستبق

قال سليمان بن عياش: ومات سليمان بن الحصين هذا، وكان خليلاً للخارجي، مصافياً له، وصديقاًمخلصاً، فجزع عليه، وحزن حزناً شديداً، فقال يرثيه:

يأيها المتمني أن يكون فتىً مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
إن ترحل العيس كي تسعى مساعيه يشفق عليك وتعمل دون ما عملا
لو سرت في الناس أقصاهم وأقربهم في شقة الأرض حتى تحسر الإبلا
تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا
اعدد ثلاث خصال قد عرفن له هل سب من أحد أو سب أو بخلا

قال سليمان بن عياش:لما ات عبد العزيز بن مروان، ونعي إلى أخيه عبد الملك، تمثل بأبيات الخارجي هذه، وجعل يرددها وبكي.

أخبرني عيسى، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمي عن أبيه؛ قال: قال الرشيد يوماً لجلسائه: أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفرة كريمة، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت، فقال لي: إيه بابن مصعب، أما أنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط جنح ليلمبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة حوراء ترغب عن سواد الإثمد
خود إذا كثر الكلام تعوذت بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

لم يطغها شرف الشباب ولم تضع منها معاهدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح صلت وأسود في النصيف معقد
وكأن طعم سلافة مشمولة بالريق في أثر السواك الأغيد

فقال الرشيد: هذا والله الشعر، لا ما أنشد تمونيه سائر اليوم! ثم أمر مؤدب ابنيه محمد المين وعبد الله المأمون،فرواهما الأبيات.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش قال: كان محمد بن بشير الخارجي يتحدث إلى عبدة بنت حسان المتزنية، ويقيل عندها أحياناً، وربما بات عندها ضيفاً، لإعجابه بحديثها، فنهاها قومها عنه، وقالوا: ما مبيت رجل بامرأة أيم؟ فجاءها ذات يوم، فلم تدخله خباءها، وقالت له: قد نهاني قومي عنك، وكان قد أمس، فمنعته المبيت، وقالت: لا تبت عندنا ، فيظن بي وبك شر ، فانصرف وقال فيها:

ظللت لدى أطنابها وكأنني أسير معنى في مخلخله كبل
أخير إما جلسة عند دارها وإما مراح لا قريب ولا سهل
فإنك لو أكرمت ضيفك لم يعب عليك الذي تأتين حمو ولا بعل
وقد كان ينميها إلى ذروة العلا أب لا تخطاه المطية والرحل
فهل أنت إلا جنة عبقرية يخالط من خالطت من حبكم خبل
وهل أنت إلا نبعه كان أصلها نضاراً فلم يفضحك فرع ولا أصل
صددت أمرأ عن ظل بيتك ماله بواديك لو لا كم صديق ولا أهل

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان، حتى أتيا امرأة من الأنصار، من بني ساعدة فبرزت لهما، وتحدثا عندها، وقالا لها: هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر؟ فقالت: من هو؟ قالا: محمد بن بشير الخارجي. قالت: لا حاجة بي إلى لقائه، ولا تجيئاني به معكما، فإنكما إن أتيتما به لم آذن لكما . فجاءا به معهما، وأخبراه بما قالت لهما، وأجلساه في بعض الطرق، وتقدما إليها، فخرجت إليهما، وجاءهما الخارجي بعد خروجها إليهما، فرحبا به، وسلما عليه، فقالت لهما: من هذا؟ قالا: هذا الخارجي الذي كنا نخبرك عنه. فقالت: والله ما أرى فيه من خير، وما أشبهه إلا بعبدنا أبي الجون. فاستحيا الخارجي، وجلس هنيهة، ثم قام من عندها وعلقها قلبه، فقال فيها:

ألا قد رابني ويريب غيري عشية حكمها حيف مريب

وأصبحت المودة عند ليلى ... منازل ليس لي فيها نصيب
ذهبت وقد بدا لي ذاك منها ... لأهجوها فيغلبني النسيب
وأنسى غيظ نفسي إن قلبي ... لمن واددت فيئته قريب
فلا قلب مصر كل ذنب ... ولا راض بغير رضا، غضوب
فدعها لست صاحبها وراجع ... حديثك إن شأنكما عجيب

قال: وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية، فعيرته بذلك، وكانت إذا أرادت غيظه كنته أبا الجون، فقال في ذلك:

وأيدي الهدايا ما رأيت معاتبا ... من الناس إلا الساعدية أجمل
وقد أخطأتني يوم بطحاء منعم ... لها كفف يصطاد فيها وأحبل
وقد قال أهلي خير كسب كسبته ... أبو الجون فاكسب مقلها حين ترحل
فإن بات إيضاعي بأمر مسرة ... لكن فما تسخطن في العيش أطول

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: اجتمع محمد بن بشير الخارجي وسائب بن ذكوان راوية كثير بمكة، فوافقا نسوة من بني غفار يتحدثن، فجلسا إليهن، وتحدثنا معهن حتى تفرقن، وبقيت واحدة منهن تحدث الخارجي، وتستنشده شعره حتى أصبحوا؛ فقال لهم رجل مر بهم: أما تبرحون عن هذا الشعر وأنتم حرم، ولا تدعون إنشاده وقول الزور في المسجد! فقالت المرأة: كذبت لعمر الله، ما قول الشعر بزور، ولا السلام والحديث حرام على حرم ولا محل. فانصرف الرجل، وقال فيها الخارجي:

أما لك أن تزور وأنت خلو ... صحيح القلب أخت بني غفار؟
فما برحت تعيرك مقلتيها ... فتعطيك المنية في استتار
وتسهو في حديث القوم حتى ... يبين بعض ذلك ما توارى
فمت يا قلب ما بك من دفاع ... فينجيك الدفاع ولا فرار
فلم أر طالباً بدم كمثلي ... أود وحسن مطلوب بثار
إذا ذكروا بثأري قلت سقيا ... لثأري ذي الخواتم والسوار
وما عرفت دمي فتبوء منه ... برهن في حبالي أو ضمار
وقد زعم العواذل أن يومي ... ويومك بالمحصب ذي الجمار
من الإغباء ثم زعمت أن لا ... وقلت لدى التنازع والتمار

كذبتم ما السلام بقول زور وما اليوم الحرام بيوم ثار
ولا تسليمنا حرما بإثم ولا الحب الكريم لنا بعار
فإن لم نلقكم فسقى الغوادي بلادك والرويات السواري

قال سليمان: وفي هذه المرأة يقول الخارجي وقد رحلوا عن مكة، فودعها وتفرقوا:

يا أحسن الناس لولا أن نائلها قدما لمن يبتغي ميسورها عسر
وإنما دلها سحر تصيد به وإنما قلبهاللمشتكي حجر
هل تذكرين كما لمأنس عهدكم وقد يدوم لعهد الخلة الذكر
قولي وركبك قد مالت عمائمهم وقد سقاهم بكأس الشقوة السفر
يا ليت أني بأثوابي وراحلتي عبد لأهلك هذا العام مؤتجر
فقد أطلت اعلا لا دون حاجتنا بالحج أمس فهذا الحل والسفر
ما بال رأيك إذ عهدي وعهدكم إلفان ليس لنا في الود مزدجر

فكان حظك منها نظرةً طرفت إنسان عينك حتى ما بها نظر
أكنت أبخل من كانت مواعده دينال إلى أجلٍ يرجى وينتظر
وقد نظرت وما ألفيت من أحد يعتاده الشوق إلا بدؤه النظر
أبقت شجى لك لا ينسى وقادحة في أسود القلب لم يشعر بها أخر
جنية أولها جن يعلمها رمي القلوب بقوس مال ها وتر
تجلو بقادمتي ورقاء عن برد حمر المفاغر في أطرافها أشر
خود مبتلة ريا معاصمها قدر الثياب فلا طول ولا قصر
إذ مجاسدها اغتالت فواضلها منهاروادف فعمات ومؤتزر
إن هبت الريح حنت في وشائحها كما يجاذب عود القينة الوتر
بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت في الحج ليلة إحدى عشرة القمر
ألا رسول إذا بانت يبلغها عنا وإن لم تؤلف بيننا المرر
أنى بآية وجد قد ظفرت به مني ولم يك في وجدي بكم ظفر

قتيل يوم تلاقينا وأن دمي عنها وعمن أجارت من دمي هرد
تقضين في ولا أقضي عليك كما يقضي المليك على المملوك يقسر
إن كان ذا قدراً يعطيك نافلة منا ويحرمنا، ما أنصف القدر

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: كان الخارجي قدم البصرة، فتزوج بها امرأة من عدوان، كانت موسرة، فأقام عندها بالبصرة مدة، ثم توخم البصرة، فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز، فقالت: ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع، وأمضى معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق، فإما أن أقمت ها هنا أو طلقتني. فطلقها وخرج إلى الحجاز، ثم ندم وتذكرها، فقال:

دامت لعينك عبرة وسجوم وثوت بقلبك زفرة وهموم
طيف لزينب ما يزال مؤرقي بعد الهدو فما يكاد يريم
وإذا تعرض في المنام خيالها نكأ الفؤاد خيالها المحلوم
أجعلت ذنبك ذنبه وظلمته عند التحاكم والمدل ظلوم
ولئن تجنبت الذنوب فإنه ذو الداء يعذر والصحيح يلوم
ولقد أراك غداة بنت وعهدكم في الوصل لا حرج ولا مذموم
أضحت تحكمك التجارب والنهي عنه، ويكلفه بك التحكيم
برأ الألى علقوا الحبائل قبله فنجوا وأصبح في الوثاق يهيم
ولقد أردت الصبر عنك فعاقني علق بقلبي من هواك قديم
ضعفت معاهد حبهن مع الصبا ومع الشباب فبن وهو مقيم
يبقى على حدث الزمان وريبه وعلى جفائك إنه لكريم
وجنيت حين صححت وهو بدائه شتان ذاك مصحح وسقيم
وأديته زمنا فعاذ بحلمه إن المحب عن الحبيب حليم
وأديته زمنا فعاذ بحمله إن المحب عن الحبيب حليم
وزعمت أنك تبخلين وشفه شوق إليك، وإن بخلت، أليم

غنى في هذه الأبيات الدرامي خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي؛ وفيه لعريب خفيف ثقيل مطلق، وهو الذي يغني الآن، ويتعارفه الناس.

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي، قال: كان الخارجي

منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة، وكان يكفيه مؤونته، ويفضل عليه، ويعطيه في كل سنة ما يكفيه ويغنيه، ويغني قومه وعياله، من البر والتمر والكسوة في الشتاء والصيف، ويقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه، وكان منقطعاً إليه وإلى زيد بن الحسن، وابنه الحسن بن زيد، وكلهم به بر، وإليه محسن. فمات أبو عبيدة، وكان يترل الفرش من ملل، وكان الخارجي يترل الروحاء، فقال يرثيه:

ألا أيها الناعي ابن زينب غدوة ... نعيت الندى دارت عليه الدوائر

لعمري لقد أمسى قرى الضيف عاتما ... بذي الفرش لما غيبتك المقابر

إذا سوفوا نادوا صداك ودونه ... صفيح وخوار من الترب مائر

ينادون من أمسى تقطع دونه ... من البعد أنفاس الصدور الزوافر

فقومي اضربي عينيك ياهند لن ترى ... أباً مثله تسمو إليه المفاخر

قال: الزبير: فحدثني سليمان بن عياش، قال: كانت هند بنت أبي عبيدة عند الله بن حسن بن حسن، فلما مات أبوها جزعت عليه جزعاً شديداً، ووجدت وجداً عظيماً، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي ان يدخل إليها، فيعزيها ويليها عن أبيها، فدخل إليها معه. فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته:

قومي اضربي عينيك يا هند لن تري ... أبا مثله تسمو إليه المفاخر

وكنت إذا فاخرت أسميت والدا ... يزين كما زان اليدين الأساور

فإن تعوليه يشف يوماً عويله ... غليلك أو يعذرك بالنوح عاذر

وتحزنك ليلات طوال وقد مضت ... بذي الفرش ليلات تسر قصائر

فلقاه رب يغفر الذنب رحمة ... إذ بليت يوم الحساب السرائر

إذا ما ابن زاد الركب لم يمس ليلة ... قفا صفرٍ لم يقرب الفرش زائر

لقد علم الأقوام أن بناته ... صوادق إذ يند بنه وقواصر

قال: فقامت هند، فصكت وجهها وعينيها، وصاحت بويلها وحرها، والخارجي يبكي معها، حتى لقيا جهدا، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دعوتك ويحك؟ فقال له: أفظننت أني أعزيها عن أبي عبيدة؟ والله ما يسليني عنه أحد؛ ولا لي عنه ولا عن فقده صبر، فكيف يسليها عنه من ليس يسلو بعده ! أخبرني عيسى، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: وعد رجل محمد بن بشير الخارجي بقلوص، فمطله، فقال فيه يذمه، ويمدح زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

لعلك والموعود حق وفاؤه ... بدا لك في تلك القلوص بداء

فإن الذي ألقى إذا قال قائل ... من الناس: هل أحسستها لعناء

يقول الذي بيدي الشمات وقوله ... علي وإشمات العدو سواء

دعوت وقد أخلفتني الوعد دعوة ... بزيد فلم يضلل هناك دعاء

بأبيض مثل البدر عظم حقه ... رجال من آل المصطفى ونساء

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعث إليه يقلوص من خيار إبله، فقال يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة ... نفس جدبها واخضر بالنبت عودها

وزيد ربيع الناس في كل شتوة ... إذا أخلفت أنواؤها ورعودها

حمول لأشناق الديات كأنه ... سراج الدجى إذ قارنته سعودها

أخبرني عيسى، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: نظر الخارجي إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أخرج، فهتف بهم، فقال:

ألم تروا أن فتى سيداً ... راح على نعش بني مالك

لا أنفس العيش لمن بعده ... وانفس الهلك على الهالك

وقال فيه أيضاً:

ألا أيها الباكي أخاه وإنما ... تفرق يوم الفدفد الأخوان

أخي يوم أحجار الثمام بكيته ... ولو حم يومي قبله لبكاني

تداعت به أيامه فآختر منه ... وأبقين لي شجوا بكل زمان

فليت الذي ينعى سليمان غوة ... بكى عند قبري مثلها ونعاني

فلو قسمت في الجن وغلإنس لوعتي ... عليه بكى من حرها الثقلان

ولو كانت الأيام تطلب فدية ... إليه وصرف الدهر ما لأواني

أخبرني عيسى، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا سليمان بن عياش، قال: خرج محمد بن بشير يرمي من فوقها، فزلت قدمه عنها، فصاح حتى سقط على الأرض، وأحدث في ثيابه، فقال الخارجي في ذلك:

حرق يا صفاة في ذراك ... بالنار إن لم تمنعي أرواك

تعلمي أن بدذي الأراكأيتها الأورى ذوي عراك

قوماً أعدوا شبك الشباك ... يبغون ضبعا قتلت أباك

نعم ملوي الحيد المداك ... إذ صوت الجالب في أخراك

ولم يقل منتصحا: إياك بين مقاطيها ركبت فاك
فعدت والطعن على كلاك مثل الأضاحي بيد النساك
يرمي بالأكتاف على الأوراك كما أطحت العبد عن صفاك

أما السيالي فلن ينساك لو يرتميك الناس ما رماك

أخبرني عيسى، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا سليمان بن عياش، قال: كانت عند الخارجي بنت عم له، فهجاه بعض قرابتها، فأجابه الخارجي، فغضبت زوجته، وقالت: هجوت قرابتي. فقال الخارجي في ذلك:

أما ما أقول لهم فعابت علي وقد هجيت فما تعيب
فرمت وقد بدا لي ذاك منها لأهجوها فيمنعني النسيب
قلا ثلب بيصر كل ذنب ولا ارض بغير رضا، غضوب

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: وحدثني الزبير عن سليمان بن عياش، قالا: تزوج الخارجي جارية من بني ليث شابة، وقد أسن وأسنت زوجته العدوانية. فضربت دونه حجاباً، وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها، فجلسن عندها، يلهون ويتغنين ويضربن بالدفوف، وعرف ذلك محمد فقال:

لئن عانس قد شاب ما بين قرنها إلى كعبها وأبيض عنها شبابها
صبت في طلاب اللهو يوماً وعلقت حجاباً لقد كانت يسيراً حجابها
لقد متعت بالعيش حتى تشعبت من اللهو إذا لا ينكر اللهو بابها
فبيني برغم ثم ظللي فربما ثرى الرغم منها حيث يثوي نقابها
لبيضاء لم تنسب لجد يعيبها هجانٍ ولم تنبح لئيماً كلابها
تأود في الممشى كأن قناعها على ظبية أدماء طاب شبابها
مهفهفة الأعطاف خفاقة الحشى جميل محياها قليلٍ عتابها
إذا ما دعت بابني نزار وقارعت ذوي المجد لم يردد عليها انتسابها

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي عن الضحاك بن عثمان، قال: لما ولي إبراهيم بن هشام الحريمين، دخل إليه محمد بن بشير الخارجي، وكان له قبل ذلك صديقاً. فاعرض عنه، ولم يظهر له بشاشة ولا أنساً. ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد، فأعرض عنه، وأخرجه الحاجب من داره، وكان إبراهيم بن هشام تياهاً، شديد الذهاب بنفسه، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد، فلما حاذاه صاح به:

يابن الهشامين طرا حزت مجدهما وما تخونه نقض وإمرار

لا تشمتن بي الأعداء إنهم بيني وبينك سماع ونظار

وإن شكري إن ردوا بغيظهم في ذمة الله إعلان وإسرار

فاكرر بنائلك المحمود من سعة علي إنك بالمعروف كرار

فقال لحاجبه: قل له يرجع إلي إذا عدت. فرجع، فأدخله إليه، وقضى دينه، وكساه ووصله، وعاد إلى ما عهده منه.

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني مصعب عن أبيه قال: عثر بعروة بن أذينة حماره عند ثنية العويقل ، فقال عروة:

ليت العويقل مسدود وأصبح من فوق الثنية فيه ردم يأجوج

فتستريح ذوو الحاجات من غلظ ويسلك السهل يمشي كل منتوج

فقال محمد بن بشير الخارجي يرد عليه:

سبحان ربك تب مما أتيت به ما يسدد الله يصبح وهو مرتوج

وهل يسد وللحجاج فيه إذا ما أصعدوا فيه تكبير وتلجيج

ما زال منذ أذل الله موطئه ومنذ آذن أن البيت محجوج

تهدي له الوفد وفد الله مطربة كأنه شطب بالقد منسوج

خل الطريق إليها إن زائرها والساكنين بها الشم الأباليج

لا يسدد الله نقباً كان يسلكه ال بيض البهاليل والعوج العناجيج

لو سده الله يوماً ثم عج له من يسلك النقب أمسى وهو مفروج

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب، قال: كان للخارجي أخ يقال له بشار بن بشير، وكان يجلس أعداءه، ويعاشر من يعلم أنه مباين له. وفيه يقول:

وإني قد نصحت فلم تصدق بنصحي واعتددت فما تبالي

وإني قد بدا لي أن نصحي لغيبك واعتدادي في ضلال

فكم هذا أذودك عن قطاعي كتذويد المحلاة النهال

فلا تبغ الذنوب علي واقصد لأمرك من قطاع أو وصال

فسوف أرى خلالك من تصافي إذا فارقتني وترى خلالي
وإن جزاء عهدك إذ تولى بأن أغضي وأسكت لا أبالي

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا سليمان بن عياش، قال: كان الخارجي معجباً بزوجته سعدى، وكانت من أسوأ الناس خلقاً، وأشده على عشير ، فكان يلقى منه عنتاً. فغاضبها يوماً لقول آذته به، ةاعتزلها، وانتقل إلى زوجته الأخرى، فأقام عندها ثلاثاً. ثم اشتاق إلى سعدى، وتذكرها، وبدا له في الرجوع إلى بيتها، فتحول إليها، وقال:

أرني إذا غالبت بالصبر حبها أبى الصبر ما ألقى بسعدى فأغلب
وقد علمت عند التعاتب أننا إذا ظلمتنا أو ظلمنا سنعتب
وإني وإن لم أجن ذنباً سأبتغي رضاها وأعفو ذنبها حين تذنب
وإني وإن أنبت فيها يزيدني بها عجباً من كان فيها يؤنب

أخبرني عيسى قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال: كان بشار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه، ويجالس أعداءه . فقال الخارجي فيه:

كفاني الذي ضيعت مني وإنما يضيع الحقوق ظالماً من أضاعها
صنيعة من ولاك سوء صنيعها وولى سواك أحجرها واصطناعها
أبى لك كسب الخير رأي مقصر ونفس أضاق الله بالخير باعاها
إذا هي حثته على الخير مرةً عصاها وإن همت بشر أطاعها
فلولا رجال كاشحون يسرهم أذاك، وقربى لا أحب انقطاعها
إذاً بان زلت بك النعل زلةً فراق خلال لا تطيق ارتجاعها
وأني متى أحمل على ذاك أطلع عليك عيوباً لا أحب اطلاعها
فإن تك أحلام ترد إخاءنا علينا فمن هذا يرد سماعها
سأنهاك نهياً مجملاً وقصائدا نواصح تشفى من شئونٍ صاعها
ومن يجتلب نحوي القصائد يجتلب قراه ويتبع من يحب اتباعها
إذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد إليه فيخل للقوافي رباعها

أخبرني عيسى بن الوراق قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سيمان بن عياش قال: لما دفن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يغرونه، فأخذ بعضادتي الباب، وقال:

أعيني جوداً بالدموع وأسعدا ... بني رحم ما كان زيد يهينها
ولا زيد إلا أن يجود بعبرة ... على القبر شاكي نكبة يستكينها
وما كنت تلقى وجه زيد ببلدة ... من الأرض إلا وجه زيد يزينها
لعمر أبي الناعي لعمت مصيبة ... على الناس واختصت قصيا رصينها
وأني لنا أمثال زيد وجده ... مبلغ آيات الهدى وأمينها
وكان حليفيه السماحة والندى ... فقد فارق الدنيا نداها ولينها
غدت غدوة ترمي لؤي بن غالب ... يجعد الثرى فوة امرىء ما يشينها
أغر بطاحي بكت من فراقه ... عكاظ فبطحاء الصفا فحجونها
فقل للتي يعلو على الناس صوتها ... ألا لا أعان الله من لا يعينها
وأرملةٍ تبكي وقد شق جيبها ... عليه فآبت وهي شعث قرونها
ولو فقهت ما يفقه الناس أصبحت ... خواشع أعلام الفلاة وعينها
نعاه لنا الناعي فظلنا كأننا ... نرى الأرض فيها آية حان حينها
وزالت بنا أقدامنا وقلبت ... ظهور روابيها بنا وبطونها
وآب ذوو الألباب منا كأنما ... يرون شمالا فارقتها يمينها
سقى الله سقيا رحمةٍ ترب حفرة ... مقيم على زيدٍ ثراها وطينها

قال: فما رؤي يوم كان أكثر باكياً من يومئذٍ .

أخبرني محمد بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فاس قال: حدثني العمري عن لقيط، قال:

كان محمد بن بشير الخارجي من أهل المدينة، وكانت له بنت عم سرية جميلة، قد خطبها غير واحد من سروات قريش، فلم ترضه. فقال لأبيه: زوجنيها. فقال له: كيف أزوجكها وقد رد عمك عنها أشراف قريش فذهب إلى عمه فخطبها إليه، فوعده بذلك، وقرب منه. فمضى محمد إلى أبيه فأخبره، فقال له: ما أراه يفعل. ثم عاوده، فزوجه إياها. فغضب الجارية، وقالت له: خطبني إليك أشراف قريش فرددتهم، وزوجتني هذا الغلام الفقير؟ فقال لها: هو ابن عمك، وأولى الناس بك. فلما بنى لها جعلت تستخف به وتستخدمه، وتبعثه في غنمها مرة، وإلى نخلها أخرى. فلما رأى ذلك من فعلها قال شعراً، ثم خلا في بيت يترنم به ويسمعها. وهو:

تثاقلت أن كنت ابن عم نكحته فملت وقد يشفى ذوو الرأي بالعذل
فإنك إلا تتركي بعض ما أرى تنازعك أخرى كالقرينة في الحبل
تلزك ما اسطاعت إذا كان قسمها كقسمك حقا في التلاد وفي البعل
متى تحمليها منك يوما لحالة فتتبعها تحملك منها على مثل

قال: فصلحت، و لم ير منها بعد ما سمعت شيئاً يكرهه.

علام هجرت ولم تهجري ومثلك في الهجر لم يعذر
قطعت حبالك من شادنٍ أغن قطوف الخطا أحور

السعر لسديف مولى بني هاشم: والغناء لأبي العبيس بن حمدون. خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى.

ذكر سديف وأخباره

هو سديف بن ميمون مولى خزاعة. وكان سبب ادعائه ولاء بني هاشم أنه تزوج مولاه لآل أبي لهب، فادعى ولاءهم، ودخل في جملة مواليهم على الأيام. وقيل: بل أبوه هو كان المتزوج مولاة اللهبيين، فولدت منه سديفاً فلما يفع، وقال الشعر، وعرف بالبيان وحسن العارضة، ادعى الولاء في موالي أبيه، فغلبوا عليه.

وسديف شاعر مقل، من شعراء الحجاز، ومن مخضومي الدولتين، وكان شديد التعصب لبني هاشم، مظهراً لذلك في أيام بني أمية. فكان يخرج إلى أحجار صالإ في ظهر مكة، يقال لها صفي السباب، ويخرج مولى لبني أمية معه يقال له سباب ، فيتسابان ويتشاتمان، ويذكران المثالب والمعايب. ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا. فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح والشجاج، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم، ويعاقب الجناة. فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت في العامة والسفلة. فكانوا صنفين، يقال لهما السديفية والسبابية، طول أيام بني أمية. ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم، وصارت العصبية بمكة في الحناطين والحرارين .

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل العتكي، واحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني فليح بن إسماعيل قال: قال سديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن ، وأنشها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن. فلما أتى على هذا البيت:

يا سوءتا للقوم لا كفوا ولا إذ حاربوا كانوا من الأحرار

فقال له المنصور: أتحضهم علي يا سديف؟ فقال: لا، ولكني أؤنبهم يا أمير المؤمنين.

وذكر ابن المعتز أن العوفي حدثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحي قال: سلم سديف بن ميمون يوماً على رجل من بني عبد الدار. فقال له العبدري: من أنت يا هذا؟ قال: أنا رجل من قومك، أنا سديف بن ميمون. فقال له: والله ما في قومي سديف ولا ميمون. قال: صدقت. لا والله ما كان قط فيهم ميمون ولا مبارك.

لعمرك إنني لأحب دارا تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عندي عتاب

الشعر للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام. والغناء لابن سريج: رمل بالبنصر. وفيه للهذلي ثقيل أول بالسبابة، في مجرى الوسطى، عن إسحاق.

أخبار الحسين بن علي ونسبه

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وقد تكرر هذا النسب في عدة مواضع ممن هذا الكتاب. واسم أبي طالب: عبد مناف، واسم عبد المطلب: شيبة، واسم هاشم: عمرو. وأم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. وكانت أول هاشمية تزوجها هاشمي، وهي أم سائر ولد أبي طالب. وأم الحسين بن علي بن أبي طالب: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وكانت خديجة تكنى أم هند، وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ، ذكر ذلك قعنب بن محرز، قال: حدثنا أبو نعيم، عن حسين بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه. وكان علي بن أبي طالب سمى الحسن حرباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن . ثم ولد له الحسين فسماه حرباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين.

حدثني بذلك أحمد بن الجعد ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: حدثنا يحيى بن عيسى قال: حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب.

كنت رجلاً أحب الحرب، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن، فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حرباً، فسماه رسول الله صلى الله عيه وسلم الحسين . ثم قال سميتهما باسمي ابني هارون: شبر وشبير .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال: حدثنا محمد بن يحيى الأحول قال: حدثنا خلاد المقرىء قال: حدثنا قيس بن الربيع بن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن ابن عمر، قال: كان على الحسن والحسين تعويذتان حشوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام.

وهذا الشعر يقوله الحسين بن علي في امرأته الرباب بنت امرىء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وأمها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عليم بن كلب؛ وفي ابنته منها سكينة بنت الحسين. واسم سكينة: أميمة، وقيل أمينة، وقيل آمنة، وسكينة لقب لقبت به.

قال مصعب فيما أخبرني به الطوسي عن زبير عنه: اسمها آمنة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو نعيم، عن عمر بن ثابت، عن مالك بن أعين، قال: سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمي الحسن أبي في أمي، فقال:

لعمرك إنني لأحب دارا تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عند عتاب

حدثنا محمد بن اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثنا العمري عن ابن الكلبي عن أبيه، قال: قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن: ما سم سكينة بنت الحسين؟ فقلت: سكينة. فقال: لا. اسمها آمنة .

وروي أن رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة. فقال: أمينة ، فقال له:إن ابن الكلبي يقول اميمة. فقال: سل ابن الكلبي عن أمه؟ وسلني عن أمي. وقال المدائني: حدثني أبو إسحاق المالكي قال: سكينة لقب، واسمها آمنة. وهذا هو الصحيح.

حدثني أحمد بن سعيد ، قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدثنا شيخ من قريش، قال حدثنا أبو حذافة أو غيره، قال: أسلم أمرؤ القيس بن عدي على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما صلى الله صلاة حتى ولاه عمر، وما أمسى حتى خطب إليه علي عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين، فزوجه إياها. فولدت له عبد الله وسكينة ولدي الحسين عليهما السلام. وفي سكينة وأمها يقول:

لعمرك إنني لأحب دارا تحل بها سكينة والرباب

وذكر البيت الآخر، وزاد على البيتين :

فلست لهم وإن غابوا مضيعا حياتي أو يغيبني التراب

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغلابي، وهو أتم قال: حدثنا علي بن صالح، عن علي بن مجاهد، عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبي، قال: أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال: حدثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زبان بن سيار الفزاري؛ قال حدثني عوف بن خارجة المري، قال:

والله إني لعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، إذا أقبل رجل أفحج أجلى أمعر ، يتخطى رقاب الناس، حتى قام بين يدي عمر. فحياة بتحية الخلافة، فقال له عمر: فمن أنت؟ قال: أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي. قال: فلم يعرفه عمر . فقال له رجل من القوم: هذا صاحب بكر بن وائل، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج. قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام. فعرضه عليه عمر رضي الله عنه، فقبله. ثم دعا له برمح، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة. فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه. قال عوف: فوالله ما رأيت رجلاً لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله.

ونهض علي بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه، فأخذ بثيابه. فقال له: يا عم، أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره، وهذان

ابناي الحسن والحسين من ابنته، وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا. فقال: قد أنكحنك يا علي المحياة بنت امرىء القيس، وأنكحنك يا حسن سلمى بنت امرىء القيس، وأنكحنك يا حين الرباب بنت امرىء القيس.

وقال هشام بن الكلبي: كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن: فخطب بعد قتل الحسين عليه السلام فقالت: ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال المدائني: حدثني أبو إسحاق المالكي، قال: قيل لسكينة واسمها آمنة، وسكينة لقب: أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً؟ فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة-تعني فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم- وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام.

تعني آمنة بنت وهب، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكناني ، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: رثت الرباب بنت امرىء القيس أم سكينة بنت الحسين، زوجها الحسين عليه السلام حين قتل، فقالت:

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النبي جزاك الله صالحةً ... عنا، وجنبت خرسان الموازين

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكين

والله لا أبتغي صهراً بصهركم ... حتى أغيب بين الرمل والطين

أخبرني الطوسي قال: حدثني الزبير عن همه قال: أخبرني إسماعيل بن بكار قال: حدثني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسين العلوي ، عن الزبير عن عمه، قال: وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى قالا: كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خطب إلى عمه الحسين، فقال له الحسين عليهم السلام: يا بن أخير، قد كنت أنتظر هذا منك، انطلق معي، فخرج به حتى أدخله منزله، فخبره في ابنتيه فاطمة وسكينة. فاختار فاطمة، فزوجه إياها. وكان ياقل: إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين في الحسن. وقال عبد الله بن موسى في خبره: إن الحسين خيره، فاستحيا، فقال له: قد اخترت لك فاطمة، فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني يحيى بن الحسن العلوي قال: كتب إلي عباد بن يعقوب يخبرني عن جدي يحيى بن سلميان بن الحسين العلوي قال: كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد. فسكتت سكينة: فلما قال المؤذن. أشهد أم محمداً رسول الله، قالت سكينة: هذا أبي أو أبوك؟ فقالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبداً.

أخبرني أحمد بن محمد قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا مروان بن موسى القروي قال: حدثنا بعض أصحابنا قال:

كانت سكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة، فتقوم بإزاء ابن مطيرة، وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، إذا صعد المنبر، فإذا شتم علياً، شتمته هي وجواريها، فكان يأمر الحرس فيضربون جواريها.
أخبرني الطوسي عن الزبير عن عمه مصعب، قال: كانت سكينة عفيفة سلمة برزة من النساء، تجالس الأجلة من قريش، وتجتمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزاحة.
أخبرني الطوسي قال: حدثنا الزبير عن عمه قال: حدثني معاوية بن بكر، قال: قالت سكينة: أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن موسى، عن أبي أبو المديني، عن مصعب، قال: كانت سكينة أحين الناس شعراً؛ فكانت تصفف جمتها تصفيفاً لم يرأحسن منه، حتى عرف ذلك. فكانت تلك الجمة تسمى السكسنية. وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صفف جمته السكينية جلده وحلقه.
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحميري، قال: بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حبيش بن دلجة بغالية، لأنه كان من أخوالها. فلما وصلت إليه قال: فأين كانت- حبيش بن دلجة- عن الصياح ؟ يقدر أن الصياح أرفع من الغالية.
قال محمد بن سلام كانت سكينة مزاحة، فلسعتها دبرة فولولت. فقالت لها أمها: مالك يا سيدتي وجزعت؟ فقالت لسعتني دبيرة، مثل الأبيرة، فأوجعتني قطيرة .
وقال هارون بن أبي عبيد الله، حدثني ضمرة، قال: أجلست سكينة شيخاً فارسياً على سلة بيض، وبعثت إلى سليمان بن يسار، كأنها تريد أن تسأله عن شيء. فجاءها إكراماً لها، فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالساً على السلة فيها البيض. فولى يسبح.
قال: وبعثت سكينة إلى صاحب الشرطة بالمدينة: أنه دخل علينا شامي، فابعث إلينا بالشرط. فركب ومعه الشرط. فلما أتى إلى الباب، أمرت ففتح له، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه برغوثاً. فقال: ما هذا؟ قالت: هذا الشامي الذي شكوناه. فانصرفوا يضحكون.
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا أحمد بن القاسم قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثنا سيف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدي قال: حدثني إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صحبة دبية والغاضري وعبيدة بن وكم الوادي. فوهبهم له فأشخصهم معه.
قال: فكان فيما حدثني به عبيدة قال: قال إبراهيم: ركبت حمارة وهو عديلي، ونمت على ظهرها. فلما بلغنا ثنية العقاب، اشتد علي البرد، فاحتجت إلى الزيادة من الدثار. فدعوت بدواج سمور، فألقيته على ظهري، ودعوت بمن كان معي في سمري في تلك الليلة، وكانوا حولي. فقلت لابن أشعب: حدثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك. فقال: أعجب من طمع أبي طمع ابنه. فقلت: وما بلغ من طمعك؟ فقال: دعوت آنفاً لما اشتد عليك البرد

بدواج سمور، لتستدفىء به، فلم أشك أنك دعوت به لتجعله علي. فغلبني الضحك، وخلعت عليه الدواج. ثم قلت له: ما أحسب لك قرابة بالمدينة. فقالأ: اللهم غفرا، لي بالمدينة قرابات وأي قرابات. قلت: أيكونون عشرة؟ قال: وما عشرة؟ قلت: فعشرين؟ قال: اللهم غفرا، لا تذكر العشرات ولا المئين، وتجاوز ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها. قلت: ويحك! ليس بينك وبين أشعب أحد، فكيف يكون هذا؟ فقال: إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوج سكينة بنت الحسين. فخف أبي على قلبها، فأحسنت إليه، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه. فمال إليها بكليته.

قال: وحج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فاتأذن زيد بن عمرو سكينة، وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة، وأنه لا يمكنه التخلف عن الحج معه. وكانت لزيد ضيعة ياقل له العرج، وكان له فيها جوار. فأعلمته أنها لا تأذن له إلا أن يخرج أشعب معه، فيكون عيناً لها عليه، وما نعا له من العدول إلى العرج، ومن اتخاذ جارية لنفسه في بدأته ورجعته. فقنع بذلك، وأخرج أشعب معه. وكان له فرس كثير الأوضاح، حسن المنظر، يصونه عن الركوب إلا في مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة؛ وله سرج يصونه، لا يركب به غير ذلك الفرس. وكان معه طيب لايتطيب به إلا في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه؛ وحلة موشية يصونها عن اللبس إلا في يوم يردي التجمل فيه بها.

فحج مع سليمان، وكانت له عنده حوائج كثير، فقضاها ووصله، وأجزل صلته. وانصرف سليمان من حجة، ولم يسلك طريق المدينة. وانصرف بن عثمان يريد المدينة، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصة. ودعا أشعب، فأحضره وصرصرة فيها أربعمائة دينار، وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرج إلا أميال؛ وأنه إن أذن له في المسير إليها، والمبيت بها عند جواريه، غلس إليه، فوافى وقت ارتحال الناس، ووهب له أربعمائة الدينار. فقبل يده ورجله، وأذن له في السير إلى حيث أحب، وحلف له أنه يحلف لسكينة بالأيمان المحرجة، أنه ما سارإلى العرج، ولا اتخذ جارية منذ فارق سكينة إلى أن رجع إليها. فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى.

قال أبو إسحاق: قال ابن أشعب: حدثني أبي أنه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قربتان. فألقتا القربتين، وألقتا قيا بهما عنهما، ورمتا بأنفسهما في الغدير، وعامتا فيه، ورأى من مجردهما ما أعجبه واستحسنه. فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما. فأعلمتاه أنهما من إماء نسوة خلوف، لبني عامر بن صعصعة، هن بالقرب من ذلك الغدير. فسألهما: هل سبيل إلى مولياتهما، لمحادثة شيخ حسن الخلق، طيب العشرة، كثير النوادر؟ فقالتا: وأنى لهن بمن هذه صفته؟ فقال لهما: أنا ذاك. فقالتا: انطلق معنا. فوثب إلى فرس زيد، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه، ودعا بحلته التي كان يضن بها فلبسها، وأحضر السفط الذي كان فيه طيبه، فتطيب منه وركب الفرس، ومضى معهما حتى وافى الحي، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر. فأقبل في ذلك الوقت رجال الحي، وقد انصرفوا غانمين من غزائهم،

وأقبلت تمر به الرعلة بعد الرعلة، فيقفون به فيقولون: ممن الرجل؟ فينتسب في نسب زيد، فيقول كل من اجتاز به: مانرى به بأساً. وينصرفون عنه إلى قرب غروب الشمس، فأقبل شيخ فانٍ على حجر هرمة هزيل، ففعل مثل ما كان يفعل من اجتاز، فسأله مثلما يسألون عنه، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدمه، فقال مثل قولهم.

قال ابن أشعب: قال أبي: ثم رأيت الشيخ قد وقف بعد قوله، فأوجست منه خيفة لأني رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبه، فرفعهما، ثم استدار ليرى وجهي. فركبت الفرس، فما استويت عليه حتى سمعته يقول: أقسم بالله ما هذا قرشي، وما هذا إلا وجه عبد. فركضت وركض خلفي، فرأى حجره مقصرة . فلما يئس من اللحاق بي، انتزع سهماً فرماني به، فوقع في مؤخرة السرج، فكسرها. ودخلتني من صوته روعة أحدثت لها في الحلة. ووافيت رحل مولاي، فغسلت الحلة ونشرتها، فلم يجف ليلاً. وغلس مولاي من العرج، فوافاني في وقت الرحيل، فرأى الحلة منشورة، ومؤخرة السرج مكسورة، والفرس قد أضر بها الركض، وسفط الطيب مكسور الختم . فسألني عن السبب، فصدقته. فقال لي: ويحك! أما كفاك ما صنعت بي حتى انتسبت في نسبي، فجعلتني عند أشرف قومي من العرب جماشا ، وسكت عني، فلم يقل لي: أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة، فلما وافاها سألته سكينة عن خبره. فقال لها: يا بنت رسول الله، وما سؤالك إياي و لم يزل ثقتك معي، وهو أمين علي، فسليه عن خبري يصدقك عنه. فسألتني، فأخبرتها أني لم أنكر عليه شيئاً، و لم أمكنه من ابتياع جارية، و لم أطلق له الاجتياز بالعرج. فاستحلفتني على ذلك، فلما حلفت لها بالأيمان المحرجة فيها طلاق أمك، وثب فوقف بين يديها، وقال: أي بنة عم، ويا بنت رسول الله، كذبك والله العلج، ولقد أخذ مني أربعمائة دينار، على أن أذن لي في المصير إلى العرج ؛ فأقمت بها يوماً وليلة، وغسلت بها عدة من جواري، وها أنا ذا تائب إلى اله مما كان مني، وقد جعلت توبتي هبتهن لك، وتقدمت في حملهن إليك، وهن موافيات المدينة في عشية اليوم، فبيعهن أو عتقهن إليك الأمر فيه، وأنت أعلم بما ترين في العبد السوء. فامرتني بإحضار أربعمائة دينار، فأحضرتها.

فأمرت بابتياع خشب بثلثمائة دينار، وأمرت بنشره، وليس عندي ولا عند أحد من اهل المدينة علم بما تريده فيه. ثم أمرت بأن يتخذ بيت كبير، وجعلت النفقة عليه في أجرة النجارين من المائة الدينار الباقية.

ثم أمرت بابتياع بيض وتبن وسرجين بما بقي من المائة الدينار بعد أجرة النجارين. ثم أدخلتني البيت، وفيه البيض والتبن والسرجين، وحلفت بحق جدها ألا اخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كله إن أن يفقس، ففعلت ذلك، و لم أزل أحضنه حتى فقس كله. فخرج منه الألوف من الفراريج، وربيت في دار سكينة، فكانت تنسبهن إلي، وتقول بنات أشعب.

قال أبو إسحاق. قال لي: وبقي ذلك النسل في أيدي الناس إلى الآن، فكلهم إخواني وأهلي. قال: فضحكت والله حتى غلبت، وأمرت له بعشرة آلاف درهم، فحملت بحضرتي إليه.

أخبرني الطوسي والحرمي قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب قال:

تزوجت سكينة بنت الحسين عليه السلام عد أواج، أولهم عبد الله بن الحسن بن علي، وهو ابن عمها وأبو

عذرتها، ومصعب بن الزبير، وعبد الله بن عثمان الحزامي، وزيد بن عمرو بن عثمان، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، و لم يدخل بها، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، و لم يدخل بها.

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلوي: إن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر، وأمه بنت السليل بن عبد الله البجلي، أخي جرير بن عبد الله، قال: ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير، زوجه إياها أخوها علي بن الحسين، ومهرها مصعب ألف ألف درهم.

قال مصعب: وحدثني مصعب بن عثمان: أن علي بن الحسين أخاها حملها إليه، فأعطاه أربعين ألف دينار.

قال مصعب: وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال: قالت سكينة: دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة.

قال: فولدت من مصعب بنتاً، فقال لها: سميها زهراء . قالت: بل أسميها باس إحدى أمهاتي وسمتها الرباب . فلما قتل مصعب ولى أخوه عروة تركته، فزوجها يعني الرباب بنت مصعب ابنه عثمان بن عروة، فماتت وهي صغيرة، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار.

قال الزبير: فحدثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر ، عن أمه سعدة بنت عبد الله بت سالم، قالت: لقيت سكينة بين مكة ومنى، فقالت: قفي لي يابنة عبد الله، فوقفت. فكشفت عن بنتها من مصعب، فإذا هي قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ، فقالت: ما ألبستها إياه إلا لتفضحه.

قال الزبير: وحدثني عمي. عن الماجشون ، قال: قالت سكينة لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك. وقالت عائشة: بل أنا أجمل منك. وقالت عائشة: بل أنا. فاختصمنا إلى عمر بن أبي ربيعة، فقال لأقضين بينكما؛ أما أنت يا سكينة فأملح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها. فقالت سكينة: قضيت لي والله. وكانت سكينة تسمي عائشة ذات الأذنين، وكانت عظيمة الأذنين.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن زيهر قال: حدثنا المدائني، قال: خطب سكينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان. فقالت أمها: لا والله لا يتزوجها أبداً وقد قتل ابن أخي ، تعني مصعباً.

وأما محمد بن سلام الجمحي فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عنه: أن أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن علي. ثم خلف عليها العثماني، ثم مصعب بن الزبير، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان. فقال فيه بعض المدنيين .

نكحت سكينة بالحساب ثلاثةً فإذا دخلت بها فأنت الرابع

قال: وكان يتولى مصر، فكتبت إليه: إن أرض مصر وخمة. فبنى لها مدينة تسمى مدينة الأصيغ. وبلغ عبد الملك تزوجه إياها، فنفس بها عليه. فكتب إليه. اختر مصر أو سكينة: فبعث إليها بطلاقها و لم يدخل بها، ومتعها بعشرين ألف دينار. ومروا بها في طريقها على مترل، فقالت: ما اسم هذا المترل؟ قالوا: جوف الحمار. قالت: ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً.

وذكر محمد بن سلام في هذا الخبر الذي رواه الرياشي عن سعيب بن صخر أن الحزامي عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها، وولدت منه بنتاً. وذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سكينة أرتها بنتها من الحزامي، وقد أثقلتها باللؤلؤ، وهي في قبة، فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. تريد أنها تفضح الحلي بحسنها، لأنها أحسن منه.
أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان وغيره: أن سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حزام، ثم تزوجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم تزوجها مصعب بن الزبير. فلما قتل مصعب، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فبعث إليه: أبلغ من حمقك أن تبعث إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تخطبها؟ فأمسك عن ذلك.

قال: ثم تنفست يوماً بنانة جارية سكينة وتندت، حتى كادت أضلاعها تتحطم. فقالت لها سكينة: مالك ويلك! قالت: أحب أن أرى في الدار جلبة. تعني العرس. فدعت مولى لها تثق به، فقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فقل له: إن الذي كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه؛ أنت من أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحضر بيتك. قال: فجمع عدة من بني زهرة، وأفناء قريش من بني جمح وغيرهم، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين. ثم أرسل إلى علي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وغيرهم من بني هاشم. فلما أتاهم الخبر اجتمعوا، وقالوا: هذه السفيهة تريد أن تتزوج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. فتنادى بنو هاشم واجتمعوا، وقالوا: لا يخرجن أحد منك إلا ومعه عصا. فجاءوا وما بقي إلا الكلام. فقال: اضربوا بالعصي. فاضطربوا هم وبنو زهرة حتى تشاجوا، فشج بينهم يومئذٍ أكثر من مائة إنسان. ثم قالت بنو هاشم: أين هذه؟ قالوا: في هذا البيت. فدخلوا إليها، فقالوا: أبلغ هذا من صنعك؟ ثم جاءوا بكساء طاروقي ، فبسطوه ثم حملوها، وأخذوا بجوانبه- أو قال: بزاوياه الأربع- فالتفتت إلى بنانة فقالت: يا بنانة، أرأيت في الدار جلبة؟ قالت: إي والله إلا أنها شديدة.
وقال هارون بن الزيات: أخبرني أبو حذيفة عن مصعب، قال: كان أول أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن علي، قتل عنها و لم تلد له. وخلف عليها مصعب، فولدت له جارية . ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فنشزت عليه، فطلقها ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً. فقال الشاعر:

نكحت سكينة بالحساب ثلاثة ... فإذا دخلت بها فأنت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعه ... خاب البقيع وخاب فيه الزارع

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب، وقال: أما تزوجنا أحسابنا حتى تزوجنا أموالنا! فطلقها. فطلقها فخلف عليها العثماني، وشرطت عليه ألا يطلقها ، ولا يمنعها شيئاً تريده، وأن يقيمها حيث خلتها أم منظور، ولا يخالفها في أمر تريده. فكانت تقول له: يا بن عثمان اخرج بنا إلى مكة. فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين، قالت: ارجع بنا إلى المدينة. فإذا رجع يومه ذلك، قالت: اخرج بنا إلى مكة. فقال له سليمان بن عبد الملك:

أعلم أنك قد شرطت لها شروطاً لم تف بها، فطلقها. فطلقها. فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكره ذلك أهلها، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل. فبعث إليها بخبرها. فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه، فقال لها: جعلت فداءك، قد خيرتك فاختاريني. فقالت : قلت ماذا بأبي، تهزأ به. فعرف ذلك ، فانصرف وخيروها، فقالت: لا أريده.

قال: ومالت فصلى عليها شيبة بن نصاح .

وأما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهري، عن عمر بن شبة، عن عبد الله بن محمد بن حكيم، عنه: أن أول أزواجها الأصبغ، ومات و لم يرها، ثم زيد بن عمر العثماني، قال: وولدت له ابنة عثمان الذي يقال له قرين، ثم الحزامي، ثم خلف عليها مصعب، فولدت له جارية، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف و لم يدخل بها.

قال عمر بن شبة: وحدثني محمد بن يحيى قال: تزوج مصعب سكينة وهو يومئذ بالبصرة، عامل أخيه عبد الله بن الزبير، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو اللاس، وهو الذي جاء بنعيه، فقال ابن قيس فيه:

قد أتانا بما كرهنا أبو السلا س كانت بنفسه الأوجاع

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه. وهذا غلط من محمد بن يحيى، ليست قصة أبي السلاس مع مصعب، وإنما هي مع ابن جعفر.

قال محمد بن يحيى: ولما تزوج مصعب سكينة على ألف ألف، كتب عبد الله بن همام على يد ابي السلاس إلى عبد الله بن الزبير:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يرد خداعا

بضع الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت سادات الجنود جياعا

لو لأبي حفص أقول مقالتي وأبث ما أبثثتكم لا رتاعا

قال: وكان ابن الزبير قد أوصاه ألا يعطيه أحد كتاباً إلا جاء به، فلما أتاه بهذا الكتاب قال: صدق والله، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألف ألف درهم. ثم قال: إن مصعباً لما وليته البصرة أغمد سيفه، وسل أبره، وعزله عن البصرة، وأمره أن يجيء على ذات الجيش، وقال: إني لأرجو أن يخفف الله بك فيها. فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب، فقال: لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأبره وخيره.

قال ابن زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهري قال: ذكر أن زيد: بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مال مغاضياً لسكينة، وعمر بن عبد العزيز يومئذٍ والي المدينة، فأقام سبعة أشهر، فاستعدته سكينة على زيد، وذكرت غيبته مع ولائده سبعة أشهر، وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة، أو حال بينها وبين شيء من ماله، أو

منعها مخرجاً ترديه، فهي خلية ، فبعث إليه عمر فأحضره وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما.
قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله، قال: بعثني عمر، وبعث معي محمد بن معقل بن يسار الأشجعي، إلى ابن حزم، وقال: اشهدا قضاءه، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس، وفاطمة امرأة ابن حزم في الحجلة جالسة، وجاءت سكينة، فقال ابن حزم: أدخلوها وحدها. فقالت: والله لا أدخل إلا ومعي ولائدي، فأدخلن معها، فلما دخلت قال: يا جارية اثني لي هذه الوسادة. ففعلت، وجلست عليها، ولصق زيد بالسرير، حتى كان يدخل في جوفه خوفاً منها. فقال لها ابن حزم: يابنة الحسين، إن الله عز وجل يحب القصد في كل شيء، فقالت له: وما أنكرت مني، إني وإياك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه، ولا يرى الخسبة في عينه. فقال لها: أما والله لو كنت رجلاً لسطوت بك. فقالت له: يا بن فرتنى ألا تزال لتوعدني؟ وشتمته وشتمها. فلما بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العدوي: ما بهذا أمرنا، فأمض الحكم ولا تشاتم. فقالت لمولاة لها: من هذا؟ قالت: أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم. فقالت: لا أراك ههنا وأنا أشتم بحضرتك. ثم هتفت برجال قريش، وحضت ابن أبي الجهم، وقالت: أما والله لو كان أصحاب الحرة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهودي عند شتمه إياي، أي عدو الله، تشتمني وأبوك الخارج مع يهود صبابةً بدينهم لما أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أريحاء، يا بن فرتنى. قال: وشتمها وشتمته.
قال: ثم أحضرنا زيداً، فكلمها وخضع لها، فقالت: ما أعرفني بك يا زيد، والله لا تراني أبداً، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهن؟ املأ غينك الآن مني، فإنك لا تراني بعد الليلة أبداً، وجعلت تردد هذا القول ومثله، فكلما تكلمت ترفث لا بن حزم وامرأته في الحجلة، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه. ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت ببينة على ما ادعته، وإلا فاليمين على زيد. فقامت وقالت لزيد، يا بن عثمان: تزود مني بنظرة، فإنك والله لا تراني بعد الليلة أبداً، وابن حزم صامت. ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو يتنظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية، فسألنا عن الخبر، فأخبرناه، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه، ثم دعا زيداً من غد فأحلفه ورد سكينة عليه.
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار عن عمه قال: قالت سكينة لأم أشعب: سمعت للناس خيراً؟ قالت: لا، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوجته، وبلغ ذلك بني هاشم فأنكروه، وحملوا العصي، وجاءوا فقاتلوا بني زهرة حتى كثر الشجاج، ثم فرق بينهم، وخيرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم، ثم التفتت إلى أم أشعب وقالت: أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت: إي والله- بأبي أنت- وأي خبر .

قال هارون بن الزيات: وجدت في كتاب القاسم بن يوسف: حدثني الهيثم بن عدي، عن أشعب، قالال: تزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينة، وكان أبخل قرشي رأيته، فخرج حاجاً وخرجت سكينة معه، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصاً ولا فاكهة إلا حملته معها، وأعطتني مائة دينار، وقالت : يا بن أم حميدة اخرج

معنا . فخرجت ومعنا طعام عللى خمسة أجمال، فلما أتينا السيالة نزلنا، وأمرت بالطعام أن يقدم، فلما جيء بالأطباق، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد، فلما رآهم قال: أوه. خاصرتي. باسم الله، ارفعوا الطعام، وهاتوا الترياق والماء الحار، فأتي به فجعل يتوجرهما حتى انصرفوا، ورحلنا وقد هلكت جوعاً، فلم آكل إلا مما اشتريته من السويق فلما كان من الغد أصبحت وبي من الجوع ما لله أعلم به، ودعا بالطعام وأتي به. قال: فأمر بإسخانه، وجاءته مشيخة من قريش يسلمون عليه، فلما رآهم اعتل بالخاصرة، ودعا بالترياق والماء الحار، فتوجره ورفع الطعام، فلما ذهبوا أمر بإعادته، فأتي به وقد برد، فقال لي: يا أشعب، هل إلى إسخان هذا الجاج سبيل؟ فقلت له أخبرني عن دجاجك هذا؟ أمن آل فرعون، فهو يعرض على النار غدوا وعشيا.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينة فقالت لهم: الله يعلم أني أبغضكم: قتلتم جدي علياً، وأبي الحسين، وأخي علياً، وزوجي مصعباً، فبأي وجه تلقونني، أيتمتعوني صغيرة، وأملتموني كبيرة.

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني قال: بينما سكينة ذات ليلة تسير، إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول:

لولا ثلاث هن عيش الدهر

فقالت لقائد قطارها. ألحق بنا هذا الرجل، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث. فطال طلبه لذلك حتى أتعبها. فقالت لغلام لها: سر أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول:

الماء والنوم وأم عمرو

فقالت: قبحه الله! أتعبني منذ الليلة.

قال: وحدثني المدائني أن أشعب حج مع سكينة، فأمرت له بجمل قوي يحمل أثقاله، فأعطاه القيم جملاً ضعيفاً، فلما جاء إلى سكينة قالت له: أعطوك ما أردت؟ قال: عرسه الطلاق، لو انه حمل قتباً على الجمل لما حمله، فكيف يحمل محملاً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة، عن نعيم بن سالم بن علي النصاري، عن سفيان بن حرب، قال: رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجمار، فسقطت من يدها الحصاة السابعة، فرمت بخاتمها مكانها.

وقال هارون بن الزيات: حدثني أبو حذافة السهمي قال: أخبرني غير واحد، منهم محمد بن طلحة: أن سكينة ناقلت بمالها بالزوراء، إلى قصر يقال له البريدي بلزق الجماء، فلما سال العقيق، خرجت ومعها جواريها تمشي، حتى جاءت السيل، فجلست على جوفه، ومالت برجليها في السيل، ثم قالت: هذا في است المغبون . والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء. قال : وكان البريدي قصراً لا غلة له، وإنما يتنزه فيه، وكانت غلة الزوراء غلة وارة عظيمة .

وقال هارون: وحدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه، وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين: أن سكينة بنت الحسين عليه السلام، خرجت بها سلعة في أسفل عينها، فكبرت حتى اخذت وجهها وعينها، وعظم شانها، وكان بدراقس منقطعاً إليها في خدمتها، فقالت له: ألا ترى ما قد وقعت فيه؟ فقال: لها أتصبرين على ما يمسك من الأ لم حتى أعالجك؟ قالت نعم. فاضجعها، وشق حلد وجهها حتى ظهرت السلعة، ثم كشط الجلد عنها أجمع، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة، وكان منها شيء تحت الحدقة، فرفع الحدقة عنه، حتى جعلها ناحية، ثم سل عروق السلعة من تحتها. فاخرجها أجمع، ورد العين إلى موضعها، وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئن، حتى فرغ مما أراد، فزال ذلك عنها، وبرئت منها، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخر عينها، فكان أحسن شيء في وجهها، وكان أحسن على وجهها من كل حلي وزينة، و لم يؤثر ذلك في نظرها، ولا في عينها.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المذيني، عن المدائني. وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن محمد بن سلام. وأخبرني به احمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عمر بن شبة موقوفاً عليه، قالوا: اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام، جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب، فمكثوا أياماً، ثم أذنت لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

هما دلتاني من ثمانين قامةً ... كما انحط باز أقتم الريش كاسره

فلما اتوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلت في أعجاز ليلٍ أبادره

أبادر بوابين قد وكلا بنا ... وأحمر من ساج تبض مسامره

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك؟ هلا سترتها وسترت نفسك ؟ خذ هذه الألف، والحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أبكم جرير؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام

تجرى السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام

لو كان عهدك كالذي حدثتنا ... لوصلت ذلك فكان غير رمام

إني أواصل من أردت وصاله ... بحبال لاصلف ولا لوام

قال: نعم. قالت أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها، وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف. خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم كثير؟ فقال: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

وأعجبني يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع

دونك حتى يطمع الطالب الصبا ودفعك أسباب الهوى حين يطمع

وقطعك أسباب الكريم ووصلك ال لئيم وخلات المكارم ترفع

فوالله ما يدري كريم مماطل أينساك إذا باعدت أم يتضرع

قال: نعم. قالت: ملحت وشكلت. خذ هذه الثلاثة الآلاف، والحق بأهلك.

ثم دخلت إى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم نصيب؟ قال: هأنذا. قالت:أأنت القائل:

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال: نعم. قالت: ربيتنا صغاراً، ومدحتنا كباراً. خذ هذه الأربعة الآ لا ف، والحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: يا جميل، مولاتي تقرئك السلام، وتقول لك: والله مازلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القرى إني إذا لسعيد

لكل حديثٍ بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآ لا ف الدينار، والحق باهلك أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الزبيري، قال: اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر. فحكموا سكينة بنت الحسن بن علي عليهما السلام، لما يعرفونه من عقلها وبصرهابالشعر، فخرجوا يتقادون ، حتى استأذنوا عليها، فاذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ألا قال: فادخلي بسلام! ثم قالت لراوية كثير: أليس صاحبك الذي يقول:

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرت

فليس شيء أقر لعينها من النكاح، أفيحب صاحبك أن ينكح؟ قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فو تركت عقلي معب ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوى، إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره! ثم قالت لراوية نصيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا حربا من ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همة إلا من يعشقها بعده! قبحه الله وقبح شعره! ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص: اليس صاحبك الذي يقول:

من عاشقين تواعدا وتراسلا ليلا إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال: نعم، قالت: قبحه الله وقبح شعره! ألا قال: تعانقا.

قال إسحاق في خبره: فلم تثن على أحد منهم في ذلك اليوم، و لم تقدمه.

قال: وذكر لي الهيثم بن عدي مثل ذلك في جميعهم إلا جميلاً، فإنه خالف هذه الرواية، وقال: فقالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فيا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى علي كلامها

قال: نعم. قالت: رحم الله صاحبك كان صادقاً في شعره، كان جميلاً كاسمه، فحكمت له.

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغان تذكرها هنا نسبتها.

فمنها:

هما دلتاني من ثمانين قامةً كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحي يرجى أم قتيل نحاذره

عروضه الطويل. الشعر للفرزدق، والغناء للحجي، رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش .

وأخبرني: ابو خليفة في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام عن يونس، وحدثنا به اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال: كان للفرزدق غلامان، يقال لأحدهما وقاع، وللآخر زنقطة.

قال: ولوقاع يقول الفرزدق:

تغلغل وقاع إليها فأقبلت تخوض خداريا من الليل أخضر

لطيف إذا ما انغل أدرك ما ابتغى إذا هو للظبي المروع تقترا

وله يقول أيضاً:

فأبلغهن وحي القول عني ... وأدخل رأسه تحت القرام
أسيد ذو خريطةٍ نهارا ... من المتلقطي قرد القمام
فقلن له نواعدك الثريا ... وذاك إليه مجتمع الرجام
ثلاث واثنتان فهن خمس ... وسادسة تميل مع السنام
خرجن إلي لم يطمثن قبلي ... فهن أصح من بيض النعام
فبتن بجانبي مصرعاتٍ ... وبت أفض أغلاق الختام

في هذه الأبيات الثلاثة لا بن جامع، خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي، وفيها هزج بنمان بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر حبش أن الهزج لفليح، وأن لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: قال الفرزدق وهو بالمدينة:

هما دلتاني من ثمانين قامةً ... كما انقض بازٍ أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأسباب لا بفطنوا بنا ... ووليت في أعجاز ليل أبادره
أبادر بوابين قد وكلا بنا ... وأحمر من ساجٍ تبص مسامره
وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت ... معلقة دوني عليها دساكره

قال: فانكرت ذلك قريش عليه، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها المعاوية، وأجله ثلاثة أيام، فقال:

يا مرو إن مطيتي محبوسة ... ترجو الحباء وربها لم ييأس
واتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ ... أخشى علي بها حباء النقرس
ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن ... نكداء مثل صحيفة المتلمس

وقال في ذلك:

وأخرجني وأجلني ثلاثاً ... كما وعدت لملكها ثمود

وذكر ذلك جرير في مناقضة إياه، فقال:

وشبهت نفسك أشقى ثمود ... فقالوا ضللت ولم تهتد

يعني تاجيل مروان له ثلاثاً. وقال فيه أيضاً جرير:

تدليت تزني من ثمانين قامةً ... وقصرت عن باع العلا والمكارم

وهما قصيدتان.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: انشدني أجود شعر قلته، فأنشده قوله:

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزف وانكرت من حدراء ما كنت تعرف

فقال له: زدني. فأنشده قوله:

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى الشمام

فقال له سليمان: ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة؛ أقررت بالزنا عندي وانا إمام، ولا بد لي من إقامة الحد عليك. قال: إن اخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل. قال: وما قال الله عز وجل؟ قال: قال " والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم ترأنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون مالا يفعلون" . فضحك سليمان، وقال: تلافيتها ودرأت عن نفسك، وأمر له بجائزة سنية، وخلع عليه.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ؛ عن أبي عبيدة، قال: نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب، فأنزلوه وأكرموه، وأحسنوا قراه، فلما كان في الليل دب إلى جارية منهم، فراودها عن نفسها، فصصاحت، فتبادر القوم إليها، فأخذوها من يده وأنبوه، فجعل يفكر واهتم، فقال له الرجل الذي نزل به: مالك؟ أتحب أن أزوجك من هذه الجارية. فقال لا، والله. ما ذلك بي، ولكني كأني يأبن المراغة قد بلغه هذا الخبر، فقال في:

وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

فقال له الرجل: لعله لا يفطن لهذا. فقال: عسى أن يكون ذلك. قال: فوالله ما لبثوا أن مر بهم راكب ينشد هذاالبيت، فسألوه عنه، فأنشدهم قصيدة لجرير بعيره بذلك الفعل، وفيها هذا البيت بعينه.

ومنها:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام

هيهات منزلنا بجو سويقةٍ ممن يحل بواطن الآجام

إقر السلام على سعاد وقل لها لوما ترد رسولنا بسلام

الشعر لجرير. والغناء لابن سريج: ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضاً و لم ينسبه إلى أحد، وأظنه من منحول يحيى. وذكره عمرو بن بانة أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة، وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيل أول في الثاني والثالث، وأنكر ذلك حبش ،

وقال:هو بالوسطى. قال علي بن يحيى: ومن الناس من ينسبه إلى سياط. وذكر حبش أن فيه للهذلي خفيف ثقيل بالبنصر، وللغريض ثاني ثقيل بالوسطى. ومنها :

من عاشقين تراسلا وتواعدا بلقاً إذا نجم الثريا حلقا

بعثا أمامهما مخافة رقبة رصداً فمزق عنهما ما مزقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهشامي.

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

وروى أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، عن أبي يعقوب الثقفي، عن عامرٍ الشعبي، وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن الفرزدق خرج حاجاً، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة، فدخل على سكينة بنت الحسين عليه السلام مسلماً، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

قال: والله لئن أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. قالت: أقيموه، فأخرج . ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها، فقالت: يافرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. صاحبك أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبركٍ والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

فقال: والله لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه. فأمرت به فأخرج؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث، وحولها مولدات كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن، فأعجب بها. فقالت: يافرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. فقالت: كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول:

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن لي عليك حقاً عظيماً. ضربت إليك من مكة أريد التسليم عليك، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إياي أن أسمعك ، وبي ما قد عيل معه صبري، وهذه المنايا تغدو

وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإن أنا من فمري أن أدرج في كفني، وأدفن في حر تلك الجارية، يعني الجارية التي أعجبته، فضحكت سكينة، وأمرت له بالجارية، فخرج بها آخذاً بريطتها، وأمرت الجواري أن يدفعن في أقفائهما، ثم قالت: يا فرزدق، أحسن صحبتها، فإني آثرتك بها على نفسي.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن العزيز الجوهري، قالا: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم: أنه لم يصل على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام إلا سكينة بن الحسين عليه اللام، فغنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إيه، فآذنوه بالجنازة، وذلك في أول النهار في حر شديد، فأرسل إليهم: لا تحدثوا حدثاً حتى أجيء فأصلي عليها، فوضع النعش في موضع المصلى على الجنائز، وجلسوا ينظرونه حتى جاءت الظهر، فأرسلوا إليه، فقال: لا تحدثوا فيها شيئاً حتى أجيء فجاءت العصر، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء، كل ذلك يرسلون إليه، فلا يأذن لهم حتى صليت العتمة و لم يجيء، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون، فقال علي بن الحسين عليه السلام: من أعان بطيب رحمه الله! قال: وإنما أراد خالد بن عبد الملك، فيما ظن قوم، أن تنتن. قال: فأتي بالمجامر، فوضعت حول النعش، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثماني، فأتى عطاراً كان يعرف عنده عوداً، فاشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أتى به، فسجر حول السرير، حتى أصبح وقد فرغ منه، فلما صليت الصبح أرسل إليهم: صلوا عليها وادفنوها. فصلى عليها شيبة بن نصاح .

وذكر يحيى بن الحسين في خبره: أن عبد الله بن حسن ه الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار.

وأنا الأخضر من يعرفني	أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجدا	يملأ الدلو إلى عقد الكرب
إنما عبد مناف جوهر	زين الجوهر عبد المطلب
كل قوم صبيغة من فضة	وبنو عبد مناف من ذهب
نحن قوم قد بنى الله لنا	شرفاً فوق بيوتات العرب
بنبي الله وابني عمه	وبعباس بن عبد المطلب

الشعر للفضل بن العباس اللهبي، والغناء لمعبد، ثقيل أول بالبنصر، في الأول والثاني والثالث. ولابن محرز في الأول والثاني خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر. وذكر يونس أن فيهما لمعبد ومالك وأبن محرز وابن مسجح وابن سريج خمسة ألحان. وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل، ولحن مالك خفيف رمل، ولحن معبد خفيف ثقيل، ولحن ابن محرز ثقيل أول. وذكر ابن المكي أن الثقيل الأول المالك. وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أن لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رمل. وذكر الهشامي أن فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد، ولأبي الحسن مولى سكينة، في الثالث والرابع، خفيف ثقيل . وذكر حبش أن لابن صاحب الوضوء الأول والثاني

ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن سريج ثقيل أول بالبنصر. وذكر حماد عن أبيه: أن لابن عائشة فيهما لحناً، ووافقه ابن المكي. وذكر أنه خفيف رمل. قال: وقيل إنه لدحمان . وذكر ابن خرداذبه أن الخليدة المكية في الرابع والثالث خفيف رمل، وفي الخامس والسادس والأول رمل، يقال إنه لإبراهيم، ويقال إنه لإسحاق. والخامس والسادس من هذه الأبيات، وإن كان شعر الفضل بن العباس اللهبي، فليس من القصيدة التي فيها:

وأنا الأخضر من يعرفني

لكن من قصيدة له أولها:

شاب رأسي ولداتي لم تشب　　بعد لهو وشباب ولعب

شيب المفرق مني وبدا　　في حفافي لحيتي مثل العطب

في هذين البيتين لهاشم ونفيلة خفيف رمل بالوسطى، والقصيدة التي فيها:

وأنا الأخضر من يعرفني　　أخضر الجلدة من نسل العرب

أولها قوله:

طرب الشيخ ولا حين طرب　　وتصابي وصبا الشيخ عجب

أخبار الفضل بن العباس اللهبي ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم. وكان شديد الأدمة. لذلك قال:

أنا الأخضر من يعرفني

وهو هاشمي الأبوين؛ وامه بنت العباس بن عبد المطلب.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه عبيد الله، عن ابن حبيب. وإنما أتاه السواد من قبل أمه: جدته ، وكانت حبشية.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم زوج عتبة إحدى بناته. فلما بعثه الله تعالى نبياً، أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها. فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أشهد من حضر أني قد كفرت بربك، وطلقت ابنتك. فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله. فبعث الله عز وجل عليه أسداً فافترسه .

أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن المعلى قال: حدثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة الثمالي، عن عكرمة قال: لما نزلت: " والنجم إذا هوى" ، قال عتبة للنبي صلى الله عليه وسلم: أنا أكفر

برب النجم إذا هوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أرسل عليه كلباً من كلابك. قال: فقال ابن عباس: فخرج إلى الشأم في ركب فيهم هبار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة، وهي مسبعة، نزلوا ليلاً، فافترشوا صفاً واحداً، فقال عتبة: أتريدون أن تجعلوني حجرة؟ لا، والله، لا أبيت إلا وسطكم. فبات وسطهم. قال هبار: فما أنبهني إلا السبع يشم رؤوسهم رجلاً رجلاً، حتى انتهى إليه، فأنشب أنيابه في صدغيه، فصاح: أي قوم قتلني دعوة محمد ، فأمسكوه، فلم يلبث أن مات في أيديهم.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: حدثنا علي بن إبراهيم قال: حدثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة، عن هشام بن عروة، عن أبيه مثله. إلا أنه قال: عتبة: أنا بريء من الذي"دنا فتدلى". قال: وقال هبار: فضغمه الأسد ضغمة، فالتقت أنيابه عليه.

نسخت من كتاب أبن النطاح عن العهيثم بن عدي. وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي في الكتاب الجوابات قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المائني، إلا أن رواية ابن النطاح أتم، واللفظ له، قال: مر الفضل اللبي بالأحوص وهوينشد، وقد اجتمع الناس عليه، فحسده، فقال له: يا أحوص إنك لشاعر، ولكنك لا تعرف الغريب، ولا تعرب. قال: لى، والله إني لأ بصر الناس بالغريب والإعراب، فأسألك ؟ قال: نعم قال:

ما ذات حبلٍ يراها الناس كلهم ... وسط الجحيم فلا تخفى على أحد

كل الحبال الناس من شعرٍ ... وحبلها وسط أهل النار من مسد

فقال له الفضل بن العباس:

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي ... ماذا أردت إلى حمالة الحطب؟

أذكرت بنت قروم سادةٍ نجبٍ ... كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

فانصرف عنه.

قال ابن النطاح: وحدثت أن الحزين الديلي مر بالفضل يوم جمعه، وعنده قوم ينشدهم، فقال له الحزين: أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة؟ فقال الفضل: ويلك يا حزين! أتتعرض لي، كأنك لا تعرفني. قال: بلى والله، إني لأعرفك،، ويعرفك معي كل من قرأ سورة"تبت يدا أبي لهب" . وقال يهجوه:

إذا ما كنت مفتخراً بجد ... فعرج هن أبي لهبٍ قليلا

فقد أخزى الإ له أباك دهرا ... وقلد عرسه حبلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل، وتكرم عن جوابه. وكان الحزين مغرى به وبهجائه.

حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا القاسم بن محمد الأنباري قال: حدثنا أبو عكرمة عامر بن عمران، قال: دخل الفرزدق المدينة، فنظر إلى الفضل بن العباس بن عتبة ينشد:

من ساجلني يساجل ما جدا ... يملأ الدلو إلى عقد الكرب

فقال الفرزدق: من المنشد؟ فاخبر به، فقال: ما يساجلك إلا من عض بظر أمه.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، قال: قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً إلى مكة وهو خليفة، فدخل عليه الفضل بن العباس بن عتبة، فشكا إليه كثرة العيال، وسأله فأعطاه مالاً وإبلاً ورقيقاً. فلما مات الوليد ولي سليمان فحج، فأتاه فسأله، فلم يعطه شيئاً، فقال:

يا صاحب العيس التي رحلت ... محبوسة لعشية النفر

امرر على قبر الوليد فقل له ... صلى الإ له عليك من قبر

يا واصل الرحم التي قطعت ... وأصابها الجفوات في الدهر

إني وجدت الخل بعدك كاذباً ... فبرئت من كذبٍ ومن غدر

ولقد مرر بنسوةٍ يند بنه ... بيض السواعد من بني فهر

تبكي لسيدها الأجل وما ... يبكين من نابٍ ولا بكر

يبكينه ويقلن: سيدنا ... ضاع الخلافة آخر الدهر

ماذا لقيت، جزيت صالحة ... من جفوة الإ خوان لو تدري

أخبرني وكيع بهذا الخبر، قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدثنا أو غسان قال: أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت، قال: كان الفضل بن العباس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه، فقال:

يا راكب العيس التي وقفت ... للنفر يوم صبيحة النحر

وذكر الأبيات. قال : وكان الوليد فرض له فريضة يعطاها كل سنة، فقال: يا أمير المؤمنين، بقي شارب الريح. قال: وما شارب الريح؟ قال: حماري، افرض له شيئاً. ففرض له خمسة دنانير، فأخذها و لم يكن يطعمه، فعمد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار، وعلقها في عنقه ، وجاء بها إلى القاضي، فأضحك منه الناس.

حدثنا اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني أبو الشكر مولى بن هاشم، كوفي ظريف، قال: كان الفضل بن العباس بخيلاً، فقدم علي بن عبد الله بن العباس حاجاً، فاتاه في منزله مسلماً عليه، فقال له: كيف أنت، وكيف حالك؟ قال: بخير، نحن في عافية. قال: فهل من حاجة؟ قال: لا والله، وإني لأشتهي هذا العنب، وقد أغلاه علينا هؤلاء العلوج. فغمز غلاماً له، فذهب فأتاه بسلة عظيمة من عنب، فجعل يغسل له عنقوداً عقوداً ويناوله، فكلما فعل ذلك قال: برتك رحم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه، قال: كان الفضل بن العباس بخيلاً، وكان ثقيل البدن، إذا أراد أن يمضي في حاجة استعار مركوباً، فطال ذلك عليه وعلى

أهل المدينة من فعله، فقال له بعض بني هاشم: انا أشتري لك حماراً تركبه، وتستغني عن العارية. ففعل، وبعث به إليه، فكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه، فتواصى الناس بالأ يعيره أحد سرجاً. فلما طال عليه ذلك، اشترى سرجاً بخمسة دراهم، وقال:

ولما رأيت المال مألف أهله وصان ذوي الأخطار أن يتبذلوا

رجعت إلى مالي فأعتبت بعضه فأعتبني إن يكذلك أفعل

ثم قال للذي اشترى له الحمار: إني لا أطيق علفه، فإما أن تبعث إلي علفه وإلا رددته. فكان يبعث إليه بعلف كل ليلة وشعير، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كل أحد يأنس به علفاً لحماره، فبعث به إليه، فيعلفه التبن دون الشعير، حتى هزل وعطب. فرفع الحزين الكناني إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة، وكتب في رأسها قصة حمار الفضل اللهبي، وذكر فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس، ويعلفه التبن، ويبيع الشعير، ويأخذ ثمنه، ويسأل أن ينصف منه. فضحك لما قرأ الرقعة، وقال: لئن كنت ما زحاً إني لأراك صادقاً. وأمر بتحويل حمار اللهبي إلى أصطبله، ليعلفه ويقضمه، فإذا أراد ركوبه دفع إليه.

أخبرني وكيع قال: حدثني محمد بن سعد الشامي، عن ابن عائشة، قال: كان الفضل اللهبي بغير سرج، فاستعار سرجا، فمطله الرجل، حتى خاف أن تفوته حاجته، فاشترى سرجاً ومضى لحاجته، وأنشأ يقول:

ولما رأيت المال مألف أهله

وذكر البيتين و لم يزد عليهما شيئاً.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: كان أبي عن إسحاق بن عيسى وهو والي البصرة، وعنده وجوه أهل البصرة، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر، فأفاضوا في ذكر بني هاشم، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم، فمن منشد شعراً ومتحدث حديثاً، وذاكر فضيلة من فضائل بن هاشم. فقال أبي: قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللهبي في بيت قاله، ثم أنشد قوله:

ما بات قوم كرام يدعون يدا إلا لقومي عليهم منة ويد

نحن السنام الذي طالت شظيته فما يخالطه الأدواء والعمد

فمن صلى صلاتنا، وذبح ذبيحتنا، عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بما هداه الله عز وجل إلى الإسلام به، ونحن قومه، فتلك منة لنا على الناس.

وفي هذين البتين غناء لابن محرز، هزج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة. وقوله وطالت شظيته، الشظية: الشظى ، قال دريد بن الصمة.

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا أمين القوى نهد طويل المقلد

والعمد: داء يصيب البعير من مؤخر سنامه إلى عجزه، فلا يلبثه أو يقتله .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران، قالا: أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، قال: قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، على عبد الملك بن مروان، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد، فقال الزيادي: والله ما أسمع شعراً، فلما كان العشي راح إليه الفضل، فوقف بين يديه، ثم قال: يا أمير المؤمنين:

أتيتك حالاً وابن عم عمةٍ ... ولم أك شعباً لاطه بك مشعب

فصل واشجات بيننا من قرابة ... ألا صلة الأرحام أبقى وأقرب

ولا تجعلني كامرىء ليس بينه ... وبينكم قربى ولا منتسب

أتحدب من دون العشيرة كلها ... فأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزيادي: هذا والله ياأمير المؤمنين، الشعر! فقال عبد الملك: النخس يكفيك البطيء . وجعل يضحك من استرسال الزيادي في يده ، وأحسن صلته.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني النوفلي قال: حدثني عمي قال: لما قدم الفضل اللهبي على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها.

فلما قدم الأحيحي على المهدي فمدحه، قال المهدي لم حضر: كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللهبي لما مدحه، فما أعلم هاشمياً مدحه غيره؟ فقيل له: أعطاه عشرة آلاف درهم. قال: فكم أعطاه الوليد؟ قالوا: مثل عطية أبيه فأمر للأحيحي بثلاثين ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أحمد بن معاوية، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي، قال: خرج علي بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبي إلى عبد الملك بن مروان بالام، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له، ومعه بغلة تجنب، فحدا حادي عبد الملك به، فقال:

يأيها البكر الذي أراكا ... عليك سهل الأرض في ممشاكا

ويلك هل تعلم من علاكا ... إن ابن مروان على ذراكا

خليفة الله الذي امتطاكا ... لم يعل بكراً مثل من علاكا

فعارضه الفضل اللهبي، فحدا بعلي بن عبد الله بن عباس، فقال:

يأييها السائل عن علي ... سألت عن بدر لنا بدري

أغلب في العلياء غالبي ... ولين الشمسة هاشمي

جاء على بكر له مهري

فنظر عبد الملك إلى علي فقال: أهذا مجنون آل أبي لهب؟ قال: نعم. فلما أعطى قريشاً مر به اسمه فحرمه، وقال: يعطيه علي. هكذا رواية عمر بن شبة.

وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفلي عن عمه: أن سليمان بن عبد الملك حج في خلافة الوليد، فجاء إلى زمزم فجلس عندها، ودخل الفضل اللهبي يستقي، فجعل يرتجز ويقول:

يأيها السائل عن علي ... سألت عن بدرٍ لنا بدري

مقدم في الخير أبطحي ... ولين الشيمة هاشمي

زمزمنا بوركت من ركي ... بوركت للساقي وللمسقي

فغضب سليمان، وهم بالفضل. فكفه عنه علي بن عبد الله، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، وسأله أن يشربه، فاخذه من يده كالمتعجب، ثم قال: نعم إنه يستحب، ووضعه في يده و لم يشربه. فلما ولي الخلافة وحج لقيه الفضل، فلم يعطه شيئاً.

نسخت من كتاب ابن النطاح، قال: ذكر أبو الحسن المدائني أن الحارث بن خالد المخزومي، كان يحسد الفضل اللهبي على شعره ويعاديه، لأن أبا لهب كان قامر جده العاصي بن هشام على ماله فقمره، ثم قامره على رقة فقمره ، فأسلمه قيناً، ثم بعث به بديلاً يوم بدر، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان إذا أنشد شيئاً من شعر ابن حمالة الحطب. فقال الفضل في ذلك:

ماذا تحاول من شتمي ومنقصتي ... ماذا تعير من حمالة الحطب

غراء سائلة في المجد غرتها ... كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

إنا وإن رسول الله جاءبنا ... شيخ عظيم شئون الرأس والنشب

يالعن الله قوماً أنت سيدهم ... في جلدة بين أصل الثيل والذنب

أبا لقيون توافيني تفاخرني ... وتدعي المجد قد أفرطت في الكذب

وفي ثلاثة رهطٍ أنت رابعهم ... توعدني واسطاً جرثومة العب

في أسرة من قريش هم دعائمها ... تشفي دماؤهم للخيل والكلب

أما أبوك فعبد لست تنكره ... وكان ما لكه جدي أبو لهب

النبع عيداننا والمجد شيمتنا ... لسنا كقومك من مرخ ولا غرب

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله بن محمد، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابي قال: كان رجل من بني كنانة يقال له عقرب حناط قد داين الفضل اللهبي فمطله، ثم مر به الفضل وهو يبيع حنطة له، ويقول:

جاءت بها ضابطة التجار صافيه كقطع الأوتار

فقال الفضل:

قد تجرت عقرب في سوقنا ياعجبا للعقرب التاجره

قد صافت العقرب واستقينت أن مالها دنيا ولا آخره

فإن تعد عادة لما ساءها وكانت النعل لها حاضره

إن عدوا كيده في إسته لغير ذي كيدٍ ولا نائره

كل عدو يتقى مقبلا وعقرب تخشى من الدابره

كأنها إذ خرجت هودج شدت قواه رفعة باكره

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة. ووجدته في بعض الكتب عن الرياشي عن زكويه العلائي عن ابن عائشة عن أبيه، والروايتان كالمتفقتين: أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان، فأدخل عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب، فقال له:

لا أنعم الله بقين عينا تحية السخط إذا التقينا

أأنت لا أم لك القائل:

نظرت إليها بالمحصب من منى ولي نظر لولا التحرج عارم

فقلت :أشمس أم مصابيح بيعةٍ بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيدة مهرى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

الغناء لابن سريج: رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة، ومن رواية حماد بن إسحاق عن أبيه. ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق: ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر ، أوله:

بعيدة مهوى القرط إما النوفل

وفي لحن معبد خاصة قوله:

ومد عليها السجف يوم لقيتها على عجلٍ تباعها والخوادم

وتمام الشعر:

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا عشية راحت كفها والمعاصم

معاصم لم تضرب على الهم بالضحى عصاها، ووجه لم تلحه السمائم

نرجع إلى سياقة الخبر: ثم قال له عبد الملك: قالتلك الله! ما ألأمك! أما كنت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك! فقال عمر: بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم، على شحط الدار، ونأي المزار. فقال له عبد الملك: أراك مرتدعاً عن ذلك؟ فقال: إني إلى الله تعالى تائب. فقال عبد الملك: إذن يتوب الله عليك، وسيحسن جائزتك.

ولكن أخبرني عن منازعتك اللهبي في المسجد الجامع، فقد أتاني نبأ ذلك، وكنت أحب أن سمعه منك. قال عمر: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالس في المسجد الحرام، في جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة، فسلم وجلس، ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

فأقبل علي وقال: يا أخا بني مخزوم، والله إن بلدة تبحبح بها عبد المطلب، وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقر بها بيت الله عز وجل، لحقيقة ألا تقشعر لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قول من يقول:

إنما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب

فأقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إن أشعر من صاحبك الذي يقول:

إن الدليل على الخيرات أجمعها أبناء مخزوم ، للخيرات مخزوم

فقال لي: أشعر والله من صاحبك الذي يقول:

جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها إذ أم هاشم لا أبناء مخزوم

فقلت في نفسي: غلبني والله. ثم حملني الطمع في انقطاعه علي، فخاطبته فقلت: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزومٍ الحريق إذا حركته تارة ترى ضرما

يخرج منه الشرار مع لهبٍ من حاد عن حره فقد سلما

فو الله ما تعلثم أن أقبل علي بوجهه فقال: يا أخا بني مخزوم، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشم بحر إذا سما وطما أحمد حر الحريق واضطرما

واعلم وخير المقال أصدقه بأن من رام هاشما هشما

قال: فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساخت بي، ثم تجلدت عليه فقلت: يا أخا بني هشام، أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما

نجود بالنيل قبل تسأله جوداً هنيئاً وتضرب البهما

فأقبل علي بأسرع من اللحظ ، ثم قال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشم شمس بالسعد مطلعها إذا بدت أخفت النجوم معا

اختار منها ربي النبي فمن قارعها بعد أحمدٍ قرعا

فاسودت الدنيا في عيني ، وديربي، وانقطعت، فلم أحر جواباً. ثم قلت له: يا أخا بني هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يسعنا مفاخرتك. فقال: كيف؟ لا أم لك، والله لو كان منك لفخرت به علي. فقلت: صدقت وأستغفر الله، إنه لموضع الفخار. وداخلني السرور لقطعه الكلام، ولئلا ينالني عوز عن إجابته فأفتضح. ثم إنه ابتأ بالمناقضة، فأفكر هنيهة، ثم قال: قد قلت فلم أجد بدا من الاستماع، فقلت: هات. فقال:

نحن الذين إذا سما لفخارهم ذو الفخر أقعده هناك القعدد

افخر بنا إن كنت يوماً فاخراً تلق الألى فخروا بفخرك أفردوا

قل يا بن مخزوم لكل مفاخرٍ منا المبارك ذو الرسالة أحمد

ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فحصرت واله وتبلدت، وقلت له: إن لك عندي جواباً فأنظرني. وأفكرت ملياً، ثم أنشأت أقول:

لا فخر إلا قد علاه محمد فإذا فخرت به فإني أشهد

أن قد فخرت وفقت كل مفاخرٍ وإليك في الشرف الرفيع المعمد

ولنا دعائم قد بناها أول في المكرمات جرى عليها المولد

من رامها حاشى النبي وأهله بالفخر غطمطه الخليج المزبد

دع ذا ورح لغناء خودٍ بضةٍ مما نطقت به وعنى معبد

مع فتية تندى بطون أكفهم جوداً إذا هر الزمان الأنكد

يتناولون سلافة عانيةً طابت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أجابني بجواب كان أشد علي من الشعر. قال لي: يا أخا بني مخزوم، أريك السها وتريني القمر-قال أبو عبد الله اليزيدي : أدلك على الأمر الغامض، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح. هذا مثل- أتخرج من المفاخرة إلى شرب الراح، وهي الخمر المحرمة؟ فقلت له: أما علمت أصلحك الله أن الله عز وجل يقول في الشعراء:"وأنهم يقولون مالا يفعلون" . فقال: صدقت، وقد استثنى الله قوماً منهم، فقال "إلا الذين آمنو وعملوا الصالحات" ، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر. فقلت: أصلحك الله، لا أجد للمستخذي شيئاً

أصلح من السكوت. فضحك وقال: أستغفر الله. وقام عني.

قال: فضحك بعبد الملك حتى استلقى، وقال يا بن أبي ربيعة، أما علمت أن لبني عبد مناف ألسنة ل تطاق، ارفع حوائجك. قال: فرفعتها فقضاها، وأحسن جائزتي وصرفني .

واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العباس .

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي ممن ذكرت صنعته في هذا الخبر منهم خليدة المكية، وهي مولاة لابن شماس، كانت هي وعقيلة وربيحة يعرفن بالشماسيات، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك.

فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه قال:

كانت لهشام بن عروة جفنية يصيب منها هو وبنوه ناحية ، وكان محمد بن هشام يصنع الطعام الرقيق، فيشير إليهم، فيمسكون عن الأكل، فيفطن هشام، فيقول: لقد حدث شيء، ثم يقوم محمد، فيتسلل القوم إله، وجاءت خليدة المكية، فصعدوا غرفة، فلما غنت إذا حفز ونفس، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد:

يا قدمي ألحقاني بالقوم لا تعداني كسلاً بعد اليوم

فلما رآهم، قال: أحسبه قد جلس معهم. وقال الخليدة: غني. فغنت. فقال لها: أكتبي في صدرك"قل هو الله أحد والمعوذتين" لا تصيبك العين.

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خرداذبه قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن الفضل بن الربيع قال: مارأيت ابن جامع يضرب لقناء كا يطرب لغناء خليدة المكية، وكانت سوداء، وفيها يقول الشاعر:

فتنت كاتب الأمير رياحا يا لقوم خليدة المكية

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه، قال: حدثني عمر بن شبة قال: بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه بخطبها عليه.

فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رقاق لا تسترها، ثم وثبت، فقالت: إنما ظننتك بعض سفهائك، ولكني أبس لك ثياب مثلك، ثم أخرج إليك. ففعلت. وقالت: قل. قال: أرسلني إليك مولاي، وهو من تعلمين بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين علي وعثمان، وهو ابن عم أمير المؤمنين، يخطبك. وقالت: قد نسبته فأبلغت، فاسمع نسبي أنا، بأبي أنت.

إن أبي بيع على غير عقد الإسلام ولا عهده، فعاش عبداً، ومات وفي رجله قيد، وفي عنقه سلسلة، وعلى الإباق والسرقة؛ وولدتني أمي على غير رشدة، وماتت وهي آبقة، فأنا من تعلم. فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً، أو زناً صراحاً، فهلم إليه، فنحن له. فقال: إنه لا يدخل في الحرام. قالت: ولا ينبغي أن يستحس من الحلال. فأما نكاح اسر فلا. والله لا فعلته، ولا كنت عاراً على القيان. قال: فاتيت محمداً فأخبرته، فقال: ويلك! أتزوجها معلنا

وعندي بنت طلحة بن عبيد الله! لا. ولكن ارجع إليها، فقل لها تختلف إلي أردد بصري فيها، لعلي أسلو. فرجعت فأبلغتها الرسالة، فضحكت، وقالت: اما هذا فنعم. لسنا نمنعه منه.

رب ليلٍ ناعم أحييته ... في عفاف عند قباء الحشى

ونهار قد لهونا بالتي ... لا نرى شبهاً لها فيمن مشى

لطلوع الشمس حتى آذنت ... بغروب عن إبان العشا

لسليمى ما دعت قمرية ... بهديل فوق غصن من غضى

وعقارٍ قهوة باكرتها ... في ندامى كمصابيح الدجى

وجواد سابح أقحمته ... حومة الموت على زرق القنا

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد، فيما ذكر الزبير بن بكار. وذكر أبو عمر الشيباني وخالد بن كلثوم: أنه لابنه خالد بن المحاجر. والغناء لابن محرز، ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق؛ وفيه لإبراهيم الموصلي لحنان، أحدهما هزج خفيف بالسبابة، في مجرى البنصر، عن إسحاق وابن المكي، والآخر رمل بالبنصر، عن عمرو وابن المكي والهشامي. وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر، عن ابن المكي. قال: وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر، نشيد ، ووافقه عمرو الهشامي، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز، والمعمول عليه الرواية الثانية.

أخبار المهاجر بن خالد ونسبه

وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وكان الوليد بن المغيرة سيداً من سادات قريش، وجواداً من جوادئها . وكان يلقب بالوحيد. وامه صخرةبنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس، امرأة من بجيلة، ثم من قسر. ولما مات الوليد بن المغيرة أرخت قريش بوفاته مدة، لإعظامها إياه، حتى كان عام الفيل، فهلوه تاريخاً. هكذا ذكر ابن دأب.

وأما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤملي، أنها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة، فأرخوا بها.

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والغناء في حروبه المحل المشهور، ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله، وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة. فقال: النبي صلى الله عليه وسلم لما رآهم: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها.

وشهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكان أول من دخلها في مهاجرة العرب من أسفل مكة، وشهد يوم مؤته. فلما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، ورأى الا طاقة للمسلمين بالقوم، انحاز بهم، وحامى عليهم حتى سلموا، فلقبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيف الله.

حدثنا بذلك أجمع الحرمي بن أبي العلاء والطوسي عن الزبير بن بكار.

وكان خالد يوم حنين في مقدمة رسول الله صلى اله عليه وسلم ومعه بنو سليم، فأصابته جراح كثيرة، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المشركين، فنفث على جراحه، فاندلت ونهض. وله آثار في قتال أهل الردة، في أيام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة، يطول ذكرها. وهو فتح الحيرة، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة، فكلمه خالد، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من ورائي. قال: وأين تريد؟ قال: أمامي. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل وامرأة.

قال: فأين أقصى أثرك؟ قال: منهى عمري. قال: أتعقل؟ قال: نعم، وأفيد. قال: ما هذه الحصون؟ قال: بنيناها نتقي بها السفيه حتى يردعه الحليم. قال: لأمر ما اختارك قومك، ما هذا في يدك؟ قال: سم ساعة. قال: وما تصنع به؟ قال: أردت أن أنظر ما تردني به: فإن بلغت ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم، وإلا شربته، فقتلت نفسي، و لم أرجع إلى قومي بما يكرهون. فقال له خالد: أرنيه. فناوله إياه. فقال خالد باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثم أكله، فتجللته غشية، ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه.

فرجع ابن بقيلة إلى قومه، فأخبرهم بذلك، وقال: ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين، وما لكم بهم طاقة، فصالحوعم هلى ما يريدون. ففعلوا.

أخبرني بذلك إبراهيم بن السري، عن يحيى التميمي، عن أبيه، عن شعيب بن سيف، وأخبرني به الحسن بن علي عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد، عن الواقدي.

وأمره أبو بكر على جنيع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، فرضوا به وبإمارته.

قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلق رأسه ذات يوم، فأخذ خالد شعره، فجعله في قلنسوة له، فكان لا يلقى جيشاً وهي عليه إلا هزمه.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، وحمل عنه. ورآه النبي صلى الله عليه وسلم متدلياً من هرشى فقال: نعم الرجل خالد بن الوليد.

أخبرنا بذلك الطوسي والحرمي قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك له.

قال الزبير: وحدثني محمد بن سلام، عن أبان بن عثمان قال: لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبره، يعني حلقت رأسها، ووضعت شعرها على قبره.
قال ابن سلام: وقال يونس النحوي: إن عمر رضي الله عنه قال حينئذ: دعوا نساء بني المغيرة يبكين أبا سليمان، ويرقن من دموعهن سجلا أو سجلين، ما لم يكن نقع أو لقلقة قال: والنقع: مد الصوت بالنحيب. واللقلقة: حركة اللسان بالولولة ونحوها.
قال الزبير، فيما ذكره لي من رويت عنه: حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أشبه الناس بخالد بن الوليد، فخرج عمر سحراً، فلقيه شيخ، فقال له: مرحباً بك يا أبا سليمان، فنظر إليه عمر، فإذا هو علقمة بن علاثة، فرد عليه السلام. فقال له علقمة: عزلك عمر بن الخطاب؟ فقال له عمر: نعم. قال: ما شبع، لا أشبع الله بطنه! قال له عمر: فما عندك؟ قال: ما عندي إلا السمع والطاعة.

فلما أصبح عمر دعا بخالد، وحضره علقمة بن علاثة، فأقبل على خالد، فقال له: ماذا قال لك علقمة؟ قال: ما قال لي شيئاً. قال: اصدقني. فحلف خالد بالله ما لقيه، ولا قال له شيئاً. فقال له علقمة: حلا أبا سليمان. فتبسم عمر، فعلم خالد أن علقمة قد غلط، فنظر إليه، وفطن علقمة، فقال له: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فاعف عني، عفا الله عنك. فضحك عمر وأخبره الخبر.
أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني، عن شيخ من أهل الحجاز، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد، وعن أبي ذئب ، عن أبي سهيل أو ابن سهيل: أن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنة، ورق جلده، ودق عظمه، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. فسكت وأضمرها، ودرس ابن أثال الطبيب إليه، فسقاه سماً فمات. وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة، وكان أسوأ الناس رأياً في عمه، لأن أباه المهاجر كان مع علي السلام بصفين، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه: هاشمي المذهب، ودخل مع بني هاشم الشعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه زق خمر، وصب بعضه على رأسه، وشنع عليه بأنه وجده ثملاً من الخمر، فضربه الحد. فلما قتل عمه عبد الرحمن مربه عروة بن الزبير، فقال له: يا خالد: أتدع ابن أثال ينقي أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مسبل إزارك، تجره وتخطر فيه متخايلاً؟ فحمي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر، وقال له: لا بد من قتل ابن أثال؛ وكان نافع جلداً شهماً.
فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يمسي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج. فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت، فإني أضربه، ولكن احفظ ظهري، واكفني من ورائي، فإن رابك شيء يريدني من ورائي فشأنك. فلما حاذاه وثب عليه فقتله، وثار إليه من كان

معه. فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملا عليهم، فتفرقوا، حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً، ففاتا القوم. وبلغ معاوية الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقبلوا الزقاق الذي دخل فيه. ففتش عليه، فأتي به. فقال: لا جزاك الله من زائر خيراً، قتلت طبيبي. قال: قتلت المأمور وبقي الآمر. فقال له: عليك لعنة الله لو كان تشهد مرة واحد لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا. قال: بلى والله ما اجترأت إلا به. ثم أمر بطلبه فوجد، فأتي به، فضربه مئة سوط. ولم يهج خالداً بشيء أكثر من أن حبسه، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال، اثني عشر ألف درهم. أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد، حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وأثبت الذي يدخل بيت المال.

وخالد بن المهاجر الذي يقول:

يا صاح يا ذا الضامر العنس ... والرحل ذي الأنساع والحلس

سير النهار ولست تاركه ... وتجد سيراً كلما تمسي

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده في شعر المهاجر، ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون، لحنان: ثقيل أول، وخفيف ثقيل. ذكر يونس أن أحدهما لمالك، ولم يذكر طريقة لحنه، ووجدته في جامع غناء معبد، عن الهشامي. ويحيى المكي له فيه خفيف ثقيل. وهكذا ذكر علي بن يحيى أيضاً، ولعله رواه عن ابن المكي. وإن كان هذا لمعبد صحيحاً، فلحن مالك هو الثقيل الأول. وذكر حبش، وهو ممن لا يحصل قوله: أن لحن معبد ثقيل أول بالوسطى.

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

خالد يحرض عروة بن الزبير على قتل بن جرموز قال: ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحبس:

إما خطاي تقاربت ... مشى المقيد في الحصار

فبما أمشي في الأبا ... طح يقتفي أثري إزاري

دع ذا ولكن هل ترى ... ناراً تشب بذي مرار

ما إن تشب لقرة ... للمصطلين ولا قتار

ما بال ليلك ليس ين ... قص طوله طول النهار

لتقاصر الأزمان أم ... غرض الأسير من الإسار؟

قال: فبلغت أبياته معاوية، فرق له وأطلقه. فرجع إلى مكة. فلما قدمها لقي عروة بن الزبير، فقال له: أما ابن

أثال فقد قتلته، وذاك ابن جرموز ينقي أوصال الزبير بالبصرة، فاقتله إن كنت ثائراً. فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسك عنه، ففعل.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن نعيم قال: حدثني إسحاق بن محمد قال: حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال: حدثني محمد بن الحارث بن يسخنر قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر:

يا صاح يا ذا الضامر العنس والرحل ذي الأقتاب والحلس

قال: وكانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: تأمر سيدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت علي مكان جائزتي، فهو أحب إلي منها؟ فقال له: يا عم، ألق هذا الصوت على محمد. فألقاه علي حتى إذا كدت أن أخذه قال: اذهب فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح لي بعد. قال: فاغد غداً علي. فغدوت عليه، فأعاده ملتوياً ، فقلت له: أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد؛ أنت ابن الخليفة، وأخو الخليفة، وعم الخليفة، تجود بالرغائب، وتبخل علي بصوت؟ فقال: ما أحمقك! إن المأمون لم يستبقني محبة لي، ولا صلة لرحمي، ولا ليرب المعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجرم ما لم يسمعه من غيره. قال: فاعلمت المأمون بمقالته. فقال: إنا لا نكدر على أبي إسحاق عفونا عنه، فدعه. فلما كانت أيام المعتصم نشط للصبوح يوماً، فقال: أحضروا عمي. فجاء في دراعة بغير طيلسان، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سراً، فقال: يا عم غنني: فغناه. فقال: ألقه على محمد، فقال: قد فعلت، وقد سبق مني قول الآ أعيده عليه. ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضر.

أقفر بعد الأحبة البلد فهو كان لم يكن به أحد

شجاك نؤي عفت معالمه وهامد في العراص ملتبد

أمك عنسية مهذبة طابت لها الأمهات والقصد

تدعى زهيرية إذا انتسبت حيث تلاقى الأنساب والعدد

الشعر لحمزة بن بيض، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لا بن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو وابن المكي.

أخبار حمزة بن بيض ونسبه

حمزة بن بيض الحنفي: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كوفي خليع ماجن، من فحول طبقته. وكان كالمنقطع إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، وبلال بن أبي بردة. واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً، و لم يدرك الدولة العباسية.

أخبرني عمي قال: حدثنا أبو هفان قال: أخبرني أبو محلم عن المفضل قال: أخذ حمزة بن بيض الحنفي بالشعر

ألف ألف درهم، من مال وحملان وثياب ورقيق غير ذلك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، قال: قدم حمزة بن بيض على بلال بن أبي برده، فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه: استأذن لحمزة بن بيض الحنفي، فدخل الغلام إلى بلال، فقال: حمزة لن بيض بالباب. وكان بلال كثير المزح معه، فقال: اخرج إليه فقل: حمزة بن بيض ابن من؟ فخرج الحاجب إليه، فقال له ذلك. فقال: ادخل فقل له: الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد، تسأله أن يهب لك طائراً، فأدخلك وناكك، ووهب لك طائراً . فشتمه الحاجب. فقال له: ما أنت وذا؟ بعثك برسالة، فأخبره بالجواب. فدخل الحاجب وهو مغضب، فلما رأه بلال ضحك، وقال: ما قال لك قبحه الله؟ قال: ما كنت لأخبر الأمير بما قال:. فقال: يا هذا، أنت رسول فأد الجواب. قال: فأبى. فأقسم عليه حتى أخبره. فضحك حتى فحص برجله، وقال: قل له: قد عرفنا العلامة فادخل، فدخل فأكرمه، ورفعه، وسمع مديحه، واحسن صلته. قال: وأراد بقوله"ابن بيض ابن من؟" قول الشاعر فيه:

أنت ابن بيض لعمري لست أنكره ... وقد صدقت، ولكن من أبو بيض؟

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبي عمرو، وأخبرني وكيع قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، قال: حدثني أبو الحسن الشيباني قال: حدثني شعيب بن صفوان، قال: قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت، فأنشده قوله فيه:

أتيناك في حاجة فاقضها ... وقل مرحبا يجب المرحب

ولا تكلنا إلى معشر ... متى يعدوا عدة يكذبوا

فإنك في الفرع من أسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب

وفي أدبٍ منهم ما نشأت ... ونعم لعمرك ما أدبوا

بلغت لعشر مضت من سني ... ك ما يبلغ السيد الأشيب

فهمك فيها جسام الأمور ... وهم لداتك أن يلعبوا

وجدت فقلت ألا سائل ... فيعطى ولا راغب يرغب

فمنك العطية للسائلين ... وممن ينوبك أن يطلبوا

فأمر له بمئة ألف درهم، فقبضها. قال وكيع في خبره: وسأله عن حوائجه، فأخبره بها، فقضى جميعها. وقال أيضاً في خبرة: فحسده الكميت. فقال له: يا حمزة، أنت كمهدي التمر إلى هجر، قال: نعم، ولكن تمرنا أطيب من تمر هجر.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: قال الجاحظ: أصاب حمزة بن بيض حصر ، فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القولنج، إذ ضرط رجل منهم، فقال حمزة: من هذا المنعم عليه؟ أخبرني

الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال: قال علي بن الصباح: حدثني هشام بن محمد، عن الشرقي، قال: زعم هشام بن عروة أن عبد الحمن بن عنبسة مر فإذا هو بغلام أصبح الغلمان وأحسنهم، و لم يكن لعبد الرحمن ولد، فسأل عنه، فقيل له: يتيم من اهل الشام، قدم أبوه العراق في بعث فقتل، وبقي الغلام هاهنا فضمه ابن عنبسة إليه، وتبناه. فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا، ومر يوماً على برذون ومعه خدم على ابن بيض،وحول ابن بيض عياله في يوم شات، وهم شعث غبر عراة، فقال ابن بيض: من هذا؟ فقيل: صدقة يتيم ابن عنبسة فقال:

يشعث صبياننا وما يتموا ... وانت صافي الأديم والحدقه

فليت صبياننا إذا يتموا ... يلقون ما قد لقيت يا صدقه

عوضك الله من أبيك ومن ... أمك في الشام بالعراق مقه

كفاك عبد الرحمن فقدهما ... فأنت في كسوة وفي نفقه

تظل في درمكٍ وفاكهة ... زولحم طير ماشئت أو مرقه

تأوي إلى حاضن وحاضنة ... زادا على والديك في الشفقه

فكل هينيئاً ما عاش ثم إذا ... مات فلغ في الدماء والسرقه

وخالف المسلمين قبلتهم ... وضل عنهم وخادن الفسقه

واشتر نهد التليل ذا خصلٍ ... لصوته في الصهيل صهصلقه

واقطع عليه الطريق تلف غدا ... رب دناني جمةٍ ورقه

فلما مات عبد الرحمن، اصابه ما قال ابن بيض أجمع: من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق، فأخذ وصلب.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني النوفلي عن أبيه. قال ابن عمار: واخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني أبي عن أبي شفيان الحميري قال: خرج حمزة بن بيض يرد سفراً، فاضطره الليل إلى قرية عامرة، كثيرة الأهل والمواشي، من الشاء والبقر، كثيرة الزرع، فلم يصنعوا به خيراً، فغدا عليهم، وقال:

لعن الإ له قرية يممتها ... فاضافني ليلاً إليها المغرب

الزارعين وليس لي زرع بها ... والحالبين وليس لي ما أحلب

فلعل ذاك الزرع يودي أهله ... ولعل ذاك الشاء يوماً يجرب

ولعل طاعوناً يصيب علوجها ... ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

قال: فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابها الطاعون، فأباد أهلها، وخرجت إلى اليوم، فمر بها ابن بيض، فقال: كلا، زعمت أني لا أعطى منيتي. قالوا: وأبيك لقد أعطيتها، فو كنت تمنيت الجنة كان خيراً لك. قال: أنا أعلم بنفسي، لا أتمنى ما لست له بأهل، ولكني أرجو رحمة ربي عز وجل.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي قال: قال ابن عائشة: خرج ابن بيض في سفر، فنزل بقوم، فلم يحسنوا ضيافته، وأتوه بخبز يابس، وأقوا لبغلته تبناً، فأعرض عنهم، وأقبل على بغلته، فقال:

أحسبيها ليلة أدلجتها ... فكلي إن شئت تبناً أو ذري

قد أتى ربك خبز يابس ... فتعزي معه واصطبري

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني، قال: قال حمزة بن بيض يوماً للفرزدق: أيما أحب إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال: لا أسبقه ولا يسبقني، ولكن نكون معاً. فأيما أحب إليك، وأن تدخل إلى بيتك، فتجدرجلاً قابضاً على حر امرأتك، أو تجد امرأتك قابضه على أيره؟ فقال: كلام لابد من جوابه، والبادي أظلم، بل أجدها قابضة على أيره، قد أغبته عن نفسها.

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايمي : قال ابن الأعرابي: وقع بين بين حنيفة بالكوفة، وبين بني تميم شر، حتى نشبت الحرب بينهم، فقال رجل لحمزة بن بيض: ألا تأتي هؤلاء القوم، فتدفعهم عن قومك، فإنك ذو بيان وعارضة؟ فقال:

ألا لا تلمني يا بن ماهان إنني ... أخاف على فخارتي أن تحطما

ولو أنني أبتاع في السوق مثلها ... وجدك ما باليت أن أتقدما

قال: وكان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هبيرة، فاستودع رجلاً نا سكاً ثلاثين ألف درهم، واسودع مثلها رجلاً نبيذياً، فأما الناسك فبنى بها داره، تزوج النساء، وأنفقها وجحده. واما النبيذي فأدى إليه الأمانة في ماله فقال حمزة بن بيض فيهما:

ألا لا يغرنك ذو سجدة ... يظل بها دائباً يخدع

كأن بجبتها جلبة يسبح طوراً ويسترجع

وما لتقى لزمت وجهه ... ولكن ليغتر مستودع

فلا تنفرن من أهل النبيذ ... وغن قيل يشرب لا يقلع

فعنك علم بما قد خبر ... ت إن كان علم بهم ينفع

ثلاثون ألفاً حواها السجود ... فليست إلى أهلها ترجع

بنى الدار من غيرما ماله وأصبح في بيته أربع

مهائر من غير مال حواه يقاتون أرزاقهم جوع

وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريا الصحاف، قال: حدثنا قعنب بن المحرز، قال: حدثنا أبو عبيدة والأصمعي، وكيسان بن المعروف، فذكروا نحو هذا الخبر، إلا أنه حكى أن حمزة بن بيض هو الذي استودع الرجلين المال، وقال:

وأدى أخو الكأس ما عنده وما كنت في ردها أطمع

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثني أحمد بن محمد ب عن ابن داجة، قال: اختصم أبو الجون السحيمي وحمزة بن بيض، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابي، وهو على اليمامة، فوثب عليه حمزة وقال:

غمضت في حاجة كانت تؤرقني لولا الذي قلت فيها قل تغميضي

فقال: وما الذي قلت لك؟ قال:

حلفت بالله لي أن سوف تنصفني فساغ في الحلق ربقي بعد تجريضي

قال :وأنا أحلف لأنصفك. قال:

سل هؤلاء إلى ماذا شهادتهم أم كيف أنت وأصحاب المعاريض

قال: أوجعهم ضرباً. فقال:

وسل سحيما إذا وافاك أجمعهم هل كان بالشر حوض قبل تحويضي

قال: فقضى له. فانشأ السحيمي يقول:

أنت ابن بيض لعمري لست انكره حقاً يقيناً، ولكن من أبو بيض؟

إن كنت أنبضت لي قوساً لنرميني فقد رميتك رمياً غير تنبيض

أو كنت خضخضت لي وطباً لتسقيني فقد سقيتك محضاً غير ممخوض

قال: فوجم حمزة وقطع به. فقيل له: ويلك! مالك لا تجيبه؟ قال: وبم أجيبه؟ والله لو قلت له: عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعني ذلك، بعد قوله: ولكن من أبو بيض؟ وأخبرني بهذا الخبر ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة بمثله. وقال فيه: إن المخاصم له أبو الحويرث السحيمي.

أخبرني محمد بن دريد قال: أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، قال: دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب السجن، فأنشده:

أغلق دون السماح والجود والنجدة باب حديده أشب

ابن ثلاث وأربعين مضت لا ضرع واهن ولا نكب
لا بطر إن تتابعت نعم وصابر في البلاء محتسب
برزت سبق الجواد في مهل وقصرت دون سعيك العرب

فقال: والله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوهت باسمي في غير وقت تنويه، ولا مترل لك، ثم رفع مقعداً تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف، فقال: خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك ذهباً غيره. فأخذه حمزة، وأراد أن يرده، فقال له سراً: خذه ولا تخدع عنه. فقال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه، قلت: والله ما هذا بدينار، فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً، فاردت أن أرده عليه، فاستحييت منه. فلما صرت إلى مترلي حللت الصرة، فإذا فص ياقوت أحمر، كأنه سقط زند، فقلت: والله لئن عرضت هذا بالعراق، ليعلمن أني أخذته من يزيد، فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألاً، فلما قبضت المال وصار الفص في يده، قال لي: والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف في قلبي جمرة، فلما رأى تغير وجهي قال: إني رجل تاجر، ولست أشك أني قد غممتك. قلت: إي والله قتلتني. فأخرج إلي مائة دينار، فقال: أنفق هذه في طريقك، لتتوفر عليك تلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي: دخل حمزة بن بيض على يزيد عن المهلب، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه:

أصبح في قيدك السماحة والحامل للمعضلات والحسب
لا بطر إن تتابعت نعم وصابر في اللاء محتسب

فقال له: ويحك أتمدحني على هذه الحال؟ قال: نعم، لئن كنت هكذا لطالما أثبت على الثناء، فأحسنت الثواب والرفد، فهل بأس أن نسلفك الآن. قال: أما إذا جعلته سلفاً فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك. وأمر غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال: قاتله الله! يعطي في الباطل، ويمنع الحق، يعطي الشعراء، ويمنع الأمراء.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الأول بن مزيد، قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: أخبرني مخلد بن حمزة بن بيض قال: قدم أبي على يزيد المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك، فأدخله إليه، فانشده:

ساس الخلافة والداك كلاهما من بين سخطة ساخط او طائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا وعلى جبينك نور ملك الرابع
سريت خوف بني المهلب بعدما نظروا إليك بسم موتٍ ناقع

ليس الذي ولاك ربك منهم عند الإله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفاً.

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن عمرو قال: حدثني جعفر بن محمد العاصمي قال: حدثني عيينة بن المنهال قال: حدثني الهيثم بن عدي قال: حدثني أبوعو يعقوب الثقفي قال: قال لي حمزة بن بيض: لما وفد الكميت بن زيد إلى مخلد بن يزيد بن المهلب وهو يخلف أباه على خراسان، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة، وقد مدحه بقصيدته التي أولها:

هلا سألت معالم الأطلال

وهي التي يقول فيها:

يمشين مشي قطا البطاح تأودا قب البطون رواجح الكفال

وقصيدته التي يقول فيها:

هلا سألت منازلا بالأبرق

أعطاه مئة ألف درهم، سوى العروض والحملان، فقدم الكوفة في هيئة لم ير ميلها، فقلت في نفسي: والله لأنا أولى من الكميت بما ناله من مخلد بن يزيد، وإني لحليفه وناصره في العصبية على الكميت، وعلى مضر جميعاً. فهيأت لمخلد مديحاً على روي قصيدتي الكميت وقافيتيهما، ثم شخصت إليه، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضر في البدو، فقالوا: إنك تأتي مخلداً وهو فتى العرب، ونحن نعلم أنك لا تؤثر على نفسك، ولكن إذا فرغ من أمرك، فاعلمه ممشانا إليك، وسمأتنا إياك كلامه، فنرجو أن تكون عند ظننا. فلما قدمت على مخلد خراسان أنزلني، وفرش لي، وأخدمني، وحملني، وكساني، وخلطني بنفسه، فكنت أسمر معه، فقال ليلة: أعليك دين يابن بيض؟ قلت: دعني من مسئلتك إياي عن الدين، إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها، وإلا لم أدخل الكوفة، ولم أعير بتقصيرك بي عنه. فضحك، ثم قال لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكميت. فأمر لي بمئة ألف درهم، كما أعطي الكميت، وزادني عليه، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به، فلما فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكرة بحاجة القوم في الديات، فلما جلس أنشدته:

أتيناك في حاجة فاقضها وقل مرحباً يجب المرحب

ولا تكلنا إلى معشر متى بعدوا عدة يكذبوا

فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب

وفي أدب منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا

لغت لعشرٍ مصت من سني ك ما يبلغ السيد الأشيب

فهمك فيها جسام الأمور وهم لذاتك أن يلعبوا

فقال:مرحباً بك وبحاجتك، فما هي؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، وقلت: حمالات في ديات. فتبسم، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم. فقلت: أو غير ذلك أيها الأمير؟ قال: وما هو؟ قلت: أدل على قبر المهلب، حتى أشكو إليهقطيعة ولده. فتبسم، ثم قال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت، وقلت: بل أدل على قبر المهلب، فقال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها ويزيدني عشرة آلاف، حتى بلغت سبعين ألفاً. فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي، فقلت: وصلك الله أيها الأمير، وآجرك، وأحسن جزاءك. فقال مخلد: أما والله لو أقمت على كلامك، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني النضر بن شميل، قال: دخلت على امير المؤمنين المأمون بمرو وعلي أطمار متر عبلة ؛ فقال لي: يا نضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق، فقال: لا. ولكنك رجل متقشف. فتجارينا الحديث، فقال المأمون: حدثني هشيم بن بشير ، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز. هكذا قال: سداد بالفتح.

فقلت: صدق، يا أمير المؤمنين. حدثني عوف الأعرابي عن الحسن، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها، كان في سداد من عوز وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً، وقال: السداد لحن يا نضر عندك؟ قلت نعم: هاهنا يا امير المؤمنين؛ وإنما هشيم لحن، وكان لحانة، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السداد: القصد في الدين والطريقة والسبل. ةالسداد: البلغة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد. وقد قال العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

قال: فأطرق المامون ملياً، ثم قال: قبح الله من لا أدب له! ثم قال: أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب. قال: قلت: قول حمزة بن بيض يا امير المؤمنين:

تقول لي والعيون هاجعة: أقم علينا يوماً، فلم أقم

قالت: فأي الوجوه؟ قلت لها: لأي وجه إلا إلى الحكم؟

متى يقل حاجباً سرادقه: هذا ابن بيض بالباب، يبتسم

قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً فهات إذ حل أعطني سلمي

فقال المأمون: لله درك، كأنما شق لك عن قلبي! فأنشدني أنصف بيت للعرب. قال: قلت: قول أبي عروبة المدني :

إني وإن كان ابن عمي عاتبا لمزاحم من خلفه ووراءه

ومفيده نصري وإن كنت أمرأ متزحزحا عن أرضه وسمائه
وأكون والي سره وأصونه حتى يحين علي وقت أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه قرنت صحيحتنا إلى جربائه
وإذا دعا باسمي ليركب مركبا صعبا قعدت له على سيسائه
وإذا أتى من وجهه بطريفةٍ لم أطلع مما ورراء خبائه
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقلك يا ليت أن علي حسن ردائه

فقال: احسنت يا نضر؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب. فأنشدته قول ابن عبدلٍ الأسدي:

إني امرؤ لم أزل، وذاك من الل ه قديما، أعلم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بي الدا ر وإن كنت مازحا طربا
لا أجتوي خلة الصديق ولا أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من الرزق بنفسي وأجمل الطلبا
وأحلب الثرة الصفي ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا
إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنيعة رغبا

و العبد لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار الموقع السوء لا يحسن مشيا إلا إذا ضربا
قد يرزق الخافض المقيم وما شد بعيس رحلاً ولا قتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والر حل ومن لا يزال مغتربا
ولم أجد عدة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسبا

فقال: أحسنت يا نضر! وكتب لي إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفاً، وأمر خادماً بإيصال رقعة، وتنجيز ما أمر به لي، فمضيت معه إليه، فلما قرأ التوقيع ضحك، وقال لي: يا نضر، أنت الملحن لأمير المؤمنين؟ قلت: لا، بل لهشيم. قال: فذاك إذن، وأطلق لي الخمسين ألف درهم، وأمر لي بثلاثين ألفاً.

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: حدثنا حماد عن أبيه قال: بلغني أن حمزة بن بيض الحنفي كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان عبد الملك يعبث به عبثاً شديداً، فوجه إليه ليلة برسول، وقال: خذه على أي حال وجدته عليها، ولا تدعه يغيرها، وحلفه على ذلك، وغلظ الأيمان عليه. فمضى الرسول، فهجم عليه، فوجده يريد أن

يدخل الخلاء، فقال: أجب الأمير. فقال: ويحك، إني أكلت طعاماً كثيراً، وشربت نبيذا حلواً، وقد أخذني بطني. قال: والله لا تفارقني أو امضي بك إليه، ولو سلحت في ثيابك. فجهد في الخلاص، فلم يقدر عليه، فمضى به إلى عبد الملك، فوجده قاعداً في طارمة له، وجارية جميلة كان يتحظاها جالسة بين يديه، تسجر الن في طارمنه، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه.

قال: فعرضت لي ريح، فقلت: أسرحها واستريح، فلعل ريحها لا يتبين مع هذا البخور، فأطلقتها، فغلبت والله ريح الند وغمرته، فقال: ما هذا ياحمزة! قلت: علي عهد الله وميثاقه، وعلي المشي والهدي إن كنت فعلتها. وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة. فغضب واحتفظ وخجلت الجارية، فما قدرت على الكلام، ثم جاءتني أخرى فسرحتها، وسطع واله ريحها. فقال: ما هذا ويلك! أنت والله الآفة. فقلت: امرأتي فلانة طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها. قال: وهذه اليمين لا زمة لي إن كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، فقال: ويلك ما قصتك؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حساً، فزاد خجلها وأطرقت. وطمعت فيها، فسرحت الثالثة، وسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب، فغضب عبد الملك، حتى كاد يخرج من جله، ثم قال:خذ يا حمزة بيد الزانية، فقد وهبتها لك وامض فقد نغصت علي ليلتي.

فأخذ والله بيدها، وخرجت، فلقيني خادم له، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قلت أمضي بهذه قال: لا تفعل، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضاً لا تنتفع به بعدها أبداً، وهذه مئة دينار، فخذها ودع الجارية فإنه يتحظاها، وسندم على هبته إياها لك. قلت: والله لا نقصتك من خمس مئة دينار. فلم يزل يزايدني حتى بلغ مئتي دينار، و لم تطب نفسي أن أضيعها، فقلت: هاتها، فأعطانيها، وأخذها الخادم.

فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك، فلما قربت من داره لقيني الخادم، فقال: هل لك في مئة دينار وتقول ما لا يضرك، ولعله أن ينفعك؟ قلت: وما ذاك؟ قال: إذا دخلت إليه اعيت عنده الثلاث الفسوات، ونسبتها إلى نفسك، وتنفح عن الجارية ما قرفتها به. قلت: هاتها. فدفعها إلي، ودخلت على عبد الملك، فلما وقفت بين يديه قلت: ألي الأمان حتى اخبرك بخبر يسرك، وتضحك منه؟ قال: لك الأمان. قلت: أرأيت ليلة حضوري وما جرى؟ قال: نعم. فقلت: فعلي وعلي إن كان فسا تلك الفسوات غيري. فضحك حتى سقط على قفاه،. ثم قال: ويلك! فلم لم تخبرني؟ قلت: أردت بذلك خصالاً، منها أن قمت فقضيت حاجتي، وقد كان رسولك منعني منها، ومنها أني أخذت جاريتك، ومنها أن كا فأتك على أذاك لي بمثله. فقال: فأين الجارية؟ قلت: ما برحت من دارك ولا خرجت حتى سلمتها إى فلان الخادم، وأخذت مائتي دينار. فسر بذلك، وأمر لي بمئتي دينار أخرى، وقال: هذه لجميل فعلك بي، وتركك أخذ الجارية.

قال حمزة بن بيض: ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم ير الناس أنتن إبطاً منه، فقال لي: يا حمزة، سأبق غلامي حتى يفوح صنانكما، فأيكما كان صنانته أنتن، فله مئة دينار. فطمعت في المائة، ويئست منها لما أعلمه من نتن

إبط الغلام، فقلت: افعل . وتعادينا، فسبقني، فسلحت في يدي، ثم لطخت إبطي بالسلاح، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكماً يخبره بالقصة، فلما دنا الغلام منه فشمه، وثب، وقال هذا والله لا يساجله شيء .

فصحت به: لا تعجل بالحكم، مكانك. ثم دنوت منه، فألقمت أنفه إلطي حتى علمت أن قد خالط دماغه، وأنا ممسك رأسه تحت يدي. فصاح: الموت والله! هذا بالكنف أشبه منه بالآبط! فضحك عبد الملك، ثم قال: أفحكمت له؟ قال: نعم. فأخذت الدنانير.

أخبرني عمي قال: حدثني جعفر العاصمي قال: حدثنا عيينة بن المنهال، عن اليثم بن عدي، عن أبي يعقوب الثقفي، قال: قال حمزة بن بيض: دخلت يوماً على مخلد بن يزيد، فقلت:

أن المشارق والمغارب كلها ... تجبى وأنت أميرها وإمامها

فضحك ثم قال: مه؟ فقلت:

أعفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ ... في ساعة ما كنت قبل أنامها

قال: ثم ماذا كان؟ قلت:

فرأيت أنك جدت لي بوصيفة ... موسومة حسنٍ علي قيامها

قال: قد فعلت. فقلت:

ويبدرة حملت إلي وبغلة ... سفواء ناجية يصل لجامها

قال: حقق الله رؤياك. ثم أمر لي بذلك كله، وما علم الله أني رأيت من ذلك شيئاً.

قال مؤلف هذا الكتاب: وقد روي هذا الخبر بعينه لا بن عبدلٍ الأسدي، وذكرته في أخباره.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا عمار بن عيقيل بن بلال بن جرير، قال: حج حمزة بن بيض الحنفي، فقال له ابن عم له: أحجج بي معك. فأخرجه معه، فحوقل عليه بعد نشاكه فقال ابن بيض فيه:

وذي سنةٍ لم يدر ما السير قبلها ... ولم يعنف خرقا من الأرض مجهلا

ولم يدر ما حل الحبال وعقدها ... إذ البرد لن تبرك لكفيه معملا

ولم يقر مأجوراً ولا حج حجة ... فيضرب سهماً أو بصاحب مكتلا

غدونا به كالبعل ينفض رأسه ... نشاطاً بناء الخبر حتى تفتلا

ترى المحمل المحسور ناء عرامه ... وباباً إذا أمسى من الشر مقفلا

وإن قلت ليلا: أين أنت لحاجةٍ ... أجاب بأن لبيك عشراً وأقبلا

يسوق مطي القوم طوراً وتارة ... يقود وإن شئنا حداً ثم جلجلا

فأجلته خمساً وقلت له: انتظر ... رويداً؛ وأجلنا المطي ليدبلا
فلما صدرنا عن زبالة وارتمت ... بنا العيس منها مقلا ثم منقلا
ترامت به المومأة حتى كانما ... يسف بمعسول الخزيرة حنظلا
وحتى نبا على مزود القوم ضرسه ... وعادى من الجهد الثريد المرعبلا
وحتى لو ان الليث ليث خفية ... يحاوله عن نفسه ما تحلحلا
وحتى لو ان الله أعطاه سؤله ... وقبل له: ما تشتهي؟ قال: محملا
فقلت له لما رأيت الذي به ... وقد خفت أن ينضى لدينا ويهزلا
أطعني وكل شيئاً، فقال معذرا ... من الجهد، أطعمني تراباً وجندلا
فللموت خير منك جاراً وصاحبا ... فدعني فلا لبيك ثم تجدلا
وقال: اقلني عثرتي وارع حرمتي ... وقد فر مني مرتين ليقفلا
فقلت له: لا والذي أنا أعبدها ... قبلك حتى تمسح الركن أو لا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، قال: حدثني أبو عمر العمري، قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب، فوعده أن يصنع به خيراً، ثم شغل عنه، فاختلف إليه مراراً، قلم يصل إليه، وأبطأت عليه عدته، فقال ابن بيض:

أمخلد إن الله ما شاء يصنع ... يجود فيعطي من يشاء ويمنع
وإني قد أملت منك سحابة ... فحالت سراباً فوق بيداء تلمع
فأجمعت صرماً ثم قلت: لعله ... يثوب إلى أمر جميل فيرجع

فأيأسني من خير مخلد أنه ... على كل حال ليس لي فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه ... من البغض والشنأن أمسى يقطع
ويبخل بالمعروف عمن يوده ... فو الله ما أدري به كيف أصنع؟
أأرمه فالصرم شر مغبة ... ونفسي إليه بالوصال تطلع
وشتان بيني في الوصال وبينه ... على كل حال أستقيم ويظلع
وقد كان دهراً واصلاً لي مودةً ... ويمنعني من صرف دهري أضرع

وأعقبني صرماً على غير إحنة ... ويخلا وقدما كان لي يتبرع

وغيره ما غير الناس قبله ... فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس وختمه، وبعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام: من صاحب الكتاب؟ قال: لا أعرفه. فادخل إليه الرجل، فقال: من أعطاك هذا الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال: لا أدري، ولكن من صفته كذا وكذا، ووصف ابن بيض، فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه، وأمر له بخمس مئة درهم، وكساه، وقال: إنما ضربناك أدباً لك، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه، لمن لا تعرف، فإياك أن تعود لمثلها. قال الرجل: لا والله، أصلحك الله، لا أحمل كتاباً لم أعرف، ولا لمن لا أعرف. قال له مخلد: احذر، فليس كل أحد يصنع بك صنيعي؛ وبعث إلى ابن بيض، فقال له: أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال: لا فحدثه مخلد بقصته، فقال ابن بيض: والله، أصلحك الله، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوطاً مع الخمس مائة أبداً. فضحك مخلد، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخمسة أثواب، وقال: وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخواتك أبداً. قال: أجل والله، ولكن من لي بمثلك يعتبني إذا استعتبة، ويفعل بي مثل فعلك؟ ثم قال:

وأبيض بهلول إذا جئت داره ... كفاني وأعطاني الذي جئت أسأل

ويعتبني يوماً إذا كنت عاتبا ... وإن قلت، زدني: قال: حقا سأفعل

رتاه إذا ما جئة تطلب الندى ... كأنك تعطيه الذي جئت تسأل

فا لله أبناء المهلب فتيةً ... إذا لقحت حرب هوان تأكل

هم يصطلون الحرب والموت كانع ... بسمر القنا و المشرفية من عل

ترى الموت تحت الخافقات أمامهم ... إذا وردوا علو الرماح وأنهلوا

يجودون حتى يحسب الناس أنهم ... لجودهم نذر عليهم يحلل

غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سمام لأقوام ذعاف يثمل

وفى لي أبناء المهلب إنهم ... إذا سئلوا المعروف لم يتسعلوا

فذلك ميراث المهلب إنه ... كريم نماه للمكارم أول

جرى وجرت أباؤه فتحرزوا ... عن الذم في عبطاء لا تتوقل

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات، أمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وقال: نزيدك ما زدتنا، ونضعف لك. فقال:

أمخلد لم تترك لنفسي بغيةً ... وزدت على ماكنت أرجو وآمل

فكنت كما قد قال معن فإنه بصير بما قد قال إذ يتمثل
وجدت كثير المال إذ ضن معدماً يذم ويلحاه الصديق المؤمل
وإن أحق الناس بالجود من رأى أباه جواداً للمكارم يجزل
ترب الذي قد كان قدم والد أغر إذا ما جئته يتهلل
وجدت يزيداً والمهلب برزا فقلت: فإني مثل ذلك أفعل
ففزت كما فازا وجاوزت غاية يقصر عنها السابق المتمهل
فأنت غياث لليتامى وعمة إليك جمال الطالبي الخير ترحل
أصاب الذي رجى نداك مخيلةً تصب عز اليها عليه وتهطل
ولم تلف إذ رجوا نوالك باخلا تضن على المعروف والمال يعقل
وموت الفتى خير له من حياته إذا كان ذا مال يضن ويبخلف

قال له مخلد: احتكم. فأعطاه عشرة آلاف دينار وجارية وغلاماً وبرذوناً.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، قال:

كان حمزة بن بيض شارعاً ظريفاً، فشاتم حماد بن الزبرقان، وكان من ظرفاء أهل الكوفة، وكلاهما صاحب

فعجل له بلال صلته، وسرحه إلى الكوفة.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثنا أبو المعارك الضبي قال: حدثني أبو مسكين قال: دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

رأيتك في المنام شننت خزا ... علي بنفسجاً وقضيت ديني

فصدق يا فدتك النفس رؤيا ... رأتها في المنام لديك عيني

فقال سليمان: يا غلام أدخله خزانة الكسوة، واشنن عليه كل ثوب خز بنفسجي فيها: فخرج كأنه مشجب . ثم قال له: كم دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها.

من سره ضرب يرعبل بعضه ... بعضاً كمعمعة الأباء المحرق

فليأت مأسدة تسن سيوفها ... بين المذاد وبين جزع الخندق

ويروي: يمعمع بعضه بعضاً. والمعمعة: وتسن: اختلاف الأصوات وسدة زجلها. والمأسدة: الموضع الذي تجتمع فيه الأسد. وتسن: تحد. يقال: سيف مسنون. والمذاد: موضع بالمدينة. والخندق: يعني به الخندق الذي احتفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حول المدينة. والشعر لكعب بن مالك الأنصاري. والغناء لابن محرز: خفيف رمل، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، عن إسحاق وعمرو.

أخبار كعب بن مالك الأنصاري ونسبه

هو كعب بن مالك بن أبي كعب. واسم أبي كعب: عمرو بن القين بن كعب بن سواد. وقيل: القين بن سواد "هكذا قال ابن الكلبي" بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث.

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعدودين، وهو بدري عقبي. وأبوه مالك بن أبي كعب بن القين شارع، وله في حروب الأوس والخزرج، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر. وعمه قيس بن أبي كعب شهد بدراً، وهو شارع أيضاً، وهو الذي حالف جهينة على الأوس. وخبره في ذلك يذكر في موضعه، يعد أخبار كعب وأبيه.

ولكعب بن مالك أصل عريق ، وفرع طويل في الشعر: ابنه عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شارع ، والزبير بين خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطاب شارع، ومعن بن وهب بن كعب شارع، وكلهم مجيد مقدم.

وعمر كعب بن مالك، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً، وكل بني كعي بن مالك قد روى عنه الحديث.

فما رواه ابن ابنه بشير عن أبيه عنه: حدثني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أحمد بن

عبد الملك قال: حدثنا عتاب بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهري قال: كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه: أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده، لكأنما تنضحونهم بالنبل بما تقولون من الشعر.

ومما رواه عنه ابنه عبد الله: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال: حدثنا عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى، عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن مسلم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن ابيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي المغرب، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يبصرون مواقع النبل حين يرمون.

ومما رواه ابنه محمد: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا محمد بن سابق قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن محمد بن كعب، عن أبيه، أنه حدثه: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق، فنادى: إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام منى أيام أكل وشرب.

ويقال: كان كعب بن مالك عثمانياً، وهو أحد من قعد عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم يشهد معه حروبه، وخاطبه في أمر عثمان وقتلته خطاباً نذكره بعد هذا في أخباره، ثم اعتزله. وله مراث في عثمان بن عف6ان رحمه الله، وتحريض لأنصار على نصرته قبل قتله، وتأنيب لهم على خدلانه بعد ذلك، منها قوله:

فلو حلتم من دونه لم يزل لكم ... يد الدهر عز لا يبوخ ولا يسري
ولم تقعدوا والدار كاب دخانها ... يحرق فيها بالسعير وبالجمر
فلم أر يوماً كان أكثر ضيعةً ... وأقرب منه للغوابة والنكر

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان كعب بن مالك الأنصاري أحد من عاون عثمان على المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم انصرف، و لم ير أن الأمر يخلص إليه، ولا يجري القوم إلى قتله؛ فلما قتل وقف كعب نب مالك على مجلس الأنصار، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشدهم:

من مبلغ الأنصار عني آيةً ... رسلا تقص عليهم التبيانا
أن قد فعلتم فعلة مذكورة ... كست الفضوح وأبدت الشانأنا
بقعودكم في دوركم وأميركم ... تخشى ضواحي داره النيرانا
بينا يرجي دفعكم عن داره ... ملثت حريقاً كابيا ودخانا
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا
يعلون قلته السيوف وأنتم ... متلبثون مكانكم رضوانا

الله يعلم أنني لم أرضه لكم صنيعاً يوم ذاك وشانا

يا لهف نفسي إذ يقول: ألا أرى نفراً من الأنصار لي أعوانا

والله لو شهد ابن قيس ثابت ومعاشر كانوا له إخوانا

يعني ثابت بن قيس بن شماس.

وأبو دجانة وابن أرقم ثابت وأخو المشاهد من بني عجلانا

أبو دجانة: سماك بن خرشة. وابن أرقم: ثابت البلوي. وأخو المشاهد من بني عجلان: معن بن عدي، عقبي.

ورفاعة العمري وابن معاذهم وأخو معاوي لم يخف خذلانا

رفاعة: ابن عبد المنذر العمري. وابن معاذ: سعد بن معاذ. وأخو معاوية: المنذر بن عمرو الساعدي، عقبى بدري.

قوم يرون الحق نصر أميرهم ويرون طاعة أمره إيمانا

إن يتركوا فوضى يروا في دينهم أمراً يضيق عنهم البلدانا

فليعلين الله كعب وليه وليجعلن عدوه الدلانا

إني رأيت محمدا إختاره صهراً وكان يعده خلصانا

محض الضرائب ماجداً أعرقه من خير خندق منصباً وكانا

عرفت له عليا معد كلها بعد النبي الملك والسلطانا

من معشر لا يغدرون بجارهم كانوا بمكة يرتعون زمانا

يعطون سائلهم يأمن جارهم فيهم ويردون الكماة طعانا

فلو انكم مع نصركم لنبكم يوم اللقاء نصرتم عثمانا!

أنسبتم عهد النبي إليكم ولقد ألظ ووكد الأيمانا

قال: فجعل القوم يبكون، وستغفرون الله عز وجل.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عامر، عن ابن جريج، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال:

رجز راجز من قريش برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:

لم يغذها مد ولا نصيف ولا تميرات ولا تجيف

لكن غذاها اللبن الحريف والمخض والقارص من الصريف

قال: فاحتفظت الأنصار حيث ذكر المد والتمر، فقالوا لكعب بن مالك: انزل، فنزل، فقال:

لم يغذها مد ولا نصيف ... لكن غذاها الحنظل النقيف

ومذقة كطرة الخنيف ... تبيت بين الزرب والكنيف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اركبا.

أخبرني الجوهري والمهلي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا هوذة بن خليفة قال: حدثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سيرين، في حديث طويل قال: كان يهجوهم يعني قريشاً، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، ونسبهم إليه، ويعلم أن ليس فيهم شيء شر من الكفر، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة.

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن بكرٍ السهمي قال: حدثني حاتم بن أبي صغيرة قال: حدثنا سماك بن حرب قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: إن سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه. فقال له. أنت الذي تقول: فثبت الله؟ قال: نعم يا رسول الله، انا الذي أقول:

فثبت الله ما أعطاك من حسنٍ ... تثبيت موسى، ونصراً كالذي نصرا

فقال: وأنت فعل الله بك مثل ذلك. قال: فوثب كعب بن مالك فقال: يا رسول الله ، ائذن لي فيه. فقال: أنت الذي تقول: همت؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

همت سخينة أن تغالب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

فقال: أما إن الله لم ينسى لك ذلك.

أخبرني الجوهري والمهلي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا مجالد، عن الشعبي قال: لما انهزم المشركون يوم الأحزاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذى ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين؟ فقام عبد الله بن رواحة، فقال: أنا فقال: إنك لحسن الشعر. ثم قام كعب فقال: أنا. فقال: وإنك لحسن الشعر.

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن منصور قال: حدثني سعيد بن عامر قال: حدثني جويرية بن أسماء قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت عبد الله بن رواحة، فقال وأحسن، وأمرت حساناً فشفى واشتفى.

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا: حدثنا عمر بن سبة قال: حدثني أحمد بن عيسى قال: حدثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث: أن يحيى بن سعيد حدثه عن عبد الله بن أنيس عن أمه، وهي بنت كعب بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد، فلما رآه انقبض، فقال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانشد، فأنشد، حتى أتى على قوله

مقاتلنا عن جذمنا كل فخمةٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل عن جذمنا، ولكن قل: مقاتلنا عن ديننا.

قال أبو زيد: وحدثني سعيد بن عامر قال: حدثنا أبو عون عن ابن سيرين قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب كعب بن مالك، فخرج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إيه، فأنشده ، ثم قال: إيه فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده" ثلاث مرات". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهذا أشد عليهم من مواقع النبل.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن منصور الربعي، وذكر أنه إسناد شآم، هكذا قال، قال ابن عمار في الخبر، وذكر حديثاً فيه طول، لحسان بن ثابت، والنعمان بن بشير، وكعب بن مالك، فذكرت ما كان لكعب فيه، قال:

لما بويع لعلي بن أبي طالب عليه السلام، بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير-وكانوا عثمانية- أنهم يقدمون بني أمية على بني هاشم، ويقولون: الشأم خير من المدينة. واتصل بهم أن ذلك قد بلغه، فدخلوا عليه، فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا عن عثمان: اقتل ظالماً، فنقول بقولك؟ أم قتل مظلوماً، فنقول بقولنا، وكلك إلى الشبهة فيه، فالعجب من تيقننا وشكك، وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه، ثم قال:

كيف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس يغافل

وقال لمن في داره: لا تقاتلوا ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم ال ... عداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر عنهم ... وولى كإدبار النعام الجوافل

فقال لهم علي عليه السلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذرنا به. فقال علي عليه السلام: أتردون علي بني ظهراني المسلمين، بلا بينة صادقة، ولا حجة واضحة؟ اخرجوا عني، ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً.

فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الولاية والكفاية. فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب بن مالك ألف دينار، وولى النعمان بن بشير حمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد.

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني عن عبد الأعلى القرشي قال: قال معاوية يوماً لجلسائه: أخبروني بأشجع بيت وصف به رجل قومه. فقال له روح بن زنباع: قول كعب بن مالك:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ولحقها إذا لم تلحق

فقال له معاوية: صدقت.

وأما أبوه مالك بن أبي كعب، أبو كعب بن مالك، فإني أذكر قبل أخباره شيئاً مما يغنى فيه من شعره، فمن ذلك قوله:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي: ألا فر عني مالك بن أبي كعب

وهم يضربون الكبش يبرق بيضه ترى حوله الأبطار في حلقٍ شهب

الشعر لمالك بن أبي كعب. والغناء لمالك، ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهشامي. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى، جميعاً عن الهشامي. وزعم ابن المكي أن خفيف الثقيل هو لحن مالك.

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظفر، يقال له يزدع بن عدي. وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصمي عن عيينة بن المنهال، ونسخته من كتاب أعطانيه علي بن سليمان الأخفش: أن رجلاً من طيء قدم يثربيإبل له يبعها، فنزل في جوار يزدع بن عدي أخي بني ظفر، فباع إبله، واقتضى أثمانها، وكان مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة، اشترى منه جملاً، فجعله ناضحاً، فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جمله، وحضر شخوص الطائي، فشكا ذلك إلى يزدع، فمشى معه إلى منزل مالك، ليكلمه أن يوفيه ثمن جمله، أو يرده عليه، فلم يجدا مالكاً في منزله، ووجدا الجمل باركاً بالفناء، فبعثه يزدع، وقال للطائي: انطلق بجملك، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النبيت، فامنا، فارتحل الطائي بالجمل إلى بلاده، وبلغ مالكاً ما صنع يزدع، فكره أن ينشب بين قومه وبين النبيت حرب، فكف وقد أغضبه ذلك، وجعل يسفه يزدعاً في جراءته عليه وما صنع، فقال يزدع بن عدي في ذلك:

أمن شحط دار من لبابة تجزع وصرف النوى مما يشت ويجمع

وليس بها إلا ثلاث كأنها مسفعة أو قد علاهن أيدع

قد اقتربت لوكان في قرب دارها جداء ولكن قد تضن وتمنع

وكان لها بالمنحنى وجنوبه مصيف ومشتى قبل ذاك ومربع

أتاني وعيد الخزرجي كأنني ذليل له عند اليهودي مضرع

متى تلقني لا تلق نهزة واجد وتعلم أني في الهزاهز أروع

معي سمحة صفراء من فرع نبعةٍ ولين إذا مس الضريبة يقطع

ومطرد لدن إذا هزمتنه ... متين كخرص الذابلات وأهزع
فلا وإلهي لا يقول مجاوري: ... ألا إنني قد خانني اليوم برذع

وأحفظ جاري أن أخاتل عرسه ... ومولاي بالنكراء لا أتطلع
وأجعل مالي دون عرضي إنه ... على الوجد والإعدام عرض ممنع
وأصبر نفسي في الكريهة إنه ... لذي كل نفس مستقر ومصرع
وإني بحمد الله لا ثوب فاجر ... لبست ولا من خزيةٍ أتقنع

فأجابه مالك بن أبي كعب، فقال:

هل للفؤاد لدى سنباء تتويل ... أم لا نوال فإعراض وتحيل
إن النساء كأشجار نبتن معا ... منهن مر وبعض المر مأكول
إن النساء ولو صورن من ذهب ... فيهن من هفوات الجهل تخبيل

الغناء لسليم، هزج بالوسطى عن الهشامي وبذل.

إنك إن تنه إحداهن عن خلق ... فإنه واجب لا بد مفعول
ونعجةٍ من نعاج الرمل خاذلةٍ ... كأن مأقيها بالحسن مكحول
ودعتها في مقامي ثم قلت لها: ... حياك ربك إني عنك مشغول
وليلةٍ من جمادى قد شربت بها ... والزق بيني وبين الشرج معدول
ومرجحن على عمد دلفت به ... كأنه رجل في الصف مقتول
ولا أهاب إذا ما الحرب حرشهاال ... أبطال واضطربت فيها البهاليل
أمضي أمامهم والموت مكتنع ... قدماً إذا ما كبا فيها التنابيل
علي فضفاضة كالنهى سابغة ... وصارم مثل لون الملح مصقول
ولدنه في يدي صفراء تعلبها ... بعامل كشهاب النار موصول
إني من الخزرج الغر الذين هم ... أهل المكارم لا يلفى لهم جيل
في الحرب أنهك منهم للعدو إذا ... شبت وأعظم نبلاً إن هم سيلوا
أشبهت من والدي عزاً ومكرمةً ... ويرذع مدغم في الأوس مجهول

نبئته يدعي عزاً ويوعدني نوكاً وعندي له بالسيف تنكيل

قال: ثم إن مالك بن كعب خرج يوماً لبعض حاجته، فبينا هو يمشي وحده، إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظفر، فلما رأوا مالكاً أقبلوا نحوه، فبدرهم مالك إلى مكان من الحرة كثير الحجارة مشرف، فقام عليه، وأخذ في يده أحجاراً، وأقبلوا حتى دنوا منه، فشاتموه ورامو بالحجارة؛ وجعل مالك يلتفت إلى الكريق الذي جاء منه، كأنه يستبطيء ناساً، فلما رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات، ظنوا أنه ينتظر ناساً كانوا معه، وخشوا أن يأتوهم على تلك الحال، فانصرفوا عنه، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي: ألا فر عني مالك بن أبي كعب
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا وأنجو إذا غم الجبان من الكرب
أبى لي أن أعطى الصغار ظلامةً جدودي زآبائي الكرام أولو السلب
هم يضربون الكبش يبرق بيضه ترى حوله الأبطال في حلق شهب
وهم أورثوني مجدهم وفعالهم فأقسم لا يزري بهم أبداً عقبي

ويروى: لا يخزيهم.

وأرعى لجاري ما حييت ذمامه وأعرف ما حق الرفيق على الصحب
ولا أسمع الندمان شيئاً يريبه إذا الكأس دارت بالمدام على الشرب
إذا ما اعترى بعض الندامى لحاجةٍ فقولي له: أهلاً وسهلاً وفي الرحب
إذا أنفذوا الزق الروي وصرعوا نشاوى فلم أنقع بقولهم: حسبي
بعثت إلى حانوتها فاستبأتها بغير مكاس في الوام ولا غصب
وقلت: اشربوا ريا هنيئاً فإنها كماء القليب في اليسارة والقرب
يطاف عليهم بالسديف وعندهم قيان يلهين المزاهر بالضرب
فإن يصبروا لي الدهر أصبرهم بها ويرحب لهم باعي ويغزر لهم شربي
وكان أبي في المحل يطعم ضيفه ويروي نداماه ويصبر في الحرب
ويمنع مولاه ويدرك تبله ولو كان ذاك التبل في مركب صعب
إذا ما منعت المال منكم لثروةٍ فلا يهنني مالي ولا ينم لي كسبي

وقد روي أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب، لرجل من مراد، يقال له مالك بن أبي كعب، وذكر له

خبر في ذلك.

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عباس، عن مجالد عن الشعبي، قال: كان رجل من مراد يكنى أبا كعب، وكان له ابن يدعى مالكاً، وبنت يقال لها طريفة، فزوج ابنه مالكاً امرأة من أرحب، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب، فقالت الأرحبية لمالك: إني قد استقت إلى أهلي ووطني، ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش، فلو ارتحلت بأهلك وبي، فنزلت على أهلي، لكان عيشنا أرغد، وشملنا أجمع؛ فأطاعها، وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب، فمر بحي كان بينهم وبين أبيه ثأر، فعرفوا فرسه، فخرجوا إليه، وأحدقوا به، وقالوا له: استسلم وسلم الظعينة. فقال: أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا، وقاتلهم حتى صرع، فقال وهو يجود بنفسه:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فر عني مالك بن أبي كعب

وذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر.

قال مؤلف هذا الكتاب: وأحسب هذا الخبر مصنوعاً، وأن الصحيح هو الأول.

خيرت أمرين ضاع الحزم بينهما ... إما الضياع وإما فتنة عمم

فقد هممت مراراً أن أساجلهم ... كأس المنية لولا الله والرحم

الشعر لعيسى بن موسى الهاشمي، والغناء لمتيم الهاشمية، خفيف رمل، من روايتي ابن المعتز والهشامي.

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وقد مضى في عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب. وأمه وأم سائر إخوته وأخواته أم ولد.

وعيسى ممن ولد ونشأ بالحميمة من أرض الشام، وكان من فحول أهله وشجعانهم، وذوي النجدة والرأي والبأس والسودد منهم. وقبل أن أذكر أخباره، فإني أبدأ بالرواية في أن الشعر له، إذ كان الشعر ليس من شأنه، ولعل منكراً أن ينكر ذلك إذا قرأه.

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي وعمي قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد، فقابلت به ما رواياه؛ فوجدته موافقاً.

قال ابن أبي سعد: حدثني علي بن النطاح قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال: لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى، وبايع للمهدي، قال عيسى بن موسى:

خيرت أمرين ضاع الحزم بينهما ... إما صغار وإما فتنة عمم

وقد هممت مراراً أن أساقيهم كأس المنية لولا الله والرحم

ولو فعلت لزالت عنهم نعم بكفر أمثالها تستنزل النقم

هلى هذه الواية في الشعر، روى من ذكرت. وعلى ما صدرت من الخلاف في الألفاظ يغنى.

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشمي قال: أنشدني بريهة المنصوري هذه الأبيات، وحكى أن ناقداً خادم عيسى كان واقفاً بين يديه ليلة ظأتاه خبر المنصور وما دبره عليه من الخلع، قال: فجعل يتململ على فراشه ويهمهم، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات، فعلمت أنه كان يهمهم بها، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى، شفقة عليه.

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدمت ذكره عنهم: وحدثني محمد بن يوسف الهاشمي قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحم قال: حدثتني ملثم بنت عيسى قال: قال موسى بن علي بن عبد الله بن العباس: رأيت في المنام كأني دخلت بستاناً، فلم آخذ منه إلا عنقوداً واحداً، عليه من الحب المرصف ما الله به عليم، فولد له عيسى بن موسى، ثم ولد لعيس من قد رأيت.

قال ابن أبي سعد في خبره هذا: وحدثني علي بن مسلم الهاشمي قال: حدثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك، مولى عيسى بن موسى، قال: حدثني أبي قال:

كنا مع عيسى بن موسى لما سكن الحيرة، فأرسل إلي ليلة من الليالي، فأخرجني من مترلي، فجئت إليه، فإذا هو جالس على كرسي، فقال لي: يا عبد الرحمن، لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قط إلا ليلةً بالحميمة والليلة، فانظر ما هو. فدخلت أستقري الصوت، فإذا هو في المطبخ، وإذا الطباخون قد اجتموا، وعندهم رجل من اهل الحيرة يغنيهم بالعود، فكسرت العود، واخرجت الرجل، وعدت إليه فأخبرته، فحلف لي أنه ما سمعه قط إلا تلك الليلة بالحميمة وليلته هذه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الله بن محمد بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان عيسى بن موسى إذا حج، يحج ناس كثير من أهل المدينة: يتعرضون لمعروفه فيصلهم؛ قالت: فمر أبي بأبي الشدائد الفرازي، وهو ينشد بالمصلى:

عصابة إن حج عيسى حجوا

وإن أقام بالعراق دجوا

قد لعقوا لعيقةً بفلجوا

فالقوم قوم حجهم موج

ما هكذا كان يكون الحج

قال: ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي، فسلم عليه، فلم يردد عليه، فقال له: مالك يا أبا عبد الله لا ترد السلام علي؟ فقال: ألم أسمعك تهجو حاج بيت الله الحرام؟ فقال أبو الشدائد:

إني ورب الكعبة المبنية
والله ما هجوت من ذي نيه
ولا امرىء ذي رعةٍ نقيه
لكنني أرعي على البريه
من عصبةٍ أغلوا على الرعية
بغير أخلاق لهم سريه
آثار ربع قدما أعيا جواباً صمما
سحت عليه ديم بمائها فانهدما
كان لسعدى علما فصار وحشاً رمما
أيام سعدى سقم وهي تداوي السقما

الشعر للرقاشي، والغناء لابن المكي، رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانه.

أخبار الرقاشي ونسبه

هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش. وهو من ربيعة، وكان مطبوعاً سهل الشعر، نقي الكلام، وقد ناقض أبا نواس، وفيه يقول أبو نواس:

وجدنا الفضل أكرم من رقاشٍ لأن الفضل مولاه الرسول

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه، لأنه كان أكرم ممن ينتمي إليه، وذهب أبو نواس إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم انا مولى من لا مولى له.

وذكر إبراهيم بن تميم، عن العلى بن حميد: أن الرقاشي كان ما العجم من اهل الري.

وقد مدح الرقاشي الرشيد وأجازه إلا انقطاعه كان إلى آل برمك، فأغنوه عن سواهم.

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي قال: حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال: حدثني أبي، قال: كان الفضل الرقاشي منقطعاً إلى آل برمك، مستغنياً بهم عن يواهم، وكانوا يصولون به على الشعراء، ويروون أولادهم أشعاره، ويدونون القليل والكثير منها، قصباً له، وحفظاً لخدمته، وتنويهاً باسمه، وتحريكاً لنشاطه، فحفظ ذلك لهم، فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم، فأقام معهم مدة أيامهم، ينشدهم ويسامرهم، حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر ، ونشر

محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط، حتى نشر منها ما كان مطوياً، وأذاع منها ما مان مستوراً؛ وحرى على شاكلته بعدهم، وكان كالموقوف المديح على جميعهم، صغيرهم وكبيرهم. ثم انقطع إلى طاهر وخرج معه إلى خراسان، فلم يزل بها معه حتى مات.

وكان مع تقدمه في الشعر ماجناً خليعاً، متهاوناً بمروءته ودينه، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة، سائرة في الناس، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامة، وهي التي أولها

أوصى الرقاشي إلى إخوانه وصية المحمد في ندمانه

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ في شعر أبي نعامة، من جملة قصيدة له طويلة، يهجو فيها جماعة ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشي.

وقال عبد الله بن المعتز: حدثني أبن أي الخنساء، عن أبيه، قال: لما قال أو دلف:

ناوليني الرمح قد طا ل عن الحرب جمامي

مر لي شهران مذ لم أرم قوماً بسهامي

قال الرقاشي يعارضه:

جنبيني الدرع قد طا ل عن القصف جمامي

وأكسري المطرد والب يض وأثني بالحسام

واقذفي في لجة البح ر بقوسي وسهامي

وبترسي وبرمحي وبسرجي ولجامي

فبحسبي أن تريني بين فتيان كرام

سادةٍ نغدو مدي ن على حرب المدام

واصطفاق العود والنا يات في جوف الظلام

هزم أرواح دنانٍ لم ننلها باصطلام

نهزم الراح إذا ما هم قوم بالنهزام

ثم خل الضرب والطع ن لأجساد وهام

لشقي قال: قد طا ل عن الحرب جمامي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن موسى، عن ابن النطاح، قال: توفي العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخلد، والرشيد بالرصافة، في يوم جمعة، فأخرجت جنازته مع العصر، وحضر الرشيد والأمين، وأخرجت

المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البردان، وفرش للرشيد في مسجد هناك، وجاء الرشيد في الحلق با لأعلام والحراب، فصلى عليه، ووقف على قبره حتى دفن؛ فلما خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر، قبلا يد الرشيد، وسألاه الا نصراف، فقال: لا، حتى يسوى عليه التراب، و لم يزل قائماً حتى فرغ من أمره، وعزاهما وأمرهما بالركوب، فقال الرقاشي يرثي العباس بن محمد بن خالد بن برمك:

أتحسبني باكرت بعدك لذة ... أبا الفضل أو رفعت عن عاتقٍ سترا

أو انتفعت عيناي بعد بنظرة ... أو ادنيت من كأس بمشمولة ثغرا

جفاني إذن يوماً إلى الليل مؤنسي ... وأضحت يميني من ذخائها صفرا

ولكنني استشعرت ثوب استكانة ... وبت كأن الموت يحفر لي قبرا

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات الرف، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشامي وعبد الله بن موسى. وفيه ثقيل أول مجهول، أحسبه لبعض جواري البرامكة. وفيهما لإبراهيم بن المهدي خفيف رمل، عن عبد الله بن موسى.

ومن ذلك قوله في جعفر .

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ ... يا طيب للضيف إذ تدعى وللجار

إن يعدم القطر كنت المزن بارقه ... لمع الدنانير لا ماخيل الساري

وقوله:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعابر

وما أحد حي وإن كان سالما ... بأسلم ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوماً أن يرى وهوصابر

وليس لذي عيش عن الموت مقصر ... ولبس على الأيام والدهر غابر

وكل سباب أو جديدٍ إلى البلى ... وكل امرىء يوماً إلى الله صائر

فلا يبعدنك الله عني جعفرا ... بروحي ولو دارت علي الدوائر

فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت ... علي فننٍ ورقاء أو طار طائر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أو غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن محمد بن عبد العزيز: أن الرقاشي الشاعر فني في حب البرامكة حتى خيف عليه.

اخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي عن أبي عكرمة، قال: وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى، عن إسماعيل بن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني .

أنه لما دارت الدوائر على آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب، اجتاز به الرقاشي الشاعر وهو على الجذع، فوقف يبكي أحر بكاء، ثم أنشأ يقول:

أما والله لولا خوف واشٍ ... وعين للخليفة لا تنام

لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام

فما أبصرت قبلك يا بن يحيى ... حساماً قده السيف الحسام

على اللذات والدنيا جميعاً ... ودولة آل برمكٍ السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كا إلي محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت. قال: وكم كان يجري عليك؟ قال: ألف دينار في كل سنة. قال: فإنا قد أضعفناها لك.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أو دلف، قال: حدثنا الرياشي قال:

كان الفضل الرقاشي يجلس إلى إخوان له يحادثهم، ويألفونه ويأنسون به، فتفرقوا في طلب المعاش، وترامت بهم الأسفار، فمر الرقاشي بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه، فوقف فيه طويلاً، ثم استعبر وقال:

لولا التطير قلت غيركم ... ريب الزمان فخنتم عهدي

درست معالم كنت آلفها ... من بعدكم وتغيرت عندي

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني أبو هفان، عن يوسف بن الداية قال: كان أبو نواس والفضل الرقاشي جالسين، فجاءهما عمرو الوراق، فقال: رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن علي، فما رأيت جارية أحسن منها، هيفاء بجلاء، زجاء دعجاء، كأنها خوط بان، أو جدل عنان، فخاطبتها فأجابتني بأحلى لفظ، وأحسن لسان، وأجمل خطاب. فقال الرقاشي: قد والله عشقتها، فقال أبو نواس: أو تعرفها؟ قال: لا والله، ولكن بالصفة، ثم أنشأ يقول:

صفات وظن أورثا القلب لوعةً ... تضرم في أحشاء قلب متيم

تمثلها نفسي لعيني فأنثني ... إليها بطرف الناظر المتوسم

يحملني حبي لها فوق طاقتي ... من الشوق دأب الحائر المتقسم

اخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال: قيل لابن دراج الطفيلي أتتطفل على الرؤوس؟ قال: وكيف لي بها؟ قيل: إن فلاناً قد استرياها، ودخلا بستان ابن بزيع، فخرج يحضر خوفاً من فوقهما، فوجدهما قد لوحا بالعظام فوقف عليها ينظر، ثم استعبر وتمثل قول الرقاشي:

آثار ربع قدما أعيا جوابي صمما

وابن دراج هذا يقال له عثمان، وهو مولى لكندة، وكان في زمن المأمون، وله شعر مليح، وأدب صالح، وأخبار طيبة، يجري ذكرها ههنا.

أخبار ابن دراج الطفيلي

أخبرني الجوهري عن ابن مهروية، عن أبيه قال: قيل لعثمان بن دراج: اتعرف بستان فلان؟ قال: إي والله، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا. قيل له: فلم لا تدخل إليه، فتأكل من ثماره، تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلباً لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال.

أخبرني الجوهري قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الرحيم بن احمد بن زيد الحراني قال: كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي، أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له: ويحك! إني أبخل بأدبك وعلمك، وأصونك وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل، ولي وظيفة راتبة في كل يوم، فالزمني وكن مدعواً أصلح لك مما تفعل. فقال: رحمك الله أين يذهب بك؛ فأين لذة الجديد، وطيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان؟ وأين نيلك ووظيفتك من احتفال الأعراس؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة؟ قال: فأما إذ أبيت ذاك، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فيئة لك. قال: أما هذا فنعم.

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابي مولاة له، فقالت له: جعلت فداك. زوجت ابنتي من ابن عم لها، ومنزلي بين قوم طفيليين، لا آمنهم أن يهجموا علي، فيأكلوا ما صنعت، ويبقى من دعوت، فوجه معي بمن يمنعهم.

فقال: نعم، هذا أبو سعيد، قم معها يا أبا سعيد. فقال: مري بين يدي، وقام وهو يقول:

ضجت تميم أن تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصليم

قال: وقال الخطابي هذا لابن دراج: كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يدخلوك؟ قال: أنوح على بابهم، فيتطيرون بذلك، فيدخلوني.

قال: وقال له رجل: ما هذه الصفرة في لونك؟ قال: من الفترة بين القصفين، ومن خوفي كل يوم من نفادالطعام قبل أن أشبع.

أخبرني أحمد قال: حدثنا ابن مهرويه، عن عبد الرحيم بن أحمد:

أن ابن دراج صار إلى باب علي بن زيد، أيام كان يكتي للعباس بن المأمون، فحجبه الحاجب، وقال: ليس هذا وقتك، قد رأيت القواد يحجبون، فكيف يؤذن لك أنت؟ قال: ليست سبيلي سبيلهم، لأنه يحب أن يراني، ويكره أن يراهم، فلم يأذن له. فبيناهما على ذلك إذ خرج علي بن زيد، فقال: ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل؟ فقال: منعني هذا البغيض. فالتفت إلى الحاجب، فقال: بلغ بك بغضك أن تحجب هذا؟ ثم قال: يا أبا سعيد، ما أهديت إلي من النوادر؟ قال: مرت بي جنازة ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول: بك يذهبون ألى بيت لا فرش

فيه ولا وطاء، ولا ضيافة ولا عطاء؛ ولا خبز فيه ولا ماء. فقال لي ابني: يا أبة إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة. فقلت له: وكيف ويلك! قال: لأن هذه صفة بيتنا. فضحك علي وقال: قد أمرت لك بثلاثة مئة درهم. قال: قد وفر الله عليك نصفها على أن أتغدى معك. قال: وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس، فقال: هي عليك موفرة كلها، وتتغدى معنا.

وعثمان ابن دراج الذي يقول:

لذة التطفيل دومي وأقيمي لا تريمي

أنت تشفين غليلي وتسلين همومي

عود إلى الرقاشي: أخبرني محمد بن الحسن دريد قال: حدثنا العكلي قال: دخل الرقاشي على بعض أمراء الصدقة، فقال له: قد أصبح خضابك قانياً. قال: لأني أمسيت له معانيا.

قال: وكيف تفعله؟ قال: انعم الحناء عجناً، وأجعل ماء سخنا، وأروي شعري قبله دهنا، فإن با قنا ، وإن لم يفعل أغنى.

من لعين رأت خيالاً مطيفا واقفاً هكذا علينا وقوفا

طارقاً موهناً ألم فحيا ثم ولى فهاج قلباً ضعيفا

ليت نفسي وليت أنفس قومي يا يزيد الندى تقيك الحتوفا

عتكي مهلبي كريم حاتمي قد نال فرعاً منيفا

عروضه من الخفيف، والشعر لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم المهلبي، والغناء لعبد الرحيم الرف ، خفيف رملٍ بالوسطى، عن عمرو.

أخبار ربيعة الرقي ونسبه

هو ربيعة بن ثابت الأنصاري، ويكنى أبا شبابة. وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت، وكان يترل الرقة، وبها مولده ومشؤه، فأشخصه المهدي إليه، فمدحه بعدة قصائد، وأثابه عليها ثواباً كثيراً، وهو من المكثرين المجيدين، وكان ضريراً، وإنما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته، بعده عن العراق، وتركه خدمة الخلفاء، ومخالطة الشعراء، وعلى ذلك فما عدم مفضلاً لشعره، مقدماً له.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن دواد، عن ابن أبي خيثمة عن دعبل قال: قلت لمروان بن أبي حفصة: من أشعركم جماعة المحدثين يا أبا السمط؟. قال: أشعرنا أيرنا بيتاً. قلت: ومن هو؟ قال: ربيعة الرقي الذي يقول:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبي، وهجا يزيد بن أسيد السلمي، وبعد البيت الذي ذكره مروان:

يزيد سليم سالم المال والفتى أخو الأزد للأموال غير مسالم

فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله وهم الفتى القيسي حجمع الدراهم

فلا يحسب التمتام أني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم

فيا بن أسيد لا تسام ابن حاتم فتقرع إن ساميته سن نادم

هو البحر إن كلفت نفسك خوضه تهالكت في موج له متلاطم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أسيد بن خالد الأنصاري، قال: قلت لأبي زيد النحوي: إن الأصمعي قال: لا يقال: شتان ما بينهما، إنما يقال: شتان ما هما، وأنشد قول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها

فقال: كذب الأصمعي، يقال: شتان ما هما، وشتان مابينهما، وأنشدني لربيعة الرقي، واحتج به:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعي بشعر ربيعة الرقي، كفاية له في تفضيله.

وذكره عبد الله بن المعتز فقال: كان ربيعة أشعر غزلاً من أبي نواس، لأن في غزل أبي نواس برداً كثيراً، وغزل هذا سليم سهل عذب.

نسخت من كتاب لعمي: حدثنا ابن أبي فنن قال: اشتهى جواري المهدي أن يسمعن ربيعة الرق، فوجه إليه المهدي من أخذه من مسجده بالرقة، وحمل على البريد حتى قدم به على المهدي، فأدخل عليه، فسمع ربيعة حساً من وراء الستر، فقال: إني أسمع حساً يا أمير المؤمنين، فقال: اسكت يا بن اللخناء، واستنشده ما أراد، فضحك وضحكن منه. قال: وكان فيه لين، وكذلك كان أبو العتاهية، ثم أجازه جائزة سنية، فقال له:

يا أمي المؤمنين الله سماك الأمينا

سرقوني من بلادي يا أمير المؤمنينا

سرقوني فاقض فيهم بجزاء السارقينا

قال: قد قضيت فيهم أن يردك إلى حيث أخذوك. ثم أمر به فحمل على البريد من ساعته إلى الرقة.

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً:

يزيد الأزد إن يزيد قومي سميك لا يجود كما تجود
يقود جماعة وقود أخرى فترزق من تقود ومن يقود
فما تسعون يحقرها ثلاث يقيم حسابها رجل شديد
وكف شثنة جمعت لوجءٍ بأنكد من عطائك يا يزيد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: امتدح ربيعة الرقي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، بقصيدة لم يسبق إليها حسناً، وهي طويلة يقول فيها:

لو قيل للعباس يا بن محمدٍ قل: لا وأنت مخلد ما قالها
ما إن أعد من المكارم خصلة إلا وجدتك عمها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كوكبها وكنت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولة حتى حللت براحتيك عقالها

في البيت الأول والبيت الأخير خفيف رملٍ بالوسطى، يقال إنه لإبراهيم. ويقال إنه للحسين بن محرز.

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين كاد يجن غيظاً، وقال للرسول: خذ الدينارين، فهما لك، على أن ترد الرقعة من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها:

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحةً ذهبت ضياعا كذبت عليك فيها وافتريت
فأنت المرء ليس له وفاء كأني إذ مدحتك قد رثيت

ثم دفعها إلى الرسول، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتهامنه. فردها الرسول في موضعها. فلما كان من الغد اخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيراً عنده، يبجله ويقدمه، وكان قد هم أن يخطب إليه ابنته، فرأى الكراهة في وجهه، فقال: ما سأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرقي. فأحضر، فقال له الرشيد: يا ماص كذا وكذا من أمه، أتهجو عمي، وآثر الخلق عندي، لقد هممت أن أضرب عنقك. فقال: والله يا امير المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، في أحد من الشعراء، في أحد من الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء، وأكثرت في الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها. فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه، وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر العباس بإحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس ساعة، فقال له الرشيد: شألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها، فعلم العباس أنه قد اخطأ وغلط، فأمر بإحضارها فأحضرت، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها، واعجب بها، وقال:

والله ما قال أحد مكن الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبر. ثم قال للعباس: كم أثبته عليها؟ فسكت العباس: وتغير لونه، وجرض بريقه، فقال ربيعة: أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس، فقال: بحياتي يا رقي، كم أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين.

فغضب الرشيد غضباً شديداً، ونظر في وجه العباس بن محمد، وقال: سوءة لك ! أية حال قعدت بك عن إثابته أقلة مال؟ فو الله لقد مولتك جهدي؛ أم انقطاع المادة عنك؟ فوا لله ما انقطعت عنك، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي، بل نفسك فعلت ذلك بك، حتى فضحت أباك وأجدادك، وفضحتني ونفسك.

فتكس العباس رأسه و لم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة، واحمله على بغلة، فلما حمل المال بين يديه، وألبس الخلعة، قال له الرشيد: بحياتي يا رقي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج إليه، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطراح.

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أحمد بن أبي فنن الشاعر، قال: حدثني من لا أحصي من الجلساء أن ربيعة الرقي كان لا يزال يعبث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد، العبث الذي يبلغ منه، منذ جرى بينهما في مديحه إياه ما جرى، من حيث لا يتعلق عليه فيه بشيء، فجاء العباس يوماً إلى الرشيد ببرنية فيها غاليه، فوضعها بين يديه، ثم قال: هذه يا أمير المؤمنين غالية، صنعتها لك بيدي، اختير عنبرها من شحر عمان، ومسكها من مفاوز التبت، وبانها من قعر تهامة؛ فالفضائل كلها مجموعة فيها، والنعت يقصر عنها.

فاعترضه ربيعة، فقال: ما رأيت أعجب منك، ومن صفتك لهذه الغالية، عند من إليه كل موصوف يجلب، وفي سوقه ينفق، وبه إليه يتقرب، وما قدر غاليتك هذه، أعزك الله، حتى بلغ في وصفها ما بلغت، أأجريت بها إليه نهراً، ام حملت إليه منها وقراً ! إن تعظيمك هذا عند من تحيى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة، وتذل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والخالفة، وتتحفه بطرف بلدانها، وبدائع ممالكها، حتى كأنك قد فقت به على كل ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، أو خصصته بما لم يحوه ملكه، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همة. أنشدك الله يا أمير المؤمنين، إلا جعلت حظي من كل جائزة وفائدة توصلها إلي مدة سنتي هذه الغالية، حتى أتلقاها بحقها.

فقال: أدفعوها إليه، فدفعت إليه. فأدخل يده فيها، وأخرج ملئها، رحل سراويله، وأدخل يدع فطلى بها استه، وأخذ حفنة اخرى، وطلى بها ذكره وأنثييه، وأخرج حفنتين، فجعلهما تحت إبطيه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، مر غلامي أن يدخل إلي، فقال: ادخلوه إليه، وهو يضحك، فأدخلوه إليه فدفع إليه البرنية غير مختومة، وقال أذهب إلى جارتي فلانة بهذه البرنية، وقل لها: طيبي بها حرك واستك وإبطيك، حتى أحيء الساعة وأنيكك، فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غشي عليه، وكاد العباس يموت غيظاً، ثم قام فانصرف، وأمر الرشيد لربيعة

بثلاثين ألف درهم .

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى، انه رأى قصيدة لربيعة الرقي مكتوبة في دور بساط من بسط السلطان قديم، وكان مبسوطاً في دار العامة بسر من رأى، فنسخها منه، وهي قوله:

وتزعم أني قد تبدلت خلةً سواها وهذا الباطل المتقول

لحا الله من باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعل

ستصرم إنساناً إذا صرمتني يحبك فانظر بعده من تبدل

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول، ينسب إلى إبراهيم الموصلي، وإلى إبراهيم بن المهدي، وفيه لعريب رمل من رواية ابن المعتز.

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسيد، انه زاره يستميحه، لقضاء دين كان عليه ، فلم يجد عنده ما أحب، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبي، فطفل على قضاء دينه وبره، فاسفرغ بيعة جهده في مدحه، وله فيه عدة قصائد مختارة، يطول ذكرها، وقد كان أبو الشمقمق عارضه في قوله:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

في قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد، وسلخ بيت الرقي، بل نقله وقال:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى إذا عد في الناس المكارم والمجد

يزيد بني شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيس بن عيلان والأزد

فتى لم تلده من رعين قبيلة ولا لخم تنميه ولم تنمه نهد

ولكن نمته الغر من آل وائلٍ وبرة تنميه ومن بعدها هند

ولم يسر في هذا المعنى شيء كما يار بيت ربيعة.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن دواد بن الجراح قال: حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال: عرض نخاس على أحمد بن يزيد بن أسيد الذي هجاه ربيعة جواري، فاختار جاريتين منهن، ثم قال للنخاس: أيتهما أحب إليك؟ قال: بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والغر ابن حات

فأمر بجر رجله وجواريه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: لما حج الرشيد لقيه قبل دخوله مكة رجلان من قريش، فانتسب له أحدهما، ثم قال: يا أمير المؤمنين، نهكتنا النوائب، وأجحفت بأموالنا المصائب، ولنا بك رحم أنت أولى من وصلها، وأمل أنت أحق من صدقه، فما بعدك مكلب، ولا عنك مذعب، ولا فوقك

مسئول، ولا مثلك مأمول. وتكلم الآخر، فلم يأت بشيء فوصلهما، وفضل الأول تفضيلاً كثيراً، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال: يا فضل:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني أبو دعامة علي بن زيد بن عطاء الملط قال: لما هجا ربيعة يزيد بن أسيد السلمي، وكان جليلاً عن المنصور والمهدي، وفضل عليه يزيد بن حاتم، قلت لربيعة: يا أبا شبابة، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك، وفضلت عليه رجلاً من الأزد؟ فقال: أخبرك.

أملقت فلم يبق لي شيء إلا داري، فرهنتها على خمس مئة درهم، ورحلت إليه إلى ارمينية، فأعلمته ذلك ومدحته، وأقمت عنده حولاً، فوهب لي خمس مئة درهم، فتحملت وصرت بها إلى منزلي، فلم يبق معي كبير شيء، فنزلت في دار بكراء، فقلت: لو أتيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل، فكيف غيره؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته، فاعلم بمكاني، فتركني شهراً حتى ضجرت، فأكريت نفسي من الحمالين، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه، والبيت:

أراني ولا كفران لله راجعا يخفي حنينٍ من يزيد بن حاتم

فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فأولها إليه من غير علمي ولا امري، فبعث خلفي، فلما دخلت عليه قال: هيه، أنشدني ما قلت. فتمنعت، فقال: والله لتنشدني، فأنشدته فقال: والل لا ترجع كذلك، ثم قال: انزعوا خفيه، فنزعا فحشاهما دنانير، وأمر لي بغلمان وجوار وكسا، أفلا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك! قلت: بلى والله.

ثم قال: وسار شعري حتى بلغ المهدي فكان سبب دخولي إليه.

أخبرني الحسن بن علي الأدمي قال: حدثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد القرقيسياني قال: حدثني عمي عبد الله بن عباد: أن ربيعة بن ثابت الرقي الأسدي كان يلقب الغاوي، وكان يهوى جارية يقال لها عثمة، أمة لرجل من أهل قرقيسياء، يقال له ابن مرار، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولوه مصر، فأصاب بها مالاً عظيماً، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته، فأحضره، وعرض عليه أن يهبها له، فقال: لا تهبها لي، فإن كل مبذول مملول، وأكره أن يذهبحبها من قلبي؛ ولكن دعني أواصلها هكذا، فهو أحب إلي.

قال: وقال فيها:

اعتاد قلبك من حبيبك عيده شوق عراك فأنت عنه تذوده

والشوق قد غلب الفؤاد فقاده والشوق يغلب ذا الهوى فيقوده

في دار مرار غزال كنيسة عطر عليه خزوزه وبروده

ريم أغر كأنه من حسنه صنم يحج ببيعة معبوده

عيناه عينا جؤذر بصريمة وله من الظبي المريب جيده

ما ضر عثمة أن تلم بعاشق دنف الفؤاد متيم فتعوده

وتلده من ريقها فلربما نفع السقيم من السقام لدوده

وهي طويلة مده فيها بعض ولد يزيد بن المهلب.

أخبرني يحيى بن علي قال: حدثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن أبي بشر الفزاري قال: لقى ربيعة الرقي معن بن زائدة في قدمه قدمها إلى العراق، فامتدحه بقصيدة، وأنشده إياها راويته، فلم يهش له معن، ولا رضي ربيعة لقائه إياه، وأثابه ثواباً نزراً، فرده ربيعة، وهجاه هجاء كثيراً، فمما هجاه به قوله:

معن يا معن يا بن زائدة الكل ب التي في الذراع لا في البنان

لا تفاخر إذا فخرت بآبا ئك وافخر بعمك الحو فزان

فهشام من وائل في مكانٍ أنت ترضى بدون ذاك المكان

ومتى كنت يا بن ظبية ترجو أن تثني على ابنة الغضبان

وهي حوراء كالمهاة هجان لهجانٍ وأنت غير هجان

وبنات السليل عند بن ظب ية، أف لكم بني شيبان

قيل :معن لنا فلما اختبرنا كان مرعى وليس كالسعدان

قال أبو بشر: ظبية التي عيره بها أمة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، لقيها عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك، وكانت راعية لأهلها، وهي في غنمها، فسرقها ووقع عليها، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن رائدة، ودجاجة بنت عبد الله. قال: وبنت السليل التي عناها: امرأة من ولد الحوفزان.

أخبرني يحيى عن أبيه إسحاق عن أبي بشر الفزاري، قال: كان ربيعة الرقي يهوى جارية لرجل من اهل الكوفة، يقال لها عثمة، وكان أهلها ينزلون في جوار جعفي، فقال فيها في أبيات له:

جعفي جيرانها فقد عطرت جعفي من نشرها ورياها

فقال له رجل من جعفي: وأنا جار لها بيت بيت، والله ما شممت من دراهم ريحا طيبة قط. فتشمم ربيعة رائحته وقال: وما ذنبي إذا كنت أخشم ، والله إني لأجد ريحها وريح طيبها منك، وأنت لا تجده من نفسك.

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال: كنت حاضراً ربيعة الرقي يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية، فقالت: تقول لك فلانة: إن بنت مولاي محمومة، فإن كانت تعرف عوذة تكتبها لها فافعل. فقال: أكتب لها يا أبا بسر هذه العوذة:

تفو تفو باسم إلهي الذي لا يعرض السقم لمن قد شفى

أعيذ مولاتي ومولاتها وانتها بوذة المصطفى

من شر ما يعرض عن علة في الصبح والليل إذا أشدفا

قال: فقلت له: يا أبا ثابت، لست أحسن أن أكتب: تفو تفو، فكيف أكتبها؟ قال: انضح المداد من رأس القلم في موضعين، حتى يكون كالنفث، وافع العوذة إليها، فإنها نافعة. ففعلت ودفعتها إليها، قلم تلبث أن جائنا الجارية وهي لا تتمالك ضحكاً. فقالت له: يا مجنون، ما فعلت بنا؟ كدنا والله نفتضخ بما صنعت. قال: فما أصنع بك؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ؟

ألا من بين الأخوي ن أمها هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها وتشفي فما تشفى

فلما استيأست رجعت بعبرة واله حرى

تتابع بين ولولة وبين مدامعٍ تترى

عروضه من الهزيج ، الشعر لجورية بنت خالد بن قارظ الكنانية، وتكنى أم حكيم، زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، في ابنيها اللذين قتلهما بسر بن لؤي باليمن.

والغناء لا بن سريج، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول، بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لحنٍ الحيري، ثاني ثقيل عن الهشامي. وفيه لأبي سعيد مولى فائد، خفيف ثقيل الأول، مطلق في مجرى الوسطى.

خبر مقتل ابني عبيد الله بن العابس

ابن عبد المطلب

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطلاس قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا علي بن محمد المدائني، عن أبي مخنف، عن جويرية بن أسماء، والصقعب بن زهير، وأبي بكر الهذلي، عن أبي عمرو الوقاصي:

أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكمين، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ حي، وبعث معه جيشاً، ووجه برجل من غامد ضم إليه جيشاً آخر. ووجه الضحاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، وأن يغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفو أيديهم عن النساء والصبيان. فمضى بسر لذلك على وجهه، حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب علي عليه السلام، وأهل هواه، وهدم بها دوراً من دور القوم. ومضى إلى مكة، فقتل نفراً من آل أبي لهب، ثم أتى السراة، فقتل من بها من أصحابه. وأتى نجران، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثي وابنه، وكانا من أصهار بني العباس، ثم أتى اليمن

وعليها عبيد الله بن العباس، عاملاً لعلي بن أبي طالب، وكانه غائباً، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بسر، فلم يصادفه بسر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بسر لعنه الله، وذبحهما بيده، بمدية كانت معه، ثم اكفأ راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به. فقصد الغامدي إلى الأنبار، فقتل ابن حسان البكري، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة.

فحدثني العباس بن علي بن العباس النسائي قال: حدثنا محمد بن حسان الأزرق، قال: حدثنا شبابة بن سوار قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن عمرو بن قيس، عن أبي صادق، قال: أغارت خيل لمعاوية على الأنبار، فقتلوا عاملاً لعلي عليه السلام، يقال له حسان بن حسان ، وقتلوا رجالاً كثراً ونساءً، فبلغ ذلك علي بن طالب صلوات الله عليه، فخرج حتى أتى المنبر، فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء، وديث بالصغار، وسيم الخسف. وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولي وراءكم ظهيا، حتى شئت عليكم الغارات. هذا أخو غامد قد جاء الأنبار، فقتل عاملي عليها حسان بن حسان، وقتل رجالاً كثيراً ونساء. والله لقد بلغني أنه كانيأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيترع حجلها ورعائها ، ثم ينصرفون موفورين، و لم يكلم أحد منهم كلما، فلو أن امرأ مسالماً مات من دون هذا أسفاً، لم يكن عليه ملوماً، بل كان به جديراً، يا عجباً، عجباً بميت القلب، ويشعل الأحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم، وفشلكم عن حقكم، حتى صرتم غرضاً، ترمون ولا ترمون، وتغزون ةلا تغزون، ويعصى الله وترضون. إذا قلت لكم اغزوهم في الحر، قلتم هذه حمارة القيظ فأمهلنا، وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد، قلتم هذا أوان قر وصر فأمهلنا، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون، فأنتم والله من السيف أشد فراراً . يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طغام الأحلام، وعقول ربات الحجال ، وددت والله أني لم أعرفكم، بل وددت أني لم أركم، معرفة والله جرعت بلاءً وندماً، وملأتم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له لالحرب. ويحهم! هل فيهم أشد مراساً لها مني؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين، وأنا الآن قد نيفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا كما قال الله تعالى:"لا أملك إلا نفسي وأخي" فمرنا بأمرك، فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جمر الغضى ، وشوك القتاد. قال: وأين تبلغان مما أريد؛ هذا أو نحوه، ثم نزل.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله بن محمد قال: حدثني جعفر بتن بشير قال: حدثني صالح بن يزيد الخراساني، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن أبن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال: كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام:

أما بعد، فإن الله عز وجل جارك من كل سوء، وعاصمك من المكروه. وإني خرجت معتمراً، فلقيت عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فقلت لهم، وعرفت المنكر في وجوههم: يا أبناء الطلقاء،

العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً، تريدون بها إطفاء نور الله، وتغيير أمره، فأسمعني القوم وأسمعتهم. ثم قدمت مكة وأهلها يتحثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً، فأف لحياة في دهر جرأ هليك اضحاك. وما الضحاك؟ وهل هو إلا فقع بقرقرة ، وقد ظننت وبلغني أن نصارك قد خذلوك، فاكتب إلي يا بن أم برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك ببني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت، ومتنا معك، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فواقاً ، وأقسم بالله الأعز الأجل، أن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع . والسلام.

فأجابه علي بن أبي طالب، عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، فقد قدم علي عبد الرحمن بن عبيد الأزدي بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلاً من قديد، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، وإن بني أبي سرح طال ما كاذ الله ورسوله وكتابه، وصد عن سبيله، وبغاها عوجاً، فدع بني أبي سرح عنك، ودع قريشاً وتركاضهم في الضلالة، وتجوالهم في الشقاق، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادوه لاعداوة، نونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وساقوا إليه جيش الأمرين. اللهم فاجز عني قريشاً الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت علي، والحمد الله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة، فهو أقل وأذل من أن يقرب الحيرة، ولكنه جاء في خيل جريدة، فلزم الظهر، وأخذ على السماوة، فمر بواقصة وشراف وما والى ذلك الصقع، فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك جاز هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير، وقد طفلت الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا ، فولى و لم يصبر، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا جريضا بعدما أخذ منه بالمخنق، فلأيا بلأى مانجا واما ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيي، فإن رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، لأني محق، والله مع الحق وأهله، وما أكره الموت على الحق، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن مان محقا.

وأما عرضته علي من مسيرك إلي ببنيك وبني أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً مهدياً، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرعاً متخشعاً، ولكن أقول كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز علي أن ترى بي كآبة ... فيشمت عادٍ أو يساء حبيب

والسلام.

رجع الخبر إلى سياقة مقتل الصبيين

ثم إن بس بن أرطاة كر راجعاً، وانتهى خبره إلى علي عليه السلام، أنه قتل عبد الرحمن وقثم ابني عبد الله بن العباس، فسرح حارثة بن قدامه السعدي في طلبه، وأمره أن يغد السير، فخرج مسرعاً، فلما وصل إلى المدينة، وانتهى إليه قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، وبيعة الحسن رضي الله تعالى عنه، ركب في السلاح، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن، فامتنعوا، قال: والله لتبايعن ولو بأستاهكم. فلما رأى أهل المدينة الجد منه بايعوا للحسن، وك راجعاً إلى الكوفة، فأصاب أم حكيم بنت قارظ ولهى على انيها، فكانت لا تعقل ولا تصغي إلى قول من أعلمها أنهما قد قتلا، ولا تزال تطوف في المواسم، تنشد الناس ابنيها بهذه الأبيات:

يا من أحين بنيي اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بنيي اللذين هما سمعي وقلبي، فقلبي اليوم مختطف
يا من أحس بنيي اللذين هما مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

أنحي على ودجى إبني مرهفةً مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
حتى لقيت رجالاً من أرومته شم الأنوف لهم في قومهم شرف
فالآن لأعن بسراً حق لعنته هذا لعمر أبي بسرٍ هو السرف
من دل والهةً حرى مدلهة على صبيين ضلا إذ هوى السلف

الغناء لأبي سعيد مولى فائد، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، يقال إنه له أيضاً. وفيه لعريب رمل نشيد.

قالوا: ولما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بسر الصبيين، جزع لذلك جزعاً شديداً، ودعا على بسر لعنه اله، فقال: اللهم اسلبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه علقله! فأصابه ذلك، وفقد عقله، فكان يهذي بالسيف ويطلبه، فيؤتي بسيف من خشب، ويجعل بين يديه زق منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات لعنه الله.

ولما كانت الجماعة واستقر المر على معاوية، دخل عليه عبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطاة، فقال له عبيد الله: أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال بسر: نعم أنا قاتلهما. فقال عبيد الله: أما والله لوددت أن الأرض كانت أنبتتني عنك. فقال بسر: فقد أنبتتك الآن عندي. فقال عبيد الله: ألا سيف! فقال له بسر: هاك سيفي.فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله، أخذه معاوية، ثم قال لبسر: أخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك، تعمد إلى رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه، تدفع إليه سيفك، إنك لغافل عن قلوب بني هاشم، والله لو تمكن منه لبأ بي قبلك. فقال عبيد الله: أجل، والله، ثم إذن لثنيت به.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني محمد بن مسروق قال: قال الأصمعي: سمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها:

يا من أحس بنيي اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

فرق لها، فاتصل ببسر حتى وثق به، ثم اختال لقتل ابنيه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس، فقتلهما وهرب، وقال:

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت شمس النهار ولا غابت على ناس
خيرٍ من الهاشميين الذين هم عين الهدى وسمام الأشوش القاسي
ماذا أردت إلى طفلي مدلهة بكي وتندب من أثكلت في الناس
إما قتلتهما ظلماً فقد شرقت في صاحبيك قناتي يوم أوطاسي
فاشرب بكأسهما ثكلاً كما شربت أم الطبيين أو ذاق ابن عباس
ألا فاسقياني من شرابكما الوردي وإن كنت قد أنفذت فاسترهنا بردي
سواري دملوجي وما ملكت يدي مباح لكم نهب فلا تقطعوا وردي

عروضه من الطويل. والشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس. والغناء لإبراهيم الموصلي، رمل بالوسطى، من رواية عمرو بن بانة.

ذكر أم حكيم وأخبارها

قد مضى ذكر نسبها.

وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكانت عي وأمها من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، وقيل: الموصلة بنت الموصلة، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال.

وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هاشم: سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأم الطائي. وكانت سعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة، فولدت له سلمة وريطة. ثم توفي عنها، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله، فولدت له يحيى وعيسى، ثم قتل عنها، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فتكلم بنوها، فتكلم بنوها، وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالاً، فقالت: إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة، لا بد من خروجها، فتزوجها. فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه، وزينب، وهي أم أم حكيم.

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان صديقه، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم، فلما قدم تغيبوا، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج، وبث المغيرة الجفان في السكك والقبائل يطعم الناس، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة:

أتاك البحر طم على قريشٍ مغيري فقد راغ ابن بشر

قال مصعب الزبيري: هو - يعني المغيرة - مطعم الجيش بمنى، وهو إلى الآن يطعم عنه. قال: وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقداً، وكأن أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب، فكانت تسمى الموصلة. وسميت بنتها أم حكيم بذلك، لأنها أشبهتها.

أخبرني عمي قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثني علي بن محمد بن يحيى الكناني عن أبيه قال: كانت زينب بنت عبد الرحمن من لين جسدها يقال لها الموصلة : قال مصعب: فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز بن أبان، ثم مات عنها، فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان، فمالوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن: كم الذي تأمل من عبد الملك؟ والله لا يزيدها على ألف دينار، ولا يزيدك على خمس مئة دينار، ولها عندي خمسون ألف دينار، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوجتنيها، فزوجه إياها على ذلك. فغضب عليه عبد الملك. وقال: دخل علي في خطبتي. والله لا يخطب على منبر ما دمت حياً، ولا رأى مني ما يحب، فأسقطه. فقال يحيى: لا أبالي، كعكتان وزينب.

قال ابن أبي سعد: وأخبرت عن محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحي: أنها لما خطبت قالت: لا أتزوج والله أبداً إلا من يغني أخي المغيرة. فأرسل إليها يحيى بن الحكم: أيغنيه خمسون ألف دينار؟ قالت: نعم. قال: فهي له، ولك مثلها. فقالت: ما بعد هذا شيء. أرسل إلى أهلك شيئاً من طيب، وشيئاً من كسوة.

قال: ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال: لقد تزوجت أفوه غليظ الشفتين. فقالت زينب: هو خير من أبي الذبان فماً، فما له يعيبه بفمه؟ وقال يحيى: قولوا له أقبح من فمي ما كرهت من فمك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عمه محمد بن عبد العزيز: أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها، وكتب إليه أن يلحق به، وكان بفلسطين أو بالأردن، فعرض له يحيى بن الحكم، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أمير المؤمنين. قال: وما تصنع به؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها، وأربعة مئة دينار لزينب، ولك عندي ثلاثون ألف دينار، سوى صداق زينب. فقال المغيرة: أو تنقل إلي المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه المال. فتجهز المغيرة، وسير ثقله، ثم دخل على يحيى فزوجه، وخرج إلى المدينة، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له: يا أمير المؤمنين، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن، بثلاثين ألف دينار، وأعطاها إياها، ورجع إلى منزله. فغضب على يحيى، وخلعه عن ماله، وعزله عن عمله، فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهر إذا بقيت لي كعكتان وزينب

قال: وكانت زينب تسمى الموصلة، من حسن جسدها، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوجها في حياة جده عبد الملك، ولما عقد النكاح بينهما، عقد في مجلس عبد الملك، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد، ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع، فدخلا، وبدأ عدي لموضعه منهم، فقال:

قمر السماء وشمسها اجتمعا ... بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستار مثلهما ... من ذا رأى هذا ومن سمعا؟
دام السرور له بها ولها ... وتهنياً طول الحياة معا

وقال جرير:

جمع الأمير إليه أكرم حرة ... في كل ما حال من الأحوال
حكمية علت الروابي كلها ... بمفاخر الأعمام والأخوال
وإذا النساء تفاخرت ببعولة ... فخرتهم بالسيد المفضال
عبد العزيز ومن يكلف نفسه ... أخلاقه يلبث بأكسف بال
هنأتكم بمودة ونصيحة ... وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنك النعم التي خولتها ... يا خير مأمول وأفضل وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم، ولعدي بن الرقاع بمثلها، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير. فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فملكته وأحبها، وذهبت بقلبه كل مذهب، فلم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم، فطلقها، فتزوجها هشام بن عبد الملك، ثم مات عبد العزيز، فتزوج هشام ميمونة أيضاً، وكان شديد المحبة لأم حكيم، فطلق لها ميمونة، اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز، وقال لها: هل أرضينك منها؟ فقالت: نعم. فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام، وكان من رجالات بني أمية، وكان أحد من يطعن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويغري الناس به.

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب، مدمنة عليه، لا تكاد تفارقه. وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن، وفيه يقول الوليد بن يزيد:

عللاني بعاتقات الكروم ... واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامة صرفا ... في إناء من الزجاج عظيم

جنبوني أذاة كل لئيم إنه ما علمت شر نديم
ثم إن كان في الندامى كريم فأذيقوه مس بعض النعيم
ليت حظي من النساء سليمى إن سلماي جنتي ونعيمي
فدعوني من الملامة فيها إن من لامني لغير حليم

عروضه من الخفيف. غناء عمر الوادي من رواية يونس وفي رواية إسحاق: غناه العزيل أبو كامل: خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر.

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاماً، فقال لأم حكيم: أتفعلين ما ذكره الوليد؟ أو تصدقه الفاسق في شيء، فتصدقه في هذا؟ قال: لا. قالت: فهو كبعض كذبه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد ين عبد الملك، فقال:

فحسب أبي العباس كأس وقينة وزق إذا دارت به في الذوائب
ومن جلساء الناس مثل ابن مالك ومثل ابن جزء والغلام ابن غالب

فقال الوليد يهجوه، ويعيره بشرب أمه الشراب:

إن كأس العجوز كأس وراء ليس كأس ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفا في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الف ل لظل في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطل ق فوافى لذلك غير حليم

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة، ويكنى أبا شاكر، وكان هشام ينوه باسمه، وأراد أن يوليه العهد بعده، وولاه الحج، فحج بالناس، وفيه يقول عروة بن أذينة لما وفد على هشام وفرق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً، وأحبه الناس ومدحوه:

أتيتنا نمت بأرحامنا وجئنا بأمر أبي شاكر

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه، وأشاع ذلك وغنى فيه، وأراد أن يعيره بذلك:

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه:

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر

الواهب البزل بأرسانها ليس بزنديق و لا كافر

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائني: أن هشاماً لما أراد أن يوليه العهد، كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القسري، فقال خالد: أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر. فبلغ قوله هشاماً، فكان سبب إيقاعه به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى قمطر، عن إسماعيل بن مجمع قال: كنا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة، فتركي عنه، فكان فيما يزكى عنه، قائم كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً. قال محمد بن موسى: سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال: كأس كبير من زجاج أخضر، مقبضه من ذهب. هكذا ذكر إسماعيل.

وقد حدثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال: لما أخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع، في أيام ظهور الناجم بالبصرة، أخرج إلينا كأس أم حكيم، فكان كأساً مدوراً على هيئة القحف، يسع ثلاثة أرطال، فقوم بأربعة دراهم، فعجبنا من حصول مثله في الخزانة، مع خساسة قدره، فسألنا الخازن عنه. فقال: هذا كأس أم حكيم، فرددناه إلى الخزانة. ولعل الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذ، ثم أخرج ليباع.

قال محمد بن موسى: وذكر لي عبيد الله بن محمد عن أبي الأغر، قال: كنا مع محمد بن الجنيد الختلي أيام الرشيد، فشرب ذات ليلة، فكان صوته:

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحر، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد: إن الخليفة على الركوب. وكان محمد أحد أصحاب الرشيد، ومن يقدم دابته، فقال: ويحكم كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران. فقالوا: لا بد من الركوب، فركب على تلك الحال، فلما قدم إلى الرشيد دابته، قال له: يا محمد، ما هذه الحال التي أراك عليها؟ قال: لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب، فشربت ليلى أجمع. قال: فما كان صوتك؟ فأخبره.

فقال له: عد إلى مترلك، فلا فضل فيك، فرجع إلينا وخبرنا بما جرى، وقال: خذوا بنا في شأننا، فجلسنا على سطح، فلما متع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على برذون، في يده شيء مغطى بمنديل، قد كاد ينال الأرض، فصعد إلينا، وقال لمحمد: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم، لتشرب فيه، وبألف دينار تنفقها في صبوحك. فقام محمد، فأخذ الكأس من يد الخادم، وقبلها، وصب فيها ثلاثة أرطال، وشربها قائماً، وسقانا مثل ذلك، ووهب للخادم مئتي دينار، وغسل الكأس، وردها إلى موضعها، وجعل يفرق علينا تلك الدنانير، حتى بقي معه أقلها.

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

إن تسد الحوص فلم تعدهم وعامر ساد بني عامر
عهدي بها في الحي قد درعت صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الثدي على صدرها في مشرق ذي بهجة ناضر
لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم يحمل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر

عروضه من السريع. والشعر للأعشى: أعشى بني قيس بن ثعلبة، يمدح عامر بن الطفيل، ويهجو علقمة بن علاثة. والغناء لمعبد في الثالث وما بعده، خفيف ثقيل الأول بالبنصر. وفي الأبيات لحنين ثقيل أول مطلق، في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها أيضاً لحن آخر ذكره في المجرد و لم يجنسه، و لم ينسبه إلى أحد.

سبب منافرة عامر وعلقمة

وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة.
ونسخت من روايات ابن الكلبي. عن أبيه، ومن رواية دماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعي، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل، ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه، فجمعت رواياتهم، ولكل امرئ منهم زيادة على صاحبه، ونقصان عنه، واللفظ مشترك في الروايات، إلا ما حكيته مفرداً.
قال ابن الكلبي: حدثني أبي ومحرز بن جعفر، وجعفر بن كلاب الجعفري، عن بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى بن مالك بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين، قالوا: أول ما هاج النفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص.

وأم عامر: كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر، وأمها أم الظباء بنت معاوية، فارس الهرار، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وأم أبيه الطفيل: أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة. فال أبو الحسن الأثرم: وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النخع سبية، وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشيطان بن بكر بن عوف بن النخع مهيرة أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال: لم أر كاليوم عورة رجل أقبح. فقال علقمة: أما والله ما تثب على جاراتها، ولا تنازل كناتها، يعرض بعامر. فقال عامر: وما أنت والقروم! والله لفرس أبي حنوة أذكر من أبيك، ولفحل أبي غيهب أعظم ذكراً منك في نجد. قال: وكان فرسه فرساً جواداً، نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، وكان فحله فحلا لبني حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة بن عوف بن

سعد بن ذبيان.
قال الأثرم: وأخبرني رجل من جهينة بدمشق، قال: هو الأشعر بن صرمة.
قال: الأثرم: سمى صرمة غيهب لسواده.
قال ابن الكلبي: فاستعاره منهم يستطرقه، فغلبهم عليه، فقال علقمة: أما فرسكم فعارة، وأما فحلكم فغدرة. ولكن إن شئت نافرتك. فقال: قد شئت.
فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حسباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قصباً.
فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.
فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك.
فقال علقمة: على ماذا تنافرني يا عامر؟ فقال عامر: أنافرك على أني أنحر منك للقاح، وخير منك في الصباح، وأطعم منك في السنة الشياح. فقال علقمة: أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدو وأنا أمامك، أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك، ولكن أنافرك أني خير منك أثراً، وأحد منك بصراً، وأعز منك نفراً، وأسرح منك ذكراً.
فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص، وبصرك صحيح، ولكني أنافرك على أني أنشر منك أمة، وأطول منك قمة، وأحسن منك لمة، وأجعد منك جمة، وأبعد منك همة.
قال علقمة: أنت رجل جسيم، وأنا رجل قضيف، وأنت جميل، وأنا قبيح، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي. فقال عامر: آباؤك أعمامي و لم أكن لأنافرك بهم، ولكني أنافرك أني خير منك عقباً، وأطعم منك جدباً.
قال علقمة: قد علمت أن لك عقباً في العشيرة، وقد أطعمت طيباً إذ سارت، ولكني أنافرك أني خير منك، وأولى بالخيرات منك، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم.
قال: فخرجت أم عامر، وكانت تسمع كلامهما، فقالت: يا عامر، نافره أيكما أولى بالخيرات.
قال أبو المنذر: قال أبو مسكين: قال عامر في مراجعته: والله لأنا أركب منك في الحماة، وأقتل منك للكماة، وخير منك للمولى والمولاة.
فقال له علقمة: والله إني أعز منك. إني لبر وإنك لفاجر، وإني لوفي وإنك لغادر، ففيم تفاخرني يا عامر؟ فقال عامر: والله إني لأنزل منك للقفرة، وأنحر منك للبكرة، وأطعم منك للهبرة، وأطعن منك للثغرة. فقال علقمة: الله إنك لكليل البصر، نكد النظر، وثاب على جاراتك بالسحر.
فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تطيق عامراً، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه بالكبر. فقال له علقمة هذا القول.
فقال عامر: عتر وتيس، وتيس وعتر، فذهبت مثلاً. نعم على مئة من الإبل، إلى مئة من الإبل يعطاها الحكم، أينا نفر عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذاك، ووضعوا بها رهناً من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسمي

الضمين إلى الساعة، وهو الكفيل.
قال: وخرج علقمة ومن معه من بني خالد، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، وهو أبو براء، فقال: يا عماه، أعني. فقال: يا بن أخي، سبني. فقال: لا أسبك وأنت عمي.
قال: فسب الأحوص. فقال عامر: ولا أسب والله الأحوص وهو عمي، فقال: فكيف إذن أعينك، ولكن دونك نعلي، فإني قد ربعت فيها أربعين مرباعاً، فاستعن بها في نفارك.

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئاً، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال: أنتما كركبتي البعير الأدرم، تقعان بالأرض. قالا: فأينا اليمين؟ فقال: كلاكما اليمين. وأبى أن يقضي بينهما. فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال:

يآل قريش بينوا الكلاما ... إنا رضينا منكم الأحكاما
فبينوا إن كنتم حكاما ... كان أبونا لهم إماما
وعبد عمر ومنع الفئاما ... في يوم فخر معلم إعلاما
ودعلج أقدمه إقداما ... لولا الذي أجشمهم إجشاما
لا تخذتهم مذحج نعاما

قال: فأبوا أن يقولوا بينهما شيئاً. وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش، فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة، فأبى أن يقول بينهما شيئاً. فأتيا غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي، فردهما إلى حرملة بن الأشعر المري، فردهما إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري، فانطلقا حتى نزلا به.
وقال بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى: إنهما ساقا الإبل معهما، حتى أشتت وأربعت، لا يأتيان أحداً إلا هاب أن يقضي بينهما، فقال هرم: لعمري لأحكمن بينكما، ثم لأفصلن، ثم لست أثق بواحد منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتسلما لما قضيت بينكما، وأمرهما بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقمة ببني الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجزر والقدور، ينحرون في كل منزل ويطعمون، وجمع عامر بني مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه، و لم ينهض أبو براء معهم، وقال لعامر: والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص منيخاً بها، وكره أبو براء ما كان من أمرهما، فقال عامر فيما كره من منافرتهما، ودعاء عامر إياه أن يسير معه:

أأومر أن أسب أبا شريح ... ولا والله أفعل ما حييت
ولا أهدي إلى هرم لقاحا ... فيحيي بعد ذلك أو يميت

أكلف سعي لقمان بن عاد فيآل أبي شريح ما لقيت

قال: وأبو شريح: هو الأحوص. فكره كل واحد من البطنين ما كان بينهما. وقال عبد عمرو بن شريح بن الأحوص:

لحى الله وفدينا وما ارتحلا به من السوءة الباقي عليهم وبالها

ألا إنما بردى صفاق متينة أبى الضيم أعلاها وأثبت حالها

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مجنبي الإبل، وعليهم السلاح، فقال رجل من غني: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجزر، وليس معك شيء تطعمه الناس! ما أسوأ ما صنعت! فقال عامر لرجلين من بني عمه: أحصيا كل شيء مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة. ففعلا. فقال عامر: يا بني مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل ما شخصوا به، ففعلوا وثار مع عامر لبيد بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحطيئة وفتيان من بني الأحوص، منهم السندري بن يزيد بن شريح، ومروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون، فقال لبيد:

يا هرماً وأنت أهل عدل إن نفر الأحوص يوماً قبلي

ليذهبن أهله بأهلي لا تجمعن شكلهم وشكلي

ونسل آبائهم ونسلي

وقال أيضاً:

إني امرؤ من مالك بن جعفر علقم قد نافرت غير منفر

نافرت سقباً من سقاب العرعر

فقال قحافة بن عوف بن الأحوص:

نهنه إليك الشعر يا لبيد واصدد فقد ينفعك الصدود

ساد أبونا قبل أن تسودوا سؤددكم مطرف زهيد

وقال أيضاً:

إني إذا ما نسي الحياء وضاع يوم المشهد اللواء

أنمى وقد حق لي النماء إلى ذكور ذكرها سناء

إذ لا تزال جلدة كوماء مبقورة لسقبها دعاء

لم ينهنا عن نحرها الصفاء لنا عليكم سورة ولاء

المجد والسؤدد والعطاء

أنتم هزلتم عامر بن مالك في شتوات مضر الهوالك

يا شر أحياء وشر هالك

قال: وأنشدها السندري يومئذ، ورفع صوته، فقيل: من هذا؟ فقال:

أنا لمن أنكر صوتي السندري أنا الفتى الجعد الطويل الجعفري

من ولد الأحوص أخوالي غني

فقال عامر: أجب يا لبيد. فرغب لبيد عن إجابته، وذلك لأن السندري كانت جدته أمة اسمها عيساء، فقال:

لما دعاني عامر لأسبهم أبيت وإن كان ابن عيساء ظالما

لكيما يكون السندري نديدتي وأشتم أعماماً عموماً عماعما

وأنشر من تحت القبور أبوة كراماً هم شدوا علي التمائما

لعبت على كتافهم وحجورهم وليداً وسموني مفيداً وعاصما

ألا أينا ما كان شراً لمالك فلا زال في الدنيا ملوماً ولائما

قال: ووثب الحطيئة، فقال:

ما يحبس الحكام بالفصل بعدما بدا سابق ذو غرة وحجول

وقال أيضاً:

يا عام قد كنت ذا باع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريته أمم

جاريت قرماً أجاد الأحوصان به سمح اليدين وفي عرنينه شمم

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ولا يبيت على مال له قسم

هابت بنو مالك مجداً ومكرمة وغاية كان فيها الموت لو قدموا

وما أساءوا فراراً عن مجلحة لا كاهن يمتري فيها ولا حكم

قال: وأقام القوم عنده أياماً، وأرسل إلى عامر، فأتاه سراً، لا يعلم به علقمة فقال: يا عامر، قد كنت أرى لك رأياً، وأن فيك خيراً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟ قال عامر: أنشدك الله والرحم أن لا تفضل علي علقمة، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً. هذه ناصيتي فاجززها. واحتكم في مالي، فإن كنت لا بد فاعلاً فسو بيني وبينه. قال: انصرف، فسوف أرى رأيي. فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه.

ثم أرسل إلى علقمة سراً، لا يعلم به عامر، فأتاه فقال: يا علقمة، والله إن كنت لأحسب فيك خيراً، وأن لك رأياً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب؟ وأبوه أبوك، وهو مع هذا أعظم قومك غناء، وأحمدهم لقاء؟ فما الذي أنت به خير منه؟ فقال له علقمة: أنشدك الله والرحم ألا تنفر علي عامراً. اجزز ناصيتي، واحتكم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسو بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى رأيي. فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً.

قال أبي: وسمعت أن هرماً قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف تفاضل علقمة؟ فقال عامر: و لم يا هرم؟ قال: لأنه أنجل منك عيناً في النساء، وكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء. قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم. هو كثر منك نائلاً في الثراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء. ثم قال لعلقمة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: و لم يا هرم؟ قال: هو أنفد منك لساناً، وأمضى منك سناناً. قال علقمة: فهل غير هذا؟ قال: نعم. هو أقتل منك للكماة، وأفك منك للعناة.

قال: ثم إن هرماً أرسل إلى بنيه وبني أبيه: إني قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحزها عن عامر، وفرقوا بين الناس، لا تكون لهم جماعة.

وأصبح هرم، فجلس مجلسه، وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام لبيد فقال:

يا هرم ابن الأكرمين منصبا ... إنك قد وليت حكماً معجبا

فاحكم وصوب رأس من تصوبا ... إن الذي يعلو علينا ترتبا

لخيرنا عما وأما وأبا ... وعامر خيرهما مركبا

وعامر أدنى لقيس نسبا

فقام هرم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدرم: تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم.

وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر، فنحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشراً، وعن عامراً عشراً، وفرقوا الناس، فلم يفضل هرم واحداً منهما على صاحبه، وكره أن يفعل وهماً ابنا عم، فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحيين شراً.

قال: وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار والخفرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، وأجاره وخفره عامر، حتى إذا أداه وماله إلى أهله قال:

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

ثم أتمها بعد النفار. فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى، وأشاع في العرب أن هرماً قد فضل عامراً، توعد الأعشى، فقال الأعشى:

لعمري لئن أمسى من الحي شاخصاً

قال ابن الكلبي: حدثني أبي قال: فعاش هرم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هرم، أفي الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جذعة، ولبلغت شعاف هجر. فقال عمر: نعم مستودع السر ومسند الأمر إليه أنت يا هرم، مثل هذا فليسد العشيرة. وقال: إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم.

قال مؤلف الكتاب: وقد أدرك علقمة بن علاثة الإسلام، فأسلم، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب. فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومي إلى بني كلاب ليوقع بهم، وعلقمة يومئذ رئيسهم، هرب وأسلم، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه، فأعلمه أنه قد نزع عما كان عليه، فقبل إسلامه وأمنه. هكذا ذكر المدائني. وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، قال: كان علقمة بن علاثة على كلاب ومن لافها، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعد فتح الطائف، حتى لحق بالشام مرتداً، فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعاً، حتى عسكر في بني كعب، مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى، وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه، فبعث إليه سرية، وأمر عليها القعقاع بن عمرو، وقال: يا قعقاع، سر حتى تغير على علقمة بن علاشة، لعلك تأخذه لي أو تقتله. واعلم أن شفاء النفس الحوص، فاصنع ما عندك. فخرج في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح أن يكون على رحل، فسابقهم على فرسه مراكضة، وأسلم أهله وولده، واستبى القعقاع امرأة علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال، فاتقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه، فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالئوا علقمة على أمره، وكانوا مقيمين في الدار، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك. وقالوا لأبي بكر: ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم، ثم أسلم علقمة، فقبل ذلك منه.

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما حدث أصحابه، وربما تركهم يتحدثون ويصغي إليهم ويتبسم، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب، إذ سمع حسان بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة، علقمة بن علاثة، ومديحه عامر بن الطفيل:

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

إن تسد الحوص فلم تعدهم ... وعامر ساد بني عامر

ساد وألفى رهطه سادة وكابرا سادوك عن كابر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كف عن ذكره يا حسان، فإن أبا سفيان لما شعث مني عند هرقل، رد عليه علقمة، فقال حسان بن ثابت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من نالتك يده فقد وجب علينا شكره.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني، عن أبي بكر الهذلي قال: لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه، قال له: يا أمير المؤمنين، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن علاثة، لأقصده به، فقد منعتني التكسب بشعري. فقال: لا أفعل. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك؟ إن علقمة ليس بعاملك، فتخشى أن تأثم، وإنما هو رجل من المسلمين، تشفع له إليه. فكتب له بما أراد، فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه، ثم أنشد قوله:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى أعلقته الحبائل

فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى إلا ليال قلائل

فقال له ابنه: يا حطيئة، كم ظننت أن علقمة يعطيك؟ قال: مئة ناقة. قال: فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها. فأعطاه إياها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمر بن أبي بكر قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد والضحاك بن عثمان قالا: لما قدم علقمة بن علاثة المدينة، وكان قد ارتد عن الإسلام، وكان لخالد بن الوليد صديقاً، لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد في جوف الليل، وكان عمر يشبه بخالد، وذلك أن أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فسلم عليه، وظن أنه خالد، فقال: أعزلك؟ قال: كان ذلك. قال: والله ما هو إلا نفاسة عليك، وحسد لك. فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟ قال: معاذ الله، إن لعمر علينا سمعاً وطاعة، وما نخرج إلى خلافه. فلما أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس، فدخل خالد وعلقمة، فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال: إيه يا علقمة، أأنت القائل لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد، فقال: يا أبا سليمان، أفعلتها؟ قال: ويحك والله ما لقيتك قبل ما ترى، وإني لأراك لقيت الرجل. قال: أراه والله. ثم التفت إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، ما سمعت إلا خيراً. قال: أجل. فهل لك أو أوليك حوران؟ قال: نعم. فولاه إياها، فمات بها.

فقال الحطيئة يرثيه:

لعمري لنعم الحي من آل جعفر بحوران أمسى أقصدته الحبائل

لقد أقصدت جوداً ومجداً وسؤدداً وحلماً أصيلاً خالفته المجاهل

فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

وفي أول هذه القصيدة التي رثى بها الحطيئة علقمة غناء نسبته:

أرى العيس تخدي بين قوّ فضارج كما لاح في الصبح الأشاء الحوامل

فأتبعتهم عيني حتى تفرقت مع الليل عن ساق الفريد الجمائل

فلأيا قصرت الطرف عنهم بجسرة أمون إذا واكلتها لا تواكل

غنى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني ثقيل بالوسطى، من رواية حماد بن إسحاق والهشامي.

ليت شعري أفاح رائحة المس ك وما إن إحال بالخيف إنسي

حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ن عليها وقالة غير خرس

إحال: أظن. خلت كذا وكذا، فأنا إخاله: إذا ظننته، وخال علي الشيء يخيل: إذا شككت فيه. وليت شعري: كلمة تقولها العرب عند الشيء تحب علمه، وتسأل عنه.

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني عمر بن شبه قال: سأل رجل أبا عبيدة: ما أصل ليت شعري؟ فقال: كأنه قال: ليتني شعرت بكذا وكذا، ليتني علمت حقيقته.

الشعر لأبي العباس الأعمى، والغناء لابن سريج، رمل بالبنصر في مجراها

أخبار أبي العباس الأعمى

هو السائب بن فروخ مولى بني ليث. وقيل إنه مولى بني الذيل، وهذا القول هو الصحيح.

ذكر محمد بن معاوية الأسدي، عن المدائني والواقدي: أن أبا العباس الأعمى الذي يروي عنه حبيب بن أبي ثابت، مولى جذيمة بن علي بن الديل بن بكر بن عبد مناة، وكان من شعراء بني أمية المعدودين، المقدمين في مدحهم والتشيع لهم، وانصباب الهوى إليهم، وهو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة، صاحب على بن أبي طالب عليه السلام:

لعمرك إنني وأبا طفيل لمختلفان، والله الشهيد

أرى عثمان مهتدياً ويأبى متابعتي وآبى ما يريد

أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي سعد.

وقد روى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث، وروى عنه عطاء، وعمرو بن دينار، وحبيب بن أبي ثابت. أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العباس الأعمى الشاعر، عن عبد الله بن عمر، قال: إنما جمع مترل تدلج منه إذا شئت.

قال: حدثنا أحمد بن محمد بن دلان الخيشي، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو ضمرة قال: حدثني أبو الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي ذئب، عن أبي العباس، عن سعيد بن المسيب قال: قال علي بن أبي طالب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إسباغ الوضوء على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلاً.

حدثني: أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال: حدثنا أبو قلابة قال: حدثنا بشر بن عمر قال: حدثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت أبا العباس السائب بن فروخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم. قال: فيهما فجاهد.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حدثنا الفضل بن عبد الله الخلنجي بجرجان قال: حدثني مسلم بن الوليد الأنصاري قال: سمعت يزيد بن مزيد يقول: سمعت هارون الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول: خرجت أريد الشأم أيام مروان بن محمد، فصحبني في الطريق رجل ضرير، فسألته عن مقصده، فأخبرني أنه يريد مروان بشعر امتدحه به، فاستنشدته إياه، فأنشدني:

ليت شعري أفاح رائحة المس ... ك وما إن إخال بالخيف إنسي

حين غابت بنو أمية عنه ... والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ... ن عليها وقالة غير خرس

لا يعابون صامتين وإن قا ... لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

بحلوم إذا الحلوم تقضت ... ووجوه مثل الدنانير ملس

ويروى مكان تقضت: اضمحلت. قال: فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني، وافترقنا. فلما أفضت الخلافة إلي خرجت حاجاً، فنزلت أمشي بجبلي زرود، فبصرت بالضرير، ففرقت من كان معي، ثم دنوت منه فقلت: أتعرفني؟ قال: لا. فقلت: أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان. فقال: أوه:

آمت نساء بني أمية منهم ... وبناتهم بمضيعة أيتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم ... والنجم يسقط والجدود تنام

خلت المنابر والأسرة منهم ... فعليهم حتى الممات سلام

فقلت: وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت؟ قال: أغناني أن أسأل أحداً بعده. فهممت بقتله، ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة، فأمسكت عنه، وغاب عن عيني، فبدا لي فيه، فأمرت بطلبه، فكأنما البيداء بادت به.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: هوي أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل، فراسلها، فأعلمت زوجها، فقال: أطمعيه. فأطمعته. ثم قال: أرسلي إليه فليأتك. فأرسلت إليه،

فأتاها، وجلس زوجها إلى جانبها، فقال لها أبو العباس: إنك قد وصفت لنا وما نراك، فألمسينا. فأخذت يده، فوضعتها على أير زوجها، فنفر، وعلم أن قد كيد، فنهض من عندها، وقال:

علي ألية مادمت حيا ... أمسك طائعاً إلا بعود

ولا أهدي لأرض أنت فيها ... سلام الله إلا من بعيد

رجوت غنيمة فوضعت كفي ... على أيبر أشد من الحديد

فخير منك من لا خير فيه ... وخير من زيارتكم قعودي

وقرأت هذه الحكاية مروية عن الأصمعي غير مذكور راويها عنه. وزعم أن بشاراً صاحب القصة، وأنه كان له مجلس يسميه البردان، يجتمع إليه فيه النساء، فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها. ثم ذكر الخبر بطوله، وقال فيه: فلما وصل إليها أنشأ يقول:

مليكة قد وصفت لنا بحسن ... وإنا لا نراك فألمسينا

فأخذ زوجها يده، فوضعها على أيره.

ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات، لحنا من خفيف الثقيل، بالسبابة في مجرى الوسطى، ولم ينسبه إلى أحد. ووجدته في غناء عمرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال: قال أبو العباس الأعمى، مولى بني الديل بن بكر، يحض بني أمية على عبد الله بن الزبير:

أبني أمية لا أرى لكم ... شبهاً إذا ما التفت الشيع

سعة وأحلاماً إذا نزعت ... أهل الحلوم فضرها النزع

وحفيظة في كل نائبة ... شهباء لا ينهى لها الربع

الله أعطاكم وإن رغمت ... من ذاك أنف معاشر رتعوا

أبني أمية غير أنكم ... والناس فيما أطمعوا طمعوا

أطمعتم فيكم عدوكم ... فسما بهم في ذاكم الطمع

فلو أنكم كنتم لقولكم ... مثل الذي كانوا لكم رجعوا

عما كرهتم أو لردهم ... حذر العقوبة إنها تزع

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية، وهجاء آل الزبير، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير، ليس ذكرها مما قصدنا له.

ونسخت من كتاب قعنب بن المحرز قال: حدثنا المدائني، عن جويرية بن أسماء: أن ابن الزبير رأى رجلاً من حلفاء بني أسد بن عبد العزى في حالة رثة، فكساه ثوبين، وأمر له ببر وتمر، فقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

كست أسد إخوانها ولو أنني ... ببلدة إخواني إذاً لكسيت

فلم تر عيني مثل حي تحملوا ... إلى الشأم مظلومين منذ بريت

غنى في هذين البيتين دحمان ثقيل أول بالبنصر، من رواية ابن المكي، ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقي فيهما صنعة أيضاً.

وقال محمد بن معاوية: حدثني المدائني قال: قدم البعيث المجاشعي مكة، وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها، وكانت جوائز أمية تأتيه من الشام، وكانت قريش كلها تبره للسانه، وتقرباً إلى بني أمية ببره. قال: فصلى البعيث مع الناس، وسأل في حمالة كانت عليه، وكان سؤولاً ملحاً شديد الطمع، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمله عنه، فيقول: لا أقبله إلا أن تجيء معي إلى الصراف حتى ينقده ويزنه، فإن لم يفعل ذمه وهجاه. فشكوه إلى أبي العباس الأعمى، فقال: قودوني إليه، ففعلوا. فلما عرف مجلسه رفع عصاه، فضرب بها رأسه، ثم قال له:

فهل أنت إلا ملصق في مجاشع ... نفاك جرير فاضطررت إلى نجد

نفاك جرير بالهجاء إلى نجد

ويروى:

تظل إذا أعطيت شيئاً سألته ... تطالب من أعطاك بالوزن والنقد

فلا تطمعن من بعد ذا في عطية ... وثق بقبيح المنع والدفع والرد

فلست بمبق في قريش خزاية ... تذم ولو أبعدت فيه مدى الجهد

قال فتضاحك به من حضر، واستحيا و لم يحر جواباً. فلما جن الليل عليه هرب من مكة.

وقال قعنب بن المحرز: حدثني المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الديل: أنشدني مديحك مصعباً. فاستعفاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي، وقد علمت أن هواي أموي. قال: صدقت، ولكن أنشدني ما قلته. فانشده:

يرحم الله مصعباً فلقد ما ... ت كريماً ورام أمراً جسيماً

فقال عبد الملك: أجل، لقد مات كريماً، ثم تمثل:

ولكنه رام التي لا يرومها من الناس إلا كل خرق معمم

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان. قال حدثني إسحاق بن محمد الأموي قال: لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة، فدخلوا إليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا، ودخل أبو العباس الأعمى، فلما رآه عبد الملك قال: مرحباً مرحباً بك يا أبا العباس، أخبرني بخبر الملحد المحل حيث كسا أشياعه و لم يكسك، وأنشدني ما قلت في ذلك.

فأخبره بخبر ابن الزبير، وأنه كسا بني أسد وأحلافها و لم يكسه، وأنشده الأبيات. فقال عبد الملك: أقسم على كل من حضرني من بني أمية وأحلافهم ومواليهم، ثم على كل من حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم، إلا كسا أبا العباس.

فخلعت والله حلل الوشي والخز والقوهي، وجعلت ترمى عليه، حتى إذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطرح عليه، قال: حتى رأيت في الدار من الثياب ما ستر عني عبد الملك وجلساءه، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي. قال: حدثني أبي وأهلي: أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحجاز، جعل يتتبع شيعة بني مروان، فينفيهم عن المدينة ومكة، حتى لم يبق بهما أحد منهم، ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نبذ من كلام، وأنه يكاتب بني مروان بعوراته، ويمدح عبد الملك، وتجيئه جوائزه وصلاته، فدعا به، ثم أغلظ له، وهم به، ثم كلم فيه، وقيل له: رجل مضرور. فعفا عنه، ونفاه إلى الطائف، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير:

بني أسد لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تكذبوا وتحمقوا

بعيدات بين خيركم لصديقكم وشركم يغدو عليه ويطرق

متى تسألوا فضلاً تضنوا وتبخلوا ونيرانكم بالشر فيها تحرق

إذا استبقت يوماً قريش خرجتم بني أسد سكتا وذو المجد يسبق

تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم إذا ما قريش للأضاميم أصفقوا

وما ذاك إلا أن للؤم طابعاً يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني عمي مصعب قال: قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الديل بن بكر:

أفتني إن كنت ثقفاً شاعراً عن فتى أعرج أعمى مختلف

سيء السحنة كاب لونه مثل عود الخروع البالي القصف

فقال أبو العباس يرد عليه:

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع

نكولك في الهيجا وتقوالك الخنا وشتمك للمولى وأنك تبع

قال الزبير: يقال رجل تبع نساء وتبع نساء: إذا كان كلفاً بهن. أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عمي قال: حدثني المكيون: أن عمر بن أبي ربيعة كان يرامي جارية لأبي العباس الأعمى ببنادق الغالية، فبلغ ذلك أبا العباس، فقال لقائده: قفني على باب بني مخزوم، فإذا مر عمر بن أبي ربيعة، فضع يدي عليه، فلما مر عمر وضع يده عليه فأخذ بحجزته، وقال:

ألا من يشتري جاراً لئوماً بجار لا ينام ولا ينيم

ويلبس بالنهار ثياب ناس وشطر الليل شيطان رجيم

فنهضت إليه بنو مخزوم، فأمسكو فمه، وضمنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه.

ألا حي من أجل الحبيب المغانبا لبسن البلى لما لبسن الليالیا

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

الشعر لأبي حية النميري. والغناء لأحمد بن يحيى المكي، خفيف رمل بالبنصر، عن الهشامي.

أخبار أبي حية النميري ونسبه

أبو حية: الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

وكان يقال لمالك الأصقع. وقال قوم: إن الأصقع هو الأصم بن مالك بن جناب بن كعب.

وأبو حية شاعر مجيد مقدم، من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً، وكان فصيحاً مقصداً راجزاً، من ساكني البصرة، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً، معروفاً بذلك أجمع. وكان أبو عمرو بن العلاء يقدمه. وقيل إنه كان يصرع.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثني محمد بن سلام الجمحي. وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد. وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قالوا: كان لأبي حية سيف يسميه لعاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان من أجبن الناس.

قال: فحدثني جار له قال: دخل ليلة إلى بيته كلب، فظنه لصاً، فأشرفت عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول: أيها المغتر بنا، والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تخاف نبوته. اخرج بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. إني والله إن أدع قيساً إليك لا تقم لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورجلاً، سبحان الله! ما أكثرها

وأطيبها! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني حرباً.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدثني أبو عثمان المازني قال: حدثني سعيد بن مسعدة الأخفش قال: قال أبو حية النميري: أتدري ما يقول القدريون؟ قلت: لا. قال: يقولون: الله لا يكلف العباد ما لا يطيقون، ولا يسألهم ما لا يجدون، وصدق والله القدريون، ولكني لا أقول كما يقولون. قال محمد بن علي بن حمزة: وحدثني أبو عثمان قال: قال سلمة بن عياش لأبي حية النميري: أتدري ما يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إني أشعر منك. قال: إنا لله! هلك والله الناس!

قال: وكان أبو حية النميري مجنوناً يصرع، وقد أدرك هشام بن عبد الملك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال: سمعت عمي يقول: أبو حية في الشعراء كالرجل الربعة، لا يعد طويلاً ولا قصيراً.

قال: وسمعت أبا عمرو يقول: هو أشعر في عظم الشعر من الراعي.

أخبرني الحسن بن علي وعلي بن سليمان الأخفش، قالا: حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل. وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم، قالوا: كان أبو حية النميري من أكذب الناس، فحدث يوماً أنه يخرج إلى الصحراء، فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء. فقيل له: يا أبا حية، أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك، فما نصنع بك؟ قال: أبعدها الله إذن! قال: وحدثنا يوماً قال: عن لي ظبي يوماً فرميته، فراغ عن سهمي، فعارضه السهم، ثم راغ، فعارضه السهم، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات.

قال: وقال يوماً: رميت والله ظبية، فلما نفذ سهمي عن القوس، ذكرت بالظبية حبيبة لي، فعدوت خلف السهم، حتى قبضت على قذذه قبل أن يدركها.

وذكر يحيى بن علي عن الحسن بن عليل العنزي قال: قال الرياشي، عن الأصمعي قال: وفد أبو حية النميري على المنصور وقد امتدحه، وهجا بني حسن بقصيدته التي أولها:

عوجا نحي ديار الحي بالسند ... وهل بتلك الديار اليوم من أحد

يقول فيها:

أحين شيم فلم يترك لهم ترة ... سيف تقلده الرئبال ذو اللبد

سللتموه عليكم يا بني حسن ... ما إن لكم من فلاح آخر الأبد

قد أصبحت لبني العباس صافية ... لجدع آناف أهل البغي والحسد

وأصبحت كلهاة الليث في فمه ... ومن يحاول شيئاً في فم الأسد؟

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل، فاحتجن لعياله أكثره، وصار إلى الحيرة، فشرب عند خماره بها، فأعجبه الشرب، فكره إنفاد ما معه، وأحب أن يدوم له ما كان فيه، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد، ففعلت وشرهت إلى فضل النسيئة، وكان لأبي حية أير كعنق الظليم، فأبرز لها عنه، فتدلهت، وكانت كلما سقته خطت في الحائط، فأنشأ أبو حية يقول:

إذا أسقيتني كوزاً بخط ... فخطي ما بدا لك في الجدار

فإن أعطيتني عيناً بدين ... فهاتي العين وانتظري ضماري

خرقت مقدماً من جنب ثوبي ... حيال مكان ذاك من الإزار

فقالت ويلها: رجل ويمشي ... بما يمشي به عجر الحمار

وقالت :ما تريد؟ فقلت: خيراً ... نسيئة ما علي إلى يساري

فصدت بعدما نظرت إليه ... وقد ألمحتها عنق الحوار

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال: لقي ابن مناذر أبا حية، فقال له: أنشدني بعض شعرك. فأنشده:

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مناذر: وهذا شعر؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب هو شر من أنك تسمعه. ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره، فقال له أبو حية: قد عرفتك ما قصتك؟ وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية، ويذكر يوم النشاش، وهو يوم لبني نمير.

أخبار أحمد بن يحيى المكي

أحمد بن يحيى بن مروزق المكي، ويكنى أبا جعفر. وكان يلقب ظنيناً. وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره. وهو أحد المحسنين المبرزين، الرواة للغناء، المحكمي الصنعة. وكان إسحاق يقدمه ويؤثره، ويشيد بذكره، ويجهر بتفضيله، وكتابه المجرد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعمول عليها، وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحا، يقارب كتابه، ولا يقاس به، وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته، أحد الضراب الموصوفين المتقدمين. أخبرني عمي قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي، عن محمد بن أحمد المكي: أن أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونسبه وجنسه، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت.

أخبرني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى، ونسخت من بعض الكتب: حدثني محمد بن أحمد المكي قال: حدثني علي بن يحيى قال: قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي: يا أبا محمد، لو كان

أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكاً، كم كان يساوي؟ فقال: أخبرك عن ذلك.

أنصرفت ليلة من دار الواثق، فاجتزت بدار الحسن بن وهب، فدخلت إليه، فإذا أحمد عنده، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة، قال لي الحسن بن وهب: كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت: يساوي عشرين ألف دينار. قال: ثم رجع فغنى صوتاً، فقال لي الحسن بن وهب: يا أبا محمد، أضعفها. قال: ثم تغنى صوتاً آخر، فقلت للحسن: يا أبا علي أضعفها. ثم أردت الانصراف، فقلت لأحمد: غنني:

لو لا الحياء وأن الستر من خلقي ... إذن قعدت إليك الدهر لم أقم

أليس عندك شكر للتي جعلت ... ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

الغناء فيه لمعبد، خفيف ثقيل أول في مجرى البنصر، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك، وليس كما قال، لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشامي ودنانير وغيرهما.

قال: فغناه أحمد بن يحيى المكي، فأحسن فيه كل الإحسان. فلما قمت للانصراف قلت للحسن: يا ألا علي، أضعف الجميع. فقال له أحمد: ما هذا الذي أسمعكما تقولانه، ولست أدري ما معناه. قال: نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري.

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علي بن يحيى، عن أخيه أحمد بن علي، عن عافية بن شبيب، عن أبي حاتم، كان إسحاق عندنا في منزل أبي علي الحسن بن وهب، وعندنا ظنين بن المكي، وذكر الحديث مثله، وقال فيه: إنه قومه مئة ألف درهم، وذكر أن الصوت الذي غناه آخراً:

أمن دمن وخيم باليات ... وسفع كالحمائم جاثمات

أرقت لهن شطر الليل حتى ... طلعن من المناقب منجدات

وأن إسحاق لما سمعه قال: كم كنت قومته؟ قال: مئة ألف درهم. قال: أضعفوا القيمة. قيمته مئتا ألف درهم.

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول، بالسبابة في مجرى الوسطى، ينسب إلى ابن مسجح، وإلى ابن محرز. وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، عن عمرو. وللغريض خفيف ثقيل عن الهشامي.

أخبرني جحظة قال: حدثني محمد بن أحمد المكي قال: ناظر أبي بعض المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم، وطال تلاحيهما في الغناء، فقال أبي للمعتصم، يا أمير المؤمنين، من شاء منهم فليغن عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة، وأنا أغني عشرة وعشرة وعشرة، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها. فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين. واتبعه ابن بسخنر وعلويه، فقالا: صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله. فأمر له بعشرين ألف درهم.

قال محمد: ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظته يوماً، فقال له: قد دعوتك إلى النصفة، فلم تقبل، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه، فاندفع فغنى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم منها صوتاً واحداً، كلها من الغناء القديم، والغناء اللاحق به من صنعة المكيين الحذاق الخاملي الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتاً، وأسكت المغنين له،

واستعاده مرات عدة، و لم يزل يشرب عليه سحابة يومه، وأمر ألا يراجع أحداً من المغنين كلاماً، ولا يعارضه أحد منهم، إذ كان قد أبر عليهم، وأوضح الحجة في انقطاعهم، وإدحاض حججهم.

كان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه، وأمر له لما سمعه بألفي دينار:

لعن الله من يلوم محباً ولحى الله من يحب فيابى

رب إلفين أضمرا الحب دهرا فعفا الله عنهما حين تابا

الغناء ليحيى المكي رمل.

قال محمد، قال أبي: وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مماطر لها شأن من ألوان شتى، فسألني عبد الوهاب بن علي أن أرد عليه هذا الصوت، وجعل لي ممطره، فغنته إياه، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا، أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني، فسلموه إليهم.

أخبرني عبد الله بن الربيع، عن أبيه، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: سألني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً: من بقي من المغنين؟ قلت: وجه القرعة محمد بن عيسى، مولى عيسى بن جعفر. فقال: صالح كيس. ومن أيضاً؟ قلت: أحمد بن يحيى المكي. قال بخ بخ! ذاك المحسن المجمل الضارب المغني القائم بمجلسه، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره. ومن بأبي أنت؟ قلت: ابن مقامرة. قال: لا والله ما سمعت بهذا قط. فمن مقامره هذه؟ زامرة أم نائحة أم مغنية؟ قلت: لا. ولكنها من الناس، وليست من أهل صناعته. قال: ومن أيضاً بأبي أنت؟ قلت: يحيى بن القاسم ابن أخي سلمة. قال: الذي كان له أخ يغني مرتجلاً؟ قلت: نعم. قال: لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قط، ولا أشك أن هذا كذلك، لأنهما مؤدباه.

وذكر ابن المكي عن أبيه قال: قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده: خلعت اليوم على فتى شريف ظريف نظيف، حسن الوجه، شجاع القلب، ووليته المصيصة ونواحيها. فقلنا: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: خالد بن يزيد بن مزيد. فقال علونه: يا أحمد غن أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد، فأمسكت عنه. فقال المعتصم: مالك لا تجيبه؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس هو مما يغنى بحضرة الخليفة. فقال: ما من أن تغنيه بد. قال: فغنيته صنعة لي في هذا الشعر:

علم الناس خالد بن يزيد كل حلم وكل بأس وجود

فترى الناس هيبة حين يبدو من قيام وركع وسجود

فقال المعتصم: يا سمانة، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجواري في غد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال: وغنى أبي يوماً محمداً الأمين:

فعش عمر نوح في سرور وغبطة وفي خفض عيش ليس في طوله إثم

تساعدك الأقدار فيه وتنثني إليك وترعى فضلك العرب والعجم

فأمر له بخمس مئة دينار.

وتوفي أحمد بن يحيى المكي في خلافة المستعين في أولها. أخبرني بذلك جحظة البرمكي، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي: أن أباه توفي في هذا الوقت. انقضت أخباره.

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟

غادروا: تركوا. والوشل: الماء القليل. والمعين: الماء الصافي الجاري. وغيضن من عبراتهن: أي كففنها ومسحنها حتى تغيض.

الشعر لجرير، والغناء لإسحاق، رمل بالوسطى، عن عمرو. وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها. وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر، عن الهشامي وعمرو. وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملاً آخر. وذكر عيسى أن الثقيل الأول لإبراهيم، وأن فيه للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم أيضاً ماخوري بالبنصر. وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أن هذين البيتين للمعلوط، وأن جريراً سرقهما منه، وأدخلهما في شعره.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي وغيره قالوا: غدا عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي على أبي السائب المخزومي في منزله، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

البيتين. فحلف أبو السائب ألا يرد على أحد سلاماً، ولا يكلمه إلا بهذين البيتين، حتى يرجع إلى منزله. فخرجا، فلقيهما عبد العزيز بن المطلب وهو قاض، وكانا يدعيان القرينين لملازمتهما، فلما رآهما قال: كيف أصبح القرينان؟ فغمز أبو السائب بن جندب: أن أخبره بالقصة، وابن جندب يتغافل، فقال لابن جندب: ما لأبي السائب؟ فجعل أبو السائب يغمزه، أي أخبره بيميني. قال ابن جندب: أحمد الله إليك، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا. فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه، فصرفهم ودخل منزله مغتماً. فلما أتى أبو السائب منزله، وبزت يمينه، خرج إلى ابن جندب فقال: اذهب بنا إلى ابن المطلب، فإني أخاف أن يرد شهادتي. فاستأذنا عليه، فأذن لهما فقال له أبو السائب: قد علمت أعزك الله غرامي بالشعر، وإن هذا الضال جاءني حين خرجت من منزلي، فأنشدني بيتين، فحلفت ألا أرد على أحد سلاماً، ولا أكلمه إلا بهما. حتى أرجع إلى منزلي. فقال ابن المطلب: اللهم غفراً! ألا تترك المجون يا أبا السائب.

أخبرني: الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد المطلب بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب قول جرير:

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال: يا بن أخي، أتدري ما التغييض؟ قلت: لا. قال: هكذا، وأشار بأصبعه إلى جفنه، كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا المدائني. وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، عن أحمد بن زهير، عن الزبير بن بكار قال: عن المدائني قال: شهد رجل عند قاض بشهادة، فقيل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عتيق. فبعث إليه يسأله عنه. فقال: عدل رضا. فقيل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا. ولكني سمعته ينشد:

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا: كان أبو السائب المخزومي واقفاً على رأس بئر، فأنشده ابن جندب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه، فبعد لأي ما أخرجوه.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا محمد بن الحسن الزرقي قال: حدثنا العلاء بن عمرو الزبيري، من ولد عمرو بن الزبير، قال: حدثنا يحيى بن أبي قتيلة قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليهم السلام، عن أشعب قال: جاءني فتية من قريش، فقالوا لي: نحب أن تسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء، وتعلمنا ما يقول لك، وجعلوا لي في ذلك جعلاً. فدخلت عليه، فقلت: يا أبا عمروا، لي مجالسة وحرمة، ومودة وسن، وأنا مولع بالترنم. قال: وما الترنم؟ قلت: الغناء. قال: وفي أي وقت؟ قلت: في الخلوة، ومع الإخوان في الخارج. وأحب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكت عنه. ثم غنيته، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم، فأعلمتهم، فقالوا: وما غنيته؟ فقلت: غنيته:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

قالوا: هذا بارد لا حركة فيه، ولسنا نرضى. فلما رأيت دفعهم أياي، وخفت ذهاب ما جعلوا لي، رجعت إليه، فقلت: يا أبا عمرو، آخر. قال: مالي ولك؟ و لم أملكه أمره حتى غنيت، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم فأعلمتهم. قالوا: وما غنيته؟ قلت:

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

قالوا: وليس هذا بشيء. فرجعت إليه، فقلت: آخر. فاستكفني، فلم أملكه القول حتى غنيته:

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟

فقال: مهلا مهلا. قلت: لا والله إلا بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر. فقال: هو لك. فخرجت عليهم به، وأنا أخطر. فقالوا: مه. فقلت: أطربت الشيخ حتى أعطاني هذا، وقال مرة أخرى: حتى فرض لي هذا. قال: ووالله ما فعل، وإنما كان فدية لأصمت، وأخذت منهم الجعل.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال: حدثت عن حماد بن إسحاق قال: حدثني علويه الأعسر قال: أتيت أباك في داره هذه يوماً وقد بنى إيوانها وسائرها خراب، فجلسنا على تل من تراب، فغناني لحنه في:

غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فسألته أن يعيده عليّ، ففعل. وأتانا رسول أبيه بطبق رطب، فقال للرسول: قل له: سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثت به إلي، فأبلغه الرسول ذلك، فقال له: ومن عنده؟ فأخبره أنني عنده. فقال: ما أخلقه أن يكون قد أتانا بآبدة، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال: ما آن لرطبكم أن يأتينا؟ فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت، فغنيته إياه، فقال: أجاد والله. أألام على هذا وحبه، والله لو لم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته، فكيف وهو ابني؟

ألست ترى يا ضب بالله أنني مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا حزنا نخب ركابهم كما حركت ريح يراعاً مثقبا

عروضه من الطويل. والشعر لنائله بنت الفرافصة. والغناء لابن عائشة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى.

ووجدت في كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكي لابن عائشة.

أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها

هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو، وقيل: ابن عفر بن ثعلبة، وقيل: عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبية، زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان.

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هند بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة، فبلغ ذلك عثمان، فكتب إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب، فاكتب إلي بنسبها وجمالها.

فكتب إليه: أما بعد، فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحرص. وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة. فكتب إليه: إن

كانت لها أخت فزوجنيها.

فبعث سعيد إلى الفرافصة، يخطب إحدى بناته على عثمان. فأمر الفرافصة ابنه ضبا، فزوجها إياه. وكان ضب مسلماً، وكان الفرافصة نصرانياً، فلما أرادوا حملها إليه، قال لها أبوها: يا بنية، إنك تقدمين على نساء من نساء قريش، هن أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني خصلتين، تكحلي، وتطيبي بالماء، حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر.

فلما حملت كرهت الغربة، وحزنت لفراق أهلها، فأنشأت تقول:

ألست ترى يا ضب بالله أنني مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا حزنا تخب ركابهم كما زعزعت ريح يراعاً مثقبا

لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم لك الويل ما يغني الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان رضي الله عنه، قعد على سريره، ووضع لها سريراً حياله، فجلست عليه، فوضع عثمان قلنسيته، فبدا الصلع، فقال: يا بنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي، فإن وراءه ما تحبين. فسكتت. فقال: إما أن تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك. فقالت: أما ما ذكرت من الصلع، فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع. وأما قولك: إما أن تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك، فوالله ما تجشمت من جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك. فقامت، فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها، ودعا لها بالبركة، ثم قال لها: اطرحي عنك رداءك، فطرحته، ثم قال لها: اطرحي خمارك، فطرحته، ثم قال لها: انزعي درعك، فنزعته، ثم قال: حلي إزارك. فقالت: ذاك إليك. فحل إزارها، فكانت من أحظى نسائه عنده.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن محمد بن عيسى بن يزيد، عن عبد الواحد بن عمير، عن أبي الجراح مولى أم حبيبة، قال: كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار، فما شعرت وقد خرج محمد بن أبي بكر، ونحن نقول: هم في الصلح، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخوخة، ونزلوا بأمراس الحبال من سور الدار، معهم السيوف، فرميت بسيفي، وجلست عليه، وسمعت صياحهم، فكأني أنظر إلى مصحف في يد عثمان، وإلى حمرة أديمه، فنشرت نائلة بنت الفرافصة شعرها، فقال لها عثمان: خذي خمارك، فلعمري لدخولهم علي أعظم من حرمة شعرك.

وأهوى رجل إليه رضي الله عنه بالسيف، فاتقته نائلة بيدها، فقطع إصبعين من أصابعها، ثم قتلوه، وخرجوا يكبرون، ومر بي محمد بن أبي بكر، فقال: مالك يا عبد أم حبيبة؟ ومضى فخرجت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شمة قال: حدثنا عبد الله بن حكيم الطائي، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: لما قتل عثمان رحمة الله عليه، قالت نائلة بنت الفرافصة:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيبت عنا فضول أبي عمرو

هكذا في هذه الرواية. وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عقبة.

أخبرني أحمد قال: حدثني عمر قال: حدثنا علي بن محمد، عن أبي مخنف، عن نمير بن وعلة، عن الشعبي مسلمة بن محارب، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية: أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاية بن أبي سفيان، وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة: من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ النعمة، وأنشدكم بالله، وأذكركم حقه وحق خليفته الذي لم تنصروه، وبعزمة الله عليكم، فإنه عز وجل يقول: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله". وإن أمير المؤمنين بغي عليه، ولو لم يكن له عليكم حق ألا حق الولاية، ثم أتي إليه بما أتي، لحق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لقدمه في الإسلام، وحسن بلائه، وأنه أجاب داعي الله، وصدق كتابه، والله أعلم به إذ انتجبه، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة.

وإني أقص عليكم خبره، لأني كنت مشاهدة أمره كله، حتى أفضي إليه: وإن أهل المدينة حصروه في داره، يحرسنه ليلهم ونهارهم. قيام على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شيء قدروا عليه، حتى منعوه الماء، يحضرونه الأذى، ويقولون له الإفك. فمكث هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، وكان علي مع المحرضين من أهل المدينة، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين، ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به. فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل، وطوائف من مزينة وجهينة، وأنباط يثرب، ولا أرى سائرهم، ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره. ثم إنه رمي بالنبل والحجارة، فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر، فأتوه يصرخون إليه، ليأذن لهم في القتال، فنهاهم عنه، وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم، فردوها إليهم، فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جراءة، وفي الأمر إلا إغراء. ثم أحرقوا باب الدار، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه، فقالوا: إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك، فانطلق فجلس فيه ساعة، وأسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية، وما أرى أحداً يعدل، فدخل الدار، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح، فلبس درعه، وقال لأصحابه: لولا أنتم ما لبست درعاً، فوثب عليه القوم، فكلمهم ابن الزبير، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة، بعث بها إلى عثمان: إن عليكم عهد الله وميثاقه ألا تعروه بشيء، فكلموه وتحرجوا، فوضع السلاح، فلم يكن إلا وضعه، حتى دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبي بكر، حتى أخذوا بلحيته، ودعوه باللقب. فقال: أنا عبد الله وخليفته، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات، وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في

العظم، فسقطت عليه وقد أتخنوه وبه حياة، وهم يريدون قطع رأسه، ليذهبوا به، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة، فألقت نفسها معي عليه، فوطئنا وطئاً شديداً، وعرينا من ثيابنا، وحرمة أمير المؤمنين أعظم. فقتلوه رحمة الله عليه في بيته، وعلى فراشه. وقد أرسلت إليكم بثوبه، وعليه دمه، وإنه والله لئن كان أثم من قتله، لما يسلم من خذله. فانظروا أين أنتم من الله جل وعز، فإنا نشكي ما مسنا إليه، ونستنصر وليه وصالح عباده. ورحمة الله على عثمان، ولعن الله من قتله، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة، وشفى منهم الصدور.

فحلف رجال من أهل الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلته، أو تذهب أرواحهم.

فيا راكباً إما عرضت فبلغن ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا

أبا كرب والأيهمين كليهما ... وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم ترا قبلي أسيراً يمانيا

أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا

الشعر لعبد يغوث بن صلاءة الحارثي. والغناء لإسحاق، ثقيل أول.

أخبار عبد يغوث ونسبه

هو عبد يغوث بن صلاءة. وقيل: بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة وهو قول ابن الكلبي بن المغفل، واسم المغفل: ربيعة بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال ابن الكلبي: قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. قال: وكان يقال ليعرب: المرعف. وكان عبد يغوث بن صلاءة شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب، وهو كان قائدهم في يوم الكلاب الثاني، إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أسر فقتل. وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ معرق لهم في الجاهلية والإسلام، منهم اللجلاج الحارثي، وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة، وأخوه مسهر فارس شاعر، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فيف الريح. ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة، وكان فارساً شاعراً صعلوكاً، أخذ في دم، فحبس بالمدينة، ثم قتل صبراً. وخبره يذكر منفرداً، لأن له شعراً فيه غناء.

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة، يقوله في يوم الكلاب الثاني جمع فيه قومه وغزا بني تميم، فظفرت به بنو تميم، وأسروه وقتل يومئذٍ.

وكان من حديث هذا اليوم، فيما ذكر أبو عبيدة، عن أبي عمرو بن العلاء، وهشام بن الكلبي عن أبيه، والمفضل بن محمد الضبي، وإسحاق بن الجصاص عن العنبري، قالوا: لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصفا بالمشقر، فقتل

المقاتلة، وبقيت الأموال والذراري، بلغ ذلك مذحجاً، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: اغتنموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة، قالت مذحج للمأمور الحارثي، وهو كاهن: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم، فإنهم يسيرون أغباباً، ويردون مياهاً جباباً، فتكون غنيمتكم تراباً. قال أبو عبيدة: فذكر أنه اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر ألفاً، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة، ورئيس همدان يقال له مسرح، ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحارث. فأقبلوا إلى تميم، فبلغ ذلك سعداً والرباب، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثم بن صيفي، وهو قاضي العرب يومئذٍ، فاستشاروه، فقال لهم: أقلوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة. يا قوم تثبتوا، فإن أحزم الفريقين الركين، ورب عجلة تهب ريثا. واتزروا للحرب، وادرعوا الليل، فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف.

فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا، واستعدوا للحرب، وأقبل أهل اليمن، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مخرم، ويزيد بن الطيثم بن المأمور، ويزيد بن هوبر، حتى إذا كانوا بتيمن نزلوا قريباً من الكلاب، ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع، يقال له مشمت بن زنباع في إبل له، عند خال له من بني سعد، يقال له زهير بن بو، فلما أبصرهم المشمت قال لزهير: دونك الإبل، وتنح عن طريقهم، حتى آتي الحي فأنذرهم. قال: فركب المشمت ناقة، ثم سار حتى أتى سعداً والرباب وهم على الكلاب، فأنذرهم، فأعدوا للقوم، وصبحوهم، فأغاروا على النعم فطردوها، وجعل رجل من أهل اليمن، يرتجز ويقول:

في كل عام نعمٌ ننتابه ... على الكلاب غيباً أربابه

قال: فأجابه غلام من بني سعد كان في النعم، على فرس له، فقال:

عصا قليل سترى أربابه ... صلب القناة حازماً شبابه

على جيادٍ ضمر عيابه

قال: فأقبلت سعد والرباب، ورئيس الرباب النعمان بن جساس، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المنقري. قال أبو عبيدة: اجتمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذٍ قيس بن عاصم. فقال ضبي حين دنا من القوم:

في كل عام نعمٌ تحوونه ... يلقحه قوم وتنتجونه

أربابه نوكى فلا يحمونه ... ولا يلاقون طعاناً دونه

أنعم الأبناء تحسبونه ... هيهات هيهات لما ترجونه

فقال ضمرة بن لبيد الحماسي: أنظروا إذا سقتم النعم، فإن أتتكم الخيل عصبا عصبا، وثبتت الأولى للأخرى، حتى تلحق، فإن أمر القوم هين. وإن لحق بكم القوم، فلم ينظروا إليكم حتى يردوا وجوه النعم، ولا ينتظر بعضهم بعضاً، فإن أمر القوم شديد. وتقدمت سعدٌ والرباب، فالتقوا في أوائل الناس، فلم يلتفتوا إليهم، واستقبلوا النعم من قبل وجوهها، فجعلوا يصرفونها بأرماحهم، واختلط القوم، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم، حتى

إذا كان من آخر النهار قتل النعمان بن جساس، قتله رجل من أهل اليمن، كانت أمه من بني حنظلة، يقال له عبد الله بن كعب،

وهو الذي رماه، فقال للنعمان حين رماه: خذها وأنا ابن الحنظلية. فقال النعمان: ثكلتك أمك، رب حنظلية قد غاظتني. فذهبت مثلاً، وظن أهل اليمن أن بني تميم سيهدهم قتل النعمان، فلم يزدهم ذلك إلا جراءة عليهم، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، فباتوا يحرس بعضهم بعضاً، فلما أصبحوا غدوا على القتال، فنادى قيس بن عاصم: يال سعد، ونادى عبد يغوث: يال سعد. قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة. فلما سمع ذلك قيس نادى: يال كعب، فنادى عبد يغوث: يال كعب. قيس يدعو كعب بن سعد، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو. فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث، قال: ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دعوا بمثله. فنادى قيس: يال مقاعس، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب، وكان يلقب مقاعساً، فلما سمع وعلة بن عبد الله الجرمي الصوت، وكان صاحب اللواء يومئذٍ، طرحه، وكان أول من انهزم من اليمن، وحملت عليهم بنو سعد والرباب، فهزموهم أفظع هزيمة، وجعل رجلٌ منهم يقول:

يا قوم لا يفلتكم اليزيدان مخرماً أعني به والديان

وجعل قيس بن عاصم ينادي: يال تميم: لا تقتلوا إلا فارساً، فإن الرجالة لكم. وجعل يرتجز ويقول:

لما تولوا عصبا شوازبا أقسمت لا أطعن إلا راكبا

إني وجدت الطعن فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأسارى، فإذا أخذ أسيراً قال له: ممن أنت؟ فيقول: من بني زعبل، وهو زعبل بن كعب، أخو الحارث بن كعب، وهم أنذال، فكأن الأسارى يريدون بذلك رخص الفداء، فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم، دفعه إلى من يليه من بني تميم، ويقول: أمسك حتى أصطاد لك زعبلة أخرى، فذهبت مثلاً. فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون، حتى أسر عبد يغوث، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس. وقتل يومئذٍ علقمة بن سباع القريعي، وهو فارس هبود، وهبود فرس عمرون الجعيد المرادي وكان علقمة قتل عمراً وأخذ فرسه من تحته، وأسر الأهتم، واسمه سنان بن سمي بن خالد بن منقر، ويومئذٍ سمي الأهتم رئيس كندة البراء بن قيس، وقتلت التيم الأوبر الحارثي، وآخر من بني الحارث يقال له معاوية، قتلهما النعمان بن جساس، وقتل يومئذٍ من أشرافهم خمسة، وقتلت بنو ضبة ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبي.

وأما عبد يغوث فانطلق به العبشمي إلى أهله، وكان العبشمي أهوج، فقالت له أمه ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً: من أنت؟ قال: أنا سيد القوم. فضحكت، وقالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج. فقال عبد يغوث:

وتضحك مني شيخةٌ عبشمية كأن لم ترا قبلي أسيراً يمانياً

ثم قال لها: أيتها الحرة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أعطي ابنك مئة من الإبل وينطلق بي إلى الأهتم، فإني أتخوف أن تنتزعني سعد والرباب منه، فضمن له مئة من الإبل، وأرسل إلى بني الحارث، فوجهوا بها إليه، فقبضها العبشمي، فانطلق به إلى الأهتم، وأنشأ عبد يغوث يقول:

أأهتم يا خير البرية والدا ... ورهطاً إذا ما الناس عدوا المساعيا

تدارك أسيراً عانياً في بلادكم ... ولا تثقفني التيم ألقى الدواهيا

فمشت سعد والرباب فيه. فقالت الرباب: يا بني سعد، قتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهتم إليهم، فأخذه عصمة بن أبير التيمي، فانطلق به إلى منزله، فقال عبد يغوث: يا بني تيم، اقتلوني قتلة كريمة. فقال له عصمة: وما تلك القتلة؟ قال: اسقوني الخمر، ودعوني أنح على نفسي، فقال له عصمة: نعم. فسقاه الخمر، ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل، وتركه يترف، ومضى عنه عصمة، وترك مع ابنين له، فقالا: جمعت أهل اليمن وجئت لتصطلمنا، فكيف رأيت الله صنع بك؟ فقال عبد يغوث في ذلك:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا ... فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا

ألم تعلما أن الملامة نفعها ... قليل وما لومي أخي من شماليا

فيا راكباً إما عرضت فبلغن ... ندامي من نجران أن لا تلاقيا

أبا كربٍ والأيهمين كليهما ... وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

جزى الله قومي بالكلاب ملامةً ... صريحهم والآخرين الموالياً

ولو شئت نجتني من الخيل نهدةٌ ... ترى خلفهما الحو الجياد تواليا

ولكنني أحمي ذمار أبيكم ... وكان الرماح يختطفن المحاميا

وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم ترا قلبي أسيراً يمانيا

وقد علمت عرسي مليكة أنني ... أنا الليث معدواً عليه وعاديا

أقول وقد شدوا لساني بنسعةٍ ... أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا ... فإن أخاكم لم يكن من بوائيا

فإن تقتلوني تقتلوا بي سيداً ... وإن تطلقوني تحربوني بما ليا

أحقا عباد الله أن لست سامعاً ... نشيد الرعاء المعزبين المتاليا

وقد كنت نحار الجزور ومعمل ال ... مطي وأمضي حيث لا حي ماضيا

وأنحر للشرب الكرام مطيتي وأصدع بين القينتين ردائيا
وعادية سوم الجراد وزعتها بكفي وقد أنحوا إلي العواليا
كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كري نفسي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

قال: فضحكت العبشمية، وهم آسروه. وذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة، لئلا يهجوهم، وأبوا إلا قتله، فقتلوه بالنعمان بن جساس. فقالت صفية بنت الخرع ترثي النعمان:

نطاقه هندوانيٌّ وجبته فضفاضة كأضاة النهي موضونه
لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت وما قتلنا به إلا أمراً دونه

وقال علقمة بن سباع لعمرو بن الجعيد:

لما رأيت الأمر مخلوجةً أكرهت فيه ذابلاً مارنا
قلت له: خذها فإني امرؤ يعرف رمحي الرجل الكاهنا

قوله: يعرف رمحي الرجل الكاهنا يريد: أن عمرو بن الجعيد كان كاهناً. وهو أحد بني عامر بن الديل بن شن بن أفصى بن عبد القيس، و لم يزل ذلك في ولده. ومنهم الرباب بن البراء، كان يتكهن، ثم طلب خلاف أهل الجاهلية، فصار على دين المسيح عليه السلام، فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في الليل، وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم: خير أهل الأرض ربابٌ الشني، وبحيرا الراهب، وآخر لم يأت بعد. قال: وكان لا يموت أحد من ولد الرباب إلا رأوا على قبره طشا. ومن ولده مخربة، وهو أحد أجواد العرب، وإنما سمي مخربة لأن السلاح خربه، لكثرة لبسه إياه، وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فأرسله إلى ابن الجلندى العماني. وابنه المثنى بن مخربة أحد وجوه أصحاب المختار، وكان قد وجهه إلى البصرة ليأخذها، فحاربه عباد بن الحصين فهزمه، وكان ابنه بلج بن المثنى جواداً، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس:

ألا يا بلج بلج بني المثنى وأنت لكل مكرمة كفاء
ألومك طائعاً مادمت حيا علي إذن من الله العفاء
كفى قوماً مكارم ضيعوها وأحسن حين أبصرهم أساءوا

قال: فأما وعلة بن عبد الله الجرمي، فإنه لحقه رجل من بني سعد، فعقر به، فنزل، وجعل يحضر على رجليه، فلحق رجلاً من بني نهد يقال له سليط بن قتب، من بني رفاعة، فقال له لما لحقه: أردفني، فأبى، فطرحه، عن فرسه، وركب عليها، وأدركت الخيل النهدي فقتلوه، فقال وعلة في ذلك:

ولما سمعت الخيل تدعو مقاعساً علمت بأن اليوم أغبر فاجر

نجوت نجاءً ليس فيه وتيرة كأني عقاب دون تيمن كاسر

خداريةً صقعاء لبد ريشها بطخفة يومٌ ذو أهاضيب ماطر

وقد قلت للنهدي: هل أنت مردفي وكيف رداف الفل أمك عاثر

فإن أستطع لا تبتئس بي مقاعس ولا يرني باديهم والحواضر

فدى لكما رجليّ أمي وخالتي غداة الكلاب إذ تحز الحناجر

فمن كان يرجو في تميم هوادة فليست لجرم في تميم أواصر

وقالت نائحة عمرو بن الجعيد:

أشاب قذال الرأس مصرع سيد وفارس هبودٍ أشاب النواصيا

وقال محرز بن مكعبر الضبي:

فدى لقومي ما جمعت من نشب إذ ساقت الحرب أقواماً لأقوام

قد حدثت مذحج عنا وقد كذبت أن لا يورع عن نسواننا حام

دارت رحاهم قليلاً ثم واجههم ضرب يصبح منهم مسكن الهام

ساروا إلينا وهم صيد رؤوسهم فقد جعلنا لهم يوماً كأيام

ظلت ضباع مجيرات يعدنهم وألحموهن منهم أي إلحام

ظلت تدوس بني كعب بكلكلها وهم يوم بني نهد بإظلام

وقال أوس بن مغراء:

وفي يوم الكلاب إذ اعترتنا قبائل أقبلوا متناسبينا

قبائل مذحج اجتمعت وجرم وهمدان وكندة أجمعينا

وحمير ثم ساروا في لهام على جرد جميعاً قادرينا

فلما أن أتونا لم نكذب ولم نسألهم أن يمهلونا

قتلنا منهم قتلى وولى شريدهم شعاعاً هاربينا

وفاظت منهم فينا أسارى لدينا منهم متخشعينا

وقال ذو الرمة غيلان بن عقبة في ذلك:

وعمي الذي قاد الرباب جماعة وسعدهم الرأس الرئيس المؤمر

عشية أعطتنا أزمة أمرها ضرار بنو القرم الأغر ومنقر
وعبد يغوث تحجل الطير حوله قد احتز عرشيه الحسام المذكر

العرشان: عرقان في العنق:

عشية فر الحارثيون بعدما قضى نحبه في معرك الخيل هوبر
وقال أخو جرم ألا لا هوادة ولا وزر إلا النجاء المشمر
أبى الله إلا أننا آل خندف بنا يسمع الصوت الأنام ويبصر
إذا ما تمضرنا فلا ناس غيرنا ونضعف أحياناً ولا نتمضر

وقال أيضاً:

فما شهدت خيل امرئ القيس غارة بثهلان تحمي عن ثغور الحقائق
آثرنا به نقع الكلاب وأنتم تثيرون نقع الملتقى بالمعازق
أدرنا على جزم وأفناء مذحج رحى الموت فوق العاملات الخوافق
صدمناهم دون الأماني صدمة عماساً بأطواد طوال شواهق
إذا نطحت شهباء شهباء بينها شعاع القنا والمشرفي البوارق

وقال براء بن قيس الكندي:

قتلتنا تميم يوماً جديداً قتل عاد وذاك يوم الكلاب
يوم جئنا يسوقنا الحين سوقاً نحو قوم كأنهم أسد غاب
سرت في الأزد والمذاحج طراً بين صل وكاشر الأنياب
وبني كندة الملوك ولخم وجذام وحمير الأرباب
ومراد وخثعم وزبيد وبني الحارث الطوال الرغاب
وحشدنا الصميم نرجو نهابا فلقينا البوار دون النهاب
لقيتنا أسود سعد وسعد خلقت في الحروب سوط عذاب
تركوني مسهداً في وثاق أرقب النجم ما أسيغ شرابي
خائفاً للردى ولولا دفاعي بمئين عن مهجتي كالضباب
لسقيت الردى وكنت كقومي في ضريح مغيباً في التراب

تذرف الدمع بالعويل نسائي كنساء بكت قتيل الرباب

فلعيني على الألى فارقوني درر من دموعها بانسكاب

كيف أبغي الحياة بعد رجال قتلوا كالأسود قتل الكلاب

منهم الحارثي عبد يغوث ويزيد الفتيان وابن شهاب

في مئين نعدها ومئين بعد ألف منوا بقوم غضاب

برجال من العرانين شم أسد حرب ممحوضة الأنساب

قال وعلة بن عبد الله الجزمي:

عذلتني نهد فقلت لنهد حين حاست على الكلاب أخاها

يوم كنا عليهم طير ماء وتميم صقورها وبزاها

لا تلوموا على الفرار فسعد يال نهد يخافها من يراها

إنما همها الطعان إذا ما كره الطعن والضراب سواها

تركوا مذحجاً حديثاً مشاعاً مثل طسم وحمير وصداها

يال قحطان وادعوا حي سعد وابتغوا سلمها وفضل نداها

إن سعد السعود أسد غياض باسل بأسها شديد قواها

فضحت بالكلاب حار بن كعب وبنو كندة الملوك أباها

أسلموا للمنون عبد يغوث ولعض الكبول حولا يراها

بعد ألف سقوا المنية صرفا فأصابت في ذاك سعد مناها

ليت نهداً وجرمها ومراداً والمذاحيج ذو أناة نهاها

عن تميم فلم تكن فقع قاع تبتدرها ربابها ومناها

قل لبكر العراق تستر عمراً عمرو قيس فرأي عمرو قراها

عن تميم ولو غزتها لكانت مثل قحطان مستباحاً حماها

ما بال شمس أبي الخطاب قد حجبت أظن يا صاحبي الساعة اقتربت

أولا فما بال ريح كنت آنسها عادت علي بصر بعدما جنبت

أشكو إليك أبا الخطاب جارية غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت

وأنت قيمها فانظر لعاشقها يا ليت قد قربت مني وما بعدت

عروضه من البسيط. الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالبنصر، عن الهشامي وعلي بن يحيى. وذكر محمد بن الحارث بن بسخنر أن فيه هزجاً بالبنصر لإبراهيم بن المهدي، وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلي أيضاً. وأبو الخطاب الذي عناه إبراهيم الموصلي في شعره هذا: رجل نخاس يعرف بقرين، مولى العباسة بنت المهدي، وكان إبراهيم يهوى جارية له، يقال لها خنث، وكانت من أجمل النساء وأكملهن، وكان لها خال فوق شفتها العليا، وكانت تعرف بذات الخال، ولإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة. نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله.

أخبار ذات الخال

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي: أن جدي كان يتعشق جارية لقرين، المكنى بأبي الخطاب النخاس، وكان يقول فيها الشعر ويغني فيه، فشهرها بشعره وغنائه، وبلغ الرشيد خبرها، فاشتراها بسبعين ألف درهم. فقال لها ذات يوم: أسألك عن شيء، فإن صدقتني وإلا صدقني غيرك وكذبتك. قالت له: بل أصدقك. قال: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلي شيء قط، وأنا أحلفه أن يصدقني. قال: فتلكأت ساعة، ثم قالت: نعم، مرة واحدة. فأبغضها وقال يوماً في مجلسه: أيكم لا يبالي أن يكون كشخاناً، حتى أهب له ذات الخال. فبدر حمويه الوصيف، فقال: أنا. فوهبها له، وفيها يقول إبراهيم:

أتحسب ذات الخال راجية ربا وقد فتنت قلباً يهيم بها حبا

وما عذرها نفسي فداها ولم تدع على أعظمي لحماً ولم تبق لي لبّا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وذكر أحمد بن أبي طاهر: أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم، وذكر قصة حمويه كما ذكرها حماد، وقال في خبره: فاشتاقها الرشيد يوماً بعد ما وهبها لحمويه، فقال له: ويلك يا حمويه، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مر فيها بأمرك. قال: نحن عندك غداً. فمضى فاستعد لذلك، واستأجر لها من بعض الجوهريين بدنة وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار. فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها، فلما رآها أنكره. وقال: ويلك يا حمويه! ومن أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله، ولا وصل إليك مني هذا القدر! فصدقه عن أمره، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم، واشترى الجوهر منهم، ووهبه لها، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئاً إلا أعطاها، ولا حاجة إلا قضاها، فسألته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين، ففعل ذلك، وكتب له عهده به، وشرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم في حياته.

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن عبد الله العاصمي قال: حدثني أحمد بن عبد الله طماس، عن

عبد الله وإبراهيم ابني العباس الصولي قالا:

كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال، فدعته يوماً، فوعدها أن يصير إليها، وخرج يريدها، فاعترضته جارية، فسألته أن يدخل إليها، فدخل وأقام عندها، فشق ذلك على ذات الخال، وقالت: والله لأطلبن له شيئاً أغيظه به، وكانت أحسن الناس وجهاً، ولها خال على خدها لم ير الناس أحن منه في موضعه، فدعت بمقراض، فقصت الخال الذي كان في خدها، وبلغ ذلك الرشيد، فشق عليه، وبلغ منه، فخرج من موضعه، وقال للفضل بن الربيع: انظر من بالباب من الشعراء، فقال: الساعة رأيت العباس بن الأحنف. فقال: أدخله. فأدخله، فعرفه الرشيد القصة وقال: اعمل في هذا شيئاً، على معنى رسمه له، فقال:

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة ... وملت إلى من لا يغيره حال

فإن كان قطع الخال لما تطلعت ... إلى غيرها نفسي فقد ظلم الخال

غناه إبراهيم. فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضيا لها، وجعل هذين البيتين سبباً، وأمر للعباس بألفي دينار، وأمر إبراهيم الموصلي فغناه في هذا الشعر.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن الفضل قال: كان محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم في الشعر، ويشغف بجيد الأشعار، فكان مما يعجبه قول نصيب:

أبا بعل ليلى كيف تجمع سلمها ... وحربي وفيما بيننا شبت الحرب

لها مثل ذنبي اليوم إن كنت مذنباً ... ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب

عروضه من الطويل. والشعر لنصيب، ويروى للمجنون، ويروى لكعب بن مالك الخثعمي. والغناء لمالك، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

قال: وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعباس بن الأحنف:

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى ... عشير الذي ألقى فيلتئم الشعب

إذا رضيت لم يهنني ذلك الرضا ... لعلمي به أن سوف يتبعه العتب

وأبكي إذا ما أذنبت خوف صدها ... وأسألها مرضاتها ولها الذنب

وصالكم صرم وحبكم قلى ... وعطفكم صد وسلمكم حرب

ويقول: ما أحسن ما قسم، حتى جعل بإزاء كل شيء ضده، والله إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس. الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصلي، ثاني ثقيل بالوسطى، عن الهشامي.

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يهواهن، ويقول الشعر فيهن، وهن سحر، وضياء، وخنث، وفيهن يقول الرشيد:

إن سحراً وضياء وخنث ... هن سحر وضياء وخنث

أخذت سحر ولا ذنب لها ثلثي قلبي وترباها الثلث

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أحمد بن محمد الأسدي قال: حدثنا احمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف السدوسي قال: حدثني محمد بن إسماعيل بن صبيح قال: وجه الرشيد إلى جاريته سحر لتصير إليه، فاعتلت عليه ذلك اليوم بعلة، ثم جاءته من الغد، فقال الرشيد:

أيا من رد ودي أم س لا أعطيكه اليوما
ولا والله لا أعطي ك إلا الصد واللوما
وإن كان بقلبي من ك حب يمنع النوما
أيا من سمته الوصل فأغلى المهر والسوما

قال: وفيهن يقول، وقد قيل أن العباس بن الأحنف قالها على لسانه:

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه عززن أعز من سلطاني

غنته عريب خفيف ثقيل الأول بالوسطى.

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال: وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل، فحضرت، فأخرج إلي جارية كأنها المهاة، فأجلسها في حجره، ثم قال: غنني، فغنته:

جئن من الروم وقاليقلا يرفلن في المرط ولين الملا
مقرطقات بصنوف الحلى يا حبذا البيض وتلك الحلى

فاستحسنه وشرب عليه، ثم استؤذن للفضل بن الربيع، فأذن له، فلما دخل قال: ما وراءك في هذا الوقت؟ قال: كل خير يا أمير المؤمنين، ولكن حرى الساعة لي سبب لم يجز لي كتمانه أمير المؤمنين. قال: وما ذاك؟ قال: أخرج إلي في هذا الوقت ثلاث جوار لي: مكية، ومدينية، وعراقية. فقبضت المدينية على ذكري، فلما أنعظت وثبت المكية فقعدت عليه، فقالت لها المدينية: ما هذا التعدي؟ ألم تعلمي أن مالكاً حدثنا عن الزهري عن عبد الله بن ظالم، عن سعيد بن زيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" فقالت الأخرى: أو لم تعلمي أن سفيان حدثنا، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصيد لمن صاده لا لمن أثاره". فدفعتهما العراقية عنه، ووثبت عليه، وقالت: هدا لي، وفي يدي حتى تصطلحا. فضحك الرشيد، وأمره لحملهن إليه، ففعل، وحظين عنده، وفيهن يقول:

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان

حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني مهدي بن سابق قال: حججنا مع الرشيد آخر حجة، فكان الناس يتناشدون له في جواريه:

ثلاث قد حللن حمى فؤادي ويعطين الرغائب من ودادي

نظمت قلوبهن بخيط قلبي فهن قرابتي حتى التنادي

لمن يك حل من قلب محلاً فهن مع النواظر والسواد

ومما قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغنى فيه:

أذات الخال أقصيت محباً بكم صباً

فلا أنسى حياتي ما عبدت الدهر لي رباً

وقد قلت أنيليني فقالت أفرق الذنبا

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالوسطى عن عمرو. ومنها:

أذات الخال قد طال بمن أسقمته الوجع

وليس إلى سواكم في ال لذي يلقى له فزع

أما يمنعك الإسلا م من قتلي ولا الورع

وما ينفك لي فيك هوى تغتره خدع

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالوسطى، عن عمرو. ومنها:

ثعلب يا هذا الكثير العبث بالله لما قلت لي عن خنث

عن ظبية تميس في مشيتها أحسن من أبصرته في شعث

فقال :قالت قل له أنت امرؤ موكل فيما ترى بالعبث

والله لولا خصلة أرقبها لقل في الدنيا لما بي لبثي

الشعر لإبراهيم، وله فيه لحنان: أحدهما ثقيل الأول، عن أبي العنبس. والآخر هزج بالبنصر عن عمرو. وفيه لعريب ثقيل أول آخر. وذكر حبش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى.

وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه: أن ثعلباً هذا، كان مملوكاً لإبراهيم، فقال هذه الأبيات في خنث جارية جزء بن مغول الموصلي، وكانت مغنية محسنه، وخاطب ثعلباً فيها مستخبراً له.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه: أنه قال في خنث جارية جزء بن مغول الموصلي، وخاطب في شعره غلاماً يقال له ثعلب، وكانت خنث مغنية محسنة، وكانت تعرف بذات الخال.

ثعلب يا هذا الكثير الخبث　　بالله إلا قلت لي عن خنث

وذكر الأبيات. قال: وقال له أيضاً:

أبد لذات الخال يا ثعلب　　قول امرئ في الحب لا يكذب

إني أقول الحق فاستيقني　　كل امرئ في حبه يلعب

الشعر والغناء لإبراهيم، له فيه لحنان: رمل وخفيف ثقيل، عن ابن المكي. ومنها:

جزى الله خيراً من كلفت بحبه　　وليس به إلا المموه من حبي

وقالوا :قلوب العاشقين رقيقة　　فما بال ذات الخال قاسية القلب؟

وقالوا لها هذا محبك معرضاً　　فقالت: أرى إعراضه أيسر الخطب

فما هو إلا نظرة بتبسم　　فتنشسب رجلاه ويسقط للجنب

ومنها:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني　　إذن فحولت في مسك ابن زيدان

فإن هذي يمين ما حلفت بها　　إلا على الحق في سري وإعلاني

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالبنصر. ومنها:

لقد أخلو بذات الخا　　ل والحراس قد هجعوا

فمن يبصر أبا الخطا　　ب يطلبها ويتبع

ألا لم تر محزونا　　تسنم صبره الجزع

وقارعني ففزت بها　　وحازتها لي القرع

غناه إبراهيم، من رواية بذل عنه، ولم تذكر طريقته.

قال علي بن محمد الهشامي: حدثني جدي، يعني ابن حمدون، قال: حدثني مخارق قال: كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي ابن زيدان صاحب البرامكة، وإبراهيم يلاعبه بالشطرنج، فدخل علينا إسحاق، فقال له أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة. سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم؟ فقلت: لا إله إلا الله. فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت. هلا قلت: دنيا ودينا. فأخذ ابن زيدان الشاه، فضرب به رأس إبراهيم، وقال له: يا زنديق، أتكفر بحضرتي؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضرباً شديداً، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى، فحدثه

بخبره. قال: وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى، فاستجار به، فاستوهبه الفضل من جعفر، فوهبه له، فانصرف وهو يقول:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني إذا فحولت في مسك ابن زيدان

فإن هذي يمين ما حلفت بها إلا على الصدق في سري وإعلاني

قال: وله في هذين البيتين صنعة، وهي هزج. منها:

من يرحم محزونا بذات الخال مفتونا

أبى فيها فما يسلو وكل الناس يسلونا

فقد أودى به السقم وقد أصبح مجنونا

فإن دام على هذا ثوى في اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، عن الهشامي. ومنها:

لذات الخال أرقني خيال بات يلثمني

بكى وجرى له دمع لما بالقلب من حزن

فلا أنساه أو أنسى إذا أدرجت في كفني

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشامي. ومنها:

هل علمت اليوم يا عا صم يا خير خدين

أن ذات الخال تأتي ني على رغم قرين

لا تلمني إن ذات ال خال دنياي وديني

وإلى حفص خليلي ووزيري وأميني

بحت لا أكتمه شي ئاً من الداء الدفين

إن بي من حب ذات ال خال شيئاً كالجنون

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى، عن ابن المكي. ومنها:

تقول ذات الخال لي :يا خلي البال

فقلت: حاشاك من أن يكون حالك حالي

أعرضت عني لما أوقعتني في الحبال

إن الخلي هو الغا فل الذي لا يبالي

لإبراهيم من كتابه عن حبش فيه لحن. وذكر ابن المكي أنه رمل. ومنها:

أما تعلم ذات الخا ... ل فوق الشفة العليا

بأني لست أهوى غي ... رها شيئاً من الدنيا

وأني عن جميع الن ... اس إلا عنهم أعمى

وأني لو سقيت الد ... هر من ريقك لا أروى

الشعر والغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى، عن عمرو وابن المكي وغيرهما. وقد روى أما تعلم يا ذا الخال، وهذا هو الصحيح. ومنها:

يا ليت شعري كيف ذات الخال ... أم أين تحسب حالها من حالي

هل أنسين منها وضمت مرة ... رأسي إليها ثم قالت: مالي

ألزلة أقصيتني نفسي الفدا ... لك أم أطعت مقالة العذال

والله ما استحسنت شيئاً مونقا ... ألتذه إلا خطرت ببالي

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان: هزج بالأصابع كلها، عن ابن المكي، وثقيل أول بالوسطى، عن حبش. ومنها:

يا ليت شعري والنساء غوادر ... خلف العدات وفاؤهن قليل

هل وصل ذات الخال يوماً عائد ... فتزول لوعاتي وحر غليلي

أم قد تناست عهدنا وأحالها ... عن ذاك ملك حال دون خليل

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه، ثقيل أول بالبنصر، عن إسحاق بن إبراهيم، وابن المكي والهشامي. انقضت أخبارها.

إن من غره النساء بشيء ... بعد هند لجاهل مغرور

حلوة القول واللسان ومر ... كل شيء أجن منها الضمير

كل أنثى وإن بدا لك منها ... آية الحب حبها خيتعور

الشعر لحجر بن عمرو آكل المرار. والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشامي. وفيه لنبيه ثقيل أول بالوسطى، عن حبش. وفيه رمل له.

نسب حُجر بن عمرو

والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع، واسمه عمرو بن ثور، وقيل: ابن معاوية بن ثور، وهو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دريد إجازة، قال: حدثني عمي، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، عن الشرقي بن القطامي قال: أقبل تّبع أيام سار إلى العراق، فنزل بأرض معدّ، فاستعمل عليهم حُجر بن عمرو، وهو آكل المرار، فلم يزل ملكاً حتى خرف، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجون. ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح القضاعيّ، أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار، ومنزله بغمر ذي كندة، وكان قد غزا بربيعة البحرين. فبلغ زياداً غزاته، فأقبل حتى أغار في مملكة حجر، فأخذ مالاً كثيراً، وسبى امرأة حجر، وهي هند ابنة ظالم بن وهب، بن الحارث بن معاوية، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل.

فلما بلغ حجراً وبكر بن وائل مغاره وما أخذ أقبلوا معه، ومعه يومئذ أشراف بكر بن وائل، منهم عوف بن محلِّم بن ذهل بن شيبان، وصليع بن عبد غنم بن ذهل بن شيبان، وسدوس بن شيبان بن ذهل، وضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة. فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم، قالا لحجر: إنا متعجِّلان إلى الرجل، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا. فلقياه دون عين أباغ، فكلمه عوف بن محلم، وقال: يا خير الفتيان، اردد علي ما أخذته مني. فأعطاه إياه. وكلمة عمرو بن معاوية في فحل إبله، فقال: خذه، فأخذه عمرو؛ وكان قويا. فجعل الفحل يترع إلى الإبل، فاعتقله عمرو، فصرعه. فقال له ابن الهبولة: أما والله يا بني شيبان، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم. فقال عمرو: أما والله لقد وهبت قليلاً، وشتمت جليلاً. ولقد جررت على نفسك شراً، ولتجدني عند ما ساءك. ثم ركض حتى صار إلى حجر، فأخبره الخبر.

فأقبل حجر في أصحابه، حتى إذا كان بمكان يقال له "الحفير"، بالبرّ، وهو دون عين أباغ، بعث سدوساً وصليعاً يتجسسان له الخبر، ويعلمان له علم العسكر. فخرجا حتى هجما على عسكره، وقد أوقد ناراً، ونادى منادٍ له: من جاء بحزمة من حطب فله قدرة من تمر. وكان ابن الهبولة قد أصاب في عسكر حجر تمراً كثيراً، فضرب قبابه، وأجَّج ناره، ونثر التمر بين يديه، فمن جاء بحطب أعطاه تمراً. فاحتطب سدوس وصليع، ثم أتيا به ابن الهبولة، فطرحاه بين يديه، فناولهما من التمر، وجلسا قريباً من القبة. فأما صليع فقال: هذه آية وعلم ما يريد، فانصرف إلى حجر، فأعلمه بعسكره، وأراه التمر. وأما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتيه بأمر جليّ. فلما ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه، وقد تفرق أهل العسكر في كل ناحية، فضرب سدوس بيده إلى جليس له، فقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكر. فقال: أنا فلان ابن فلان. قال: نعم. ودنا سدوس من القبة،

فكان حيث يسمع الكلام، فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر، فقبلها وداعبها، ثم قال لها فيما يقول: ما ظنك الآن بحجر لو علم بمكاني منك؟ قالت: ظني به والله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر، وكأني أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يذمِّرهم ويدمِّرونه، وهو شديد الكلب، سريع الطلب، يزبد شدقاه كأنه بعير آكل مرار. فسمى حجر آكل المرار يومئذ. قال: فرفع يده فلطمها. ثم قال: ما قلت هذا إلا من عجبك به، وحبك له. فقالت: والله ما أبغضت ذا نسمة قط بغضي له، ولا رأيت رجلاً قط أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حيٌّ لا ينام، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسّا مملوءاً لبناً، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه، فنحى رأسه، فمال إلى يديه، وإحداهما مقبوضة، والأخرى مبسوطة، فأهوى إليها فقبضها، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة، وبسط الأخرى، فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى العسّ: شربه ثم مجه، فقلت: يستيقظ فيشرب فيموت، فأستريح منه. فانتبه من نومه، فقال: علي بالإناء، فناولته، فشمه فاضطربت يداه، حتى سقط الإناء فأهريق. وذلك كله باذن سدوس. فلما نامت الأحراس خرج يسري ليلته، حتى صبَّح حجراً. فقال:

أتاك المرجفون برجم غيب ... على دهش وجئتك باليقين

فمن يك قدأتاك بأمرلبس ... فقد آتي بأمر مستبين

ثم قص عليه جميع ماسمع.

فأسف ونادى في الناس: الرحيل. فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهبولة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب ابن الهبولة، وعرفه سدوس، فحمل عليه، فاعتنقه وصرعه فقتله. وبصر به عمرو بن معاوية، فشد عليه، فأخذ رأسه منه، وأخذ سدوس سلبه، وأخذ حجر هنداً فربطها بين فرسين، ثم ركضا بها حتى قطعاها قطعاً.

هذه رواية ابن الكلبي.

وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهبولة لما غنم عسكر حجر، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم، وأم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني، وهي أم الحارث بن حجر وهند بنت حجر، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو، وله يقول بشر بن أبي خازم:

فإلى ابن أم أناس أُعْمِل ناقتي ... عمرو فتنجح حاجتي أم ترجف

ملك إذا نزل الوفود ببابه ... غرفوا غوارب مزبد ما ينزف

قال: وبنتها هند هي التي تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخميّ. قال: وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعم، ويتصيد في المسير، ولا يمرّ بوادٍ إلا أقام به يوماً أو يومين، حتى أتى على ضريَّة، فوجدها معشبة، فأعجبته، فأقام بها أياماً. وقالت له أم أناس: إني لأرى ذات ودك، وسوء درك، كأني قد نظرت إلى رجل أسود أدلم، كأن مشافره مشافر بعير آكل مرار قد أخذ برقبته، فسمى حجر آكل المرار بذلك. وذكر باقي

القصة نحو ما مضى.

وقال في خبر ابن الهبولة: إن سدوساً أسره، وإن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده، فطعنه فقتله: فغضب سدوس لذلك، وقال: قتلت أسيري وديته دية الملوك. وتحاكما إلى حجر، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك؛ وأعانهم في ذلك بماله. وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان:

مابعدكم عيش و لامعكم ... عيش لذي ألف و لاحسب

لو لا بنو ذهل وجمع بني ... قيس وما جمَّعت من نشب

ما سُمتُموني خطَّة غبناً ... وعلى ضريَّة رمتم غلبي

قال: وقد روي أن حجراً ليس بآكل المرار، وإنما أبوه الحارث آكل المرار. وروي أيضاً أنه إنما سمي آكل المرار لأن سدوساً لما أتاه بخبر ابن الهبولة ومداعبته لهند، وأن رأسه كان في حجرها، وحدثه بقولها وقوله، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمرار، وهو نبت شديد المرارة، وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير، فجعل يأكل من ذلك المرار غضباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدة الغضب، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث، فعلم حينئذ بذلك، ووجد طعمه، فسمي يومئذ آكل المرار.

قال ابن الكلبي: وقال حجر في هند:

لمن النار أوقدت بحفير ... لم تنم عند مصطل مقرور

أوقدتها إحدى الهنود وقالت ... أنت ذا موثق وثاق الأسير

إن من غرّه النساء بشيء ... بعد هند لجاهل مغرور

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدما وفيها الغناء.

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه ... وتفرّقت فرقاً به أشجانه

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهناً لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذَّرى متمنِّع أركانه

فالنارما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما جادت به أجفانه

الشعر لمحمد بن صالح العلوي. والغناء لرذاذ، ويقال إنه لبنان. خفيف ثقيل. وفيه ثقيل أول. يقال إنه لأبي العنبس، ويقال إنه للقاسم بن زرزور. وفيه لعمرو الميداني رمل طنبوري؛ وهو لحن مشهور.

أخبار محمد بن صالح العلويّ ونسبه

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب. ويكنى أبا عبد الله، شاعر حجازي ظريف، صالح الشعر، من شعراء أهل بيته المتقدّمين. وكان جده موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيين الخارجين في أيام المنصور، أمهم جميعاً هند بنت أبي عبيدة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء الطوسي قالا: حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي. قال: حدثني الزبير بن بكار: أن هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة. قال: ولا تحمل لستين إلا قرشية، ولا تحمل لخمسين إلا عربية. قال: وكان موسى آدم شديد الأدمة، وله تقول أمه هند:

إنك أن تكون جوناً أنزعا ... أجدر أن تضرّهم وتنفعا

وتسلك العيش طريقاً مهيعا ... فرداً من الأصحاب أو مشيّعا

وكان موسى أستتر بعد قتل أخويه زماناً، ثم ظفر به أبو جعفر، فضربه بالسوط، وحبسه مدة، ثم عفا عنه وأطلقه. وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها.

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكل مع من بيّض في تلك السنة، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو الساج، فأخذهم وقيدهم، وقتل بعضهم، وأخرب سويقة، وهي مترل للحسنيين، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وقعر بها نخلاً كثيراً، وحرق منازل لهم بها، وأثر فيهم وفيها أثاراً قبيحة، وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم إلى سرّ من رأى، فحبس ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل، فأنشده الفتح قصيدته بعد أن غنّي في شعره المذكور، فطرب، وسأل عن قائله فعرفه، وتلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته، فأمر بإطلاقه.

وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال: أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى، بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم، في شيء من أمور السلطان، وكان محمد بن صالح قد خرج بسويقة، فصار أبو الساج إلى سويقة، فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان، فطرح سلاحه، ونزل إليه فقيده، وحمله إلى سُرّ من رأى، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين، ثم أطلق، وأقام بها إلى أن مات. وكان سبب موته أنه جُدِر، فمات في الجدريّ، وهو الذي يقول في الحبس:

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه ... وتشعبت شعبا به أشجانه

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألّق مؤهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذّرا متمنع أركانه

فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظراً إليه ورده سجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ماسحّت به أجفانه
ثم استعاذ من القبيح وردَّه نحو العزاء عن الصّبا إيقانه
وبدا له أن الذي قد ناله ما كان قدّره له ديّانه
حتى اطمأن ضميره وكأنما هتك العلائق عامل وسنانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل بالنّيل باذل تافه منّانه
يعد القضاء وليس ينجز موعداً ويكون قبل قضائه ليانه
خدل الشوى حسن القوام مخصّر عذب لماه طيّب أردانه
وأقنع بما قسم الإله فأمره ما لا يزال على الفتى إتيانه
والبؤس ماض ما يدوم كما مضى عصر النعيم وزال عنك أوانه

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا، فأقمنا إلى أن أنتصف الليل، وأنا أرى أنه يبيت، فإذا هو قد قام، فتقلد سيفه، وخرج، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت، وسألته المقام والمبيت، وأعلمته خوفي عليه، فألتفت إليّ مبتسماً وقال:

إذا ما اشتملت السيف والليل لم أهل لشيء ولم تقرع فؤادي القوارع

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: مرّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكل، فرأى الجواري يلطمن عنده، فأنشدني لنفسه:

رأيت بسامرّا صبيحة جمعة عيوناً يروق الناظرين فتورها
تزور العظام الباليات لدى الثرى تجاوز عن تلك العظام غفورها
فلولا قضاء الله أن تعمر الثرى إلى أن ينادي يوم ينفخ صورها
لقلت عساها أن تعيش وأنها ستنشر من جراعيون تزورها
أسيلات مجرى الدامع إما تهللت شؤون المآقي ثم سح مطيرها
بوبل كأتوام الجمان يفيضه على نحرها أنفاسها وزفيرها
فيا رحمة ما قد رحمت بواكيها ثقالاً تواليها لطافاً خصورها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبارهيم بن المدبر قال: جاءني محمد بن صالح الحسني، فسألني أن أخطب عليه بنت موسى بن أبي خالد الحري، أو أخته حمدونة ففعلت ذلك، وصرت إلى عيسى فسألته أن يجيبه، فأبى، وقال لي: لا أكذبك، والله ما أرده لأني لا أعرف أشرف وأشهر منه

لمن يصاهره، ولكني أخاف المتوكل وولده عبده على نعمتي ونفسي، فرجعت إليه، فأخبرته بذلك، فأضرب عن ذلك مدة، ثم عاودني بعد ذلك، وسألني معاودته ورفقت به، حتى أجاب فزوجه أخته، فأنشدني بعد ذلك:

خطب إلى عيسى بن موسى فردني ... فلله وإلى حرة وعليقها
لقد ردني عيسى ويعلم أنني ... سليل بنات المصطفى وعريقها
وإن لنا عبد الولادة نبعة ... نبي الإله صنوها وشقيقها
فلما أبى بخلاً بها وتمنعاً ... وصيرني ذا خلة لا يطيقها
سمي خليل الله وابن وليه ... وحمال أعباء العلا وطريقها
ويا نعمة لابن المدبر عندنا ... يجد على كر الزمان أنيقها

قال ابن مهرويه: قال لي إبراهيم بن المدبر فلما نقلت حمدونة إليه شغف بها، وكانت امرأة جميلة عاقلة، فأنشدني لنفسه فيها:

لعمر حمدونة إني بها ... لمغرم القلب طويل السقام
مجاوز للقدر في حبها ... مباين فيها لأهل الملام
مطرح للعذل ماضٍ على ... مخافة النفس وهول المقام
مشايعي قلب يخاف الخنا ... وصارم يقطع صم العظام
جشمني ذلك وجدي بها ... وفضلها بين النساء الوسام
ممكورة الساق رديْنيّة ... مع الشوى الخدل وحسن القوام
صامتة الحجل خفوق الحشا ... مائرة الساق ثقال القيام

ساجية الطرف نئوم الضحى ... منيرة الوجه كبرق الغمام
زينها الله وما شانها ... وأعطيت منيتها من تمام
تلك التي لولا غرامي بها ... كنت بسامرّا قليل المقام

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبر، في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة.

وحدثني عمي عن أبي جعفر بن الدّهقانة النديم قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: جاءني يوما محمد بن صالح الحسني العلوي بعد أن أطلق من الحبس، فقال لي: إني أريد المقام عندك اليوم على خلوة، لأبثك من أمري شيئا لا يصلح أن يسمعه غيرنا. فقلت: أفعل. فصرفت من كان بحضرتي، وخلوت معه، وأمرت برد دابته، وأخذ

ثيابه؛ فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا، قال لي: أعلمك أني خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفلانية، فقاتلنا من كان فيها، فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينا أنا أحوزها وأنيخ الجمال، إذ طلعت عليّ امرأة من العمارية، ما رأيت قط أحسن منها وجها، ولا أحلى منطقاً، فقالت: يا فتى، إن رأيت أن تدعو لي بالشريف المتولّي أمر هذا الجيش، فقلت: وقد رأيته وسمع كلامك. فقالت: سألتك بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم أنت هو؟ فقلت: نعم وحق الله وحق رسوله إني لهو. فقالت: أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحرّي، ولأبي محل من سلطانه، ولنا نعمة، إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علي، وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني، وهذه ألف دينار معي لنفقتي، فخذها حلالاً، وهذا حلي علي من خمس مئة دينار، فخذه وضمّني ما شئت بعده، آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه، وادفع عني، واحمني من أصحابك، ومن عار يلحقني. فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً؛ فقلت لها: قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجت فناديت في أصحابي، فاجتمعوا، فناديت فيهم: إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها، وخفرتها وحميتها، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي، فمن أخذ منها خيطاً أو عقالاً فقد أذنته بحرب. فانصرفوا معي، وانصرفت.

فلما أخذت وحبست، بينا أنا ذات يوم في محبسي إذ جاءني السجّان وقال لي: إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، وقد حظر عليّ أن يدخل عليك أحد، إلا أنهما أعطتاني دملج ذهب، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك، وقد أذنت لهما، وهما في الدهليز، فاخرج إليهما إن شئت. ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب، لا أعرف أحداً، ثم قلت: لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي، فخرجت إليهما، فإذا بصاحبتي، فلما رأتني بكت لما رأت من تغير خلقي، وثقل حديدي، فأقبلت عليها الأخرى فقالت: أهو هو؟ فقالت: إي والله، إنه لهو هو، ثم أقبلت علي فقالت: فداك أبي وأمي، والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت، وكنت بذلك مني حقيقاً، ووالله لا تركت المعاونة لك، والسعي في حاجتك، وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة، وهذه دنانير وثياب وطيب، فاستعن بها على موضعك، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك، حتى يفرّج الله عنك. ثم أخرجت إلي كسوة وطيباً ومائتي دينار، وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف، وتواصل برّها بالسجان، فلا يمتنع من كل شيء أريده.

فمن الله بخلاصي، ثم راسلتها فخطبتها، فقالت: أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة، والأمر إلى أبي، فأتيته، فخطبتها إليه، فردني، وقال: ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها، وقد صيرها فضيحة، فقمت من عنده منكساً مستحياً، وقلت له في ذلك:

رموني وإياها بشنعاء هم بها ... أحق أدال الله منهم فعجّلا

بأمر تركناه وربِّ محمد ... عيانا فإما عفّة أو تجملا

فقلت له: إن عيسى صنيعة أخي، وهو لي مطيع، وأنا أكفيك أمره.

فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله، وقلت له: قد جئتك في حاجة لي؟ فقال: مقضية، ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني فجئتك، وكان أسرّ إلي. فقلت له: قد جئتك خاطباً إليك ابنتك. فقال: هي لك أمة، وأنا لك عبد، وقد أجبتك. فقلت: إني خطبتها على من هو خير مني أباً

وأماً، وأشرف لك صهراً ومتّصلاً، محمد بن صالح العلوي. فقال لي: يا سيدي، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظنة، وقيلت فينا أقوال. فقلت: أفليست باطلة؟ قال: بلى، والحمد لله. قلت: فكأنها لم تقل، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع، و لم أزل أرفق به حتى أجاب، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته، وما برحت حتى زوجته، وسقت الصداق عنه.

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبر مدائح كثيرة، لما أولاه من هذا الفعل، ولصداقة كانت بينهما، فمن جيد ما قاله فيه قوله:

أتخبر عنهم الدمن الدثور ... وقد ينبي إذا سئل الخبير

وكيف تبين الأنباء دارٌ ... تعاقبها الشمائل والدبور

يقول فيها في مدحه:

فهلا في الذي أولاك عرفا ... تسدي من مقالك ما تنير

ثناءٌ غير مختلق ومدحا ... مع الركبان يتجد أو يغور

أخ واساك في كلب الليالي ... وقد خذل الأقارب والنصير

حفاظاً حين أسلمك الموالي ... وضن بنفسه الرجل الصبور

فإن تشكر فقد أولى جميلاً ... وإن تكفر فإنك للكفور

وما في آل خاقان اعتصامٌ ... إذا ما عمم الخطب الكبير

لئام الناس إثراء وفقراً ... وأعجزهم إذا حمى القتير

قويم لايزوجهم كريمٌ ... ولا تسنى لنسوتهم مهور

وانما ذكر آل خاقان ههنا لأن عبيد الله بن يحيى قصر به وتحامل عليه، وكان يقول ما يكره، ويؤكد ما يوجب حبسه، وكا فيه وفي ولده نضب شديد.

ولمحمد بن صالح في آل المدبر مدائح كثيرة، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب.

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال: كان محمد بن صالح

العلوي حلو اللسان، ظريفاً أديباً، فكان بسر من رأى مخالطاً لسراة الناس، ووجوه أهل البلد، وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حميد، وكانا يتقارضان الأشعار، ويتكاتبان بها. وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلوي:

أصاحب من صاحبت ثمت أنثني إليك أبا عثمان عطشان صاديا

أبى القلب أن يزوى بهم وهو حائمٌ إليك وإن كانوا الفروع العواليا

ولكن إذا جئناك لم نبغ مشرباً سواك وروينا العظام الصمواديا

قال عبد الله بن طالب: وكان بعض بني هاشم دعاه، فمض إليه، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه، فأخبر بموضعه عند الهاشمي، فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات.

قال عبد الله: وشرب يوماً هو وسعيد بن حميد، فسكر محمد بن صالح قبله، فقام لينصرف، والتفت إلى سعيد وقال له:

لعمرك إنني لما افترقنا أخو ضن بخلصاني سعيد

تبقته المدام وأزعجتني إلى رحلي بتعجل الورود

قال: وتوفى محمد بن صالح بسر من رأى، وكان يجهد في أن يؤذن له في الرجوع إلى الحجاز، فلا يجاب إلىذلك، فقال سعيد يرثيه:

بأي يد أسطو على الدهر بعدما أبان يدي عضب الدنابين قاضب

وهاض جناحي حادث جل خطبه وسدت عن الصبر الجميل المذاهب

ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب

لعمري لقد غال التجلد أننا فقدناك فقد الغيث والعام جادب

فما أعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب

ولا لي من الإخوان إلا مكاشر فوجه له راض ووجه مغاضب

فقدت فتى قد كان للأرض زينة كما زينت وجه السماء الكواكب

لعمري لئن كان الردى بك فاتني وكل امرىء يوماً إلى الله ذاهب

لقد أخذت مني النوائب حكمها فما تركت حقاً علي النوائب

ولا تركتني أرهب الدهربعده لقد كل عني نابه والمخالب

سقى جدثا أمسى الكريم ابن صالح يحل به دان من المزن ساكب

إذا بشر الرواد بالغيث برقه مرته الصبا واستحلبته الجنائب

فغادر باقي الدهر تأثير صوبه ربيعاً زهت منه الربا والمذانب

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني المبرد قال: لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى توصل بنان له، بأن غنى بين يدي المتوكل في شعره:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهناً لمعانه

فاستحسن المتوكل الشعر واللحن، وسأل عن قائله، فأخبر به، وكلم في أمره، وأحسنت الجماعة رقده، وقام الفتح بأمره قياماً تاما. فأمر بإطلاقه من حبسه، على أن يكون عند الفتح وفي يده، حتى يقيم كفيلاً بنفسه ألا يبرح من سر من رأى، فأطلق، وأخذ عليه الفتح الأيمان الموثقة ألا يبرح من سر من رأى إلا بإذنه، ثم أطلقه.

ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جياد كثيرة، منها قوله في المتوكل:

ألف التقى ووفى بنذر الناذر وأبى الوقوف على المحل الداثر

ولقد تهيج له الديار صبابة حيناً وتكلف بالخليط السائر

فرأى الهداية أن أناب وأنه قصر المديح على الإمام العاشر

يا بن الخلائف والذين بهديهم ظهر الوفاء وبان غدر الغادر

وابن الذين حووا تراث محمد دون الأقارب بالنصيب الوافر

نطق الكتاب لكم بذاك مصدقاً ومضت به سنن النبي الطاهر

ووصلت أسباب الخلافة بالهدى إذ نلتها وأنمت عين الساهر

أحييت سنة من مضى فتجددت وأبنت بدعة ذي الضلال الخاسر

فافخر بنفسك أو بجدك معلناً أو دع فقد جاوزت فخر الفاخر

ما للمكارم غيركم من أول بعد النبي وما لها من اخر

إني دعوتك فاستجبت لدعوتي والموت مني قيد شبر الشابر

فانتشتني من قعر موردة الردى أمنا ولم تسمع مقالة زاجر

وفككت أسري والبلاء موكل وجبرت كسراً ما له من جابر

وعطفت بالرحم التي ترجو بها قرب المحل من المليك القادر

وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أرى غرضاً ببابك للملم الفاقر

أو أن أضيع بعدما أنقذتني من ريب مهلكة وجد عاثر

ولقد مننت فكنت غير مكدر ولقد نهضت بها نهوض الشاكر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدثنا الفضل بن سعيد بن أبي حرب قال: حدثني أبو عبد الله الجهني قال: دخلت على محمد بن صالح الحسني في حبس المتوكل، فأنشدني لنفسه يهجو أبا الساج:

ألم يحزنك يا ذلفاء أني سكنت مساكن الأموات حيا

وأن حمائلي ونجاد سيفي علون مجدعا أشروسنيا

فقصرهن لما طلن حتى اس توين عليه لا أمسى سويا

أما والراقصات بذات عرق ترد البيت تحسبها قسيا

لو أمكنني غداتئذ جلاد لألفوني به سمحاً سخيا

قال ابن عمار: وأنشدني عبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضاً:

نظرت ودوني ماء دجله موهناً بمطروفة الإنسان محسورة جداً

لتؤنس لي ناراً بليل توقدت وتالله ماكلفتها نظراً قصداً

فلو أنها منها لمقلت كأنني أرى النار قد أمست تضيء لناهنداً

تضيء لنا منها جبيناً ومحجراً ومبتسماً عذباً وذا غدر جعداً

انقضت أخباره.

ياعدياً لقلبك المهتاج أن عفا رسم منزل بالنباج

غيرته الصبا وكل ملث دائم الودق ذي أهاضيب داج

وحملنا غلامنا ثم قلنا هاجر العيس ليس منك بناج

فانتحى مثل ما انتحى بازدجن جوعته القناص للدراج

الشعر لأبي دواد الإيادي. والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة. وفيه لعريب هزج. وفيه ثقيل أول، ينسب إلى يزيد الحذاء، وإلى أحمد النصيبي.

ذكر أخبار أبي دواد الإيلدي ونسبه

هو فيما ذكر يعقوب بن السكيت: جارية بن الحجاج. وكان الحجاج يلقب حمران بن بحر بن عصام بن منبه بن حذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معد. وقال ابن حبيب هو جارية بن الحجاج أحد بني برد بن دعمي بن إياد

بن نزار. شاعر قديم من شعراء الجاهلية، وكان وصافاً للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله في غير وصفها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك، إلا أن شعره في وصف الفرس كثر.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: حدثني الهيثم بن عدي وابن الكلبي، عن أبيه، والشر قي: أن أبا دواد الإيادي مدح الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، فأعطاه عطاياً كثيرة، ثم مات ابن لأبي دواد وهو في جواره فوداه، فمدحه أبو دواد، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه، ولا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبي دواد، وفيه يقول قيس بن زهير:

أطوف ما أطوف ثم آوي ... إلى جار كجار أبي دواد

هذه رواية هؤلاء؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: جاور أبو دواد الإيادي كعب بن مامة الإيادي، فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها، وفيه يقول طرفة يمدح عمرو بن هند:

جارٌ كجار الحذاقي الذي انتصفا

وكان لأبي دواد ابن يقال له دواد شاعر، وهو الذي يقول يرثي أباه:

فبات فينا وأمسى تحت هائرة ... ما بعد يومك من ممسىً وإصباح

لا يدفع السقم إلا أن نفديه ... ولو ملكنا مسكنا السقم بالراح

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح قال: أخبرنا أبو المنذر، عن أبيه قال: تزوج أبو دواد امرأة من قومه، فولدت له دواداً ثم ماتت، ثم تزوج أخرى، فأولعت بدواد، وأمرت أباه أن يجفوه ويبعده، وكان يحبها، فلما أكثرت عليه قالت: أخرجه عني، فخرج به وقد أردفه خلفه، إلى أن انتهى إلى أرض جرداء ليس فيها شيء، فألقى سوطه متعمداً، وقال: أي دواد، انزل فناولني سوطي. فنزل، فدفع بعيره وناداه:

أدواد إن الأمر أصبح ما ترى ... فانظر دواد لأي أرض تعمد؟

فقال له دواد: على رسلك. فوقف له فناداه:

وبأي ظنك أن أقيم ببلدةٍ ... جرداء ليس بغيرها متلدد

فرجع إليه وقال له: أنت والله ابني حقاً، ثم رده إلى منزله، وطلق امرأته.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن أبي عمرو الشيباني قال: كانت لأبي دواد امرأة يقال لها أم حبتر، وفيها يقول:

في ثلاثين ذعذعتها حقوقٌ ... أصبحت أم حبتر تشكوني

زعمت لي بأنني أفسد الما ... ل وأزويه عن قضاء ديوني

املت أن أكون عبد المالي وتهنا بنافع المال دوني

وهي طويلة. قال: ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يعتبها ، فصرمته:

حاولت حين صرمتني والمرء يعجز لا محاله

والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعاله

والمرء يكسب ماله والشح يورثه الكلاله

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقاله

والسكت خير للفتى فالحين من بعض المقاله

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبي عن إسحاق، عن الأصمعي قال: ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد: طفيل، وأبو دواد، والجعدي. فأما أبو دواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر . وأما طفيل فإنه كان يركبها وهو أغرل إلى أن كبر. وأما الجعدي فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء ، فأخذ عنهم.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: دواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وبعده طفيل الغنوي والنابغة الجعدي.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابي قال: لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد، ولا وصف الخمر إلا أحتاج إلى أوس بن حجر، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة، ولا اعتذر أحد في شعره إلا أحتاج إلى النابغة الذبياني.

أخبرني عمي قال: حدثني جعفر بن محمد العاصمي قال: حدثنا عيينة بن المنهال قال: حدثنا شداد بن عبيد الله قال: حدثني عبيد الله بن الحر العنزي القاضي، عن أبي عرادة قال: كان علي صلوات الله عليه يفطر الناس في شهر رمضان، فإذا فرغ من العشاء تكلم، فأقل وأوجز، فأبلغ. فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال علي عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي: قل يا أبا الأسود. فقال أبو الأسود، وكان يتعصب لأبي دواد الإيادي: أشعرهم الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافع ركني أحوذيٌ ذو ميعة إضريج

مخلط مزيل مكرٌ مفرٌ منفح مطرح سبوحٌ خروج

سلهب شرجبٌ كأن رماحاً حملته وفي السراة دموج

وكان لأبي الأسود رأي في أبي دواد، فأقبل علي على الناس، فقال: كل شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد، وغاية واحدة، ومذهب واحد في القول، لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد، وأحسن فيه، وإن يكن أحد فضلهم، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر، فإنه كان أصحهم

بادرة، وأجودهم نادرة.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه عن إسحاق، عن الأصمعي قال: كانت الرواة لا تروي شعر أبي دواد ولا عدي بن زيد، لمخالفتها مذاهب الشعراء، قال: وكان أبو داود على خيل المنذر بن ماء السماء فأكثر وصفه للخيل.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني ابن أبي الهيذام قال: اسم أبي دواد الإيادي جويرية بن الحجاج. وكانت له ناقة يقال لها الزباء، فكانت بنو إياد يتبركون بها. فلما أصابتهم السنة تفرقوا ثلاث فرق، فرقة سلكت في البحر فهلكت، وفرقة قصدت اليمن فسلمت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل، فنزلوا على الحارث بن همّام.

وكان السبب في ذلك أنهم أرسلوا الزباء، وقالوا إنها ناقة ميمونة، فخلوها، فحيث توجهت فاتبعوها. وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نجعة. فخرجت تخوض العرب، حتى بركت بفناء الحارث بن همام، وكان أكرم الناس جواراً، وهو جار أبي دواد المضروب به المثل. فقال أبو دواد يمدح الحارث، ويذكر ناقته الزباء:

فإلى ابن همام بن مرة أصعدت ... ظعن الخليط بهم فقلّ زيالها

أنعمت نعمة ماجد ذي منة ... نصبت عليه من العلا أظلالها

وجعلنا دون الولي فأصبحت ... زباء منقطعا إليك عقالها

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا يحى بن سعيد قال: كانت إياد تفخر على العرب، تقول: منا أجود الناس كعب بن مامة، ومنا أشعر الناس أبو دواد، ومنا أنكح الناس ابن ألغز .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: حدثني القحذمي قال: كان ابن ألغز أَيِّرا، فكان إذا أنعظ احتكت الفصال بأيره، قال: وكان في إياد امرأة تستصغر أيور الرجال، فجامعها ابن ألغز، فقالت: يا معشر إياد، أبالرُّكب تجامعون النساء؟ قال: فضرب بيده على أليتها وقال: ما هذا؟ فقالت وهي لا تعقل ما تقول: هذا القمر. فضرب العرب بها المثل: "أريها استها وتريني القمر". وأنشد وقد كان الحجاج منع من لحوم البقر خوفاً من قلّة العمارة في السواد، فقيل فيه:

شكونا إليه خراب السواد ... فحرّم فينا لحوم البقر

فكنا كمن قال من قبلنا ... أريها استها وتريني القمر

أخبرني عمي عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي بنحوه.

وأخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثني العمريّ عن لقيط قال: أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال: كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة، فتذاكروا الشعراء، وفضوا بعضهم على بعض وهو ساكت،

فقال له: يا أبا مليكة ما تقول؟ فقال: ما ذكرتم والله أشعر الشعراء، ولا أنشدتم أجود الشعر. فقالوا: فمن أشعر الناس؟ فقال الذي يقول:

لا أعدُّ الإقتار عدما ولكن فقد من قد رزئته الإعدام

والشعر لأبي دواد الإيادي. قالوا: ثم من؟ قال: ثم عبيد بن الأبرص. قالوا: ثم من؟ قال: كفاكم والله بي إذا أخذتني رغبة أو رهبة، ثم عويت في إثر القوافي عواء الفصيل في إثر أمه.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، قال: حدثني عمي، وأخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا الأصمعيّ، عن أبي عمرو بن العلاء، عن هجّاس بن مرير الإيادي، عن أبيه، وكان قد أدرك الجاهلية، قال: بينا أبو دواد وزوجته وابنه وابنته على ربوة، وإياد إذ ذاك بالسواد، إذ خرج ثور من أجمة، فقال أبو دواد:

وبدت له أذن توجّس حرّة وأحمّ وارد

وقوائم عوج لها من خلفها زمع زوائد

كمقاعد الرّقباء للضرباء أيديهم نواهد

ثم قال: أنفذي يا أم دواد، فقالت:

وبدت له أذن توجّس حرّة وأحمّ مولق

وقوائم عوج لها من خلفها زمع معلّق

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم تألّق

ثم قال: أنفذ يا دواد. فقال:

وبدت له أذن توجس حرة وأحم مرهف

وقوائم عوج لها من خلفها زمع ملفّف

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم تلقّف

ثم قال: أنفذي يا دوادة. قالت: وما أقول مع من أخطأ. قالوا: ومن أين أخطأناه؟ قالت: جعلتم له قرناً واحداً، وله قرنان. قالوا: فقولي. قالت:

وبدت له أذن توجّس حرّة وأحم مرهف

وقوائم عوج لها=من خلفها زمع ثمان

كمقاعد الرقباء للضّرباء أيديهم دوان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرني عمي عن العباس بن هشام، عن أبيه قال: كان أبو دواد الإيادي الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء. وإن أبا دواد نازع رجلاً بالحيرة من بهراء، يقال له رقبة بن عامر بن كعب بن عمرو، فقال له رقبة: صالحني وحالفني. فقال أبو دواد: فمن أين تعيش إياد إذاً، فوالله لولا ما تصيب من بهراء لهلكت، وانصرفا على تلك الحال.

ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك رقبة البهراني، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قاله له أبو دواد عند المنذر، وأخبرهم أن القوم ولدُ أبي دواد، فخرجوا إلى الشام، فلقوهم فقتلوهم. وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً، ثم أتى المنذر، فقال له: قد اصطنعت لك طعاماً كثيراً، فأنا أحب أن تتغدّى عندي، فأتاه المنذر وأبو دواد معه، فبينا الجفان ترفع وتوضع، إذ جاءته جفنة عليها بعض رؤوس بني أبي دواد، فوثب وقال: أبيت اللعن! إني جارك، وقد ترى ما صنع بي، وكان رقبة أيضا جاراً للمنذر. فوقع المنذر منهما في سوءة، وأمر برقبة فحبس، وقال لأبي دواد: أما يرضيك توجيهي بكتيبتي الشهباء والدوسر إليهم؟ قال: بلى. قال: قد فعلت. فوجه إليهم بالكتيبتين.

فلما بلغ ذلك رقبة قال لامرأته: ويحك! الحقي بقومك فأنذريهم. فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته، ثم خرجت حتى أتت قومها، فلما قربت منهم تعرت من ثيابها، وصاحت وقالت: أنا النذير العريان. فأرسلتها مثلاً. فعرف القوم ما تريد، فصعدوا إلى أعالي الشأم، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحداً، فقال المنذر لأبي دواد: قد رأيت ما كان منهم، وأنا أدي كل ابن لك بمئتي بعير، فأمر له بست مئة بعير، فرضي بذلك، فقال فيه قيس بن زهير العبسي:

سأفعل ما بدا لي ثم آوي ... إلى جار كجار أبي دواد

وهذا شعر لأبي تمام فيه غناء:

وركب كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل داج غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

الشعر لأبي تمام الطائي. والغناء للقاسم بن زرزور، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر. وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل.

أخبرني: إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه، وحدثني المظفر بن كيغلغ عن القاسم أيضاً: أن المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقة في رقعة، وهو أمير، وأمر أن يصنع فيهما لحن. فصنع القاسم هذا اللحن، وصنع جعفر خفيف الثقيل.

أخبار أبي تمام ونسبه

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، من نفس طيّىء صليبة . مولده ومنشؤه منبج، بقرية منها يقال لها جاسم. شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غواص على ما يستصعب منها، ويعسر متناوله على غيره. وله مذهب في المطابق، هو كالسابق إليه جميع الشعراء، وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإن له فضل الإكثار فيه، والسلوك في جميع طرقه. والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد. وله أشياء متوسطة، ورديئة رذلة جداً. وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط، حتى يفضله على كل سالف وخالف، وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل، وعلم ثاقب. وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس، وطلب معايبهم، سبباً للترفع، وطلباً للرياسة. وليست إساءة من أساء في القليل، وأحسن في الكثير، مسقطة إحسانه؛ ولو كثرت إساءته أيضا ثم أحسن، لم يقل له عند الإحسان أسأت، ولا عند الصواب أخطأت، والتوسط في كل شيء أجمل، والحق أحق أن يتبع.

وقد روي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها، إلا في بيت واحد، فقال له: يا أبا تمام، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب. فقال له: أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم، ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حلو في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل، لم يبغض الناقص، وإن هوي بقاء المتقدم، لم يهو موت المتأخر.

واعتذاره بهذا ضدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق، حيث يقول:

جاءتك من نظم اللسان قلادة ... سمطان فيها اللؤلؤ المكنون

أحذاكها صنع اللسان يمدّه ... جفرٌ إذانضب الكلام معين

ويسيء بالإحسان ظناً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

فلو كان يسيء بالإساءة ظناً ولا يفتتن بشعره، كنا في غنّى عن الاعتذار له.

وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء، من لا يشق الطاعنون عليه غباره، ولا يدركون وإن جدوا آثاره، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيده نظيراً ولا شكلاً؟ ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه، والتنبيه على رذله ودنيئه، لذكرت منه طرفا، ولكن قد أتى من ذلك مالاً مزيد عليه.

أخبرني عمي قال: حدثني أبي قال: سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول: أشعر الناس طرّاً الذي يقول:

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس ، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب، فجلست إليه، وكنت أجري عنده مجرى الولد، فقلت له: من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول:

مطر أبوك أبو أهلّة وائل ملأ البسيطة عدة وعديدا

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

ورثوا الأبوّة والحظوظ فأصبحوا جمعوا جدوداً في العلا وجدودا

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: قدم عمارة بن عقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم: ها هنا شاعر يزعم قوم أنه أشعر الناس طرّاً، ويزعم غيرهم ضد ذلك. فقال: أنشدوني قوله. فأنشدوه:

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتاداً عندها كل مرقد

وأنقذها من غمرة الموت أنه صدود فراق لا صدود تعمد

فأجرى لها الإشفاق دمعاً مورداً من الدم يجري فوق خد مورّد

هي البدر يغنيها تودّد وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تودّد

ثم قطع المنشد. فقال له عمارة: زدنا من هذا. فوصل نشيده وقال:

ولكنني لم أحو وفراً مجمّعاً ففزت به إلا بشمل مبدد

ولم تعطني الأيام نوما مسكنا ألد به إلا بنوم مشرد

فقال عمارة: لله دره! لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حبب إلي الاغتراب، هيه. فأنشده:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة: كمل والله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، واطراد المراد، واتساق الكلام، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: سمعت علي بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله، فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك مازدت على مدحك هذا. فقال: إن لم يكن أخاً بالنسب، فإنه أخ بالأدب والمودة؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول:

إن يكد مطّرف الإخاء فإننا نغدو ونسري في إخاء تالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله المهلبي قال: كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معاني فيأخذها. فقال له رجل في مجلسه: وأي شيء من ذلك، أعزك الله؟ قال: قولي:

وإن امرأ أسدى إلي بشافع إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج إنه يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ فقال: قال:

فلقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يدي مر لسؤاله

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال له الرجل: أحسن والله. فقال: كذبت قبحك الله. فقال: والله لئن كان أخذه منك، لقد أجاد، فصار أولى به منك. وإن كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه. فغضب دعبل وانصرف.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال: سمعت محمد بن حازم الباهلي يقدم أبا تمام ويفضله، ويقول: لو لم يقل إلا مرثيته التي أولها:

أصم بك الناعي وإن كان أسمعا

وقوله:

لو يقدرون مشوا على وجناتهم وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفتاه.

أخبرني عمي قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: كان عمارة بن عقيل عندنا يوماً، فسمع مؤدباً كان لولد أخي يرويهم قصيدة أبي تمام:

الحق أبلج والسيوف عوار

فلما بلغ إلى قوله:

سود اللباس كأنما نسجت لهم أيدي السموم مدارعا من قار

بكروا وأسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار

فقال عمارة: لله دره! ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه، كأنه موقوف عليه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني أبو ذكوان قال: قال لي إبراهيم بن العباس: ما اتكلت في مكاتبتي قط إلا على ما جاش به صدري، وجلبه خاطري، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام:

فإن باشر الإصحار فالبيض والقنا ... قراه وأحواض المنايا مناهله

وإن يبن حيطاناً عليه فإنما ... أولئك عقالاته لا معاقله

وإلا فأعلمه بأنك ساخط ... عليه، فإن الخوف لا شك قاتله

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي، فقلت: "فصار ما كان يحرزهم يبرزهم، وكان كان يعقلهم يعتقلهم ".

قال: ثم قال لي إبراهيم: إن أبا تمام اخترم وما استمتع بخاطره، ولا نزح ركي فكره، حتى انقطع رشاء عمره.

أخبرني محمد قال: حدثني أبو الحسين بن السخي قال: حدثني الحسين بن عبد الله قال: سمعت عمي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، وقد أنشد شعراً له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رعية لإحسانك.

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله قال: قال لي محمد بن جابر الأزدي، وكان يتعصب لأبي تمام: أنشدت دعبل بن علي شعراً لأبي تمام و لم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسن من عافية بعد يأس. فقلت: إنه لأبي تمام. فقال: لعله سرقه! أخبرني محمد قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال: ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

أخبرني عمي والحسن بن علي ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا، وأظن أيضاً جحظة حدثنا به، قالوا: حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: لما قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه، وسألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غداً، وستسمعوني . فلما دخل على عبد الله أنشده:

هن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

فلما بلغ إلى قوله:

وقلقل نأي من خراسان جأشها ... فقلت اطمئني أنضر الروض عازبه

وركب كأطراف الأسنة عرسوا ... على

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي، عن الحزنبل، عن سعيد بن جابر الكرخي، عن ابيه: أنه حضر أبا دلف القاسم بن عيسى وعنده أبو تمام الطائي، وقد أنشده قصيدته:

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ إلى قوله:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى تقرنوا بها محاسن أقوام تكن كالمعايب

فقال أبو دلف: يا معشر ربيعة، ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط، فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها إليه. فقال أبو دلف: قد قبلها وأعاركم لبسها، وسأنوب عنكم في ثوابه. تمّم القصيدة يا أبا تمام. فتممها، فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك. فاعذرنا، فشكره وقام ليقبل يده، فحلف ألا يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حميد:

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السّمر

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر

غدا غدوةً والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

كأن بني نبهان يوم مصابه نجوم سماء خرمن بينها البدر

يعزون عن ثاو يعزى به العلى ويبكى عليه البأس والجود والشعر

فأنشده إياها، فقال: والله لوددت أنها في. فقال: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي، وأكون المقدم، فقال: إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر، أو مثله.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال: قال الواثق لأحمد بن أبي دواد: بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها ألف دينار. قال: لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين، ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم:

فاشدد بهارون الخلافة إنه سكن لوحشتها ودار قرار

ولقد علمت بأن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار

فابتسم وقال: إنه لحقيق بذلك.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال:

خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مزيد وهو بأرمينية، فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره، وقال: تكون العشرة الآلات موفورة، فإن أردت الشخوص فاعجل، وإن أردت المقام عندنا فلك الحباء والبر. قال: بل أشخص. فودعه؟ ومضت أيام، وركب خالد يتصيد، فرآه تحت شجرة، وبين يديه زكرة فيها شراب، وغلام يغنيه بالطنبور. فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك وعبدك. قال: ما فعل المال؟ فقال:

علمني جودك السماح فما ... أبقيت شيئاً لدي من صلتك
مامرشهرحتى سمحت به ... كأن لي قدرة كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي ال ... ساعة ما تجتنيه في سنتك
فلست أدري من أين تنفق لو ... لا أن ربي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة أخرى، فأخذها وخرج.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا عون بن محمد الكندي قال: حدثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقي، وكان يكتب للحسن بن رجاء؟ قال: قدم أبو تمام مادحا للحسن بن رجاء، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها، فلما انتهى إلى قوله:

أنا من عرفت فإن عرتك جهالةً ... فأنا المقيم قيامة العذال
عادت له أيامه مسودة ... حتى توهم أنهن ليال

فقال الحسن: والله لا تسود عليك بعد اليوم. فلما قال:

لاتنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري حيث الركاب ينصها ... محيى القريض إلى مميت المال

فقام الحسن بن رجاء على رجليه، وقال: والله لا أتممتها إلا وأنا قائم. فقام أبو تمام لقيامه، وقال:

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى ... عنا تملك دولة الإمحال
بسط الرجاء لنا برغم نوائب ... كثرت بهن مصارع الآمال
أغلى عذارى الشعر إن مهورها ... عند الكرام وإن رخصن غوال
ترد الظنون بنا على تصديقها ... ويحكم الآمال في الأموال
أضحى سمي أبيك فيك مصدقا ... بأجل فائدة وأيمن فال
ورأيتني فسألت نفسك سيبها ... لي ثم جدت وما انتظرت سؤالي
كالغيث ليس له أريد غمامه ... أولم يرد بد من التهطال

فتعانقا وجلسا. وقال له الحسن: ما أحسن ما جلوت هذه العروس! فقال: والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها.

قال محمد بن سعد: وأقام شهرين، فأخذ على يدي عشرة آلاف درهم، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به؟ على بخل كان في الحسن بن رجاء.

أخبرني الصولي قال: حدثني عون بن محمد قال: شهدت دعبلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام، فاعترضه عصابة الجرجرائي، فقال: يا أبا علي، اسمع مني ما قاله، فإن أنت رضيته فذاك؟ وإلا وافقتك على ما تذمه منه، وأعوذ بالله فيك من ألا ترضاه، ثم أنشده قوله:

أما إنه لولا الخليط المودع ... ومغنى عفا منه مصيف ومربع

فلما بلغ إلى قوله:

هو السيل إن واجهته انقدت طوعه ... وتقتاده من جانبيه فيتبع

ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ... ولم أرضراً عند من ليس ينفع

معاد الورى بعد الممات وسيبه ... معاد لنا قبل الممات ومرجع

فقال له دعبل: لم ندفع فضل هذا الرجل، ولكنكم ترفعونه فوق قدره، وتقدمونه على من يتقدمه، وتنسبون إليه ما قد سرقه. فقال له عصابة: إحسانه صيرك له عائباً، وعليه عاتباً.

أخبرني الصولي قال: حدثنا الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء قال: حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده:

أسقى ديارهم أجش هزيم ... وغدت عليهم نضرة ونعيم

قال: فلما فرغ أمر له بألف دينار، وخلع عليه خلعة حسنة، وأقمنا عنده يومنا، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام:

قد كسانا من كسوة الصيف ... خرق مكتس من مكارم ومساع

حلةً سابرية ورداءً ... كسحا القيض أورداء الشجاع

كالسراب الرقراق في الحسن إلا ... أنه ليس مثله في الخداع

قصبيا تسترجف الريح متف ... ه بأمر من الهبوب مطاع

رجفانا كأنه الدهرمنه ... كبد الضب أوحشا المرتاع

لازما مايليه تحسبه جز ... ءاً من المتنتين والأضلاع

يطرد اليوم ذا الهجير ولو شب ... ه في حره بيوم الوداع

خلعةً من أغر أروع رحب الص ... در رحب الفؤاد رحب الذراع

سوف أكسوك مايعفي عليها ... من ثناء كالبرد برد الصناع

حسن هاتيك في العيون وهذا ... حسنه في القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم: ومن لا يعطي على هذا ملكه؟ والله لا بقي في داري ثوب إلا دفعته إلى أبي تمام، فأمر لى بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان، أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلد، وقد كان عبد الله وجد عليه، وأبطأ بجائزته، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها بيده، ترفعاً عنها، فأغضبه وقال: يحتقر فعلي، ويترفع علي. فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت، فقال أبو تمام:

لم يبق للصيف لارسم ولاطلل ... ولا قشيب فيستكسى ولا سمل

عدل من الدمع أن يبكي المصيف كما ... يبكى الشباب، ويبكي اللهو والغزل

يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت ... يسراه وفي لنا من بعدها بدل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر، فأتى أبا تمام، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر، وعاتبه على ما عتب عليه من أجله، وتضمن له ما يحبه. ثم دخل إلى عبد الله، فقال: أيها الأمير، أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره، والإحسان في شعره، والشائع من ذكره، لكان الخوف من شره، والتوقي لذمه، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته، فكيف وله بتزوعه إليك من الوطن، وفراقه السكن، وقد قصدك عاقداً بك أمله، معملاً إليك ركابه، متعباً فيك فكره وجسمه، وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه، حتى ينصرف راضياً، ولو لم يأت بفائدة، ولا سمع فيك منه ما سمع إلا قوله:

تقول في قومس صحبي وقد أخذت ... منا الشرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا، ... فقلت كلاّ ولكن مطلع الجود

فقال له عبد الله: لقد نبهت فأحسنت، وشفعت فلطفت، وعاتبت فأوجعت، ولك ولأبي تمام العتبى، ادعه يا غلام. فدعاه، فنادمه يومه، وأمر له بألفي دينار، وما يحمله من الظهر، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه، وأمر ببذرقته إلى آخر عمله.

أخبرني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: مر أبو تمام بمخنث يقول لآخر: جئتك أمس فاحتجبت عني، فقال له: السماء إذا احتجبت بالغيم رجي خيرها. فتبينت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى، ليضمنه في شعره، فما لبثنا إلا أياماً حتى أنشدت قوله:

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إن السماء ترجى حين تحتجب

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عمي، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: كنا عند دعبل أنا والقاسم ، في سنة خمس وثلاثين ومئتين، بعد قدومه من الشأم، فذكرنا أبا تمام، فثلبه، وقال: هو سروق للشاعر. ثم قال لغلامه: يا ثقيف، هات تلك المخلاة. فجاء بمخلاة فيها دفاتر، فجعل يمرها على يده، حتى أخرج منها دفتراً، فقال: اقرءوا هذا. فنظرنا فيه، فإذا فيه: قال مكنف أبو سلمى، من ولد زهير بن أبي سلمى، وكان هجا ذفافة العنسي بأبيات منها:

إن الضراط به تصاعد جدكم فتعاظموا ضرطاً بني القعقاع

قال ثم مات ذفافة بعد ذلك، فرثاه فقال:

أبعد أبي العباس يستعذب الدهر فما بعده للدهر حسن ولا عذر

ألا أيها الناعي ذفافة والندى تعست وشلت من أناملك العشر

أتنعى لنا من قيس عيلان صخرة تفلق عنها من جبال العدا الصخر

إذا ما أبو العباس خلى مكانه فلا حملت أنثى ولانالها طهر

ولا أمطرت أرضاً سماء ولاجرت نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بني القعقاع يوم مصابه نجوم سماء خرمن بينها البدر

توفيت الآمال يوم وفاته وأصبح في شغل عن السفر السفر

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة، فأدخلها في قصيدته:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أخبرني الصولي قال: حدثني محمد بن موسى قال: كان أبو تمام يعشق غلاماً خزرياً للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشق غلاماً رومياً لأبي تمام، فرآه أبو تمام يوماً يعبث بغلامه، فقال له: والله لئن أعنقت إلى الروم، لنركضن إلى الخزر. فقال له الحسن: لو شئت حكمتنا واحتكمت. فقال أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام، وأشبه نفسي بخصمه، فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما وهو منثور فلا، لأنه عارض لا حقيقة له، فقال أبو تمام:

أبا علي لصرف الدهر والغير وللحوادث والأيام والعبر

أذكرتني أمر داود وكنت فتىً مصرف القلب في الأهواء والفكر

أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها وأنت مضطرب الأحشاء للقمر

إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى جاذر الروم أعنقنا إلى الخزر

إن القطوب له مني محل هوىً يحل مني محل السمع والبصر

ورب أمنع منه جانباً وحمى أمسى وتكته مني على خطر

جردت فيه جنود العزم فانكشفت منه غيابتها عن نيكة هدر

سبحان من سبحته كل جارحة ما فيك من الأطمحان الأير والنظر

أنت المقيم فما تغدو رواحله وأيره أبداً منه على سفر

أخبرني الصولي قال: حدثني عبد الله بن الحسين قال: حدثني وهب بن سعيد قال: جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا علي، أنت الذي تطعن على من يقول:

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحت كما محت وشائع من برد

وأنجدتم من بعد إتهام داركم فما دمع أنجدني على ساكني نجد

فصاح دعبل: أحسن والله وجعل يردد "فيا دمع أنجدني على ساكني نجد" ثم قال: رحمه الله، لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنه أشعر الناس.

أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن يحمى قالا: حدثنا محمد بن يزيد قال: مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده:

ما زالت الأيام تخبر سائلا أن سوف تفجع مسهلا أوعاقلا

مجد تأوب طارقاً حتى إذا قلنا أقام الدهر أصبح راحلا

نجمان شاء الله ألايطلعا إلا أرتداد الطرف حتى يأفلا

إن الفجيعة بالرياض نواضراً لأجل منها بالرياض ذوابلا

لو ينسبان لكان هذا غاربا للمكرمات وكان هذا كاهلا

لهفي على تلك المخايل منهما لو أمهلت حى تكون شمائلا

لغدا سكونهما حجىً وصباهما حلماً وتلك الأريحية نائلا

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

شعر لأبي الشيص فيه غناه:

بالله قل ياطلل أهلك ماذا فعلوا

فإن قلبي حذر من أن يبينوا وجل

عروضه من الرجز. الشعر لأبي الشيص. والغناء لأحمد بن يحيى المكي. خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية. ومن رواية الهشامي.

أخبار أبي الشيص ونسبه

اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل- وقيل: أبن بهيش- أبن خراش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو مزيقيا ابن عامر بن ثعلبة.
وكان أبو الشيص لقباً غلب عليه. وكنيته أبو جعفر، وهو ابن عم دعبل بن علي بن رزين لحا. وكان أبو الشيص من شعراء عصره، متوسط المحل فيهم، غير نبيه الذكر، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس، فخمل وأنقطع إلى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي، وكان أميراً على الزقة، فمدحه بأكثر شعره، فقلما يروى له في غيره. وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره.

ولأبي الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً، صالح الشعر، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب، فأخذ منه جامع شعر أبيه، ومن جهته خرج إلى الناس.
وعمي أبو الشيص في آخر عمره، وله مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده، نذكر منها مختارها مع أخباره.
وكان سريع الهاجس جداً، فيما ذكر عنه. فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامري قال له: من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه. والله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان. وكان من أوصف الناس للشراب، وأمدحهم للملوك.
وهكذا ذكر ابن المعتز، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره، ولا هو بساقط، ولكن هذا سرف شديد.
أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن النضر بن عمر قال: قال لي أبو الشيص: لما مدحت عقبة بن جعفر بقصيدتي التي أولها:

تنكري صدي ولا أعراضي ... ليس المقل عن الزمان براض

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال: أنشدت إبراهيم بن المهدي أبيات أبي يعقوب الريمي التي يرثي بها عينه، يقول فيها:

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً ... فإن البعض من بعض قريب

فأنشدني لأبي الشيص يبكي عينيه:

يا نفس بكي بأدمع هتن ... وواكف كالجمان في سنن

على دليلي وقائدي ويدي ونور وجهي وسائس البدن

أبكي عليها بها مخافة أن تقرنني والظلام في قرن

وقال أبو هفان: حدثني دعبل أن امرأة لقيت أبا الشيص، فقالت: يا أبا الشيص: عميت بعدي. فقال: قبحك الله، دعوتني باللقب، وعيرتني بالضرر.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي، عن أحمد بن عبيد قال: اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس، فقالوا: لينشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر. فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا مني أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد. قالوا: هات فقال لمسلم: أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت:

إذا ما علت منا ذؤابة واحد وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهل

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

قال: وبهذا البيت لقب صريع الغواني، لقبه به الرشيد، فقال له مسلم: صدقت.

ثم أقبل على أبي نواس فقال له: كأني بك يا أبا علي قد أنشدت:

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

تسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فمالك من سكرين من بد

فقال له: صدقت.

ثم أقبل على دعبل فقال له: وأنت يا أبا علي، فكأني بك تشد قولك:

أين الشباب وأيةً سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال: صدقت. ثم أقبل على أبي الشيص، فقال له: وأنت يا أبا جعفر، فكأني بك وقد أنشدت قولك:

لا تنكري صدي ولا إعراضي ليس المقل عن الزمان براض

فقال له: لا. ما هذا أردت أن أنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته. قالوا: فأنشدنا ما بدا لك. فأنشدهم قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخرعنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذةً حباً لذكرك فليلمني اللوم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذكان حظي منك حظي منهم

وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

لعريب في هذا الشعر لحنان: ثقيل أول، ورمل.

قال: فقال أبو نواس، أحسنت والله وجودت، وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك، ثم لأغلبنك عليه، فيشتهر ما أقول، ويموت ما قلت. قال: فسرق قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخرعنه ولا متقدم

سرقاً خفياً، فقال في الخصيب:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

فسار بيت أبي نواس، وسقط بيت أبي الشيص.

نسخت من كتاب جدي لأمي يحمى بن محمد بن ثوابة بخطه: حدثني الحسن بن سعد قال: حدثني رزين بن علي الخزاعي أخو دعبل قال:

كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصاري، فقال أبو نواس لأبي الشيص: أنشدني قصيدتك المخزية. قال: وما هي؟ قال: الضادية. فما خطر بخلدي قولك:

ليس المقل عن الزمان براض

إلا أخزيتك استحساناً لها، فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته، وقد كان ثقفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عدي لي المخزيات، فتعد قوله:

أغر أروع يستسقى الغمام به لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

وما أشبهها من شعره. قال أبو الشيص: لا أفعل. إنها ليست عندي عقد در مفصل، ولكني أكاثر بغيرها، ثم أنشده قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخرعنه ولا متقدم

الأبيات المذكورة، فقال له أبو نواس: قد أردت صرفك عنها، فأبيت أن تخلى عن سلبك، أو تدرك في هربك قال: بل أقول في طلبي، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نمطاً خسروانياً مذهباً حسناً، فكيف تركت:

في رداء من الصفيح صقيل وقميص من الحديد مذال

قال: تركته كما ترك مختار الدرتين إحداهما، بما سبق في ألحاظه، وزين في ناظره.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: حدثني من قال لأبي نواس: من أشعر طبقات المحدثين؟ قال: الذي يقول:

يطوف علينا بها أحور يداه من الكأس مخضوبتان

والشعر لأبي الشيص.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهاني قال: حدثني أبي قال:

دخل أبو الشيص على أبي دلف وهو يلاعب خادماً له بالشطرنج، فقيل له: يا أبا الشيص، سل هذا الخادم أن يحل أزرار قميصه. فقال أبو الشيص: الأمير أعزه الله أحق بمسألته. قال: قد سألنه، فزعم أنه يخاف العين على صدره، فقل فيه شيئاً. فقال:

وشادن كالبدر يجلو الدجى ... في الفرق منه المسك مذرور

يحاذر العين على صدره ... فالجيب منه الدهر مزرور

فقال أبو دلف: وحياتي لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم. فقال الخادم: قد والله أحسن كما قلت، ولكنك أنت ما أحسنت، فضحك، وأمر له بخمسة آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني علي بن سعد بن إياس الشيباني قال: تعشق أبو الشيص محمد بن رزين قينةً لرجل من أهل بغداد، فكان يختلف إليها، وينفق عليها في منزل الرجل، حتى أتلف مالاً كثيراً. فلما كف بصره، وأخفق، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه، ومنعه من الدخول، فجاءني أبو الشيص، فشكا إلي وجده بالجارية، واستخفاف مولاها به، وسألني المضي معه إليه، فمضيت معه، فاستؤذن لنا عليه، فأذن، فدخلت أنا وأبو الشيص، فعاتبته في أمره، وعالمت عليه حقه، وخوفته من لسانه ومن إخوانه، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه، فكان يأكل في بيته، ويحمل معه نبيذه ونقله، فمضيت معه ذات يوم إليها، فلما وقفنا على بابهم، سمعنا صراخاً شديداً من الدار، فقال لي: ما لها تصرخ؟ أتراه قد مات لعنه الله.

فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا، فإذا هو قد حسر كميه وبيده سوط، وقال لنا: ادخلا، فدخلنا، وإنما حمله على الإذن لنا الفرق مني، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخل يضربها، فاستمعنا عليه واطلعنا، فإذا هي مشدودة على سلم وهو يضربها أشد ضرب، وهي تصرخ، وهو يقول: وأنت أيضاً فاسرقي الخبز. فاندفع أبو الشيص على المكان يقول في ذلك:

يقول والسوط على كفه ... قد حرفي جلدتها حزا

وهي على السلم مشدودة ... وأنت أيضاً فاسرقي الخنزا

قال: وجعل أبو الشيص يرددهما، فسمعهما الرجل، فخرج إلينا مبادراً، وقال له: أنشدني البيتين اللذين قلتهما، فدافعه، فحلف أنه لا بد من إنشادهما، فأنشده إياهما، فقال لي: يا أبا الحسن، أنت كنت شفيع هذا، وقد أسعفتك بما تحب، فإن شاع هذان البيتان فضحتني، فقل له يقطع هذا، ولا يسمعهما، وله علي يومان في الجمعة. ففعلت ذلك، ووافقته عليه، فلم يزل يتردد إليه يومين في الجمعة حتى مات.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب، عن أبيه قال: كانت لأبي الشيص جارية سوداء اسمها تبر، وكان يتعشقها، وفيها يقول:

لم تتصفي ياسمية الذهب تتلف نفسي وأنت في لعب
يابنة عم المسك الذكي ومن لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك في السواد وف ي الريح فأكرم بذاك من نسب

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن عمه قال: كان أبو الشيص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمي، وهما حينئذ مملقان، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه، واستغنى، فجفا أبا الشيص، وتغير له، فكتب إليه:

الحمد لله رب العالمين على قربي وبعدك مني يابن إسحاق
يا ليت شعري متى تجدي علي وقد أصبحت رب دنانير وأوراق
تجدي علي إذا ما قيل من راق والتفت الساق عند الموت بالساق
يوم لعمري تهم الناس أنفسهم وليس ينفع فيه رقية الراقي

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أبو العباس بن الفرات قال: كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيل، وخلفه غلام له، وشيخ على بغل له هرم، وما فيهم إلا نضو، فأقبل علي عبيد الله بن سليمان فقال: كأنهم والله صفة أبي الشيص حيث يقول:

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضاً على أنقاض

وقال عبد الله بن المعتز: حدثني أبو مالك عبد الله قال: قال لي عبد الله بن الأعمش: كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي يشرب، فلما ثمل نام عنده، ثم انتبه في بعض الليل، فذهب يدب إلى خادم له، فوجأه بسكين، فقال له: ويحك، قتلتني والله، وما أحب والله أن أفتضح أني قتلت في مثل هذا، ولا تفضح أنت بي، ولكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمي، واجعل زجاجها في الجرح، فإذا سئلت عن خبري، فقل: إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت، فقتلتني، ومات من ساعته. ففعل الخادم ما أمره به، ودفن أبو الشيص، وجزع عقبة عليه جزعاً شديداً. فلما كان بعد أيام سكر الخادم، فصدق عقبة عن خبره، وأنه هو قتله، فلم يلبثه أن قام إليه بسيفه، فلم يزل يضربه حتى قتله.

مدح الكميت مخلد بن يزيد بن المهلب وفيه غناء:

هلا سألت معالم الأطلال والرسم بعد تقادم الأحوال
دمناً تهيج رسومها بعد البلى طرباً وكيف سؤال أعجم بال
يمشين مشي قطا البطاح تأودا قب البطون رواجح الأكفال
من كل آنسة الحديث حيية ليست بفاحشة ولامتفال

أقصى مذاهبها إذا لاقيتها في الشهربين أسرة وحجال

وتكون ريقتها إذا نبهتها كالشهد أوكسلافة الجريال

المتفال: المنتنة الريح. والجريال فيما قيل: اسم للون الخمر. وقيل: بل هو من أسمائها. والدليل على أنه لونها قول الأعشى:

وسلافة مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

قال سماك بن حرب: حدثني يحنس بن متى الحيري راوية الأعشى: أنه سأله عن هذا البيت فقال: سلبتها لونها: شربتها حمراء، وبلتها بيضاء.

الشعر في هذا الغناء المذكور للكميت بن زيد، والغناء لابن سريج، ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو بن بانة. وذكر المكي أنه لابن محرز. وفيه لعطرد خفيف ثقيل. وهذا الشعر من قصيدة للكميت، يمدح بها مخلد بن يزيد بن المهلب، يقول فيها:

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال

قعدت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال

فكأنماعاش المهلب بينهم بأغر قاس مثاله بمثال

في كفه قصبات كل مقلد يوم الرهان وفوزكل نصال

ومتى أزنك بمعشر وأزنهم بك ألف وزنك أرجح الأثقال